

مِنْ مَطْبُوعَاتِ
مَكْتَبَةِ إِمَامِ الدَّعْوَةِ الْعَالَمِيَّةِ
بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ

(١)

كُوكِبَةٌ

الخطيب المنير

مِنْ مَنْبَرِ

الكعبة الشريفة

إعداد

عبد الحميد بن عبد العزيز السديني

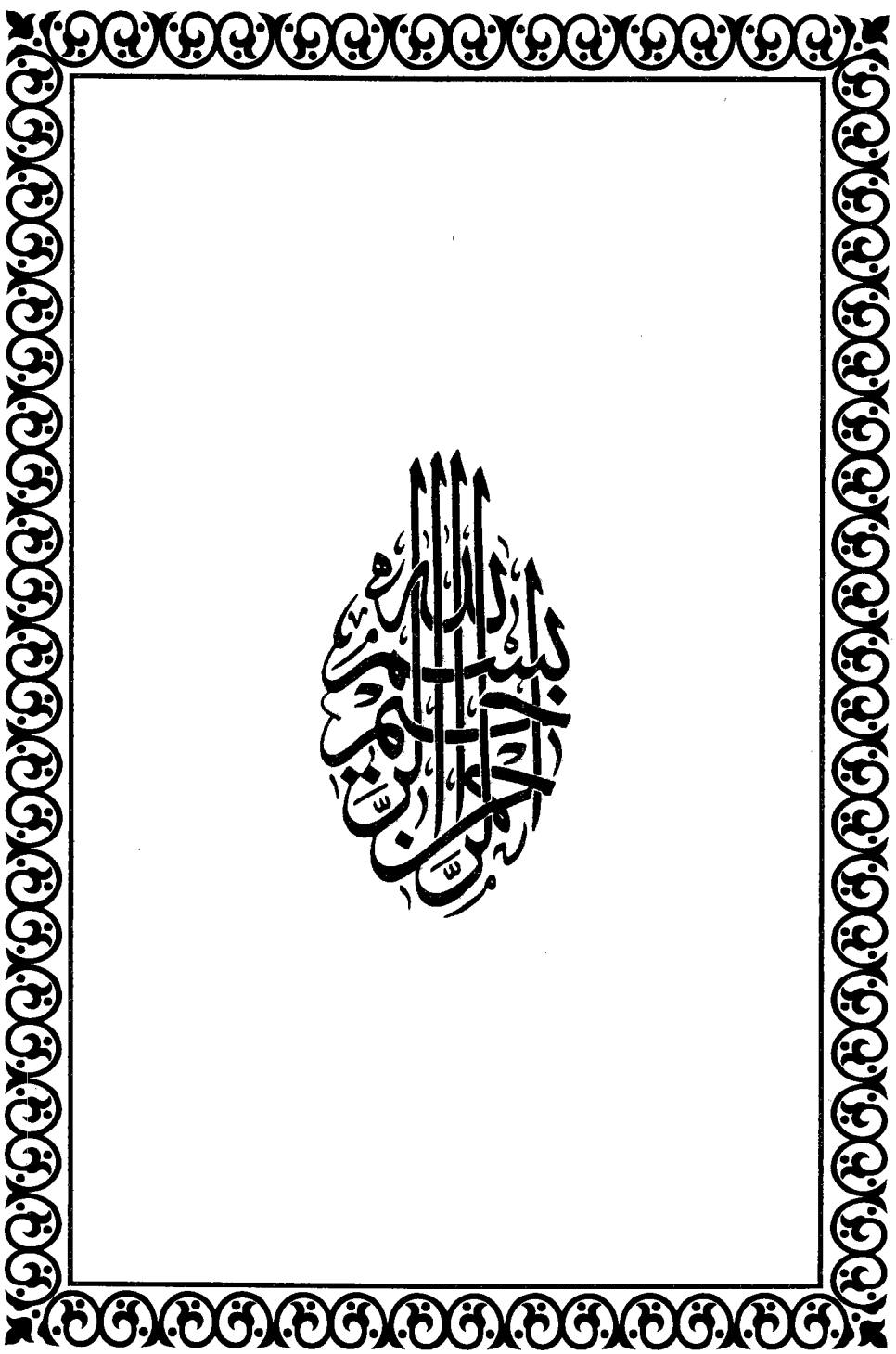
إمام وخطيب المسجد الحرام

السفر الأول

وقف لله تعالى

طبع على نفقة محسن كريم

أجزأه الله شربة وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا
يُخْفَى

٢٢٤١٤٢٢ هـ (ح) عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السديس ، عبد الرحمن بن عبد العزيز

كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة - مكة المكرمة

٧٥٢ ص : ١٧ × ٢٤ سم .

٨-٣٩-٥٣٠-٩٩٦٠ ردمك

١- العنوان

٢- الوعظ والإرشاد

١- خطبة الجمعة

٢٢/٢٨٢٨

ديوي ٢١٣

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

مكتبة الإمام الدعوة العلمية

مكة المكرمة - حي العوالي - هاتف : ٥٢٧٥٥٩١ فاكس / ٥٢٧٥٦١١

ص.ب ١٣٦١٢ البريد الإلكتروني / imamdwan@ayna.com

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحْكَمَ كِتَابَهُ، وَجَلَّى بِالْحَقِّ خِطَابَهُ، سُبْحَانَهُ فَتَقَّ (١) أَلْسِنَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْبَيَانِ وَالْخَطَابَةِ، فَكَانَ مِنْهُمْ نَمَازِجُ مِمَّنْ فَرَى (٢) الْحَيْرَ وَأَصَابَهُ، فَبَلَغَ مِنَ الْفَضْلِ أَوْجَهُ (٣) وَنَصَابَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ مَنْ صَعِدَ الْمَنَابِرَ، وَأَبْلَغُ مَنْ صَدَعَ بِالْخُطْبِ الزَّوَاجِرَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا قِمَمًا تُقْتَفَى فِي الدَّعْوَةِ وَالْخُطَابَةِ بِالْأَصَائِلِ وَالْهَوَاجِرِ (٤)، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ، وَتَرَ سَمَّ خُطَاهُمْ، مَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَاكِرًا، وَمَا تَاجَرَ مَعَ اللَّهِ مُتَاجِرًا، وَزَجَرَ عَنِ الرَّدَى زَاجِرًا، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

(١) يقال: رجل فتيقُ اللسان: فصيحُه حَدِيدُه. «اللسان» (فتق).

(٢) يقال: فرى يفرى: إذا عمل العمل فأجاد. «اللسان» (فرى).

(٣) الأوج: العلو، ضد الهبوط. «القاموس» (أوج).

(٤) الأصائل: جمع أصيل، وهو وقت العشي، والهواجر: جمع هاجرة، وهي وقت نصف النهار عند اشتداد الحر. «اللسان» (أصل) (هجر).



أما بعد:

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَنَنِ وَالْآلَاءِ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ - مَعَ نِعْمَةِ الْخَلْقِ وَالْإِجَادِ،
وَالْإِعْدَادِ وَالْإِمْدَادِ - بَلْ أَعْظَمُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ: مَا هَدَانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ
مِنْ هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ ف ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَأَنَّ مِنْ أَهَمِّ مُمَيِّزَاتِ هَذَا الدِّينِ «الْكَمَالُ وَالشُّمُولُ»؛ فَلَمْ يَتْرُكْ
جَانِبًا مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ إِلَّا تَوَلَّاهُ بِالْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ وَالْإِهْتِمَامِ؛ كَمَا قَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وَمِنْ ذَلِكَ: مَا اخْتَصَّتْ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنَ الشَّعَائِرِ وَالْمَشَاعِرِ^(١)،
وَالْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ؛ كَاخْتِصَاصِهَا بِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ «يَوْمِ الْجُمُعَةِ»،
وَمَا ائْتَارَ بِهِ هَذَا الْيَوْمُ الْمُبَارَكُ مِنْ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَظِيمَةِ،
وَهِيَ: «الْخُطْبَةُ».

وَمِمَّا لَارْتَبَ فِيهِ: أَنَّ لِلْخُطَابَةِ فِي شَرِيعَتِنَا الْغَرَاءَ مَقَامًا سَامِيًّا،
وَمَنْزِلَةً عَظِيمَةً؛ وَذَلِكَ لِمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ تَحْقِيقِ لِلِإِضْطِلَاعِ بِمُهَمَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى

(١) الشعائر: متعبّداتُ الله التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلامًا لنا، الواحد: شعيرة،
والمشاعر: جمع مشعر، وهو المَعْلَمُ للعبادة والموضع. «اللسان» (شعر).

الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت].

أخي القاري الكريم، كُنْتُ أَوْدُ أَنْ أُصَدِّرَ هَذِهِ «الْكُوكِبَةَ»^(١) بِمُقَدِّمَةٍ فَضْفَاضَةٍ عَنِ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْمُهِمِّ «الْخَطَابَةِ»، تَكُونُ تَوْضِيحًا وَبَسْطًا لِمَضَامِينِهَا؛ تَعْرِيفًا وَتَارِيخًا، وَأَدَابًا وَمَنْهَجًا، وَحِكْمًا وَأَحْكَامًا، وَلِمَا عَلَى فَارِسِهَا إِعْدَادًا وَتَكْوِينًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ إِتِمَامًا لِلْفَائِدَةِ، وَإِجْرَاءً لِلْعَائِدَةِ الزَّائِدَةِ، لِلْمُطَّلِعِ عَلَى هَذِهِ الْكُوكِبَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ مُنْبِتًا عَنِ هَذَا الْفَنِّ وَصَوَاهُ^(٢)، مَعَ سُؤَالِي اللَّهَ تَوْفِيقَهُ وَعَوْنَهُ وَرِضَاهُ.

لَكِنِّي رَأَيْتُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَصَدَّى لِهَذَا الْأَمْرِ الْمُهِمِّ، وَيَتَسَنَّمُ ذِرْوَتَهُ^(٣)، وَيَمْتَطِي صَهْوَتَهُ^(٤): لَيْسَ يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ^(٥) مِنْ ذَلِكَ، وَمَطَّانٌ هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي الْمُتَنَاولِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - سَوَاءٌ مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْفِقْهِ، أَمْ مِنَ الْمَصَادِرِ الْخَاصَّةِ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ؛ كَكِتَابِ

(١) الكوكبة: الجماعة أو المجموعة. «اللسان» (كوكب)، و«القاموس» (ككب)، و«الهادي إلى لغة العرب» (كوكب).

(٢) الصُّوئُ: أعلام من حجارة منصوبة في المفازة المجهولة يستدل بها على الطريق. «النهاية» (صوي).

(٣) أي: يعلو إلى قمته. «اللسان» (سنم).

(٤) صهوة كل شيء: أعلاه. «اللسان» (صهو).

(٥) يقال: عَزَبَ عَنْهُ هَذَا الْأَمْرُ يُعْزَبُ، أي: غاب. «اللسان» (عزب).

«أَدَبِ الْخَطِيبِ» لابْنِ الْعَطَّارِ الدَّمَشْقِيِّ (ت : ٧٢٤هـ) عَصْرِي شَيْخِ الْإِسْلَامِ
ابْنِ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - وَغَيْرِهِ، وَالَّذِي أَبَانَ فِيهِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ
الْمُهَمَّةِ، وَالَّتِي يَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا الْخَطِيبُ، وَيَجِدُ بُعَيْتَهُ وَطَلَبَتَهُ فِيهَا.

وَمَعَ كُلِّ هَذَا: «مَا لَا يُدْرِكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ»^(١)، وَ«يَكْفِي مِنَ
الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ»^(٢)؛ فَلَنْ أَسْلِمَ الْقَارِيءَ اللَّيِّبَ، وَأَحْرِمَ الْمُتَشَوِّفَ
النَّجِيبَ، مِنْ رَشْفَةٍ مِنْ رَحِيقِ هَذَا الْفَنِّ، وَتَضْمُنُحِ^(٣) بَعْبِقِهِ وَشَذَاهُ، وَعَبَّ
يَسِيرٍ مِنْ نَمِيرِهِ وَسَلْسِيلِهِ^(٤)، تَكُونُ إِضَاءَةً مُتَوَجِّهَةً بِأَبْهَى الْحُلِيِّ، وَإِنْ لَمْ
تَكُنْ عَلَلًا بَعْدَ نَهْلٍ^(٥)، سَائِلًا اللَّهُ سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ وَالْوَقَايَةَ مِنَ الزَّلَلِ.

أَخِي الْخَطِيبَ الْمُبَارَكَ، لِصِيَاغَةِ تَعْرِيفٍ مُنَاسِبٍ لِلْخُطْبَةِ^(١) فِي
الِإِصْطِلَاحِ، أُوْرِدُ تَعْرِيفًا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ جَامِعًا مَانِعًا، وَهُوَ أَنَّ الْخُطْبَةَ:
«كَلَامٌ مُنْتَخَبٌ مُخْتَارٌ، مُتَّصِفٌ بِحُسْنِ الرِّصْفِ، وَجَوْدَةِ السَّبْكِ، وَقُوَّةِ

-
- (١) هذا من أمثال العرب. انظر: «خزانة الأدب» (٨ / ٤٠١).
- (٢) مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي وَجوبِ الْاِكْتِفَاءِ مِنَ الشَّيْءِ بِمَا تَتِمُّ بِهِ الْحَاجَةُ، وَيُرويه بعضهم:
«حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ». انظر: «تمثال الأمثال» (٢ / ٥٩٥).
- (٣) تَضْمُنُحٌ بِالطَّيْبِ وَغَيْرِهِ تَضْمُنُحًا: تَلَطَّخَ بِهِ وَأَكْثَرَ مِنْهُ. «اللسان» (ضمخ).
- (٤) يُقَالُ: مَاءٌ نَمِيرٌ، أَيْ: نَاجِعٌ فِي الرَّيِّ. وَمَاءٌ سَلْسِيلٌ، أَيْ: عَذِبٌ سَهْلٌ الدَّخُولِ فِي
الْحَلْقِ. «اللسان» (نمر) (سلسل).
- (٥) النَّهْلُ: الشَّرْبَةُ الْأُولَى، وَالْعَلَلُ: الشَّرْبَةُ الثَّانِيَّةُ، يُقَالُ: عَلَلَّ بَعْدَ نَهْلٍ، أَيْ: شَرِبَ
بَعْدَ شُرْبِ. «اللسان» (نهل) (علل).
- (٦) وانظر لتعريف «الخطبة» لغةً: «اللسان»، و«تاج العروس» مادة (خطب).



التأثير؛ لدعوة الناس إلى الخير، وتثبيهم عن ضده؛ وفق أحكام الإسلام ومقاصده؛ لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة».

وإنَّ المُستَقْرِيَّ لتاريخ الخطابة عند العرب - أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان - يجد أنها تمثل قمة من قمم الإبداع، وذروة الإفهام والإقناع، ولسان الصدِّ والدِّفاع، بها يُنافحون ويُفاحرون، وبها يُقارعون ويُضارعون، يستقبلون بها الوفود، ويبرمون من خلالها العُود، ويمضون الموائيق والعهود، بها تهانئهم وتعازيهم، وإبان^(١) النوائب^(٢) والملمات^(٣) يقف الخطيب حاضاً على التجلُّد والثبات.

وكانت هذه المهمة لا تنأط^(٤) إلا بالمقوال من الوجهاء والأشرف، الذين تحلوا بالحكمة ورجاحة العقل وحسن الأوصاف.

وكلُّ ذلك دليلٌ على مكانة الخطابة عندهم، وما احتلته من مكانة سامية، تسمها الخطيب المصقع^(٥)، والمفوة المدفع، ولا تسأل عن أبناء بجدتها^(٦)، منهم: أكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة، وسحبان

(١) إبان الشيء: حينه. «القاموس» (أبن).

(٢) النوائب: جمع نائبة، وهي: المصيبة. «اللسان» (نوب).

(٣) الملمات: جمع ملمة، وهي: النازلة الشديدة من نوازل الدهر. «اللسان» (لمم).

(٤) أي: لا تعلق. «اللسان» (نوط).

(٥) الخطيب المصقع، أي: البليغ الماهر في خطبته. «اللسان» (صقع).

(٦) يقال للعالم بالشيء الخبير بالأمور: «هو ابن بجدتها» بثلاث الباء، وكذلك: «هو ابن بجدته»، وهما من الأمثال. انظر: «جمهرة الأمثال» (٣٨/١)، و«اللسان» (بجد).

وَائِلٍ، وَأَضْرَابُهُمْ.

وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ، وَسَطَعَتْ شَمْسُهُ، وَتَلَأَلَتْ أَنْوَارُهُ - عَلَا شَأْنُ
الْحَطَابَةِ، وَأَضْحَى أَمْرُهَا فِي مِرَّةٍ^(١)؛ كَيْفَ لَا، وَقَدْ أُوتِيَ الْمُصْطَفَى ﷺ
جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَتَحَدَّى بِبِلَاغَةِ الْقُرْآنِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ؛ فَهُوَ أَفْصَحُ مَنْ
نَطَقَ بِالضَّادِ، وَمَنْ مَلَأَتْ حُطْبُهُ بِيَرَاعَتِهَا الشُّهُولَ وَالْوِهَادَ^(٢)، وَلَا غَرْوَ؛
فَلَهَا مِنَ الْوَحْيِ وَحُجَجِهِ مَعِينٌ لَا يَنْضُبُ، وَمَدَدٌ لَا يَنْفَدُ؛ حَتَّى غَدَتْ
مِشْعَلًا لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْمِلَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ.

وَإِذَا يَتَقَبَّلُ الْخَطِيبُ مُذَكَّرًا وَمُحَدَّرًا، مُبَشِّرًا وَمُنذِرًا، مُرَغَّبًا وَمُرَهَّبًا،
يَحْضُرُ عَلَى الْجِهَادِ وَالنِّزَالِ، وَمُبَاشِرَةَ السَّهَامِ وَالْحِمَامِ^(٣)، تَنْطَلِقُ الْجُيُوشُ
إِلَى سَاحَاتِ الْوَعْيِ بِالسَّمْهَرِيِّ وَالرَّمَّاحِ، دُونَ ضِنَّةٍ^(٤) أَوْ جُنَاحٍ^(٥)،
فَتَنْهَزُمُ الْفُلُوكُ^(٦)، وَيَأْذَنُ طُغْيَانُ الْأَكَاسِرَةِ بِالْأُفُولِ^(٧)، فَيَسْطُ الْإِسْلَامُ
سُلْطَانَهُ، وَيُظْهِرُ بُرْهَانَهُ، وَيُعْلِي بُنْيَانَهُ، وَيُوطِدُ صَرْحَهُ وَأَرْكَانَهُ، وَمَا ذَلِكَ

(١) أي: في قوة وإحكام. «القاموس» (مرر).

(٢) الوهاد: جمع وهدة، وهي الأرض المنخفضة. «القاموس» (وهد).

(٣) الحِمَام - بكسر الحاء - الموت. «النهاية» (حمم).

(٤) الضنَّة: البخل والإمساك. «اللسان» (ضنن).

(٥) الجُنَاحُ: الجنابة والجُزْمُ. «اللسان» (جنح).

(٦) الفلوك: جمع فلٌّ، تقول: قوم فلٌّ، أي: منهزمون. «القاموس» (فلل).

(٧) الأفول: الغروب والمغيب. «اللسان» (أفل).



إِلَّا مِنْ أَثَرِ الْخُطْبَةِ الْخُلُوبِ، الْآسِرَةِ لِلْقُلُوبِ.

وَأَمَّتْ فَسُطَّاطِ الْخَطَابَةِ؛ فَصَارَتْ قُرْبَةً وَعِبَادَةً؛ حَتَّى أَسْفَرَتْ
شَمْسُ الْإِسْلَامِ عَنْ خُطَبَاءِ مُفْلِقِينَ^(١)، كَبَلُّوا الْأَسْمَاعَ، وَذَاعَ صَيْتُهُمْ فِي
أَفْصَى الْأَصْقَاعِ، نَشَرُوا السَّحْرَ الْحَلَالَ^(٢)؛ فَصَارَ كَالْعَذْبِ الزُّلَالِ، تَقَدَّمَ
تِلْكَ الصَّفْوَةَ الْمُبَارَكَةَ، وَالْمَنْظُومَةَ الْمُتَأَلِّقَةَ: أَفْصَحُ الْعَرَبِ، وَأَبْلَغُ مَنْ
تَكَلَّمَ وَخَطَبَ، الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولُ الْمُجْتَبَى، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ؛ فَقَدْ طُبِعَ عَلَى رَائِقِ الْكَلَامِ، وَبَدِيعِ اللَّفْظِ وَالنِّظَامِ، بِشَرِّ مُحْكَمِ
السَّبْكِ، بِدِيعِ النَّسْجِ، تَنْهَالِ الْمَعَانِي عَلَى فُؤَادِهِ أَنْهِيَالًا، وَتَنْثَالِ الْمُفْرَدَاتِ عَلَى
لِسَانِهِ ائْتِيَالًا، دُونَ تَكْلُفٍ، أَوْ تَعَسُفٍ؛ فَحَدِيثُهُ ﷺ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي! - عَذْبٌ
مُصَقَّى، وَشَهْدٌ مُوقَفٌ، وَلَا عَجَبَ؛ فَهُوَ الْقَائِلُ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^(٣).
وَحَدِيثُهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ^(٤)

تَلَاهُ فِي سُلْمِ الْمَجْدِ الْبَيَانِيِّ، وَقِمَّةِ الْهَرَمِ الْخَطَابِيِّ؛ خُلْفَاؤُهُ
الرَّاشِدُونَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ - وَلَا تَسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَ«كُلُّ

(١) «مفلقين»: جمع مُفْلِقٍ، وهو الحاذق بالشيء الماهر به. «اللسان» (فلق).

(٢) وهو الكلام الفصيح الذي يأسرُ سامعيه من عمق بيانه.

(٣) رواه أحمد (١٦/٢)، والبخاري (٥١٤٦)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما.

(٤) البيت لعلي بن العباس الشهير بابن الرومي، انظر: ديوانه (١٨٣/٢)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (١٩٣/٢)، (٢٦١/٣).



الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا»^(١)؛ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ مِمَّنْ لَهُ الْحَطَابَةُ
دَانَتْ، وَالْأَلْفَاظُ طَوَّعَتْ وَلَا نَتْ.

وَمَعَ دُلُوفٍ^(٢) الْحَطَابَةَ لِلْعَصْرَيْنِ الْأُمُويِّ وَالْعَبَّاسِيِّ، كَانَ لِرِزَامًا أَنْ
تَرْتَقِيَ الْحَطَابَةُ رُقِيًّا فَنِيًّا جَلِيًّا، وَتَسْتَحْكِمَ أَصُولُهَا؛ حَيْثُ ظَهَرَتْ الْفِرْقُ
وَالْأَهْوَاءُ، وَذَرٌّ^(٣) قَرْنُ الْفِتَنِ، وَأُثِيرُ النَّفْعِ^(٤)؛ فَانْبَرَى كُلُّ فِي الْحِجَاكِ -
بَلْ وَاللَّجَاجِ - لِإثْبَاتِ دَعْوَاهُ، وَالْمُنَافِحَةِ^(٥) عَنْ رَأْيِهِ وَهَوَاهُ، فَاصِمًا^(٦)
بِالْحَطَابَةِ عُرَى الْإِتِّلَافِ، مُذَكِّيًا أَوَارَ الْفُرْقَةِ وَالْخِلَافِ^(٧)، غَامِسًا يَدَهُ فِي
السُّدَّةِ، دَاقًا عِطْرَ مَنْشِمٍ بَيْنَ الْأَحْبَةِ^(٨).

وَهَكَذَا امْضَتْ الْحَطَابَةُ فِي عَصْرِ السَّلَفِ تَشْقُ طَرِيقَهَا فِي سَلَاسِلِ
ذَهَبِيَّةٍ؛ حَيْثُ حَفِظَتْ لَهَا دَوَائِئُهَا وَفَرَا مِنْ الْخُطْبِ الْبَلِيغَةِ، سَطَّرَتْ

- (١) هذا مما يضرب مثلا، ويقال في الواحد الذي يقوم مقام كثيرين؛ لعظمه. انظر: «مجمع الأمثال» (١٣٦/٢).
- (٢) دلوف: أي: مقاربة. «اللسان» (دلف).
- (٣) أي: طلع وظهر. «القاموس» (ذر).
- (٤) أُثِيرَ، أي: أهيج، والنفع: الغبار، والمراد: غبار الفتن، يعني: أوقطت الفتن، وَأَطَلَّتْ بِرَأْسِهَا. انظر: «اللسان» (ثور) (نقع).
- (٥) نافع منافحة، أي: دافع وكافح. «النهاية» (نفع).
- (٦) فاصمًا: اسم فاعل من «فَصَمَ الشَّيْءُ»: إِذَا شَقَّهُ وَصَدَعَهُ. «النهاية» (فصم).
- (٧) أي: مُشْعِلًا نَارَهَا، وَمَلْقِيًا عَلَيْهَا مَا يَزِدَادُ بِهِ سَعِيرَهَا. «اللسان» (ذكو) (أور).
- (٨) تقول العرب في أمثالها: «دَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ» يضربونه للشيء المكروه. انظر: «مجمع الأمثال» (٣٨١/١).

مَجْدًا زَاهِيًا، وَشَرَفًا أَثِيلاً^(١)؛ حَتَّى إِذَا مَا انْحَصَرَ جِهَادُ اللِّسَانِ وَالسَّنَانِ،
وَضَعُفَ سُلْطَانَ اللُّغَةِ وَالْبَيَانِ، وَانْتَشَرَتِ العُجْمَةُ، وَفَشَا اللِّحْنُ - وَهَتْ
عَزَمَاتُ الخَطَابَةِ، وَرَجَعَتِ الفَهْقَرَى؛ فَذَوَتْ زَهْرَتُهَا^(٢)، وَعَرَدَ بِذَلِكَ
نَجْمُهَا^(٣)، إِلَّا لِمَا^(٤).

وَمَعَ حُلُولِ العَصْرِ الحَاضِرِ، وَانْتِشَارِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ فِي البَوَادِي
وَالمَحَاضِرِ: أَصْبَحْنَا نَعِيشُ نَهْضَةً مَعْرِفِيَّةً مُذْهِلَةً، وَثَوْرَةً مَعْلُومَاتِيَّةً مُدْهِشَةً؛
مِمَّا أَفْرَزَ فَيُوضًا مِنَ الأفْكَارِ وَالمَقَرَّاحِ، وَسُيُولًا مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ،
حَتَّى انْبَجَسَتْ أَنْوَاعُ شَتَّى مِنَ الخُطْبِ، وَتَعَدَّدَتْ إِلَى اجْتِمَاعِيَّةٍ، وَعِلْمِيَّةٍ،
وَسِيَاسِيَّةٍ، وَأَدَبِيَّةٍ، وَقَضَائِيَّةٍ، وَثَقَافِيَّةٍ... الخ، غَيْرَ أَنَّ لِلْخُطْبَةِ الشَّرْعِيَّةِ
قِيَمَتَهَا السَّامِقَةَ، وَمَكَانَتَهَا اللَّائِقَةَ؛ فَلَمْ تَقِفْ هَذِهِ الأنْوَاعُ أَمَامَهَا عَائِقَةً.

وَإِذَا كَانَ عَصْرُنَا هَذَا هُوَ عَصْرُ الإِعْلَامِ بِشَتَّى قَنَوَاتِهِ وَتَقَانَاتِهِ،
وَسَائِرِ شَبَكَاتِهِ وَفَضَائِيَّاتِهِ، وَكُلُّهَا لَا طَلِبَةَ لَهَا إِلَّا الإِنْسَانُ، بَلْ وَلَا هَدَافَ
لَهَا إِلَّا المُسْلِمُ وَالإِسْلَامُ، وَهِيَ - وَالحَقُّ يُقَالُ - قَدْ تَكُونُ بِهِ أَفْتَكَ مِنْ

(١) يقال: شَرَفٌ أَثِيْلٌ، ومجد أثيل، أي: أصيلٌ قديم. «اللسان» (أثل).

(٢) ذَوَتْ زَهْرَتُهَا، أي: ذَبَلَتْ وَضعفت. «اللسان» (ذوي).

(٣) عَرَدَ النَجْمُ، أي: مال للغروب بعدما تَكَبَّدَ السماء، والمراد: غاب لمعانها،
واختفى بريقها. انظر: «اللسان» و«القاموس» (عرد).

(٤) أي: إِلَّا غَبًّا يَسِيرًا. «القاموس» (لمم).

العدو الماكر، وأضرى^(١) به من الوحش الكاسر.

والَّذِينَ يَقْفُونَ وَرَاءَهَا بِأَصَابِعِهِمُ الْخَفِيَّةَ سَاقُوا الْأُمَّةَ إِلَى بُؤْرِ مِنَ
الْإِنْحِطَاطِ، وَمَبَاءَاتٍ^(٢) مِنَ الْإِنْحِرَافِ وَالْفَسَادِ؛ حِينَ حَاوَلُوا تَمْزِيقَ
الْوَشَائِحِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَطَمَسَ الْهُويَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، وَخَلَخَلَةَ الْبُنَى التَّحْتِيَّةَ،
وَتَبَدِيدَ الْأَوَاصِرِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَهَالَكُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ كُلِّ مَهْلَكٍ، وَمَا
لَهُمْ مِنْ مَطِيَّةٍ مَأْفُونَةٍ^(٣) إِلَّا التَّقْدِيمِيَّةَ الْمَرْعُومَةَ، وَالْمَدَنِيَّةَ الْمُزَيَّفَةَ، أَوْ
دَعْوَى الْحَوَارِ الْحَضَارِيِّ، وَالْعَوْلَمَةَ بِأَخْرَةٍ^(٤)، وَمَجَالَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ
وَاسِعٌ، وَلَكِنَّ الصَّدْرَ يَضِيقُ بِالْحَوَابِسِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

يُسَاقُ هَذَا الْقَوْلُ - يَارِعَاكُمْ اللَّهُ - لِيَعْلَمَ الْخَطِيبُ جَلَلَ مُهِمَّتِهِ،
وَعَظِيمَ مَسْئُولِيَّتِهِ، حِيَالَ هَذَا الْوَاقِعِ الْمُزْرِي، وَفِي خِصْمِ هَذِهِ الظُّرُوفِ
الْحَنَادِسِ، وَالْأَحْوَالِ الْحَوَالِكِ؛ حَيْثُ لَا يَكَادُ الْغَيُورُ يَرَى إِلَّا وَمِضًا مِنْ
نُورٍ، لَا يَهْتَدِي بِهِ السَّارِي، وَلَا يَلْمَحُهُ إِلَّا مَنْ فَتَحَ عَلَيْهِ الْبَارِي، وَعَبَّرَ هَذِهِ
الْأَمْوَاجَ الْمُتَلَاطِمَةَ، وَالْأَجْوَاءَ الصَّاحِبَةَ: لَا يَكَادُ يُسْمَعُ إِلَّا صَوْتُ أُسْبُوعِي

(١) أضرى به، أي: أشد ضراوة عليه. «القاموس» (ضري).

(٢) مباءات، أي: منازل ومواضع، واحدها: مباءة. «اللسان» و«القاموس» (بوء).

(٣) مطية مأفونة، أي: حجة يركنون إليها، يعجبك ظاهرها ولا خير فيها، أي: أنها
شبهة. انظر: «اللسان» (أفن).

(٤) يُقال: جاء أخرةً وبأخرة - وقد تضم الهمزة فيهما - أي: جاء آخر كل شيء.
«القاموس» (أخر).

يَعْلُو بِالْحَقِّ، ذَلِكَمُ هُوَ صَوْتُ «خَطِيبِ الْجُمُعَةِ»!

أَيُّهَا الْقُرَّاءُ الْأَكَارِمُ، إِنَّ جَوْهَرَ الْخُطْبَةِ وَقِيمَتَهَا يَنْبَتُ مِنْ مَكَانَةِ
الْكَلِمَةِ فِي هَذَا الدِّينِ، وَعِظَمُ مَنْزِلَتِهَا، وَبُعْدُ مَعْرَاةِهَا، وَعَظِيمُ مَرَمَاهَا؛
فَالكَلَامُ الْبَدِيعُ، وَالْأُسْلُوبُ الرَّفِيعُ، وَاللَّفْظُ الْعَاطِرُ، وَالْمَعْنَى الْآسِرُ،
والتَّرْكِيبُ الْجَدَّابُ، وَالْقَوْلُ الْمُنْسَابُ - يَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ، وَيُؤَدِّي الْأَثَرَ
الْعُجَابَ؛ حَيْثُ يَهْزُ الْقُلُوبَ هَزًّا، وَيَأْسِرُ الضَّمَائِرَ أَسْرًا؛ لِرَوْعَةِ مَوْرِدِهِ،
وَصَفَاءِ مَصْدَرِهِ، وَلِلَّهِ! كَمْ خُلِدَتْ كَلِمَاتٌ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ، وَكَرَّرَ الْعُصُورُ!
وَكَمْ أُلْفِيَتِ الْكَلِمَةُ فِي ضَعْفٍ وَفُتُورٍ؛ حَيْثُ لَمْ تُحَقِّقْ مَرَمَاهَا النَّبِيلَ،
وَعَمَلَهَا الْجَلِيلَ، بَعْدَ إِزْهَارِهَا وَازْدِهَارِهَا! .

وَهُنَا يَأْتِي وَاجِبُ الْخَطِيبِ فِي حُسْنِ الْإِعْدَادِ، وَرَوْعَةِ الْإِيْجَادِ،
وَعَبَقِ الْإِمْدَادِ، مُتَوَجِّجًا ذَلِكَ بِحُسْنِ النِّيَّةِ، وَسَلَامَةِ الطَّوِيَّةِ؛ فَ«الْأُمُورُ
بِمَقَاصِدِهَا»^(١)، وَالنِّيَّةُ أَسَاسُ الصَّلَاحِ، وَعُنْوَانُ الْفَلَاحِ، وَضَمَانَةُ
النَّجَاحِ، بَعِيدًا عَنِ لُوثَاتِ^(٢) الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ، وَحُبِّ الظُّهُورِ وَالْجَزِي
وَرَاءَ الشُّهْرَةِ، وَالسَّعْيِ وَرَاءَ التِّفَافِ الْجَمَاهِيرِ، فَإِذَا بَنَى الْخَطِيبُ عَمَلَهُ

(١) هذه قاعدة من أهم القواعد الفقهية وأعمها، وهي من القواعد الخمس الكلية. انظر تفصيل القول عنها في: «الأشباه والنظائر» لابن نُجَيْمٍ (ص ٢)، و«الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ٨).

(٢) اللُّوثَاتُ: جمع لُوثَةٍ، وهي الحمافة وقلة العقل. «اللسان» (لوث).

عَلَى صَرَحِ الْإِخْلَاصِ، وَفَقَّ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَكَتَبَ لَهُ الْقَبُولَ وَالتَّأثيرَ.

ثُمَّ إِذَا أَرَادَ اخْتِيَارَ الْمَوْضُوعِ، فَلَا رَبَّ أَنَّ الْمَوْضُوعَاتِ تَتَرَاخَمُ،
وَالْقَضَايَا تَنْهَمِرُ، وَرَبَّمَا حَصَلَ لِلْخَطِيبِ الْإِخْتِيَارُ فِي كَيْفِيَّةِ الْإِخْتِيَارِ، غَيْرَ
أَنَّ الْمَوْضُوعَاتِ لَهَا أَوْلَوِيَّاتٌ، وَالْخَطِيبُ الْمُوفِّقُ مَنْ يُرَاعِي الْأَهْمِيَّاتِ
فَالْمُهَمَّاتِ، مُرَكِّزًا عَلَى التَّأْصِيلِ الْعَقْدِيِّ، وَالزَّادِ الْإِيمَانِيِّ، بِمَا يَصِلُ الْعِبَادَ
بِخَالِقِهِمْ فِي أُمُورِ عَقِيدَتِهِمْ، وَعِبَادَاتِهِمْ، وَمُعَامَلَاتِهِمْ، وَأَخْلَاقِهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ،
غَيْرَ مُنْبَتِّ عَنْ قَضَايَا الْأُمَّةِ الْكُبْرَى، مُذَكِّرًا بِأَحْوَالِ إِخْوَانِهِ فِي الْعَقِيدَةِ،
عَامِدًا إِلَى الْإِنْحِرَافَاتِ الْمُتَفَشِّسَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ؛ لِيَتَنَاوَلَهَا بِمَنْبُضِ (١) الْإِصْلَاحِ.
فَمِنَ الْمُتَقَرَّرِ: أَنَّ الْخَطِيبَ كَالطَّيِّبِ؛ يُشَخَّصُ أَدْوَاءَ الْمُجْتَمَعِ
وَعِلَلَهُ، وَيَصِفُ الدَّوَاءَ النَّاجِعَ لَهَا بِحِكْمَةٍ وَاقْتِدَارٍ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ
يَتَحَلَّى بِقَلْبٍ نَابِضٍ، وَضَمِيرٍ حَيٍّ، وَفِكْرٍ نَبِيٍّ، وَإِحْسَاسٍ مُرْهَفٍ، وَلَا
غَرَوْ أَنَّ تَكُونَ خُطْبَتُهُ حِينَ ذَاكَ حَدِيثَ الْأُسْبُوعِ كُلِّهِ، وَنَبْضَ الْمُجْتَمَعِ بِكَافَّةٍ
فَنَاتِهِ، وَالْخَطِيبُ الْحَاذِقُ الْمُتَأَلِّقُ: هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يَعْرِفُ قَدْرَهُ
وَمَكَانَتَهُ، وَيَقْدَرُ مَسْئُولِيَّتَهُ وَأَمَانَتَهُ، يَعِيشُ أَحْوَالَ النَّاسِ، وَيَشْعُرُ
شُعُورَهُمْ، فَيَسَاطِرُهُمْ أَمَالَهُمْ وَالْأَمَهُمْ، فَلَا يَعِيشُ فِي وَادٍ وَالْمُجْتَمَعُ فِي
وَادٍ آخَرَ، بَلْ يَعْرِضُ الْقَضَايَا الْحَيَّةَ، وَالْمَوْضُوعَاتِ الْمُهِمَّةَ، يَتَحَرَّى
حُسْنَ اخْتِيَارِ الْمَوْضُوعَاتِ، وَيَتَوَعَّجُ فِي طَرَحِهَا، وَيَبْتَكِرُ فِي عَرْضِهَا؛

(١) الْمَنْبُضُ: الْمَشْرُطُ، وَهُوَ مَا يُضَعُّ بِهِ الْعِرْقُ وَالْأَدِيمُ. «اللسان» (بضع).

بَعِيدًا عَنِ الرُّتُوبِ (١) وَالتَّكْرَارِ مَا أَمَكَّنَ .

وَبَعْدَ أَنْ يُعَيِّنَ الْمَوْضُوعَ، وَيُنْشِئَ الْمَادَّةَ، وَيَجِدَ التَّخْصِيرَ، فِي هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَنَفْسٍ زَاكِيَةٍ، وَرُوحٍ مُشْرِقَةٍ، وَنَشَاطٍ مُتَجَدِّدٍ؛ بَحَيْثُ يَعِيشُ مَوْضُوعَهُ، وَيَتَفَاعَلُ مَعَهُ؛ لِيَتَحَقَّقَ النَّفْعُ مِنْهُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - : عَلَيْهِ أَنْ يُتَقَنَّ فَنَّ الإِلْقَاءِ، وَجَمَالَ الْأَدَاءِ، وَجَوْدَةَ الْأَسْلُوبِ، وَانْتِقَاءَ الْأَلْفَاظِ الْوَاضِحَةِ، مُقَسِّمًا خُطْبَتَهُ إِلَى مُقَدِّمَةٍ مُوشِحَةٍ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَالشَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ؛ فَالْحُطْبَةُ الَّتِي لَا تُسْتَفْتَحُ بِالتَّحْمِيدِ، وَلَا تُبْتَدَأُ بِالتَّمْجِيدِ - فَهِيَ بَرَاءٌ (٢)، وَالَّتِي تُعَرَّى مِنَ التُّصُوصِ وَالْآثَارِ، وَلَا تُزَيَّنُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ - فَهِيَ شَوْهَاءٌ (٣) .

ثُمَّ لِيُحْسِنَ الْخَطِيبُ الْمَدْخَلَ لِلْمَوْضُوعِ، وَمَا يُعْرِفُ عِنْدَ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ: بِبَرَاةِ الْإِسْتِهْلَالِ (٤)، فَمَوْضِعُهُ مِنَ الْخُطْبَةِ كَمَوْضِعِ الْإِعْجَامِ مِنَ الْكِتَابِ، فَالْمُعْجَمُ تَحْدِجُهُ (٥) الْعُيُونُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ التُّفُوسُ؛ كَذَلِكَ الْمُقَدِّمَةُ إِذَا كَانَتْ جَزَلَةً الْعِبَارَاتِ، شَيْقَةَ الْأَلْفَاظِ وَالْكَلِمَاتِ،

(١) يقال: رَبَّ الشَّيْءِ يَرْتُبُ رَتُوبًا: إِذَا ثَبَّتَ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ، وَعِيشَ رَاتِبٌ: ثَابِتٌ دَائِمٌ. «اللسان» (رتب).

(٢) البتراء: أَي: الَّتِي انْقَطَعَ مِنَ الْخَيْرِ أَثَرُهَا. «اللسان» (بتر).

(٣) الشَّوَهَاءُ، أَي: الْقَبِيحَةُ، أَوِ الْمَشْتُومَةُ الَّتِي لَا خَيْرَ فِيهَا. انظر: «اللسان» (شوه).

(٤) انظر: «الإيضاح» للخطيب القزويني (٤٣٩-٤٤٢).

(٥) حَدَجَهُ بَبَصْرِهِ يَحْدِجُهُ: إِذَا أَحَدَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ. «اللسان» (حدج).

فَائِقَةُ التَّخْبِيرِ، مُتَأَنِّقَةُ التَّعْبِيرِ، تَصْدُرُ عَنْ مَعَانٍ سَامِيَةٍ، وَتَرَائِبَ عَالِيَةٍ؛
 حَيْذَاكَ: سَيُنْجَفِلُ إِلَيْهَا الْمُسْتَمْعُونَ^(١)، وَيُنْخَزِلُ إِلَيْهَا السَّامِعُونَ^(٢)؛
 لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا عِنْدَ هَذَا الْخَطِيبِ ضَالَّتَهُمْ؛ فَتَحِيَا نُفُوسَهُمْ، وَتَزَكُوا
 ضَمَائِرَهُمْ^(٣)، يَنْتَقِلُونَ مَعَهُ فِي رِيَاضِ زَاهِرَةٍ، وَحَدَائِقِ غَنَاءٍ، تُجَدِّدُ
 الصَّفَاءَ، وَتَبْعَثُ الْهَنَاءَ، وَفِي هَذَا يُعَبِّرُ دَهَاقِنَهُ^(٤) هَذَا الْفَنِّ، فَيَقُولُونَ
 نَظْمًا:

وَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْكَلَامِ تَأَنُّقٌ فِي الْبَدْءِ وَالْخِتَامِ

ثُمَّ بَعْدَ الْمُقَدِّمَةِ: تَتَفَجَّرُ قَرِيحَةُ الْخَطِيبِ بِمَوْضُوعِهِ، وَتَتَجَلَّى مَلَكَتُهُ
 فِي إِعْدَادِهِ، رَاسِمًا مَلَامِحَهُ، مُرْتَبًا عَنَاصِرَهُ؛ لِيُخْرِجَ فِي حُلَّةِ قَشِيْبَةٍ^(٥)،
 مُتَمَاسِكَ الْفِقْرَاتِ، مُتَرَابِطِ الْمُفْرَدَاتِ وَالتَّرَكِيْبَاتِ، عَامِدًا إِلَى الْوُضُوحِ
 وَالْإِيضَاحِ، بَعِيدًا عَنِ الْإِغْلَاقِ وَالْإِبْتِجَاحِ^(٦)؛ لِتَكُونَ الْمَعَانِي جَهِيْرَةً،
 خَالِيَةً مِنَ الرَّمْزِ، وَعُسْرِ الْفَهْمِ، يُعَزِّزُهَا جُمْلٌ تَدَفَّقَتْ فِي سَلَامَةٍ وَرِقَّةٍ؛

- (١) سينجفل إليها المستمعون، أي: سيذهبون مسرعين نحوها. «اللسان» (جفل).
 (٢) أي: ينقطعون إليها؛ تقول: خزلته فانخزل، أي: قطعته فانقطع. «النهاية»
 و«اللسان» (خزل).
 (٣) تزكو ضمائرهم، أي: تصلح وتطهر. «تاج العروس» (زكو).
 (٤) الدهاقنة: جمع دهقان، وهو: القوي على التصرف. «اللسان» (دهقن).
 (٥) قشبية، أي: جديدة. «اللسان» (قشب).
 (٦) ابتجح ابتجاحًا، أي: افتخر وتباهى. «تاج العروس» (بجح)، والمراد: أن يبتعد
 عن الإغلاق في العبارة، فضلًا عن الفخر به والتباهي.

لِتُضْحِيَ الشَّهَدَ التَّرْيَاقَ عَلَى قَلْبِ الْمُتَلَقِّي، وَالغَيْثَ الرَّفْرَاقَ فِي نَفْسِ السَّامِعِ؛ فَتَشُدَّ الْأَذْهَانَ بِحُسْنِ الْعَرْضِ، وَتَهْزُّ الْوِجْدَانَ بِجَمِيلِ اللَّفْظِ.

وَلَا بَأْسَ بِالسَّجْعِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّفًا؛ فَتَشْرَبُ أَعْنَاقُ الْمُسْتَمِعِينَ^(١) إِلَى ذَلِكَ الْخَطِيبِ الْمُلْهِمِ، وَتَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ هِمَمُهُمْ، وَيَنْتَظِرُونَ رُؤْيَاهُ مُحِيَّاهُ كُلَّ أُسْبُوعٍ. وَوَاللهِ! كَمْ فَعَلَتِ الْخُطْبُ الْبَلِيغَةُ فِي قُلُوبٍ فَأَحْيَتْهَا، وَفِي نُفُوسٍ فَزَكَّتْهَا! لِأَنَّ وَقَعَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ عَلَى النَّفُوسِ أَحَاذُ مُبْهِرٌ؛ فَلْتَحْرِصْ أَخِي الْخَطِيبَ - يَارَعَاكَ اللهُ - عَلَى النَّفْعِ وَالتَّأثيرِ بِأَنْصَعِ الْعِبَارَاتِ، وَأَوْجِزِ الْكَلِمَاتِ، دُونَ إِمْلَالٍ وَلَا إِثْقَالٍ؛ وَقَدْ قَالَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ - مِثْنَةٌ^(٢) مِنْ فَهْمِهِ»^(٣)؛ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ نَسْبِيٌّ، وَضَابِطُهُ نَهْجُ الشُّنَّةِ، مَعَ تَحْقِيقِ الْمَصْلَحَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهُوَ مَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ، وَالْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ.

(١) تشرَّبُ الأَعْنَاقُ إِلَى الشَّيْءِ، أَي: تَمْتَدُّ وَتَرْتَفِعُ؛ لِنَظَرِ إِلَيْهِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ رَافِعٍ رَأْسُهُ: مَشْرَبٌ. «اللسان» (شرب).

(٢) قَالَ فِي «القَامُوسِ» مَادَّةُ (مَأَن): «وَالْمِثْنَةُ فِي الْحَدِيثِ: الْعَلَامَةُ، أَوْ مَفْعَلَةٌ مِنْ «إِنَّ»؛ كـ«مَعْسَاةٌ» مِنْ «عَسَى» أَي: مَخْلَقَةٌ وَمَجْدَرَةٌ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: إِنَّهُ كَذَا وَكَذَا»، وَفِي «النِّهَايَةِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ: «أَي: إِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ الرَّجُلِ». «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ» (مَأَن).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/٢٦٣)، وَمُسْلِمٌ (٨٦٩)؛ مِنْ حَدِيثِ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النُّظَامِ، فِي الْكَلَامِ التَّمَامِ:

إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّ وَإِنْ أَوْجَزَتْهُ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهُ لَمْ يُوجَزْ! (١)

وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَقَدْ كَانَ نَهْجُهُ فِي الْخُطْبَةِ أَكْمَلَ نَهْجٍ وَأَتَمَّهُ وَأَوْفَاهُ؛ يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي ذَلِكَ: «كَانَ إِذَا خَطَبَ، أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْدِرُ جَيْشٍ؛ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ... يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُنِّي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ... وَكَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ - بَعْدَ التَّحْمِيدِ، وَالشَّنَاءِ، وَالتَّشْهِيدِ -: «أَمَّا بَعْدُ».

وَكَانَ يَقْصُرُ الْخُطْبَةَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُكثِرُ الذِّكْرَ، وَيَقْصِدُ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعَ... وَكَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ فِي خُطْبَتِهِ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَشُرَائِعَهُ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي خُطْبَتِهِ إِذَا عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ... وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِمُقْتَضَى الْحَالِ فِي خُطْبَتِهِ؛ فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ ذَا فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ، أَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَضَّهُمْ عَلَيْهَا... «إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ» (٢).

وَلْتَجْتَهِدْ - أَخِي الْخَطِيبَ الْمَوْفَّقَ - بِأَنْ تَكُونَ مُتَسِمًا بِصَلَاحِ الْقُدْوَةِ، وَحُسْنِ الْأُسُوةِ؛ فَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ عَنِيَ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ:

(١) البيت لعلي بن العباس، الشهير بابن الرومي. انظر: «ديوانه» (١٨٣/٢)،

و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (١٩٣/٢)، (٢٦١/٣).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٤٢٨-٤٢٥/١).

وَعَيْرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتَّقَى طَيْبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ سَقِيمٌ! (١)
 أَوْ بِقَوْلِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

لَا تَنْهَ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمًا! (٢)
 وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ الْحَقِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ
 بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة]، وَقَوْلُهُ -
 سُبْحَانَهُ -: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف] كَبْرَ مَقْتًا
 عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف].

وَلُنْظَرُ هَذَا الْمَكَانَ الْمُبَارَكَ مِنْ كُلِّ مَا يُسِيءُ وَلَا يَسُرُّ، وَلَا يَنْفَعُ
 بَلْ يَضُرُّ، فَالْمِنْبَرُ لَهُ سَمْتُهُ الْإِسْلَامِيُّ، وَقَدْرُهُ الشَّرْعِيُّ؛ فَحَذَارِ أَنْ
 يُسْتَدْرَجَ لِغَرَضٍ شَخْصِيٍّ، أَوْ لِثَأْرِ نَفْسِيٍّ، أَوْ لِهَدَفٍ دُنْيَوِيٍّ، أَوْ لِتَجْرِيحِ
 ضِدِّ أَحَدٍ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ؟!» (٣)؛ فَهِيَ سَنَنٌ
 لِأَحَبِّ (٤)؛ وَهَدْيٌ وَاجِبٌ، وَكَوْكَبٌ ثَابِتٌ، فِي سَمَاءِ الْخَطَابَةِ الشَّرْعِيَّةِ،
 وَ«فِي التَّلْمِيحِ مَا يُغْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ» (٥)، وَ«فِي الْإِشَارَةِ مَا يَكْفِي عَنْ كَثِيرٍ

- (١) البيت ذكره ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص ٥٣، ١٥٦).
- (٢) البيت من قصيدة له مشهورة. انظرها في «خزانة الأدب» (٨/ ٥٦٧).
- (٣) جاء ذلك في أحاديث كثيرة، منها ما رواه البخاري (٧٥٠)، ومسلم (١٤٠١).
- (٤) السَّنَنُ اللَّاحِبُ: الطريق الواضح المنقاد الذي لا ينقطع. «اللسان» (لحب).
- (٥) هذا من أمثالهم. انظر: «موسوعة أمثال العرب» (٤/ ٤٧٤)، وهو فيها بلفظ: «في التعريض مندوحة عن التصريح»، وهما بمعنى.

العِبَارَةِ»، وَمُصَارَحَةِ النَّاسِ بِالْأَخْطَاءِ، وَمُهَاجَمَتِهِمْ بِالْآرَاءِ، قَدْ تُسَبَّبُ
 التُّفُورَ وَالْإِبْطَاءَ؛ فَالْحِكْمَةُ فِي الْأَسْلُوبِ غَيْرِ الْمُبَاشِرِ، وَتَصْحِيحِ
 الْمُخَالَفَةِ بِعَرَضٍ هَادِيٍّ هَادِفٍ، دُونَ تَوَثُّرٍ وَلَا انْفِعَالٍ، وَقَدْ قَالَ ﷺ:
 «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»^(١).

وَقَدْ سَمَى اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْخُطْبَةَ ذِكْرًا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى
 ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، وَشَتَّانَ بَيْنَ الذِّكْرِ وَسُوءِ الذِّكْرِ!

وَإِنَّكَ لَتَعَجِبُ مِمَّنْ أَغْفَلُوا ذَلِكَ؛ فَجَعَلُوا الْمَنَابِرَ مَطَايَا لِكُلِّ كَلَامٍ،
 بِدُونِ زَمَامٍ وَلَا خِطَامٍ! وَكَمْ كَانَ لِهَذِهِ الْأَسَالِيبِ مِنْ دَوْرٍ فِي تَرَاجُعِ أَدَاءِ
 الْمُنْبَرِ لِمُهَمَّتِهِ السَّامِيَةِ؛ فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

كَمَا يَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يُرَاعِيَ أَحْكَامَ الْخُطْبَةِ الْفِقْهِيَّةِ، وَيَحْذَرَ مِنَ
 الشُّذُوذِ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ، مُحَدِّثًا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ حَتَّى لَا يُكَذِّبَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ؛ كَمَا فِي الْأَثْرِ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -^(٢) فِي نَأْيِ عَنِ مَسَالِكِ
 الْإِثَارَةِ وَالتَّهْوِيشِ^(٣) عَلَى الْعَامَّةِ، وَفِي أَثْرِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:
 «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ»^(٤)،

(١) رواه أحمد (٤/٣٦٢)، ومسلم (٢٥٩٢)، وأبوداود (٤٨٠٩)؛ من حديث جرير بن
 عبدالله، رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٢٧).

(٣) التَّهْوِيشُ هُوَ التَّخْلِيطُ. انظر: «اللسان» و«القاموس» مادة (شوش) و(هوش).

(٤) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/١١).

مُجْتَهِدًا فِي تَطْبِيقِ السُّنَّةِ، مُحَاذِرًا الْبِدْعَةَ، مُتَّسِمًا بِعُمُقِ النَّظْرِ، وَبَعْدِ الْأُفُقِ فِيمَا فِيهِ سَعَةٌ وَمَنْدُوحَةٌ، لَا يُبَادِرُ إِلَى إِصْدَارِ الْأَحْكَامِ عَلَى النَّاسِ جُزْأً، يَصُونُ لِسَانَهُ، وَيَحْفَظُ أَعْرَاضَ إِخْوَانِهِ؛ فَلَا يَرْمِي أَحَدَهُمْ بِالتَّبْدِيعِ وَالتَّفْسِيقِ؛ بِمَجَرَّدِ الْخِلَافِ فِي مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ، أَوْ فُرُوعِ فِقْهِيَّةٍ، أَوْ وَسَائِلِ اجْتِهَادِيَّةٍ؛ جَاعِلًا مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَقَوَاعِدِ الْفِقْهِ، نَبْرَاسًا يَسِيرٌ عَلَيْهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ؛ حَرِيصًا عَلَى تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ، وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ، وَوَحْدَةِ الصَّفِّ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ سَبَبًا فِي خَرْقِ النَّسِيجِ الْوَحْدِيِّ الْمُمْتَزِّ لِلْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ.

وَمِمَّا لَارْتَبَ فِيهِ: أَنَّ الْفُهُومَ تَخْتَلِفُ، وَالْعُقُولَ تَتَبَايَنُ، وَالْقَرَائِحَ تَتَجَارَى، وَالْأَفْكَارَ تَتَبَارَى، وَقَدِيمًا قَالَ النَّاسُ: «لِكُلِّ إِمَامٍ حُطْبَةٌ». وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنِّي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّي حَاطِبُهَا^(١)

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي تَحْقِيقِ الْحَاطِبِ صِفَاتِهِ الْإِكْتِسَابِيَّةَ، مَعَ تَنْمِيَةِ مَلَكَاتِهِ الْجِبَلِيَّةِ، وَمَوَاهِبِهِ الْخَلْقِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَتَفَتَّقُ إِلَّا بِالْمِيُولِ وَالْإِرْشَادِ، وَالتَّنْمِيَةِ وَالْإِرْفَادِ، يُزَجِّمُهَا لِسَانٌ مُبِينٌ، وَقَوْلٌ مَكِينٌ، وَعَقْلٌ مَتِينٌ، وَنَفْسٌ طَمُوحَةٌ، وَهِمَّةٌ لَا تَحْبُو، وَعَزِيمَةٌ لَا تَنْبُو^(٢)؛ يَجُوزَانِ بِصَاحِبِهِمَا

(١) البيت لسحبان وائل، ويروى بفتح همزة «أَنَّ» وكسرها في قوله: «أنى حاطبها»، انظر: «خزانة الأدب» (٣٦٩/١٠، ٣٧٢)، (٣٧/١١).

(٢) أي: لا تكمل؛ يقال: نبا السيفُ يَنْبُو نَبْوًا: كَلَّ. «اللسان» (نبو).

الجَوَزَاءَ، وَيَبْلُغَانِ بِهِ الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ! وَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ مَغْمُورٍ بَرَّ أَقْرَانَهُ
لَمَّا عَبَّ مِنَ التَّحْصِيلِ عَبًّا.

وَالْخَطَابَةُ لَنْ تُعْطِيكَ الْقِيَادَ، حَتَّى تَأْخُذَ مِنْكَ النَّصَبَ وَالشَّهَادَ،
ذَاكَ لِمَنْ رَامَ خُطْبًا بَرَّاقَةً، لِنُفُوسٍ إِلَيْهَا تَوَاقَةٌ، فَبُورِكَ فِي خَطِيبٍ نَمَى
قُدْرَاتِهِ، وَعَضَدَ مَلَكَاتِهِ، تَحْصِيلًا وَتَأْصِيلًا، عَبْرَ الإِطْلَاعِ؛ حَتَّى يَتَوَقَّرَ
عَلَى خُطْبٍ مُشْرِقَةٍ الدِّيَابِجَةِ، سَلِسَةِ الْمَعَانِي، جَزَلَةٍ الأُسْلُوبِ.

وَأَهْمُ زَادٍ فِي ذَلِكَ: زَادُ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ، وَالسُّنَّةِ وَعُلُومِهَا، وَاللُّغَةِ
وَبَلَاغَتِهَا، فَنِيهَا مَا يَنْفَعُ الْعُلَّةَ^(١)، وَيَكْفِي التَّهْمَةَ، وَيَذْرَبُ^(٢) بِهِ اللِّسَانَ،
وَيَقْوَى بِهِ الْجَنَانَ؛ فَإِنَّهَا إِذَا تَدَرَّبَتْ ذَلِقَتْ^(٣)، وَإِذَا سَكَنْتْ خَارَتْ.

وَفَصَارَى الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يَسِيحَ الْخَطِيبُ بِنَظَرِهِ، وَيَجُولَ
بِفِكْرِهِ، فِي شَتَى الْعُلُومِ الَّتِي تُسْنِدُهُ، وَيَتَخَيَّرَ أَهَمَّ مَا أَلْفَ فِيهَا مُرَكِّزًا عَلَى
مَا سَطَّرَتْهُ بَرَاعٌ^(٤) أَيْمَّةِ السَّلَفِ، وَكِبَارِ الْمُحَقِّقِينَ، وَلِيَكُنْ لَهُ مُطَالَعَاتٌ
فِي تَحْقِيقَاتِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَتَلْمِيذِهِ الْعَلَامَةِ ابْنِ الْقَيْمِ، وَأَيْمَّةِ
الدَّعْوَةِ، رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيعًا!

(١) الْعُلَّةُ: شِدَّةُ الْعَطَشِ، وَيَنْفَعُ الْعُلَّةَ، أَي: يُذَهِّبُهَا وَيَسْكِنُهَا. «اللِّسَانُ» (غُلَل) (نَفَع).

(٢) يُقَالُ: ذَرَبَ فُلَانٌ، أَي: فَصَحَ لِسَانَهُ بَعْدَ حَصْرِ، فَهُوَ ذَرِبٌ. «اللِّسَانُ» (ذَرَب).

(٣) ذَلِقَتْ الأَلْسُنَةُ: صَارَتْ فَصِيحَةً طَلْقَةً. انْظُرْ: «اللِّسَانُ» (ذَلَق).

(٤) البَرَاعَةُ: الأَقْلَامُ، وَاحِدَتُهَا: بَرَاعَةٌ. «تَاجُ العُرُوسِ» (بَرَاع).

وَلَا يَتَّقُوا الْعَمَلَ وَلَا يُزَكُّوهُ إِلَّا إِذَا كَانَ لِحَمَّتْهُ وَسَدَاهُ النَّهْلَ مِنْ
 مَعِينِ السَّلَفِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَالْخَطِيبُ الَّذِي لَمْ يَتَوَشَّحْ بِذَلِكَ ،
 سَيَفْتَقِدُ كَثِيرًا مِنْ وَضَاءَةِ الْمَنْهَجِ ، وَشَفَافِيَةِ الرُّؤْيِيَةِ .

فَللهِ دَرُّ الْخَطِيبِ الَّذِي قَدَّرَ مَنَزِلَتَهُ ، وَاحْتَرَمَ مُسْتَمِعِيهِ ! تَجِدُهُ
 مَأْسُورًا بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، مَاخُودًا بِمَا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ ، الْخُطْبَةُ بِرُوحِهِ امْتَزَجَتْ ،
 وَمِنْ صَمِيمِ قَلْبِهِ تَصَعَّدَتْ وَانزَلَجَتْ ^(١) ؛ وَسَاعَتَيْدٍ : سَيْسِيلٌ بِكَلِمَاتِهِ صَوْبًا مِنْ
 الْعِبْرَاتِ ، وَسَيْفَجْرٌ بِعِبَارَاتِهِ سَيْبًا ^(٢) مِنَ الْحُرْقَاتِ ، يَهْرُ بِالْمَوَاعِظِ قُلُوبَ
 الْغَافِلِينَ فَتَتَّيْدُ ^(٣) ، وَيَدُكُ بِالزَّوْاجِرِ فَرَائِصَ ^(٤) الْمُعْرِضِينَ فَتَرْتَعِدُ ، يَقْصُ خَبْرًا ،
 وَيَسْتَخْرِجُ عِبْرًا ، وَيَتْرُكُ أَثْرًا ، مُفْتِيًا أَثَرَ التُّبُوَّةِ ، وَالْعُلَمَاءَ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ ^(٥) .

وَلْيُجْتَهِدْ فِي انْتِشَالِ غَرْقَى اللُّوْثَاتِ الْعَقْدِيَّةِ ، وَصَرَعَى الْمُخَالَفَاتِ

- (١) تصعدت وانزلجت ، أي : صعدت وخرجت من صميم قلبه إلى فيه مسرعة .
 «اللسان» (زلج) .
- (٢) السَّيْبُ - بكسر السين - : مجرى الماء ، وجمعه : سيوب . «اللسان» (سيب) ،
 والمعنى : سيفجر بعباراته سيلًا متدفقًا من الحُرْقَاتِ .
- (٣) تَتَّيْدُ ، أي : تتمهل وتأنى . «اللسان» (وَأد) .
- (٤) الفرائص : جمع فَرَيْصَةٍ ، وهي اللحمَةُ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالكَتِفِ ، وَفِي الْإِنْسَانِ فَرَيْصَتَانِ
 تَرْتَعِدَانِ عِنْدَ الْفَرْعِ . «اللسان» (فرص) .
- (٥) جزء من حديث رواه أبو داود (٣٦٤١ ، ٣٦٤٢) ، والترمذي (٢٦٨٢) ، وابن ماجه
 (٢٢٣) ، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٦٩) ؛ من حديث أبي الدرداء ،
 رضي الله عنه .

الاجتماعية، والأخلاقية، فيسْمُو بأفعالهم إلى رِحابِ الطاعة، ودَوْحَةِ
الإيمان.

وَلِيُعَفَّ لِسَانَهُ عَنْ عِلْمٍ لَا يُحْسِنُهُ، وَفَنٌّ لَا يُثِقَنُهُ، وَقَضَايَا لَا يُحْسِنُ
الْخَوْضَ فِيهَا، وَلَا يَمُنُّ وَلَا يَضُنُّ^(١)؛ فَمَا جَاءَ الْمُصَلُّونَ إِلَى الْمَسْجِدِ إِلَّا
حُبًّا فِي الْخَيْرِ، وَرَغْبَةً فِي الثَّوَابِ، فَلْيُرَاقِبِ اللَّهُ فِيهِمْ، وَلْيَبْتَغِ رِضَاهُ
سُبْحَانَهُ؛ وَإِلَّا فَ«رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ»^(٢)؛ لَكِنَّهَا لَا تُتْرَكُ؛
وَضَابِطُهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ أَرْضَى اللَّهُ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللَّهُ النَّاسَ،
وَمَنْ أَسَخَطَ اللَّهُ بِرِضَا النَّاسِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(٣).

تِلْكَ هِيَ أَهْمُ الْوَصَايَا الَّتِي يَنْبَغِي الْأَخْذُ بِهَا، وَإِنِّي لِأُقْسِمُ بِاللَّهِ، غَيْرَ
حَانِثٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَنَّهُ لَوْ التَزَمَهَا خُطَبَاءُ الْعَصْرِ، لِأَصْبَحَ الْحَالُ أَفْضَلَ
مِنَ الْوَاقِعِ، وَالْمُسْتَقْبَلُ خَيْرًا مِنَ الْحَاضِرِ، وَمَعَ كَثْرَةِ الصَّوَارِفِ، وَوَسَائِلِ
التَّعْلِيمِ، وَقَنَوَاتِ التَّوْجِيهِ - فَإِنَّ لِلْمُنْبِرِ مَكَانَتَهُ وَخُصُوصِيَّتَهُ، وَأَثَرَهُ الْبَلِيغِ
فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّوْجِيهِ، وَإِنَّهُمَا بَلَعَتَا تِلْكَ الْوَسَائِلَ الْمُخَالَفَةَ مِنْ مُحَارَبَةٍ

(١) لَا يَمُنُّ، أَي: لَا يَمُنُّ بِمَا قَالَ وَيَعْتَدُّ بِهِ، وَلَا يَضُنُّ، أَي: لَا يَبْخُلُ فَيَكْتُمُ عَنِ النَّاسِ
الْحَقَّ. «اللِّسَانُ» (مَنْ) (ضَنَّ).

(٢) هَذَا مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ، وَهُوَ مِنْ بَلِيغِ كَلَامِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ. انْظُرْ: «مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ»
(٣٠١/١).

(٣) رَوَاهُ عَبْدُ بَنِ حَمِيدٍ (١٥٢٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤١٤)، وَابْنُ حِبَانَ (٢٧٦، ٢٧٧)؛ مِنْ
حَدِيثِ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لِلْفَضَائِلِ ، وَنَشْرٍ لِلرِّذَائِلِ ، وَمُجَاهَرَةً بِالْفَضَائِحِ ، وَإِعْلَانٍ لِلْقَبَائِحِ - فَسَيَظَلُّ
لِمَنْبَرِ الْجُمُعَةِ كَلِمَتُهُ الْمَشْهُودَةُ ، وَقَوْلَتُهُ الْفَاصِلَةُ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ مَنْبَرٍ
دَعْوِيٌّ يُوجِبُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُنْصِتُوا فَلَا يَلْغَوْا ، إِلَّا هُوَ ، وَذَلِكَ - لَعَمْرُ
الْحَقِّ ! - غَايَةُ التَّشْرِيفِ ، مَعَ غَايَةِ التَّكْلِيفِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الشَّانُ فِي
أَيِّ مَنْبَرٍ ، فَمَا بِالْكُمْ بِأَعْظَمِ مَنْبَرٍ إِسْلَامِيٍّ ؟! فَاللَّهُمَّ ، سَدِّدْ وَأَعِنْ ، يَا كَرِيمُ !!

كَمَا لَا يَفُوتُ تَنْبِيهُ السَّامِعِ لِلْخُطْبَةِ إِلَى مُرَاعَاةِ آدَابِ التَّلَقِّيِّ ، وَحَمْلِهِ
الْكَلَامَ عَلَى أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ ، وَأَخْذِهِ مَاخِذَ الْمُسْتَفِيدِ ؛ فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةٌ
الْمُؤْمِنِ ، وَلِيُحْذَرَ مِنْ إِعْمَالِ هَوَاهُ ، وَالخَوْضِ فِي قَصْدِ الْخَطِيبِ ،
وَتَحْمِيلِ كَلَامِهِ مَا لَا يَحْتَمِلُ ، وَهَذَا وَاجِبُ الْمُسْلِمِ فِي مَنْهَجِ التَّلَقِّيِّ
وَالتَّخْصِيلِ ، وَهَكَذَا سَارَ السَّلَفُ الصَّالِحُ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْعَلَامَةِ ابْنِ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَيْثُ يَقُولُ :

إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحَرَمَانِ (١)

أَجْبَى الْقَارِي الْفَاضِلُ ، يَطِيبُ لِي إِتْحَافَكَ بِهَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْبِكْرِ
مِنَ الْخُطْبِ الْتِي يَسَّرَ اللَّهُ إِعْدَادَهَا وَإِقَاءَهَا - وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ -
مِنْ مَنْبَرِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ ، أَزْفُهَا إِلَيْكَ زَفَّ الْعُرُوسِ ، تَرْفُلُ فِي حُلَّةٍ بَهِيَّةٍ
لِمُحِبِّهَا ، الَّذِي طَالَمَا تَشَوَّفَ إِلَى طَلْعَتِهَا ، وَتَعَجَّلَ وَقْتَ الْبِنَاءِ بِهَا ؛

(١) النونية (ص ٣٠٥).

لَتَجِدَ فِيهَا خُلَاصَةً خَطَابِيَّةً لِرِحْلَةِ قَارِبَتْ رُبْعَ قَرْنٍ فِي اغْتِلَاءِ الْمَنَابِرِ، كَانَ أَكْبَرُهَا
وَأَكْثَرُهَا - بَلْ أَجْلُهَا وَأَفْضَلُهَا - مِنْبِرَ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ، زَادَهَا اللَّهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا!
وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ: فَإِنِّي أَلْهَجُ بِالشُّكْرِ وَالشَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -
أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ فَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ، لَمَا تَحَقَّقَ هَذَا الْعَمَلُ
الْمُبَارَكُ، ثُمَّ الشُّكْرُ مَوْصُولٌ، وَالدُّعَاءُ مَبْدُودٌ، لِمَنْ كَانَ سَبَبًا فِي إِبْرَازِ
هَذِهِ الْكَوْكَبَةِ؛ فَيَعْلَمُ اللَّهُ وَحْدَهُ: أَنَّهَا مَا رَأَتْ الثُّورَ إِلَّا بَعْدَ الْإِحْحَاحِ
وَالطَّلَبِ، وَحِرْصِ وَجْهِدٍ، وَمَتَابَعَةٍ مِنْ مُحِبِّينَ كَثِيرٍ - أَحَبَّهُمُ اللَّهُ، وَجَزَاهُمْ
عَنِّي خَيْرًا! - وَكَمْ هِيَ الرَّغَبَاتُ الَّتِي تَلَقَّيْتُهَا مِنْ وُلَاةِ أَمْرِ، وَعُلَمَاءَ،
وَخُطَبَاءَ، وَأَحِبَّةٍ مِنْ دَاخِلِ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ، وَخَارِجِهَا، كُلُّهَا
تَسْتَحِثُّنِي لِإِخْرَاجِهَا؛ مِمَّا يَجْعَلُنِي أَتَمَثَلُ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ:

أَعِيذُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ! (١)

وَلَا أُنْسَى - عَلَى سَبِيلِ الْخُصُوصِ - لِسَمَاحَةِ الْعَلَامَةِ الْمُفْتِيِ الْوَالِدِ
شَيْخِنَا الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً الْأَبْرَارِ - مَا
كَانَ يَخُصُّنِي بِهِ مِنْ الْإِحْحَاحِ فِي إِخْرَاجِهَا؛ فَقَلَّ أَنْ أَرَاهُ إِلَّا وَيَسْأَلُنِي عَنْ
ظُهُورِهَا، وَيَسْتَحِثُّنِي الْإِسْتِعْجَالَ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ وَعَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
بِتَقْدِيمِ لَهَا؛ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ؛ لِمَا لَقِيتُهُ مِنْهُ مِنْ تَأْيِيدٍ وَتَشْجِيعِ،
وَكَمْ هِيَ الْمُهَاتَفَاتُ الَّتِي كَانَ يَخُصُّنِي بِهَا - بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ خُطْبَةً - وَيَدْعُو

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، انظر: «ديوانه» (٢/ ١٢٠)، والبيت من أشعار الأمثال.

وَيُنِّي وَيُوجِّهُ، جَمَعَنَا اللهُ بِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ! .

وَلِخَلْفِهِ الْمُبَارِكِ سَمَاحَةِ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
أَلِ الشَّيْخِ - حَفِظَهُ اللهُ - مَنِّي : جَزِيلُ الشُّكْرِ وَالِدُّعَاءِ عَلَيَّ تَشْجِيعِهِ ، وَحَثُّهُ
عَلَيَّ إِصْدَارِ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ ، أَجْزَلَ اللهُ مُثُوبَتَهُ ، وَيَبَارِكْ فِي عُمُرِهِ وَعَمَلِهِ !
وَلِلْعَلَامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ - رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً
وَاسِعَةً - دُعَاءُ صَادِقٍ ، وَثَنَاءُ خَالِصٍ ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَتَخَوَّلُنِي بِالتَّشْجِيعِ
وَالتَّأْيِيدِ فِي هَذَا الْمَجَالِ .

وَلِسَائِرِ عُلَمَائِنَا وَمَشَائِخِنَا وَأَحِبَّتِنَا فِي اللهِ - الَّذِينَ شَجَّعُوا وَأَسْهَمُوا
وَأَعَانُوا - كُلُّ شُكْرٍ وَتَقْدِيرٍ ؛ رَاجِيًا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ خَالِصًا لِرُجُوحِهِ اللهُ
تَعَالَى ، مُحَقِّقًا شَيْئًا مِنْ طُمُوحَاتِهِمْ ، حَائِزًا عَلَيَّ حُسْنِ ظَنِّهِمْ ، وَلَنْ أَعْدَمَ
مِنْهُمْ - بِإِذْنِ اللهِ - دَعْوَةَ صَالِحَةٍ ، أَوْ نَصِيحَةَ صَادِقَةٍ .

وَهَآنَذَا أُقَدِّمُ لَكَ - أَخِي الْمُحِبِّ - السَّفَرَ الْأَوَّلَ مِنْ مَجْمُوعَةِ هَذِهِ
الْخُطَبِ ، وَسَمَّيْتُهَا : « كُؤُوبَةُ الْخُطْبِ الْمُنِيفَةِ ، مِنْ مَنِيرِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ » .
وَسَيَلِيهَا أَسْفَارٌ تَتَرَى - إِنْ شَاءَ اللهُ - بَدَلْتُ فِيهَا جُهْدًا لَا أَدْعِي
كَمَالَهُ ، بَلْ هُوَ جُهْدٌ مُقِلٌّ ، وَبِضَاعَةٌ مُرْجَاةٌ ؛ فَلْيَجِدْ عَلَيَّهَا الْمُحِبُّ الصَّادِقُ
التَّصُوحُ بِتَكْمِيلِ ، أَوْ تَوْجِيهِ ، أَوْ تَسْدِيدِ ، وَلَا أَدْعِي أُنْبِيَّ أَصَبْتُ وَوَفَّقْتُ ،
وَوَفَّقْتُ وَكَمَلْتُ ، لِكِنِّي - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - بَدَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ ، حَتَّى إِتْبِي
- أَحْيَانًا - لَا أَنَامُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا قَلِيلًا يُسَاوِرُنِي فِيهَا الْبَحْثُ ، وَقَدْ أَرْجَعُ

فِي مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ إِلَى قُرَابَةِ عَشْرِينَ مَصْدَرًا وَمَرْجَعًا أَوْ يَزِيدُونَ .

أَقُولُ ذَلِكَ، مَعَ سُؤَالِي اللَّهَ الْإِخْلَاصَ وَالتَّوْفِيقَ ؛ فَإِنْ أَصَبْتُ فَمِنَ
اللَّهِ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنَ نَفْسِي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ وَرَسُولُهُ،
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْمَنَّانَ .

وَلَا أَقُولُ، إِنْ عَمَلِي مُنْبِتٌ عَنْ عَمَلٍ مِّنْ سَبْقِي فِي هَذَا الْمَجَالِ،
أَوْ أَدْعِي أَنِّي قَدْ أَتَيْتُ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ السَّابِقُونَ، لَا! بَلْ أَنَا الْمُسْتَفِيدُ مِمَّا
كَتَبَهُ عُلَمَاؤُنَا الْأَجَلَاءُ، وَخُطَبَاؤُنَا الْفُضَلَاءُ، سَوَاءً مِنْ أَصْحَابِ الْفَضِيلَةِ
زُمَلَاءِ الْمِنْبَرِ، أَيْمَّةِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - رَحِمَ اللَّهُ مُتَوَفَّاهُمْ، وَوَفَّقَ وَسَدَّدَ
أَحْيَاءَهُمْ - أَمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، جَزَى اللَّهُ الْجَمِيعَ خَيْرًا .

وَلَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي إِخْرَاجِ هَذِهِ الْكُوكِبَةِ عَلَى مُفْتَضِّياتِ الْبَحْثِ
الْعِلْمِيِّ؛ فَعَزَوْتُ الْآيَاتِ، وَخَرَّجْتُ الْأَحَادِيثَ، مَعَ التَّرَامِي بِالصَّحِيحِ
قَدْرَ الطَّاقَةِ، وَعَزَوْتُ الْآثَارَ، وَوَضَّحْتُ الْغَرِيبَ، وَنَحَوْتُ ذَلِكَ؛ حَتَّى
تَكُونَ مُتَكَامِلَةً - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَسَلَكْتُ فِيهَا مَسْلَكَ التَّرْتِيبِ وَالتَّقْسِيمِ إِلَى
اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي :

١- الْقُرْآنَ الْكَرِيمُ .

٢- الْعِلْمُ وَالْعُلَمَاءُ .

٣- الْعَقِيدَةُ .

٤- السُّنَّةُ وَالسِّيَرَةُ .

٥- الْعِبَادَاتُ .

٦- الْمُعَامَلَاتُ .



٧- الأَخْلَاقُ وَالسُّلُوكُ .

٨- القَضَايَا الاجْتِمَاعِيَّةُ .

٩- مَاسِي المُسْلِمِينَ وَقَضَايَاهُمْ .

١٠- الرِّقَاقُ .

١١- مَوْضُوعَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ .

١٢- خُطَبُ المُنَاسَبَاتِ .

وَتَحْتَ كُلِّ قِسْمٍ عَدَدٌ مِنَ الخُطَبِ المُنَاسِبَةِ كَمَا وَكَيْفًا؛ وَهَكَذَا لِيَكُونَ الكِتَابُ مُبَوَّبًا وَمُقَسَّمًا بِشكْلِ يُقَرِّبُ المَوْضُوعَ لِلْمُطَّلِعِ الكَرِيمِ، وَيُسَهِّلُ تَنَاوُلَهُ لَهُ، وَيَحَقِّقُ مَزِيدَ الِانْتِفَاعِ بِهِ؛ بِإِذْنِ اللهِ .

وَقَبْلَ أَنْ أَضَعَ القَلَمَ ، أَتَوَجَّهُ بِالشُّكْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ - بَعْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ - فِي طَبْعِ وَنَشْرِ هَذِهِ المَجْمُوعَةِ المُبَارَكَةِ، وَفَقَّا اللهُ تَعَالَى؛ وَمَا يُبَاعُ مِنْهَا فَبِشْمَنِ مَيْسُورٍ، يُصْرَفُ رَيْعُهُ فِي الأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ؛ لِيَعْمَ الِانْتِفَاعُ بِهَا، فَجَزَى اللهُ هَذَا المُحْسِنَ الكَرِيمَ خَيْرَ الجِزَاءِ؛ عَلَى نِيَّتِهِ الصَّالِحَةِ، وَعَمَلِهِ المُبَارَكِ الدَّعْوِ، وَاللهِ دَرُّهُ! وَبُورِكَتْ أَعْمَالُهُ وَجُهُودُهُ؛ فَكَمْ طَوَاقَ جِيدِ أَهْلِ الخَيْرِ وَالفَضْلِ بِإِحْسَانِهِ! وَكَمْ أَسَرَ قُلُوبَهُمْ بِمَعْرُوفِهِ! وَكَمْ نَفَعَ اللهُ بِجُهْدِهِ وَعَمَلِهِ! كُلُّ ذَلِكَ بِصَمْتٍ وَإِخْلَاصٍ، وَابْتِغَاءٍ لِمَا عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَأَجْزَلَ اللهُ مَثُوبَتَهُ، وَضَاعَفَ أَجُورَهُ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ وَعَمَلِهِ، وَزَادَهُ خَيْرًا وَهُدًى وَتَوْفِيقًا، وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ، وَأَخْلَفَ عَلَيْهِ خَيْرًا فِي الأُولَى وَالْعُقْبَى، وَلَا عَدِمْنَا أَمْثَالَهُ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا وَأُمَّتِنَا!!

كَمَا أَشْكُرُ مَكْتَبَةَ إِمَامِ الدَّعْوَةِ العِلْمِيَّةِ بِمَكَّةِ المَكْرَمَةِ رَغْبَتَهَا فِي

تَوْزِيعِ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ؛ ابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ؛ فَلِلْعَامِلِينَ فِيهَا شُكْرِي وَتَقْدِيرِي .
هَذَا؛ وَأَذْكَرُ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ:

وَإِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدِّ الْخَلَلَا فَجَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا^(١)

وَمِنْ بَدِيعِ كَلَامِ الْعَلَامَةِ ابْنِ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلُهُ: «فَيَا أَيُّهَا
النَّاظِرُ فِيهِ، لَكَ غُنْمُهُ، وَعَلَى مُؤَلِّفِهِ غُرْمُهُ، وَلَكَ صَفْوُهُ، وَعَلَيْهِ كَدْرُهُ،
وَهَذِهِ بِضَاعَتُهُ الْمُزْجَاةُ تُعْرَضُ عَلَيْكَ، وَبَنَاتُ أَفْكَارِهِ^(٢) تَزْفُ إِلَيْكَ؛ فَإِنْ
صَادَفَتْ كُفْتًا كَرِيمًا، لَمْ تَعْدَمِ مِنْهُ إِمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحًا بِإِحْسَانٍ،
وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَقَدْ رَضِيَ مِنْ مَهْرَهَا
بِدَعْوَةٍ خَالِصَةٍ إِنْ وَافَقَتْ قَبُولًا وَاسْتِحْسَانًا، وَبِرَدِّ جَمِيلٍ إِنْ كَانَ حَظُّهَا
اِحْتِقَارًا وَاسْتِهْجَانًا، وَالْمُنْصِفُ يَهْبُ خَطَأَ الْمُخْطِئِ لِإِصَابَاتِهِ، وَسَيِّئَاتِهِ
لِحَسَنَاتِهِ؛ فَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ جَزَاءً وَثَوَابًا، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَكُونُ قَوْلُهُ
كُلُّهُ سَدِيدًا وَعَمَلُهُ كُلُّهُ صَوَابًا؟! وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا الْمَعْصُومُ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَى، وَنُطْقُهُ وَحْيِي يُوحَى؟!» اهـ^(٣).

(١) البيت لأبي القاسم الحريري صاحب «المقامات»، في خاتمة منظومته «ملحة الإعراب»، انظر: (ص ٥٨).

(٢) بنات الأفكار: هي ما يفكر فيه الإنسان من أمور؛ فبنات أفكار الإنسان هي آراؤه وأفكاره، وفي أمثالهم ما يسمّى بالمكئى والمُبئى، ومنها قولهم: «هذا من بنات أفكاره». انظر: «موسوعة أمثال العرب» (١/٢٧-٣٠) (٦/٦٠٨).

(٣) من مقدمة «حادي الأرواح» (ص ٣٣، ٣٤)، و«روضة المحبين» (ص ١٤).

جَعَلَهُ اللهُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالصَّدَقَةِ الْجَارِيَةِ الَّتِي يَصِلُ بِرُهَا
 وَذُخْرُهَا وَثَوَابُهَا لِمُعَدَّهَا وَطَابِعِهَا وَنَاشِرِهَا وَمَنْ أَعَانَ عَلَيْهَا، فِي الدُّنْيَا
 وَالْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ، كَمَا أَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ،
 وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَنْ يُعِينَ إِخْوَانَنَا الْخُطَبَاءَ عَلَى
 مُهَمَّتِهِمْ الْجَلِيلَةَ، وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التُّهُوضِ بِمَنَابِرِ الْأُمَّةِ إِلَى خَيْرِ حَالٍ
 وَأَفْضَلِ مَالٍ، وَأَنْ يُوفِّقَ وُلاةَ أَمْرِنَا وَوُلاةَ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ
 الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَى الْجَمِيعِ بِصَلَاحِ التَّوَايَا، وَحُسْنِ الْأَحْوَالِ،
 وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى مَوَاطِنِ
 التَّوْفِيقِ، وَمَعَالِي السُّودِدِ، وَأَنْ يَجْزِيَ عَنَّا - بِالْخَيْرِ، وَحُسْنِ الْجَزَاءِ -
 وَالِدِينَا، وَمَشَايِخَنَا، وَعُلَمَاءَنَا، وَكُلَّ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْنَا، وَسَائِرَ مَنْ أَحَبَّنَا
 فِي اللهِ؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

وَأَخْرُجُوا أَنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



القِسْمُ الْأَوَّلُ

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ﴿١﴾
[الفرقان]، أَحَمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، جَعَلَ الْقُرْآنَ ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، أَنْزَلَ كِتَابَهُ هِدَايَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَشِفَاءً لِّمَا فِي
صُدُورِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَ خَلْقُهُ
الْقُرْآنَ؛ يُحِلُّ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ، وَيَعْمَلُ بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَوْا أَثَرَهُ،
وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِ؛ فَعَزُّوا وَوَسَّادُوا، وَمَلَكَوا وَقَادُوا، وَمَنْ تَبَعَ هَدْيَهُمْ، وَلَزِمَ
سُنَّتَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فِيَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ، اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ تَقْوَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾
[آل عمران: ١٦٤]، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ خَيْرَ كِتَابٍ، لِيُخَيِّرَ أُمَّةً أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛

يَهْدِيهِمْ لَأَقْوَمِ سَبِيلٍ، وَأَهْدِي طَرِيقٍ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِ اللَّهِ، هُوَ الْمَلَأُ عِنْدَ الْفِتَنِ، وَهُوَ الْمُنْقِذُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ، فِيهِ -
يَاعِبَادَ اللَّهِ - نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ؛ هُوَ الْفَصْلُ
لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ،
أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ التَّمَسَ الْعِزَّ بِغَيْرِهِ، أَذَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ طَلَبَ النَّصْرَ بِدُونِ
التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ، أَرْدَاهُ اللَّهُ؛ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، لَا
يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا يَعُوجُ فَيَقْوَمَ، لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ
الْأَلْسُنُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنِ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَقْضِي
عَجَائِبُهُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ
دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ، تَكْفَلَ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ: الْأَلَّ
يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ؛ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْأَثَرِ عَنِ ابْنِ
عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (١) وَمَنْ تَرَكَهُ وَهَجَرَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ؛ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ قَالَ أَهْبِطَا
مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي هَدَيْتُكُمْ مَنِّي هَدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا
يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٥﴾ قَالَ

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٣ / ٣٧١، ٣٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٤٦٩/٨)،
والحاكم في «المستدرک» (٣٨١/٢).

كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْرِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ [طه].

وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ - إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابَ اللَّهِ» (١).

وَقَدْ أَمَّنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بِإِنزَالِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ؛ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ [النحل]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٦﴾ [المائدة].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ﴿١٧٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ وَفَضْلِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ [النساء]، وَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّ

(١) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبوداود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)؛ من حديث جابر ابن عبدالله؛ رضي الله عنه.

هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾ [الإسراء]، وَقَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء]، وَقَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت : ٤٤] .

وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَمَعْلُومَةٌ لِكُلِّ مَنْ قَرَأَ كِتَابَ اللَّهِ بِتَدْبِيرٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ ؛ كَمَا هِيَ سُنَّةُ أَوْلِيكَ الْأَبْرَارِ ، مِنْ السَّلَفِ الصَّالِحِ الْأَخْيَارِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ - الَّذِينَ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنْهُ عَشْرَ آيَاتٍ ، لَمْ يَتَجَاوَزُواهَا ، حَتَّى يَعْلَمُوا مَعْنَاهَا ، وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهَا ؛ فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ مَعًا ؛ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ^(١) أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَتَلَقُّونَ أَوْامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ ؛ فَيَسَارِعُونَ إِلَى امْتِثَالِهَا دُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَسَاهُلٍ ، أَوْلِيكَ الصَّفْوَةُ الَّذِينَ تَلَقُّوا الْقُرْآنَ وَقَرَأُوهُ ، عَقِيدَةً مِنْهُمْ : أَنَّهُ خِطَابُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ ، يُكَلِّمُهُمْ بِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ ؛ وَلِهَذَا حَمَلُوا رَايَةَ الْقُرْآنِ قَوْلًا وَعَمَلًا ؛ فَأَرْهَبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، وَنَشَرُوا الْعَدْلَ وَالسَّلَامَ فِي أَرْضِ اللَّهِ ، وَ«أَخْرَجُوا النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا ، إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى

(١) انظر : «مسند أحمد» (٤١٠/٥) ، و«تفسير الطبري» (٦٠/١) .



عَدَلِ الْإِسْلَامِ»^(١)؛ فَحَقِّقُوا الْحَيْرَ وَالسَّعَادَةَ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا .

إِحْوَةَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّا الْيَوْمَ لَفِي زَمَنِ كَثُرَتْ فِيهِ الْفِتْنُ، وَتَلَاطَمَتْ فِيهِ أَمْوَاجُ الْمِحَنِ، وَاسْتَحْكَمَتْ فِيهِ الشَّهَوَاتُ، وَكَثُرَتْ الشُّبُهَاتُ، وَتَعَدَّدَتْ الْمُشْكِلَاتُ وَالتَّحَدِّيَاتُ، وَكَثُرَ دُعَاةُ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ، وَإِنَّهُ لِأَخْلَاصَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَلَا شَدَّ لِأَزْرٍ، وَلَا رُسُوخَ لِقَدَمٍ، وَلَا أَنْسَ لِنَفْسٍ، وَلَا تَسْلِيَةَ لِرُوحٍ، وَلَا تَحْقِيقَ لِرُوعَدٍ، وَلَا أَمْنَ مِنْ عِقَابٍ، وَلَا ثُبُوتَ لِمُعْتَقَدٍ، وَلَا بَقَاءَ لِلذِّكْرِ وَأَثَرَ طَيِّبٍ: إِلَّا بَأْنَ يَتَّجِهَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا - حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ، شُعُوبًا وَدُؤُلًا، شَبَابًا وَشَيْبًا، رِجَالًا وَنِسَاءً، عُلَمَاءَ وَعَامَّةً - اتَّجَاهًا صَحِيحًا، بِكَامِلِ أَحَاسِنِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ، بِقُلُوبِهِمْ وَقَوْلِهِمْ، إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؛ تِلَاوَةً وَتَدْبِيرًا، وَتَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، وَعَمَلًا وَتَطْيِيقًا؛ فَهُوَ الْمَعِينُ الْعَذْبُ الَّذِي لَا يَنْضَبُ مُطْلَقًا، وَلَا يَأْسُنُ أَبَدًا، وَالكَنْزُ الْوَافِرُ الَّذِي لَا يَزِيدُهُ الْإِنْفَاقُ إِلَّا جِدَّةً وَكَثْرَةً، وَلَا تَكَرَّرُ التَّلَاوَةُ إِلَّا حَلَاوَةً وَطَلَاوَةً؛ بَيِّدَ أَنَّهُ لَا تُنْمَحُ كُنُوزُهُ إِلَّا لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ سَمْعَهُ وَهُوَ شَهِيدٌ .

مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّا فِي هَذَا الْعَصْرِ قَدْ أَعْرَضَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ

(١) وهذا من قول الصحابي الجليل ربعي بن عامر - رضي الله عنه - لرستم أمير الفرس، قبل وقعة القادسية . انظر: «البداية والنهاية» (٩/٦٢٢) .

عَنِ الْقُرْآنِ، وَنَأَوْا عَنْهُ، فَمَنْ تَأَمَّلَ حَيَاةَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَجَدَ أَنَّهَا لَا تَمُتُ إِلَى الْقُرْآنِ بِصِلَةٍ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! - فَمَا أَكْثَرَ الْمُخَالَفَاتِ الْمَوْجُودَةَ، وَمَا أَعْظَمَ الْوَاجِبَاتِ الْمَفْقُودَةَ!!

عِبَادَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؟! أَيْنَ شَبَابُ الْأُمَّةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ؟! لَقَدْ اسْتَبَدَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! أَيْنَ النِّسَاءُ مِنَ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ الَّتِي تَحْتُّ عَلَى الْحِجَابِ، وَلِزُومِ الْحَيَاءِ، وَلِزُومِ الْحِشْمَةِ، وَتَحَذُّرٍ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ وَالِاخْتِلَاطِ؟! بَلْ أَيْنَ تَحْكِيمُ الْقُرْآنِ فِي جَوَانِبِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا؟!

الْوَاقِعُ وَالْحَقِيقَةُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّهُ صَدَقَ فِي هَؤُلَاءِ وَأَوْلَيْكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان]. وَهَجَرُ الْقُرْآنِ - كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ، رَحِمَهُ اللَّهُ - : «يَشْمَلُ هَجْرَ سَمَاعِهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ، وَهَجْرَ الْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَإِنْ قَرَأَهُ وَأَمَنَ بِهِ، وَهَجْرَ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَهَجْرَ تَفْهَمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ، وَهَجْرَ الْإِسْتِشْفَاءِ بِهِ مِنْ جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ» (١).

وَكُلُّ أَنْوَاعِ الْهَجْرِ هَذِهِ مُتَحَقِّقَةٌ - وَيَا لِلْأَسْفِ! - فِي وَاقِعِ النَّاسِ

الْيَوْمِ.

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص ٨٢).

إِنَّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيُصِرُّونَ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ - بَلْ قَدْ
يَزِيدُونَ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ - لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ
بِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ زَعَمُوا ذَلِكَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَإِنْ قَرَأُوهُ فِي أَعْمَارِهِمْ
كُلِّهَا! أَيْنَ الَّذِينَ امْتَطَوْا صَهْوَةَ التَّعَامُلِ بِالْمُحَرَّمَاتِ، وَتَلَطَّحُوا بِارْتِكَابِ
الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ؛ كَالزَّانِي، وَالرَّبَّاءِ، وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالسَّرِقَةِ،
وَالغِشِّ، وَالظُّلْمِ، وَالكَذِبِ، وَالغِيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَسَاقِطِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ،
وغيرِهَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ؛ أَيْنَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ؟! أَيْنَ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ
الْوَاجِبَاتِ، وَيَتَسَاهَلُونَ فِي الْمَأْمُورَاتِ؛ كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ،
وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَسَاكِينِ؛ أَيْنَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ!؟

إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ أَوْ يَقْرَءُونَهُ، وَيُعْرَضُونَ عَنْ
تَطْبِيقِهِ، لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه].

وَبُؤْسًا لَهُمْ حَيْثُ تَشَبَّهُوا بِمَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا ﴾ [النساء: ٤٦]! .

فِي الْإِلَى الْقُرْآنِ، إِلَى الْقُرْآنِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - نَنْهَلُ مِنْ مَعِينِهِ، وَنُرْتَوِي مِنْ
نَمِيرِهِ؛ لِنَحَقِّقَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦]، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّحِيمِ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢﴾ [الإسراء].

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ رَيْبَ قُلُوبِنَا، وَتُورَ صُدُورِنَا، وَجِلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَغَمُومِنَا، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ وَخَاصَّتُكَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَلْبِسْنَا بِهِ الْحُلَلَ، وَأَسْكِنْنَا بِهِ الظُّلَلَ، وَزِدْنَا بِهِ مِنَ النِّعَمِ، وَارْفَعْ عَنَّا بِهِ النِّقَمَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ
بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾ [الكهف]، أَحَمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَ خُلِقَهُ الْقُرْآنُ، بَعَثَهُ اللَّهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَانُوا لَا يَتَجَاوَزُونَ عَشْرَ آيَاتٍ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ ^(١)، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ
الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا، وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ،
وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الرِّفْعَةَ وَالْقِيَادَةَ، وَالْكَرَامَةَ وَالرِّيَادَةَ، وَالْعِزَّةَ وَالسِّيَادَةَ،
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ - إِنَّمَا هِيَ لِحِمْلَةِ كِتَابِ اللَّهِ الْعَامِلِينَ بِهِ؛
وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ؛ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ -

(١) إشارة إلى أثر ابن مسعود، رضي الله عنه، وقد تقدم تخريجه (ص ٤٠).

رَحِمَهُ اللهُ - عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ
 بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»^(١)، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ عُثْمَانَ
 - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ
 وَعَلَّمَهُ»^(٢)، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا
 حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ
 النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ»^(٣).

وَقَدْ جَاءَتْ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ مُنَوَّهَةً بِمَا لِحَمَلَةِ كِتَابِ اللهِ مِنَ الْأَجْرِ
 وَالْمَكَانَةِ، فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛ فَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «افْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا
 لِأَصْحَابِهِ»^(٤)، وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
 «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَعَّ فِيهِ،
 وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»^(٥)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:
 قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ
 بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ «الْم» حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ

(١) «صحيح مسلم» (٨١٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٠٢٧).

(٣) رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٤) رواه أحمد (٢٤٩/٥)، ومسلم (٨٠٤).

(٥) رواه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨)، والترمذي (٢٩٠٤).

حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»^(٢).

فِيَالَهُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ، وَثَوَابٍ كَبِيرٍ، لَا يَغْفُلُ عَنْهُ إِلَّا غَافِلٌ!! تِلْكَ - وَاللَّهِ - هِيَ الْغِبْطَةُ الْحَقِيقِيَّةُ؛ فَلَيْسَتْ الْغِبْطَةُ وَالسَّعَادَةُ بِحُطَامِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ، وَلَا بِالْمُفَاخِرَةِ بِالْمَرَاقِبِ، وَلَا بِالْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَرَاتِبِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَخُذُوا بِكِتَابِ رَبِّكُمْ، وَإِلَى الْقُرْآنِ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - خُذُوا مِنْهُ مِنْهَا جَا لِحَيَاتِكُمْ فِي جَمِيعِ شُؤْنِكُمْ، وَبِهَذَا تَسْتَرِدُّونَ مَجْدَكُمْ التَّلِيدَ، وَعِزَّكُمْ الْعَتِيدَ، وَقُدْسَكُمْ الْفَقِيدَ، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠، وفاطر: ١٧]، ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [محمد].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ نَبِيِّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ خَيْرَ كِتَابِهِ، نَبِيِّكُمْ الْمُصْطَفَى الْأَوَّابِ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب].

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، والحاكم (١/٥٥٥، ٥٦٦).

(٢) رواه أحمد (٢/١٩٢)، وأبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤).



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، وَعِبْرَةً
لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَرَحْمَةً وَمَوْعِظَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَبْرَاسًا لِلْمُهْتَدِينَ، وَشِفَاءً لِمَا
فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى آيَاتِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعْمَائِهِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحْيَا بِكِتَابِهِ الْقُلُوبَ، وَزَكَّى بِهِ
النُّفُوسَ، هَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَذَكَرَ بِهِ مِنَ الْعَقَلَةِ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ؛ فَصَلَوَاتُ
اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ كَانُوا لَا يَتَجَاوَزُونَ عَشْرَ آيَاتٍ حَتَّى
يَعْلَمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ^(١)، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ جُنْدِهِ وَحِزْبِهِ، وَمَنْ
تَرَسَّمَ خُطَاهُ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِ، مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ، وَتَتَابَعَ النَّيِّرَانِ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَأَشْكُرُوهُ عَلَى مَا

(١) كما جاء في أثر ابن مسعود - رضي الله عنه - وقد سبق تخريجه (ص ٤٠).

هَذَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَجَعَلَكُمْ مِنْ أُمَّةِ الْقُرْآنِ، الْمُعْجِزَةَ الْبَاهِرَةَ، وَالآيَةَ
الظَّاهِرَةَ، كِتَابِ الْهُدَى، وَسِرِّ السَّعَادَةِ وَالْفِيَادَةِ، وَلِوَاءِ الرِّيَادَةِ وَالسِّيَادَةِ،
وَأَمَامِ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ، وَدُسْتُورِ الْعَدْلِ وَالْأَمَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ
وَمَكَانٍ؛ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ﴾ [٤٦] [فصلت].

أُمَّةِ الْقُرْآنِ، إِنَّ سَعَادَةَ الْبَشَرِيَّةِ، وَعِزَّ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَصَلَاحَ الْبِلَادِ
وَالْعِبَادِ - مَرْهُونٌ بِاتِّبَاعِ هَذَا الْكِتَابِ؛ فَإِنْ كَانَ لِلْأُمَّةِ قَائِدًا وَإِمَامًا، نُصِبَ
الْأَعْيُنِ، وَبَيْنَ الْأَيْدِي، حَصَلَتْ لَهَا سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ، وَنَجَاةُ الْحَيَاتَيْنِ،
وَإِنْ كَانَ خَلْفَ الظُّهُورِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! - عَمَّ الدُّلُّ وَالشَّقَاءُ فِي الْأَوْلَى
وَالْآخِرَى، لَوْ وَقَفَتِ الْأُمَّةُ تَحْتَ رَايَةِ الْقُرْآنِ، وَتَفَيَّاتٌ ظِلَالٌ دَوْحَةَ
الْفُرْقَانِ، لَسَمَتِ سَمَاءَ الْمَجْدِ، وَتَبَوَّأَتْ مَكَانَةَ الْعِزَّةِ وَالشَّرَفِ وَالْقُوَّةِ،
وَلَوْ أَنَّهَا حَافَظَتْ عَلَيْهِ، وَعَمِلَتْ بِمَا فِيهِ، أَضَاءَتْ لَهَا الْمَسَالِكُ، وَتَفَتَّحَتْ
لَهَا الْمَدَارِكُ، وَلَوْ تَدَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَوَقَفُوا عِنْدَ آيَاتِهِ، فَأَحْلَوْا
حَلَالَهُ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ، لَحَقَّقُوا السَّعَادَةَ عَاجِلًا وَآجِلًا.

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا
آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [٢٩] [ص]، وَأَنْكَرَ الْمَوْلَى - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
عَلَى الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِهِ، فَلَا يَتَعَطَّوْنَ وَلَا يَتَدَبَّرُونَ؛ اسْتَمِعُوا إِلَيَّ
قَوْلِهِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أُمِرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ [٧٤]

[محمد]؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثْرَةَ مَوْعِظَةِ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ، بَلْ كَانَ - عَلَيْهِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ - يَخْطُبُ النَّاسَ بِهِ؛ كَمَا أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُمْ، عَنْ أُمِّ هِشَامِ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ التُّعْمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «مَا أَخَذْتُ ﴿قَفَّ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ يَقْرُؤُهَا كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ» (١).

يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، مَا أَجْمَلَ أَنْ نَعِيشَ لِحَضَاتٍ فِي ظِلَالِ هَذِهِ السُّورَةِ، نَتَدَبَّرُ آيَاتِهَا، وَنَتَأَمَّلُ عِظَاتِهَا، وَنَقِفُ عِنْدَ عَجَائِبِهَا؛ إِحْيَاءً لِهَذِهِ السُّنَّةِ الَّتِي انْدَثَرَتْ أَوْ كَادَتْ، فَلَمْ يَكُنْ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِيَخْطُبَ النَّاسَ بِهَا، وَيُرَكِّزَ عَلَيْهَا فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَقْرَأَهَا فِي الْفَجْرِ، وَالْجُمُعِ، وَالْأَعْيَادِ، إِلَّا لِمَالِهَا مِنَ الشَّانِ وَالْمَكَانَةِ؛ إِنَّهَا سُورَةٌ عَظِيمَةٌ رَهْنِيَّةٌ، شَدِيدَةُ الْوَقْعِ بِأَسْلُوبِهَا وَحَقَائِقِهَا، تَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ، تَهْزُؤُ الثُّفُوسَ هَزًّا، وَتُنِيرُ فِيهَا الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ، وَتُوقِظُهَا مِنَ الْغَفْلَةِ.

فَعَسَى أَنْ نُلْقِيَ نَظْرَاتٍ، تَصْحَبُهَا عِبْرَاتٌ، مِنْ قَضَايَا هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ، وَصُورِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ؛ فِي الْحَيَاةِ وَالْإِحْتِضَارِ، وَالْمَمَاتِ وَالْبَعْثِ، وَالْحَشْرِ وَغَيْرِهَا؛ ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ ابْتَدَأَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ بِالْإِنْكَارِ عَلَى

(١) رواه أحمد (٤٣٥/٦)، ومسلم (٨٧٣)، وأبو داود (١١٠٢).



المُكذِّبِينَ، الْمُنْكَرِينَ لِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الْجَاهِدِينَ
لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ؛ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ﴿٣﴾ [ق].

فَبَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا بِالْحَقِّ، التَّبَسَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ،
﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾ ﴿٥﴾ [ق]؛ قَدْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِمُ الْحَقَائِقُ، وَعُمِّيَتْ
عَلَيْهِمُ السُّبُلُ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ حَادَ عَنِ الْحَقِّ تَتَقَاذِفُهُ الْأَهْوَاءُ، وَتُمَرِّقُهُ
الْحَيْرَةُ، وَتُقْلِقُهُ الشُّكُوكُ، لَقَدْ جَاءَ صَدْرُ هَذِهِ السُّورَةِ لِيُعَالَجَ قَضِيَّةَ
عَقْدِيَّةٍ مُهِمَّةً، أَلَا وَهِيَ: «قَضِيَّةُ الْبَعْثِ وَإِنْكَارِ الْكُفَّارِلَهُ»، بِأَسْلُوبٍ يُذِيبُ
الْقُلُوبَ وَيُرَفِّقُهَا، وَيَقِيْمُ الْحُجَّةَ عَلَى الْمُعَانِدِينَ، وَيَلْفِتُ أَنْظَارَهُمْ إِلَى
بَدِيعِ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، وَالْجِبَالِ وَالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ؛ ﴿أَفَلَمْ
يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾
وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ
لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ [ق].

ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ بَعْرَضٍ صَفْحَةٍ أُخْرَى تُذَكِّرُ الْقُلُوبَ بِمَصَارِعِ
الْغَابِرِينَ، وَأَحْوَالِ الْمُكذِّبِينَ السَّابِقِينَ، الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمْ وَعِيدُ اللَّهِ بِعَذَابِهِ
وَنِكَالِهِ بِهِمْ؛ ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ ﴿١٢﴾... إِلَى قَوْلِهِ
سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَوَّعِيدٍ﴾ ﴿١٤﴾ [ق].

وَتَمَضِي السُّورَةُ مُسْتَطَرِدَّةٌ مَعَ قَضِيَّةِ الْبَعْثِ، مُذَكَّرَةٌ الْإِنْسَانَ بِخَلْقِ
 اللَّهُ لَهُ، وَعِلْمِهِ بِهِ، وَقُرْبِهِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ وَسَاوِسَ النَّفْسِ،
 وَخَلَجَاتِ الضَّمِيرِ^(١)، فَضَلًّا عَنِ الظَّاهِرِ الْمُبِينِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ
 مَا تَوْسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق]، وَتَلَفِتُ الْأَنْظَارَ إِلَى
 رِقَابَةِ اللَّهِ - جَلٍّ وَعَلَا - عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ أَوْكَلَ
 بِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَتْلَقِيَانِ أَقْوَالَهُ وَأَعْمَالَهُ، فَكُلُّ لَفْظَةٍ وَكَلِمَةٍ مُدَوَّنةٌ عَلَيْهِ؛
 ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق].

ثُمَّ تَأْتِي الْمَشَاهِدُ الْمُرْعَبَةُ بِأَسْلُوبِ رَهِيْبٍ مُخَيِّفٍ يَرْجُ الْأَفْتِدَةَ
 رَجًّا، مُبْتَدَأًا بِمَشْهَدِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِهِ، ثُمَّ مَشْهَدِ الْحِسَابِ وَعَرْضِ
 الصُّحُفِ، ثُمَّ مَشْهَدِ جَهَنَّمَ - أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا! - فَاغْرَةً فَاهَا تَتَلَمَّظُ، كَلَّمَا
 أَلْقَى فِيهَا وَقُودَهَا مِنَ النَّاسِ، تَقُولُ: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق]، نَعُوذُ بِاللَّهِ
 مِنْ سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ، وَالْأَلِيمِ عِقَابِهِ! وَبِجَانِبِ ذَلِكَ مَشْهَدُ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا،
 جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا! .

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، إِنَّهَا سَكْرَةٌ فِرَاقِ الْأَهْلِ
 وَالْمَالِ وَالْمَنْصِبِ، ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ نَجِئِدُ﴾ [ق] وَتَهْرُبُ، وَلَكِنْ لَا مَفْرَّ
 مِنَ الْمَوْتِ وَلَا مَهْرَبَ، وَمِنْ سَكْرَةِ الْمَوْتِ إِلَى وَهْلَةِ الْحَشْرِ وَهَوْلِ

(١) خَلَجَاتُ الضَّمِيرِ: وَسَاوِسُهُ وَمَا يَجِيئُ بِهِ. انظر: «اللسان» (خلج).

الْحِسَابِ ، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ [ق] ، وَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَصِيبِ يُقَالُ لَهُ : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ [ق] .

وَيَكْشِفُ السِّيَاقُ عَنِ جَانِبٍ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ [ق] ، اللَّهُ أَكْبَرُ ! يُحْضِرُ الْمَلَائِكَةَ ﴿ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِدِ ﴿٢٤﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ [ق] ؛ فَيَقْدِفُونَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ فِي جَهَنَّمَ تَبَاعًا ، فَتَفْتَتَهُمْ رُكَامًا ، ثُمَّ تُنَادَى جَهَنَّمَ : ﴿ هَلِ امْتَلَأَتْ ﴾ [ق : ٣٠] وَاکْتَفَيْتِ ؟ ! وَلَكِنَّهَا تُجِيبُ جَوَابًا يُرَوِّعُ الْقُلُوبَ وَيَهْزُؤُ النَّفُوسَ : ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ؟ ! فَيَا لَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيدٍ ، وَرُغْبٍ أَكِيدٍ ، يَبْعَثُ أَهْلَ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ عَلَى الْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الْوِقَايَةِ مِنْهَا .

وَيُقَابِلُ هَذَا الْمَشْهَدَ الْمُرْعَبَ مَشْهَدُ الْجَنَّةِ تُقَرَّبُ مِنَ الْمُتَمَيِّنِ : ﴿ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْقِيْنَ غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ حَاشَى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ [ق] .

ثُمَّ تُخْتَمُ السُّورَةُ بِتَأْكِيدِ الْقَضَايَا السَّابِقَةِ ، وَلَكِنْ بِأَسْلُوبٍ جَدِيدٍ ؛ لِيَكُونَ أَكْثَرَ وَقَعًا ، وَأَشَدَّ تَرْكِيزًا ، فِيهِ لَمَسَاتُ التَّأْرِخِ ، وَمَصَارِعُ الْهَالِكِينَ ، وَفِيهِ الْإِشَارَةُ لِبَعْضِ الْحَقَائِقِ الْكُونِيَّةِ ، وَفِيهِ التَّدْكِيرُ بِحَقِيقَةِ الْبَعْثِ وَالتُّشُورِ ،

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق].

وَبَعْدُ - يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ - هَذِهِ وَقَفَاتٌ سَرِيعَةٌ، وَنَظَرَاتٌ خَاطِفَةٌ، فِي سُورَةٍ مِنْ أَعْظَمِ سُورِ الْقُرْآنِ، فَأَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي تَعِي كَلَامَ اللَّهِ، وَتَتَدَبَّرُ آيَاتِهِ؟! أَيْنَ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٠]؟! الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ أَنْ تَكُونَ الْقُلُوبُ - وَهِيَ مُضْعَعٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ - أَفْسَى مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، وَالْحِجَارَةِ الْقَاسِيَةِ! أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]؟! فَمَا بَالُ الْقُلُوبِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - لَا تَلِينُ وَلَا تَخْشَعُ عِنْدَ سَمَاعِ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ!؟

إِنَّهَا دَعْوَةٌ إِلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا - وَلَا سِيَّمَا حَمَلَةَ كِتَابِ اللَّهِ - أَنْ يَتَدَبَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْ يَسْتَلْهِمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ، وَأَنْ يَقْفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ؛ فَتَتَحَرَّكَ بِهِ قُلُوبُهُمْ، يَجِبُ أَنْ تُرَبِّي الْأَجْيَالَ وَتُنشَأَ الْأَسْرُ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ السَّلِيمِ؛ تَأْسِيًا بِسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - بِإِخْلَاصٍ وَاحْتِسَابٍ، دُونَ تَصْنَعٍ وَتَزْلُفٍ وَاحْتِرَافٍ، وَلِيَتَّقِيَ اللَّهُ مَنْ هَضَمَ حَقَّ كِتَابِ اللَّهِ؛ فَسَاوَاهُ بغيرِهِ، وَلَا كُهُ بِلِسَانِهِ، هَذَا وَهَذَرَمَةٌ^(١)، دُونَ تَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ.

يَقُولُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَا

(١) الْهَذَرَمَةُ: السَّرْعَةُ فِي الْكَلَامِ وَالتَّخْلِيطُ فِيهِ. «النهاية» (هذرم).

تَهْدُوا الْقُرْآنَ هَذَا الشَّعْرَ^(١)، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ^(٢)، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِهِ،
وَحَرَكَوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»^(٣).

يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، أَعِيدُوا لِكِتَابِ اللَّهِ حَقَّهُ، لَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ
يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، يُكْرِّرُهَا وَيَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
حَتَّى الصَّبَاحِ!^(٤) فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذَا الْمَنْهَجِ السَّيِّدِ؟! أَمَّا الشَّارِدُونَ عَنِ
الْقُرْآنِ الْغَافِلُونَ عَنْهُ، فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ، وَلْيَعُودُوا إِلَيْهِ؛ لِيَرْتَوْوا مِنْ نَمِيرِهِ،
وَيَنْهَلُوا مِنْ مَعِينِهِ؛ فَهُوَ عِلَاجُ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ، وَجِلَاءُ صَدَائِهَا، بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَلأَبْدُ مِنَ التَّذْكِيرِ بِمَا لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ مَكَانَةٍ، وَمَا يَجِبُ عَلَى
الطُّلَّابِ وَالْمُدْرِّسِينَ، وَأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ مِنْ مَسْئُولِيَّةِ تَجَاهِ كِتَابِ اللَّهِ، تِلَاوَةً
وَتَدْبِيرًا، وَتَطْبِيقًا وَتَرْبِيَةً؛ لِيَعْمَلَ الْجَمِيعُ قَدْرَ جُهْدِهِمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ
لِكِتَابِ اللَّهِ التَّصِيبُ الْأَكْبَرُ، وَالْحِظُّ الْأَوْفَرُ مِنَ الْأَوْقَاتِ، فَفِي ذَلِكَ
الْفَضْلُ الْعَظِيمُ، وَالْخَيْرُ الْعَمِيمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) أي: لا تَهْدُوا الْقُرْآنَ هَذَا؛ فَتَسْرِعُوا فِيهِ كَمَا تَسْرِعُونَ فِي قِرَاءَةِ الشَّعْرِ! وَالْهَدُّ: سُرْعَةُ
الْقَطْعِ. «النهاية» (هذذ).

(٢) الدَّقْلُ: رَدِيءُ التَّمْرِ وَيَابِسُهُ، وَمَا لَيْسَ لَهُ اسْمٌ خَاصٌّ، فَتَرَاهُ لَيْسَهُ وَرَدَاءَتُهُ لَا
يَجْتَمِعُ، وَيَكُونُ مَنْثُورًا. «النهاية» (دقل).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢/٥٢١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٤١، ٢٠٤٢)، والبغوي
في «تفسيره» (٢٥١/٨).

(٤) انظر: «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص ١٤٤)، و«التبيان» للنووي (ص ١١٢).



اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ وَخَاصَّتِكَ، اللَّهُمَّ
ذَكَّرْنَا مِنْهُ مَا نُسِّينَا، وَعَلَّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا، وَارزُقْنَا تِلَاوَتَهُ أَنَاءَ اللَّيْلِ
وَأَطْرَافِ النَّهَارِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ
الْمَزِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمُبْدِيُّ الْمُعِيدُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ
وَخُلَاصَةُ الْعَبِيدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، وَوَقْفَةٌ آخِرَةٌ مَعَ خَوَاتِيمِ هَذِهِ السُّورَةِ
الْعَظِيمَةِ؛ حَيْثُ تُمَثَّلُ الْحَاتِمَةُ إِنْجَازًا لِمَوْضُوعَاتِ السُّورَةِ وَقَضَايَاهَا؛ مِنْ
الْبَعْثِ، وَالتُّشُورِ، وَمَرَاكِحِ الْخَلْقِ، وَمَصِيرِ الْخَلِيقَةِ، وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ،
وَالْحَضِّ عَلَى الصَّبْرِ فِي تَبْلِيغِ هَذَا الدِّينِ، كُلُّ ذَلِكَ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى.

وَتَأْتِي خَاتِمَةُ الْخِتَامِ: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق]؛
لِتُؤَكَّدَ أَنَّ التَّذْكَيرَ وَالتَّذْكَرَى - لِمَنْ يَخَافُ الْوَعِيدَ فِي الْأُخْرَى - يَتَلَخَّصُ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَهِيَ دَعْوَةٌ لِلنَّاسِ عُمُومًا، وَلِلدُّعَاةِ خُصُوصًا: أَنْ

يَكُونُ مَحْوَرُ دَعْوَتِهِمْ مُرْتَكِزًا عَلَى هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَرَبَطِ النَّاسِ بِهِ
عَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ وَفِي كُلِّ مَجَالٍ؛ فَفِيهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ رَسُولٍ أُنزِلَ عَلَيْهِ
خَيْرٌ كِتَابٍ، كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ اللَّطِيفُ الْوَهَّابُ، فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا:
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

القِسْمُ الثَّانِي

الْعُلَمَاءُ وَالْحَمَلَاءُ



الخطبة للذوي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَسْتُوبُ
إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا
مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، رَفَعَ شَأْنَ الْعِلْمِ، وَأَعْلَى قَدْرَ أَهْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
والتَّابِعِينَ، الَّذِينَ كَانُوا بِعِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ مَنَارًا لِلسَّالِكِينَ، وَقُدُوةً
لِلْعَامِلِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَتَقْوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ
سَبَبٌ مُوصِلٌ لِلْعِلْمِ الَّذِي هُوَ سَلْمٌ النَّجَاةِ، بِإِذْنِ اللَّهِ؛ قَالَ تَعَالَى:
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، أَيْ:
عِلْمًا تَفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ، وَتَفْصِلُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ^(١).

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/٥١٩)، و«تيسير الكريم الرحمن» للعلامة السعدي
(١/٢٤٣ تفسير سورة البقرة، آية: ٢٨٢).

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ: أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ، وَتُورٌ، وَفَضِيلَةٌ،
وَأَنَّ الْجَهْلَ شَرٌّ، وَبَلَاءٌ، وَرَذِيلَةٌ، وَأَنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ مَصْدَرُ الْفَضَائِلِ
وَيَنْبُوعُهَا، وَأَنَّ الْجَهْلَ مَكْمَنُ الرَّذَائِلِ وَيُورِثُهَا، وَأَنَّ الْعِلْمَ أَعْدَبُ
الْمَوَارِدِ، وَمَجْمَعُ الشُّوَارِدِ، وَأَنَّهُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ يَتَحَقَّقُ لِلْأَفْرَادِ
وَالْمُجْتَمَعَاتِ، بِنَاءُ الْأَمْجَادِ وَتَشْيِيدُ الْحَضَارَاتِ؛ كَمَا أَنَّهُ بِالْجَهْلِ
تَتَزَعَزَعُ الْأَرْكَانُ، وَيَتَصَدَّعُ عَامِرُ الْبُنْيَانِ، وَيَحُلُّ الدَّمَارُ بَيْنِي الْإِنْسَانَ؛
لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَمَّا لِلْعِلْمِ مِنْ شَرَفِ الْمَكَانَةِ، وَعَظِيمِ الْمَنْزِلَةِ، جَاءَ
دِينُنَا الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفُ بِالْحَثِّ عَلَى الْعِلْمِ، وَالرَّغْبِ فِيهِ، وَالتَّشْجِيعِ
عَلَى سُلُوكِ سَبِيلِهِ، وَأَنَّ سُلُوكَ سَبِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ طَرِيقٌ إِلَى دُخُولِ
الْجَنَّةِ، بِإِذْنِ اللَّهِ.

صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ
عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(١).

كَمَا كَانَ الْأَمْرُ بِالْقِرَاءَةِ أَوَّلَ صَيِّحَةٍ مُجَلِّجَةٍ^(٢) أَطْلَقَهَا الْإِسْلَامُ؛
تَنْوِينًا بِقِيَمَةِ الْعِلْمِ، وَسُمُوءًا بِقَدْرِهِ، وَتَكْوِينًا لِقَاعِدَةِ الْبِنَاءِ الْمَعْنَوِيِّ
فِي الْأُمَّةِ، وَتَشْيِيدًا لِصَرْحِ حَضَارَتِهَا، وَسِرًّا زِدْهَارِهَا، وَنُمُوءًا كِيَانِهَا،

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) صَيِّحَةٌ مُجَلِّجَةٌ، أَي: بَعِيدَةُ الصَّوْتِ جَهِيرَةٌ. «اللسان» و«القاموس» (جلل).

أَلَا وَهُوَ: الْعِلْمُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالْعِلْمُ بِكُلِّ مَا تَحْتَاجُهُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي مَسِيرَتِهَا؛ لِتَوَاكِبِ بِحَضَارَتِهَا عَصْرَهَا الَّذِي تَعِيشُهُ، مَعَ تَمَسُّكِهَا بِأُصُولِ عَقِيدَتِهَا، وَتَعَالِيمِ دِينِهَا.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، كَمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الْمُهِمِّ، أَلَمْ تَقْرَأُوا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ [الرعد: ١٩]، وَقَوْلَهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه]، وَقَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، وَقَوْلَهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]!؟

كَذَلِكَ كَانَ رَسُولُكُمْ ﷺ - وَهُوَ الْمُعَلِّمُ الْأَوَّلُ - قُدْوَةً حَسَنَةً فِي هَذَا الْمَجَالِ؛ فَجَاءَ فِي سُنَّتِهِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مَا يُبَيِّنُ الْمَقَامَ الْأَسْمَى فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

أَمَّا سَلْفُنَا الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَقَدْ سَطَرُوا أَنْصَعَ الصَّفَحَاتِ، وَضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي الْحِرْصِ عَلَى الْعِلْمِ، وَقَطَعُوا الْفَيَافِي وَالْقِفَارَ لِلرَّحَلَةِ فِي طَلَبِهِ؛ حَتَّى خَلَّفَ ذَلِكَ الْجُهْدُ حَضَارَةً عِلْمِيَّةً مُتَنَوِّعَةً، لَمْ يَشْهَدْ التَّارِيخُ لَهَا مَثِيلاً، وَتَبَوَّاتِ الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي

شَتَّى الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ أَوْجَ مَكَاتَتِهَا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ بِالْإِخْلَاصِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، حَيْثُ لَمْ تُدَنِّسْهُ الْأَطْمَاعُ الدُّنْيَوِيَّةُ، وَالْمَطَامِحُ الْمَادِيَّةُ، ثُمَّ بِالْمَنْهَجِ السَّلِيمِ، وَالْجِدِّ، وَالْمُثَابَرَةِ، مِمَّا يَتَطَلَّبُ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ الْيَوْمَ النَّاسِي وَالْإِقْتِدَاءَ.

أُمَّةُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، إِنَّ أَعْظَمَ بَلِيَّةٍ بُلِيَّ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ: الْجَهْلُ بِدِينِ اللَّهِ؛ فَهُوَ سَبَبُ كُلِّ مُشْكَلَةٍ، وَطَرِيقُ كُلِّ مُعْضِلَةٍ، صَاحِبُهُ إِذَا عَاشَ فَهُوَ غَيْرُ مَعْدُودٍ، وَإِذَا مَاتَ فَهُوَ غَيْرُ مَفْقُودٍ، وَمَا عَبْدٌ غَيْرُ اللَّهِ، وَمَا تَعَبَّدَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِغَيْرِ شَرَعِ اللَّهِ - مِنَ الطَّرَائِقِ وَالْأَهْوَاءِ - إِلَّا لَنَتِيجَةِ الْجَهْلِ بِجَوْهَرِ الْإِسْلَامِ، وَأُصُولِهِ السَّامِيَةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَكُلُّ شَرٍّ وَبَلَاءٍ، وَفَسَادٍ وَدَاءٍ، فِي عَقِيدَةِ الْأُمَّةِ وَعِبَادَاتِهَا، وَتَصَوُّرَاتِهَا وَأَفْكَارِهَا، وَسُلُوكِهَا وَأَخْلَاقِهَا - فَالْجَهْلُ مَصْدَرُهُ، وَالْعِيٌّ^(١) مَوْرِدُهُ، وَمَنْ أَحَبَّ نَجَاتَهُ، فَطَرِيقُ الْعِلْمِ سَلَّمَ الْوُصُولَ لَذَلِكَ، بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَأَوْلَى عِلْمٍ نُرِيدُهُ: الْعِلْمُ بِكِتَابِ اللَّهِ؛ تِلَاوَةً وَحِفْظًا، وَتَدَبُّرًا وَتَفْسِيرًا، ثُمَّ الْعِلْمُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، وَتَطْبِيقًا، وَالْعِنَايَةَ بِالْفِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ؛ فِي الْعَقِيدَةِ، وَالْعِبَادَاتِ، وَالْمُعَامَلَاتِ،

(١) الْعِيُّ: الْجَهْلُ. «النهاية» (عبي).

وَنَحْوَهَا؛ لِيَكُونَ الْمُسْلِمُ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، كَذَلِكَ الْعِلْمُ بِلُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى، الَّتِي زَهَدَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَزَاخَمُوهَا بِغَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ، وَلَا تَزَالُ تَلْقَى حَرْبًا لَا هَوَادَةَ فِيهَا؛ فِي أَسَالِبِهَا وَتَرَائِكِهَا، وَشِعْرِهَا وَنَثْرِهَا، مِنْ بَعْضِ الْحَاقِدِينَ عَلَيْهَا؛ لَكِنَّ اللَّهَ حَافِظُهَا مَا حَفِظَ دِينَهُ وَكِتَابَهُ.

هَذَا؛ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ لَفِي أَمْسٍ الْحَاجَةِ إِلَى أَنْ يَتَكَوَّنَ مِنْهُمْ أَجْيَالٌ مِلْمَةٌ بِالْعُلُومِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا الْمُسْلِمُونَ؛ كَعِلْمِ الطَّبِّ، وَالْهَنْدَسَةِ، وَالْإِقْتِصَادِ، وَسِوَاهَا مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ؛ لِيَتَسَنَّى لَهُمْ خِدْمَةُ دِينِهِمْ، وَالْإِسْتِغْنَاءُ عَنْ غَيْرِهِمْ.

وَمِمَّا يَجْدُرُ النَّوِيهُ بِشَأْنِهِ: ضَرُورَةُ تَعَلُّمِ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْعُلُومَ الْعَسْكَرِيَّةَ، وَالْآلَاتِ الْحَرْبِيَّةَ؛ لِيَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ مُوَآكِبَةِ الْعَصْرِ الَّذِي يَعِيشُونَهُ، وَلِيَتَسَنَّى لَهُمُ الدَّفَاعُ عَنْ مُقَدَّسَاتِهِمْ، وَحُرْمَاتِهِمْ، وَعَقِيدَتِهِمْ، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُعْنَى بِالْعُلُومِ الْمِهْنِيَّةِ، وَالْأَعْمَالِ الْفَنِّيَّةِ؛ لِيَكْمَلَ الْمُسْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فِيهِ نَفْعُهُمْ، وَصَلَاحُ أَحْوَالِهِمْ.

وَإِنَّمَا الْمُهْمُّ فِي كُلِّ عِلْمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ فِيهِ لِلَّهِ، وَتَسْخِيرُهُ لِخِدْمَةِ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ خِلَالِهِ.

فَلَعَلَّ أَبْنَاءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَ هَذِهِ الْأَيَّامَ لِبِدَايَةِ عَامِ دِرَاسِيٍّ
جَدِيدٍ، لَعَلَّهُمْ أَنْ يَعُوا هَذِهِ الْقَضَايَا الْمُهْمَّةَ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ الْجَلِيلَةِ .

فِيَا أَبْنَاءَ الْإِسْلَامِ، وَيَا طَلِبَةَ الْعِلْمِ، يَا مَنْ شَرَّفَكُمُ اللَّهُ بِالنَّهْلِ
مِنْ مِيرَاثِ الثُّبُوءِ، اتَّقُوا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي طَلْبِكُمْ، وَاعْتَنُوا بِالْعِلْمِ
الشَّرْعِيِّ، وَاسْلُكُوا مَنَهَجَهُ الصَّحِيحَ، وَاطْلُبُوهُ مِنْ أَهْلِهِ الْمُوثِقِينَ .

وَأَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُدْرَسُونَ - يَا مَنْ حَمَلْتُمْ أَمَانَةَ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ
لِفِلذَاتِ أَكْبَادِ الْمُسْلِمِينَ! اتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَسْئُولُونَ
عَنْهُمْ أَمَامَ اللَّهِ؛ فَكُونُوا قُدُوةً لَهُمْ وَخَيْرَ مَثَلٍ يُخْتَدَى فِي الْخُلُقِ وَالِاسْتِقَامَةِ،
وَاعْتَنُوا بِتَرْبِيَتِهِمْ تَرْبِيَةً إِسْلَامِيَّةً صَحِيحَةً؛ لِتَسِيرَ الْعَمَلِيَّةُ التَّعْلِيمِيَّةُ
وَالتَّرْبَوِيَّةُ بِخُطَا سَلِيمَةٍ، فَأَنْتُمْ مُرَبُّونَ، قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا مُلَقَّنِينَ .

أَمَّا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، مِنْ الْعُلَمَاءِ وَرَثَةِ
الْأَنْبِيَاءِ: فَإِنَّ وَاجِبَهُمْ عَظِيمٌ فِي الْبَلَاغِ وَالْيَبَانِ، وَتَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ
أُمُورَ دِينِهِمْ، وَإِعَادَةَ مَكَانَةِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَإِحْيَاءِ حَلْقِ الذِّكْرِ فِي
الْمَسَاجِدِ، وَدُورِ الْعِلْمِ؛ كَيْلَا يَقْعُوا تَحْتَ طَائِلَةِ الْكِتْمَانِ الْمُحَرَّمِ .

وَنِدَاءٌ إِلَى مَنْ أَوْثَمُوا عَلَى إِعْدَادِ الْخُطَطِ، وَرَسَمِ مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ
لِأَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَنَاتِهِمْ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ، وَيُشْبِعُوا نَهْمَهُمْ مِنْ
الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيَجْعَلُوا مَنَاهِجَهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُقْضُوا كُلَّ

مَا يَتَنَفَى مَعَ دِينِنَا، وَمُثَلِّنَا، وَمَبَادِينِنَا؛ لِتَتَحَوَّلَ الْمَدَارِسُ، وَالْمَعَاهِدُ،
وَالْجَامِعَاتُ إِلَى صُرُوحٍ خَيْرٍ وَهَدَى، وَمِيَادِينٍ تُوَجِّهُهُ وَتَرْبِيَةٌ.

وَدَعْوَةٌ إِلَى أَوْلِيَاءِ أُمُورِ الطَّلَبَةِ وَالطَّالِبَاتِ: أَنْ يَعُوا دَوْرَهُمْ
الْكَبِيرَ فِي مُتَابَعَةِ أَبْنَائِهِمْ، وَتَفْقُدِ أحوَالِهِمْ، وَإِيجَادِ الْعَلَاقَةِ الْوَطِينَةِ^(١)
بَيْنَ الْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ؛ لِئِتِمَّ التَّعَاوُنُ الْبِنَاءِ الْمُثْمِرُ؛ عِلْمًا وَعَمَلًا،
وَتَوْجِيهًا وَتَرْبِيَةً.

هَذِهِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - إِشَارَاتٌ بِسِيرَةٍ، فِي مُهِمَّةٍ عَظِيمَةٍ،
أَرْجُو أَنْ يَكُونَ طَرْحُهَا بِمُنَاسَبَةٍ بَدَأَ الْعَامَ الدَّرَاسِيَّ الْجَدِيدَ حَافِزًا
لِلْهِمَمِ، وَأَنْ يَعِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا دَوْرَهُ؛ لِئِتِمَّ لِمُجْتَمَعَاتِنَا الْمُسْلِمَةِ مَا
تَصُبُّو إِلَيْهِ مِنْ عِزَّةٍ وَمَنْعَةٍ، وَنُصْرَةٍ وَمَجْدٍ وَقُوَّةٍ.

وَاللَّهُ نَسْأَلُ أَنْ يَرْزُقَ الْجَمِيعَ الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ؛ إِنَّهُ
جَوَادٌ كَرِيمٌ؛ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) وَطَدَّ الشَّيْءَ يَطِدُّهُ، فَالشَّيْءُ مُوْطُوْدٌ وَوَوَطِدٌ: أَثْبَتَهُ وَثَقَلَهُ. «اللسان» (وطد).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي
إِلَى السَّبِيلِ الْأَقْوَمِ، صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - واعْرِفُوا لِلْعِلْمِ قَدْرَهُ، واجتهدوا ما
استطعتم تفقها في دينكم؛ «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١)،
وأسألوا أهل العلم عما أشكل عليكم، واعمروا أوقاتكم بالعلم النافع،
فليس العلم محدودًا بسنٍّ معينة، ولا مقيّدًا بمرحلة محدودة، ولا
مُنْتَهِيًا بِنيل شهادة عالية.

وَاعْلَمُوا: أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ لَا مَخْرَجَ لَكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ إِلَّا بِالتَّسْلُحِ
بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَإِذَا كَانَ الْعَالَمُ - بِحَمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ - يَشْهَدُ إِقْبَالَاً
وَصَحْوَةً، فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَجَّ هَذَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ؛ لِيُرْسِيَ قَوَاعِدَهُ،
وَيَضْبِطَ مَسَالِكَهُ، وَيَعْصِمَهُ مِنَ الانْحِرَافِ، بِإِذْنِ اللَّهِ.

كَذَلِكَ: يَجِبُ عَلَى الْقَائِمِينَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَأَعْمَالِ الْحِسْبَةِ:

(١) حديث رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)؛ من حديث معاوية، رضي الله عنه.

أَنْ يَكُونُوا عَلَى عِلْمٍ بِمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَطَرِيقَةَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ،
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ؛ حَتَّى لَا تَحْصُلَ مُجَاوِزَةٌ لِلْحِكْمَةِ، أَوْ
وُقُوعٌ فِي الْمَضَرَّةِ، النَّاتِجَانِ - غَالِبًا - عَنْ قِلَّةِ الْبِضَاعَةِ فِي الْعِلْمِ.

هَذَا؛ وَإِنَّ مِنَ الظَّوَاهِرِ الْخَطِيرَةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ: «ظَاهِرَةُ التَّعَالَمِ»،
وَادِّعَاءِ بَعْضِ النَّاسِ الْعِلْمَ وَهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ، بَلْ لَيْسُوا مِنْ أَنْصَافِ
الْمُتَعَلِّمِينَ، فَيَنْشَأُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ ﷺ،
وَمِنْ إِضْدَارِ الْفَتَاوَى، وَالنَّيْلِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُعْتَبَرِينَ، مَا يُسَبِّبُ
خَطَرًا كَبِيرًا عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَعَلَّمُوا مَا يَنْفَعُكُمْ، وَأَتَّبِعُوا الْعِلْمَ
بِالْعَمَلِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، كُلُّ ذَلِكَ بِخَطَا مُتَوَازِنَةٍ، لَا إِفْرَاطَ فِيهَا وَلَا
تَفْرِيطَ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ النَّفْعُ الْعَظِيمُ، وَالْخَيْرُ الْعَمِيمُ، بِإِذْنِ اللَّهِ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ،
النَّبِيِّ الْمُجْتَبَى، وَالرَّسُولِ الْمُصْطَفَى؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ
وَعَلَا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ، وَفَارِقِ أَهْلِ الْبَغْيِ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ،
الْمُنَزَّهِ فِي عَظِيمِ عَلَيَّهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْأَرْوَاحِ، وَمُشَاكَلَةِ الْأَشْبَاحِ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً زَاكِيَةَ الْأَرْبَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَالْحُرُمَاتُ تُسْتَبَاحُ، وَحِزْبُ الْكُفْرِ
قَدْ عَمَّ الْفِجَاجَ وَالْبَطَاحَ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُرْسِدُ إِلَى الْحَقِّ بِالْحُجَجِ الْوِضَاحِ،
وَسَمْهَرِيَّةِ^(١) الرِّمَاحِ؛ حَتَّى ظَهَرَ دِينُ اللَّهِ وَسَرَى فِي الْأَفَاقِ سَرِيَانِ الرِّيَّاحِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَزْوَاجِهِ وَمُحِبِّيهِ مَا أزالَ الظُّلْمَ
الْحَنَادِسِ^(٢) ضَوْءَ الصَّبَاحِ، صَلَاةً نَحْوَزُ بِهَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْفَلَاحِ،
وَأَسْمَى دَرَجَاتِ النَّجَاحِ، وَتَتَخَلَّصُ بِهَا مِنْ دَرَكَاتِ الْإِثْمِ وَالْجُنَاحِ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ، اتَّقُوهُ

(١) السَّمْهَرِيَّةُ: القَنَاةُ الصُّلْبِيَّةُ. «اللسان» (سَمَهْر).

(٢) الْحَنَادِسُ: جَمْعُ حِنْدِسٍ، وَهِيَ: الظُّلْمَةُ. «اللسان» (حنديس).

جَلَّ وَعَلَا حَقَّ التَّقْوَى؛ فَلَيْسَ لَكُمْ بغيرِ التَّقْوَى حَبْلٌ يَقْوَى، وَلَا أَمَلٌ يَتَّقَى.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، مِنْ أَعْظَمِ مَقاصِدِ شَرِيعَتِنَا الْغَرَاءِ، حِفْظُهَا لِلدِّينِ الْمُكَلَّفِينَ، وَذَلِكَ مِنْ جِهَتَيْنِ - كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «جِهَةٌ وَجُودِيَّةٌ: تَكْفُلُ إِجَادَهُ وَتَكْوِينَهُ، وَجِهَةٌ عَدَمِيَّةٌ: تَكْفُلُ حِفْظَهُ وَصِيَانَتَهُ»^(١).

وَمِنَ الْمُسْلِمِ لَدَى أَهْلِ الْإِيمَانِ الْحَقِّ، أَنَّ مَصْدَرَ تَلَقِّي الْمُسْلِمِ لِدِينِهِ: عَقِيدَةٌ، وَعِبَادَةٌ، وَمُعَامَلَةٌ، وَسُلُوكًا؛ تَحْلِيلًا، وَتَحْرِيمًا؛ تَحَاكُمًا، وَتَحْكِيمًا، إِنَّمَا هُوَ: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَكَمَا أَنَّ اللهُ وَحْدَهُ الْخَلْقُ وَالتَّدْبِيرُ، فَلَهُ - جَلَّ وَعَلَا - الْأَمْرُ وَالتَّهْيِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف].

وَقَدْ حَدَّثَ سُبْحَانَهُ مِنَ التَّلَقِّي عَنْ غَيْرِ هَذَا الْمَصْدَرِ الثَّرَّ^(٢)؛ فَقَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ [الشورى: ٢١].

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، كَمْ تَرْتَعِدُ الْفَرَائِصُ، وَتَوَجَّلُ الْقُلُوبُ، وَتَرَى قَسَمَاتِ الْإِسْتِنكَارِ فِي الْوُجُوهِ؛ إِذَا حُدِّرَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الشُّرْكِ وَالْقَتْلِ،

(١) «الموافقات» للشاطبي (١٨/٢) بتصرف يسير.

(٢) الثر: الغزير. «اللسان» (ثرر).

وَالرَّبَّ وَالزَّيْنَى، وَنَحْوَهَا مِنَ الْكَبَائِرِ؛ لِأَنَّهَا مَعَانٍ لَا تَهْتَلُّ لَهَا سُبْحَاتٌ
الْوَجُوهُ^(١)؛ إِذْ هِيَ ذُنُوبٌ تُوَعَّدُ اللَّهُ عَلَيْهَا وَعَيْنِدًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
وَلَمَّا لَهَا مِنَ الْآثَارِ الْحَطِيرَةِ فِي تَقْوِيضِ حَيَاةِ الْأُمَّةِ، وَإِيرَادِهَا مَوَارِدَ الْعَطْبِ
وَالهَلَاكِ، وَلَا غَرَوْ؛ فَالْمَعَاصِي وَسَائِلُ هَدْمٍ وَتَدْمِيرٍ، لَكِنَّهَا أَنْوَاعٌ وَدَرَكَاتٌ.

إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فَهَلْ تَعْلَمُونَ مَا هُوَ أخطرُ مِنْ ذَلِكَ
كُلُّهُ؛ بَلْ مَا هُوَ أَصْلٌ لِلشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ، وَأَسَاسٌ لِلْبِدْعِ وَالْعِصْيَانِ؛ مَا هُوَ
أَعْلَى وَأَنْكى مِنْهَا وَمِنْ جَمِيعِ الْفَوَاحِشِ وَالْآثَامِ، وَالْجَرَائِمِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ؟!
إِنَّهُ أَصْلُ الْجَرَائِمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، ذَلِكَ هُوَ: «الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ».

يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ
وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف].

فَانظُرُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - كَيْفَ قَرَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِلاَ عِلْمٍ،
بِالشُّرْكِ بِهِ وَالْبَغْيِ، وَالْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ؟! بَلْ لَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتُ
الْأَرْبَعُ مُرْتَبَةً عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِ الشَّدَّةِ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ التَّعْلِي، فَأَهْوئُهَا
أَوَّلُهَا، وَأخطرُهَا آخِرُهَا، وَلَا عَجَبَ؛ فَمَا الشُّرْكَ بِاللَّهِ إِلَّا ضَرْبٌ مِنَ الْقَوْلِ
عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

(١) سُبْحَاتُ الْوَجُوهِ: أَضْوَاؤُهُ وَمَحَاسِنُهُ، جَمْعٌ: سُبْحَةٌ. «النهاية» (سبح).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللهُ - عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾: «أَي: مِنَ الْإِفْتِرَاءِ وَالْكَذِبِ؛ مِنْ دَعْوَى أَنْ لَهُ وَلَدًا وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ»^(١).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، إِنَّ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ حَقُّ لِلَّهِ وَحَدُّهُ؛ فَالْحَلَالَ مَا أَحَلَّهُ اللهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَهُ اللهُ، وَلَقَدْ أَنْكَرَ سُبْحَانَهُ عَلَى أَقْوَامٍ جَعَلُوا مَصْدَرَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ مِنْ قِبَلِ أَهْوَائِهِمْ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتِكُمْ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفِرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٤﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ [التَّحْلِ]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا مَا ظَنُّوا أَنَّ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [يونس].

وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْجِنَايَاتِ أَنْ يَتَّصِدَرَ الْمَرْءُ لِلْخَوْضِ فِي دِينِ اللَّهِ تَحْرِيمًا وَتَحْلِيلًا، مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَلَا بَصِيرَةٍ، وَهَذَا - مَعَ كَوْنِهِ جِنَايَةً عَظْمَى - فِيهِ سُوءُ آدَبٍ مَعَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَيْثُ يَتَّقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَيَقُولُ فِي دِينِهِ وَشَرِيْعَتِهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَتِلْكَ - وَاللَّهِ - أَمَارَةٌ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَقِلَّةِ

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤٠٩/٣).

الدِّيَانَةِ، بَلْ وَنَقْصِ الْعَقْلِ وَالْمُرُوءَةِ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، لَقَدْ رَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَمِنْ بَعْدِهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ -
رَحِمَهُمُ اللَّهُ - الْمَسْلَكَ الْوَضَاءَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْخَطِيرَةِ، دِيَانَةً وَوَرَعًا
وَتَشَبُّهًا:

فَهَذَا أَعْلَمُ الْأُمَّةِ وَإِمَامُهَا ﷺ يُسْأَلُ عَمَّا لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ فِيهِ وَحْيٌ،
فَيَنْتَظِرُ حَتَّى يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَآيَاتٌ ﴿﴾ ﴿﴾ يَسْأَلُونَكَ ﴿﴾ فِي الْكِتَابِ
الْعَزِيزِ غَيْرِ قَلِيلَةٍ.

وَهَكَذَا كَانَ الْأَجْلَاءُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

فَهَذَا أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: «أَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ
تُقَلِّنِي؛ إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟!»^(١)، وَهَا هُوَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - تَنْزِلُ بِهِ الْحَادِثَةَ، فَيَجْمَعُ لَهَا أَكَابِرَ الصَّحَابَةِ، وَيَسْتَشِيرُهُمْ فِيهَا؛ قَالَ
ابْنُ سِيرِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبِيِّ أَهْيَبَ لِمَا لَا يَعْلَمُ
مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ أَهْيَبَ لِمَا لَا يَعْلَمُ مِنْ عُمَرَ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٣٧٥)، والطبري في «تفسيره» (٥٨/١)،
وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٥٦١).

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٥٥٥)، وانظر: «صحيح مسلم»
(١٧٠٦)، و«تاريخ الطبري» (٣/٤٨٠، ٤٨١)، (٥٧/٤).

مَا يَسْأَلُونَهُ لِمَجْنُونٌ» (١).

وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ سُئِلَ مِنْكُمْ عَنْ عِلْمٍ هُوَ عِنْدَهُ، فَلْيَقُلْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ؛ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ» (٢).

وَرَحِمَ اللَّهُ الْإِمَامَ الشَّعْبِيَّ حِينَمَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: إِنَّا نَسْتَحْيِي لَكَ مِنْ كَثْرَةِ مَا تُسْأَلُ فَتَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ: «لَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَسْتَحْيِ حِينَ قَالَتْ: ﴿سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]» (٣).

وَكَانَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ يَقُولُ: «(لَا أَدْرِي) نِصْفُ الْعِلْمِ» (٤).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «إِذَا أَخْطَأَ الْعَالِمُ (لَا أَدْرِي)، فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ» (٥).

وَفِي تَدَاوُعِ الْفَتْوَى، وَذَمِّ الْمُسَارَعَةِ إِلَيْهَا يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أَدْرَكْتُ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا كَانَ مِنْهُمْ مُحَدِّثٌ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَحَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ، وَلَا مُفْتٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ

(١) رواه الدارمي (١٧٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٢٠٦).

(٢) رواه أحمد (٤٣١/١)، والبخاري (٤٨٠٩)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٣) رواه الخطيب في «الفيح والتمتفه» (١١٢٣).

(٤) أورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨٥/٥).

(٥) انظر: «أخلاق العلماء» للأجري (ص ١١٥)، و«جامع بيان العلم» (١٥٨٠)، و«الفيح والتمتفه» (١١١٣، ١١١٢).

أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا» (١) .

وَهَذَا إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقْدَمُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ مَسَافَةٍ
بَعِيدَةٍ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، فَيَجِيبُ عَنْ أَرْبَعٍ مِنْهَا، وَيَقُولُ فِي
سِتٍّ وَثَلَاثِينَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّجُلُ: أَنْتَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، إِلَيْكَ
تُضْرَبُ أَكْبَادُ الْإِبِلِ، وَإِلَيْكَ الرَّحْلَةُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ، وَتَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ! مَاذَا
أَقُولُ لِأَهْلِ بَلَدِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَيْهِمْ؟ قَالَ: تَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّ مَالِكًا يَقُولُ: اللَّهُ
أَعْلَمُ!» (٢) .

وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَثِيرًا مَا يُسْأَلُ، فَيَتَوَقَّفُ، أَوْ
يَقُولُ: لَا أَذْرِي، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ (٣) .

وَقَالَ سُخْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أَجْرُ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ
عِلْمًا؛ يَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ الْبَابُ الْوَاحِدُ مِنَ الْعِلْمِ، يَظُنُّ أَنَّ الْحَقَّ كُلَّهُ فِيهِ!» (٤) .

وَقَالَ بَشْرُ الْحَافِي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ
أَنْ يُسْأَلَ» (٥) .

(١) رواه الدارمي (١٣٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢١٩٩) .

(٢) انظر: «التمهيد» (٧٣/١)، و«ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٨١/١) .

(٣) رواه الخطيب في «الفييه والمتفقه» (١١٢٦) .

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٢١١) .

(٥) رواه الخطيب في «الفييه والمتفقه» (١٠٨٤) .

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - : «قَلَّ مَنْ حَرَصَ عَلَى
الْفَتْوَى، وَسَابَقَ إِلَيْهَا، وَتَابَرَ عَلَيْهَا - إِلَّا قَلَّ تَوْفِيقُهُ، وَاضْطَرَبَ فِي أَمْرِهِ،
وَإِذَا كَانَ كَارِهَاً لِذَلِكَ، غَيْرَ مُخْتَارٍ لَهُ، وَمَا وَجَدَ مَنْدُوحَةَ^(١) عَنْهُ، وَقَدَّرَ أَنْ
يُحِيلَ بِالْأَمْرِ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ - كَانَتِ الْمَعُونَةُ لَهُ مِنْ اللَّهِ أَكْثَرَ، وَالصَّلَاحُ فِي
فِتَاوِيهِ وَجَوَابِهِ أَغْلَبَ»^(٢).

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ - مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِمْ،
وَعَظِيمِ مَكَانَتِهِمْ - يَسْأَلُونَ مَسَالِكَ التَّوَرُّعِ وَالتَّسَبُّتِ، فَكَيْفَ هِيَ الْحَالُ
الآن؟! اللهُ الْمُسْتَعَانُ!

وَعَنْ مَالِكٍ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَجُلٌ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَبِيعَةَ، فَوَجَدَهُ
يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَمْصِيئَةٌ دَخَلَتْ عَلَيْكَ؟! وَارْتَاعَ لِبُكَائِهِ، فَقَالَ:
لَا، وَلَكِنْ اسْتَفْتَيْتَنِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَظَهَرَ فِي الْإِسْلَامِ أَمْرٌ عَظِيمٌ!»، قَالَ
رَبِيعَةُ: «وَلَبَعْضُ مَنْ يُفْتِي هَلْهُنَا أَحَقُّ بِالْحَبْسِ مِنَ الشَّرَاقِ».

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «فَكَيْفَ لَوْ رَأَى رَبِيعَةُ زَمَانَنَا؟!»^(٣).

قُلْتُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَى هَذَا الْعَالِمُ عَصْرَنَا?!

(١) مندوحة، أي: سعة وفسحة. «النهاية» و«اللسان» (ندح).

(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/٣٥٠).

(٣) انظر: «أدب الفتوى» لابن الصلاح (ص ٣٥).

وفي الصحيح، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا»^(١).

وكم رأى الغيور نزلآء في حلاب العلم والمعرفة، وهم ليسوا منهم في شيء؟! ديدنهم الجرأة على الفتوى، والتجاسر على التحليل والتحریم^(٢)، يتكلمون بما لا يعلمون، ويجملون ولا يفصلون، ويهرفون^(٣) ويسفسطون^(٤)، وهم من أجهل الناس في أحكام الشريعة، إذا سمعت أحدهم يتكلم، فكأنما ينزل عليه وحى؛ من جزمه فيما يقول وعدم تورعه، ولربما نسب ما يراه إلى الإسلام، ترى أحدهم يجيب في عظيم المسائل، مما لو عرض على عمر، لجمع له أهل بدر، وكم يتملكك العجب وأنت تسمع عبارات التعظيم لذواتهم، والتعالي في نفوسهم، قاموسهم: رأينا كذا، ترجيحنا، اختيارنا، والذي نراه، ونحن، وهلم جراً.

(١) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) أي: الجراءة في الإقدام عليهما. «اللسان» (جسر).

(٣) يهرفون، أي: يمدحون بلا خبرة، ومنه المثل: «لا تهرف، بما لا تعرف» أي: لا تمدح قبل التجربة. انظر: «النهاية» و«اللسان» (هرف).

(٤) يسفسطون: أي: يستعملون السفسطة في كلامهم، والسفسطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته. «التعريفات» (ص ١٨١).

يَقُولُونَ هَذَا عِنْدَنَا غَيْرُ جَائِزٍ وَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ عِنْدُ؟!

وَمَا عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْجُرْأَةَ عَلَى الْفَتْوَى جُرْأَةٌ عَلَى النَّارِ، وَأَنَّ
التَّجَاسُرَ عَلَيْهَا أَفْتِحَامٌ لِحِرَائِمِهَا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! بَلْ لَقَدْ وَصَلَ الْحَالُ
بِبَعْضِ الْعَوَامِّ إِلَى أَنْ يُفْتِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَصْبَحَ الْحَدِيثُ فِي عُلُومِ
الشَّرِيعَةِ بِضَاعَةً كُلِّ مُتَعَالِمٍ مَأْفُونٍ^(١)، حَتَّى سَامُوا بِأَعَةِ الْبُقُولِ عَدَدًا،
وَتَكَلَّمَ بَعْضُ الرُّؤُوبِضَةِ^(٢)، وَاسْتَطَالُوا عَلَى مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ، وَمَقَامَاتِ
الْعُظَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، وَعَمَدُوا إِلَى أُمُورٍ مِنَ الثَّوَابِتِ وَالْمَبَادِيءِ، وَجَعَلُوهَا
عُرْضَةً لِلتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، بِدَعْوَى تَغْيِيرِ الْفَتْوَى بِتَغْيِيرِ الزَّمَانِ، وَوُجِدَ مَنْ
يَتَنَصَّلُ^(٣) مِنَ الْفَتْوَى بِأُمُورٍ جَاءَ تَحْرِيمُهَا مِمَّا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ،
وَكَثُرَ التَّحَايُلُ عَلَى الشَّرِيعَةِ.

وَطَالَبَ بَعْضُ مُتَقِنِي الْعَصْرِ بِالتَّرْخِيصِ؛ لِيَتَقَلَّتْ مِنَ الْأَحْكَامِ؛
فَطَالَبَ بَعْضُهُمْ بِإِعَادَةِ النَّظَرِ فِي حُرْمَةِ الرِّبَا، أَوْ بَعْضِ صُورِهِ، وَآخَرُونَ
بِالتَّجَاسُرِ عَلَى حِجَابِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَهَكَذَا فِي سَائِلِ مِنَ التَّلَاعِبِ بِأُمُورِ
الشَّرِيعَةِ، وَعَمَدَتْ بَعْضُ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَقَنَوَاتِهِ الْمَسْمُوعَةِ وَالْمَقْرُوءَةِ

(١) رَجُلٌ أَفِينٌ، وَمَأْفُونٌ، أَي: نَاقِصُ الْعَقْلِ. «اللسان» (أفن).

(٢) الرُّؤُوبِضَةُ: تَصْغِيرُ الرِّابِضَةِ، وَهُوَ الْعَاجِزُ الَّذِي رِيضٌ عَنِ مَعَالِي الْأُمُورِ، وَقَعْدٌ عَنِ
طَلِبِهَا، وَزِيَادَةُ النَّاءِ لِلْمَبَالِغَةِ. «النَّهْيَةُ» (ريض).

(٣) تَنَصَّلَ فَلَانٌ مِنْ كَذَا، أَي: تَبَرَأَ مِنْهُ. «اللسان» (نصل).

والمَرِيَّةِ، إِلَى إِثَارَةِ قَضَايَا كُلِّيَّةٍ مِنَ الدِّينِ مَعَ بَعْضِ الْمُتَعَالِمِينَ مِمَّنْ :
يُمْدُون لِلِإِفْتَاءِ بَاعًا قَصِيرَةً وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الْفِتَاوَى يُكَذِّلُكَ^(١)
فَالْوَيْلُ لِكُلِّ مَنْ ارْتَقَى هَذَا الْمُرْتَقَى الصَّعْبَ، فَأَضَلَّ فِتَامًا مِنَ الْأُمَّةِ،
مِمَّنْ سَيَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ وَأَوْزَارًا مَعَ أَوْزَارِهِمْ، ﴿وَلَيْسَتُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا
كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت].

وَأَنَّ الْوَاجِبَ - حِمَايَةَ لِبَيْضَةِ الْإِسْلَامِ، وَدِفَاعًا عَنِ أَحْكَامِهِ وَتَشْرِيعَاتِهِ -
أَنْ يُحْجَرَ عَلَى كُلِّ مُتَكَلِّمٍ فِي الشَّرِيعَةِ - تَحْلِيلًا وَتَحْرِيمًا - وَهُوَ لَا يُحْسِنُ؛
فَالْحَجْرُ^(٢) لَا اسْتِصْلَاحَ الْأَدْيَانِ أَوْلَى مِنَ الْحَجْرِ لِاسْتِصْلَاحِ الْأَمْوَالِ
وَالْأَبْدَانِ، وَالغَيْرَةُ عَلَى الشَّرِيعَةِ مِنَ الْمَكَارِمِ؛ وَهِيَ أَوْلَى مِنَ الْغَيْرَةِ عَلَى
الْمَحَارِمِ، وَوَاللَّهُ إِنَّهُ لَيَحْرُمُ عَلَى مَنْ لَا يَهْتَدِي لِلدَّلَالَةِ الْقُرْآنَ، وَلَا يَعْرِفُ
السُّنَّةَ وَالْآثَارَ، أَنْ يَتَسَنَّمَ سُدَّةَ الْعِلْمِ، وَيَتَصَدَّرَ فِي مَجَالِ الْإِفْتَاءِ، وَقَدْ قِيلَ
لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «إِذَا كَثُرَ الْمَلَّاحُونَ»^(٣)،
عَرَفَتِ السَّفِينَةُ»^(٤).

وَلْيَعْلَمْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ بِكَلَامِهِمْ فِي الشَّرِيعَةِ إِنَّمَا يُوقَعُونَ عَنْ رَبِّ

- (١) البيت ذكره ابن القيم في «إعلام الموقعين»، ويكذلك، أي: يقول: كذلك قال فلان؛ بدون دليل من كتاب أو سنة. انظر: «إعلام الموقعين» (٤/٢٠٨).
(٢) الحَجْرُ: المنع من التصرف. «النهاية» (حجر).
(٣) المَلَّاحُونَ: جمع مَلَّاح، وهو السَّفَّان الذي يوجِّه السفينة. «تاج العروس» (ملح).
(٤) «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» (ص ٥٦٠).

العَالَمِينَ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الْفِتَاوَى نَارٌ تَضْطَرِمُ، وَكَمْ تَسْمَعُ مِنْ فِتَاوَى لَا
 زِمَامَ لَهَا وَلَا خِطَامَ، تُبْنَى عَلَى التَّجْرِي لآ عَلَى التَّحْرِي^(١)، لَا تَقُومُ عَلَى
 قَدَمِ الْحَقِّ، فَتُعْنِتُ الْحَلْقَ، وَتُشْجِي الْحَلْقَ^(٢)، وَحَقٌّ لِهَؤُلَاءِ أَنْ تَسْلَمَ
 الْأُمَّةُ مِنْ لَأْوَائِهِمْ^(٣)، وَتَحْذَرَ مِنْ غُلُوائِهِمْ^(٤).

وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفٌ مِنْ أَنْاسٍ فَقُلْ يَا رَبِّ لَا تُرْغِمِ سِوَاهَا^(٥)

رَوَى ابْنُ سِيرِينَ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ لِأَبِي
 مَسْعُودِ الْبَدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «أُنْبِتْ أُنْكَ تُفْتِي، وَلَسْتَ بِأَمِيرٍ؛ فَوَلَّ
 حَارَّهَا، مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا»^(٦) (٧).

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي «السِّيَرِ»: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
 لِلْإِمَامِ أَنْ يَمْنَعَ مَنْ يُفْتِي بِلَا إِذْنٍ»^(٨).

- (١) أي: أن أصحابها من المتجرتين على الحق، لا من المتحررين له.
- (٢) أشجاء الشيء: أغصنه، وأشجاء العظم: إذا عرّض في حلقه. «اللسان» (شجو).
- (٣) اللأواء: المشقة والشدة. «اللسان» (لأي).
- (٤) الغلواء بالضم، وفتح اللام: الغلو. «اللسان» (غلو).
- (٥) البيت ذكره ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٤/٢٠٨).
- (٦) من أمثالهم: «وَلَّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا»؛ يضرّبونه في وضع الشيء موضعه الذي يستحقه، وأراد عمر - رضي الله عنه - هنا: ولَّ شرها من تولى خيرها. انظر: «النهاية» و«اللسان» (قرر)، و«مجمع الأمثال» (٢/٣٦٩).
- (٧) رواه الدارمي (١٧٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٠٦٤).
- (٨) «سير أعلام النبلاء» (٢/٤٩٥).

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ، بِسَنَدِهِ، عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - «أَنَّهُ سَمِعَ مُنَادِيًا فِي الْمَدِينَةِ يُنَادِي: أَنْ لَا يُفْتِيَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِوَى مَالِكٍ» (١).

وَلِذَا فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَقُومَ بِهَذَا الْعَمَلِ الْمُؤَهِّلُونَ دُونَ الْمُتَعَالِمِينَ، وَالْأَصْلَاءُ دُونَ الدُّخَلَاءِ؛ حِفْظًا لِدِينِ الْأُمَّةِ، وَتَوْحِيدًا لِكَلِمَتِهَا، وَضَبْطًا لِمَسَالِكِهَا وَمَنَاهِجِهَا؛ لِتَكُونَ مَبْنِيَّةً عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَبِذَلِكَ تَسَلَّمَ الْأُمَّةُ مِنْ غَوَائِلِ (٢) الْمِحَنِ، وَبَوَاعِثِ الْفِتَنِ، وَتُوجَدُ الْعَوَاصِمُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنْ قَوَاصِمِ الْجَرِيمَةِ الشَّنِيعَةِ، وَهِيَ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وَاللَّهُ الْمَسْتَوَّلُ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الزَّلَلِ، وَيَحْفَظَنَا مِنَ الشَّرِّ وَالْخَطَلِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا نَافِعَ الْعِلْمِ وَصَالِحَ الْعَمَلِ، فَهَذَا هُوَ عَظِيمُ الرَّجَاءِ وَكَبِيرُ الْأَمَلِ. بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ، وَنَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ، وَرَزَقَنَا اتِّبَاعَ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى مِنْ وَلَدِ عَدْنَانَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ كُلِّ ضُرُوبِ الذُّنُوبِ وَالْعِصْيَانِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) «تاريخ بغداد» (٤٣٦/١٠).

(٢) الغوائل: جمع غائلة، وهي الداهية. «اللسان» (غول).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
وَالْتَدْبِيرِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
التَّصِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ التَّذِيرُ، وَالسَّرَاجُ
الْمُنِيرُ، هُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ لَبَنَةٌ خِتَامِهِمْ، وَلِلرُّسُلِ مِنْكَ تَمَامِهِمْ، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ الثُّجَبَاءِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَافْتَقَى.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]،
وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ
ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِذَا التُّمِسْتَ أَسْبَابُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَهِيَ: الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّ أَهْمَهَا: ضَعْفُ الْوَازِعِ، وَقِلَّةُ الرَّدَاعِ، وَالتَّقْصِيرُ فِي التَّقْوَى
وَالإِيمَانِ، وَالْوُقُوعُ فِي مُخَالَفَةِ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ، وَعَدَمُ الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ
فِي التَّلَقِّيِّ وَالتَّحْصِيلِ؛ إِضَافَةً إِلَى دَاءِ الشُّهْرَةِ وَحُبِّ الظُّهُورِ، وَاسْتِشْرَاءِ
التَّعَالِمِ الْمَذْمُومِ، وَقُعُودِ الْأَكْفَاءِ عَنِ الْبَلَغِ وَالْبَيَانِ، وَلَا يَمْنَعَنَّ بَعْضَ

المُؤَهَّلِينَ وَرَعٌ كَاذِبٌ، وَتَثَبْتُ بَارِدٌ، مِنْ تَبْلِيغِ مَا يَعْلَمُ مِنْ دِينِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -
فَلَا تَنَافِي بَيْنَ التَّثَبُّتِ مِمَّا لَا يَعْلَمُ، وَتَبْلِيغِ مَا يَعْلَمُ.

وَعِلَاجُ هَذَا الدَّاءِ: بِتَقْوِيَةِ الْإِيمَانِ، وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ فِي التُّفُوسِ،
وَالسِّيَرِ عَلَى الْمُنْهَجِ الصَّحِيحِ فِي التَّعَلُّمِ، وَالْأَخْذِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالرَّدِّ
إِلَيْهِمْ لِلْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ
مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، لِأَسِيْمَا فِي الْمُعْضَلَاتِ.

وَمِنْ صُورِ الْعِلَاجِ: الْقِرَاءَةُ فِي سِيرِ الْأَسْلَافِ، وَالتَّحَلِّي بِأَدَبِ
الْخِلَافِ، وَالتَّوَاضُّعِ الْجَمِّ، وَالْوَرَعِ الصَّادِقِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ:
إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ، وَسُؤَالُهُ التَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيدَ، سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا
عَلَّمْتَنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

هَذَا؛ وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا
عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَحَقُّهَا بِشَفَاعَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ: كَثْرَةُ
صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَيْهِ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا
كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

* * *

القِسْمُ الثَّلَاثُ

العقيدة



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِصِحَّةِ الْاِعْتِقَادِ، وَطَهَّرَ قُلُوبَنَا مِنْ اَدْرَانِ الشِّرْكِ وَالْوَثْنِيَّةِ وَالْاِلْحَادِ، وَاَنْقَذَنَا مِنْ دَرَكَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالشَّرِّ وَالْفَسَادِ، اَحْمَدُهُ تَعَالَى وَاَشْكُرُهُ، وَاَتُوبُ اِلَيْهِ وَاَسْتَغْفِرُهُ، جَلَّ عَنِ الْاَنْدَادِ، وَتَنَزَّ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْاَوْلَادِ، وَتَعَالَى عَنِ مُشَابَهَةِ الْعِبَادِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مِّنْ عِلْمِ مَعْنَاهَا، وَعَمَلٍ بِمُقْتَضَاهَا، وَحَقَّقَ الْمُرَادَ، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْمُوَحِّدِينَ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ، وَالشَّافِعُ الْمُسْفَعُ يَوْمَ الْمَعَادِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَمْجَادِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبُّكُمْ وَاَعْبُدُوهُ، وَأَطِيعُوهُ - تَعَالَى - وَوَحِّدُوهُ؛ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ لَكُمْ سِوَاهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ الْإِيَّاهُ، إِنْ أَرَدْتُمْ دُخُولَ الْجَنَّةِ، وَرَمْتُمْ رِضَا الرَّحْمَنِ، وَطَلَبْتُمْ السَّلَامَةَ مِنَ النَّيِّرَانِ - فَعَلَيْكُمْ بِتَوْحِيدِ الْمَلِكِ الدِّيَّانِ، وَسَلَامَةِ الْعَقِيدَةِ مِنَ الْأَدْرَانِ، وَتَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْإِيمَانِ.

خَرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ
 لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ، دَخَلَ النَّارَ» (١).

عِبَادَ اللَّهِ، الْقَضِيَّةُ الْأُمُّ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَهْتَمَّ بِهَا الدُّعَاةُ وَالْعُلَمَاءُ،
 وَالْمُصَلِّحُونَ وَالخُطَبَاءُ، هِيَ: الْقَضِيَّةُ الَّتِي عُنِيَ بِهَا الْمُرْسَلُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ،
 إِنَّهَا قَضِيَّةُ الْقَضَايَا بِاتِّفَاقٍ، وَأَهَمُّ الْقَضَايَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، إِنَّهَا أَسَاسُ الْمِلَّةِ،
 وَأَصْلُ الدِّينِ، وَقَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ، مِنْ أَجْلِهَا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَمِنْ أَجْلِهَا
 أَنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَجُرِدَتِ السُّيُوفُ، مِنْ أَجْلِهَا حَصَلَ الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ، وَالْمَنْعُ
 وَالْعَطَاءُ، وَالْحُبُّ وَالْعَدَاءُ، وَانْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٍ فِي الْجَنَّةِ،
 وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُوَحِّدُونَ، وَفَرِيقٍ فِي السَّعِيرِ، وَهُمْ الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ،
 تَلَكُمُ - أَيُّهَا الْمُوَحِّدُونَ - «قَضِيَّةُ الْعَقِيدَةِ» بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بِرُبُوبِيَّتِهِ،
 وَالْوَهْبِيَّةِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

أَيُّهَا الْمُوَحِّدُونَ، يَا حَمَلَةَ الْعَقِيدَةِ، وَيَا حُرَّاسَ الْمِلَّةِ، تُدْرِكُونَ -
 يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ مِنْ لُوثَاتِ الشَّرِكِ
 وَالْوَثْنِيَّةِ (٢)، وَالْمُنَزَّهَةِ عَنِ أَدْرَانِ الضَّلَالِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَيْثَمَا تُمَعْنُونَ
 النَّظَرَ، وَتَقْرَأُونَ التَّارِيخَ، وَتَتَأَمَّلُونَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ قَبْلَ مَبْعَثِ الرَّحْمَةِ

(١) «صحيح مسلم» (٩٣).

(٢) أي: حماقات الشرك والوثنية، جمع لوثة، وهي الحماسة. «القاموس» (لوث).

المُهَدَاةِ بَيْنَنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

يَا أَهْلَ الْعَقِيدَةِ، وَيَا حَمَلَةَ التَّوْحِيدِ، كَمَا تُدْرِكُونَ - أَيْضًا - نِعْمَةَ
اللهِ بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَأَنْتُمْ تَعِيشُونَ فِي هَذَا الزَّمَنِ، زَمَنِ الْفِتَنِ
وَالْإِنْفِتَاحِ؛ حَيْثُ تَوَافَدَتْ مَنَاهِجُ وَاتِّجَاهَاتُ، وَنَشَأَتْ أَفْكَارٌ وَجَمَاعَاتُ،
وَتَبَايَنَتِ الْمَوَاقِفُ وَالْمَذَاهِبُ، وَتَعَدَّدَتِ الْفِرْقُ وَالْمَشَارِبُ، وَأَقْبَلَتْ كَسِيلُ
جَارِفٍ، وَأَشْرَأَتِ الْفِتْنُ بِأَعْنَاقِهَا، وَتَوَافَدَتْ بِلَا زَمَامٍ وَلَا خِطَامٍ، حَتَّى
أَلْفَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَهِيَ مُخَالَفَةٌ لِمَا عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ
اللهُ - اتَّخَذَتِ الْإِسْلَامَ شِعَارًا لَهَا دُونَ أَنْ تَنْبِيَهُ عَلَى قَوَاعِدِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَنَادَتْ طَوَائِفُ بِالْإِسْلَامِ تَحْتَ مِظَلَّاتِ سِيَاسِيَّةٍ، فَانْخَدَعَ بِهَا كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ لِإِشْبَاعِهَا عَنَاصِرَ مُعَيَّنَةً فِي النُّفُوسِ، وَاعْتَنَتِ فِتْنًا بِقَضَايَا
فِكْرِيَّةٍ وَوَأَقِيعِيَّةٍ، فَلَقِيَتْ قَبُولًا وَرَوَاجًا، وَأَقْوَامٌ فِي قَضَايَا زُهْدِيَّةٍ وَوَعْظِيَّةٍ،
دُونَ عِنَايَةِ بِتَأْصِيلَاتِ عَقْدِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ، وَوَصَلَ الْيَأْسُ إِلَى بَعْضِ النَّاسِ؛
فَاتَّخَذُوا الْعُنْفَ طَرِيقًا وَمَنْهَجًا، وَالتَّكْفِيرَ مَطِيَّةً وَمَسْلَكًا، وَلَا تَسْأَلُ عَنْ
أَحْوَالِ الطَّرِيقَةِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَالْمُبْتَدِعَةِ الْجَاهِلَةِ.

أَفَلَيْسَ حَقًّا عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَنْ يَتَفَطَّنُوا، فَلَا يَقَعُوا فِي رِبْقَةٍ^(١)
أَفْكَارٍ ضَالَّةٍ، وَلَا فِي شِرَاكِ عَقَائِدَ مُلَوَّنَةٍ تَلَطَّخَتْ بِأَوْضَارِ الضَّلَالَةِ^(٢)،

(١) الرِّبْقَةُ: عُزُوةٌ فِي حَبْلِ تَجْعَلُ فِي عُنُقِ الْبَهِيمَةِ أَوْ يَدَاهَا تَمْسُكُهَا. «اللسان» (ربق).

(٢) أَي: بِأَدْرَانِ الضَّلَالَةِ وَأَوْسَاحِهَا، جَمْعٌ: وَضْرٍ. «اللسان» (وضر).

وَكَرَعَتْ^(١) فِي مِيَاهِ الْخُرَافَةِ؛ حَتَّى لَا يَنْطَفِئَ نُورُ إِيمَانِهِمْ، وَتَذْبُلَ زَهْرَةٌ
تَوْحِيدِهِمْ؟!^(٢)

إِحْوَةَ الْعَقِيدَةِ، لَقَدْ أَقْبَلَتِ الْفِتْنُ وَتَتَايَعَتْ^(٣)، وَتَعَدَّدَتْ وَتَكَاثَرَتْ،
وَأَشَدُّهَا فِتْنًا وَأَعْظَمُهَا ضَرَرًا: فِتْنُ الْقُلُوبِ بِالشُّبُهَاتِ الْمُضِلَّةِ عَنِ الْحَقِّ،
وَفِتْنُ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ الْمُنتَشِرَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ، فَصَدَّتْ كَثِيرِينَ عَنِ تَحْقِيقِ
تَوْحِيدِهِمْ لِه، فَتَجِدُ طَوَائِفَ مِنَ النَّاسِ ظَنُّوا التَّوْحِيدَ لِه يَعْنِي: أَنْ لَا خَالِقَ
إِلَّا لِه، وَلَا رَازِقَ إِلَّا لِه - فَحَسْبُ - وَكَأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى يَقُولُونَ
بِتَعَدُّدِ الْخَالِقِينَ، وَالرَّازِقِينَ! .

وَإِذَا تَدَبَّرْتَ أَحْوَالَ أَوْلِيكَ، وَجَدْتَ خُضُوعَهُمْ عِنْدَ الْقُبُورِ وَأَيْنِيَّتَهَا،
وَعِنْدَ الْأَضْرِحَةِ وَقَبَائِبِهَا، أَعْظَمَ مِنْ خُضُوعِهِمْ لِه - عِيَاذًا بِاللِه! - يَسْأَلُونَهَا
رَفَعَ الدَّرَجَاتِ، وَدَفَعَ الْكُرْبَاتِ، وَقَضَاءَ الْحَاجَاتِ، وَشِفَاءَ الْمَرْضَى،
وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُبَلِّغُهُمْ أَسْمَى الْمَطَالِبِ، وَأَرْفَعَ الْمَرَاتِبِ، وَتُحَقِّقُ لَهُمْ
قَضَاءَ الْمَآرِبِ، وَبَذَلَ الْمَوَاهِبِ، وَالْأَمْنَ مِنَ الْمَعَاطِبِ، وَكَأَنَّ لِه تَبَارَكَ
وَتَعَالَى قَدْ أَغْلَقَ أَبْوَابَهُ دُونَ حَاجَاتِ خَلْقِهِ؛ تَعَالَى لِه عَمَّا يَقُولُونَ

(١) يقال: كَرَعَ فِي الْمَاءِ يَكْرَعُ كَرْوَعًا: تَنَاوَلَهُ بِفِيهِ. «اللسان» (كرع).

(٢) يقال: ذَبَلُ النَّبَاتُ وَالْإِنْسَانُ، يَذْبُلُ: ذَقَّ بَعْدَ الرَّيِّ؛ فَهُوَ ذَابِلٌ؛ وَكَذَلِكَ ذَبَلُ،
بِالضَّم. «اللسان» (ذبل)، وَتَذْبُلُ زَهْرَةٌ تَوْحِيدِهِمْ: كِنَايَةٌ عَنِ ضَعْفِ تَوْحِيدِهِمْ.

(٣) تَتَايَعَتْ، أَي: أَسْرَعَتْ فِي الشَّرِّ. «القاموس» (تيع).



وَيَفْعَلُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا!

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، حِينَ يَضْعَفُ التَّوْحِيدُ تُحِبُّ الْقُلُوبُ التَّعْظِيمَ
وَالْتَمَجِيدَ، فَلَا تَجِدُ سَلْوَتَهَا إِلَّا عِنْدَ تَقْيِيلِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ، وَالْإِنْجَاءِ
وَالْتَمَسْحِ بِالثِّيَابِ، وَالطَّرْقِ قَدِيمَةً سَابِلَةً^(١)، وَرُؤُودَهَا كَثِيرٌ، وَدُعَائُهَا جَمٌّ
غَفِيرٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، التَّوْحِيدُ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - عَلَيْهِ

رَحْمَةُ اللَّهِ -:

حَقُّ الْإِلَهِ عِبَادَةٌ بِالْأَمْرِ لَا بِهِوَى النَّفْسِ فَذَاكَ لِلشَّيْطَانِ
مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ بِهِ شَيْئًا هُمَا سَبَبًا النَّجَاةِ فَحَبَدَا السَّبَبَانَ^(٢)

* * *

لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ الْإِلَهِ وَنَارِهِ إِلَّا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَضْلَانِ
وَالنَّاسُ بَعْدُ فَمُشْرِكٌ بِالْهِهِ أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ^(٣)

* * *

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ^(٤)

(١) طريق سابلة: مسلوكة. «اللسان» (سبل).

(٢) «النونية» (٢٥٠).

(٣) «النونية» (٣٥).

(٤) «النونية» (٢١٩).

أُمَّةَ التَّوْحِيدِ، وَتَعْظُمُ الْعِنَايَةُ بِقَضِيَّةِ التَّوْحِيدِ حِينَمَا يَجْهَلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَفْهُومَهُ، وَيُخْطِئُونَ فِي تَطْبِيقِهِ؛ فَالتَّوْحِيدُ لَيْسَ مُجَرَّدَ الْمَعْرِفَةِ^(١)، وَلَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى التَّصَدِيقِ بِالْقُلُوبِ فَحَسْبُ^(٢)، أَيْنَ التَّوْحِيدِ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَذَا الْكَوْنَ مُصَرَّفًا، وَلِهَذَا الْعَالَمِ مُدَبَّرًا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى؟! حَتَّى شِرْكُ الرُّبُوبِيَّةِ وَجَدَ فِي عَصْرِ الْعَجَائِبِ مَنْ يَقَعُ فِيهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ! أَمَا الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، فَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ! وَأَجَلِ النَّظَرَ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، تَرِ الْعَجَبَ الْعَجَابَ.

وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ يَجِبُ أَنْ يُعْنَى بِهَا عَوَامُّ النَّاسِ فَضْلًا عَنْ خَوَاصِّهِمْ، أَيْنَ نَصِيبُ الْعَقِيدَةِ مِنْ مَنَاهِجِ الدَّعْوَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي السَّاحَةِ؟! إِنَّ الْغِيُورَ لَيَنْظُرُ إِلَى الْعَالَمِ مِنْ حَوْلِهِ وَيَتَسَاءَلُ: كَمْ يَبْدُلُ أَهْلَ الْحَقِّ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ الَّذِي مَعَهُمْ؟! إِنَّ الصَّرَاعَاتِ الْعَالَمِيَّةَ تَنْطَلِقُ مِنْ مُنْطَلَقَاتِ عَقَدِيَّةِ:

فَهَوْلَاءِ الْيَهُودِ فِي فِلَسْطِينَ وَغَيْرِهَا يَعْمَلُونَ لِلْقَضَاءِ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَإِقَامَةِ دَوْلَةٍ تَوْرَاتِهِمُ الْمُحَرَّفَةِ، وَتَلْمُودِهِمُ الْمَرْعُومِ.

وَهَوْلَاءِ الصَّبِيلِيِّينَ يَعْمَلُونَ لِخِدْمَةِ أَنَا جِيلِهِمُ الْبَاطِلَةِ، وَمَا أَعْمَالُهُمْ فِي يُوغُسْلَافِيَا، وَفِي الْقَارَةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى الْإِمْعَانِ وَالْكِيدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

(١) كما يقوله الجهم بن صفوان، ومن اتبعه. انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٦٠-٤٦٢، ٧٩٦).

(٢) كما يقوله أبو منصور الماتريدي ومن تابعه. انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٥٩-٤٦٢).

وَهَؤُلَاءِ الْوَثَنِيُّونَ فِي كَشْمِيرَ، وَفِي بِلَادِ الْهِنْدِ وَغَيْرِهَا، يَعْمَلُونَ لِحُدْمَةِ
وَتَبِيئِهِمْ، وَالْهَيْهَاتُ الْمَرْعُومَةِ، وَهَؤُلَاءِ الْقُبُورِيُّونَ... وَهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

ثُمَّ يُعِينُ الْغَيُورُ الطَّرْفَ ثَانِيَةً إِلَى أَوْضَاعِ أُمَّتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَيَرَى
الْعَجَبَ الْعُجَابَ مِنَ التَّفَرُّقِ الْمَقِيَّتِ، وَالْعَقِيدَةِ وَاحِدَةً!

لِمَاذَا لَا تَجْتَمِعُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى مَنْهَجِ سَلَفِهَا الصَّالِحِ، وَتَطْرَحُ
الْأَهْوَاءَ وَالطَّرِيقَ الْمُخَالَفَةَ لَهَا؟! أَهِيَ التَّعَصُّبُ لِلْأَشْخَاصِ وَالْبِقَاعِ، أَمْ مَاذَا؟!
يَجِبُ أَلَّا تُؤَثَّرَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْمُؤَثِّرَاتُ، وَأَلَّا نَنْطَلِقَ مِنْ هَذِهِ النَّظَرَاتِ؛ فَالْعِبْرَةُ
بِصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ مَهْمَا اخْتَلَفَتِ الْأَجْنَاسُ وَالْأَلْوَانُ، وَتَبَايَنَتِ الْقَبَائِلُ وَالْبُلْدَانُ،
يَنْبَغِي التَّدْقِيقُ فِي كُلِّ مَا يُشَاعُ وَيُدَاعُ، فَالْحَقُّ ظَاهِرٌ، وَالْعِبْرَةُ بِالْحَقَائِقِ
وَالْمُسَمِّيَّاتِ، لَا بِالْأَسْمَاءِ وَالشَّكْلِيَّاتِ، يَجِبُ التَّرْكِيزُ عَلَى تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ،
وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَنَحْنُ نَرَى حَرْبًا عَقْدِيَّةً شَعْوَاءَ لَا هَوَادَةَ فِيهَا،
وَفِي الْمُقَابِلِ نَجِدُ مِنْ بَعْضِ أَبْنَاءِ الْعَقِيدَةِ تَمِيْعًا وَانْهَزَامِيَّةً، وَذَلَالًا وَتَبَعِيَّةً.

يَجِبُ أَنْ تُؤْخَذَ الْعَقِيدَةُ كُلِّيَّةً مِنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ
وَلَقَدْ ضَلَّ أَقْوَامٌ فِي بَعْضِ أَبْوَابِ الْعَقِيدَةِ؛ فَأَنَاسٌ فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ،
وَآخَرُونَ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَفِتْنَةٌ فِي بَابِ الْبَيْعَةِ وَالْإِمَامَةِ، وَالسَّمْعِ
وَالطَّاعَةِ لَوْلَاةِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِتْنَامٌ^(١) رَأَوْا أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْعَقِيدَةِ

(١) الفتنام: الجماعة من الناس. «القاموس» (فأم).

والتَّوَكُّيْزِ عَلَيْهَا يُفَرِّقُ الكَلِمَةَ، وَيُبَعِّثُ الصَّفَّ، وَيُضْعِفُ الوَحْدَةَ، وَتِلْكَ مُغَالَطَةٌ مَكْشُوفَةٌ، فَهَلِ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْأَصْلِ الْأَصِيلِ، وَيَحَارِبُ كُلَّ مُعْتَقِدٍ وَمَشْرَبٍ دَخِيلٍ، هُوَ الَّذِي يُشْهَرُ سِلَاحَ الفُرْقَةِ، أَوْ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴿[الأنعام: ١٥٩].

وَتَفَرَّقُوا شِيَعًا فَكُلُّ قَبِيلَةٍ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْبَرٌ

فَالْعَقِيدَةُ تُجْمَعُ، وَالْأَهْوَاءُ تُفَرَّقُ، وَالْعَقِيدَةُ تُوَحَّدُ، وَالْمَشَارِبُ تُسْتَتُّ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَضِيقُ صَدْرَهُ، وَتَشْمِئُ نَفْسُهُ! حِينَمَا تُذَكَّرُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ، وَيَقُولُ: إِنَّ الشُّرْكَ رُفِعَ عَنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَرَى أَنَّ الْإِهْتِمَامَ بِقَضَايَا أُخْرَى أَوْلَى مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَتِلْكَ شَنْشَنَةٌ^(١) مَعْرُوفَةٌ، وَيُخْشَى أَنْ يُشْبِهَ قَوْلَ هَذَا مَنْ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ التَّوَكُّيْزَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ هُوَ - وَاللهُ - عَيْنُ الْمَحَبَّةِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فِي أَنْ يَسِيرُوا عَلَى الْجَادَةِ وَيَقُوزُوا بِالْجَنَّةِ، لَا تَعْصَبًا وَلَا إِقْلِيمِيَّةً، فَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وَنَحْنُ فِي وَقْتِ التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ؛ فَلَا يَنْفَعُ التَّغَاضِي وَالتَّلْفِيقُ.

إِنَّ حَقًّا عَلَى أَهْلِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ أَنْ يَبْذُلُوا قُصَارَى جُهُودِهِمْ

(١) الشَّنْشَنَةُ: الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ. «اللِّسَانُ» (شَنَّ).

لِلدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَالتَّمَسُّكِ بِهَا، وَتَنْشِئَةِ الْأَجْيَالِ عَلَيْهَا.

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَقْبِلُوا عَلَى عَقِيدَتِكُمْ تَعْلَمًا وَتَعْلِيمًا، وَدَعْوَةً وَتَطْبِيقًا، خُذُوهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَلَا تَقْبَلُوا فِيهِمْ قَدَحَ الْمُضِلِّينَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَشَدَّ أَعْدَائِنَا نَفُودًا: مَنْ حَالَ دُونَنَا وَدُونَ عَقِيدَتِنَا؛ مَصْدَرِ عَزَّنَا وَنَصْرِنَا وَقُوَّتِنَا، وَاصْبِرُوا عَلَى مَا يُبِثُّ مِنَ الشَّائِعَاتِ ضِدَّكُمْ؛ فَهِيَ - وَاللَّهِ - أَوْهَى مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ.

وَيَا مَنْ شَطَّ بِهِ الْمَزَارُ عَنْ تَوْحِيدِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَعَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ! أَقْبِلْ أَقْبِلْ؛ فَالتَّوْحِيدُ يَسَعُ الْجَمِيعَ، وَالسُّنَّةُ يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مَنْ أَحَبَّ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَاتَّبَعَ هُدَاهُ، وَحَذَارِ مِنَ الْهَوَىٰ وَأَهْلِ الْهَوَىٰ، فَهُمْ دُعَاةُ النَّارِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَتَصَافَرَ جُهُودُنَا لِخِدْمَةِ عَقِيدَتِنَا؛ فَكُلُّ أَبِي وَأُمِّ مُطَالِبٍ بَأَنْ يُنْشِئَ جِيلًا مُوَحَّدًا سَلِيمًا مِنَ الْمُؤَثَّرَاتِ الشَّرِكِيَّةِ، وَالْمُمَارَسَاتِ الْبِدْعِيَّةِ، وَيُلْقِنَهُ مِنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ تَوْحِيدَ اللَّهِ، وَيَصِلَهُ بِخَالِقِهِ، وَيَعْلَمَهُ أَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَعَلَى الْأُمَّ أَنْ تُرْضِعَ وَلِيدَهَا الْعَقِيدَةَ وَالْإِيمَانَ، مَعَ اللَّبَنِ وَالْحَنَانِ.

وَعَلَى الْمُدْرَسِيِّينَ، أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي نَشْءِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَيُرْتُوهُمْ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَدَارِسُ الْمُسْلِمِينَ قِلَاعَ إِيمَانٍ

وَحُصُونِ عَقِيدَةَ .

وَعَلَى الْمَسْئُولِينَ عَنْ إِعْدَادِ الْمَنَاهِجِ ، وَوَضْعِ الْخُطَطِ وَالْبَرَامِجِ :
أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَلَا يُزَاحِمُوا الْعَقِيدَةَ بِغَيْرِهَا مِنَ الْمَنَاهِجِ ،
وَلْيُرَبِّطُوا الْعُلُومَ الْأُخْرَى بِهَذَا الْأَصْلِ الْأَصِيلِ ، وَيَمْنَعُوا كُلَّ مَا يُخَالِفُهُ
حَتَّى لَا تَقَعَ الْأُمَّةُ فِي اِزْدَوَاجِيَّةٍ مَمْقُوتَةٍ ، وَيُصَابَ النَّشْءُ بِاضْطِرَابِ
وَتَنَاقُضٍ ، بِذَلِكَ تَتَصَدَّى الْأُمَّةُ لِلْحَرْبِ الشَّعْوَاءِ ، وَالهُجُومِ الْمَاكِرِ ، وَالتَّحْدِي
السَّافِرِ ، ضِدَّ عَقِيدَتِهَا وَتَوْحِيدِهَا .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسُ الْمُنِيرِ ﴾ [النور] .

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَأَنْ يُبَيِّنَنَا وَإِيَّاكُمْ
بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا التَّمَسُّكَ بِتَوْحِيدِهِ ،
عَلَيْهِ نَحْيًا وَعَلَيْهِ نَمُوتُ ، وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ يَوْمَ الدِّينِ ، وَأَنْ يُعِينَنَا وَالْمُسْلِمِينَ
مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَخْيَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، يَكْفِي أَصْحَابَ الْعَقِيدَةِ شَرَفًا اقْتِفَاؤُهُمْ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتِلْكَ مَنْقَبَةٌ^(١) لَوْ عَقَلَهَا الْمُتَحَدِّقُونَ^(٢) بِدَعْوَى الْمَحَبَّةِ، لَعَلِمُوا أَنَّهُمْ فِي مَنْأَى عَنْ صِدْقِ هَذِهِ الدَّعْوَى.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُوَحَّدُونَ، إِنَّ قَضِيَّةَ التَّوْحِيدِ قَضِيَّةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَشْتَغَلَ بِهَا كُلُّ مُسْلِمٍ؛ فَيَذُودَ عَنْهَا وَيُجَاهِدَ، وَيَقْرَأَ وَيَتَعَلَّمَ، وَيَعْمَلُ وَيَدْعُو

(١) الْمَنْقَبَةُ: ضِدُّ الْمَثَلَةِ، وَهِيَ الْمَفْخَرَةُ وَالْفِعْلُ الْكَرِيمُ. «تاج العروس» (نقب).

(٢) الْمُتَحَدِّقُ: الْمُتَكَيِّسُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَزِدَادَ عَلَى قَدْرِهِ. «اللسان» (حذلق).

وَيُطَبَّقَ، وَإِنَّ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَهْتَمُّوا بِهَا، وَيَعْتَنُوا بِهَا غَايَةَ الْعِنَايَةِ،
وَأَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهَا؛ كَيْلًا يُشْغَلَ الْعَامَّةُ وَالشَّبَابُ إِلَّا بِقَضَايَا تَعْنِيهِمْ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ - وَإِنْ جَازَ الْخِلَافُ فِي فُرُوعِ الْمَسَائِلِ الْفِقْهِيَّةِ - فَإِنَّ
الْعَقِيدَةَ أَسْمَى أَنْ يَسُوغَ فِيهَا خِلَافٌ؛ فَالْوَاجِبُ الْاجْتِمَاعُ عَلَى مَا كَانَتْ
عَلَيْهِ الْقُرُونُ الثَّلَاثَةُ الْمُفَضَّلَةُ، وَسَارَ عَلَيْهِ سَلْفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَعَبْرُ خَافٍ عَلَيْكُمْ أَنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - قَدْ اخْتَضَتْ وَاعْتَنَتْ
الدُّعْوَةَ السَّلْفِيَّةَ الصَّحِيحَةَ: قِيَادَةً وَشُعْبًا، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا: حُكُومَةٌ
وَعُلَمَاءُ وَعَامَّةٌ، وَذَلِكَ مِنْ نُصْرَةِ اللَّهِ لِدِينِهِ؛ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَوَحِّدُوا رَبَّكُمْ، وَالتَّزِمُوا عَقِيدَتَكُمْ وَنَهَجَ
سَلْفِكُمْ، وَخُذُوا الْعَقِيدَةَ مِنْ أَهْلِهَا الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ تَسَلِّمَ حَيَاتِكُمْ،
وَتَسَعَّدُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ،
وَسَدَّ ذَرَائِعَ الشُّرْكِ وَأَبْطَلَ التَّنِيدَ، نَبِيَّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ
بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا؛ أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا وَتَدْبِيرًا، وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَسْتَهْدِيهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَمْ يَزَلْ عَلَيَّا كَبِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، وَمُجَدِّدُ الْحَنِيفِيَّةِ، وَرَافِعُ لُؤَاءِ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَمُحَطِّمُ كِيَانِ الْوَيْبِيَّةِ، أَرْسَلَهُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِيرًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا، وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهَا خَيْرُ ذَخِيرٍ يُدْخَرُ، وَرَاقِبَةٌ - سُبْحَانَهُ - فِي كُلِّ أَمْرِكُمْ، مَا بَطَّنَ مِنْهَا وَمَا ظَهَرَ.

عِبَادَ اللَّهِ، الْكُلُّ يُدْرِكُ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَى الْمَاءِ وَالغِذَاءِ، وَالشَّمْسِ

والهَوَاءِ، وَالكِسَاءِ وَالذَّوَاءِ، وَلَكِنْ يَا عِبَادَ اللَّهِ: أَتَدْرُونَ مَا هُوَ الْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ ذَلِكَ هُوَ مَا لَا غِنَى لِلنَّاسِ عَنْهُ أَبَدًا، فَلَا تَسْتَفِيمُ أُمُورَهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ أَحْوَالُهُمْ إِلَّا بِهِ، الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ، وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ حَاجَةٍ، إِنَّهُ الْغِذَاءُ وَالكِسَاءُ، وَالذَّوَاءُ الْحَقِيقِيُّ؛ بِحَيْثُ إِنْ فَقَدَهُ النَّاسُ، خَسِرُوا دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - ذَلِكَ هُوَ الْإِيْمَانُ وَالْعَقِيْدَةُ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَسُلُوكًا وَمِنْهَا حَيَاةٌ.

وَإِنَّهُ لَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَي هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَنْ هَدَاهَا لِلدِّينِ الْحَقِّ، فَاجْتَبَى لَهَا مِنَ الْعَقَائِدِ أَصْحَحَهَا وَأَنْقَاهَا، وَمِنَ الْمَنَاهِجِ أَكْمَلَهَا وَأَسْمَاهَا، وَمِنَ الْعِبَادَاتِ أَيْسَرَهَا وَأَصْفَاهَا، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَشْرَفَهَا وَأَزْكَاهَا.

نَعَمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، يَا حَمَلَةَ الْعَقِيْدَةِ، وَحُرَّاسَ الْمِلَّةِ، إِنَّ أَهَمَّ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ: أَنَّهَا أُمَّةٌ عَقِيْدَةٌ؛ فَهِيَ السِّرُّ الْأَكْبَرُ فِي قُوَّةِ شَخْصِيَّتِهَا، وَبِنَاءِ حَضَارَتِهَا، وَالْإِكْسِيرُ الْأَعْظَمُ فِي أَمْجَادِهَا، وَتَعَاقِبِ انْتِصَارَاتِهَا.

وَإِنَّهُ عَلَي مَرِّ الْعُصُورِ، وَكَرِّ الدُّهُورِ، تَبَقَى قَضَايَا الْعَقِيْدَةِ، وَيَجِبُ أَنْ تَبَقَى هِيَ الْأَصْلُ وَالْأَهَمُّ، وَالْقَاعِدَةُ وَالْأَسَاسُ لِكُلِّ اهْتِمَامَاتِ الْمُسْلِمِ؛ عِلْمًا وَعَمَلًا وَدَعْوَةً، لِأَسِيْمَا فِي الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخَّرَةِ؛ حَيْثُ كَثُرَتِ الْمُغْرِبَاتُ وَالْمُتَعَيِّرَاتُ، وَعَمَّتِ الشَّهَوَاتُ وَالشُّبُهَاتُ، وَعَظُمَتِ الْهَجَمَاتُ وَالتَّحَدِّيَاتُ، وَاشْتَدَّتِ الْكُرُوبُ وَالْأَزْمَاتُ.



لِأَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ التَّسَلُّحِ بِسِلَاحِ الْعَقِيدَةِ، فَلَيْسَ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ قُوَّةٌ تُضَاهِي قُوَّتَهَا - أَوْ حَتَّى تُقَارِبَهَا - فِي ضَمَانِ اسْتِقَامَةِ
 الْأَفْرَادِ، وَاسْتِقْرَارِ الْمُجْتَمَعَاتِ؛ إِنَّهَا صِمَامُ الْأَمَانِ، وَطَوْقُ النَّجَاةِ، وَإِنَّ
 الْحَيَاةَ بِدُونِ عَقِيدَةٍ ضَيَاعٌ وَفَوْضَى، فَرَاغٌ فِي النَّفْسِ، وَخَوَاءٌ فِي الرُّوحِ،
 وَإِزْرَاءٌ بِالْعَقْلِ، وَإِسْفَافٌ^(١) فِي شَتَى نَوَاحِي الْحَيَاةِ، وَإِعْرَاقٌ فِي لُجَجِ
 الْأَوْهَامِ وَالْأَبَاطِيلِ، ثُمَّ نَهَايَةٌ بَائِسَةٌ، وَخَاتِمَةٌ سَيِّئَةٌ، يَعْقُبُهَا شَقَاءٌ أَبَدِيٌّ،
 وَعَذَابٌ سَرْمَدِيٌّ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ، وَالْيَمِّ عِقَابِهِ!

أُمَّةٌ لِإِسْلَامٍ: مَا أَحْوَجَنَا إِلَى الْجِيلِ الْمُتَسَلِّحِ بِالْعَقِيدَةِ، يَعِيشُونَ
 بِهَا وَلَهَا، هِيَ نَبْرَاسُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَمِمِّزَانُهُمْ فِي الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ،
 وَشِعَارُهُمْ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَدُسْتُورُهُمْ فِي التَّرْبِيَةِ وَالْإِصْلَاحِ، يَنْفُونَ
 عَنْهَا تَحْرِيفَ الْغَالِيْنَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِيْنَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِيْنَ، وَإِنَّ
 مَسْئُولِيَّةَ الْأَبْوَيْنِ وَالْأُسْرَةِ، وَدُورِ الْعِلْمِ، وَقَنَوَاتِ التَّوَجِيهِ، وَرُؤَادِ التَّرْبِيَةِ
 وَالِدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ فِي ذَلِكَ - لَكَبِيرَةٌ، وَإِنَّ أَمَانَتَهُمْ لِعَظِيمَةٌ، يَجِبُ أَنْ تَبْرُزَ
 فِي مَيْدَانِ الْبِنَاءِ لِكُلِّ مَا هُوَ حَقٌّ وَخَيْرٌ، وَالتَّقْوِيضِ لِكُلِّ مَا هُوَ بَاطِلٌ وَشَرٌّ.

وَإِنَّ أَوَّلَ لَبِنَةٍ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُنْصَبَةً
 عَلَى الْعَقِيدَةِ، تَنْقِيَّةٌ وَتَقْوِيَّةٌ، تَخْلِيَّةٌ وَتَصْفِيَّةٌ، وَإِنَّ أخطرَ قَضيةٍ يَجِبُ أَنْ

(١) الإسفاف: طلب الأمور الدنيئة؛ وفعله: أسف. «القاموس» (سفف).

يُبَادِرُ لَهَا بِالْعِلَاجِ هِيَ: قَضِيَّةُ الْإِشْرَاقِ وَالْوَيْتِيَّةِ، بِكُلِّ مَظَاهِرِهَا وَصُورِهَا؛ فَكَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ أَكْثَرُ الْفَرَائِضِ، وَأَوْجَبُ الْوَاجِبَاتِ؛ فَالشُّرْكُ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، وَأَعْظَمُ الْمُحَرَّمَاتِ، أَجْمَعَتِ الشَّرَائِعُ، وَاتَّفَقَتِ دَعَوَاتُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ: عَلَىٰ إِتْكَارِهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ، إِنَّ ارْتِبَاطَ الْمُسْلِمِ بِعَقِيدَتِهِ وَثِيقٌ، وَاتِّصَالُهُ بِهَا مُحْكَمٌ دَقِيقٌ، يَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَأَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ، فِي سَرَائِهِ وَضَرَائِهِ، فِي شِدَّتِهِ وَرَخَائِهِ، فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، بَلْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا وَمَمَاتُهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِنْ سَأَلَ سَأَلَ اللَّهَ، وَإِنْ صَلَّى وَحَجَّ وَنَذَرَ وَذَبَحَ فَلِلَّهِ، إِنْ اسْتَعَانَ أَوْ اسْتَعَاثَ فَبِاللَّهِ وَحُدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لَا مُعْوَلَ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ، وَتَحْقِيقِ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ- إِلَّا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

تِلْكَ هِيَ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ: تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ وَالْجَنَانِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ؛ فَهِيَ: لَيْسَتْ عُلُومًا كَلَامِيَّةً مُنْفَصِمَةً عَنِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَلَا مَوْجَاتٍ عَاطِفِيَّةٍ، وَتَصْدِيقَاتٍ وَجْدَانِيَّةٍ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا هِيَ: قُوَّةٌ رُوحِيَّةٌ، عِلْمِيَّةٌ وَعَمَلِيَّةٌ، وَتَطْبِيقٌ وَاقِعِيٌّ، وَتَفَاعُلٌ حَيَوِيٌّ، تَتَطَّلَعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْمَثَلِ الْعُلْيَا، وَتَسْمُوبُهُ إِلَى الْآفَاقِ الْعُظْمَى.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ، لَا بَدَّ مِنَ الْاسْتِيقَانِ أَنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ الْآمِنَةَ، وَالْعَيْشَةَ

السَّعِيدَةَ الرَّاضِيَةَ، لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ قَالَ عَزَّوَجَلَّ:
 ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً
 وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ:
 ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٧﴾﴾
 [الأنعام]، وَمَا يَحْصُلُ مِنْ بَلَاءٍ وَخَوْفٍ وَرُغْبٍ، وَإِخْلَالٍ بِأَمْنِ الْأُمَّةِ
 وَأَفْرَادِهَا؛ إِنَّمَا مَرَدُّهُ إِلَىٰ ضَعْفِ الْإِيمَانِ أَوْ فَقْدَانِهِ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ؛ ﴿فَلَنْ
 نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ هِيَ: زَادُ الْعَبْدِ وَحَصِيلَتُهُ
 الَّتِي يَخْرُجُ بِهَا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْهَا يَتَرْتَّبُ مَصِيرُهُ فِي الْآخِرَةِ؛ أَخْرَجَ
 الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ
 وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ»^(١)؛ يَرْجِعُ الْأَهْلُ وَالْأَقْرَبُونَ،
 وَالْأَصْحَابُ وَالْبَنُونَ، وَتَعُودُ الْأَمْوَالُ الطَّائِلَةُ، وَالْقُصُورُ الشَّامِخَةُ،
 وَالْمَرَائِبُ الْفَارِهَةُ، وَالْمَنَاظِرُ الْفَاخِرَةُ - وَقَدْ تَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً عَلَىٰ
 أَصْحَابِهَا - وَيَبْقَىٰ مَعَ الْعَبْدِ فِي الْحُفْرَةِ الضَّيِّقَةِ وَاحِدٌ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ، ذَلِكَ
 هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ!

(١) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

فَالْعَمَلُ - يَاعِبَادَ اللَّهِ - هُوَ صَاحِبُ الْإِنْسَانِ فِي قَبْرِهِ؛ يُنَعَّمُ بِهِ إِنْ كَانَ صَالِحًا، وَيُعَذَّبُ بِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَأْتِي صَاحِبَهُ فِي الْقَبْرِ بِصُورَةِ رَجُلٍ حَسَنِ الْوَجْهِ، حَسَنِ الثِّيَابِ، طَيِّبِ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، فَيَقُولُ الْمَيِّتُ: مَنْ أَنْتَ؟! فَوَجْهُكَ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، وَأَمَّا الْعَمَلُ السَّيِّئُ، فَيَأْتِي صَاحِبَهُ فِي الْقَبْرِ بِصُورَةِ رَجُلٍ قَبِيحِ الْوَجْهِ، قَبِيحِ الثِّيَابِ، مُتَنِنِ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟! فَوَجْهُكَ الَّذِي يَحِيءُ بِالْشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ^(١).

فَأَيْنَ النَّاسُ الْيَوْمَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَرِ؟! وَإِنَّ الْمُتَمَامِلَ فِي وَاقِعِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعُودُ جَرِيحَ الْفَوَادِ، حَزِينَ النَّفْسِ؛ لِمَا يَرَى مِنْ تَفَاقُمِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَانْتِشَارِهَا فِي مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَهَذِهِ ضُرُوبُ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ، وَالْبِدْعِ فِي الدِّينِ، وَهَذِهِ كِبَائِرُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي تُجْتَرَحُ مِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ هَذَا الْقَتْلُ، وَالزَّنى، وَالرِّبَا، وَالسَّرِقَاتُ، وَالظُّلْمُ، وَالْمُسْكِرَاتُ، وَالْمُخَدَّرَاتُ، وَإِضَاعَةُ الْجُمُعِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَالْعُكُوفُ عَلَى الْمُلْهِيَاتِ وَالْمُعْزِيَاتِ، وَهَذَا التَّبَرُّجُ وَالسُّفُورُ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ، وَإِبْدَاءُ

(١) سيأتي مطولاً (ص ٥٦٢-٥٦٥).

الزَّيْنَةَ وَالِاخْتِلَاطَ ، مَوْجُودٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - وَاعْمَلُوا صَالِحًا ؛ فَقَدْ نَدَبَكُمْ رَبُّكُمْ -
تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِأَسَالِبِ مُتَعَدِّدَةٍ :
فِتَاةٌ ؛ بِالْأَمْرِ الصَّرِيحِ .

وَأُخْرَى ؛ بِذِكْرِ مَصِيرِ أَهْلِهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَحَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا .
وَتَاةٌ ؛ بِتَعْلِيْقِ الْجَزَاءِ بِهِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴾ [الصَّافَات] .

وَتَاةٌ ؛ يُخْبِرُنَا سُبْحَانَهُ بِاطِّلَاعِهِ عَلَى أَعْمَالِنَا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى :
﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون] .

وَأُخْرَى ؛ يُخْبِرُنَا بِأَنَّهُ وَكَلَّ بِنَا حَفِظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَنَا .
وَتَاةٌ ؛ يُخْبِرُنَا أَنَّنَا قَادِمُونَ عَلَيْهِ ؛ فَجَدُّ مَا عَمَلْنَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَرَاهُ
وَنَقْرُوهُ ؛ ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْرِئًا فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَشْورًا ﴾ [١٣] أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ [الإسراء] .

وَتَاةٌ ؛ يُخْبِرُنَا أَنَّ عَمَلَ الْإِنْسَانِ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ ؛ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت : ٤٦] . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسَالِبِ
الْمُتَنَاهِرَةِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَهِيَ جَلِيَّةٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ كِتَابَ اللَّهِ .

فَعَلَيْكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِالتَّزُودِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، مَا دُمْتُمْ فِي زَمَنِ
الْفُسْحَةِ وَالِإِمْهَالِ ، وَاحْذَرُوا مَا يُعَوِّقُكُمْ عَنِ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ ؛ كَالنَّفْسِ

الأمارة بالسوء، والشيطان الرجيم، وأعوانه من الجن والإنس، وأهوائهم
 وشبهاتهم وأمانيهم، والدنيا الدنية وشهواتها، وتوبوا إلى ربكم توبة
 نصوحاً، وداوموا على الأعمال الصالحة، وإياكم والإعراض بعد الإقبال،
 والغفلة بعد الطاعة، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر].

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
 الْحَكِيمِ، وَأَجِرْنَا - يَا مَوْلَانَا - مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَثَبَّتْنَا عَلَى الصِّرَاطِ
 الْمُسْتَقِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
 فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ يَغْفِرْ لَكُمْ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ يَتُبْ عَلَيْكُمْ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، ﴿ أَنْتُمْ وَاللَّهُ حَقُّ تَقَالِيهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران].
إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنْ وَالَى أَوْقَاتِ الْفَضَائِلِ،
وَمَوَاسِمِ الْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ؛ لِتَكُونَ فُرْصَةً لِلطَّائِعِينَ؛ لِيَتَزَوَّدُوا مِنَ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ، وَفُرْصَةً لِلْمُذْنِبِينَ؛ لِيَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَتُوبُوا إِلَى رُشْدِهِمْ،
وَيَصْفُلُوا الْإِيمَانَ فِي نَفْسِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا انْقَضَى شَهْرُ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ،
دَخَلَتْ أَشْهُرُ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، ذَلِكَ الرُّكْنُ الْعَظِيمُ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ،
مَنْ أَتَى بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَالْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي هَيَأُ لِعِبَادِهِ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ؛ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس]؛ فَالْسَّعِيدُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَنْ
وَفَّقَ لِإِغْتِنَامِهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ ضَيَّعَهَا بِالْغَفْلَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّهِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى الرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، وَالْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى؛
كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب].



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِبِعْثَةِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ،
أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الْعِظَامِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى آيَاتِهِ الْجِسَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْقُدْوَةُ الْإِمَامُ، بَعَثَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، أَرْسَلَهُ
عَلَى حِينٍ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ بِشِيرًا وَنَدِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا،
فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ بِإِذْنِ رَبِّهِ الْغُمَّةَ، فَتَحَ
اللَّهُ بِهِ قُلُوبًا غُلْفًا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَأَعْيُنًا عُمِيًّا، فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ،
وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا
تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالتَّهَارُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ. وَأَشْكُرُوهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بِنِعْمَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَةِ
الْإِسْلَامِ، وَمَا مَنْ عَلَيْهِمْ بِمِثَّةٍ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ بِعْثَةِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ
الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ؛ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٨﴾ [آل عمران].

إِنَّهَا الْمِنَّةُ الْعُظْمَى، وَالنَّعْمَةُ الْكُبْرَى، تَتَجَلَّى آثَارُهَا عِنْدَ مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ النَّاسِ قَبْلَهَا؛ حَيْثُ كَانُوا كَمَا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛ بِهِذِهِ الصِّيغَةِ الْمُؤَكَّدَةِ الْمُطْلَقَةِ؛ لِيُؤَكِّدَ عَلَى ضَلَالِهِمُ الْمُطْلَقِ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا فِيهِ الْمُنتَهَى: ضَلَالٌ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْمَفَاهِيمِ، وَالتَّوَجُّهِ وَالْمَقَاصِدِ، وَالْأَهْدَافِ وَالغَايَاتِ، ضَلَالٌ فِي الْعَادَاتِ وَالْأَعْرَافِ، وَالسُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ، وَالْأَحْوَالِ وَالْأَوْضَاعِ، ضَلَالٌ فِي كُلِّ التَّصَوُّرَاتِ، وَجَمِيعِ النَّوَاحِي وَالْمَجَالَاتِ، ضَلَالَةٌ عَمِيَاءُ، وَجَاهِلِيَّةٌ جَهْلَاءُ!.

وَمَا أَجْمَعَ مَا وَصَفَ بِهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَالَهُمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ - وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ وَصْفِ الْمُهَاجِرِينَ أَمَامَ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ؛ حَيْثُ قَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَيُّهَا الْمَلِكُ؛ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ؛ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقَطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْهُ الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ؛ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَحْلَعَ مَا كُنَّا نَحْنُ نَعْبُدُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ»^(١).

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (١٩٥، ١٩٦)، ومن طريقه ابن هشام (١/٣٣٤-٣٣٨)، وأحمد (١/٢٠٢).

نَعَمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - لَقَدْ انْغَمَسَتِ الْأُمَّةُ فِي الْوَيْبَةِ بِأَشْكَالِهَا،
 وَتَلَطَّخَتْ بِلُوثَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ بِأَوْسَعِ مَدْلُولَاتِهَا؛ أَوْثَانٌ وَأَصْنَامٌ، خِيَالَاتٌ
 وَأَوْهَامٌ، خَزَعِبَلَاتٌ^(١) وَإِجْرَامٌ، كَهَانَةٌ وَتَنْجِيمٌ وَاسْتِقْسَامٌ بِالْأَزْلَامِ^(٢)، تَشَاوُمٌ
 وَتَطْيِيرٌ بِالشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ، سِحْرٌ وَشَعْوَذَةٌ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْغِيِّ وَالْإِيْهَامِ،
 فَضْلًا عَنِ الْحُرُوبِ الطَّاحِنَةِ لِأَتْفِهِ الْأَسْبَابِ، وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ.

فَجَاءَ الْإِسْلَامُ، وَأَتَقَدَّ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ حَضِيضِ الْغَبْرَاءِ إِلَى ذُرَا
 الْعِلْيَاءِ، وَانْتَشَلَهَا مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا
 إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، وَحَوْلَهُمْ مِنْ رِعَاةِ الْإِبْلِ
 وَالْغَنَمِ، إِلَى قَادَةِ شُعُوبٍ وَسَاسَةِ أُمَّمٍ؛ لِيُقَوِّدُوا زِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى بَرِّ
 الْأَمَانِ، وَشَاطِئِ السَّلَامِ، إِلَى ظِلَالِ هَذَا الدِّينِ الْكَامِلِ الشَّامِلِ، الَّذِي
 يَرْبُطُ الْخَلْقَ بِخَالِقِهِمْ جَلًّا وَعَلَا، مَالِكِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ، وَالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ،
 وَالْخَلْقِ وَالنُّشُورِ، وَالرِّزْقِ وَالشِّفَاءِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الْمَالِكِ
 الْمُتَصَرِّفِ فِي الْكَوْنِ وَحُدَّهُ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ!

أُمَّةَ الْعَقِيدَةِ، لَقَدْ رَبَّى الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ عَلَى سَلَامَةِ التَّوْحِيدِ وَصِحَّةِ
 الْعَقِيدَةِ، وَقُوَّةِ الْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَحُدَّهُ، وَابْتِعَادِ بِهِمْ عَنِ الْأَوْهَامِ

(١) الخَزَعِبَلَاتُ: جمع خَزَعِيلٍ، وهو: الباطل. «اللسان» (خزعل).

(٢) الْأَزْلَامُ: هي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، واحداها: زَلْمٌ وَزَلَمٌ.
 «اللسان» (زلم).

وَالظُّنُونِ وَالخَيَالَاتِ، الَّتِي تَعْبَثُ بِعُقُولِهِمْ، وَتَلَوُّتُ أَفْكَارَهُمْ، وَتَجْعَلُهُمْ
يَتَصَوَّرُونَ الْأُمُورَ عَلَى خِلَافِ حَقَائِقِهَا، وَنَهَى عَنْ كُلِّ مَا يَخْدِشُ سَلَامَةَ
التَّوْحِيدِ لِلَّهِ وَصِحَّةَ الْعَقِيدَةِ؛ مِنَ التَّشَاؤْمِ وَالتَّطْيِيرِ: بِالشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ،
وَالْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ، وَأَصْحَابِ الْعَاهَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَحَارَبَ الذَّهَابَ
إِلَى الدَّجَالِينَ وَالْمُشْعُودِينَ، وَالسَّحَرَةَ وَالْمُنْجِمِينَ، وَتَصَدِيقَ الْكَهَنَةِ
وَالعَرَّافِينَ، وَأَدْعِيَاءَ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالرَّمَّالِينَ، وَنَحْوِهِمْ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ
الْكَذَّابِينَ؛ لِخَطَرِهِمْ عَلَى الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ، وَالْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، وَاسْتِثْبَابِ
أَمْنِ الْمُجْتَمَعِ، وَلِتَلَاعُبِهِمْ بِعُقُولِ النَّاسِ، وَابْتِزَازِ^(١) أَمْوَالِهِمْ، وَأَبْطَالِ كُلِّ
مَسَالِكِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاعْتِقَادَاتِهَا الْبَاطِلَةَ، وَتَرْكِ النَّاسِ عَلَى دِينِ الطُّهْرِ
وَالصَّفَاءِ، وَالْحَيْرِ وَالتَّقَاءِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ التَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَفْوِيضَ الْأُمُورِ إِلَيْهِ دُونَ
غَيْرِهِ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُ مَالِكُ النِّفْعِ وَالضَّرِّ دُونَ سِوَاهُ، وَالبُعْدَ عَنِ التَّطْيِيرِ
وَالتَّشَاؤْمِ - أُمُورٌ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَقِدَهَا دِينًا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ، لَا
يَشْرِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ
اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠١]، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ

(١) الابتزاز: السلب والانتزاع. «اللسان» (ببز).

هُنَّ مُمَسِّكَاتٌ رَحِمَتِهِنَّ قُلُوبُ حَسْبِيِّ اللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾ [الزمر]،
 ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ
 لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وَفِي الْوَصِيَّةِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْمُصْطَفَى ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُمَا - قَوْلُهُ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَنْفَعُوا، لَمْ يَنْفَعُوا
 إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا
 بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (١).

أَبْعَدَ هَذَا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ - يَبْقَى مُسْتَمْسِكٌ لِأَوْلِيَاكَ الْجَهْلَةَ،
 وَمُتَعَلِّقٌ لِلْمُتَحَبِّطِينَ فِي فَهْمِ الْعَقِيدَةِ؟! أَيُّ دِينٍ؛ بَلْ أَيُّ عَقْلِ! عِنْدَ مَنْ يُحَادُّ اللَّهَ
 فِي عِلْمِهِ، وَفِي قُدْرَتِهِ وَتَصَرُّفِهِ؟! تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ عُلُوًّا كَبِيرًا!.

بَلْ أَيُّ إِيْمَانٍ وَفَهْمٍ وَمُسْكَةٍ (٢) عَقْلٍ عِنْدَ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَوْلِيَاكَ
 الْأَفَاكِينَ، وَيُصَدِّقُ هَؤُلَاءِ الْمُضِلِّينَ؟! لَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَكْفُونَ عَنِ
 الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، فَإِذَا حَلَّ شَهْرُ صَفَرٍ، كَثُرَ الْقِتَالُ وَانْتَهَكَتِ
 الْحُرْمَاتُ؛ فَيَتَشَاءُ مَوْنٌ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ، وَيَعُدُّونَهُ شَهْرَ الْمَاتَمِ وَالْأَحْزَانِ،
 وَهَذَا - وَإِنْ كَانَ لَيْسَ غَرِيبًا عَلَيَّ عِبَادِ الْأَوْثَانِ - فَإِنَّ الْغَرَابَةَ كُلَّ الْغَرَابَةِ أَنْ

(١) رواه أحمد (١/٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/٥٤١، ٥٤٢).

(٢) مُسْكَةٌ - بِالضَّمِّ - أَيُّ: بَقِيَّةٌ. «اللِّسَان» (مسك).

يَسْتَمِرُّ هَذَا الْأَمْرُ عِنْدَ ادَّعِيَاءِ الْإِيمَانِ، بَعْدَ أَنْ أَبْطَلَهُ الْإِسْلَامُ .

عَجِيبٌ - يَا أُمَّةَ الْعَقِيدَةِ -، وَغَرِيبٌ يَا أَهْلَ الشَّرِيعَةِ، وَيَا أَرْبَابَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ: أَنْ تَعْبَثَ الْخَيَالَاتُ وَالْأَوْهَامُ بِبَعْضِ أُنْبَاءِ الْإِسْلَامِ!!
فَمَاذَا تُغْنِي الشُّهُورُ وَالْأَيَّامُ، مِنْ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ وَشَهْرِ صَفَرٍ؟! وَمَا ذَنْبُ الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ مِنَ الْغُرَابِ وَالْبُومِ؟! وَمَاذَا تَمْلِكُ الزُّهْرَةُ وَزُحْلٌ؟!
وَلَكِنَّهَا أَوْهَامُ الْجَاهِلِينَ، وَأَسَاطِيرُ الْأَوْلِيَيْنِ، وَالْأَعِيبُ الشَّيَاطِينِ!

فَأَفِيضُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مِنَ الْغَفْلَةِ عَنْ هَذِهِ الْقَضَايَا الْمُهْمَةِ،
وَقَوُّوا يَتَيْنِكُمْ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَحَقَّقُوا التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَاحْذَرُوا
التَّطَيُّرَ وَالتَّشَاؤْمَ؛ فَإِنَّ الْبُعْدَ عَنْ ذَلِكَ سَبَبُ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا وَرَدَ فِي
الصَّحِيحَيْنِ، عَنْهُ ﷺ، فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ
حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَهُمْ: «الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ
وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١)، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ - أَيْضًا - عَنْهُ ﷺ مِنْ حَدِيثِ
أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «لَا عَذْوَى، وَلَا طِيرَةَ، وَلَا هَامَةَ»^(٢)، وَلَا صَفَرَ»^(٣) (٤).

- (١) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما.
(٢) الهامة: الرأس، واسم طائر، وهو المراد في الحديث، وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها. «النهاية» (هوم).
(٣) الصَّفَرُ: كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها: الصَّفَرُ، تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تُعْذِي، فأبطل الإسلام ذلك. وقيل: أراد به النسيء الذي كانوا يفعلون في الجاهلية، وهو تأخير المحرَّم إلى صَفَرٍ، ويجعلون صَفَرًا هو الشهر الحرام، فأبطله الإسلام. «النهاية» (صفر).
(٤) «صحيح البخاري» (٥٧٥٧)، و«صحيح مسلم» (٢٢٢٠).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّا حِينَمَا نَذَكِّرُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَأْتِي مِنْ مُنْطَلَقِ
الْحِرْصِ عَلَى صَفَاءِ الْعَقِيدَةِ، وَالتُّصْحِ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ، وَمَا لِهَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ انْتِشَارِ
وَرَوَاجٍ فِي بَعْضِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَيُخْشَى أَنْ يَنْخَدِعَ بِهَا بَعْضُ ضِعَافِ الْإِيمَانِ .

وَمَعَ أَنَّنَا فِي عَصْرِ رُقِيِّ الْعِلْمِ وَنُمُوِّ وَسَائِلِ الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ، إِلَّا أَنَّهُ
لَا تَزَالُ مِثْلُ هَذِهِ الْأَوْهَامِ مَوْجُودَةً فِي بَعْضِ الْأَوْسَاطِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ؛ مِمَّا
يُجَسِّدُ الْمَسْئُولِيَّةَ عَلَى حَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ، فِي انْتِشَالِ النَّاسِ
الْغَارِقِينَ فِي لُجَجِ هَذِهِ الْأَوْهَامِ الْبَاطِلَةِ إِلَى بَرِّ الْإِيمَانِ وَالْأَمَانِ، وَشَاطِئِ
الْخَيْرِ وَالْعَقِيدَةِ وَالسَّلَامِ .

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَجَارَنَا - بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ
وَرَحْمَتِهِ - مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ لاذَّ بِحِمَاهُ حَفِظَهُ وَوَقَاهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ
عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاهْتَدَى بِهُدَاهُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِّمُوا أَنْ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِي
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، قَدْ بَانَ لَكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ: أَنْ مَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ فِي شَهْرِ
صَفَرٍ مِنَ التَّشَاوُؤِ وَالتَّطْيِيرِ، أَمْرٌ مُخَالَفٌ لِلْإِسْلَامِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ
حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا
طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»^(١).

وَلَأَبِي دَاوُدَ، وَالبَيْهَقِيَّ، عَنْ عُرْوَةَ بِنِ عَامِرٍ، قَالَ: ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى
أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ
السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(٢).

(١) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٩١٩)، والبيهقي (١٣٩/٨)، وانظر: «الإصابة» (٤/٤٠٤، ٤٠٥).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ»، وَمَا مِنَّا إِلَّا [أَي: إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ]، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ (١).
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» (٢).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْرِفُوا مَنَّةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الدِّينِ، وَحَقِّقُوهُ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ حَمَى جَنَابَ التَّوْحِيدِ، وَسَدَّ ذَرَائِعَ الشِّرْكِ وَطَرَفَهُ - النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى - كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب]، وَقَدْ قَالَ ﷺ - فِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ - مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ عَشْرًا» (٣).

* * *

(١) رواه الطيالسي (٣٥٤)، وأحمد (١/ ٣٨٩)، وأبوداود (٣٩١٠)، والترمذي

(١٦١٤)، وانظر: «فتح الباري» (١٠/ ٢١٣).

(٢) رواه ابن وهب في «الجامع» (٦٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٢٠).

(٣) «صحيح مسلم» (٤٠٨).



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ
إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَنَزَعَاتِ الْمُضِلِّينَ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،
وَقِيَوْمِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ،
مَنْ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ لَازَبَهُ حَمَاهُ،
وَمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَبْلَهُ وَرَعَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ وَالَاهُ، وَمَنْ اقْتَفَى أَثَرَهُ وَاهْتَدَى
بِهَدَاهُ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ :

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، تَقْوَى الْإِلَهَ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - سِرُّ النَّجَاحِ،
وَطَرِيقُ الْفَلَاحِ، وَيَنْبُوعُ الصَّلَاحِ، إِنْ رُمْتُمْ سَعَادَةً وَصَلَاحًا، وَطَلَبْتُمْ هِدَايَةً
وَفَلَاحًا، وَقَصَدْتُمْ خَيْرًا وَنَجَاحًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، الزُّمُوهَا مَسَاءً وَصَبَاحًا،
وَتَحَلُّوْا بِهَا غُدُوًّا وَرَوَاحًا .

عِبَادَ اللَّهِ، صَفَاءَ الْعَقِيدَةِ وَنَقَاءَ التَّوْحِيدِ، وَسَلَامَةَ الْمِلَّةِ وَإِبْطَالُ
التَّنْذِيرِ، فَرِيضَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى جَمِيعِ الْعَبِيدِ؛ بِهَا أَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَبِهَا أَرْسَلَ رُسُلَهُ؛
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾ ﴾
[الأنبياء]، فَمَنْ إِلَيْهِ الْمَفْرَعُ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمُلِمَّاتِ إِلَّا اللَّهُ؟! وَمَنْ إِلَيْهِ
الْمَلْجَأُ عِنْدَ حُلُولِ الْآفَاتِ وَالْكُرْبَاتِ إِلَّا اللَّهُ؟! وَمَنْ إِلَيْهِ الْفِرَارُ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ، وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ؟! ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ
مُبِينٌ ﴿١٦﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الذاريات].

هُوَ سُبْحَانَهُ دَافِعُ الضَّرِّ وَمَالِكُ النَّفْعِ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْمُلْكِ وَالْقَهْرِ وَالْعَطَاءِ
وَالْمَنْعِ، لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، بِيَدِهِ وَحْدَهُ
مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ؛ قَضَاؤُهُ نَافِذٌ، وَقَدْرُهُ كَائِنٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ
لِمَا مَنَعَ، وَلَا رَادًّا لِمَا قَضَى، وَلَا وَاصِلَ لِمَا قَطَعَ، هُوَ سُبْحَانَهُ الْمُؤَمَّلُ
وَحْدَهُ لِكَشْفِ كُلِّ بَلَاءٍ، وَدَفْعِ كُلِّ بَأْسَاءٍ؛ فَلَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا الْأَنْبِيَاءُ، وَلَا
الصَّالِحُونَ وَلَا الْأَوْلِيَاءُ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَدْعِيَاءِ - لَا يَمْلِكُونَ
لِأَحَدِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا فَشْرًا ﴿٢﴾ ﴾
[الفرقان]، ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ
كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِيهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ
عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر]، ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا
مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر].

عِبَادَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ صَفْوَةٌ خَلَقِ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ عِبَادِ اللَّهِ - عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ - يُخَاطِبُهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وَنَهَاهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [١٨٩] وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا هُوَ بِرَدِّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَغَيْرُهُ أَوْلَى وَأَحْرَى أَنْ يَحْذَرَ مِنْ ذَلِكَ، مُرَاعِيًا تَوْحِيدَ رَبِّهِ، مُسْلِمًا أَمْرَهُ إِلَيْهِ، مُعْتَقِدًا أَنَّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ بَاطِلٌ؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

وَقَدْ كَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ مُنَاجِيًا رَبَّهُ:
يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ
لَا يَجْبِرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ^(١) عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ^(٢)

(١) هَاضَ الْعَظْمَ، يَهَيِّضُهُ هَيِّضًا؛ فَانْهَاضَ: كَسَرَهُ بَعْدَ الْجُبُورِ، أَوْ بَعْدَ مَا كَادَ يَنْجَبِرُ. انظر: «اللسان» (هيض).

(٢) البیتان لأبي الطَّيِّبِ المَتْنَبِيِّ، انظر: «ديوانه» (ص ٣٨، ٣٩)، و«البدایة والنهائة» (٢٧٨/١٥)، و«مدارج السالکین» (١٨٧/١).

ذُلكم - ياحملة العقيدة، وياحراس الملة - هو التوحيد الخالص الذي
يجب أن يلتزمه المسلمون، ويسيروا عليه دون النفات إلى غيره؛ تأسياً
برسول الله، عليهم الصلاة والسلام:

هذا الخليل - عليه السلام - يعلن التوحيد في محاورته قومه:
﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي
هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يَحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا
وَالْحَقِّي بِالصَّلَاحِ كَ ﴿٨٣﴾ [الشعراء].

أمة التوحيد، بهذا المنهج السوي، وعلى هذا الإيمان القوي:
ربى الإسلام أتباعه، وعلى التعلق به وحده: أمر الفرد والجماعة، وسما
بعقولهم، وحفظ فطرهم، وصان قلوبهم وأفكارهم أن تتعلق بغيره؛
فابتعد بالامة عن الطنون والخيالات، والأوهام والخرافات، التي تعبت
بالعقول وتفسد القلوب، وقطع الطريق وسد الذرائع أمام كل دعي دجال،
ومفتر كذاب، يزعم أن أحدا من دون الله يستطيع أن يتصرف في هذا
الكون، أو يتحكم في هذا الوجود، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!

وَمَنْ قَالَ بِهَذَا، أَوْ اعْتَقَدَ صِحَّتَهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْمَيْنَ (١)،
 وَضَلَّ عَنْ مَوْرِدِ الصَّوَابِ، وَحَادَّ اللَّهَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَكَذَّا مَنْ
 اعْتَقَدَ قُدْرَةَ تَصْرِفِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَضْرِحَةِ - وَالْجَانِّ وَالْمَشَاهِدِ، وَالنُّجُومِ
 وَالطَّوَالِعِ، وَالسَّحَرَةِ وَالْعَرَافِينَ، وَالْكَهَنَةَ وَالْمُنْجِمِينَ، وَالذَّجَاجِلَةَ
 وَالْمُشْعُوذِينَ، أَوْ حَتَّى الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ - فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْحَلِيقَةِ،
 أَوْ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ جَلْبَ شَيْءٍ مِنَ السَّعْدِ وَالنَّحْسِ، أَوْ يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنَ
 الضَّرِّ وَالنَّفْعِ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا
 بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أَمَا نُفَكِّرُ يَا عِبَادَ اللَّهِ؟! أَيْنَ عُقُولُنَا؟! مَاذَا رَانَ عَلَى الْقُلُوبِ؟! مَاذَا
 أَصَابَ الْعُقُولَ؟! مَا هَذَا الْجُنُوحُ وَالذُّهُولُ؟! أَيُّ فَائِدَةٍ تَحْصُلُ مِنْ خِيُوطِ
 تُرْبُطُ؟! وَأَيُّ نَفْعٍ يُرْجَى مِنْ خَرَزٍ تُجْمَعُ، أَوْ حَلْقٍ تُوَضَعُ فِي الْأَيْدِي
 وَالْأَرْجُلِ؟! وَمَاذَا تُغْنِي الْأَحْرَازُ (٢) وَالْحُجُبُ؟! وَمَاذَا تَنْفَعُ التَّمَائِمُ (٣)،
 وَالتَّعَاوِيزُ (٤)، وَالْحُرُوفُ (٥)، وَالطَّلَاسِمُ؟! كُلُّ ذَلِكَ جَهْلٌ وَضَلَالٌ،

(١) الْمَيْنُ: الكذب. «اللسان» (مين).

(٢) الْأَحْرَازُ: جمع حِرْزٍ، وهو: الْعُوذَةُ. «اللسان» و«تاج العروس» (حرز).

(٣) التَّمَائِمُ: جمع تَمِيمَةٍ، وَالتَّمِيمَةُ: عُوذَةٌ تَعْلُقُ عَلَى الْإِنْسَانِ. «اللسان» (تمم).

(٤) التَّعَاوِيزُ، هِيَ: الَّتِي تُكْتَبُ وَتَعْلُقُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْفَرْعِ وَالْجُنُونِ.
 «اللسان» (عوذ).

(٥) هُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ لِلْحَرْفِ طِبَاعًا وَخَاصِيَّةً يَفْعَلُهَا بِنَفْسِهِ، أَوْ بِمُشَارَكَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْحُرُوفِ
 عَلَى أَوْضَاعٍ مَعِينَةٍ. «اللسان» (المقدمة).

وَشَرٌّ وَفَسَادٌ، وَانْحِرَافٌ فِي الْقُلُوبِ وَالْفِطْرِ، وَاسْتِخْفَافٌ بِكَرَامَةِ الْعَقْلِ،
وَسُمُومٌ التَّفَكِيرِ .

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، مَرْفُوعًا: «مَنْ
تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أْتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ:
«مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢)، وَلِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَابْنِ مَاجَةَ، عَنْ عِمْرَانَ
ابْنِ حُصَيْنٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرِ^(٣)، فَقَالَ: «مَا
هَذِهِ الْحَلْقَةُ؟» قَالَ: هَذِهِ مِنَ الْوَاهِنَةِ - وَهُوَ مَرَضٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ - فَقَالَ:
«انزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا»، وَزَادَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ
وَهِيَ عَلَيْكَ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»^(٤).

وَمِنْ ذَلِكَ - يَا أُمَّةَ الْعَقِيدَةِ -: تَصْدِيقُ أَدْعِيَاءِ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَإِثْبَانُ الْكَهَنَةِ
وَالْعَرَّافِينَ، وَالرَّمَّالِينَ وَالْمُنْجِمِينَ، وَالْمُشْعُودِينَ وَالدَّجَالِينَ، الَّذِينَ
يَزْعُمُونَ الْإِخْبَارَ عَنِ الْغَيْبِيَّاتِ زُورًا وَبُهْتَانًا، وَكَذِبًا وَادِّعَاءً؛ فَهَذَا كُلُّهُ ضَلَالٌ
وَبَاطِلٌ، وَدَاءٌ خَطِيرٌ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، فَعِلْمُ الْغَيْبِ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ وَحْدَهُ؛
قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

(١) رواه أحمد (٤/١٥٤)، والحاكم (٤/٢١٦).

(٢) رواه أحمد (٤/١٥٦)، والحاكم (٤/٢١٩).

(٣) الصُّفْرُ: التُّحَّاسُ الْجِيدُ. «اللسان» (صفر).

(٤) رواه أحمد (٤/٤٤٥)، وابن ماجه (٣٥٣١).

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاغِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعٌ^(١)

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا^(٢)، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا^(٤)، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ - فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٥).

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ، وَفِي تَعَاطِي السَّحْرِ وَالتَّعَامُلِ بِهِ: جَمْعٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِضْرَارِ بِالنَّاسِ؛ لِمَا قَدْ تَوَهَّمَهُ الْجَهْلَةُ وَالذَّهْمَاءُ^(٦)، وَمَرَضَى الْقُلُوبِ وَضِعَافُ الْإِيمَانِ وَالْعُقُولِ، مِنْ قُدْرَةِ السَّاحِرِ عَلَى مَا يُرِيدُ، وَخَسِيَ عَدُوَّ اللَّهِ؛ يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

(١) البيت لِلْبَيْدِ بْنِ رَيْبَعَةَ الْعَامِرِيِّ. انظر: «ديوانه» (ص ٩٠)، و«اللسان» (طرق).

(٢) العَرَّافُ: المنجِّم، أو الحازي الذي يدَّعي علم الغيب، وقد استأثر الله به. «النهاية» (عرف).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٢٣٠).

(٤) الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار. «النهاية» (كهن).

(٥) رواه أحمد (٤٢٩/٢)، وأبوداود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والحاكم (٨/١).

(٦) الذَّهْمَاءُ: جماعة الناس وكثرتهم. «اللسان» و«تاج العروس» (دهم).

يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبَسَ مَا
شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ [البقرة].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، السَّحْرُ إِحْدَى الْمُوبِقَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْمُهْلِكَاتِ،
حَدَّرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْهُ، وَحَدَّرَ الْمُصْطَفَى أُمَّتَهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ؛ كَمَا فِي
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الصَّحِيحَيْنِ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ
الْمُوبِقَاتِ»^(١)، وَذَكَرَ مِنْهَا السَّحْرَ، وَالسَّاحِرُ دَعِيٌّ كَذَّابٌ، وَلَوْ طَارَ فِي
الْهَوَاءِ، وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ، وَلَبَسَ عَلَى الْجَهْلَةِ وَالِدَهْمَاءِ، وَزَعَمَ تَحْضِيرَ
الْأَرْوَاحِ، وَالتَّنْوِيمَ «بِالْمَغْنَطِيسِ»، وَلَبَسَ عَلَى الْعَيْونِ بِحَمْلِ الْأَشْيَاءِ
الثَّقِيلَةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

السَّحْرَةُ وَالْمُشْعُودُونَ خَطَرٌ عَلَى الْأُمَّةِ، مُكَذَّبُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ،
مُسْتَهْزِئُونَ بِعُقُولِ النَّاسِ، مُبْتَزُونَ لِأَمْوَالِهِمْ، مُغَرَّرُونَ بِضِعْفَاءِ الْأَحْلَامِ^(٢)،
مُلَبَّسُونَ عَلَى الشَّفَهَاءِ وَالْعَوَامِّ، جَدِيرُونَ بِالرَّدْعِ وَالْعِقَابِ وَشِدَّةِ الْإِثْلَامِ؛
حَتَّى لَا يَعْمَ ضَرَرُهُمْ، وَيَسْتَشِيرِي خَطَرُهُمْ؛ رَوَى التِّرْمِذِيُّ، عَنْ جُنْدُبٍ:
«حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسِّيْفِ»^(٣)، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِعَظِيمِ خَطَرِهِ،

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٦٦)، و«صحيح مسلم» (٨٩).

(٢) الأحلام: العقول، جمع حلم. «القاموس» (حلم).

(٣) رواه الترمذي (١٤٦٠)، والحاكم (٣٦٠/٤).

وَكَبِيرٍ فِتْنَتِهِ وَضَرَرِهِ .

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ لَمِنَ الْغَرِيبِ حَقًّا أَنْ تَنْتَشِرَ هَذِهِ الْأَبَاطِيلُ فِي كَثِيرٍ
مِنَ الْبِلَادِ، وَيَتَعَاطَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ ضَعَفَ يَقِينُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ،
وَإِنَّهُ لَمِنَ الْعَارِ عَلَى أَهْلِ الْعَقِيدَةِ أَنْ تَنْتَشِرَ هَذِهِ اللَّوْثَاتُ الْمُحَرَّمَةُ بَيْنَ
ظَهْرَانِيهِمْ، وَيَقَلَّ فِيهَا التَّكْيِيرُ، وَكَأَنَّ الْأَمْرَ يَسِيرٌ غَيْرُ عَسِيرٍ، وَهُوَ خَدَشٌ
فِي الْعَقِيدَةِ، وَشَرْحٌ فِي صَمِيمِ الْإِيمَانِ، أَفِيلِيقُ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ: أَنْ يَخْلُدُوا
لِلْخِيَالَاتِ وَالْأَوْهَامِ، أَوْ يَتَسَاهَلُوا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، وَيَقْبَلُوا دُخُولَ
النَّقْصِ فِي عَقِيدَتِهِمْ الَّتِي هِيَ أَعْلَى وَأَعْلَى مُقَوِّمَاتِ عِزِّهِمْ وَنَصْرِهِمْ
وَسَعَادَتِهِمْ؟! لَقَدْ حَاوَلَ الْأَعْدَاءُ أَنْ يَصْرِفُوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنِ جَوْهَرِ
الدِّينِ، وَعَنْ صَفَاءِ الْعَقِيدَةِ، وَأَنْ يَشْغَلُوهُمْ بِهَذِهِ التَّوَافِهِ؛ حَتَّى يَتَمَكَّنُوا
مِنْ تَفْرِيقِ كَلِمَتِهِمْ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنِ نِقَاءِ دِينِهِمْ؛ لِتَسْهَلِ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهِمْ .

فَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - عَلِّقُوا آمَالَكُمْ بِاللَّهِ، رَبُّوا أَوْلَادَكُمْ
عَلَى الْعَقِيدَةِ، نَشُّوا أَسْرُكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، حَصَّنُوهَا بِالذِّكْرِ وَالْقُرْآنِ، إِنَّ
الْمَرْحَلَةَ الْخَطِرَةَ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الْأُمَّةُ تَسْتَوْجِبُ الْجِدَّ فِي تَصْحِيحِ الْمَسَارِ،
عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ - عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - أَمَّا الثَّوَاءُ^(١) فِي حَيَاةِ
السَّمِيِّ وَالْإِدْعَاءِ، دُونَ صِدْقِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْإِنْتِمَاءِ - فَهَذَا لَا يَرِيدُ الْأُمُورَ إِلَّا

(١) الثَّوَاءُ: طول المقام. «اللسان» (ثوي).

تَعْقِيدًا، وَلَا يَزِيدُ الْبَاطِلَ إِلَّا رَوَاجًا وَتَوَطُّيدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَافِظٌ دِينَهُ، وَمُعَلِّ
كَلِمَتَهُ، وَنَاصِرٌ أَوْلِيَاءَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَمَهْمَا عَمِلَ الْفَاقُونَ^(١)
وَالْمُنْحَرِفُونَ.

نَسَأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، أَنْ يَجْعَلَنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ،
غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، عَلَى الْإِيمَانِ نَحْيًا، وَعَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ نَمُوتُ،
وَعَلَيْهَا نُبْعَثُ يَوْمَ الدِّينِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) الْفَاقُونَ: الْكَذَّابُونَ. «الْقَامُوسُ» (أفك).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَا وَهَدَانَا، وَرَزَقَنَا وَاجْتَبَانَا، وَاخْتَارَنَا وَاصْطَفَانَا،
وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْنَاهُ مَنَحَنَا وَأَعْطَانَا، فَضلاً مِنْهُ وَنِعْمَةً وَامْتِنَانًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْزَلَ عَلَيْنَا قُرْآنًا، هَدَى لِلنَّاسِ وَبَيَّانًا، وَمَحَجَّةً
وَفُرْقَانًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَقْوَى الْأُمَّةِ إِيمَانًا، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، الَّذِينَ كَانُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَعَلَى
الْخَيْرِ أَعْوَانًا، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَافْتَقَى أَثَرَهُمْ بِإِيمَانٍ.

أُمَامِعِد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلَّقُوا أَمَالَكُمْ وَكَشَفَ أَلَامِكُمْ بِهِ وَحْدَهُ،
وَفَوَّضُوا أُمُورَكُمْ كُلَّهَا إِلَيْهِ، وَثِقُوا بِتَوْفِيقِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمُوا
- رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّهُ مَا تَفَشَّتْ أَعْمَالُ الشُّعُودَةِ فِي أُمَّةٍ إِلَّا أَهْلَكَتَهَا، وَلَا فِي
مُجْتَمَعَاتٍ إِلَّا دَحَرَتْهَا، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأُمُورُ لِتَحْصَلَ إِلَّا لِمَا ضَعُفَ وَلَائُ
كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لِذَيْنِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ، وَأَسْلَمُوا قِيَادَهُمْ وَزِمَامَهُمْ لِأَعْوَانِ
الشَّيَاطِينِ، يَلْعَبُونَ بِهِمْ كَيْفَمَا يَشَاءُونَ، دُونَ رَوِيَّةٍ وَلَا تَفَكِيرٍ، مَعَ
الْإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ الْوَهْمِ وَالْهَوَى وَالظُّنُونِ.

إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الْقُلُوبُ قَوِيَّةَ الْإِيمَانِ، مُتَرَبِّبَةً عَلَى الْقُرْآنِ، بَعِيدَةً عَنِ

المَلَاهِي والشَّهَوَاتِ والعِصْيَانِ - مَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ رَائِجَةً، وَبِضَاعَةً نَافِقَةً، وَأَرْضًا خِصْبَةً، يُعَشِّشُونَ فِيهَا وَيُفَرِّخُونَ، وَإِذَا كَانَ الْإِبْتِلَاءُ سُنَّةً، وَالبَشَرُ عُرْضَةً لِلْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ - فَإِنَّ التَّدَاوِيَّ الْمَشْرُوعَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ، وَلَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، سِوَاءُ أَكَانَ التَّدَاوِيَّ بِالرُّقَى الْمَشْرُوعَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَالصَّلَاحِ، ذَوِي الْإِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ وَالْمَنْهَجِ السَّلِيمِ، أَمْ بغيرِ ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ الطَّبِّ الْحَدِيثِ الَّذِي لَا يُتَنَافَى مَعَ الشَّرْعِ الْحَنِيفِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ هُدًى وَشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ وَدَاءٍ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ - ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: -]؛ ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]؛ لَكِنَّ لِابْدُءِ مِنَ التَّأَكُّدِ مِنْ أَهْلِئِةِ الْمُدَاوِي؛ دِينًا وَاسْتِقَامَةً، وَصِدْقًا وَأَمَانَةً.

وَعَلَيْكُمْ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - بِتَخْصِينِ أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ بِالرُّقَى الْمَشْرُوعَةِ، وَالْأُورَادِ الْمَأْتُورَةِ؛ فَهِيَ حِصْنٌ حَصِينٌ، وَحِرْزٌ أَمِينٌ، بِإِذْنِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، دَاوِمُوا عَلَى أُورَادِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَأَدْعِيَةِ الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ، وَالتَّوَمِّ وَالاسْتِيقَاطِ، أَكْثَرُوا مِنْ قِرَاءَةِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ، وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ؛ فَإِنَّهَا تَكْفِي صَاحِبَهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ وَدَاءٍ.

وَهَاكُمُ - عِبَادَ اللَّهِ - وَصْفَةٌ طَبِيبَةٌ نَبَوِيَّةٌ، هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَمَانٌ؛ عَنِ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمَعُودَتَيْنِ، حِينَ تُمَسِّي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ »^(١).

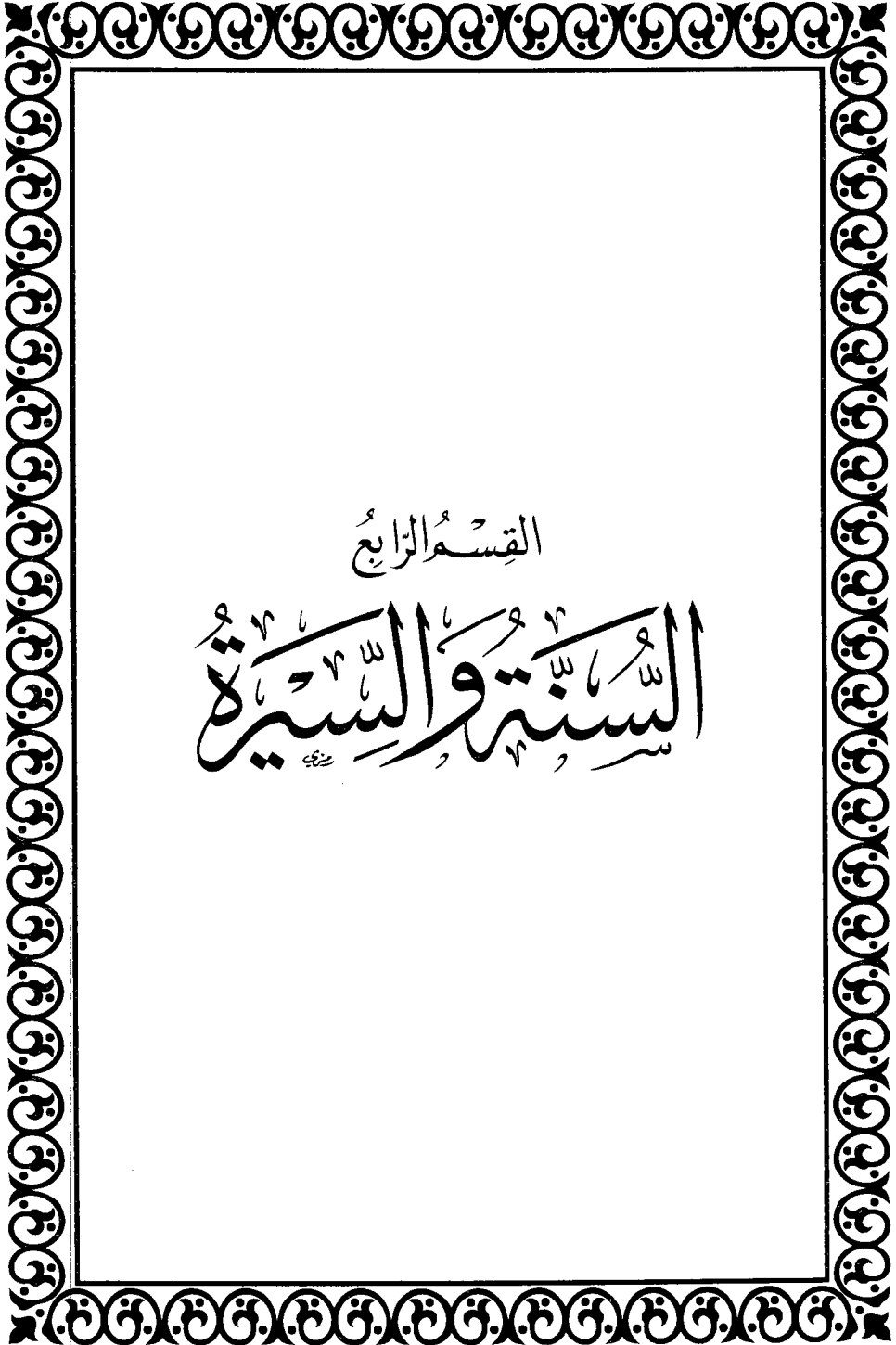
وَعَنْ عُمَانَ بْنِ عَقَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ »^(٢).

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الْوَرَى؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) رواه أحمد (٣١٢/٥)، وأبوداود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥).

(٢) رواه أحمد (١/٦٢، ٦٦، ٧٢)، وأبوداود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨).



القِسْمُ الرَّابِعُ

السُّنَّةُ وَالسِّيَرَةُ



الخطبة للهوئي

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُوَحِّدُونَ، وَأَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ شُكْرًا يَلْهَجُ بِهِ الْمُتَّقُونَ الْمُتَّبِعُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْأَفَّاكُونَ؛ شَهَادَةً تَنْفَعُ قَائِلَهَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ؛ فَتَحَ اللَّهُ بِهِ قُلُوبًا غُلْفًا، وَأَعْيْنَا عُمِيًّا، وَآذَانًا صُمًّا؛ هَدَىٰ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الْغَوَايَةِ، شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، وَأَعْلَىٰ ذِكْرَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وَوَضَعَ وَزْرَهُ، وَجَعَلَ الذَّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، أَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ، تَرَكْنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا كَنْهَارِهَا، لَا يَزِينُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، الْحَقُّ مَا جَاءَ بِهِ، وَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ؛ فَنُشْهِدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ ﷺ مَحَبَّةً تَفُوقُ مَحَبَّةَ النَّفْسِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ

وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ وَسَارَ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ، وَالتَّابِعِينَ
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أُمَامِعِد:

فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تَكْثُرُ الْفِتْنُ فِي الْأُمَّةِ، وَتَدْلَهُمُ الْخُطُوبُ وَالْمِحْنُ^(١) فِي
الْمُجْتَمَعَاتِ، وَتُخَيِّمُ عَلَىٰ سَمَائِهَا الصَّافِيَةَ سُحْبُ الْمُخَالَفَاتِ، فَيَلْتَبِسُ
الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَتَخْفَىٰ مَعَالِمُ السُّنَنِ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَيَخْتَلِطُ الْهُدَىٰ
بِالضَّلَالِ؛ فَإِنَّ تَقْوَىٰ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تُنِيرُ طَرِيقَ الْهَدَايَةِ، وَيُبَدِّدُ نُورَهَا ظُلُمَاتِ
الْجَهْلِ وَالْغَوَايَةِ، وَمَنْ رُزِقَ التَّقْوَىٰ، وَفَقَّ لِلْفُرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ
الشَّيْطَانِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا
وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال].

مَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ التَّقْوَىٰ، فَقَدْ وَهَبَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ عَلَىٰ دَرَبِ النِّجَاةِ فِي
سَلَامَةٍ مِنَ الْمُؤْتَرَاتِ الْعَقْدِيَّةِ وَالْمَنْهَجِيَّةِ، وَفِي بُعْدٍ عَنِ اللُّوثَاتِ الْمُعَكَّرَةِ
لِصَفْوِ اتِّبَاعِهِ وَمَسْلِكِهِ؛ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ
كَفَالَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [الحديد].

(١) تدلهم، أي: تكثف وتشد، والخطوب: جمع خطب، وهو الأمر الشديد تقع فيه
المخاطبة، والمحن: جمع محنة، وهي البلاء والشدة. انظر: «اللسان» (دلهم) (خطب)،
و«تاج العروس» (محن).

أَلَا مَا أَحْوَجَ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ إِلَىٰ أَنْ تُغَمَّرَ قُلُوبُ أَبْنَائِهَا بِتَقْوَىٰ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛
لِيَتَحَقَّقَ لَهَا وَعْدُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم].

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، عِزُّ الْأُمَّةِ وَسَعَادَتُهَا، وَصَلَاحُهَا وَهِدَايَتُهَا، وَسَلَامَتُهَا
وَسِيَادَتُهَا، وَفَلَاحُهَا وَرِيَادَتُهَا، كُلُّ ذَلِكَ مَرْهُونٌ بِتَمَسُّكِهَا بِكِتَابِ رَبِّهَا وَسُنَّةِ
نَبِيِّهَا ﷺ، وَشَوَاهِدُ هَذَا جَلِيَّةٌ فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ وَحَوَادِثِ التَّأْرِيخِ؛ فَيَوْمَ
أَنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مُتَمَسِّكَةً بِإِسْلَامِهَا الْحَقِّ، مُهْتَدِيَةً بِنُورِ الْوَحْيَيْنِ، مُفْتَتِحَةً أَثَارَ
النُّبُوَّةِ - دَانَتْ لَهَا الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ، وَاجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهَا، وَرَفَرَتْ رَايَتُهَا،
وَتَوَحَّدَتْ صُفُوفُهَا، وَلَمْ تَجِدِ الْبِدْعُ وَالْأَهْوَاءُ طَرِيقًا إِلَىٰ مُجْتَمَعَاتِهَا.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، وَتَمُرُّ الْقُرُونُ، وَتَمْضِي الْأَعْصَارُ وَالسَّنُونَ، وَتُبْتَلَى
هَذِهِ الْأُمَّةُ بِالْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ، فِي أُمُورِ دِينِهَا.

وَفِي عَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ، وَذُهُولٍ مِنْ حُرَّاسِ الْمِلَّةِ، وَأَنْشِغَالٍ مِنْ
أَبْنَاءِ السُّنَّةِ: تَسَرَّبَتْ إِلَىٰ صُفُوفِ الْأُمَّةِ الْوَأَانُ مِنَ الْعَقَائِدِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَتَسَلَّلَتْ
عَبْرَ الْحُصُونِ صُوفٌ مِنَ الطَّرِيقِ الْفَاسِدَةِ، الَّتِي هَوَّشَتْ عَلَى الْأُمَّةِ (١) فِي أَعَزِّ
مَا تَمْلِكُ: فِي عَقِيدَتِهَا، وَاتِّبَاعِهَا، وَحُبِّهَا لِرَسُولِهَا ﷺ؛ فَفَرَّقَتْ الْأُمَّةَ شَيْعًا
وَأَحْزَابًا، وَتَجَادَبَتِ النَّاسَ الْأَهْوَاءُ وَالْإِخْتِلَافَاتُ، وَتَعَدَّدَتِ الْمَذَاهِبُ

(١) أي: خلطت عليها. «تاج العروس» (شوش).

وَالرَّايَاتُ، وَتَشَعَّبَتِ الْمَسَالِكُ وَالغَايَاتُ، وَعَمَّتِ الْفِتْنُ وَالْإِبْتِلَاءَاتُ، فَضْرَبَتِ الْأُمَّةُ فِي تَيْهِ السُّبُلِ عُقُودًا مِنَ الزَّمَنِ، وَغَرِقَتْ فِي لُجَجِ الْإِخْتِلَافَاتِ قُرُونًا مِنَ الدَّهْرِ، وَضَعْفَ وِلَاءِ أَهْلِهَا لِعَقِيدَتِهِمْ، وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ التَّبَعِيَّةِ لِأَعْدَائِهِمْ.

وَيَزِدَادُ الْأَمْرُ حُطُورَةً فِي هَذَا الْعَصْرِ؛ حَيْثُ الْفِتْنُ الْمُشْتَدَّةُ، وَالْمِحْنُ الْمُتَلَاخِضَةُ، وَالْإِبْتِلَاءَاتُ الْمُتَدَاعِيَّةُ، وَالرَّايَاتُ الْمُتَدَاخِلَةُ، وَالسُّبُلُ الْمُتَشَابِكَةُ، فِي وَقْتٍ رُفِعَتْ فِيهِ رَايَاتُ الْهَجُومِ عَلَى دِينِ الْأُمَّةِ وَمُعْتَقَدِهَا، وَثَارَتْ فِيهِ بَرَائِكُنُ الدَّعْوَةِ إِلَى الضَّلَالَةِ، وَهَبَّتْ فِيهِ أَعَاصِيرُ تَحْسِينِ الْغَوَايَةِ، وَتَفَجَّرَتْ زَوَابِعُ اللَّئِيلِ مِنْ سُنَّةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ؛ فَرَمَتْهَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ؛ مِمَّا يُجَسِّدُ الْمَسْئُولِيَّةَ أَمَامَ حُمَاةِ السُّنَّةِ، وَحُرَّاسِ الْمِلَّةِ؛ لِيَهْبُؤُوا مِنْ رَقَدَتِهِمْ، وَيُفَيِّقُوا مِنْ سُبَاتِهِمْ، وَيَكْفُؤُوا عَنِ انْشِغَالِهِمْ بِأُمُورٍ جُزْئِيَّةٍ، وَيَذُبُّوا عَنْ سُنَّةِ حَبِيبِهِمْ ﷺ؛ فَيَتَعَلَّمُوهَا وَيَعْمَلُوهَا بِهَا، وَيَعْلَمُوهَا وَيَدْعُوا إِلَيْهَا عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ بَيَانِهَا، وَيَصْبِرُوا عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْأَذَى فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، وَيَنَافِحُوا عَنْهَا، وَيَبِينُوا كُلَّ مَا يَخَالَفُهَا؛ فَيَكْشِفُوا زَيْنْفَهُ، وَيُوضِّحُوا عَوَارِئَهُ؛ حَتَّى يَكُونَ النَّاسُ عَلَى بَيِّنَةٍ فِي أُمُورِهِمْ، وَذَلِكَ - لَعَمْرُ الْحَقِّ - مِنْ أَعْظَمِ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ.

يَقُولُ الْإِمَامُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيُّ، شَيْخُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ -
 رَحِمَهُمُ اللَّهُ - : «الذَّبُّ عَنِ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ»^(١)، وَيَقُولُ أَبُو عَبْدِ
 الْقَاسِمِ بْنُ سَلَامٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «الْمُتَّبِعُ لِلسُّنَّةِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، وَهُوَ
 الْيَوْمَ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنَ الضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

فِيَا حَمَلَةَ السُّنَّةِ، إِنَّهُ نَظَرًا لِلْوَهْنِ^(٣) الَّذِي أَصَابَ كَثِيرًا مِنَ
 الْمُجْتَمَعَاتِ، وَلَمَّا حَصَلَ لِجُمْلَةٍ مِنَ التَّصَوُّرَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ انْحِرَافٍ
 وَغَبْشٍ فِي أَذْهَانِ فِتَامٍ مِنَ النَّاسِ؛ حَتَّى اخْتَلَطَتْ عَلَيْهِمُ الْأُورَاقُ، وَانْقَلَبَتْ
 عِنْدَهُمُ الْمَوَازِينُ، وَاخْتَلَّتِ الْمَقَايِسُ، وَانْتَكَسَتِ الْمَعَايِيرُ؛ فَأَصْبَحَ
 الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَالسُّنَّةُ بِدْعَةً، وَالبِدْعَةُ سُنَّةً - إِلَّا مَنْ
 رَحِمَ اللَّهُ - بَاتَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَتَحَرَّكَ أَبْنَاءُ الْإِسْلَامِ، أَصْحَابُ الْمَنْهَجِ
 الْحَقِّ، أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَتْبَاعُ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، بِتَجَلِيَةِ الْأُمُورِ
 دُونَ مُوَارَبَةِ^(٤)، وَكَشَفِ الْحَقَائِقِ دُونَ مُجَامَلَةِ، وَبَيَانِ مَا هُوَ دَخِيلٌ مِمَّا
 هُوَ أَصِيلٌ، وَمَا هُوَ حَقٌّ جِدًّا هُوَ بَاطِلٌ هَزِيلٌ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَى أُمُورِ الْعَقِيدَةِ
 وَالسُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ، وَإِبْطَالِ كُلِّ مَا يُخَالَفُهَا مِنَ الْمَقُولَاتِ وَالشُّبُهَاتِ،

(١) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥١٨/١٠).

(٢) أورده الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤١٠/١٢)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»
 (٤٩٩/١٠).

(٣) الوهن - بسكون الهاء وفتحها - : الضعف . «اللسان» (وهن).

(٤) المُوَارَبَةُ : المداهاة والمخاتلة . «اللسان» (ورب).

وَفَضَحَ كُلَّ مَا يُعَارِضُهَا مِنَ الْمَنَاهِجِ وَالشَّعَارَاتِ ، وَكَشَفَ اللَّثَامَ عَن وُجُوهِ
أَعْدَائِهَا ، سَوَاءً أَكَانُوا أَفْرَادًا أَمْ جَمَاعَاتٍ أَمْ كِيَانَاتٍ ، فَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُبْعَبَ .

وَالِىَ مَتَى تَنْظُلُ الْأُمَّةُ تَائِهَةً حَيْرَى ، لَا تُمَيِّزُ الْعَدُوَّ مِنَ الصَّدِيقِ ؟! أَيْنَ
الْجُهُودُ الْمُكْتَفَّةُ فِي خِدْمَةِ السُّنَّةِ وَالِدِّفَاعِ عَنْهَا ؟! أَيْنَ دَوْرُ الْعُلَمَاءِ فِي
تَوْضِيحِ السُّنَّةِ لِلْعَامَّةِ ، وَرَصْدِهِمُ لِلْمُخَالَفَاتِ عِنْدَ تَطْبِيقِهَا ، وَبَيَانِهَا لِلشَّيْءِ
حَتَّى لَا يَحْصُلَ إِفْرَاطٌ وَلَا تَفْرِيطٌ ؟!

أَيْنَ الْعِنَايَةُ بِالسُّنَّةِ فِي مَنَاهِجِ الدَّعْوَةِ وَجُهُودِ الدَّعَاةِ ؟! هَلْ تَغْلِبُ
الْقَضَايَا الْفِكْرِيَّةُ وَالثَّقَافِيَّةُ وَالْعَصْرِيَّةُ عَلَى جَوَانِبِ التَّاصِيلِ وَالْمُنَهْجِيَّةِ ؟!
أَيْنَ الْإِسْتِزَادَةُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، لِأَسِيْمَا عُلُومِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ، فِي مَجَالِ
الرُّوَايَةِ وَالِدِّرَايَةِ ، وَالتَّطْبِيقِ وَالسُّلُوكِ ؟! مَا مَدَى الْاهْتِمَامِ بِالسُّنَّةِ فِي
مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ ؟! حَيْثُ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يُشْعَرَ نَهْمُ الطُّلَّابِ بِأَهْمِ الْعُلُومِ
وَأَوْلَاهَا ، بَدَلِ أَنْ تَزَاحِمَ بِلُغَمِ أُخْرَى !!

أَيْنَ الْعِنَايَةُ بِالسُّنَّةِ عَبْرَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَلَوْ عَلَى
أَقْلٍ تَقْدِيرٍ بِكَفِّ كُلِّ مَا يُخَالِفُهَا ؟! أَيْنَ تَطْبِيقُ السُّنَّةِ فِي الْبَيْتِ وَالْأُسْرَةِ ،
وَالشَّارِعِ وَالْمُجْتَمَعِ ؟! مَاذَا جَنَتِ الْأُمَّةُ لَمَّا أَهْمَلَتْ - أَوْ كَادَتْ - أُمُورَ السُّنَّةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّحِيَّةِ ؟! لَقَدْ اِكْتَفَتْ
بِالْمَظَاهِرِ عَنِ الْحَقَائِقِ ، وَالدَّعَاوَى وَالرُّعُومِ عَنِ التَّطْبِيقِ الْجَادِّ وَالتَّمَسُّكِ

الْحَقُّ، وَجَعَلَتْ بَعْضَ أَيَّامِهَا وَلَيَالِيهَا أَوْقَاتًا لِمَعْرِفَةِ السُّنَّةِ وَإِحْيَائِهَا وَحُبِّ صَاحِبِهَا - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ﷺ! - نَعَمْ؛ اكَتَفَتْ بِالْحَدِيثِ حَوْلَهَا لَيْلَةً مِنْ الْعَامِ، وَالْوُقُوفِ تُجَاهَ عِبْرَتِهَا يَوْمًا فِي السُّنَّةِ، ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَمَّا يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ! إِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَرَى وَنَسْمَعُ!!

إِنَّ الْأَمْرَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ، الَّتِي لَا تُوَافِقُ شَرْعًا صَحِيحًا، وَلَا عَقْلًا صَرِيحًا، وَيَتَمَلَّكَ الْعَجَبُ عِنْدَمَا تَلْبَسُ هَذِهِ الْأُمُورُ لِبَاسَ الدِّينِ وَالقُرْبَةِ، وَمَا هَذَا إِلَّا لِعُرْبَةِ الدِّينِ وَعَظَمِ الكُرْبَةِ؛ ﴿ وَذِرِ الذَّيْبَ ائْتَحِدُوا دِينَهُمْ لِعِبَادِهِمْ وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الأنعام: ٧٠].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ حَقًّا عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَهْتَمَّ غَايَةَ الْإِهْتِمَامِ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ، وَأَنْ يَتَعَاوَنَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعًا، أَوْلَيْسَ الْكُلُّ يُرِيدُ سُلُوكَ طَرِيقِ الْجَنَّةِ؟! وَهَلْ لَهَا طَرِيقٌ غَيْرُ طَرِيقِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَصَحَابَتِهِ، وَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ؟!

فِيَا مَنْ يُرِيدُ نَجَاتَهُ، السُّنَّةُ السُّنَّةُ!! وَالِاتِّبَاعَ الْإِتِّبَاعَ!! إِيَّاكَ وَالِاغْتِرَارَ بِمَا عَلَيْهِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ؛ فَالْحَقُّ لَيْسَ بِالكَثْرَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] وَإِنَّمَا بِالْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةِ! وَإِنَّ عَلَى حَمَلَةِ السُّنَّةِ: أَنْ يُوحِّدُوا كَلِمَتَهُمْ، وَيَجْمَعُوا قُلُوبَهُمْ، وَيَحْذَرُوا

مِنْ فَتْحِ ثَغْرَاتِ دَاخِلِيَّةٍ، وَتَغْلِيْبِ خِلَافَاتِ جَانِبِيَّةٍ، إِنَّ التَّعَصُّبَ لِلشُّعَارَاتِ
وَالجَمَاعَاتِ، وَالتَّنَظَّرَاتِ الحِزْبِيَّةِ الضِّيِّقَةِ، لَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ،
فَالْحَقُّ لَيْسَ حِكْرًا عَلَى فَرْدٍ دُونَ آخَرَ، وَلَا جَمَاعَةٍ دُونَ أُخْرَى، مَا دَامَ
الْكُلُّ عَلَى المَنْهَجِ النَّبَوِيِّ - لَا سِيَّمَا فِي المَجَالِ العَقْدِيِّ - وَالخَطَأُ وَارِدٌ،
وَالنُّصْحُ مَشْرُوعٌ، وَالتَّسْفِيهُ وَالْأَذَى بَيْنَ الإِخْوَةِ مَمْنُوعٌ. وَالمُجَاهِرَةُ
بِالرُّدُودِ، وَالإِنْشَغَالُ بِهَا بَيْنَ أَصْحَابِ المَنْهَجِ الوَاحِدِ - يُبِيحُ الفُرْصَةَ لِلْأَعْدَاءِ
لِإِحْكَامِ الوَقِيْعَةِ بَيْنَ الأَحِبَّةِ؛ فَالْحَذَرُ الحَذَرُ!!

أَلَا مَا أَحْوَجَ حَمَلَةَ السُّنَّةِ إِلَى تَنْسِيْقِ جُهُودِهِمْ، وَالتَّلَاحِمِ مَعَ وُلَاتِهِمْ
وَعُلَمَائِهِمْ؛ لِذَرِّءِ الأَخْطَارِ المُحْدِقَةِ بِهِمْ^(١).

فِيَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَيَا حَمَلَةَ السُّنَّةِ، وَيَا أَحْبَابَ المُصْطَفَى ﷺ، أَمَا
أَنْ لَنَا أَنْ نَتَنَبَّهَ لِالأَخْطَارِ المُحِيْطَةِ بِنَا، وَالتِّيْ تَهْدِدُنَا فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا؟! أَمَا
أَنْ لَنَا أَنْ نَتَخَلَّى عَنِ المَعَارِكِ الوَهْمِيَّةِ، وَالخِلَافَاتِ الجَانِبِيَّةِ، وَنَبْدُلَ طَاقَاتِنَا،
وَنَصْرِفَ جُهُودِنَا؛ دِفَاعًا عَنِ السُّنَّةِ وَنَشْرًا لَهَا، وَتَتَلَاحِمَ مَعَ وُلَاتِنَا وَعُلَمَائِنَا؛
لِلسِّيْرِ جَمِيْعًا فِي طَرِيقِ الخَيْرِ وَالرَّشَادِ؟!

فَمَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ؟! مَنْ لِلسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ؛ يَقُومُ بِهَا،
وَيَدْعُو إِلَيْهَا، وَيُوَلِّفُ القُلُوبَ حَوْلَهَا، وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهَا، وَيَذُبُّ

(١) المُحْدِقَةُ بِهِمْ، أَي: المُحِيْطَةُ بِهِمْ. «تاج العروس» (حدق).

عَنْهَا - بَعْدَ اللَّهِ - إِلَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؟! فَكُونُوا كَمَا أَرَادَ اللَّهُ لَكُمْ؛ يُجِزْ
لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ؛ فَمِنْهُ وَحْدَهُ التَّوْفِيقُ وَالسَّدَادُ.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِهِدْيِ كِتَابِهِ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا،
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبَانَ الطَّرِيقَ، وَأَوْضَحَ الْمَحَجَّةَ، وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ؛ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،
كَسَاهُ مِنْ حُلَلِ الثُّبُوءِ مَا زَادَهُ مَهَابَةً وَبَهْجَةً، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ الَّذِينَ فَدَوْهُ بِكُلِّ نَفْسٍ وَمُهْجَةٍ^(١)، وَالتَّابِعِينَ
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّةِ رَسُولِكُمْ ﷺ، وَاعْلَمُوا أَنَّ
خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ يُفَيِّضَ لِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ -
فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ - رِجَالًا أَكْفَاءً، يَتَّقُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ،
وَأَنْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ؛ فَ«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ

(١) المَهْجَةُ: الرُّوحُ؛ يُقَالُ: خَرَجَتْ مُهْجَتُهُ. «تاج العروس» (مهج).

عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ
أَمْرُ اللَّهِ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ فِي «الصَّحِيحِينَ»، عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - (١).

وَإِنَّهُ عَلَى مَرَّ الْعُصُورِ، وَتَعَاقِبِ الْأَجْيَالِ، لَا تَزَالُ سُنَّةُ الْمُصْطَفَى
ﷺ وَاصِحَّةَ الْمَعَالِمِ، مَرْفُوعَةَ الرَّايَةِ، يُهَيِّئُ اللَّهُ لَهَا أَيْمَّةَ الْهُدَى؛ لِيَكُونُوا
شُمُوسًا سَاطِعَةً، تُضِيءُ الطَّرِيقَ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ الْخَيْرَ وَالْهِدَايَةَ، فَمَا عَلَى
الْمُسْلِمِ إِلَّا أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَ الْحَقِّ، وَيَذَرَ التَّعَصُّبَ جَانِبًا، وَيَسْأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ
عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ (٢).

وَإِنَّ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ بِحَاجَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ زَمَانٍ مَضَى إِلَى الْاِتِّحَادِ عَلَى مَنْهَجِ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ حَتَّى تُصَبَّ الْجُهُودُ فِي مُحَصِّلَةٍ وَاحِدَةٍ نَحْوِ الْهَدَفِ السَّامِيِّ
الَّذِي يَسْعَى إِلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ؛ لِقِيَادَةِ سَفِينَةِ الْأُمَّةِ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ، وَشَاطِئِ الْإِيمَانِ،
بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مَا يَعْكَرُ طَرِيقَ وُصُولِهَا، وَإِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَى نُغْرٍ مِنْ نُغُورِ الْإِسْلَامِ
فِي خِدْمَةِ دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ بِحَسَبِ مَكَانِهِ وَمَسْئُولِيَّتِهِ.

فَارُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، وَسِيرُوا بِخُطَا مُتَوَازِنَةٍ،
يُوجِّهُهَا الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ يُبْنَى الْوَعْيُ الْوَاقِعِيُّ؛ لِتَأْخُذَ هَذِهِ

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٤١)، و«صحيح مسلم» (١٠٣٧/١٧٤) «كتاب الإمارة»،
من حديث معاوية - رضي الله عنه - وغيره.

(٢) أَشْكَلَ عَلَيْهِ: التَّبَسَّرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَصِحُّ بِنَاؤُهُ لِلْمَفْعُولِ فِي هَذَا الْمَعْنَى؛ فَلَا يُقَالُ:
أَشْكَلَ عَلَيْهِ. انظر: «القاموس» (شكل).

الْأُمَّةُ دَوْرَهَا الْقِيَادِيَّ وَالرِّيَادِيَّ مِنْ جَدِيدٍ فِي مُقَدِّمَةِ الرَّكْبِ ، وَلِتُقَوِّدَ الْبَشَرِيَّةَ مَرَّةً
أُخْرَى إِلَى مَوَاطِنِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ !

هَذَا ؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ،
صَلُّوا عَلَيْهِ صَلَاةً مُتَّبِعَ لَهُ ، مُحِبِّ لَهُ ، مُقْتَفٍ آثَارَهُ ، مُتَمَسِّكٍ بِسُنَّتِهِ ؛ كَمَا
أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب] .

* * *



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا، أَحَمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، تَعْظِيمًا لِسَانِهِ وَتَمْجِيدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِيمَانًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَكُفْرًا بِمَا سِوَاهُ وَتَنْدِيدًا^(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ، أَرْسَلَهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، أَيَّدَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَالآيَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَاخْتَصَّصَهُ بِالْحُجَّةِ الْقَاهِرَةِ، وَالْمِلَّةِ الطَّاهِرَةِ؛ تَرَكَنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنْهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، فَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَمَنْ اسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، وَاقْتَفَى أثرَهُ، صَلَاةً مُتَّابِعَةً عَدِيدَةً، وَبَرَكَاتٍ مُتَعَابِقَةً مَدِيدَةً، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ ، اتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، اتَّقَوْهُ؛

(١) التنديد: التشهير وإظهار العيوب، ندَّد به: شَهَّرَ به وصرَّحَ بعيوبه. «اللسان» (ندد).

تَفُوزُوا وَتُفْلِحُوا، وَاتَّبِعُوا سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ؛ تَسْعُدُوا وَتَهْتَدُوا، وَاقْتَفُوا
أَثَرَهُ، وَبِنَهْجِهِ اقْتَدُوا، وَبِسِيرَتِهِ اعْمَلُوا؛ تَوْفَّقُوا وَتَنْصَرُوا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، يَا أَحْبَابَ رَسُولِ اللَّهِ - عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَسَلَامُهُ - السَّيْرَةُ الْعَطْرَةُ؛ سَيْرَةُ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَزْكَى
تَحِيَّةٍ، بِمَا فِيهَا مِنْ شَمَائِلِ نَبَوِيَّةٍ^(١)، وَمُعْجَزَاتٍ مُحَمَّدِيَّةٍ، وَوَقَائِعَ مُصْطَفَوِيَّةٍ،
كُلُّهَا مَعِينٌ نُرٌّ، وَيَنْبُوعٌ صَافٍ مُتَدَفِّقٌ، يَرْتَوِي مِنْ نَمِيرِهِ كُلُّ مَنْ أَرَادَ
السَّلَامَةَ مِنْ لَوْنَاتِ الْوَسْوَاسِيَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنْ أَكْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ هِيَ الشَّمْسُ
السَّاطِعَةُ، وَالسَّنَا الْمُسْرِقُ، وَالْمِشْعَلُ الْوَضَاءُ، وَالثُّورُ الْمُتَأَلَّقُ، الَّذِي
يُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ الْإِنْحِرَافَاتِ الْعَقْدِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَسِوَاهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ حَاجَةَ الْأُمَّةِ إِلَى مَعْرِفَةِ سَيْرَةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى
ﷺ، وَالْإِقْتِبَاسِ مِنْ مِشْكَاتِ الثُّبُوتِ، فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، بَلْ إِنَّ ضَرُورَتَهَا إِلَى
ذَلِكَ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، يَجْعَلُ الرَّسُولَ -
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قُدُونَهُ، وَالْمُصْطَفَى ﷺ أُسُونَهُ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب].

وَأَهْلُ الْإِيمَانِ الْحَقِّ يَسْتَمِدُّونَ مِنَ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ كُلِّ أُمُورِهِمْ؛ فَلَا

(١) أي: أخلاق نبوية، جمع شمالي، وهو الخلق. «تاج العروس» (شمل).

تَسْتَوِي الْأُمُورُ وَتَسْتَقِيمُ السَّبِيلُ إِلَّا بِذَلِكَ؛ فَبِهَدْيِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَهْتَدُونَ، وَعَلَى ضَوْءِ سُنَّتِهِ يَسِيرُونَ، وَمِنْ مَعِينِ بُيُوتِهِ يَزْتَوُونَ، وَأَعْلَامُ هِدَايَتِهِ يَحْمِلُونَ، وَتَحْتَ لَوَائِهَا يُنْضَوُونَ^(١)، أَسْقَطُوا الرِّيَّاتِ الْمَشْبُوهَةَ، وَدَحَضُوا الشُّعَارَاتِ الزَّائِفَةَ، وَلَمْ يُبْقُوا إِلَّا شِعَارَ التَّوْحِيدِ وَالْمُتَابَعَةِ، عَلَيْهِ يَحْيُونَ، وَعَلَيْهِ يَمُوتُونَ، وَفِي سَبِيلِهِ يُجَاهِدُونَ، وَعَلَيْهِ يَلْقَوْنَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ تَكُنْ حَاجَةً الْأُمَّةِ فِي عَصْرِ مَا إِلَى مَعْرِفَةِ السَّيْرَةِ الْعَطْرَةِ - مَعْرِفَةِ اهْتِدَاءٍ وَاقْتِدَاءٍ - أَشَدَّ إِلَيْهَا مِنْ هَذَا الْعَصْرِ، الَّذِي تَقَاذَفَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ أَمْوَاجَ الْمَحَنِ، وَتَشَابَكَتْ فِيهِ حَلَقَاتُ الْفِتَنِ، وَعَلَبَتْ فِيهِ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَحْكَمَتِ الْمَزَاعِمُ وَالْآرَاءُ، وَوَاجَهَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ أَلْوَانًا مِنَ التَّصَدِّيِّ السَّافِرِ، وَالتَّحَدِّيِّ الْمَاكِرِ، وَالتَّأْمُرِ الرَّهِيْبِ مِنْ قَبْلِ أَعْدَائِ الْإِسْلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ وَنَحْلِهِمْ، يَتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ مَنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ، مِنْ الْيَهُودِ وَالصَّهَابِيَّةِ، وَمَنْ وَالَاهُمْ مِنْ دُعَاةِ التَّثْلِيثِ وَعَبَدَةَ الصَّلِيبِ، وَمَنْ أَزْرَهُمْ مِنَ الْمَفْتُونِينَ بِهِمْ، الْمُتَأَثِّرِينَ بِصَدِيدِ أَفْكَارِهِمْ وَقَبِيحِ ثَقَافَاتِهِمْ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمَنَةِ، وَدُعَاةِ التَّغْرِيْبِ.

وَيَزِدَادُ الْأَسَى حِينَ يَجْهَلُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ حَقَائِقَ دِينِهِمْ، وَجَوْهَرَ عَقِيدَتِهِمْ، وَيَسِيرُونَ مَعَ التِّيَّارَاتِ الْجَارِفَةِ دُونَ تَمَحُّصٍ وَتَحْقِيقٍ،

(١) ينضون: ينضمون. «القاموس» (ضوي).

أَوْ يَجْمُدُونَ عَلَى مَوْزُونَاتٍ مُبْتَدَعَةٍ، دُونَ تَجْلِيَةٍ وَلَا تَدْفِيقٍ، وَحِينَمَا يُضْرَبُ
 الْمَثَلُ فِي ذَلِكَ عَلَى نَظَرَةٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لِلسَّيْرَةِ الْمُبَارَكَةِ، فَإِنَّكَ
 وَاجِدُ الْعَجَبِ الْعَجَابَ: فَفَنَاتٌ تَغْلُو فِي الْجَنَابِ الْمُحَمَّدِيِّ، وَتَرْفَعُهُ إِلَى
 الْمَقَامِ الْإِلَهِيِّ، وَفَنَاتٌ تَجْفُو وَتُعْرِضُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ نَظَرُوا إِلَى السَّيْرَةِ
 النَّبَوِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا قِصَصٌ تُتَلَى، وَفُصُولٌ تُسْرَدُ، دُونَ مُتَابَعَةٍ أَوْ اقْتِدَاءٍ؛ فَلَا
 تُحَرِّكُ قُلُوبًا، وَلَا تَسْتَشِيرُ هِمَمًا، وَلَا تَشْحَذُ عَزَائِمَ.

وَأَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ -
 فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي - فَوْقَ كَوْنِهِ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ التَّأْرِيخِ، فَإِنَّ شَرَفَ النَّبُوَّةِ،
 وَسُمُوَّ الرِّسَالَةِ هُمَا اللَّذَانِ يُحْتَمَانِ لَهُ الْمَحَبَّةُ وَالِاتِّبَاعُ، وَإِنَّ ارْتِبَاطَنَا
 بِرَسُولِنَا وَحَبِيبِنَا ﷺ وَسَيْرَتِهِ الْعَطِرَةِ، لَيْسَ ارْتِبَاطٌ أَوْقَاتٍ وَمُنَاسَبَاتٍ، وَلَا
 حَدِيثٌ مُعْجَزَاتٍ وَذِكْرِيَّاتٍ؛ بَلْ إِنَّهُ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ وَجَمِيعِ
 الشُّبُونِ إِلَى الْمَمَاتِ، وَشَخْصِيَّةٌ ﷺ لَيْسَتْ شَخْصِيَّةً مَعْمُورَةً، وَلَا فِي
 جَنَبَاتِ التَّأْرِيخِ مَطْمُورَةً^(١)، تَبْرُزُ حِينًا وَتُطْوَى حِينًا، حَاشَاؤُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ - بَلْ إِنَّ ذِكْرَهُ يَمَلَأُ الْآفَاقَ، وَالشَّهَادَةُ بِرِسَالَتِهِ تُدَوِّي عِبْرَ الْمَآذِنِ
 وَالْمَنَابِرِ، وَتَنْطَلِقُ عِبْرَ الْحَنَاجِرِ وَالْمَنَائِرِ^(٢).

وَالْمُسْلِمُ الَّذِي لَا يَعِيشُ حُبَّ الرَّسُولِ ﷺ فِي قَلْبِهِ، وَلَا تَتَّبَعُهُ بِصِيرَتُهُ

(١) مَطْمُورَةٌ، أَي: مَدْفُونَةٌ، وَالطَّمْرُ: الدَّفْنُ. «تاج العروس» (طمر).

(٢) المنائر: جمع منارة، وهي المئذنة. «القاموس» (نور).

فِي عَمَلِهِ وَتَفَكُّيرِهِ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِهِ - لَا يُغْنِي عَنْهُ أَبَدًا التَّغْنِي بِسِيرَتِهِ، وَلَا صِيَاغَةُ التُّعُوتِ فِي مَدَائِحِهِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَعْلَى وَأَعْلَى مِنْ مَدْحِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا لَهُ، وَثَنَائِهِ عَلَيْهِ؛ أَمَا رَفَعَ ذِكْرَهُ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ؟! صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ! .

وَمَا جَنَحَ طَوَائِفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مِثْلِ هَذَا اللَّوْنِ مِنَ الْإِفْصَاحِ عَنْ تَعْلِقِهِمْ بِنَبِيِّهِمْ، إِلَّا لَمَّا أَعْيَاهُمْ عِبَاءُ الْعَمَلِ، وَتَرَكَتْ نُفُوسُهُمُ الْعَزَمَاتِ، وَاسْتَسَلَمَتْ لِلتَّوَانِي وَالْكَسَلِ، فَالْجُهْدُ الَّذِي يَتَطَلَّبُ الْعَزَائِمَ هُوَ الْإِسْتِمْسَاكُ وَالْإِقْتِدَاءُ، فَبَدَلًا مِنَ التَّغْنِي وَالتَّرْتُّمِ يَنْهَضُ الْمُسْلِمُ الْجَادُّ إِلَى تَقْوِيمِ نَفْسِهِ، وَإِصْلَاحِ شَأْنِهِ؛ حَتَّى يُحَقِّقَ الْإِقْتِدَاءَ بِرَسُولِهِ ﷺ، وَحَتَّى يُرْجِمَ تِلْكَ الدَّعَاوَى إِلَى وَقَعِ عَمَلِيٍّ فِي كُلِّ شُئُونِهِ: فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فِي حَرْبِهِ وَسِلْمِهِ، فِي مَنْشَطِهِ وَمَكْرَهِهِ، فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ، فِي عِبَادَاتِهِ وَمَعَامَلَاتِهِ.

وَأَنَّ تَحْوِيلَ الْإِسْلَامِ إِلَى هَرِّ اللُّرُؤُسِ، وَتَضَخِيمِ الْعَمَائِمِ، وَإِطَالَةِ اللَّسْبِخِ، يُصَاحِبُ ذَلِكَ تَمْتَمَاتٌ^(١) وَهَمَّهُمَاتٌ^(٢)، وَتَعَلُّقٌ بِأَذْكَارٍ وَتَسَابِيحٍ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَتَمَسُّكٌ بِقَصَائِدٍ وَتَوَاشِيحٍ^(٣): لَشَيْءٍ عَجِيبٌ

(١) التَّمْتَمَاتُ: جَمْعُ تَمْتَمَةٍ، وَهِيَ: رَدُّ الْكَلَامِ إِلَى النَّاءِ وَالْمِيمِ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُعَجَّلَ بِكَلَامِهِ؛ فَلَا يَكَادُ يُفْهِمُكَ. انظر: «اللسان» (تم).

(٢) الهمهمات: جمع همهمة، وهي: الكلام الخفي. انظر: «اللسان» (همم).

(٣) التواشيح: جمع توشيح، وهو اسمٌ لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون، وهو فنٌ عجيب. «تاج العروس» (وشح).

يَحَارُ الْعَقْلُ فِي قَبُولِهِ ! .

وَالْأَدَهَى مِنْ ذَلِكَ: أَنْ تُجْعَلَ هَذِهِ الْأُمُورُ مَعَايِيرَ لِصَدَقِ الْمَحَبَّةِ
وَعَدَمِهَا، وَمَقَائِسَ يُرْمَى كُلُّ مَنْ تَرَكَهَا، وَاسْتَبَانَ عَوَارِهَا، بِتَنْقُصِهِ لِلْحَبِيبِ
الْمُصْطَفَى ﷺ، وَتِلْكَ كَمَا قِيلَ:

شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَحْزَمِ (١)

فَحُبُّ رَسُولِنَا ﷺ مَغْرُوسٌ فِي شِعَافِ قُلُوبِنَا (٢)، وَلَا يَغِيظُ حُبُّهُ إِلَّا
قَلْبَ كُلِّ مُنَافِقٍ جَحُودٍ .

وَمَنْ الْمُؤَسِّفِ: أَنَّ أَعْدَاءَ الْمِلَّةِ تَمَكَّنُوا - فِي غَفْلَةٍ مِنَ الْمُصْلِحِينَ -
أَنْ يُصَدِّعُوا بِنَاءَهُ، وَيَنْقُضُوا أَرْكَانَهُ، فَكَيْفَ - يَا أَحْبَابَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يُتْرَكُ مِيرَاثُ الثُّبُوءِ نَهْبًا لِلْعَوَادِي؟! وَكَيْفَ يَقَعُ التَّبْدِيلُ

(١) هَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي أَحْزَمِ الطَّائِي، وَقِيلَ: لِعَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ الْمُرِّيِّ، وَهُوَ مَعَ بَيْتِ قَبْلِهِ:

إِنَّ يَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَمِّ
شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَحْزَمِ

وَالشِنْشِنَةُ: الْعَادَةُ وَالسَّجِيَّةُ. وَالْبَيْتُ مِنْ أَيْبَاتِ الْأَمْثَالِ يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَشْبَهُ أَبَاهُ،
وَكَذَا يُضْرَبُ لِقَرَبِ الشَّبَّهِ فِي الْخُلُقِ. انظر: «النهاية» (ششش)، و«مجمع الأمثال»
(١/٣٦١)، (٢/٣١٣).

والمراد: أن المبتدعة أشبه وأولى بتنقصهم للرسول ﷺ من أهل السنة، وأن أهل
السنة براء مما رُموا به من التنقص منه ﷺ. انظر هذه الفرية والجواب عنها في «نونية
ابن القيم» بشرح ابن عيسى (٢/٣٤٥-٣٦٨).

(٢) شِعَافُ الْقَلْبِ: غِلاَفُهُ، وَهُوَ جِلْدَةٌ دُونَ الْقَلْبِ كَالْحِجَابِ. انظر: «روضة المحبين»
لابن القيم (ص ٢٥)، و«تاج العروس» (شغف).

والتَّغْيِيرُ فِي دِينِ اللَّهِ فِي غَفْلَةٍ وَسُكُونٍ؟! وَكَيْفَ يُمَهِّدُ لِلجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى أَنْ تَعُودَ مِنْ جَدِيدٍ؟! أَلَا فَلْيَقْفِهِ الْمُسْلِمُونَ سِيرَةَ رَسُولِهِمْ ﷺ فَفَقَهَا مُؤَصَّلًا بِالذَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ بِهِمُ السُّبُلُ الْمُلتَوِيَّةُ، فَتَطُوحَ بِهِمْ بَعِيدًا عَنِ الْجَادَّةِ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف]!

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ جَرَّبَتِ الْأُمَّةُ هَذِهِ الْمَظَاهِرَ بَعْدَ انْحِسَارِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، فَلَمْ تُجِدْ شَيْئًا، لَمْ تُعِدِّ عِزَّةً، وَلَمْ تُورِثْ مَنَعَةً، وَلَمْ تُرْجِعْ مُقَدَّسَاتٍ. وَإِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ فِي هَذِهِ الطَّرُوفِ الْحَرِجَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ مُعْجَزَاتِ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَكَيْفَ يَطِيبُ الْحَدِيثُ، وَكَيْفَ يَحُلُو الْكَلَامُ، وَمُقَدَّسَاتُ الْمُسْلِمِينَ يَعْيْتُ فِيهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ الْأَخْبَاطِ؟! وَهَا هُمْ يُصَعَّدُونَ عُذْوَانَهُمْ، وَيَزِيدُونَ فِي إِذْكَاءِ نَارِ الْفِتْنَةِ^(١)؛ تَحَدِّثًا لِمَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ.

كَيْفَ يَجْمَلُ الْحَدِيثُ عَنِ الْمُعْجَزَاتِ وَالذِّكْرِيَّاتِ، وَأَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصَّرْبِ الْمُعْتَدِينَ يُصِرُّونَ عَلَى صَلْفِهِمْ^(٢) وَعُدْوَانِهِمْ، ضِدًّا إِخْوَانِنَا وَحُرْمَاتِنَا وَأَعْرَاضِنَا فِي جُمهُورِيَّةِ الْبُوسَنَةِ وَالهِرْسِكِ؟!

كَيْفَ يَحُلُو الْكَلَامُ وَالْهِنْدُوسُ الْوَثْنِيُّونَ يُمَعِنُونَ فِي حِقْدِهِمُ السَّافِرِ عَلَى مَسَاجِدِنَا وَمَشَاعِرِنَا فِي الْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ؟!

(١) إِذْكَاءُ النَّارِ: إِيقَادُهَا وَإِشْعَالُهَا. «الْقَامُوسُ» (ذَكَو).

(٢) الصَّلْفُ: مَجَاوِزَةُ الْقَدْرِ. «تَاجُ الْعُرُوسِ» (صَلْف).

كَيْفَ؟! وَكَيْفَ؟! وَقَضَايَانَا الْإِسْلَامِيَّةُ مُعَلَّقَةٌ، وَأَوْضَاعُ الْمُسْلِمِينَ
مُتَرَدِّبَةٌ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ - وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!؟

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى تَجْدِيدِ الْمَسَارِ،
وَتَصْحِيحِ الْمَوَاقِفِ، وَالْوُقُوفِ طَوِيلًا لِلْمُحَاسَبَةِ وَالْمُرَاجَعَةِ، نُرِيدُ مِنْ مُطَالَعَةِ
السِّيَرَةِ مَا يَزِيدُ الْإِيمَانَ وَيُرَكِّبِي السَّرِيرَةَ، وَيَعْلُو بِالْأَخْلَاقِ وَيَقْوُمُ الْمَسِيرَةَ!

يُخْطِئُ كَثِيرُونَ حِينَمَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْمُصْطَفَى ﷺ وَسِيرَتِهِ، كَمَا يَنْظُرُ
الْآخَرُونَ إِلَى عَظَمَائِهِمْ فِي نَوَاحٍ مُعَيَّنَةٍ مَحْدُودَةٍ يَعْلَمُ أَوْ حُنْكَةً^(١) أَوْ عَبَقْرِيَّةً؛
فَرَسُولُنَا ﷺ قَدْ جَمَعَ نَوَاحِيَ الْعَظَمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلَّهَا فِي ذَاتِهِ وَشَمَائِلِهِ وَجَمِيعِ
أَحْوَالِهِ، لِكِنَّةٍ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ رَبًّا فَيُقْصَدُ، وَلَا إِلَهًا فَيُعْبَدُ، وَإِنَّمَا هُوَ نَبِيٌّ يُطَاعُ
وَيَتَّبَعُ، هُوَ مِنْهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ...﴾ [آل عمران: ١٦٤].

إِنَّ مِنَ الْمَوْسِفِ حَقًّا: أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَقْدُرُوا رَسُولَهُمْ -
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حَقَّ قَدْرِهِ، حَتَّى وَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ بِالْحُبِّ
وَالتَّعْظِيمِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ حُبٌّ سَلْبِيٌّ، لَا صَدَى لَهُ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ، وَلَا أَثْرَ لَهُ
فِي السُّلُوكِ وَالْإِمْتِنَالِ؛ تَأْمَلْ هَدْيَهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي! -
فِي مَجَالِ الْأَخْلَاقِ، تَجِدُهُ مِثَالَ الْكَمَالِ فِي رِقَّةِ الْقَلْبِ، وَسَمَاحَةِ الْيَدِ،

(١) الْحُنْكَةُ: التَّجْرِبَةُ وَالْبَصَرُ بِالْأُمُورِ. «تاج العروس» (حنك).

وَكَفَّ الْأَدْيَى، وَبَدَّلَ النَّدَى^(١)، وَعَفَقَةَ النَّفْسِ، وَاسْتَقَامَةَ السَّيْرَةِ، كَانَ -
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - دَائِمَ الْبَشْرِ، سَهْلَ الطَّبَعِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفِظٌ
وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا صَحَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ.

يَقُولُ أَنَسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «مَا مَسِسْتُ بِيَدِي دِيبَاجًا^(٢) وَلَا حَرِيرًا
أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ رَائِحَةَ كَانَتْ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣)، وَلَقَدْ «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أَفَّ
قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٌ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟! وَلَا لِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٤).

وَيَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ
تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٥).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : «كُنْتُ أَمْشِي
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ، فَأَدْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ،
فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ أَثَرَتْ بِهِ
حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ،

(١) النَّدَى: السَّحَابُ وَالكَرْمُ. «تاج العروس» (ندي).

(٢) الدِّيَابَجُ: هُوَ الثِّيَابُ الْمَتَّخَذَةُ مِنَ الْإِبْرِسِمِ (الحرير). «النهاية» (ديج).

(٣) رواه أحمد (٢٢٧/٣)، والبخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٤) رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، والترمذي (٢٠١٥).

(٥) رواه أحمد (١٩٠/٤)، والترمذي (٣٦٤١).

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ﷺ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِعَطَاءٍ»^(١).

تِلْكَ لَعْمَرُ الْحَقِّ! - عِرَاقَةُ الْخِلَالِ، وَكَرِيمُ السَّمَائِلِ، فَهَلْ مَنْ
يَتَعَنُونَ الْيَوْمَ بِسِيرَتِهِ يَقْتَمُونَ أُنْرَهُ؟!

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقَلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنِ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ^(٢)

وَانظُرْ إِلَى صَفْحَةٍ أُخْرَى مِنْ صَفَحَاتِ شَمَائِلِهِ فِي الْحَرْبِ وَالْقُوَّةِ؛
فَقَدْ كَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - شُجَاعًا لَا يَعْرِفُ الْخَوْفَ، مِقْدَامًا لَا
يَعْرِفُ التَّرَدُّدَ؛ يَقُولُ أَنَسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ
النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ
سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ، فِي عُنُقِهِ
السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا! لَمْ تُرَاعُوا!»^(٣)»^(٤).

(١) «صحيح البخاري» (٣١٤٩)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٧).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (١١٥٥).

(٣) لَمْ تُرَاعُوا، أَي: لَا فَرَعَ عَلَيْكُمْ وَلَا رَوْعَ، فَاسْكُنُوا وَاهْدُوا. «اللسان» (روع).

(٤) رواه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

وَقَالَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ - اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ ﷺ» (١).

وَهَكَذَا فِي مُعَامَلَانِهِ لِأَصْحَابِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَزَوْجَاتِهِ، وَسِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِي عِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ، وَفِي نَفَقَتِهِ وَبَذْلِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى أَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَتَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَهَلْ تُدْرِكُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمَ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلِّي لِأَحْيَاءِ وَقَائِعِ السَّيْرَةِ إِحْيَاءً عَمَلِيًّا حَقِيقِيًّا، لَا صُورِيًّا شَكْلِيًّا؟!

إِنَّ حَقًّا عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ - وَهُمْ الْمُؤْتَمِنُونَ عَلَى مِيرَاثِ الثُّبُوءِ - أَنْ تَصْفُلَهُمُ الْوَقَائِعُ، وَتُرَبِّبَهُمُ التَّجَارِبُ؛ إِذْ لَا تَزَالُ الْفِتْنُ وَالْحُطُوبُ مُدْلِهَمَّةً عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَلَكِنْ مَعَ مَا سَبَى الْمُسْلِمِينَ التَّكَاثُرَ، وَجِرَاحَاتِهَا الْمُتَوَافِرَةَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةٌ ثَرِيَّةٌ بِعَطَاءِهَا، وَالْحَيْرُ فِيهَا مُسْتَمِرٌّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فِي خِضَمِّ الْمُعَانَاةِ مَعَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ تَبَرُّزُ فُلُولِ التَّقَاؤِ، وَتَظْهَرُ بَوَارِقُ الْأَمَالِ، تُجَسِّدُهَا صَحَوَاتُ عَالَمِيَّةٌ، وَأَنْتِفَاضَاتُ إِسْلَامِيَّةٌ، وَتَوَجُّهَاتُ خَيْرِيَّةٌ، تَنْشُدُ الْإِسْلَامَ بِأَصُولِهِ الصَّحِيحَةِ وَحَقَائِقِهِ النَّاصِعَةِ.

(١) رواه أحمد (١/١٥٦)، والبغوي في «الأنوار، في شمائل النبي المختار» (٢٥٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤/١٣).

وَلَقَدْ ثَبَّتْ لِدَوِيِّ الْبَصَائِرِ أَنَّ رَفَعَ رَايَةَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِعْلَانِ
التَّضْحِيَّةِ، وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ الْحَقِّ - هُوَ الطَّرِيقُ الْأَوْحَدُ لِإِعْلَاءِ
كَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِعْزَازِ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ، وَأَنَّ النَّزَاعَ مَعَ الْأَعْدَاءِ الْمُتَكَاثِرِينَ - لَا
كَثْرَهُمْ اللَّهُ - نِزَاعٌ عَقِيدَةٌ وَهُويَّةٌ وَمَصِيرٌ، وَأَنَّ الْمُقَدَّسَاتِ لَنْ تُحَرَّرَ بِرَايَاتِ
إِفْلِيمِيَّةٍ مَحْدُودَةٍ، وَلَا شِعَارَاتِ طَائِفِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ، وَإِنَّمَا بِشِعَارِ الْإِسْلَامِ،
وَالِإِسْلَامِ وَحْدَهُ، وَالْجِهَادِ وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِهِ؛ ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴾ [١٢٨] فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَأَقْصَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَاسْتَعْصَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَحَاطَ عِلْمًا بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ وَأَحْصَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَمَرَ أُمَّتَهُ بِالْتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَأَوْصَى، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ حَرَّصَ عَلَى اقْتِفَاءِ سِيرَتِهِ وَاجْتِهَادِ فِي التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَاسْتَوْصَى.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَرَوْوا قُلُوبَكُمْ وَأَرَوْاحَكُمْ مِنْ سِيرَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَتَدَبَّرُوا مُعْجَزَاتِهِ الْعَظِيمَةَ، وَمَا فِيهَا مِنْ حِكْمٍ وَأَسْرَارٍ بَدِيعَةٍ، وَارْبُطُوا أَنْفُسَكُمْ وَنَسَاكُمْ وَأَسْرَكُمْ بِهَا رِبْطًا مُحْكَمًا وَثِيقًا، يَسْمُو عَنْ التَّخْصِصِ فِي أَوْقَاتٍ، وَالتَّعْيِينِ فِي مُنَاسَبَاتٍ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْمُنَاسَبَاتِ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْوَقَائِعَ النَّبَوِيَّةَ، فِي تَارِيخِنَا الْوَضَاءِ، يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْهَجِ، وَإِحْكَامِ الْمَسِيرَةِ وَالْبِنَاءِ.

فِي تَارِيخِنَا الْإِسْلَامِيِّ الْمَجِيدِ مُنَاسَبَاتٌ عِظَامٌ، وَأَحْدَاثٌ جِسَامٌ،

الْقُلُوبُ بِهَا مُفْعَمَةٌ^(١) ، وَالصُّدُورُ لَهَا مُبْتَهَجَةٌ مُنْشَرِحَةٌ ، لَكِنْ لَيْسَ مِنْ
مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِحْيَاءُ هَذِهِ الذِّكْرِيَّاتِ ، وَالإِحْتِفَالُ بِهِذِهِ الْمُنَاسَبَاتِ ،
وَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي الْوُقُوفِ حَيْثُ وَقَفَ السَّلَفُ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيَّ صَاحِبِ الْحَوْضِ الْمَوْرُودِ ، وَاللُّوَاءِ
الْمَعْقُودِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْمَوْلَى
الْغَفُورُ الْوَدُودُ؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) مُفْعَمَةٌ : ممتلئة . «اللسان» (فعم).



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ؛ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَزِيدَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ،
أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ وَيَسَّرَ، وَحَكَمَ وَدَبَّرَ، وَنَهَى وَأَمَرَ، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا
بِنِعْمٍ لَا تُحْصَرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، هُوَ بَشَرٌ كَالْبَشَرِ، بَعَثَهُ
اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، أَرْسَلَهُ لِيُطَاعَ وَيُتَّبَعَ، لَا لِتُخَالَفَ سُنَّتُهُ وَيُرَادَ فِيهَا وَيُتَدَعَ،
فَلَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ بِهِ حَتَّى يُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَيُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَيَجْتَنِبَ
مَا عَنَّهُ نَهَى وَزَجَرَ، مِنَ الْمَعَاصِي وَالْبِدَعِ الْجَالِيَةِ لِلْخَطْرِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ التَزَمُوا سُنَّتَهُ وَوَقَفُوا عِنْدَ هُدْيِهِ، مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ
بِنَظَرٍ، وَأُذُنٌ بِخَبْرٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَأَشْكُرُوهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ؛ إِذْ بَعَثَ فِيكُمْ رَسُولًا
مِّنْ أَنْفُسِكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ، وَيُرَكِّبُكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ؛
فَحَقَّقُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِكُمْ ﷺ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ هُدْيِهِ وَشَرِيْعَتِهِ،
وَالْبُعْدِ عَمَّا أَحَدَّثَهُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ مِنَ الْبِدَعِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ.

إِحْوَةَ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَقَدْ جَاءَ الْأَمْرُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ،
 وَلَزُومِ سُنَّتِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَأَحَادِيثَ شَرِيفَةٍ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ، وَكُلُّهَا نُصُوصٌ صَرِيحَةٌ فِي وُجُوبِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَالتَّسْلِيمِ
 لَهُ دُونَ اعْتِرَاضٍ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْ أَوْامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ بِأَيِّ حَالٍ؛ قَالَ
 تَعَالَى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]،
 وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
 ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ مُحَدَّرًا مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ - عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿ فليَحْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
 يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور].

كَمَا زَخَرَتْ سُنَّةُ الْمُصْطَفَى ﷺ بِمَا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ الرَّسُولِ
 ﷺ، وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْبِدْعِ فِي الدِّينِ؛ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ،
 وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، عَنِ الْعَرَبِيَّاتِ بْنِ سَارِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛
 فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ؛ فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا
 عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ
 بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١).

(١) «المسند» (٤/١٢٦)، و«سنن أبي داود» (٤٦٠٧)، و«جامع الترمذي» (٢٦٧٦)،
 و«صحيح ابن حبان» (٥).

فَتَجَلَّى لِكُلِّ مُسْلِمٍ - مِنْ هَذِهِ التُّصُوصِ ، وَالآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي
يَقْضُرُ الْمَقَامُ عَنْ ذِكْرِهَا كُلِّهَا - : أَنَّ الْمُسْلِمَ مَأْمُورٌ بِالِاتِّبَاعِ ، وَمَنْهِيٌّ عَنِ
الِابْتِدَاعِ ، وَإِحْدَاثِ الْأُمُورِ الْمُخَالَفَةِ لِلدِّينِ ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ ، فَهُوَ رَدٌّ » مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ ^(١) ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، فَهُوَ رَدٌّ » ^(٢)
أَيُّ : مَرْدُودٌ عَلَيْهِ ، غَيْرٌ مَقْبُولٌ .

وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فِي هَذَا الْمَجَالِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
مَا يُوضِّحُ الْإِتِّجَاهَ الْعَامَّ لِلْقُرُونِ الْخَيْرَةِ ، وَيُقَدِّمُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ
وَمَكَانٍ الْمَثَلَ الْأَعْلَى ، الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَلْهُمُوا مِنْهُ سَبِيلَ النِّجَاةِ :
يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا ؛
فَقَدْ كُفِينُمْ » ^(٣) .

وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « مَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِنْ عَامٍ إِلَّا
أَحْدَثُوا فِيهِ بَدْعَةً ، وَأَمَاتُوا فِيهِ سُنَّةً ، حَتَّى تَحْيَا الْبِدْعُ ، وَتَمُوتَ السُّنَّةُ » ^(٤) .

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٩٧)، و«صحيح مسلم» (١٧١٨) .

(٢) «صحيح مسلم» (١٧١٨) .

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٦/١)، وابن
وضاح في «كتاب فيه ما جاء في البدع» (ص ٤٢) .

(٤) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٩٢/١)، وابن
وضاح في «كتاب فيه ما جاء في البدع» (ص ٨٧) .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنْ رَأَاهَا النَّاسُ حَسَنَةً»^(١).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا؛ مَنْ عَمِلَ بِهَا، فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا، فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»^(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «لَنْ يَصْلَحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوْلَاهَا»^(٣).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «الطَّرِيقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَى الْخَلْقِ، إِلَّا عَلَى مَنْ افْتَنَى أَثَرَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»^(٤).

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ، وَالْيَوْمَ لَمَّا اسْتَحْكَمَتْ غُرْبَةُ الدِّينِ، وَقَلَّ

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٩٢/١)، وابن بطه في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٣٣٩/١).

(٢) رواه الآجري في كتاب «الشريعة» (٤٠٨/١)، وابن بطه في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٣٥٢/١).

(٣) انظر: «منهاج السنة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٤٤/٢).

(٤) رواه الخطيب في «الفتية والمتفق» (٣٨٩/١) بإسناد صحيح، وأبونعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٧/١٠)؛ عن الجنيد. وانظر: «الاعتصام» (١٦٠/١).

أَعْوَانُهُ وَأَنْصَارُهُ، وَكَثُرَ لِدَادُهُ^(١) وَأَعْدَاؤُهُ، وَضَعْفَ إِيْمَانِ أَهْلِهِ، وَاشْتَعَلُوا عَنْهُ بَغْيِيْرَهُ، وَكَثُرَ دُعَاةُ الشُّوْءِ، وَأَرْبَابُ الْبِدْعِ وَالْخُرَافَةِ: لَمَّا حَصَلَ ذَلِكَ، تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ؛ فَعَادَ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَالسُّنَّةُ بَدْعَةً، وَالْبَدْعَةُ سُنَّةً، وَانْتَشَرَتِ الْبِدْعُ بَيْنَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، وَسَرَتْ فِي قُلُوْبِهِمْ وَعُقُولِهِمْ كَمَا تَسْرِي الدِّمَاءُ فِي أَبْدَانِهِمْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَمِنَ الْبِدْعِ الْمُحَدَّثَةِ فِي دِيْنِ اللَّهِ، الَّتِي كَثُرَ انْتِشَارُهَا وَرَوَّاجُهَا الْيَوْمَ - بَلْ وَضَرَبَتْ أَطْنَابَهَا^(٢) فِي أَفْطَارٍ كَثِيْرَةٍ جَدًّا مِنَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَاسْتَحْكَمَتْ فِي قُلُوْبِ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، وَعَادَتْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيْهِ - مَا يُفْعَلُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْاِحْتِفَالَاتِ وَالْاِجْتِمَاعَاتِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَيُسَمِّيْهَا أَصْحَابُهَا: اِحْتِفَالَاتِ بِيْذِكْرِيْ مَوْلِدِ الرَّسُوْلِ الْأَعْظَمِ ﷺ!! بَلْ وَصَلَ الْأَمْرُ بِبَعْضِهِمْ: أَنْ يُخَصِّصُوا هَذَا الشَّهْرَ لِشَدِّ الرَّحَالِ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ؛ قُرْبًا مِنْ مَوَاطِنِ الْمُصْطَفَى ﷺ - بِزَعْمِهِمْ - وَهَذَا عَمَلٌ لَا بُرْهَانَ لَهُ، وَتَخْصِيْصٌ لَا دَلِيْلَ عَلَيْهِ؛ ﴿تِلْكَ أَمَانِيْنُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ [البقرة].

(١) اللِّدَادُ وَاللُّدُّ: جَمْعُ اللَّدِّ، وَهُوَ الشَّدِيْدُ الْخِصْمَةُ الْجَدِيْدُ؛ وَمِنْهُ: ﴿وَتُنذِرِيْهِمْ قَوْمًا لِّدًّا﴾ [مريم]. «اللسان» (لدد).
 (٢) الْأَطْنَابُ: جَمْعُ طَنْبٍ، وَهُوَ مَا يَشُدُّ بِهِ الْبَيْتَ. «اللسان» و«تاج العروس» (طنب)، وَضَرَبَتْ الْبِدْعُ أَطْنَابَهَا، أَي: اسْتَقَرَّتْ وَثَبَتْ أَمْرَهَا.

فَتَخْصِيصُ لَيَالِي هَذَا الشَّهْرِ أَوْ بَعْضِهَا بِالِاخْتِفَالَاتِ لَا يَجُوزُ
شَرْعًا؛ لِأَدَلَّةٍ كَثِيرَةٍ:

الأول: أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ الْمُحَدَّثَةِ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ
يَفْعَلْهُ، وَلَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، وَلَا غَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -
وَلَا التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْقُرُونِ الْمُفْضَلَةِ، وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالسُّنَّةِ،
وَأَكْمَلُ حُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُتَابَعَةِ لَشَرْعِهِ، مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ؛ فَيَسْعُنَا مَا
وَسِعَهُمْ، وَلَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ.

الثاني: مَا ثَبَتَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ،
الَّتِي تُوجِبُ طَاعَةَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَالْوُقُوفَ عِنْدَ سُنَّتِهِ،
وَتَحَذِّرُ مِنَ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ ^(١).

الثالث: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَرَسُولَهُ ﷺ بَلَّغَ الْبَلَاغَ
الْمُبِينَ، وَإِحْدَاثُ مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَالِدِ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُكْمِلِ الدِّينَ، وَأَنَّ
الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُبَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، حَتَّى جَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرُونَ بَعْدَ
الْقُرُونِ الْمُفْضَلَةِ؛ فَأَحْدَثُوا فِي شَرْعِ اللَّهِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ؛ زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا
يُقَرَّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَكَفَى بِهَذَا اعْتِرَاضًا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَتَنْقِصًا لِشَرْعِهِ،
وَقَدْحًا فِي تَبْلِيغِ رَسُولِهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!

(١) وقد مرت بك طائفة منها، انظر: (ص ١٦٠، ١٦١).

الرَّابِعُ: أَنَّ إِقَامَةَ مِثْلِ هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتِ خُرُوجٌ عَنِ جَادَةِ الصَّوَابِ،
وَتَشَبُّهُ بِالْكَفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي أَعْيَادِهِمْ؛ وَقَدْ نَهَيْنَا عَنِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ^(١).

الخَامِسُ: أَنَّ الْعِبَادَاتِ تَوْقِيفِيَّةٌ؛ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْرَعَ فِيهَا، وَإِنَّمَا
يُشْرَعُ مِنْهَا مَا شَرَعَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ
مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

السَّادِسُ: أَنَّ قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ وَمَقَاصِدَ الدِّينِ، تَرُدُّ مِثْلَ هَذِهِ
الْإِحْتِفَالَاتِ؛ فَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُقَرَّرَةِ فِي الشَّرِيعَةِ: «رَدُّ مَا تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ
إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»، وَقَدْ رَدَدْنَا مِثْلَ ذَلِكَ إِلَيْهَا؛ فَوَجَدْنَا فِيهَا التَّحْذِيرَ عَنِ
مِثْلِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قَاعِدَةٌ: «سَدُّ الدَّرَائِعِ» وَ«إِزَالَةُ الضَّرَرِ» وَأَكْبَرُ الضَّرَرِ:
الضَّرَرُ فِي الدِّينِ، أَضْفُ إِلَى ذَلِكَ مَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي أَعْظَمُهَا:
الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ بِاللَّهِ؛ مِنْ دُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، وَطَلَبِ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجِ
الْكُرْبَاتِ مِنْهُ، وَإِنْشَادِ الْقَصَائِدِ الشَّرِكِيَّةِ بِمَدْحِهِ وَالْغُلُوفِ فِيهِ، كَمَا يَحْصُلُ
فِيهَا الْإِحْتِلَاطُ، وَالْإِسْرَافُ وَتَبْذِيرُ الْأَمْوَالِ، وَرَفْعُ الْأَصْوَاتِ بِلُغْوِ الْقَوْلِ
وَسَاقِطِ الْمَقَالِ. هَذَا مَعَ أَنَّ الشَّهْرَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ بَعَيْنَهُ
الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، فَلَيْسَ الْفَرَحُ بِأَوْلَى مِنَ الْحُزْنِ فِيهِ!

وَتَخْصِيصُ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي هَذَا الشَّهْرِ بِالْإِحْتِفَالَاتِ خَلَطٌ وَهَوَى؛

(١) لمزيد من التفصيل في التشبه وأحكامه انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم»؛ لشيخ الإسلام
ابن تيمية، رحمه الله.

لِتَضَارِبِ أَقْوَالِ الْمُؤَرِّخِينَ فِي تَحْدِيدِ يَوْمِ مِيلَادِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
 وَمَنْ حَدَّدَ لَيْلَةً بِعَيْنِهَا لِلِإِحْتِفَالِ، فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ دَلِيلٍ، وَلِعُلَّمَاءِ
 الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفِينَ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ - قَدِيمًا وَحَدِيثًا - مُؤَلَّفَاتٌ وَأَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ
 فِي إِنْكَارِ هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتِ .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أَمَّا اتِّخَاذُ مَوْسِمٍ غَيْرِ
 الْمَوَاسِمِ الشَّرْعِيَّةِ؛ كَبَعْضِ لَيَالِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، الَّتِي يُقَالُ: إِنَّهَا لَيْلَةُ
 الْمَوْلِدِ - فَهِيَ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِبَّهَا السَّلْفُ الصَّالِحُ، وَلَمْ يَفْعَلُوها»^(١)،
 وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِنَّ هَذَا [أَي: اتِّخَاذَ الْمَوْلِدِ عَيْنًا] لَمْ يَفْعَلْهُ السَّلْفُ، مَعَ
 قِيَامِ الْمُقْتَضِي لَهُ، وَعَدَمِ الْمَانِعِ مِنْهُ»^(٢)، وَلَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا مَحْضًا، أَوْ
 رَاجِحًا، لَكَانَ السَّلْفُ أَحَقَّ بِهِ مِنَّا؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ مَحَبَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ -
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَتَعْظِيمًا لَهُ مِنَّا، وَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ أَحْرَصُ»^(٣)،
 وَقَالَ: «فَأَمَّا الْإِجْتِمَاعُ فِي عَمَلِ الْمَوْلِدِ عَلَى غِنَاءٍ وَرَفْصٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ،
 وَاتِّخَاذُهُ عِبَادَةً: فَلَا يَرْتَابُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ فِي أَنَّ هَذَا مِنَ
 الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي يُنْهَى عَنْهَا، وَلَا يَسْتَحِبُّ ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ زَنْدِيقٌ»^(٤) .

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥/٢٩٨) .

(٢) انظر تفصيل القول في البدعة وضوابطها، وأنواعها وحكم كل نوع - في «الاعتصام»
 للشاطبي .

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٣٣٣) .

(٤) انظر «رسائل في حكم الاحتفال بالمولد» (١/٣٤) .

وَوَخْشِيَةَ الْإِطَالَةِ أَحْجَمْتُ عَنْ ذِكْرِ أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ لِلسَّلَفِ، تَنْهَى عَنْ هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتِ، وَتُحَذِّرُ مِنْهَا.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، بَقِيَ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِينَ يَحْتَفِلُونَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْبِدْعِيَّةِ هُمْ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ:

الْأَوَّلُ: جَهْلَةٌ مُقَلِّدُونَ، لِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ: رَأَيْنَا النَّاسَ يَفْعَلُونَ شَيْئًا فَفَعَلْنَاهُ، وَكَفَى بِهَذَا ضَلَالًا؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي أَمْثَالِهِمْ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف].

الثَّانِي: مُرْتَزِقَةٌ أَكَّالُونَ، يُرِيدُونَ إِشْبَاعَ شَهَوَاتِهِمْ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتِ؛ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَالْإِجْتِمَاعِ الْبَاطِلِ.

الثَّلَاثُ: دُعَاةُ سُوءٍ وَضَلَالٍ مُعْرِضُونَ، يُرِيدُونَ الدَّسَّ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَصَرَفَ النَّاسِ عَنِ السُّنَنِ، وَإِشْغَالَهُمْ بِالْبِدَعِ وَالْحُرَافَاتِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - إِلَى مَتَى التَّخَبُّطُ فِي مِثْلِ هَذِهِ التَّرَهَاتِ (١)، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الضَّلَالَاتِ؟! إِلَى مَتَى الْإِحْدَاثُ فِي دِينِ اللَّهِ وَالتَّغْيِيرُ؟! أَيْنَ الْغَيْرَةُ عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ؟! أَيْنَ الرَّغْبَةُ فِي التَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ؟! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا

(١) التَّرَهَاتُ: الْأَبَاطِيلُ، وَالْأُمُورُ الْخَالِيَةُ مِنَ النِّفَعِ. «تاج العروس» (تره).

بَدَأَ! فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ!»^(١)! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَإِلَيْهِ الْمُسْتَكِي، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ!
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَارزُقْنَا السَّيْرَ عَلَى سُنَّةِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، وَجَنِّبْنَا الْمَعَاصِيَ وَالْبِدَعَ فِي الدِّينِ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ! إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) رواه مسلم (١٤٥)، وأبو يعلى (٦١٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالِاتِّبَاعِ، وَنَهَانَا عَنِ الْإِبْتِدَاعِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْحَقَّ يُعْرَفُ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، لَا بِفِعْلِ النَّاسِ؛ فَلَا تَعْتَرُّوا بِكَثْرَةِ مَنْ يُحَدِّثُ الْبِدْعَ وَالِإِحْتِفَالَاتِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وَقَدْ زَيْنَ الشَّيْطَانُ لِأَرْبَابِ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ يَتَّبِعُحُونَ بِهَا؛ لِيُلْبَسُوا عَلَى الْعَامَّةِ وَقَلِيلِي الْعِلْمِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْهَامٌ كَنَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ؛ لِمُخَالَفَتِهَا التُّصُوصَ الصَّرِيحَةَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْهَجَ سَلَفِ الْأُمَّةِ .

فَمِنْ شُبُهَاتِهِمْ: زَعْمُهُمْ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا تَعْبِيرٌ عَنِ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْفَرَحَةِ بِذِكْرِي مَوْلِدِهِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَا يُحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - . وَتِلْكَ حُجَّةٌ وَاهِيَةٌ، إِنْ يَتَّبِعُ قَائِلُوهَا إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ؛ فَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا هُوَ بِاتِّبَاعِ شَرْعِهِ، وَلِزُومِ سُنَّتِهِ، لَا بِالِإِحْتِفَالَاتِ الْبِدْعِيَّةِ الْمُنْكَرَةِ؛ قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿آل عمران: ٣١﴾

وَمِنْ شُبُهَاتِهِمْ: قَوْلُهُمْ: «إِنَّ هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتِ بِدَعَاةِ حَسَنَةٍ؛
وَذَلِكَ قَوْلٌ بَاطِلٌ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدَعَاةٍ ضَلَالَةٌ؛ كَمَا ثَبَتَ عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ (١)،
وَمِنْ أَيْنَ لَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ فِي الْإِسْلَامِ بِدَعَاةٌ حَسَنَةٌ؟!
وَمِنْ شُبُهَاتِهِمْ: دَعْوَاهُمْ أَنَّ النَّاسَ تَعَارَفُوا عَلَيْهَا، وَأَصْبَحُوا
يَفْعَلُونَهَا، مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ، وَيُرَدُّ عَلَى ذَلِكَ: بِأَنَّ لَمْ نَتَعَبَّدْ بِأَفْعَالِ النَّاسِ
وَعَادَاتِهِمْ الْمُخَالَفَةَ لِلدِّينِ؛ وَإِنَّمَا تَعَبَّدْنَا بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَمِنْ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ زَيْنَ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ
لأَصْحَابِهَا، وَأَغْوَى قُلُوبَهُمْ؛ فَجَعَلَهُمْ يَنْشُطُونَ وَيَجْتَهِدُونَ فِي حُضُورِ
هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتِ، وَيَتَعَصَّبُونَ لَهَا، وَيُدَافِعُونَ عَنْهَا، وَيَتَهَجَّمُونَ عَلَى مَنْ
أَنْكَرَهَا، وَرَبَّمَا تَرَكُوا كَثِيرًا مِنَ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَا يَرْفَعُونَ لِذَلِكَ
رَأْسًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قِلَّةِ الْبَصِيرَةِ فِي الدِّينِ، وَمِنْ الْجَهْلِ الْمُبِينِ.
وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ بَعْضَهُمْ يَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْضُرُ بِدَعْوَتِهِمْ؛
وَلِهَذَا يَقُومُونَ لَهُ مُحَيِّينَ وَمُرْحِبِينَ؛ وَهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، وَأَقْبَحِ
الْجَهْلِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

(١) فيما رواه أحمد (٣/٣١٠-٣١١)، ومسلم (٨٦٧)، من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، بِهِذِهِ الْأَدِلَّةُ النَّاصِعَةَ، وَهَذِهِ
الرُّدُودِ الْوَاضِحَةِ، يَتَجَلَّى لَنَا تَهَافُتُ هَذِهِ الْبِدْعَةَ وَدَخُضَهَا وَتَفْنِيدُهَا،
وَيَتَبَيَّنُ لِمَنْ لَهُ أُذُنِي بَصِيرَةٌ وَإِنصَافٌ وَاتِّبَاعٌ لِلْحَقِّ: أَنَّهَا مِنَ الْخَطَأِ فِي دِينِ
اللَّهِ، وَأَنَّهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُنَادِيَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ
الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ - بَرَاءَةً لِلدِّمَّةِ، وَإِبْلَاغًا لِلأُمَّةِ - أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِهِمْ،
وَأَنْ يَتْرُكُوا مِثْلَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، إِنَّا نُنَادِيهِمْ نِدَاءَ الْعَطْفِ وَالِإِشْفَاقِ،
وَالْخَوْفِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، يَوْمَ يَقْفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَبْئُؤُونَ بِأَنْقَالِهِمْ
وَأَنْقَالٍ مَعَ أَنْقَالِهِمْ.

إِنَّا نُنَادِي مِنْ هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي انْتَشَرَتْ مِنْهُ كَلِمَةُ الْحَقِّ، وَدَوَّتْ
فِي أَرْجَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، نُنَادِي نِدَاءَ الْعَقْلِ وَالِإِشْفَاقِ، لِتَرْكِ التَّعَصُّبِ،
وَلِلْبَحْثِ عَنِ الْحَقِيقَةِ، وَاتِّبَاعِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نُنَادِي بِهَجْرِ هَذِهِ الْبِدْعِ؛ فَهِيَ لَا تَزِيدُ أَصْحَابَهَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا
بُعْدًا، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ وَسُنَّتِهِ إِلَّا صُدُودًا، وَأَنْ يَسْتَمْسِكُوا بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ،
فَلَطَالَمَا سُوءَ الْإِسْلَامِ النَّاصِعُ بِهِذِهِ الْإِخْتِفَالَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَأَمْثَالِهَا مِنَ
الْبِدْعِيَّاتِ الَّتِي حَرَفَتْ كَمَالَ الْإِسْلَامِ، وَشَوَّهَتْ جَمَالَهُ وَجَوْهَرَهُ؛ إِنَّهُ نِدَاءٌ
مِلْؤُهُ التَّجَرُّدُ عَنِ التَّعَصُّبِ وَالْهَوَى، وَالِدَّعْوَةُ إِلَى الْحَقِّ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة]، ﴿ فَإِنْ لَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى

مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٦﴾ [الفصص].

هَذَا؛ وَقَدْ نَدَبَكُمْ رَبُّكُمْ لِلصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُجْتَبَى،
وَالرَّسُولِ الْمُصْطَفَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

القِسْمُ الْخَامِسُ

العِبَادَاتُ

- * الطَّهَارَةُ
- * الصَّلَاةُ
- * الزَّكَاةُ
- * الصِّيَامُ
- * الْحَجُّ
- * الْجِهَادُ وَالْحِسْبَةُ



الخطبة للهوى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ،
وَنُثْنِي عَلَيْهِ خَيْرَ كُلِّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَشْرَفُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الْعَرَّ الْمِيَامِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أتماعده:

فِي أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حَقَّ التَّقْوَى.

عِبَادَ اللَّهِ، يَا مَنْ شَرَّفَكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، اشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ
الْكُبْرَى؛ فَإِنَّ دِينَكُمْ دِينُ الْكَمَالِ وَالشُّمُولِ، وَلَمْ يَتْرِكْ خَيْرًا لِلْعِبَادِ وَصَلَاحًا
لَهُمْ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ أَوْ الْمَعَادِ، إِلَّا أَمَرَ بِهِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا أَوْ ضَرًّا
يَعُودُ عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، أَوْ فِي عُقُولِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ، إِلَّا حَذَرَ مِنْهُ، وَنَهَى
عَنْهُ، وَلَقَدْ كَانَ رَفْعُ الْحَرَجِ وَالْعَنَاءِ، وَالْأَمْرُ بِالطَّهْرِ وَالتَّقَاءِ، مِنْ

القَوَاعِدِ^(١) والمَعَالِمِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة].

وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْحِكْمُ وَالْقَوَاعِدُ وَالْأَسْرَارُ فِي خِتَامِ آيَةِ الْأَمْرِ بِالْوُضُوءِ، فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ تَنْبِيْهَا لِمَا لِهَذَا الْحُكْمِ الْعَظِيمِ مِنْ آثَارٍ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ.

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ، لَقَدْ غَنِيَ الْإِسْلَامُ بِالطَّهَارَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَالطَّهَارَةِ الْحِسِّيَّةِ، وَاهْتَمَّ بِنَظَافَةِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَقَدْ قَسَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ الطَّهَارَةَ إِلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ:

أَوْلَاهَا: طَهَارَةُ الظَّاهِرِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَنْجَاسِ وَالْفَضَلَاتِ، وَقَدْ جَعَلَ الْإِسْلَامُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ جُزْءًا مِنْ حَيَاةِ الْمُسْلِمِ، وَطَابَعًا لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ، وَعَمَلًا لَا يَنْفَكُ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَالْوُضُوءُ الشَّرْعِيُّ ذِرْوَةٌ سَنَامِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، وَفِيهِ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، أَضْعَافُ مَا لَهُ مِنَ الْآثَارِ الْحَسَنَةِ عَلَى نَظَافَةِ الْمُسْلِمِ؛ فَقَدْ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ سَبَبًا لِمَحْوِ الْخَطِيئَاتِ، وَرَفَعَهُ الدَّرَجَاتِ؛ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا

(١) انظر شرح القاعدة الفقهية: «المشقة تجلب التيسير» في: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ٧٦).

يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟!» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الحُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ!»^(١).

وَعَنْ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»^(٢).

اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا لَسَعَةِ فَضْلِ اللَّهِ، وَإِكْثَارِهِ طُرُقِ الحَيْرِ لِعِبَادِهِ! وَلَكِنْ أَيْنَ الْمُتَّبِعُونَ الْمُحْتَسِبُونَ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِهَذَا العَمَلِ؛ إِخْلَاصًا لِلَّهِ، وَرَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ؟!!

كَيْفَ وَقَدْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ - أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ! - لِبَعْضِ النَّاسِ الزِّيَادَةَ فِي الوُضُوءِ، فَيُدْخِلُهُمْ حَيْرَ الوَهْمِ وَالوَسْوَاسَةِ، وَقَدْ يَجْرُ بِعَضَا مِنْهُمْ إِلَى التَّقْصِيرِ فِي الطَّهَارَةِ؛ كَعَدَمِ التَّنُّزُّهِ مِنَ البَوْلِ وَالخَارِجِ، وَعَدَمِ غَسْلِ الأَعْضَاءِ كَامِلَةً، أَوْ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الجُهَالِ مِنَ التِّيَّمُّ مَعَ وُجُودِ المَاءِ، أَوْ إِمْكَانِ الحُصُولِ عَلَيْهِ.

وَمِنْ عِنَايَةِ الإِسْلَامِ بِالوُضُوءِ: أَنْ جَعَلَهُ مُرْتَبِطًا بِأَهَمِّ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَهِيَ: الصَّلَاةُ؛ فَهُوَ شَرْطٌ لِصِحَّتِهَا، وَمِفْتَاحٌ وَمُقَدِّمَةٌ لَهَا.

وَمِنْ مَظَاهِرِ عِنَايَةِ الإِسْلَامِ بِطَهَارَةِ الظَّاهِرِ: إِيجَابُهُ الإِغْتِسَالَ عِنْدَ

(١) «صحيح مسلم» (٢٥١).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٤٥).

حُدُوثِ مُوجِبَاتِهِ؛ كَالجَنَابَةِ، وَالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ؛ كَمَا
شَرَعَ الْإِسْلَامُ الْاِغْتِسَالَ فِي حَالَاتٍ أُخْرَى؛ كَالْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ، وَالْإِحْرَامِ
وَحُضُورِ الْاجْتِمَاعَاتِ الْعَامَّةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: حَثُّهُ عَلَى التَّطْيِبِ وَالسَّوَاكِ وَالخِتَانِ، وَأَخَذِ الرِّينَةَ عِنْدَ
حُضُورِ الْمَسَاجِدِ وَالصَّلَاةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْ اِدَمَ خُدُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَيُّ: عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: خِصَالُ الْفِطْرَةِ الَّتِي أَفْصَحَ عَنْهَا حَدِيثُ الْمُصْطَفَى
ﷺ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
«عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحِيَةِ، وَالسَّوَاكِ، وَاسْتِنْشَاقُ
الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ^(١)، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ،
وَأَنْتِقَاصُ الْمَاءِ - يَعْنِي الْإِسْتِنْجَاءَ - وَقَالَ أَحَدُ رُوَاتِهِ: وَنَسِيْتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا
أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ»^(٢).

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، كَمَا حَرَّصَ دِينُكُمْ الْحَنِيفُ فِي هَذَا الْجَانِبِ عَلَى
مَا يَتَّصِلُ بِحَيَاةِ النَّاسِ وَمَجَامِعِهِمْ اتِّصَالًا مُبَاشِرًا؛ كَمَا نَهَى الْإِسْلَامُ عَنِ
التَّبَوُّلِ فِي الْمِيَاهِ الرَّاَكِدَةِ، وَالْبَرَازِ فِي الطَّرِيقِ وَالظَّلِّ وَمَوَارِدِ النَّاسِ.

(١) البراجم: هي العُقْدُ التي في ظهور الأصابع، يجتمع فيها الوسخ، واحدها: بُرْجُمَةٌ.
«النهاية» (برجم).

(٢) رواه أحمد (١٣٧/٦)، ومسلم (٢٦١)، وأبو داود (٥٣)، والترمذي (٢٧٥٧).

كَذَلِكَ أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِنِظَافَةِ الْبُيُوتِ وَالطَّرِيقِ، وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
وَاللَّبَّاسِ، وَالْمَرَافِقِ الْعَامَّةِ، وَجَعَلَ إِمَاطَةَ الْأَذْيِ عَنِ الطَّرِيقِ شُعْبَةً مِنْ
شُعْبِ الْإِيمَانِ، وَأَخْبَرَ الْمُصْطَفَى ﷺ أَنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَقَدْ
أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِالتَّطَهْرِ؛ فَقَالَ: ﴿وَبَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر]؛ كَمَا مَدَحَ
سُبْحَانَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ
أَنْ يَنْظَهُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة].

المرتبة الثانية من مراتب الطهارة: طهارة الجوارح من الذنوب والآثام.

الثالثة: طهارة القلب من الأخلاق المذمومة، والردائل الممقوتة.

الرابعة: تطهير السريرة عما سوى الله سبحانه وتعالى: صحة في
الإعتقاد، وإخلاصاً في الأعمال.

وهذه المراتب الثلاث الأخيرة تضمنتها الطهارة المعنوية، وهي:

طهارة الباطن، التي هي القاعدة والأساس؛ فلا خير في حسن ظاهر مع
فساد باطن، وكم من جميل المنظر خبيث المخبر، والعياذ بالله!

أمة الطهر والنظافة، إنَّ النِّظَافَةَ الْحَقِيقِيَّةَ: نِظَافَةُ الْعَقِيدَةِ مِنْ كُلِّ مَا
يُشَوِّبُهَا مِنْ ضُرُوبِ الشَّرْكِ بِاللَّهِ، وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِهِ؛ وَذَلِكَ يَتَطَلَّبُ:
الإخلاصَ لِلَّهِ، وَتَجْرِيدَ الْمُتَابِعَةِ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَتَبَذُّ كُلِّ مَا يُخَالِفُ الْعَقِيدَةَ
الصَّحِيحَةَ مِنْ أَوْهَامٍ أَوْ ضَلَالَاتٍ؛ كَمَا أَنَّهَا تَتَطَلَّبُ نِظَافَةَ الْفِكْرِ وَصِيَانَتَهُ

مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُلَوَّنَةِ، وَالتَّصَوُّرَاتِ الْفَاسِدَةِ الْمُنَاهِضَةِ لِلْإِسْلَامِ .

وَهِيَ تَعْنِي - كَذَلِكَ - طَهَارَةَ الْقَلْبِ وَنِظَافَتَهُ مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالشَّخْنَاءِ،
وَالْحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ، وَالتَّفَاقِ وَالرِّيَاءِ، وَالعُرُورِ وَالكِبْرِيَاءِ، وَطَهَارَةَ اللِّسَانِ
مِنَ الكَذِبِ وَالرُّورِ، وَالعِيبَةِ وَالتَّيْمِيمَةِ وَالبُهْتَانِ؛ كَمَا أَنَّهَا تَعْنِي نِظَافَةَ الخُلُقِ
وَالسُّلُوكِ مِنْ كُلِّ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَةَ الْأَخُوَّةِ، وَيَكُونُ سَبَبًا فِي التَّقَاطُعِ وَالجَفَاءِ .

وَهِيَ تَشْمَلُ - كَذَلِكَ - نِظَافَةَ الْمُعَامَلَاتِ مِنَ الْحِيَلِ الْمَمْنُوعَةِ،
وَالْمَكَاسِبِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي تَأْتِي عَنْ طَرِيقِ الظُّلْمِ وَالعِشِّ، وَالرِّبَا وَالرِّشْوَةِ،
وَالتَّرْوِيرِ وَسِوَاهَا .

كَمَا أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ نِظَافَةَ الْجَوَارِحِ؛ كَالسَّمْعِ وَالبَصْرِ وَنَحْوَهَا مِنَ النَّظَرِ
وَالسَّمَاعِ الْمُحَرَّمِ .

وَبَعْدُ - إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - فَقَدْ عَرَفْنَا «النِّظَافَةَ» الَّتِي جَاءَ بِهَا الشَّرْعُ
بِمَفْهُومِهَا الوَاسِعِ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ فِي جَانِبِ ضَيْقٍ يُعْنَى بِالشَّكْلِ وَالمَظْهَرِ
عَلَى حِسَابِ الْجَوْهَرِ وَالمَخْبِرِ .

كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ كَلِمَاتٍ تُقَالُ، وَلَا أَيَّامًا تُقَامُ، بَلْ هِيَ وَالمَظْهَرُ مُلَازِمَانِ
لِلْمُسْلِمِ، لَا تَنفَكُ عَنْهُ بِحَالٍ، فَمَا أَحْرَى ذَلِكَ أَنْ يَرِيدَنَا تَمَسُّكًا بِدِينِنَا، وَوَعْيًا
أَعْمَقَ فِي حِكْمِهِ وَأَحْكَامِهِ .

إِنَّ دِينًا هَذِهِ تَعَالِيمُهُ يَنْبَغِي لِاتِّبَاعِهِ أَنْ يَكُونُوا حَرِيصِينَ عَلَى النِّظَافَةِ

بِكُلِّ أَبْعَادِهَا؛ لِيَكُونُوا أَقْوَى الْأُمَّمِ عَقِيدَةً وَإِيمَانًا، وَأَسْلَمَهُمْ فِكْرًا وَعِلْمًا، وَأَصْلَحَهُمْ قُلُوبًا وَأَعْمَالًا، وَأَصَحَّهُمْ أَجْسَادًا وَأَبْدَانًا، وَأَحْسَنَهُمْ هَيْئَةً وَمَظْهَرًا؛ لِيَجْمَعُوا بَيْنَ صَلَاحِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَحُسْنِ الْمُنْظَرِ وَالْمَخْبَرِ؛ وَعِنْدَ ذَلِكَ: تَحْصُلُ لَهُمُ الْقُوَّةُ الْمَادِّيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ؛ حَيْثُ يَقْوَى الْإِيمَانُ وَالْعِلْمُ، وَيَحْسُنُ الْخُلُقُ وَالْمَعَامَلَةُ، وَتَصِحُّ الْأَبْدَانُ وَالْعُقُولُ؛ فَيَكُونُ لَهُمُ مِنَ الشَّوْكَةِ وَالْهَيْبَةِ وَالْقُوَّةِ مَا يُرْهِبُ أَعْدَاءَهُمْ، بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَقَدْ سَبَقَ الْإِسْلَامُ فِي ذَلِكَ التَّنْظِيمِ الْبَشَرِيَّةِ كُلَّهَا فِي طَهَارَةِ الْأَبْدَانِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَالْحِفَاطِ عَلَى الصِّحَّةِ لِلْأَفْرَادِ وَالْبِيئَاتِ، وَأَثَبَتِ الطَّبُّ الْحَدِيثُ صِدْقَ مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ - وَلِلَّهِ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ! - مِمَّا يَجْعَلُ حَضَارَةَ الْإِسْلَامِ وَمَدَنِيَّتَهُ لَا تُوَارِيهَا حَضَارَةٌ مُدْعَاةٌ، أَوْ مَدَنِيَّةٌ مَزْعُومَةٌ، كَانَ مِنْ انْقِلَابِ الْمَوَازِينِ عِنْدَ أَفْرَادِهَا التَّنَافُسُ فِي الْقَدَارَةِ وَالْأَوْسَاحِ، وَالتَّسَابُتُ إِلَى أَعْمَالٍ تَنْفِرُ مِنْهَا الطَّبَاعُ السَّلِيمَةُ، وَالْأَذْوَابُ الْمُسْتَقِيمَةُ، مِمَّا يُخَالِفُ فِطْرَةَ اللَّهِ السَّوِيَّةَ، وَتَعَالِيَمَ دِينِهِ الْمَرْضِيَّةَ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ، وَاحْذَرُوا الْاِغْتِرَارَ بِأَعْدَائِكُمْ، وَاعْمَلُوا عَلَى تَحْقِيقِ النُّظَافَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ، فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَسْرِكُمْ وَمُجْتَمَعِكُمْ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَعْمَالَنَا؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ وَغُفْرَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ،
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَإِخْوَانِهِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَتَحَلَّوْا بِنِظَافَةِ الْبَوَاطِنِ وَالظُّوَاهِرِ، وَتَعَاوَنُوا
عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَمُجْتَمَعِكُمْ؛ فَالْمُجْتَمَعُ النَّظِيفُ عُنْوَانُ
نِظَافَةِ أَفْرَادِهِ، وَقَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ الْحَنِيفُ إِزَالََةَ الْأَذَى وَالضَّرَرَ أَيًّا كَانَ (١)،
وَيَنْبَغِي أَنْ تَسَانَدَ الْجُهُودُ، وَتَتَكَاتَفَ الْأَعْمَالُ، فِي إِحْيَاءِ وَإِذْكَاءِ رُوحِ الطَّهَارَةِ
وَالنِّظَافَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذِهِ مَسْئُولِيَّةُ الْجَمِيعِ، وَكُلٌّ عَلَى حَسَبِ قُدْرَتِهِ
وَمَسْئُولِيَّتِهِ.

وَلَيْسَتْ الْمَسْئُولِيَّةُ مَقْصُورَةً عَلَى أَنْاسٍ أَوْ جِهَاتٍ فَحَسْبُ، بَلِ الْوَاجِبُ
أَنْ يَبْذُلَ كُلُّ مُسْلِمٍ مَا يَسْتَطِيعُهُ لِانْتِشَارِ وَسَائِلِ الْحِفَاطِ عَلَى مُجْتَمَعِهِمْ؛

(١) انظر في تقرير الشرع لقاعدة: «الضرر يزال»: «الأشباه والنظائر» للسيوطي
(ص ٨٣).

كَيَّ يَغْدُو سَلِيمًا بَعِيدًا عَنِ الْأَضْرَارِ، وَلَا نَنْسَى دَوْرَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ فِي تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَوَجِبَ الْمُدْرَسُ فِي غَرْسِ هَذِهِ الْخِصَالِ الْكَرِيمَةِ فِي نُفُوسِ تَلَامِيذِهِ، وَكَذَلِكَ دَوْرُ حَمَلَةِ الْأَقْلَامِ، وَأَصْحَابِ التَّوَجِيهِ، وَرِجَالِ الْإِعْلَامِ؛ فَالْجَمِيعُ لَهُمْ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي نَشْرِ النَّظَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ نِظَافَةِ الْقَلْبِ وَالْفِكْرِ، وَالخُلُقِ وَالسُّلُوكِ وَالهِئَةِ، وَالْمُجْتَمَعِ وَالْبَيْئَةِ.

وَلِيَكُنْ كُلُّ مُسْلِمٍ عَيْنًا سَاهِرَةً فِي تَحْقِيقِ النَّظَافَةِ لِمُجْتَمَعِهِ، وَمَنْعِ الْعَابِثِينَ وَالسُّفَهَاءِ مِنَ التَّعَرُّضِ بِسُوءٍ لِلْمَرَأَقِ الْعَامَّةِ وَمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَعُودَ لَهُنَّ الْفَضِيلَةُ أَثْرُهَا الْإِيجَابِيُّ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسَّرَاجِ الْمُنِيرِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَعَلَ الصَّلَاةَ عِمَادَ الدِّينِ، وَعِصَامَ اليَقِينِ، وَشَامَةَ^(١) القُرْبَاتِ، وَغُرَّةَ الطَّاعَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيلُهُ، أَفْضَلُ البرِّيَّةِ، وَسَيِّدُ البَشَرِيَّةِ، القَائِلُ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ: «وَجِعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢)، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى الرَّحْمَةِ المُهْدَاةِ، وَالتَّعَمَّةِ المُسْدَاةِ، نَبِيَّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ وَاهْتَدَى بِهَدَاهُ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، أَقُولُ - بَعْدَ الوَصِيَّةِ بِتَقْوَى اللَّهِ -: إِنَّ الإِنْسَانَ فِي خِصْمٍ مَشَاغِلِ الحَيَاةِ المَادِّيَّةِ، وَمَا تُورِثُهُ النَّفْسُ البَشَرِيَّةُ مِنْ مُشْكِلَاتِ نَفْسِيَّةِ، وَتَوَثُّرَاتِ عَصَبِيَّةِ - يَحْتَاجُ حَاجَةً مُلِحَّةً إِلَى مَا يُنْفَسُ عَنْ مَشَاعِرِهِ،

(١) الشَّامَةُ: الخال في الجسد، معروفة. «النهاية» (شأم)، والمراد: أن الصلاة أظهر الطاعات، كما أن الشَّامَةُ أظهر شيء في الجسد.

(٢) رواه أحمد (٣/١٢٨)، والنسائي (٧/٦١، ٦٢)؛ من حديث أنس، رضي الله عنه.

وَيَفْرَجُ مِنْ لَأْوَائِهِ وَمَصَابِيهِ، وَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ الطَّمَأْنِينَةَ الْقَلْبِيَّةَ، وَالرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ، بَعِيدًا عَنِ الْعُقْدِ وَالْقَلْقِ وَالْإِكْتَابِ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانَ ذَلِكَ إِلَّا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ وَعِبَادَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ دَوَاءً رُوحِيًّا نَاجِعًا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْأَدْوِيَةِ الْمَادِّيَّةِ .

الْأَوَانِ أَعْظَمَ الْعِبَادَاتِ أَثْرًا فِي ذَلِكَ : الصَّلَاةُ بِنَوْعَيْهَا : فَرَائِضَ ، وَنَوَافِلَ ؛ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: ١٥٣] ، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ »^(١) ، وَكَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - « إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ ، صَلَّى »^(٢) .

وَمَا ذَاكَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِلَّا لِأَنَّ الصَّلَاةَ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ، وَأَنَّ لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الصَّلَاةِ أَثْرًا عَظِيمًا فِي إِصْلَاحِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ بَلْ وَكَافَّةِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ .

وَلَكِنْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَا هِيَ الصَّلَاةُ الَّتِي تُحَكِّمُ الصَّلَاتِ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَخَالِقِهِ ؟ مَا هِيَ الصَّلَاةُ الَّتِي تُحَقِّقُ الْأَثْرَ الْبَالِغَ فِي نَفْسِ الْمُصَلِّي ؛ فَتَنْهَاهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَتُعِينُهُ عَلَى أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ؛ عَمَلًا بِالْوَاجِبَاتِ

(١) رواه أحمد (٣٧١/٥) ، وأبو داود (٤٩٨٦) ؛ من حديث رجل من الأنصار ، رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد (٣٨٨/٥) ، وأبو داود (١٣١٩) ؛ من حديث حذيفة ، رضي الله عنه .

والمُبَاحَاتِ، وَبُعْدًا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ؟ أِهِيَ الصَّلَاةُ جَسَدًا
 بِلَا رُوحٍ، وَقَالِبًا بِدُونِ قَلْبٍ، حَرَكَاتٍ بِدُونِ حُشُوعٍ، عَادَةً لَا عِبَادَةً،
 صُورَةً لَا حَقِيقَةً، أَلْفَاطًا وَمَبَانِي لَا مَقَاصِدَ وَمَعَانِي؟ لَا وَكَأَلَا! وَلَكِنَّهَا
 الصَّلَاةُ الشَّرْعِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ، الْمُقَامَةُ عَلَى ضَوْءِ مَعَالِمِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، وَمِنْهَا جِ
 السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَزْكَى تَحِيَّةٍ.

إِنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي يَنْشُدُهَا الْإِسْلَامُ هِيَ الَّتِي تُمَثِّلُ الْمِعْرَاجَ الرُّوحِيَّ لِلْمُؤْمِنِ،
 حَيْثُ تَعْرُجُ بِهِ رُوحُهُ كُلَّمَا قَامَ لِلَّهِ مُصَلِّيًا، فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ، مُنْتَقِلَةً بِهِ مِنْ
 عَالَمِ الْمَادَّةِ إِلَى عَالَمِ السُّمُوءِ وَالصَّفَاءِ، وَالطُّهْرِ وَالتَّقَاءِ، وَفِي ذَلِكَ مَصْدَرُ
 السَّعَادَةِ وَالسُّرُورِ، وَمَبْعَثُ الطَّمَأْنِينَةِ وَالْحُبُورِ.

إِحْوَةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَكَانَةُ الصَّلَاةِ
 فِي دِينِ اللَّهِ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي شَرَعِ اللَّهِ؛ فَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَالْفَاصِلُ بَيْنَ
 الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي الْإِسْلَامِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَكَمَا أَنَّهُ
 لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ؛ فَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَنُصُوصُ
 الشَّرْعِ فِي ذَلِكَ مُتَضَافِرَةٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ - وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بِهَذِهِ الْأَهْمِيَّةِ
 وَالخُطُورَةِ، فَإِنَّ الَّذِي يَحْرُفُ فِي النَّفْسِ وَيُولِمُ الْقَلْبَ: أَنَّهُ لَا يِرَالُ فِي عِدَادِ
 الْمُتَنَسِّينَ إِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَرْفَعُ رَأْسًا بِهَا! فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَعِيشُونَ بَيْنَ
 ظَهْرَانِي الْمُسْلِمِينَ، قَدْ خَفَّ مِيزَانُ الصَّلَاةِ عِنْدَهُمْ، وَطَاشَ مِعْيَارُهَا؟!
 بَلْ لَرَبِّمَا تَعَدَّى الْأَمْرُ إِلَى مَا هُوَ أَفْظَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!

فَهَلْ يَنْتَهِي أَوْلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ سَخَطُ اللَّهِ، أَوْ يُحِيطَ بِهِمْ عَذَابُ
اللَّهِ، وَتُعَاجِلَهُمُ الْمَنِيَّةُ، وَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الرَّدِيَّةِ؟!!

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُصَلُّونَ، لَتَهْنِكُمُ الصَّلَاةُ، وَيَا بُشْرَى لَكُمْ بِمَا شَرَحَ
اللَّهُ صُدُورَكُمْ لِهَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ! وَهَيْنًا لَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ وَفَضْلُهُ
الْعَاجِلُ وَالْآجِلُ؛ لِقِيَامِكُمْ بِهَذَا الْوَاجِبِ الشَّرْعِيِّ الْعَظِيمِ.

وَلَكِنْ - يَا أَيُّهَا الْمُصَلُّونَ - لِتَعْلَمُوا أَنَّ لِلصَّلَاةِ الْمَقْبُولَةِ شُرُوطًا
وَأَرْكَانًا، وَوَاجِبَاتٍ وَأَدَابًا، لَا بُدَّ مِنَ الْقِيَامِ بِهَا؛ كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَسَائِلَ
مُهْمَةً، وَأَخْطَاءً شَائِعَةً فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ، يَحْتَاجُ الْمُصَلُّونَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا
لِيُطَبِّقُوهَا، وَقَدْ وَرَدَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» - رَحِمَهُ اللَّهُ -: أَنَّ «أَسْوَأَ النَّاسِ
سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ»^(١)؛ وَذَلِكَ بَعْدَ تَمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا
وَخُشُوعِهَا؛ كَمَا وَرَدَ أَنَّ الْمُصَلِّيَّ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا رُبُعُهَا أَوْ
خُمُسُهَا، حَتَّىٰ بَلَغَ عَشْرَهَا^(٢)، وَهَذَا يَدْعُو الْمُسْلِمَ الْمُصَلِّيَّ إِلَى أَنْ يَتَّبِعَهُ
لِشَأْنِ صَلَاتِهِ؛ حَتَّىٰ لَا يَخْسَرَ الثَّوَابَ، وَيَبُوءَ بِالْعِقَابِ.

وَهَذِهِ أُمُورٌ مُوجِزَةٌ، يَحْسُنُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُهْمِّ:

أَوَّلُهَا: الطَّهَارَةُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ فَالطَّهَارَةُ شَرْطٌ عَظِيمٌ لِلصَّلَاةِ، وَلَا

(١) «المسند» (٣١٠/٥)؛ من حديث أبي قتادة، رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٣٢١/٤)، وأبو داود (٧٩٦)؛ من حديث عمَّار، رضي الله عنه.

تُقْبَلُ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهَا؛ فَوَاجِبُ الْمُصَلِّي أَنْ يَتَعَاهَدَ أَمْرَ طَهَارَتِهِ وَوُضُوئِهِ، فَلَا يَتَسَاهَلُ فِي ذَلِكَ، كَمَا لَا يَزِيدُ إِلَى حَدِّ الْوَسْوَاسَةِ، وَمِمَّا يُؤَسَفُ لَهُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ بَعْضَ الْعَامَّةِ لَا يُعْنَى بِالْوُضُوءِ وَالطَّهَارَةِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ يَتَيَمَّمُ مَعَ قُرْبِ الْمَاءِ، أَوْ إِمْكَانِ الْوُضُوءِ إِلَيْهِ، وَهَذَا تَفْرِيطٌ ظَاهِرٌ!

الثَّانِي: اسْتِثْبَالُ الْقِبْلَةِ؛ وَهُوَ كَذَلِكَ شَرْطٌ مُهِمٌّ مِنْ شُرُوطِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لَزِمَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى عَيْنِ الْكَعْبَةِ، وَبَعْضُ الْمُصَلِّينَ - هَدَاهُمُ اللَّهُ - يَجْهَلُ ذَلِكَ، أَوْ يَتَسَاهَلُ فِيهِ.

الْأَمْرُ الثَّلَاثُ: سِتْرُ الْعَوْرَةِ؛ وَهُوَ كَذَلِكَ مِنَ الشَّرُوطِ الْمُهْمَةِ، وَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمُصَلِّينَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ بِلُبْسِ الثِّيَابِ الشَّفَافَةِ، أَوْ السَّرَاوِيلِ الْقَصِيرَةِ، الَّتِي يُرَى مِنْ خِلَالِهَا لَوْنُ الْبَشْرَةِ، وَتُمَيِّزُ صِفَتَهَا - أَمْرٌ يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ لَهُ.

وَالْمَرْأَةُ فِي الصَّلَاةِ: عَلَيْهَا أَنْ تَسْتُرَ جَمِيعَ بَدَنِهَا، سِوَى وَجْهِهَا، إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْنَ رِجَالٍ مِنْ غَيْرِ مَحَارِمِهَا، أَوْ تَكُونَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي هُوَ مَطْنَتُهَا رُؤْيَا الرِّجَالِ لَهَا، فَيَجِبُ عَلَيْهَا - وَالْحَالَةُ هَذِهِ - أَنْ تَسْتُرَ وَجْهَهَا، وَتَأْتِيَ مُتَبَدِّلَةً^(١) مُحْتَشِمَةً غَيْرَ مُتَبَرِّجَةٍ وَلَا مُتَطَيِّبَةٍ؛ لِتَرْجِعَ مَأْجُورَةً غَيْرَ مَأْزُورَةٍ.

(١) مُتَبَدِّلَةٌ: التَّبَدُّلُ: تَرْكُ التَّزْيِينِ وَالتَّهَيُّؤِ بِالْهَيْئَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمِيلَةِ، عَلَى وَجْهِ التَّوَاضُعِ. «اللسان» (بذل).

الأمر الرابع : العِناية بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ ؛ فَقَدْ نَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ بِنَفْسِهِ ؛ كَمَا وَرَدَ التَّشْدِيدُ عَلَى مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِذَلِكَ ؛ يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «عِبَادَ اللَّهِ ، لَتَسُونَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»^(١) ، وَهَذِهِ مَسْئُولِيَّةٌ يُنْبَغِي أَنْ يَتَعَاوَنَ عَلَيْهَا الْإِمَامُ وَالْمَأْمُومُ ، بِالْحَثِّ وَالتَّوَاصِي ، وَلَكِنْ يُحَذَرُ الْإِيذَاءُ ، وَيُدْفَعُ الْعَنَتُ ؛ وَهَذَا مِنْ فِقْهِ الْمُصَلِّي وَحِكْمَتِهِ .

الأمر الخامس : لُبُّ الصَّلَاةِ وَرُوحُهَا ؛ أَلَا وَهُوَ الخُشُوعُ فِيهَا ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون] ؛ فَأَيْنَ الخُشُوعُ عِنْدَ أَوْلِيكَ الْمُتَكَاسِلِينَ عَنْهَا الْمُسْتَقْبِلِينَ لَهَا ، الَّذِينَ يَتَضَايِقُونَ وَيَبْرُمُونَ وَيَوَدُّونَ الرَّاحَةَ مِنْهَا؟! وَأَيْنَ الخُشُوعُ عِنْدَ أَوْلِيكَ الْمُتَشَاغِلِينَ فِيهَا؟! صَلَاتُهُمْ عَبَثٌ وَحَرَكَةٌ ، النِّفَاتُ وَتَمَائِلٌ ، نَقْرٌ وَعَجَلَةٌ ، قُلُوبُهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ تَهِيمٌ ، وَعُقُولُهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَسْرَحُ ، فَصَلَاةٌ كَهَلِذِهِ خِدَاجٌ^(٢) غَيْرٌ تَمَامٌ .

فَوَاجِبُ الْمُصَلِّي ؛ أَنْ يُلَازِمَ الخُشُوعَ وَحُضُورَ القَلْبِ ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَحَذَرُ الصَّوَارِفَ عَنْهُ .

(١) رواه البخاري (٧١٧) ، ومسلم (٤٣٦) ؛ من حديث النعمان بن بشير ، رضي الله عنهما .

(٢) خِدَاجٌ ، أَيُّ : نُقْصَانٌ . «اللسان» «خُدج» .

وَالطَّمَأْنِينَةُ - أَيُّهَا الْمُصَلُّونَ - رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ ، لَا تَصِحُّ صَلَاةٌ إِلَّا بِهِ ، وَقَدْ ابْتُلِيَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ - لِضَعْفِ الْإِيمَانِ ، وَقَلَّةِ الْفِقْهِ ، وَتَمَكُّنِ الدُّنْيَا فِي النَّفْسِ - بِالتَّسَاهُلِ فِيهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! - وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسِيِّ فِي صَلَاتِهِ - لِسُرْعَتِهِ وَعَدَمِ طَمَأْنِينَتِهِ -: «ارْجِعْ فَصَلِّ ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» (١) .

الْأَمْرُ السَّادِسُ - الَّذِي يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ لَهُ -: وَجُوبُ مُتَابَعَةِ الْإِمَامِ ؛ يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ» (٢) ؛ فَلَا يَجُوزُ التَّقَدُّمُ عَلَيْهِ وَمُسَابَقَتُهُ ، بَلْ إِنْ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي رَدِّ الصَّلَاةِ وَبُطْلَانِهَا ، وَقَدْ وَرَدَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ هَذِهِ حَالُهُ ؛ يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ : «أَمَا يَحْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ؟!» (٣) ؛ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «لَيْسَ لِمَنْ سَبَقَ الْإِمَامَ صَلَاةً» (٤) .

وَأَمْرُهُ هَذِهِ حُطُورَتُهُ ، وَتِلْكَ عُقُوبَتُهُ ؛ يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يَتَنَبَّهُ لَهُ جَيِّدًا ،

(١) رواه البخاري (٧٩٣) ، ومسلم (٣٩٧) ؛ من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٦٨٨) ، ومسلم (٤١٢) ؛ من حديث عائشة ، رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري (٦٩١) ، ومسلم (٤٢٧) .

(٤) انظر : «المغني» لابن قدامة (٢/٢٠٩) .

وَلَا يَسْتَهْوِيهِ الشَّيْطَانُ - أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ - الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَى الْمُصَلِّينَ صَلَاتَهُمْ، وَحَالَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَأْمُومِينَ فِي هَذَا الْأَمْرِ يُؤْلَمُ وَيُؤْسَفُ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! .

فَلْتَسِقِ اللَّهُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي أُمُورِنَا عَامَّةً، وَفِي صَلَاتِنَا خَاصَّةً؛ فَإِنَّ حَظَّ الْمَرْءِ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ حَظِّهِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَلْتَفَكَّرْ فِي حَالِنَا: مَاذَا جَنَيْنَا جَرَاءَ التَّهَاوُنِ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَلَا سِيَّمَا الصَّلَاةِ؟! إِنَّ أُمَّةً لَا يَقِفُ أَفْرَادُهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ؛ لَطَلَبِ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ مِنْهُ - لَجَدِيرَةٌ إِلَّا تَقَفَ ثَابِتَةً فِي مَوَاقِفِ الْخَيْرِ وَالْوَحْدَةِ، وَالنَّصْرِ وَالْقُوَّةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِذَا أَصْلَحْنَا مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ، أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ .

وَإِنَّ مَرَدَّ تَرَدُّدِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْضَاعِ، فِي شَتَّى الْبِقَاعِ؛ لِتَرَدُّدِي أَبْنَائِهَا فِي أَوْدِيَةِ الْمُخَالَفَاتِ، وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِمَا هُوَ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ، أَلَا وَهُوَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ .

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَرْزُقَهُمُ الْفِقْهَ فِي دِينِهِ، وَالْبَصِيرَةَ فِيهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ مُحَافِظِينَ عَلَى شَعَائِرِ دِينِهِمْ، مُعَظِّمِينَ لَهَا، قَائِمِينَ بِعَمُودِهَا عَلَى خَيْرِ وَجْهِ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- اِحْرِصُوا عَلَى إِقَامَةِ صَلَاتِكُمْ؛ فَإِنَّهَا نُورٌ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكُمْ فِي السَّمَاءِ، وَإِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي آيَاتِ التَّنْزِيلِ لَيَجِدُ أَنَّ الْأَمْرَ بِالصَّلَاةِ يَأْتِي دَائِمًا بِأُسْلُوبِ الْإِقَامَةِ، وَفِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ مَعَانٍ عَلَى مُجَرَّدِ الْأَدَاءِ؛ لِأَنَّ الْإِقَامَةَ تَعْنِي الْإِتِمَامَ وَالْعِنَايَةَ^(١).

وَإِنَّ مَسْئُولِيَةَ الْمُصَلِّينَ لِعَظِيمَةٌ بِالنِّسْبَةِ لَأَنْفُسِهِمْ؛ تَعَاهِدًا لَهَا، وَعِنَايَةً بِهَا، وَبِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِمْ مِنْ مَعَارِفٍ وَأَقْرَابٍ، وَأَبْنَاءٍ وَجِيرَانٍ؛ مِنْ حَيْثُ أَمْرُهُمْ وَنُصْحُهُمْ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الْعَظِيمِ، وَعَلَى أَيْمَةِ الْمَسَاجِدِ دَوْرٌ كَبِيرٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَضْطَلِعُونَ بِمِهْمَةٍ كُبْرَى؛ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِهَا؛ عِنَايَةً بِالصَّلَاةِ، وَتَفْقِيهَا بِأَحْكَامِهَا وَحِكْمِهَا، عَلَى حَسَبِ قَوْلِ الْمُصْطَفَى ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(٢)، وَلَا بَدَّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْأَيْمَةِ وَالْمَأْمُومِينَ، وَذَلِكَ بِقِيَامِ كُلِّ بَرِسَالَتِهِ؛ لِتَتَحَقَّقَ

(١) انظر: «اللسان» و«القاموس» (قوم).

(٢) رواه البخاري (٦٣١)؛ من حديث مالك بن الحويرث، رضي الله عنه.

التَّائِبُ الْمَرْجُوَّةُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

بَقِيَ مَلْحُظٌ مَهُمٌّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ : وَهُوَ أَنَّ الْمَسَائِلَ الَّتِي فِيهَا سَعَةٌ، وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ فِيهَا بَيْنَ الْأَثَمَةِ، لَا سِيَّمَا فِي أُمُورِ السُّنَنِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، لَا يَنْبَغِي - أَبَدًا - أَنْ تَكُونَ مَحَلَّ شِقَاقٍ وَنِزَاعٍ وَتَنَافُرٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ كَمَا لَا يَلِيْقُ التَّشْدِيدُ وَالْإِنْكَارُ فِيهَا، وَلَا يُتَنَافَى ذَلِكَ الْحِرْصَ عَلَى السُّنَّةِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَفَقَّهُوا فِي أَحْكَامِ دِينِكُمْ.

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ مَنْ قَامَ بِالصَّلَاةِ، صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْزُودِ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَعَلَ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ سِمَةً مِنْ سِمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَرِيقًا لِلْوُصُولِ إِلَى مَرَاتِبِ الْمُفْلِحِينَ، أَحَمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَأَشْرَفُ الْخَاضِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَكُونُوا بَدِينَكُمْ مُسْتَمْسِكِينَ، وَعَلَى عَمُودِهِ مُحَافِظِينَ، وَفِيهِ خَاشِعِينَ خَاضِعِينَ؛ تَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمُفْلِحِينَ، وَهَذَا - وَأَيْمُ اللَّهِ! - غَايَةُ الْعَامِلِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ نَتِيجَةٌ لِارْتِمَاءِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي أَحْضَانِ الدُّنْيَا، وَالتَّنَافُسِ فِي جَمْعِ حُطَامِهَا، وَانْشِغَالِ الْقُلُوبِ وَالهِمَمِ بِهَا، وَنِسْيَانِ

الدَّارِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَالْغَفْلَةَ عَنِ الْعَمَلِ لَهَا؛ فِي هَذِهِ الدَّوَامَةِ تَنَاسَى بَعْضُ النَّاسِ خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ؛ فَلَمْ يُبَالُوا بِشَرْعِهِ، وَلَمْ يَكْتَرِثُوا لِذِينِهِ، وَصَدَقَ فِيهِمْ قَوْلُ الْحَقِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَدِّهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴾ [مريم].

وَصِنْفٌ آخَرٌ مِنَ النَّاسِ، يُؤَدِّي الصَّلَاةَ، وَلَكِنْ مَعَ الْوُقُوعِ فِي الْحَلْلِ، وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الرُّزْلِ؛ يُصَلُّونَ وَلَكِنْ لَا تَرَى آثَارَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ، لَا يَتَأَدَّبُونَ بِأَدَابِهَا، وَلَا يَلْتَزِمُونَ بِأَرْكَانِهَا وَوَجِبَاتِهَا، صَلَاتُهُمْ صُورِيَّةٌ عَادِيَّةٌ؛ لِإِخْلَالِهِمْ بِلُبِّهَا وَرُوحِهَا وَخُشُوعِهَا، يُصَلُّونَ أَشْبَاحًا بِلا أَرْوَاحٍ، وَقَوَالِبَ بِلا قُلُوبٍ، وَحَرَكَاتٍ بِلا مَشَاعِرَ وَأَحَاسِيسٍ، صَلَاتُهُمْ مَزْتَعٌ لِلْوَسَاوِسِ وَالْهَوَاجِسِ، يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ عَلَى أَحَدِهِمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَصُولُ وَيَجُولُ بِفِكْرِهِ فِي مَجَالَاتِ الدُّنْيَا؛ يَتَحَرَّكُ وَيَتَشَاغَلُ، وَيَسْتَطِيلُ وَيَتَثَاقَلُ، وَيَلْتَفِتُ بِقَلْبِهِ وَبَصَرِهِ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ، فَيَنْفَتِلُ عَنِ صَلَاتِهِ^(١)، وَلَمْ يَعْقِلْ مِنْهَا إِلَّا قَلِيلًا، بَلْ لَعَلَّ بَعْضُهُمْ لَا يَعْقِلُ مِنْهَا شَيْئًا.

ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَحْوَالِ، وَسَيِّئِ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الصَّلَاةِ: فَخُشٌّ فِي الْقَوْلِ، وَإِسَاءَةٌ فِي الْفِعْلِ، وَأَكْلٌ لِلْحَرَامِ، وَتَعَسُّفٌ فِي الْأَخْلَاقِ^(٢)، وَإِضْرَارٌ عَلَى الْمَعَاصِي، وَرُبَّمَا تَسَاءَلَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(١) انْفَتَلَ عَنْ صَلَاتِهِ، أَي: انصَرَفَ عَنْهَا. «أساس البلاغة» (فتل).

(٢) أَي: تَخَبُّطٌ فِيهَا عَلَى غَيْرِ هِدَايَةٍ مِنْ شَرْعٍ أَوْ عَقْلٍ. انظر: «أساس البلاغة» (عسِف).

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَنَحْنُ نُؤَدِّي الصَّلَاةَ، وَلَكِنْ لَا أَثْرَ لَهَا فِي حَيَاتِنَا، وَلَا ثَمْرَةَ لَهَا فِي وَاقِعِنَا، وَتَغْيِيرِ أَحْوَالِنَا، وَتَحْسُنِ مَنَاهِجِنَا وَتَصَوُّرَاتِنَا، وَصَلَحِ سَائِرِ جَوَانِبِ حَيَاتِنَا؟!!

وَهُنَا أَقُولُ: إِنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ: هُوَ إِخْلَالُنَا بِرُوحِ الصَّلَاةِ وَلِبَّهَا، أَلَا وَهُوَ الْخُشُوعُ فِيهَا، فَمَا مَكَانَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ؟ وَمَا مَعْنَاهُ؟ وَمَا الْأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لَهُ، وَالْآثَارُ الْمُتْرَتِبَةُ عَلَيْهِ؟ هَذَا مَا سَتَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ - بِحَوْلِ اللَّهِ - بَعْدَ أَنْ تَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَعَمَّ التَّقْصِيرُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى أَصْبَحَ ظَاهِرَةً خَطِيرَةً تَسْتَحِقُّ الْإِهْتِمَامَ وَالْمُعَالَجَةَ، عَلَى ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِالْخُشُوعِ لَهُ فِي أَجْلِ عِبَادَاتِهِمْ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ؛ فَقَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون]؛ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أَيُّ: قَدْ فَازُوا وَسَعِدُوا وَحَصَلُوا عَلَى الْفَلَاحِ»^(١)، وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «وَأَصْلُ الْخُشُوعِ: هُوَ لِينُ الْقَلْبِ وَرِقَّتُهُ، وَسُكُونُهُ وَخُضُوعُهُ، وَأَنْكِسَارُهُ وَحُرْقَتُهُ؛ فَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ، تَبِعَهُ خُشُوعُ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ؛ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لَهُ»، وَقَدْ رَأَى بَعْضُ السَّلَفِ

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥/٤٦١).

رَجُلًا يَعْبَثُ بِيَدِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا، لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ!»^(١)؛ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَيُرْوَى مَرْفُوعًا؛ لَكِنَّ بِإِسْنَادٍ لَا يَصِحُّ^(٢).

وَفِي مَعْنَى الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ أَيْضًا، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «هُوَ الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، وَأَنْ تُلِينَ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ كَنَفَكَ، وَأَلَّا تَلْتَفِتَ فِي صَلَاتِكَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا»، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾ [المؤمنون]، قَالَ: «خَائِفُونَ سَاكِنُونَ»، وَعَنْ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ؛ فَغَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَخَفَضُوا الْجَنَاحَ»، وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «كَانُوا يَقُولُونَ: لَا يُجَاوِزُ بَصَرُهُ مُصَلَّاهُ»^(٣).

هَذَا هُوَ مِنْهُجُ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - الَّذِينَ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ تَسْتَشْعِرُ رَهْبَةَ الْوُقُوفِ فِي الصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، فَتَسْكُنُ وَتَخْشَعُ؛ فَيَسْرِى الْخُشُوعُ مِنْهَا إِلَى الْجَوَارِحِ وَالْمَلَامِحِ وَالْحَرَكَاتِ، وَيَغْشَى أَرْوَاحَهُمْ جَلَالُ اللَّهِ وَعَظَمَتُهُ، وَهُمْ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَخْتَفِي مِنْ أَذْهَانِهِمْ جَمِيعُ الشَّوَاغِلِ عِنْدَمَا يَسْتَعْلُونَ بِمُنَاجَاةِ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَيَتَوَارَى عَنْ حِسِّهِمْ فِي تِلْكَ

(١) انظر: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (٤/٥).

(٢) «الخشوع في الصلاة» لابن رجب الحنبلي (ص ١٧).

(٣) «تفسير الطبري» (٩/١٩٧، ١٩٨).

الْحَالَةَ كُلِّ مَا حَوْلَهُمْ، فَيَتَطَهَّرُ وَجَدَانُهُمْ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَيَنْفُضُونَ عَنْهُمْ كُلَّ شَائِبَةٍ؛ وَعِنْدَئِذٍ تَتَضَاعَلُ الْمَادِّيَّاتُ، وَتَتَلَاشَى جَمِيعُ الْمُعْرِيَّاتِ؛ وَحِينَئِذٍ تَكُونُ الصَّلَاةُ رَاحَةً قَلْبِيَّةً، وَطُمَأْنِينَةً نَفْسِيَّةً، وَقُرَّةَ عَيْنٍ حَقِيقِيَّةً؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١).

وَفِي «الْمُسْنَدِ»؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(٢).

اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا الرَّاحَةُ الدَّائِمَةُ لِلنُّفُوسِ الْمُطْمَئِنَّةِ؛ لِكَيْ تَشْعُرَ مِنْ خِلَالِ أَدَائِهَا أَنَّهَا تُنَاجِي مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الْمُصَلِّيَّ حِينَمَا يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِتْمَا يُعْظَمُ اللَّهُ، وَإِذَا وَضَعَ الْيَمْنَى عَلَى الْيُسْرَى فَهُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ، وَقَدْ سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ الْمُرَادِ بِذَلِكَ؟ فَقَالَ: «هُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَيْ عَزِيزٍ»^(٣)، وَإِذَا رَكَعَ، فَهُوَ: إِفْرَارٌ بِعِظَمَةِ اللَّهِ، وَإِذَا سَجَدَ، فَهُوَ: تَوَاضَعٌ أَمَامَ عُلُوِّ اللَّهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَهَكَذَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ فِي صَلَاتِهِ، يُوْتَقُ الصَّلَاةَ بِاللَّهِ؛ لِيَفُوزَ بِوَعْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ؛ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ، وَغَيْرُهُ، عَنْ عُثْمَانَ

(١) تقدم تخريجه (ص ١٨٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٨٥).

(٣) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/٢١٣).

- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مِّنْ مُّسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَّكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِّمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً؛ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ» (١).

أَيْهَا الْإِخْوَةُ الْمُصَلُّونَ، إِنَّ الْمُصَلِّيَ حَقًّا هُوَ الَّذِي يُقِيمُ الصَّلَاةَ كَامِلَةً الْفَرَائِضِ وَالْأَرْكَانِ، مُسْتَوْفِيَةَ الشُّرُوطِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْآدَابِ؛ يَسْتَعْرِقُ فِيهَا الْقَلْبَ، وَيَتَفَاعَلُ مِنْ خِلَالِهَا الْوُجْدَانَ، وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا مُحَافِظَةً تَامَةً قَدَرِ الطَّاقَةِ، يَبْعَثُهُ عَلَى ذَلِكَ قَلْبٌ يَقِظٌ، وَشُعُورٌ صَادِقٌ، وَإِحْسَاسٌ مُرْهَفٌ، وَضَمِيرٌ حَيٌّ؛ فَيَنْصَرِفُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْخُشُوعَ فِيهَا إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا.

وَمَنْزِلَةُ الْخُشُوعِ مِنَ الصَّلَاةِ كَمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ؛ فَالَّذِي يَجْعَلُ الصَّلَاةَ مَرْتَعًا لِلتَّفَكِيرِ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ، وَمَحَلًّا لِلهُوَاجِسِ فِي مَشَاغِلِهِ: قَلْبُهُ فِي كُلِّ وادٍ، وَهَمُّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَخْتَلِسُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاتِهِ، بِكَثْرَةِ التَّفَاتِهِ، وَعَبَثِهِ بِمَلَابِسِهِ وَيَدِهِ، وَرَجْلِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَرَبَّمَا أَخْلَبَ بِطُمَأْنِينَتِهَا وَلَمْ يَعْ مَا قَرَأَ فِيهَا، فَيُخْشَى أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ؛ فَقَدْ وَرَدَ: أَنَّ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةٌ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ، فَلَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا، وَلَا سُجُودَهَا، وَلَا خُشُوعَهَا (٢)، كَمَا وَرَدَ أَنَّ صَلَاةَ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ «تُلْفَتْ كَمَا يُلْفَتُ الثَّوْبُ الْخَلْقُ؛ فَيَضْرِبُ بِهَا وَجْهَهُ

(١) رواه مسلم (٢٢٨)، وعبد بن حميد (٥٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٨٧).

صَاحِبَهَا»^(١) عِبَادًا بِاللَّهِ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ لَمَّا طَالَ بِالنَّاسِ الْأَمَدُ، وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَأَسَاءَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَهَمَّ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ - أَصْبَحَتْ تَرَى مَنْ يُخَلُّ بِبَعْضِ الشُّرُوطِ وَالْأَرْكَانِ وَالْوَاجِبَاتِ؛ فَلَمْ تُؤْتِ الصَّلَاةُ ثَمَرَتَهَا فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَمْ تُؤَثِّرْ فِي حَيَاتِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَدِّيهَا وَلَكِنْ لَا تَنْهَاهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَا تَمْنَعُهُ مِمَّا يَخْدِشُ الْعَقِيدَةَ، أَوْ يُخَالِفُ الْحَقَّ، أَوْ يُنَاقِضُ مَبَادِيَءَ الْإِسْلَامِ، وَلَا تَمْنَعُهُ مِنْ تَعَاطِي الرِّبَا وَالرِّشْوَةِ، وَشُرْبِ الْمُسْكِرَاتِ، وَتَعَاطِي الْمُخَدَّرَاتِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَا يَتَوَرَّعُ عَنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ وَغَشِّهِمْ، وَإِيقَاعِ الْأَذَى بِهِمْ، هَلْ أَوْلَيْتِكَ قَدْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَدَّوْا حَقَّهَا؟!

وَاللَّهِ! لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ، لَأَنْتَهَوْا عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ، وَلَا فَعَلُوا عَنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَضَاعُوا جَوْهَرَ الصَّلَاةِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ؛ أَنَّ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «أَوَّلُ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الْحُشُوعُ؛ يُوْشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ، فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا»^(٢)؛ فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

(١) رواه الطيالسي (٥٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٣٠٩٥)؛ من حديث عبادة وأنس، رضي الله عنهما.

(٢) رواه الدارمي (٢٩٦)، والترمذي (٢٦٥٣)، والحاكم (٩٩/١).



أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، مَا هِيَ حَالُنَا الْيَوْمَ مَعَ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ؟!
أَجْسَادٌ تَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ، وَقُلُوبٌ غَافِلَةٌ، وَأَفئِدَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْدُنْيَا - إِلَّا مَنْ
رَحِمَ اللَّهُ! - فَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ صَادِقَةٍ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - إِلَى تَرْسُمِ خُطَا
الْمُصْطَفَى ﷺ فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ؟!
نَرْجُو ذَلِكَ، وَمَا هُوَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ! .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿۱۱﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ
عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿۱۱﴾ [الحديد].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، صَلَاةً وَسَلَامًا
كَامِلَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَظَّمُوا شَعَائِرَ دِينِكُمْ، وَاسْتَحْضِرُوا فِيهَا
عَظَمَةَ بَارِيكُمْ جَلَّ وَعَلَا، وَفَرِّغُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الشَّوَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْعَلَائِقِ
المَادِّيَّةِ، وَأَقِيمُوا صَلَاتَكُمْ بِقُلُوبٍ حَاضِرَةٍ خَاشِعَةٍ.

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ أَكْبَرَ مَا يُعِينُ عَلَى الخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ:
حُضُورُ القَلْبِ فِيهَا، وَاسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ وَجَلَالِ الخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، وَتَصْنِيفُ
القُلُوبِ مِنَ الصَّوَارِفِ عَنِ اللَّهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَالتَّخَفُّفُ مِنْ شَوَاغِلِ
الدُّنْيَا، وَعِمَارَةُ القُلُوبِ بِالإِيمَانِ، وَسَدُّ مَنَافِذِ الشَّيْطَانِ.

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا: قَصْرُ النَّظَرِ عَلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ،
وَوَضْعُ اليَدِ اليُمْنَى عَلَى اليُسْرَى حَالَ القِيَامِ، وَالتَّدْبِيرُ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ
وَفِيمَا يَرُدُّ مِنَ الأَدْعِيَةِ، وَعَدَمُ الإِلْتِفَاتِ، وَمُرَاعَاةُ الطَّمَأِينَةِ، وَالحَذْرُ مِنَ
العَجَلَةِ وَالمُسَابَقَةِ، وَالعَبَثِ وَالحَرَكَةِ.

كُلُّ ذَلِكَ - مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى الْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِ؛ وَبِذَلِكَ يُحَلُّ الْإِشْكَالُ الَّذِي يَشْغَلُ بَالَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُصَلِّينَ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ؛ أَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَمَتَى عَلِمَ اللَّهُ مِنْ عَبْدِهِ الرِّغْبَةَ فِي الْخَيْرِ، وَفَقَهُ لَهُ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ أَدَّوْا هَذِهِ الصَّلَاةَ - كَمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَكَانَتْ - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - انْطِلَاقًا جَادَّةً لِإِصْلَاحِ أَوْضَاعِهِمْ، وَتَغْيِيرِ أَحْوَالِهِمْ، وَسَلَامَةِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَطَرِيقًا إِلَى النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَتَحْقِيقِ مَا يَصُبُّونَ إِلَيْهِ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ؛ لِأَنَّ فِي تَطْبِيقِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ السَّلَاحَ الْقَوِيَّ، وَالدَّرْعَ الْوَاقِيَّ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ؛ لِأَنَّ الدَّفَاعَ إِلَيْهِ قُوَّةُ الْإِيْمَانِ، وَصِدْقُ الْيَقِينِ وَالشَّوْقُ إِلَى الْآخِرَةِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّاصِحِ الْأَمِينِ، سَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ، وَأَفْضَلِ الْخَاشِعِينَ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة لله والى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ جَعَلَ «يَوْمَ الْجُمُعَةِ» مِنْ أَفْضَلِ الْأَيَّامِ، وَخَصَّهُ بِالشَّرَفِ وَالْفَضْلِ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ، وَمَنْ تَبَعَ هُدَاهُمْ وَآفَتَقَى أَثْرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ لِلْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا عَلَى التَّمَامِ وَالِدَّوَامِ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ تَقْوَاهُ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَجَعَلَكُمْ مِنْ أُمَّةٍ اخْتَصَّهَا بِالْفَضَائِلِ، وَهَدَاهَا إِلَى خَيْرِ شَرْعِيَّةٍ، وَأَقْوَمِ مِلَّةٍ؛ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَ نِعَمِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا - مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ - بِيَوْمٍ عَظِيمٍ، وَمَوْسِمٍ كَرِيمٍ، فَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ، وَجَعَلَهُ يَوْمَ اجْتِمَاعٍ لِلْمُسْلِمِينَ، هَدَى اللَّهُ

إِلَيْهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَاخْتَصَّهَا بِهِ، وَأَضَلَّ عَنْهُ سَائِرَ الْأُمَمِ؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»
 أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا؛ فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ،
 وَلِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ»^(١).

فِيَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ عَظِيمٍ، لَهُ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْمَزَايَا مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ! يَجْتَمِعُ
 فِيهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْخَيْرِ وَالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَكُونَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 يَوْمٌ كَرَامَةٌ وَمَزِيدٌ وَرَفْعَةٌ؛ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ
 يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»^(٢).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ مِنْ أَهَمِّ خَصَائِصِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَنَّ اللَّهَ
 سُبْحَانَهُ شَرَعَ لَنَا فِيهِ اجْتِمَاعًا عَظِيمًا، لِأَدَاءِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ؛ فَحُضُورُ هَذِهِ
 الصَّلَاةِ فَرَضٌ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ تَوَفَّرَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ الْمَوَانِعُ،
 وَيَا لَهُ مِنْ اجْتِمَاعٍ مَا أَرُوَعَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارِكِ!! لِمَا يَتَجَلَّى فِيهِ مِنْ
 إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلِمَا لَهُ مِنَ الْآثَارِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى
 الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ بَعَامَّةٍ.

فَفِي هَذَا الْاجْتِمَاعِ: يَتَعَارَفُ الْمُسْلِمُونَ، وَتَقْوَى رَابِطَةُ الْعَمِيدَةِ بَيْنَهُمْ،

(١) «صحيح مسلم» (٨٥٦)؛ من حديث أبي هريرة وحذيفة، رضي الله عنهما.

(٢) «صحيح مسلم» (٨٥٤).

وَتَنْصَهْرُ الْفَوَارِقِ الْمَادِيَّةِ، وَالْمَرَاتِبِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالنَّعْرَاتِ^(١) الْقَبْلِيَّةِ، فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ، يُصَافُ الْكَبِيرُ الصَّغِيرَ، وَيُلْصِقُ الْغَنِيُّ كَنْفَهُ بِكَتِفِ الْفَقِيرِ.

وَهَذَا مَشْهُدٌ رَائِعٌ، وَمُظْهِرٌ عَظِيمٌ، تَتَجَلَّى فِيهِ صُورٌ نَاصِعَةٌ مِنْ وَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَلَاحُمِهِمْ، وَقُوَّةِ تَعَاطُفِهِمْ، وَإِحَائِهِمْ وَتَرَابُطِهِمْ، يَلْتَقُونَ فِي بُيُوتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَعَلَى بَسَاطِ طَاعَتِهِ؛ يَتَحَسَّسُونَ مُشْكَلاتِهِمْ، وَيَنْظُرُونَ فِي آلَمِهِمْ، يَقْوَى إِيمَانُهُمْ، وَتُصْقَلُ قُلُوبُهُمْ، وَتَزِيدُ طَاعَتُهُمْ، وَيَتَحَرَّكُ فِيهِمُ الشُّعُورُ لِلْإِسْلَامِ، وَتَرِقُ قُلُوبُهُمْ لِمَا يَسْمَعُونَ مِنَ الذِّكْرِ وَالْعِلْمِ وَالْمَوَاعِظِ، عَبْرَ الدَّرْسِ الْأُسْبُوعِيِّ الْمُهِّمِّ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ؛ فَيَجِدُّونَ فِي إِصْلَاحِ أَوْضَاعِهِمْ، وَتَحْسِينِ أَحْوَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ؛ مِنْ تَذْكَيرٍ بِوَاجِبٍ فِي جَوَانِبِ الْعَقِيدَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْأَخْلَاقِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ، أَوْ تَحْذِيرٍ مِنْ مُنْكَرٍ فِي هَذِهِ الْجَوَانِبِ، أَوْ عِلَاجٍ لِقَضِيَّةٍ أَوْ مُشْكَلَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، أَوْ سِوَاهَا، أَوْ سَمَاعِ مَا يُقَرِّبُ إِلَى الْآخِرَةِ وَيَذْفَعُ إِلَى الْعَمَلِ لَهَا؛ فَيَبْقَى أَثْرُ هَذَا الدَّرْسِ فِي نَفْسِ الْمُسْلِمِ عَلَى مَدَارِ الْأُسْبُوعِ، وَتُظْهِرُ ثِمَارَهُ جَلِيَّةً فِي وَاقِعِهِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ مُجْتَمَعِهِ؛ حَيْثُ تُمَثَّلُ انْطِلَاقَةُ كُبْرَى لِلْعَمَلِ الْبِنَاءِ وَالْإِصْلَاحِ الْجَادِّ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، لَقَدْ وَرَدَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ، وَالْأَجْرُ الْعَمِيمُ، فِي آدَاءِ

(١) النَّعْرَةُ: الْخِيَلَاءُ وَالْكَبِيرُ. «اللسان» و«القاموس» (نعر).

هَذِهِ الصَّلَاةِ، لِأَسِيْمَا لِمَنْ تَأَدَّبَ بِأَدَابِهَا مِنَ الْغُسْلِ وَالطَّهَارَةِ، وَالطَّيْبِ وَالتَّظَافَةِ، وَحُسْنِ اللَّبَاسِ وَالهَيْئَةِ، ثُمَّ الاسْتِمَاعِ وَالْإِنْصَاتِ إِلَى الْخُطْبَةِ؛ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَصَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ - عُفِّرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(١)، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» - أَيْضًا - عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ»^(٢).

كَمَا وَرَدَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ، وَالتَّرْهِيْبُ الرَّهِيْبُ، عَلَى مَنْ تَسَاهَلَ فِي هَذَا الْوَاجِبِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»؛ أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «لَيْسَتْ هُنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ»^(٣)، أَوْ لِيَحْتَمِنَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لِيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(٤)، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ تَهَاوَنًا، طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ»^(٥).

(١) «صحيح مسلم» (٨٥٧).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٣٣).

(٣) وَدَعُهُمُ الْجُمُعَاتِ، أَي: تَرَكُهُمْ إِيَّاهَا وَالتَّخَلَّفُ عَنْهَا. «اللسان» (ودع).

(٤) «صحيح مسلم» (٨٦٥)؛ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣/٤٢٤-٤٢٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٥٠٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٠٥٢)، وَالنَّسَائِيُّ

(٨٨/٣)، وَابْنُ مَاجَةَ (١١٢٥)؛ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَهُوَ مُنَافِقٌ»^(١)، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّكُمْ ﷺ: تَعْظِيمُ هَذَا الْيَوْمِ
وَتَشْرِيفُهُ، وَتَخْصِيصُهُ بِعِبَادَاتٍ وَأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ:

فَمِنْ ذَلِكَ: الْحَثُّ عَلَى كَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ فَعَنْ
أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ
أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ
عَلَيَّ»^(٢).

وَمِنْ ذَلِكَ: الْإِكْتِثَارُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالذُّكْرِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَاللُّدْعَاءِ؛
بُغْيَةً إِذْ رَأَى سَاعَةَ الْإِجَابَةِ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»؛ أَنَّهُ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،
فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٣)، وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِهِ»؛
أَنَّهَا «مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ»^(٤)، وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ
الْعُلَمَاءِ: إِنَّهَا آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٥).

(١) رواه ابن خزيمة (١٨٥٧)، وابن حبان (٢٥٨).

(٢) رواه أحمد (٨/٤)، وأبوداود (١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي (٩١/٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٩٣٥)، و«صحيح مسلم» (٨٥٢)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤) «صحيح مسلم» (٨٥٣)؛ من حديث أبي موسى، رضي الله عنه.

(٥) انظر: «فتح الباري» (٢/٤١٥-٤٢٢).

كَمَا يُسَنُّ الْمُبَادَرَةَ وَالتَّبَكُّيرُ إِلَى الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَفِي
 «الصَّحِيحَيْنِ»؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَاحَ - يَعْنِي: فِي السَّاعَةِ الْأُولَى - فَكَأَنَّمَا
 قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً»^(١)، حَتَّى ذَكَرَ
 فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ: بَيْنُضَةً، فَانْظُرْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - عِظَمَ التَّفَاوُتِ فِي
 الْأَجْرِ بَيْنَ الْمُبَادِرِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ!

وَمَمَائِكَدُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ: الْعِنَايَةُ بِنِظَافَةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ،
 وَمُرَاعَاةَ الطَّهَارَةِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: ضَرُورَةُ التَّأَدُّبِ مَعَ الْمُصَلِّينَ؛ وَذَلِكَ بِالْحَذَرِ مِنْ
 التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ، وَإِنْدَائِهِمْ وَتَخْطِي رِقَابِهِمْ؛ فَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَتَخَطَّى
 رِقَابَ النَّاسِ، فَرَجَرَهُ، وَقَالَ: «اجْلِسْ؛ فَقَدْ آذَيْتَ وَأَنْتَ»^(٢) «(٣)» .

كَذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَجِبُ الْإِنْصَاتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، وَيَحْرُمُ
 الْحَدِيثُ حَالَ الْخُطْبَةِ، وَالتَّشَاغُلُ عَنْهَا؛ يَقُولُ ﷺ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ:

(١) «صحيح البخاري» (٨٨١)، و«صحيح مسلم» (٨٥٠)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه .

(٢) «آذيت» أي: آذيت الناس بالتخطي، و«أنتيت» أي: أحرقت المحيي وأبطأت . قاله السندي في حاشيته على «مسند أحمد»؛ انظر: «مسند الإمام أحمد» (٢٢٢/٢٩) .

(٣) رواه أحمد (٤ / ١٨٨، ١٩٠)، وأبوداود (١١١٨)، والنسائي (٣ / ١٠٣)؛ من حديث عبد الله بن بسر، رضي الله عنه .

أَنْصِتْ؛ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ - فَقَدْ لَغَوْتَ»^(١)، وَيَقُولُ - أَيْضًا -: «وَمَنْ مَسَّ
الْحَصَى فَقَدْ لَغَا»^(٢)، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «وَمَنْ تَكَلَّمَ، فَلَا جُمُعَةَ لَهُ»^(٣).

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ خَصَائِصِ هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ وَفَضَائِلِهِ،
وَمَا يُتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ فِيهِ، وَبِنَظَرَةٍ تَأْمُلُ فِي حَيَاتِنَا، وَوَأَقَعَ كَثِيرٌ
مِنَّا تَجَاهَ هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ: نُذْرِكُ تَصَوُّرًا جَلِيلًا لِرُؤْيُهِ بَعْضِ النَّاسِ فِي
الْخَيْرِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ، وَغَفَلْتِهِمْ عَنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَأَنْشَغَلْتَهُمْ بِزُخْرَفِ
الْحَيَاةِ؛ مِمَّا لَهُ الْأَثَرُ الْبَالِغُ فِي قَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَتَرَدُّدِي الْأَحْوَالِ؛ فَقَدْ بَلَغَ
بِبَعْضِ النَّاسِ الْإِسْتِكْبَارُ وَالْمُحَادَّةُ لِشَرِّعِ اللَّهِ؛ بِحَيْثُ يَسْمَعُونَ الْمُنَادِيَ
لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَغَيْرِهَا فَلَا يَرْفَعُونَ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَهَلْؤَلَاءِ عَلَى خَطَرٍ
عَظِيمٍ، وَفِي مَرْعٍ وَخِيمٍ.

وَمِنَ النَّاسِ: مَنْ يُزَيِّنُ لَهُ الشَّيْطَانُ التَّأَخَّرَ عَنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَلَا
يَأْتِي إِلَّا عِنْدَ الْخُطْبَةِ، أَوْ فِي أَثْنَائِهَا، أَوْ عِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَرَبَّمَا يَقْعُونَ
فِي إِيْدَاءِ عِبَادِ اللَّهِ، وَتَخَطِّي رِقَابِهِمْ، هَلْؤَلَاءِ قَدْ فَوَّتُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَيْرًا
كَثِيرًا، وَنَفَعًا عَظِيمًا، وَحَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ ثَوَابَ اللَّهِ، وَوَقَعُوا فِي أَدِيَّةِ عِبَادِ اللَّهِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، تَبَرَّمَ وَتَثَاقَلَ، وَمَلَّ الْخَيْرَ وَالنَّفْعَ

(١) رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح مسلم» (٨٥٧)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٩٣/١)، وأبوداود (١٠٥١)؛ من حديث علي، رضي الله عنه.

وَالْفَائِدَةَ وَتَكَاسَلَ، وَوَدَّ الْخَلَاصَ مِنَ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ، وَنَسِيَ أَنَّهُ فِي خَيْرٍ
وَعَلَى خَيْرٍ.

وَمِنَ النَّاسِ: مَنْ يُسَبِّبُ لِنَفْسِهِ الْحِرْمَانَ وَالْحَسَارَةَ، وَلَا يُبَالِي بِأَدَابِ
الْجُمُعَةِ، وَلَا بِحُرْمَةِ بُيُوتِ اللَّهِ، فَيَتَكَلَّمُ وَلَا يُنصِتُ، وَيَعْبَثُ وَيَتَشَاغَلُ بِنَفْسِهِ
وَأَوْلَادِهِ وَمُجَاوِرِيهِ.

وَبَعْضُهُمْ: يَجْعَلُ الْمَسْجِدَ مَحَلًّا لِلتُّزْهَةِ، فَتَجِدُهُ يَتَجَاذِبُ أَطْرَافَ
الْأَحَادِيثِ مَعَ مُحِبِّيهِ، وَرَبَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ!

وَبَعْضُهُمْ: لَا يُبَالِي بِالنِّظَافَةِ مِنَ الرِّوَايِحِ الْمُسْتَكْرَهَةِ فِي بَدَنِهِ وَثَوْبِهِ؛
فَيُؤْذِي مَلَائِكَةَ اللَّهِ، وَيُهَوِّشُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَقَدْ يَخْرُجُ أَوْلِيكَ مِنَ الْمَسْجِدِ
كَمَا دَخَلُوهُ دُونَ نَفْعٍ وَلَا فَائِدَةٍ.

وَمِنَ النَّاسِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -: مَنْ لَا يُصَلِّي إِلَّا الْجُمُعَةَ، وَلَا يُبَالِي
بِصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وَقَدْ يَدْعِي - جَهْلًا وَسَدَاجَةً - أَنَّهُ بِحُضُورِهِ الْجُمُعَةَ يُكْفِّرُ
عَنْهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ، وَلَكِنَّ هَذَا مُقَيَّدٌ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ، وَأَيُّ كَبِيرَةٍ بَعْدَ
الشَّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ؟!

وَبَعْضُ النِّسَاءِ - هَدَاهُنَّ اللَّهُ -: يَأْتِينَ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ بِثِيَابِ
الْجَمَالِ وَالْفِتْنَةِ، وَحَالِ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَالزِّيْنَةِ وَالطَّيْبِ، وَهَذَا لَا
يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ ﷺ رَخَّصَ لِلنِّسَاءِ فِي حُضُورِ الْمَسَاجِدِ، وَقَيَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

«وَلْيُخْرِجْنَ تَفَلَاتٍ»^(١) أَي: غَيْرَ مُتَطَيِّبَاتٍ^(٢).

وَبَعْضُ الْمَصْلُوبِينَ؛ يَتْرُكُ أَوْلَادَهُ يَعْبَثُونَ فِي الْمَسْجِدِ، وَيُؤْذُونَ
الْآخَرِينَ؛ كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْبَاعَةِ يَمْضِي فِي بَيْعِهِ وَعَرْضِهِ لِتِجَارَتِهِ، وَيُفَوِّتُ
عَلَى نَفْسِهِ أَجْرَ الْمُتَاجِرَةِ مَعَ اللَّهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَجْعَلُ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ يَوْمَ
لَهُوٍ وَلَعِبٍ وَغَفْلَةٍ، وَأَنْهَمَاكَ فِي الْمَلَذَّاتِ، وَعُكُوفٍ عَلَى الْمُلْهِيَاتِ، أَوْ
يَوْمٍ سَهْرٍ وَسَمَرٍ وَنُزْهَةٍ، لَا تَخْلُو مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَاعْرِفُوا لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ مَكَانَتَهُ وَحُرْمَتَهُ،
وَاعْمُرُوهُ وَسَائِرَ الْأَيَّامِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ تَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ
لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) رواه أحمد (٤٣٨/٢)، وأبو داود (٥٦٥)، وابن حبان (٢٢١٤)؛ من حديث أبي هريرة،
رضي الله عنه.

(٢) انظر: «اللسان» (تفل).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَإِنْعَامِهِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَاتَّبَاعِهِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ - وَأَشْكُرُوهُ أَنْ وَفَّقَكُمْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ،
وَهَدَاكُمْ لَهُ. وَمِنْ شُكْرِهِ هَذِهِ النِّعْمَةُ: صَرَفَ سَاعَاتِ هَذَا الْيَوْمِ وَلِحَظَاتِهِ
فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمَشْرُوعِ؛ مِنَ الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِدُّعَاءِ
وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ الْهُدَى ﷺ، وَالْبُعْدِ عَنِ جَمِيعِ
الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

فَفِي هَذَا الْعَمَلِ اسْتِثْمَارٌ لِهَذَا الْمَوْسِمِ الْمُبَارَكِ، الَّذِي فِيهِ وَفِي
أَمْثَالِهِ مِنَ الْمَوَاسِمِ الشَّرْعِيَّةِ، كِفَايَةٌ عَمَّا اسْتَحْسَنَتْهُ عُقُولُ الْبَشَرِيَّةِ،
وَاسْتَحَدَّثَتْهُ أَهْوَاؤُهُمُ الرَّدِيَّةُ؛ مِمَّا يَقْدَحُ فِي تَجْرِيدِ الْمُتَابَعَةِ لِلْمُصْطَفَى
ﷺ، الَّذِي كَانَ يُكثِرُ التَّذْكِيرَ فِيهِ بِالْوَصِيَّةِ الْجَامِعَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَعِيَهَا
الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ؛ لِأَنَّهَا تُمَثِّلُ مِنْهَا جَا يَجِبُ أَنْ يَسِيرَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ
كُلِّهَا؛ لِيَعْبُدَ اللَّهَ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ:

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِي مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١).

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَكُمْ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَمْرِ
عَظِيمٍ، لِأَسِيْمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارِكِ، أَلَا وَهُوَ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
عَلَى عَبْدِهِ الْمُصْطَفَى، وَرَسُولِهِ الْمُجْتَبَى؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ عَشْرًا» (٢).

* * *

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٧١)، ومسلم (٨٦٧)؛ من حديث جابر، رضي الله عنه.
(٢) تقدم تخريجه (ص ١١٦).



الخطبة لله والى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَرَضَ الزَّكَاةَ عَلَى عِبَادِهِ تَزْكِيَةً لِلنُّفُوسِ، وَتَطْهِيرًا لِلْقُلُوبِ، وَتَنْمِيَةً لِلْأَمْوَالِ، وَسَدًّا لِعَوَزِ^(١) الْمُحْتَاجِينَ، وَتَحْقِيقًا لِرُوحِ الْمَوَدَّةِ وَالْإِخَاءِ، وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالصَّفَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيلُهُ، وَمُجْتَبَاهُ وَحَبِيبُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ دِينَكُمْ الْإِسْلَامِي الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَرَضِيَهُ لَكُمْ، وَأَكْرَمَكُمْ بِالْإِنْسَابِ إِلَيْهِ - قَدْ بَنَيْتَنِي عَلَى أُسُسٍ مُتَمَاسِكَةٍ وَقَوَاعِدٍ مُتَرَابِطَةٍ، إِذَا اخْتَلَّتْ مِنْهَا شَيْءٌ، تَصَدَّعَ مَا سِوَاهُ؛ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

(١) الْعَوَزُ: الْعُدْمُ وَسُوءُ الْحَالِ. «اللسان» (عوز).

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

وَأَنَّ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْعَظِيمَةِ رُكْنًا عَظَمَ تَسَاهَلُ النَّاسُ فِيهِ، وَعَمَّتِ الْغَفْلَةُ عَنْهُ؛ لِضَعْفِ الْإِيمَانِ فِي النَّفُوسِ، وَإِثَارِ الْعَاجِلَةِ بِزِيَّتِهَا وَمَادِّيَاتِهَا عَلَى الْأَجَلَةِ الْبَاقِيَةِ، أَلَا وَهُوَ: «رُكْنُ الزَّكَاةِ».

فَالزَّكَاةُ - يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - : ثَالِثُ أَرْكَانِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، مَنْ جَحَدَ وَجُوبَهَا، كَفَرَ، وَمَنْ مَنَعَ آدَاءَهَا، قُوتِلَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الزَّكَاةَ مَفْرُونَةً بِالصَّلَاةِ؛ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا، وَتَنْوِينًا بِذِكْرِهَا، وَتَرْغِيبًا فِي آدَائِهَا، وَتَرْهِيبًا مِنْ تَرْكِهَا وَالتَّسَاهُلِ فِيهَا؛ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]؛ وَلِلذَلِكَ قَالَ

(١) «صحيح البخاري» (٨)، و«صحيح مسلم» (١٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٥)، و«صحيح مسلم» (٢٢).

الصَّدِيقُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «وَاللَّهُ لِأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ»^(١)،
 وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثٍ،
 لَا تُقْبَلُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ بغيرِ قَرِينَتِهَا»، وَذَكَرَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وَقَالَ: «مَنْ صَلَّى وَلَمْ يُزَكِّ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ».

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ شُرِعَتِ الزَّكَاةُ لِحِكْمٍ عَظِيمَةٍ، وَأَسْرَارٍ كَثِيرَةٍ،
 وَمَصَالِحَ جَمَّةٍ، تَعُودُ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعِ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَالخَيْرِ
 الْعَمِيمِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة:
 ١٠٣]؛ فَالزَّكَاةُ تُطَهِّرُ النَّفْسَ مِنْ دَرَنِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ، وَتُزَكِّيهِهَا بِالْجُودِ
 وَالسَّخَاءِ وَالكَرَمِ، وَهِيَ: السَّبِيلُ لِحُصُولِ النَّمَاءِ وَالرِّيَاذَةِ وَالْبَرَكَةِ،
 وَالْفَلَاحِ وَالطَّهَارَةِ، وَالخَلْفِ وَالْمَثُوبَةِ، وَحِفْظِ الْمَالِ، وَدَفْعِ الشُّرُورِ
 وَالْآفَاتِ عَنْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَفِيهَا تَثْبِيْتُ أَوْاصِرِ^(٢) الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ، وَالتَّكَافُلِ
 وَالْإِخَاءِ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ؛ لِيَشْعُرَ الْفَقِيرُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ: أَنَّهُ
 أَمَامَ تَعَاوُنٍ لَا تَطَاحُنٍ، وَأَمَامَ إِثَارٍ لَا أَثَرَةٍ، وَأَمَامَ مُسَاوَاةٍ وَعَطْفٍ وَإِخَاءٍ،
 لَا ظُلْمٍ وَتَسَلُّطٍ وَجَفَاءٍ، وَأَمَامَ مَشَاعِرَ رَقِيقَةٍ، وَقُلُوبَ رَحِيمَةٍ أَبِيَّةٍ، لَا

(١) رواه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).

(٢) الأواصر: جمع أصرّة، وهي: ما عطفك على رجل من رجم، أو قرابة، أو صهير،
 أو معروف. «اللسان» (أصر).

مَخَالِبَ قَوِيَّةٍ ، وَأَنْيَابِ عَتِيَّةٍ .

وَلَيْسَتْ الزَّكَاةُ ضَرِيْبَةً تُؤْخَذُ مِنَ الْجُيُوبِ ؛ بَلْ هِيَ غَرْسٌ لِمَشَاعِرِ
الْحَنَانِ وَالرَّأْفَةِ ، وَتَوْطِيدٌ لِعَلَّاقَاتِ التَّعَارُفِ وَالْأَلْفَةِ ؛ يَسْمُو بِهَا الْمُجْتَمَعُ
إِلَى مُسْتَوَى أَفْضَلٍ ، وَمَقْصِدِ أَنْبَلٍ ، وَهَكَذَا أَظْهَرْتَ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ مَحَاسِنَ
هَذَا الدِّينِ ، وَعِنَايَتَهُ بِشُئُونِ أُنْبَائِهِ ، وَتَفَوُّقَهُ عَلَى التُّظْمِ الْمُخَالَفَةِ مِنْ شُيُوعِيَّةٍ
وَرَأْسِمَالِيَّةٍ وَغَيْرِهَا ، الَّتِي يَزْعُمُ أَهْلُهَا - زُورًا وَبُهْتَانًا - أَنَّهُمْ كَفَلُوا الْحُقُوقَ ،
وَأَشَاعُوا الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ بَيْنَ الشُّعُوبِ ، وَهَلْ يُسَمَّى ظُلْمُ النَّاسِ عَدْلًا؟!
وَبَحْسُهُمْ حُقُوقَهُمْ ، وَإِلْغَاءُ مِلْكِيَّتِهِمْ ، وَإِسَاعَةُ الطَّبَقِيَّةِ بَيْنَهُمْ إِنْصَافًا؟! وَهَلْ
يُطْلَقُ عَلَى ابْتِزَازِ ثُرَوَاتِ الشُّعُوبِ كِفَالَةٌ لِلْحُقُوقِ؟! وَقَدْ آدَى ذَلِكَ إِلَى
شُيُوعِ الظُّلْمِ وَالخَوْفِ وَانْعِدَامِ الأَمْنِ ، وَانْتِشَارِ السَّرِقَةِ وَالِاخْتِلَاسِ وَالسَّطْوِ ،
وَتَفَاقُمِ الْجَرَائِمِ ، وَارْتِكَابِ الْفَقِيرِ شَتَّى الْحِيَلِ مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى لُقْمَةِ
الْعَيْشِ ؛ لِمَا يُقَاسِيهِ مِنَ آلامِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَالْمَسْكَنَةِ .

إِحْوَةَ الْعَقِيدَةِ ، لَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ ، وَالتَّرْهِيْبُ الْمُرْعِبُ
الْأَكِيدُ فِي حَقِّ تَارِكِ الزَّكَاةِ ، وَفِي حَقِّ مَنْ قَصَرَ فِيهَا ، وَتَسَاهَلَ فِي آدَائِهَا ،
تَحْذِيرًا وَإِنْذَارًا ، وَإِبْدَاءً وَإِعْذَارًا ، بِأُسْلُوبٍ تَرْتَعِدُ مِنْهُ الْفَرَائِصُ ، وَتَهْتَرُ لَهُ
الْقُلُوبُ ، وَتَدُوبُ مِنْ هَوْلِهِ الْأَفْنِدَةُ ، بِأُسْلُوبٍ لَوْ حُوْطِبَتْ بِهِ الْجِبَالُ
الصُّمُّ ، لَخَشَعَتْ وَتَصَدَّعَتْ .

يَقُولُ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾
 [فصلت: ٦، ٧]، وَيَقُولُ جَلَّ فِي عِلَاةٍ: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ
 وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يُحْمَى
 عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا
 كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة]، وَيَقُولُ
 سُبْحَانَ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ
 هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، قَالَ النَّبِيُّ
 ﷺ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثَلَّ لَهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبَيْتَانِ^(١)، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ -
 يَعْنِي: شِدْقَيْهِ - فَيَقُولُ: أَنَا مَالِكُ! أَنَا كَنْزُكَ!»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ
 صَاحِبٍ كَنَزَ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ،
 فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ؛ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
 خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. وَمَا مِنْ
 صَاحِبٍ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بَطَحَ لَهَا بِقَاعِ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرٍ مَا كَانَتْ،
 تَسْتَنُّ عَلَيْهِ؛ كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، رُدَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا؛ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ

(١) الزَّبَيْتَةُ: نَكْتَةُ سَوْدَاءَ فَوْقَ عَيْنِ الْحَيَّةِ. «النهاية» (زبب).

(٢) رواه أحمد (٣٥٥/٢)، والبخاري (١٤٠٣)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. وَمَا مِنْ صَاحِبٍ عَنَّمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بَطَحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ، فَتَطَّوَّهُ بِأُظْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا جَلْحَاءٌ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا؛ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»^(١).

أَلَا قَلِيلٌ سَمِعَ هَذَا الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ أَرْبَابُ الْأَلْفِ وَالْمَلَائِكِينَ، وَدَوُو الْأَرْضِ صِدَّةٍ وَالْحِسَابَاتِ، وَأَصْحَابُ الْعَقَارَاتِ وَالتَّجَارَاتِ، وَأَصْحَابُ الْمَزَارِعِ وَالْمَوَاشِي؛ لِيَتَّصِرُوا هَذَا الْمَوْقِفَ الرَّهِيْبَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ؛ فَإِنَّهَا - وَاللَّهِ! - لَا يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ كِنَارِ الدُّنْيَا - مَعَ شِدَّتِهَا وَهَوْلِهَا - إِمَّا يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي يَعْجُزُ عَنْ وَصْفِهَا التَّصْوِيرُ، وَلَا يَفِي بِذِكْرِ أَحْوَالِهَا التَّعْبِيرُ، وَإِذَا أُحْمِيَ عَلَيْهَا، لَا يُكْوَى بِهَا طَرْفُ الْجَسَدِ فَقَطْ، وَإِمَّا يُكْوَى بِهَا الْجِسْمُ كُلُّهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ: مِنَ الْأَمَامِ، وَالْخَلْفِ، وَالْجَنْبِ، فِي الْجِبَاهِ، وَالْجُنُوبِ، وَالظُّهُورِ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ، وَلَيْسَ هَذَا الْعَذَابُ فِي يَوْمٍ، وَلَا شَهْرٍ، وَلَا سَنَةٍ، وَلَكِنْ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ!

(١) رواه أحمد (٢/٢٦٢)، والبخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٩٨٧).

فَقُولُوا لِي - يَا اللَّهُ عَلَيْنَا - : مَنْ ذَا الَّذِي يُطِيقُ ذَلِكَ الْهَوْلَ الْعَظِيمَ؟!
 فَرُحِمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ! ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ
 وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ [ق].

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ،
 فَقَدْ أَعْطَاكُمْ اللَّهُ الْكَثِيرَ، وَأَعْدَقَ عَلَيْكُمُ الْمَالَ الْوَفِيرَ، وَطَلَبَ مِنْكُمْ أَقْلَ
 الْقَلِيلِ، وَلَوْ أَنَّ أَثْرِيَاءَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ قَامُوا بِهَذِهِ الْفَرِيضَةِ حَقَّ قِيَامٍ،
 وَصَرَفُوا الزَّكَاةَ فِي مَصَارِفِهَا الشَّرْعِيَّةِ - لَمْ تَجِدْ عَلَى الْأَرْضِ مَنْ يَتَسَوَّلُ
 لِفَاقَةٍ، وَمَنْ يُلْحِقُ فِي الْمَسْأَلَةِ لِحَاجَةً، وَلَا خَتَمَتْ مَظَاهِرُ الْإِجْرَامِ وَالسَّطْوِ،
 وَالِاخْتِلَاسِ وَالسَّرِقَةِ، وَلَكِنْ نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَشْرَحَ صُدُورَ الْمُسْلِمِينَ،
 وَيَجْعَلَهُمْ إِخْوَةً مُتَعَاوِنِينَ مُتَكَاتِفِينَ، يَرْحَمُ كَبِيرَهُمْ صَغِيرَهُمْ، وَيُعْطِي
 غَنِيَّهُمْ فَقِيرَهُمْ؛ لِيَكُونُوا صَفًّا وَاحِدًا، وَيَدًّا وَاحِدَةً، فِي عِمَارَةِ أَرْضِ اللَّهِ،
 وَرِعَايَةِ حُقُوقِ عِبَادِ اللَّهِ، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ
 الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
 فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ.

أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَأَدُّوا مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ
الزَّكَاةِ، أَدُّوهَا خَالِصَةً لِرُوحِهِ اللَّهِ، طَيِّبَةً بِهَا نَفُوسُكُمْ، اغْتَنِمُوهَا قَبْلَ أَنْ
تُغْرَمُوهَا، احذَرُوا الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ عِنْدَ إِخْرَاجِهَا، وَالْمَنَّ وَالْأَذَى
لِأَصْحَابِهَا؛ فَالزَّكَاةُ حَقُّ اللَّهِ، لَا تَجُوزُ الْمُحَابَاةُ بِهَا لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، وَلَا
أَنْ يَجْلِبَ الْإِنْسَانُ بِهَا لِنَفْسِهِ نَفْعًا، أَوْ يَدْفَعَ عَنْهَا ضَرَرًا، أَوْ أَنْ يَقِي بِهَا
مَالَهُ، أَوْ يَدْفَعَ بِهَا عَنْهُ مَذْمَةً.

وَلْيَتَّقِ اللَّهُ الْمُعْطِي وَالْآخِذُ؛ فَلَا يَجُوزُ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا أَنْ يَأْخُذَ
مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيِّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ؛ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ
الْحَبِيرُ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - (١).

(١) رواه الطيالسي (٢٣٨٥)، وأحمد (١٦٤/٢، ٣٧٧)، وأبو داود (١٦٣٣)،
والترمذي (٦٥٢)، والنسائي (٩٩/٥، ١٠٠)؛ من حديث أبي هريرة، وعبدالله بن
عمرو، وغيرهما، رضي الله عنهم.

وَأَعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الزَّكَاةَ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَبْرَأُ بِهَا الذَّمَّةُ، إِلَّا إِذَا
 صُرِفَتْ فِي أَحَدِ الْمَصَارِفِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - :
 ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فُلُوبِهِمْ وَفِي
 الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ [التوبة: ٦٠]، وَقَدْ خَتَمَهَا
 اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

وَلَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَ بَسْطٍ وَتَوْضِيحٍ لِأَحْكَامِ الزَّكَاةِ؛ فَهِيَ مُدَوَّنَةٌ فِي
 مَظَانِّهَا، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ إِلَيْهَا؛ لِيَنْهَلَ مِنْ مَعِينِهَا - فَدُونَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ
 لَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَتَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا
 تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسَّرَاجِ
 الْمُنِيرِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْمَوْلَى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا
 كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
 وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

* * *



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ ، وَخَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْفَضْلِ وَالتَّشْرِيفِ وَالْبَرَكَاتِ ، وَحَثَّ فِيهِ عَلَيَّ عَمَلِ الطَّاعَاتِ ، وَالْإِكْتِنَارِ مِنَ الْقُرْبَاتِ ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ نِعْمِهِ الْوَافِرَةِ ؛ وَأَشْكُرُهُ عَلَيَّ آيَاتِهِ الْمُتَكَثِرَةِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ ، وَأَشْرَفُ مَنْ تَهَجَّدَ وَقَامَ ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْبَرَّةِ الْكِرَامِ ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ الثُّورُ وَالظَّلَامُ .

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَأَشْكُرُوهُ عَلَى مَا هَيَّا لَكُمْ مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي تَصُقُّلُ الْإِيمَانَ فِي الْقُلُوبِ، وَتُحَرِّكُ الْمَشَاعِرَ الْفَيَاضَةَ فِي النُّفُوسِ، فَتَزِيدُ فِي الطَّاعَاتِ، وَتُضَيِّقُ مَجَالَاتِ الشَّرِّ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ، وَتُعْطِي الْمُسْلِمِينَ دُرُوسًا فِي الْوَحْدَةِ وَالْإِخَاءِ، وَالتَّضَامُنِ وَالصَّفَاءِ، وَالْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْهَنَاءِ، وَالطُّهْرِ وَالْخَيْرِ وَالتَّقَاءِ، وَالصَّبْرِ وَالشَّجَاعَةَ وَالْإِبَاءِ، إِنَّهَا مِنْهُلٌ عَذْبٌ، وَحِمَى

أَمِينٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ لِلطَّائِعِينَ، وَفُرْصَةٌ لَا تَعُوضُ لِلْمُذْنِبِينَ الْمُفْرَطِينَ؛
لِيَجِدُّوا التَّوْبَةَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيُسْطَرُّوا صَفْحَةَ جَدِيدَةٍ بِيَضَاءِ نَاصِعَةٍ فِي
حَيَاتِهِمْ، مُفَعَّمَةً بِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَمَحَاسِنِ الْفِعَالِ، وَمَكَارِمِ الْخِصَالِ.

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ، وَإِنَّ مِنْ أَجَلِّ هَذِهِ الْمُنَاسَبَاتِ زَمْنَا، وَأَعْظَمِهَا
قَدْرًا، وَأَبَعْدَهَا أَثْرًا: مَا نَعِيشُهُ مِنْ عَبَقِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ، وَاللَّيَالِي
الغُرِّ الْمُتَلَأَلَةِ، فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، نَزَّوِي مِنْ نَمِيرِهِ، وَنَزَّتِشْفُ مِنْ
رَحِيقِهِ، وَنَشَمُّ عَاطِرَ شَدَاهُ، شَهْرُ مُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ، وَرِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ،
وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَإِقَالَةِ الْعَثْرَاتِ، فِيهِ تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ،
وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُصَفَّدُ الشَّيَاطِينُ، مَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا،
غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ؛ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَدْ
رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١)،
و«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، فَرَحَّةٌ كُبْرَى تَعِيشُهَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ هَذِهِ الْأَيَّامَ،
فَهَا هِيَ إِزَاءُ دَوْرَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ دَوْرَاتِ الْفَلَكَ، تَمُرُّ الْأَيَّامُ وَتَمُضِي الشُّهُورُ،
وَيَحِلُّ بِنَا هَذَا الْمَوْسِمِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ، هَذَا الْوَأَفْدُ

(١) «صحيح البخاري» (٣٨)، و«صحيح مسلم» (٧٦٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٧)، و«صحيح مسلم» (٧٥٩).

الْحَبِيبُ، وَالضَّيْفُ الْعَزِيزُ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِمَا لَهُ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْمَزَايَا، وَلِمَا أُعْطِيَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنَ الْهَبَاتِ وَالْعَطَايَا، وَخُصِّتْ فِيهِ مِنَ الْكِرَامَاتِ وَالْهَدَايَا؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتَحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَعُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»^(١) «(٢)» .

فِيَالهَا مِنْ فُرْصَةٍ عَظِيمَةٍ، وَمُنَاسِبَةٍ كَرِيمَةٍ، تَصْفُو فِيهَا التُّفُوسُ، وَتَهْفُو إِلَيْهَا الْأَرْوَاحُ، وَتَكْتُرُ فِيهَا دَوَاعِي الْخَيْرِ؛ تَفْتَحُ الْجَنَّاتُ، وَتَنْزِلُ الرَّحْمَاتُ، وَتُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وَتُغْفَرُ الزَّلَّاتُ.

فِي رَمَضَانَ تَهَجَّدُ وَتَرَاوِيحُ، وَذِكْرُ وَتَسْبِيحُ، فِي رَمَضَانَ تِلَاوَةٌ وَصَلَوَاتُ، وَجُودٌ وَصَدَقَاتُ، وَأَذْكَارٌ وَدَعَوَاتُ، وَضَرَاعَةٌ وَابْتِهَالَاتُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، إِذَا كَانَ الْأَفْرَادُ وَالْأُمَّمُ مُحْتَاجِينَ إِلَى فَرَاتٍ مِنَ الصَّفَاءِ وَالرَّاحَةِ؛ لِتَجْدِيدِ مَعَالِمِ الْإِيمَانِ، وَإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَحْوَالِ، وَعِلَاجِ مَا جَدَّ مِنْ أَدْوَاءٍ^(٣) - فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ الْمُبَارَكُ هُوَ الْفِتْرَةُ الرُّوحِيَّةُ الَّتِي تَجِدُ فِيهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ فُرْصَةً لِإِصْلَاحِ أَوْضَاعِهَا، وَمُرَاجَعَةِ تَأْرِيخِهَا، وَإِعَادَةِ أَمْجَادِهَا، إِنَّهُ مَحْطَةٌ لِتَعْبِئَةِ الْقُوَى الرُّوحِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ،

(١) صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، أَي: شَدَّتْ وَأَوْثَقَتْ بِالْأَغْلَالِ، وَالصَّفْدُ: الْقَيْدُ. «النهاية» (صُفْد).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٢٧٧)، و«صحيح مسلم» (١٠٧٩).

(٣) الْأَدْوَاءُ: جَمْعُ دَاءٍ، وَهُوَ: الْمَرَضُ وَالْعَيْبُ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. «النهاية» (دَوَاء).

الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَيْهَا كُلُّ أُمَّةٍ ، بَلْ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا الْأَفْرَادُ وَالْمُجْتَمَعَاتُ الْمُسْلِمَةُ ،
إِنَّهُ مَدْرَسَةٌ لِتَجْدِيدِ الْإِيمَانِ ، وَتَهْدِيدِ الْأَخْلَاقِ ، وَشَحْذِ الْأَرْوَاحِ ، وَإِصْلَاحِ
النُّفُوسِ ، وَضَبْطِ الْغَرَائِزِ ، وَكَبْحِ جِمَاحِ الشُّهُواتِ .

فِي الصِّيَامِ : تَحْقِيقُ لِلتَّقْوَى ، وَامْتِنَالُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَهْرُ لِلْهَوَى ،
وَتَقْوِيَةٌ لِلْإِرَادَةِ ، وَتَهْيِئَةٌ لِلْمُسْلِمِ لِمَوَاقِفِ التَّضَحِّيَةِ وَالْفِدَاءِ وَالشَّهَادَةِ ؛ كَمَا
أَنَّ بِهِ تَحَقَّقُ الْوَحْدَةُ وَالْمَحَبَّةُ ، وَالْإِخَاءُ وَالْأُلْفَةُ ؛ فِيهِ يَشْعُرُ الْمُسْلِمُ بِشُعُورِ
الْمُحْتَاجِينَ ، وَيَحْسُسُ بِجُوعِ الْجَائِعِينَ ، الصِّيَامُ مَدْرَسَةٌ لِلْبَذْلِ وَالْجُودِ
وَالصَّلَةِ ؛ فَهُوَ حَقًّا مَعِينُ الْأَخْلَاقِ ، وَرَافِدُ الرَّحْمَةِ ، مَنْ صَامَ حَقًّا : صَفَتْ
رُوحُهُ ، وَرَقَّ قَلْبُهُ ، وَصَلَحَتْ نَفْسُهُ ، وَجَاشَتْ^(١) مَشَاعِرُهُ ، وَأُرْهِفَتْ
أَحَاسِيسُهُ ، وَلَانَتْ عَرِيكَتُهُ^(٢) .

فَمَا أَجْدَرُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْيَوْمَ أَنْ تَقُومَ بِدَوْرِهَا ، فَتَحَاسِبَ نَفْسَهَا عِنْدَ
حُلُولِ شَهْرِهَا ، وَمَا أَحْوَجُهَا إِلَى اسْتِلْهَامِ حِكْمِ الصِّيَامِ ، وَالْإِفَادَةِ مِنْ
مُعْطِيَاتِهِ ، وَالنَّهْلِ مِنْ مَعِينِ ثَمَرَاتِهِ وَخَيْرَاتِهِ .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الصَّبَائِمُونَ ، إِنَّ اسْتِيقَابَنَا لِرَمَضَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ -

(١) أي : تدفقت . «تاج العروس» (جيش) ، والمراد : كثر شعوره بفعل الخير .

(٢) العريكة : النفس ، ولانت عريكته ، أي : سلس خُلُقُهُ وانقاد . «تاج العروس»
(عرك) .

أَوَّلًا - بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالْفَرَحِ وَالِاغْتِبَاطِ بِهَذَا الْمَوْسِمِ الْعَظِيمِ، وَالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي؛ كَمَا يَجِبُ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَظَالِمِ وَرَدُّ الْحُقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَالْعَمَلُ عَلَى اسْتِثْمَارِ أَيَّامِهِ وَلِيَالِيهِ صَلاَحًا وَإِصْلَاحًا؛ فَبِهَذَا الشُّعُورِ وَالْإِحْسَاسِ: تَتَحَقَّقُ الْأَمَالُ، وَتَسْتَعِيدُ الْأَفْرَادُ وَالْمُجْتَمَعَاتُ كَرَامَتَهَا، أَمَا أَنْ يَدْخُلَ رَمَضَانُ، وَيَرَاهُ بَعْضُ النَّاسِ تَقْلِيدًا مَوْرُوثًا، وَأَعْمَالًا صُورِيَّةً مَحْدُودَةً الْأَثَرِ ضَعِيفَةً الْعَطَاءِ، بَلْ لَعَلَّ بَعْضَهُمْ أَنْ يَزْدَادَ سُوءًا وَانْحِرَافًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَذَلِكَ انْهِزَامُ نَفْسِي، وَعَبَثُ شَيْطَانِي، لَهُ عَوَاقِبُهُ الْوَاخِيْمَةُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ.

فَلْتَهْنَأِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِحُلُولِ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ، وَلِيَهْنَأِ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا بِهَذَا الْمَوْسِمِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُ فُرْصَةٌ لِلطَّائِعِينَ لِلِاسْتِزَادَةِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَفُرْصَةٌ لِلْمُذْنِبِينَ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، كَيْفَ لَا يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُ بِتَفْتِيحِ أَبْوَابِ الْجَنَانِ؟! وَكَيْفَ لَا يَفْرَحُ الْمُذْنِبُ بِتَغْلِيْقِ أَبْوَابِ النَّيرانِ؟! يَا لَهَا مِنْ فُرْصٍ لَا يُحْرَمُهَا إِلَّا مَحْرُومٌ! وَيَا بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ بِحُلُولِ شَهْرِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ! فَاللَّهُ اللَّهُ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ، دُونَ اسْتِثْقَالِ لِصِيَامِهِ، وَاسْتِطَالَةِ لَأَيَّامِهِ، حَذَارٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِي نَوَاقِضِهِ وَنَوَاقِصِهِ، وَتَعَاطِيِ الْمَفْطَرَاتِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ!!

وَلَقَدْ جَهَلَ أَقْوَامٌ حَقِيقَةَ الصِّيَامِ؛ فَقَصَرُوهُ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ فَتَرَى بَعْضَهُمْ لَا يَمْنَعُهُ صَوْمُهُ مِنْ إِطْلَاقِ اللِّسَانِ، وَالْوُقُوعِ فِي

الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ، وَيُطْلَقُونَ لِلْأَعْيُنِ وَالْآذَانِ الْحَبْلَ
وَالْعِنَانَ؛ لِيَتَّقَعَ فِي الدُّنُوبِ وَالْعِصْيَانِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»؛
أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لَهِ حَاجَةٌ
فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(١).

وَاللَّهُ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صَمْتُ
فَحَظِّي إِذَنْ مِنْ صَوْمِي الْجُوعُ وَالظَّمَا فَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمًا فَمَا صُمْتُ^(٢)

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ لَيَجْدُرُ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَعِيشُ الْيَوْمَ مَرْحَلَةً
مِنْ أَشَدِّ مَرَاكِحِ حَيَاتِهَا: أَنْ تَجْعَلَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ نُقْطَةً تَحْوِلُ، مِنْ حَيَاةِ
الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ، إِلَى الْاجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالِائْتِلافِ، وَأَنْ
يَكُونَ هَذَا الشَّهْرُ مَرْحَلَةً تَغْيِيرٍ فِي الْمَنَاهِجِ وَالْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ، فِي حَيَاةِ
الْأُمَّمِ وَالْأَفْرَادِ؛ لِتَكُونَ مُوَافِقَةً لِلْمَنْهَجِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ
وَالسُّنَّةُ، وَسَارَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَبِذَلِكَ تُعِيدُ الْأُمَّةُ
مَجْدَهَا التَّلِيدَ^(٣)، وَمَاضِيَهَا الْمَشْرِقَ الْمَجِيدَ، الَّذِي سَطَّرَهُ تَأْرِيخُ
الْمُسْلِمِينَ الزَّاخِرُ بِالْأَمْجَادِ وَالِائْتِصَارَاتِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ؛ وَمَا

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٥٧)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) البيتان ذكرهما ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص ٢٩٢).

(٣) التلید، أي: القديم. «تاج العروس» (تلد).

غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى، وَفَتْحُ مَكَّةَ، وَمَعْرَكَةُ حِطِّينَ، وَوَفْعَةُ عَيْنِ جَالُوتَ،
وغيرها، إِلَّا شَوَاهِدُ صِدْقِ عَلِيٍّ ذَلِكَ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، يَحِلُّ بِنَا شَهْرُنَا الْكَرِيمِ، وَأُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةَ لَا زَالَتْ
تُعَانِي جِرَاحَاتِ عُظْمَى، وَتُعَايِشُ مَصَائِبَ كُبْرَى.

فَبِأَيِّ حَالٍ يَسْتَقْبِلُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ جَوَارِ الْأَقْصَى
الْمُبَارَكِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، وَهُمْ لَا زَالُوا يُعَانُونَ صَلَفَ الصَّهَابِيَّةِ الْمُجْرِمِينَ؟!

بِأَيِّ حَالٍ يَعِيشُ إِخْوَانُكُمُ الْمُبْعَدُونَ الْمُشْرَدُونَ عَنْ دِيَارِهِمْ
وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؟! وَمَا اسْتِمْرَارُ قَضِيَّةِ أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَمَسْرَى سَيِّدِ
الثَّقَلَيْنِ، وَثَالِثِ الْمَسْجِدَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، مَا اسْتِمْرَارُ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ الْمَأْسُويَّةِ
إِلَّا تَحَدُّ سَافِرٍ مِنْ إِخْوَانِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، لِكُلِّ مَبَادِيءِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ،
وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَالسَّلَامِ وَالْأَمْنِ.

بِأَيِّ حَالٍ يَسْتَقْبِلُ إِخْوَانُكُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي جُمْهُورِيَّةِ الْبُوسْنَةِ
وَالْهَرَسِكِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، وَهُمْ يُعَانُونَ أَبْشَعَ حَرْبِ إبَادَةِ عَرَفَهَا
التَّارِيخُ الْمُعَاصِرُ؟!

هَذِهِ نِدَاءَاتُ إِخْوَاتِكُمُ الْمُسْلِمَاتِ الْمُغْتَصَبَاتِ تَعْلُو، وَاسْتِعَاثَتُهُنَّ
تَصْرُخُ وَتُدْوِي، عَلَى مَسْمَعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ، عَلَّ نَحْوَةَ تَتَحَرَّكُ!! فَهَذَا هُنَّ
يُنَادِينَ أَهْلَ الدِّينِ وَالشَّهَامَةِ وَالغَيْرَةِ: بِأَنْتُمْ إِذَا اسْتَقْبَلْتُمْ شَهْرَكُمْ بِالْفَرَحِ

والاستبشار، فنحن نستقبل - بكلّ أسى وحُرقة - وضع أولاد الصرب من جرائم الإغتصاب المتوحّشة، وكلنا ألم وحسرة وبكاء، نخشى أن يستمرّ إلى الأبد!

ويستصرخن أيضاً، أطاب لكم عيش؟! أطاب لكم نوم؟! أطاب لكم فرح؟! أطابت لكم سعادة، وأنتم تعلمون ما نحن فيه؟! لقد هزت صرخة «وا معتصماه!» - من امرأة واحدة فقط - الأمة كلّها^(١)، فكيف بستين ألف امرأة؟! متى تصل «وا معتصماه!» إلى قلوبكم؟! إنها إن لم تصل في مثل هذا الشهر الكريم، فليس للحياة طعم بعد اليوم!

بأيّ حالٍ يستقبل المسلمون في الصومال هذا الشهر الكريم، وهم يعانون حياة الجوع، والتقتيل، والتشريد؟!!

وإذا سمعت ما يدور في بلاد الأفغان، اعتصرك الألم، وأنت ترى وتسمع أن الأخ يُقاتل أخاه ويوجه سلاحه إلى صدره، وساءك تفرُّق الكلمة، وتشّت الجهود، وتبعثر الصُفوف!

وإذا انتقلت إلى مآسٍ أخرى، وجدت في بلاد الهند، وكشمير، وبورما، وإيرتريا، والفلبين، وغيرها كثير، ما يندى له الجبين، لكنّ

(١) انظر: قصة «وا معتصماه!» وفتح عمّورية على يدي الخليفة المعتصم في «تاريخ الطبري» (٥٧/٩)، و«البداية والنهاية» (٢٥٢/١٤).

الْأَمَلِ كَبِيرٌ، وَالْقَالَ عَظِيمٌ: أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَاسِي سَحَابَةَ صَيْفٍ تُوشِكُ أَنْ تَنْقَشِعَ عَنْ قَرِيبٍ، وَلَيْسَ بِعَزِيزٍ عَلَى اللَّهِ: أَنْ تُرْفَعَ رَايَةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ؛ كَمَا رُفِعَتْ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَبْرَ تَأْرِيخِنَا الْمَدِيدِ!

أَيْهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، فِي رَمَضَانَ تَتَرَبَّى الْأُمَّةُ عَلَى الْحِدِّ، وَأُمَّةُ الْهَزْلِ أُمَّةٌ مَهْزُومَةٌ، فِي رَمَضَانَ يَتَرَبَّى أَفْرَادُ الْأُمَّةِ عَلَى عِقَّةِ اللُّسَانِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَنَقَاءِ الْقُلُوبِ، وَتَطْهِيرِهَا مِنْ أَدْرَانِ الْأَحْقَادِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالْحَسَدِ وَالْغِلِّ وَالشُّحْنَاءِ، وَلَا سِيَّمَا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَالْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْخَيْرِ وَالِدَعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ؛ فَتَجْتَمِعُ الْقُلُوبُ، وَتَتَوَحَّدُ الْجُهُودُ، وَيَتَفَرَّغُ الْجَمِيعُ لِمُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ الْمُشْتَرَكِ، وَتَتَخَلَّى جَمِيعًا عَنْ تَتَبُّعِ السَّقَطَاتِ، وَتَلْمَسُ الْعَثَرَاتِ، وَالتَّفَخِ فِي الْهَنَاتِ، وَالْحُكْمِ عَلَى الْمَقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ.

فِي رَمَضَانَ؛ يُطَلَبُ مِنْ شَبَابِنَا تَحْقِيقُ دَوْرِهِمْ، وَمَعْرِفَةُ رِسَالَتِهِمْ، وَقِيَامُهُمْ بِحَقِّ رَبِّهِمْ، ثُمَّ حُقُوقِ وَلَايَتِهِمْ وَوَالِدِيهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ.

فِي رَمَضَانَ؛ تَتَجَسَّدُ مَلَامِحُ التَّلَاحُمِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ رُعَايَاهُمْ، وَعِلْمَائِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ؛ لِيَكُونَ الْجَمِيعُ يَدًا وَاحِدَةً، وَبِنَاءً مُتَكَامِلًا؛ لِدَفْعِ تَيَّارَاتِ الْفِتَنِ، وَأَمْوَاجِ الْمِحَنِ؛ أَنْ تَحْرِقَ السَّفِينَةَ، وَتَقْوُضَ الْبِنَاءَ، وَيَحْصُلَ جَرَاءُهَا الْخَلَلُ الْفِكْرِيُّ وَالْاجْتِمَاعِيُّ.

فِي رَمَضَانَ: تَكَثَّرَ دَوَاعِي الْحَيْرِ، وَتُقْبَلُ عَلَيْهِ النَّفُوسُ؛ فَهُوَ فُرْصَةٌ
لِلدُّعَاةِ وَالْمُصْلِحِينَ، وَأَهْلِ الْحِسْبَةِ وَالتَّرْبَوِيِّينَ: أَنْ يَصِلُوا إِلَى مَا يُرِيدُونَ
مِنْ خَيْرٍ لِلأُمَّةِ بِأَحْسَنِ أُسْلُوبٍ وَأَقْوَمٍ مِنْهَا؛ فَالْفُرْصَةُ مُؤَاتِيَةٌ، وَالنَّفُوسُ مُقْبِلَةٌ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَأَذْرِكُوا حَقِيقَةَ الصَّوْمِ وَأَسْرَارَهُ، وَتَعَلَّمُوا
أَدَابَهُ وَأَحْكَامَهُ، وَاعْمُرُوا أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَصُوتُوا صَوْتَكُمْ عَنِ
النَّوَاقِصِ وَالنَّوَاقِصِ، وَجَدِّدُوا التَّوْبَةَ وَحَقَّقُوا شُرُوطَهَا؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ
عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَيَجْعَلَكُمْ مِنَ الْمَرْحُومِينَ الْمُعْتَقِينَ مِنَ النَّارِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ أَنْ هَدَى لِلنَّكَاسِ وَبَيَّنَّتْ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ
بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [البقرة].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

* * *

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، جَعَلَ الصَّيَّامَ جَنَّةً، وَسَبَبًا مُوَصَّلًا إِلَى الرِّضْوَانِ وَالْجَنَّةِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ تَفْضُلًا مِنْهُ وَمِنَّةً، صَلَّى
اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاشْكُرُوهُ عَلَى بُلُوغِ هَذَا الْمَوْسِمِ الْكَرِيمِ،
وَعَظَّمُوا مَنَزَلَتَهُ، وَاقْدُرُوهُ قَدْرَهُ، وَلَا تَسْتَكْبِرُوا خَيْرًا فَعَلْتُمُوهُ، وَتَأَسَّوْا
بِرَسُولِكُمْ ﷺ؛ فَقَدْ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ؛
يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « وَكَانَ هَدْيُهُ فِيهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
أَكْمَلَ هَدْيٍ وَأَعْظَمَهُ تَحْصِيلًا لِلْمَقْصُودِ، وَأَسْهَلَهُ عَلَى النَّفْسِ، وَكَانَ مِنْ
هَدْيِهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: الْإِكْتِثَارُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُهُ
الْقُرْآنَ، وَكَانَ يَكْتَبُ فِيهِ الصَّدَقَةَ وَالْإِحْسَانَ، وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةَ،
وَالذِّكْرَ وَالْإِعْتِكَافَ، وَكَانَ يَخُصُّهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ بِمَا لَا يَخُصُّ بِهِ غَيْرُهُ» (١).

وَقَدْ سَارَ عَلَى ذَلِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - حَيْثُ ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ
فِي حُسْنِ الصَّيَّامِ، وَإِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ، وَعِمَارَةِ أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

(١) «زاد المعاد، في هدي خير العباد» (٢/ ٣٠-٣٢).

وَأَعْلَمُوا - يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - أَنْكُمْ كَمَا اسْتَقْبَلْتُمْ شَهْرَكُمْ هَذَا؛
 سَتُودِّعُونَهُ عَمَّا قَرِيبٍ، وَهَلْ تَدْرِي - يَا عَبْدَ اللَّهِ - هَلْ تُدْرِكُ بَقِيَّةَ الشَّهْرِ، أَوْ
 لَا تَكْمِلُهُ؟! إِنَّا - وَاللَّهِ - لَا نَدْرِي، وَنَحْنُ نُصَلِّي عَلَى عَشْرَاتِ الْجَنَائِزِ فِي
 الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ: أَيْنَ الَّذِينَ صَامُوا مَعَنَا فِيمَا مَضَى؟! إِنَّ الْكَيْسَ اللَّيْبَ مَنْ
 جَعَلَ مِنْ ذَلِكَ فُرْصَةً لِمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، وَتَقْوِيمِ اعْوِجَاجِهَا، وَأَطْرَهَا^(١)
 عَلَى طَاعَةِ رَبِّهَا قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَهَا الْأَجَلُ؛ فَلَا يَنْفَعُهَا - حَيْثُ ذَاكَ - إِلَّا صَالِحُ
 الْعَمَلِ، فَعَاهِدُوا رَبَّكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ فِي هَذَا
 الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، عَلَى التَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمَأْتَمِ،
 وَاجْتِهَدُوا فِي الدُّعَاءِ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ وَأُمَّتِكُمْ.

أَيْتُهَا الْأَخْتُ الْمُسْلِمَةُ، إِنَّ الصِّيَامَ يُؤَدِّبُ عَلَى الْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ
 وَالْحَيَاءِ، وَيَسْلُكُ بِالْمَرْأَةِ مَسَالِكَ الْحِشْمَةِ وَالْعِفَافِ؛ وَمَا يُرَى مِنْ مَظَاهِرِ
 التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ وَالِاخْتِلَاطِ، إِنَّمَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَى سُوءِ الْفَهْمِ لِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ.
 أَيْتُهَا الْأَثْرِيَاءُ، جُودُوا بِأَمْوَالِكُمْ فِي شَهْرِ الْجُودِ، وَلَا تَبْخُلُوا،
 وَشَاطِرُوا إِخْوَانَكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْأَمَّهُمْ وَأَمَالَهُمْ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الصَّائِمِينَ، وَأَفْضَلِ
 الْقَائِمِينَ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) أَطْرُ الشَّيْءِ: عَطْفُهُ وَثَنِيهِ. «اللسان» (أطر).



الخطبة للهوى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ،
وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَنْ عَلَى عِبَادِهِ بِمَوَاسِمِ
الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَجَادَ عَلَيْهِمْ بِأَوْقَاتِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَأَزْمَانَ الْخَيْرِ
وَالْفَضْلِ وَالْامْتِنَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرٌ مَنْ صَلَّى
وَصَامَ، وَأَفْضَلُ مَنْ تَهَجَّدَ وَقَامَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَتَبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَاشْكُرُوهُ عَلَى
نِعْمِهِ الْوَافِرَةِ، وَمِنْهُ الْمُتَكَثِّرَةِ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ آلَاءِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ: مَا
شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَالْمَوَاسِمِ الْكَرِيمَةِ، الَّتِي بِيهَا

تَزَكُّوْ نُفُوسُهُمْ، وَتَمْتَلِيْ خَيْرًا وَصَلَاحًا، وَبَرَكَهً وَنَمَاءً، وَتَشَعُّ نُورًا
وَضِيَاءً، وَتَتَلَأَلُ إِشْرَاقًا وَصَفَاءً، وَإِنَّ مَا تَعِيْشُهُ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ هَذِهِ الْأَيَّامَ -
فِي ظِلَالِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيْمِ، وَالْمَوْسِمِ الْعَظِيْمِ، حَيْثُ الْأَيَّامُ الْمُبَارَكَةُ،
وَاللَّيَالِي الْعُرُ الْفَاضِلَةُ - لَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْفُرْصِ الْإِيْمَانِيَّةِ الَّتِي لَا تَعُوْضُ،
وَلَا تُقَدَّرُ بِشَيْءٍ، كَيْفَ لَا وَالْمُسْلِمُونَ يَعِيْشُونَ فِيهِ مَعَ الْقُرْآنِ، وَيَتَعَنُونَ فِيهِ
الرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرِّضْوَانَ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَانِ، وَالْعِثْقَ مِنَ النَّيْرَانِ،
وَيَتَعَرَّضُونَ فِيهِ لِنَفَحَاتِ الْمَلِكِ الدِّيَّانِ؟! حَقًّا إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ الْكَرِيْمَ،
مَيْدَانُ خَيْرٍ وَتَقَى، وَصَلَاحٍ وَهُدَى، يَسْتَبِقُ فِي سَاحَتِهِ الْمُؤْمِنُونَ،
وَيَتَنَافَسُ فِي إِذْرَاكِ فَضْلِهِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَلَكِنْ هَلْ يَعِي الْمُسْلِمُونَ مَآثِرَ
هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيْمِ؟! وَهَلْ يَعْرِفُونَ حِكْمَهُ وَأَسْرَارَهُ، وَفَضَائِلَهُ وَأَثَارَهُ؟!
وَهَلْ يَلْتَزِمُونَ مَنْهَجَهُ السَّلِيْمَ، وَطَرِيقَهُ الْقَوِيْمَ؟! وَهَلْ يُطَبِّقُونَ وَيَعْمَلُونَ
بِمَا مِنْ أَجْلِهِ شُرْعَ الصِّيَامِ، أَوْ أَنَّ كَثِيْرًا مِنْهُمْ جَهْلَ حِكْمَةِ تَشْرِيْعِهِ،
وَتَنَاسَى أَثَارَهُ الْخَيْرَةَ، وَسُنَنَهُ النَّبِيَّةَ، وَكَتَفَى مِنَ الصِّيَامِ بِحَبْسِ نَفْسِهِ عَنِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالْمُفْطَرَاتِ الْحَسِيَّةِ، فَحَسَبُ!؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى أَنْ
يَسْتَدْعِيَ أَبْنَاؤُهَا مَعَانِي الْمَحَاسِبَةِ وَالتَّدْبِيْرِ، وَالتَّقْوِيْمِ وَالتَّفَكُّرِ، الَّتِي
يُبْرِزُهَا هَذَا الشَّهْرُ الْكَرِيْمُ، الَّذِي يُمَثِّلُ جَامِعَةً لِلْخَيْرِ وَالْبِرِّ، وَمَدْرَسَةً

لِلْحِلْمِ وَالصَّبْرِ، وَمَنَارَةَ لِلْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَحِصْنَآ مِنَ الْفِتَنِ وَالْأَدْوَا،
وَعِذَاءً لِلْأَرْوَاحِ، وَبَلْسَمًا لِلْجِرَاحِ، وَكَأْبَحًا لِلشَّهَوَاتِ وَالغَرَائِزِ، وَشَاحِذًا
لِلْهَمَمِ وَالْعَزَائِمِ، وَجَالِيًا لِسَخَائِمِ^(١) التُّفُوسِ وَأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ، وَطَرِيقًا
لِتَأْلُفِ الْأُمَّةِ، وَتَرَاحِمِ أبنَائِهَا، وَتَعَاوُنِهِمْ؛ فَهُوَ - بِحَقِّ - رَبِيعُ الْمُؤْمِنِينَ،
وَعَنِيمَةُ الصَّالِحِينَ، وَفُرْصَةُ الْعَصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ؛ بِهِ تَتَذَكَّرُ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ
مَجْدَهَا الْحَالِدَ، وَعِزَّهَا التَّالِدَ، وَمَاضِيَهَا الْمُشْرِقَ، وَآئِصَارَاتِهَا الْبَاهِرَةَ،
فِيخْفِرُ ذَلِكَ الْهَمَمَ، وَيَضْقَلُ الْمَشَاعِرَ وَالْأَحَاسِيسَ؛ لِيَقِفَ كُلُّ مُسْلِمٍ
مَوْقِفَ جِدِّ، مُحَاسِبًا لِنَفْسِهِ: هَلْ تَنَبَّهَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ مِنْ غَفْلَتِهِ،
وَاسْتَيْقَظَ مِنْ رَقْدَتِهِ، أَوْ أَنَّ حَالَهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ كَحَالِهِ فِي غَيْرِهِ؛ تَأْسِرُهُ
الْمَعَاصِي، وَتُلْهِئُهُ سَكْرَةَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ!؟

مَعْتَرِ الْإِخْوَةَ الصَّائِمِينَ، إِنَّ الْأَخْطَاءَ الْمُتَشَشِيَةَ فِي وَاقِعِ الصَّائِمِينَ
لَجَدِيدَةٌ بِالْمُعَالَجَةِ، وَتَشْخِيزِ سَبَابِهَا الَّتِي يَجْمَعُهَا: قِلَّةُ الْبَصِيرَةِ فِي
دِينِ اللَّهِ، وَضَعْفُ الْإِرْتِبَاطِ بِفِقْهِ حِكْمِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَإِنَّهُ لِيَنْبَغِي عَلَى كُلِّ
صَائِمٍ - يَرْجُو قَبُولَ صِيَامِهِ - أَنْ يُبَادِرَ إِلَى عَرْضِ حَالِهِ فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ
الْعَظِيمَةِ عَلَى مِيزَانِ الشَّرْعِ، وَمَعْيَارِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ؛ فَسَوْءٌ فَهَمٌ بَعْضُ
الْمُسْلِمِينَ لِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْعَظِيمَةِ جَعَلَ لِهَذِهِ الظُّوَاهِرِ رَوَاجًا فِي وَاقِعِ

(١) السخائم: جمع سخيمة، وهي الحقد والضغينة في النفس. «اللسان» (سخم).

المُسْلِمِينَ؛ وَإِلَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ عِبَادَةِ الصَّوْمِ دُرُوسًا وَعِبْرًا، وَأَثَارًا
وَفِكْرًا - فَمَتَى يَسْتَفِيدُ؟! وَمَنْ لَمْ يُقَوِّمْ نَفْسَهُ فِي رَمَضَانَ - فَمَتَى يُقَوِّمُهَا؟!

إِنْ لَمْ تَعُدْ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ إِلَى تَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللَّهِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى كِتَابِهِ
فِي هَذَا الْمَوْسِمِ الْكَرِيمِ - فَمَتَى تَعُودُ؟! إِنْ لَمْ يَتَحَرَّكَ عُلَمَاؤُهَا وَمُصَلِّحُوهَا،
وَدُعَاتُهَا وَمُفَكِّرُوهَا لِلْقِيَامِ بِوَاجِبِهِمْ - تَعْلِيمًا وَحِسْبَةً، وَإِصْلَاحًا وَقُرْبَةً -
فَمَتَى عَسَاهُمْ أَنْ يَتَحَرَّكُوا؟! إِنْ لَمْ تَجْتَمِعْ كَلِمَةُ الْمُسْلِمِينَ - وَقَدْ اجْتَمَعُوا
عَلَى هَذِهِ الشَّعِيرَةِ، صِيَامًا وَعِبَادَةً وَقِيَامًا - فَمَتَى تَتَوَحَّدُ صُفُوفُهُمْ، وَتَجْتَمِعُ
كَلِمَتُهُمْ، وَتَتَطَهَّرُ قُلُوبُهُمْ مِنْ مَعَانِي الْغُلِّ وَالْحَقْدِ، وَالْحَسَدِ وَالضَّغِينَةِ؟!
إِنْ لَمْ تَعَفَّ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغَيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ وَالْبُهْتَانِ - فَمَتَى
تَكْفُ؟! إِنْ لَمْ يَتَحَرَّرُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ، وَيَعُودُوا إِلَى سَاحَاتِ
الْإِهْتِدَاءِ وَالْإِقْتِدَاءِ - فَمَتَى يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟!

إِنْ لَمْ يُقْبَلْ عَلَى اللَّهِ، مَنْ شَغَلَتْهُ عَن دِينِهِ دُنْيَاهُ - فَمَتَى يُقْبَلُ؟! إِنْ لَمْ
يَنْتَفِعْ شَبَابُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْعَظِيمَةِ - صَاحًا وَإِصْلَاحًا -
فَمَتَى يَنْتَفِعُونَ؟! وَإِنْ لَمْ تَعُدْ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَجْوَاءِ الْإِيمَانِ وَالْعَفَافِ،
وَالِاخْتِسَامِ وَالْحِجَابِ - فَمَتَى يَعُدْنَ؟! إِنْ لَمْ يَثْفِقِ الْأَثْرِيَاءُ وَيَجُودُوا
بِأَمْوَالِ اللَّهِ الَّتِي ابْتَلَاهُمْ بِهَا - فَمَتَى يَجُودُونَ؟!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ الَّذِي يَجِدُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ

فُسْحَةً لِلْعِبَادَةِ وَالْإِقْبَالِ - يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُنْطَلِقًا لِرَجْعَةٍ ثَابِتَةٍ، وَعَوْدَةٍ صَادِقَةٍ إِلَى اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - وَلَيْسَتْ تَغْيِيرًا مُؤَقَّتًا فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، فَيَا سَعَادَةَ الصَّائِمِينَ، وَيَا بُشْرَى - وَاللَّهُ - لِلْقَائِمِينَ؛ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، دُونَ تَنَاقُلٍ وَمَلَلٍ، وَمِنْ غَيْرِ اسْتِطَالَةٍ أَوْ كَلَلٍ! .

أَخِي الصَّائِمَ، إِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَلَّا يَسْتَكْثِرَ عَمَلَهُ عَلَى رَبِّهِ؛ مِنْ صِيَامٍ وَقِيَامٍ، وَصَدَقَةٍ وَاعْتِكَافٍ، وَتِلَاوَةٍ وَدُعَاءٍ؛ فَكُلُّ عَمَلِهِ - مَهْمَا كَثُرَ - قَلِيلٌ فِي جَانِبِ نِعَمِ الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا - عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ الْحَزْمَانِ وَالْغَبْنِ وَالْخَسَارَةِ: أَنْ تَمُرَّ أَيَّامٌ وَلِيَالِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ، وَفِيهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسًا لِاغْتِنَامِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، فَيَقْطَعُونَ النَّهَارَ بِالنُّومِ وَالْكَسَلِ، وَاللَّيْلَ بِالسَّهْرِ وَاللَّهُوِ وَالْمُحَرَّمَاتِ، وَالتَّقَنُّنِ فِي الْمُشْتَهِيَاتِ وَالْمَلَذَاتِ، وَإِطْلَاقِ الْجَوَارِحِ - أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَالسِّنَّةَ - إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

أَلَا يَتَذَكَّرُ أَوْلِيَاكَ سُرْعَةَ زَوَالِ هَذَا الشَّهْرِ؟! أَلَا يُحْسِنُونَ الْأَدَبَ مَعَ شَهْرِ اللَّهِ الْمُبَارِكِ؟! أَيْنَ مُحَاسَبَةُ النُّفُوسِ يَا عِبَادَ اللَّهِ؟! لَقَدْ مَرَّتِ الْعَشْرُ الْأُولَى مِنْ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ كَلِمَحِ الْبَصْرِ، بَلْ مَرَّ شَطْرُهُ وَانْتَصَفَ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ، وَفِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ؛ أَلَا نَعْتَبِرُ بِمَنْ كَانَ مَعْنَا فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي؛ وَلَكِنْ حَالَ الْمَوْتِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِدْرَاكِ رَمَضَانَ هَذَا الْعَامِ، بَلْ وَافَاهُمْ رَمَضَانٌ وَهُمْ تَحْتَ الثَّرَى، وَقَدْ سَرَى

فِيهِمُ الْبَلَى؟! وَنَحْنُ لَا نَدْرِي؛ هَلْ نُتِمُّ هَذَا الشَّهْرَ أَوْ يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
إِكْمَالِهِ هَازِمِ اللَّذَاتِ، وَمُفَرَّقِ الْجَمَاعَاتِ؟!. فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ!

لَقَدْ انْتَصَفَ الشَّهْرُ، وَقَدْ كُنَّا بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ نَتَمَنَّى حُلُولَهُ،
وَنَشَوِّقُ لِاسْتِقْبَالِهِ، وَقَرِيبًا سَيَنْقُضِي كَمَا انْقَضَى غَيْرُهُ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ؛ فَهَلْ مِنْ وَفْقَةٍ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - لِمَحَاسِنِ النَّفُوسِ، وَفَتْحِ صَفْحَةِ
جَدِيدَةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؟! لَا سِيَّمَا وَنَحْنُ نَعِيشُ هَذِهِ الْأَيَّامَ الْعَشْرَ
الْأَوَاسِطَ مِنْ رَمَضَانَ، عَشْرَ الْمَغْفِرَةِ؛ فَهَلْ مِنْ مُتَعَرِّضٍ لِنَفَحَاتِ الْمَوْلَى
جَلَّ وَعَلَا؛ لَعَلَّهُ يَكْسِبُ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ؟! نَحْنُ مُقْبِلُونَ عَلَى الْأَيَّامِ
الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ فَهَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ
لِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَمُتَعَرِّضٍ لِعَفْوِ اللَّهِ؟! أَمَا أَنْ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ، وَالنَّفُوسِ
الشَّارِدَةِ: أَنْ تُقْبَلَ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ فَوَاتِ الْفُرْصِ، وَانْقِضَاءِ الْأَعْمَارِ؟! كُنَّا -
وَلَا شَكَّ - يُشَدُّ رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ، وَتَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّاتِ؛
إِذَنْ: فَهَذِهِ مَوَاسِمُ الْمُتَاجِرَةِ مَعَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَيَا بَاغِيَ الْخَيْرِ
أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ.

يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، أُمَّةَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، فِي هَذِهِ الْعَشْرِ الْمُبَارَكَةِ
تَحَقَّقْ فِي تَأْرِيخِ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَدَثٌ عَظِيمٌ، وَحَصَلَ فَتْحٌ مُبِينٌ، حَدَثٌ غَيْرٌ
مَجْرَى التَّأْرِيخِ، وَغَدَا غُرَّةً فِي جَبِينِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَشَامَةً فِي دُنْيَا مَاضِيهَا
وَحَاضِرِهَا؛ كَمَا يُمَثَّلُ دَرَسًا لِأَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَبْرَ الْأَزْمِنَةِ؛ لِيَعْلَمُوا

وَلْيُوقِنُوا أَنَّهُ لَا عِزَّ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِتَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ
 وَاهِبِ النَّصْرِ وَالْقُوَّةَ؛ أَتَدْرُونَ مَا هَذَا الْحَدِيثُ؟ إِنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي نَصَرَ اللَّهُ
 فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَأَدَلَ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ، إِنَّهُ يَوْمُ الْفُرْقَانِ الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ فِيهِ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى، حِينَ انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ
 قَلَّةٌ فِي الْعَدَدِ، ضِعَافٌ فِي الْعَدَدِ، عَلَى جَحَافِلٍ^(١) الْكُفْرِ، وَفُلُولِ الشِّرْكَ،
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ نَصَرُوا دِينَ اللَّهِ؛ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ، وَحَقَّقَ لَهُمْ وَعَدَّهُ؛
 ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم].

إِنَّهُ لِيَجْدُرُ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهَا الْفِتْنُ، وَتَكَاثَرَتْ
 عَلَيْهَا الْمِحْنُ، وَتَدَاعَتْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ^(٢) : أَنْ تَأْخُذَ مِنْ مَاضِيهَا الْمَجِيدِ
 الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَ، فَأُمَّةٌ لَا مَاضِيَ لَهَا، لَا حَاضِرَ وَلَا مُسْتَقْبَلَ لَهَا، وَنَحْنُ
 أُمَّةٌ لَهَا حَضَارَةٌ وَأَصَالَةٌ وَتَأْرِيخٌ، لَهَا مَاضٍ تَلِيدٌ، وَحَاضِرٌ عَيْدٌ، وَمُسْتَقْبَلٌ
 - بِإِذْنِ اللَّهِ - مُشْرِقٌ سَعِيدٌ، وَلَا صَلَاحَ لِأَخْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِالسَّيْرِ عَلَى مَا
 صَلَحَ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا.

إِنَّهُ لِيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الْجِدِّ

(١) الجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش الكثير. «اللسان» (جحفل).

(٢) أي: اجتمعوا عليها وتألبوا ضدها، ودعا بعضهم بعضاً. «اللسان» (دعو).

وَالْإِجْتِهَادِ، وَالْقُوَّةَ وَالْجِهَادِ، شَهْرُ الْإِنْتِصَارَاتِ الْقَاهِرَةِ، وَالْفَتْوحَاتِ
 الْبَاهِرَةِ، وَإِنَّهُ كُلَّمَا أَحْلَوْلَكَ الظَّلَامَ^(١)، وَعَمَّتْ غُيُومُ الْكَوَارِثِ وَالْحَوَادِثِ
 دِيَارَ الْإِسْلَامِ - فَإِنَّ الْفَأَلَ مَطْلُوبٌ، وَالْأَمَلَ مَوْجُودٌ، وَبَوَارِقَ النَّصْرِ
 تُوشِكُ أَنْ تَعْلُو - بِحَمْدِ اللَّهِ - يُجَسَّدُ ذَلِكَ صَحْوَةَ إِسْلَامِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ مُبَارَكَةٍ،
 عَمَّتْ جَمِيعَ أَصْقَاعِ^(٢) الدُّنْيَا بِفَضْلِ اللَّهِ؛ فَبَيْنَ دِيَارِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
 الْمُبَارَكِ: مَا يَبْعَثُ عَلَى الْأَمَلِ بِنَصْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي جِهَادِ إِخْوَانِنَا هُنَاكَ مِنْ
 أَبْنَاءِ فَلَسْطِينِ الْمُسْلِمَةِ، وَفِي ذَلِكَ مَدْعَاةٌ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
 أَنْ يَنْتَفِضُوا - بِعِلْمٍ وَعَقْلِ وَحِكْمَةٍ - عَلَى كُلِّ فِكْرٍ دَخِيلٍ، وَمَنْهَجٍ غَيْرِ
 أَصِيلٍ، وَعَلَى كُلِّ سُلُوكٍ هَزِيلٍ مُنَافٍ لِتَعَالِيمِ دِينِنَا الْحَنِيفِ، وَقُلِّ مِثْلَ
 ذَلِكَ فِي بَقَاعِ شَتَّى مِنَ الْعَالَمِ الَّذِي سَيَبْتَهَجُ بِنَصْرِ اللَّهِ الَّذِي نَرْجُو أَنْ يَتِمَّ
 وَيَتَحَقَّقَ عَاجِلًا - بِإِذْنِ اللَّهِ - ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم].

فَهَلْ نُعِيدُ لِرَمَضَانَ - يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - دَوْرَهُ وَمَكَانَهُ فِي التَّأْثِيرِ
 الْحَيَوِيِّ عَلَى وَقَعِ أُمَّتِنَا؟! وَهَلْ نُوَاصِلُ حَيَاةَ الْعِبَادَةِ وَالْبِرِّ وَالصَّلَاةِ؟! وَهَلْ
 نُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ وَالْوَحْدَةَ، وَالتَّرَاحُمَ وَالْإِحْسَانَ، وَالْجُودَ وَالْعَطْفَ
 وَالْمُوَاسَاةَ؟! هَذَا مَا نَرْجُوهُ وَنُؤَمِّلُهُ، وَنَعِيشُ بِشَائِرَتِهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - وَتَوْفِيقِهِ،

(١) أَحْلَوْلَكَ الظَّلَامَ: اشْتَدَّ سَوَادُهُ، وَالْحُلُكَةُ: شِدَّةُ السَّوَادِ كُلُّونِ الْغَرَابِ. «اللسان» (حلك).

(٢) الْأَصْقَاعُ: النُّوَاحِي، جَمْعُ صُفْعٍ. «اللسان» (صقع).

أَقْرَأَ اللهُ الْأَعْيُنَ لِصَلَاحِ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ
سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّيَّامَ جُنَّةً، وَوَسِيلَةً مُوصِلَةً إِلَى التَّقْوَى
وَالْجَنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الَّذِي شَرَعَ لَنَا الصَّيَّامَ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَمِنَّةً،
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى خَيْرِ مِلَّةٍ وَأَقْوَمِ سُنَّةٍ،
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَظِّمُوا حُرْمَاتِهِ وَشَعَائِرَهُ، وَأَقْدِرُوا هَذَا
الشَّهْرَ قَدْرَهُ، وَاسْتَمِرُّوا سَاعَاتِهِ وَأَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ، وَصُومُوا صَوْمَكُمْ عَنْ كُلِّ
مَا يُنْقِضُهُ وَيُنْقِضُهُ، وَحَذَارِ أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ
وَالْعَطَشُ، وَمِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ وَالنَّصَبُ^(١)، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحِرْمَانِ!

وَلِيَكُنْ لَكُمْ فِي نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ -
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، وَكَانَ كَالرِّيحِ
الْمُرْسَلَةِ؛ مُسَارِعَةً فِي الْخَيْرِ، وَمُسَابِقَةً إِلَى الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، فَإِذَا كَانَ
هَذَا عَمَلٍ مَنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَكَيْفَ بِحَالِنَا نَحْنُ
الضُّعَفَاءُ؟! فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

(١) النَّصَبُ: الإعياء من العناء. «اللسان» (نصب).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، أَذَكَّرُكُمْ يَا مَنْ تُقْبَلُونَ عَلَى اللَّهِ فِي صَلَاةٍ
وَذِكْرِ، وَتِلَاوَةِ وَدُعَاءٍ: بِأَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَجَعَلَهَا
ثَالِثَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ؛ فَاحْرِصُوا عَلَى إِخْرَاجِهَا طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ،
وَجُودُوا بِمَا آفَاءَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ؛ بِمُسَاعَدَةِ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمَسَاكِينَ
الْمُحْتَاجِينَ، وَالْمُجَاهِدِينَ وَالْمُتَضَرَّرِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا تَنْسُوا
إِخْوَانَكُمْ، وَأُمَّتَكُمْ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ دُعَائِكُمُ الصَّالِحِ فِي الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ،
وَيَعْلَمُ اللَّهُ - يَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ - كَمْ كَانَ سِلَاحُ الدُّعَاءِ سَبَبًا فِي انْفِرَاجِ كَثِيرٍ
مِنَ الْكُرْبَاتِ، وَتَذَلُّلِ كَثِيرٍ مِنَ الْعَقَبَاتِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

عِبَادَ اللَّهِ، خُذُوا الْعُهُودَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالسَّيْرِ عَلَى طَرِيقِ الصَّلَاحِ
وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ؛ لَعَلَّكُمْ تَحْظُونَ بِالرَّحْمَةِ
وَالْمَغْفِرَةِ، وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ!

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْهُدَى،
أَفْضَلِ الصَّائِمِينَ، وَأَشْرَفِ الْقَائِمِينَ؛ فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ
فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْمُبِينِ؛ فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].



الخطبة لله والى

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى جَزِيلِ نِعْمَائِهِ، وَجَزِيلِ إِحْسَانِهِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى
وَأَشْكُرُهُ عَلَى سَوَابِغِ آيَاتِهِ، وَتَرَادُفِ امْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى
مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَمَنْ سَارَ
عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ، وَدَعَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - اتَّقُوهُ ظَاهِرًا
وَبَاطِنًا، سِرًّا وَعَلَنًا، اتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، اتَّقُوهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،
وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَآنٍ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ حَقًّا مَنْ تَكُونُ تَقْوَى اللَّهِ شِعَارَهُ طِيْلَةَ عُمُرِهِ،
وَلِبَاسَهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ صَادِقَ الْإِيمَانِ مَنْ يَكُونُ عَمَلُهُ بِالطَّاعَاتِ،
وَاجْتِنَابُهُ لِلْمَعَاصِي وَالْخَطِيئَاتِ، دَيْدَنًا لَهُ وَمِنْهَاجًا، إِلَى أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ؛ فَلَا
تَزِيدُهُ مَوَاسِمُ الْخَيْرِ إِلَّا اجْتِهَادًا فِي الْعِبَادَةِ، وَحِرْصًا عَلَى الطَّاعَةِ،

وَتَرَوِينَصًا^(١) لِلنَّفْسِ عَلَى الْخَيْرِ، فَإِذَا انْقَضَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ، فَإِنَّ آثَارَهَا تَبْقَى مُتَمَثِّلَةً فِي حَيَاتِهِ؛ صُورًا حَيَّةً، وَوَاقِعًا مَلْمُوسًا، وَعَمَلًا مُشَاهِدًا مَحْسُوسًا.

إِيَّهَا الْمُسْلِمُونَ، يَا مَنْ وَدَّعْتُمْ قَبْلَ أَيَّامِ شَهْرًا كَرِيمًا، وَمَوْسِمًا عَظِيمًا؛ صُمْتُمْ نَهَارَهُ، وَقُمْتُمْ مَا تَيْسَّرَ مِنْ لَيْلِهِ، وَأَقْبَلْتُمْ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَأَكْثَرْتُمْ مِنَ الذِّكْرِ وَالذُّعَاءِ، وَتَصَدَّقْتُمْ بِجُودٍ وَسَخَاءٍ، وَتَقَرَّبْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ بِأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ؛ رَجَاءً ثَوَابِهِ، وَخَوْفَ عِقَابِهِ، فَكَمْ مِنْ جُهُودٍ بُذِلَتْ، وَأَجْسَادٍ تَعَبَتْ، وَقُلُوبٍ وَجِلَتْ، وَأَكْفُفٌ رُفِعَتْ، وَدُمُوعٌ ذَرَفَتْ، وَعَبْرَاتٍ سَكَبَتْ، وَحَقٌّ لَهَا ذَلِكَ فِي مَوْسِمِ الْمُتَاجِرَةِ مَعَ اللَّهِ، فِي مَوْسِمِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ.

إِحْوَةَ الْإِسْلَامِ؛ لَقَدْ مَرَّ بِنَا هَذَا الشَّهْرُ الْمُبَارَكُ كَطَيْفِ خَيْالٍ^(٢)، مَرَّ بِخَيْرَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ، مَضَى مِنْ أَعْمَارِنَا وَهُوَ شَاهِدٌ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا بِمَا أُوْدَعْنَاهُ فِيهِ، فَلْيَفْتَحْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا صَفْحَةَ الْمُحَاسَبَةِ لِنَفْسِهِ: مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟ وَمَا مَدَى تَأْثِيرِهِ عَلَى الْعَمَلِ وَالسُّلُوكِ؟! هَلْ أَخَذْنَا بِأَسْبَابِ الْقَبُولِ بَعْدَهُ، وَاسْتَمَرَرْنَا عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ أَنْ وَاقِعَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ خِلَافَ ذَلِكَ؟! هَلْ تَأَسَّيْنَا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ؟! الَّذِينَ تَوَجَّلُوا قُلُوبَهُمْ، وَتَحَزَّنُوا

(١) رَوَّضَ النَّفْسَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ تَرَوِينَصًا، أَي: ذَلَّلَهَا وَوَطَّأَهَا عَلَيْهِ. انظر: «اللسان» (روض).

(٢) طَافَ بِهِ الْخَيْالُ طَيْفًا: أَلَمَّ بِهِ فِي النَّوْمِ. «اللسان» (طوف).

نُفُوسُهُمْ، عِنْدَمَا يَنْتَهِي رَمَضَانُ؛ لِأَنَّهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يُتَقَبَلَ مِنْهُمْ عَمَلُهُمْ؛
وَلِذَا فَقَدْ كَانُوا يُكْثِرُونَ الدُّعَاءَ بَعْدَ رَمَضَانَ أَنْ يُتَقَبَلَ مِنْهُمْ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ:
﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [المؤمنون]، سَأَلَتْ
عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ أَهْمُ الَّذِينَ
يَزْنُونَ وَيَسْرِقُونَ وَيَشْرِبُونَ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ
الَّذِينَ يُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَخَافُونَ أَلَّا يُتَقَبَلَ مِنْهُمْ»^(١)،
وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُتَقَبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ [المائدة].

فَحَرِيٌّ بِكُلِّ عَاقِلٍ، وَيَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ: أَنْ يُنْظَرَ فِي حَالِهِ،
وَيُفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ، وَيَتَعَرَّفَ عَلَى عِلَامَاتِ الرَّبْحِ وَالْخَسَارَةِ بَعْدَ الْعَمَلِ،
وَأَهْمُّهَا: الْإِسْتِمْرَارُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِتْبَاعُ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةِ:
فَمَنْ كَانَتْ حَالُهُ بَعْدَ رَمَضَانَ أَحْسَنَ مِنْهَا قَبْلَهُ مُنِيبًا؛ بَأَنَّ كَانَ مُقْبِلًا
عَلَى الْخَيْرِ، حَرِيصًا عَلَى الطَّاعَةِ، مُوَظِّبًا عَلَى حُضُورِ الْجُمُعِ
وَالْجَمَاعَاتِ، تَائِبًا مُنِيبًا مُلتزمًا مُسْتَقِيمًا صَالِحًا، بَعِيدًا عَنِ الْمَعَاصِي -:
فَهَذِهِ أَمَارَةٌ قَبُولِ عَمَلِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

أَمَّا مَنْ كَانَ حَالُهُ بَعْدَ رَمَضَانَ، كَحَالِهِ قَبْلَهُ، فَهُوَ - وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ
فِي هَذَا الشَّهْرِ - إِلَّا أَنَّهُ سَرَّعَانَ مَا يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِيهِ، وَيَعُودُ إِلَى
الْمَعَاصِي، وَيَهْجُرُ الطَّاعَاتِ، وَيَجْتَرِحُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَيُضَيِّعُ الصَّلَوَاتِ،

(١) رواه أحمد (٦/١٦٠، ٢٠٥)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨).

وَيَتَّبِعُ الشَّهَوَاتِ، وَلَا يَصُونُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَأَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ وَأَمْوَالَهُ
عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ - : فَهَذَا لَا يَزِدَادُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

غَرِيبٌ - يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ - أَنْ يُسِيءَ أَبْنَاءُ هَذَا الدِّينِ الْفَهْمَ لِشَعَائِرِ
الْإِسْلَامِ، فَلَا يَعْمَلُونَ الطَّاعَاتِ إِلَّا فِي مَوَاسِمَ مُعَيَّنَةٍ، وَأَوْقَاتٍ مُحَدَّدَةٍ،
فَإِذَا انْتَهَتْ، كَانَ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِهِمْ بِهَا! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْهُدَى؛
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ [النحل: ٩٢].

سُئِلَ بَعْضُ السَّلَفِ عَنْ أَنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ فِي رَمَضَانَ، فَإِذَا انْسَلَخَ
رَمَضَانُ، تَرَكَوْا؟ فَقَالَ: «بِئْسَ الْقَوْمُ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ إِلَّا فِي رَمَضَانَ».

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - يَا مَنْ عَرَفْتُمْ الْخَيْرَ فِي رَمَضَانَ، كَيْفَ تَزْهَدُونَ
فِيهِ بَعْدَهُ؟! أَنْسَيْتُمْ أَنَّ رَبَّ الشُّهُورِ كُلِّهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ أَحْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ
رَقِيبٌ مُشَاهِدٌ؟! يَا مَنْ أَقْبَلْتُمْ عَلَى رَبِّكُمْ فِي رَمَضَانَ، كَيْفَ نَسَيْتُمُوهُ بَعْدَهُ؟!
يَا مَنْ عَرَفْتُمْ أَنَّ الصَّلَاةَ وَاجِبَةٌ فِي أَوْقَاتِهَا، وَفِي الْجَمَاعَةِ فِي بُيُوتِ اللَّهِ،
كَيْفَ تَجَاهَلْتُمْ ذَلِكَ بَعْدَ رَمَضَانَ؟! يَا مَنْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاصِيَ،
كَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَيْهَا؟! يَا مَنْ كُنْتُمْ تُقْبِلُونَ عَلَى الْقُرْآنِ، كَيْفَ هَجَرْتُمُوهُ?!

يَا لِفِدَا حَةِ الْمُصِيبَةِ! يَا لِعِظَمِ الْحِرْمَانِ أَنْ يَحُورَ^(١) أَنَا بَعْدَ الْخَيْرِ
إِلَى الشَّرِّ، وَبَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ، وَبَعْدَ طَرِيقِ الْجَنَّةِ إِلَى طَرِيقِ الْجَحِيمِ،
وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! .

(١) حَارَ بِحُورٍ حُورًا: رَجَعَ وَتَغَيَّرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. «تاج العروس» (حور).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، أَيْنَ آثَارُ الصِّيَامِ الَّتِي تَرَكَهَا فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ؟!
 أَيْنَ الدَّرُوسُ وَالْعِبْرَةُ الَّتِي أُخِذَتْ مِنْ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ؟! أَيْنَ التَّقْوَى
 وَالْقُوَّةُ، وَالتَّضَحُّيَّةُ وَالصَّبْرُ، وَالْمَوَدَّةُ وَالْعَطْفُ، وَالتَّعَاوُنُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ
 يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ لِيَتَحَقَّقَ فِيهِمْ وَصْفُ الْقُرَّانِ،
 وَلِيَكُونُوا كَمَا أَرَادَ الْإِسْلَامُ؟! إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ يَجِبُ أَنْ تَبْقَى مُتَمَثِّلَةً فِي
 حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ أَبَدِيًّا لَا آتِيًّا، وَسَرْمَدِيًّا لَا وَقْتِيًّا! .

أُمَّةَ الْخَيْرِ وَالِاسْتِقَامَةِ، أُنْسِيْتُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ طَاعَتَهُ، وَأَلْزَمَكُمْ
 بِعِبَادَتِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِدَلِكْ غَايَةً إِلَّا حُلُولَ الْأَجَلِ؟! .

قَرَأَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى
 يَأْتِيكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر]؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ أَجْلاً
 دُونَ الْمَوْتِ»^(١) .

أَلَا فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ جَيِّدًا مَنْ وَدَّعُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ بِوَدَاعِهِمْ
 رَمَضَانَ؛ أَفَأَمِنْ هَؤُلَاءِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ الْمَوْتُ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَهُمْ
 عَلَى حَالٍ لَا تُرْضِي الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ، وَلَا تَنْفَعُهُمْ يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَى الْوَاحِدِ
 الْقَهَّارِ؟! أَمَا أَنْ لَنَا - أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ مَا أَصَابَنَا مِنْ ضَعْفٍ
 وَفُرْقَةٍ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا، وَنَتَبَجَّهَ لِعَدَمِ فَهْمِ كَثِيرٍ مِنَّا لِأَحْكَامِ دِينِنَا،

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٨) .

وَضَعْفِ اسْتِفَادَتِنَا مِنْ مَوَاسِمِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، إِذَا لَمْ تَعْمَلْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ
 عَمَلَهَا فِي الْقُلُوبِ؛ فَتُحْيِيهَا بَعْدَ مَوَاتٍ، وَعَمَلَهَا فِي الْأُمَّةِ؛ فَتَجْمَعُهَا بَعْدَ
 شَتَاتٍ، وَلَمْ تُجَدِّ فِي حَلِّ الْمَشْكَلَاتِ، وَعِلَاجِ الْمُعْضَلَاتِ، وَالخُرُوجِ
 مِنَ الْفِتَنِ وَالْآفَاتِ -: فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قِلَّةِ الْبَصِيرَةِ، وَتَرَدِّي الْوَعْيِ،
 وَسُوءِ الْفَهْمِ لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

أَمَّا إِذَا اسْتَقَامَتِ الْأُمَّةُ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَلَمْ تَهْدَمْ مَا بَنَتْهُ فِي مَوَاسِمِ
 الْخَيْرِ، وَلَمْ تُبْطِلْ مَا عَمَلَتْهُ فِيهَا، وَلَمْ تَسْتَسَلِمْ لِنَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانِهِ -:
 فَإِنَّهَا تَمْسِكُ بِحَبْلِ النُّجَاةِ لِتَصِلَ إِلَى بَرِّ السَّلَامِ، وَشَاطِئِ الْأَمَانِ، بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَنِدَاءُ مَلُوءِ الْحَنَانِ وَالْإِشْفَاقِ إِلَى الَّذِينَ عَزَمُوا عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى
 الْمَعَاصِي بَعْدَ رَمَضَانَ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ؛ فَالْعُمْرُ قَصِيرٌ، وَالْآجَالُ
 مَحْدُودَةٌ، وَالْأَنْفَاسُ مَعْدُودَةٌ، فَإِلَى مَتَى الْاسْتِرْسَالُ فِي الْغَفْلَةِ وَالْإِعْرَاضِ؛
 فَلْتُعْلِنُوهَا جَمِيعًا تَوْبَةً صَادِقَةً لَا رَجْعَةَ بَعْدَهَا إِلَى الذُّنُوبِ؛ فَهَذَا - وَاللَّهِ -
 هُوَ الشُّكْرُ الْحَقِيقِيُّ لِنِعْمَةِ الصِّيَامِ!

وَمِنَ الْعِلَاجِ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ: تَنَاصُحُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَعَاوُنُهُمْ فِيمَا
 بَيْنَهُمْ، وَالْقِيَامُ بِوَاجِبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ
 الْمُنْكَرِ، بِالْحِكْمَةِ وَالْأَسْلُوبِ الْأَمْثَلِ، كُلُّ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ.

وَفَقَّنَا اللَّهُ جَمِيعًا إِلَى عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمُنْكَرَاتِ،



وَبَشِّرْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعِنْدَ الْمَمَاتِ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ
مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة السانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُوَالِي النِّعَمِ وَمُيَبِّدِ النِّقَمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم
وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْعِزَائِمِ وَالْهِمَمِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- اشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَعَلَى
الآيَةِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيْكُمْ تَتْرَى^(١)، فَقَدْ وَالَى عَلَيْكُمْ جَلَّ وَعَلَا النِّعَمَ
وَالْفَضَائِلَ، وَتَابَعَ عَلَيْكُمْ مَوَاسِمَ الْخَيْرِ؛ لِرِفْعَةِ دَرَجَاتِكُمْ، وَزِيَادَةِ
حَسَنَاتِكُمْ، وَتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِكُمْ.

وَمِنْ ذَلِكَ: مَا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ فِي شَهْرِكُمْ هَذَا شَهْرِ شَوَّالٍ، مِنْ صِيَامِ
سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْهُ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ؛ رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»،
مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ
صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٢) وَقَدْ يَسَّرَ
الإِسْلَامُ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يُلْزَمَ بِتَابِعِهَا فِي الشَّهْرِ، وَلَا بِلُزُومِهَا فِي كُلِّ عَامٍ.
فَالْكَيْسُ مَنْ شَمَّرَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ، وَتَذَكَّرَ بِذَلِكَ

(١) تَتْرَى، أي: متواترة متتابعة. «اللسان» (وتر).

(٢) «صحيح مسلم» (١١٦٤).

سُرْعَةَ تَصَرُّمِ الْعُمَرِ^(١)، وَقُرْبَ حُلُولِ الْأَجَلِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ
بَابَ التَّسْوِيفِ وَالتَّثَاقُلِ، وَاسْتَرْسَلَ فِي الْغَفَلَاتِ وَالشَّوَاغِلِ، وَاكْتَفَى
بِالْأَمْالِ وَالْأَمَانِيِّ، فَيَنْدَمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ التَّدَمُّ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسَّرَّاجِ
الْمُنِيرِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؛ فَقَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّ
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) سُرْعَةَ تَصَرُّمِ الْعُمَرِ، أَي: سُرْعَةَ انْقِضَائِهِ وَانْقِطَاعِهِ. «اللسان» (صرم).



الخطبة للهولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْمَنِّْ وَالْإِفْتِدَارِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْخَلْقِ وَالْإِخْتِيَارِ، الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الفصص: ٦٨].

أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمِهِ الْغَزَارِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْمِدْرَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ، سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَأَشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُتَمَّأَلَ فِي أَحْوَالِ هَذَا الْكَوْنِ يَجِدُ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَائِلِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَأَكْبَرَ الشَّوَاهِدِ عَلَى رَبُّوبِيَّتِهِ، وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ، وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ: أَنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَالْأَمْكِنَةِ، وَيَخْصُّ مَا يُرِيدُ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالْأَزْمِنَةِ؛ لِمَقَاصِدِ عَظْمَى، وَعَايَاتِ كُبْرَى،

تَقُومُ عَلَيْهَا مَصَالِحُ الْعِبَادِ؛ فَلَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ، يَخْتَارُ كَاخْتِيَارِهِ، وَيُدَبِّرُ
كَتَدْبِيرِهِ؛ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ، وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ،
فَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، وَاخْتَارَ الرَّسُلَ - عَلَيْهِمُ صَلَوَاتُ
اللَّهِ وَسَلَامُهُ - مِنْهُمْ: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]،
وَاخْتَارَ مِنَ الرَّسُلِ أَوْلِيَّ الْعَزْمِ ^(١)، وَاخْتَارَ مِنْ أَوْلِيِّ الْعَزْمِ الْخَلِيلَيْنِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ اخْتَارَ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ أَجْناسِ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ
مِنْهُمْ بَنِي كِنَانَةَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشِ بَنِي
هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَاخْتَارَ لَهُ
أَصْحَابًا هُمْ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ بَعْدَهُ، وَاخْتَارَ أُمَّتَهُ وَفَضَّلَهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ؛
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فَلِلَّهِ - وَحْدَهُ - الْقُدْرَةُ النَّافِذَةُ، وَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، فِيمَا يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ.
وَإِنَّ مِمَّا اخْتَارَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِعِبَادِهِ مِنَ الْأَمْكِنَةِ الْمُبَارَكَةِ: هَذَا
الْبَلَدَ الْحَرَامَ، خَيْرَ الْأَمَاكِنِ، وَأَجَلَ الْبِقَاعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَشْرَفَهَا

(١) وهم خمسة من رسل الله - على الراجح - وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى،
وعيسى، ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - وأولو العزم، أي: أصحاب العزم
والجد والصبر. انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ٢٧١).

بِاتِّفَاقٍ، اخْتَارَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَجَعَلَ عَرَصَاتِهِ^(١) مَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِتْيَانَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فَيَدْخُلُونَهُ مُتَوَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ، مُتَجَرِّدِينَ عَنْ لِبَاسِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، لَقَدْ جَعَلَ اللهُ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمًا آمِنًا، وَمَكَانًا مُبَارَكًا، وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، يَجِدُونَ عِنْدَهُ الْهُدَى بِدِينِ اللهِ، هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ لِلْعِبَادَةِ، وَخُصِّصَ لَهَا؛ فَلَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]؛ فَهُوَ بِمَثَابَةِ الْأَمْنِ لِكُلِّ خَائِفٍ، وَلَيْسَ هَذَا لِمَكَانٍ آخَرَ فِي الْأَرْضِ سِوَاهُ، وَقَدْ بَقِيَ هَكَذَا مُنْذُ رَفَعَ قِوَاعِدَهُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَحَتَّى فِي جَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِ، وَفِي الْفِتْرَةِ الَّتِي انْحَرَفُوا فِيهَا عَنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَدْ بَقِيَتْ حُرْمَةُ هَذَا الْبَيْتِ سَارِيَةً، وَسَتَبَقَى - بِإِذْنِ اللهِ - إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، فَقَدْ حَمَاهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فَلَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ، وَلَمْ يَعْزُفْ فِيهِ صَوْتُ عَلِيٍّ صَوْتِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَرْتَفِعْ فِيهِ رَايَةٌ غَيْرُ رَايَةِ التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يُرْفَعْ فِيهِ شِعَارٌ مُنَاهِضٌ لِلْإِسْلَامِ، لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَلْقَى قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَلَا يَعْزُضُ لَهُ، كَيْفَ وَقَدْ ائْتَنَّ اللهُ بِذَلِكَ عَلَى النَّاسِ

(١) عَرَصَاتُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، أَي: بِقَاعُهُ، جَمْعُ عَرَصَةٍ، وَهِيَ: كُلُّ بَقْعَةٍ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ. «اللسان» (عرص).

بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت]، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾ [القصص: ٥٧].

بَلْ لَقَدْ تَعَدَّى الْأَمْنُ فِيهِ الْإِنْسَانَ إِلَى الْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ، وَالتَّنَابِتِ وَالزَّرْعِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَالِ وَالْجَمَادِ؛ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ؛ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لَا يُعْضَدُ^(١) شَوْكُهُ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يُلْتَقَطُ لِقَطْعَتُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَلَا يُحْتَلَى خِلَاهُ^(٢)»^(٣).

كَمَا جَعَلَ الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا - قَصْدَ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مُكْفَرًا لِلذُّنُوبِ، مَا حِيًّا لِلْأَوْزَارِ، حَاطًّا لِلْحَطَايَا؛ بَلْ لَمْ يَرْضَ لِقَاصِدِهِ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ خَيْرَ الْبِلَادِ وَأَحَبَّهَا إِلَى اللَّهِ، لَمَا جَعَلَهَا مَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ قَصْدَهَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَأَقْسَمَ بِهِ - جَلَّ وَعَلَا - فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي

(١) أي: لا يُقَطَّعُ، والعُضْدُ: القِطْعُ. «النهاية» (عضد).

(٢) الخِلا: النَبَاتُ الرَطْبُ الرَقِيقُ مَا دَامَ رَطْبًا، وَاخْتِلَاؤُهُ: قِطْعُهُ. «النهاية» (خلو).

(٣) «صحيح البخاري» (٣١٨٩)، و«صحيح مسلم» (١٣٥٣).

سُورَتِي الْبَلَدِ، وَالتِّينِ (١).

وَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بُقْعَةٌ يَجِبُ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ السَّعْيِ إِلَيْهَا،
وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ الَّذِي فِيهَا سِوَاهَا، وَكَمَا جَعَلَ لَهَا سُبْحَانَهُ مِنَ الْخَصَائِصِ
وَالْمَزَايَا الْجَمَّ الْغَفِيرِ؛ فَالصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا
سِوَاهُ؛ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ، وَابْنِ حِبَّانَ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (٢)، وَهِيَ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ،
وَمَهْوَى الْأَفئِدَةِ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَمَهْدُ الرِّسَالَةِ، وَمَنْبَعُ الثُّورِ، وَمَصْدَرُ
إِشْعَاعِ الْهُدَى لِلْبَشَرِيَّةِ قَاطِبَةً.

إِخْوَةَ الْإِيْمَانِ، لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مَنَاطِقَ أَمَانٍ، وَدَارَ سَلَامٍ، وَوَاحَةً
أَطْمِئِنَّانٍ، تَلُكْمُ هِيَ هَذِهِ الْبِقَاعُ الطَّاهِرَةُ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ جَمِيعُ عِبَادِ اللَّهِ
مِمَّنْ تَشَرَّفَ بِالإِسْلَامِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ
لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾ [الحج: ٢٥]، وَلَقَدْ كَانَ النَّهْجُ الْأَمْنِيُّ
الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ سَابِقًا لِكُلِّ مُحَاوَلَاتِ الْبَشَرِ فِي إِيجَادِ
مَنْطِقَةٍ حَرَامٍ، يُلْقَى فِيهَا السَّلَاحُ، وَيَأْمَنُ فِيهَا الْمُتَخَاصِمُونَ، وَتُحَقَّنُ فِيهَا
الدَّمَاءُ، وَيَجِدُ كُلُّ مُسْلِمٍ فِيهَا أَمْنَهُ وَمَأْوَاهُ.

وَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ يُقَرَّرُ أَنَّ هَذَا الْبَلَدَ وَاحَةٌ سَلَامٍ، وَمَنْطِقَةٌ أَمْنٍ وَأَمَانٍ،

(١) سورة البلد، الآية: ١، وسورة التين، الآية: ٣.

(٢) «المسند» (٥/٤)، و«صحيح ابن حبان» (١٦٢٠)؛ من حديث عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما.

فَإِنَّهُ يُهَدِّدُ وَيَتَوَعَّدُ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ اغْوَجَاجًا عَنْ هَذَا التَّهْجِ الْمُسْتَقِيمِ بِالْعَذَابِ
الْأَلِيمِ، فَرتَّبَ الْعِقَابَ عَلَى الْهَمِّ وَالْإِرَادَةِ بِالسَّيِّئَةِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ؛ يَقُولُ
تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [الحج]،
فَكَيْفَ بِمَنْ يُرِيدُ وَيَفْعَلُ؟! لَا رَيْبَ أَنَّ الْأَمْرَ أَشَدُّ وَأَنْكَى!

إِنَّ فِي هَذَا التَّعْبِيرِ الْبَلِيغِ زِيَادَةً فِي التَّحْذِيرِ، وَمُبَالَغَةً فِي التَّوَكِيدِ،
وَلَقَدْ ضَرَبَ السَّلَفُ الصَّالِحُ أَرْوَعَ الْأَمْثَلَةِ فِي الْأَدَبِ مَعَ حَرَمِ اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «كُنَّا نَعُدُّ:
لَا وَاللَّهِ، وَبِكُلِّ وَاللَّهِ، مِنْ الْإِلْحَادِ فِي الْحَرَمِ»، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «إِنَّ احْتِكَارَ
الطَّعَامِ، وَظُلْمَ الْخَادِمِ: إِلْحَادٌ فِي الْحَرَمِ»^(١)، وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَوْلُهُ: «لَأَنْ أُخْطِيَءَ سَبْعِينَ خَطِيئَةً بِ«رُكْبَةٍ»^(٢) - أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنْ أَنْ أُخْطِيَءَ خَطِيئَةً وَاحِدَةً فِي الْحَرَمِ»^(٣).

إِنَّهَا الْمُسْلِمُونَ، حَقًّا لَقَدْ ظَهَرَ سِرُّ تَفْضِيلِ هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ فِي
انْجِدَابِ أَفئِدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَوَى قُلُوبِهِمْ، وَانْعِطَافِ نُفُوسِهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ،
يَتُوبُونَ إِلَيْهِ^(٤) عَلَى تَعَاقُبِ الْأَعْوَامِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطْرًا.

(١) «المصنف» لعبد الرزاق (١٥١/٥).

(٢) رُكْبَةٌ: اسم موضع بالحجاز بين عَمْرَةَ وذاتِ عِزْقِ. «النهاية» (ركب)، وفي
«القاموس»: «رُكْبَةٌ - بالضم - : واد بالطائف».

(٣) «المصنف» لعبد الرزاق (٢٨/٥).

(٤) أي: يجتمعون ويحيثون إليه. «تاج العروس» (ثوب).

لَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقًا

لِلَّهِ كَمَا لِهَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ مَّحَبِّ أَنْفَقَ فِي حُبِّهَا الْأَمْوَالَ
وَالْأَرْوَاحَ، وَرَضِيَ بِمُفَارَقَةِ فَلذَاتِ الْأَكْبَادِ، وَالْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ وَالْأَوْطَانِ! .

مَحَاسِنُهُ هَيُولَىٰ^(١) كُلِّ حُسْنٍ وَمَغْنَطِيسُ أَفئِدَةِ الرَّجَالِ

يَحْدُوهُمْ الشَّوْقُ، وَيَحْفِزُهُمُ الْأَمَلُ فِي مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ .

إِحْوَةَ الْعَقِيدَةِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ
لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾^(١٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ
دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ
اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(١٧) [آل عمران] .

مَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ: أَفْضَلُ الْبِقَاعِ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ .

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالتَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ واقِفٌ عَلَى
رَاحِلَتِهِ بِ«الْحَزْرَةِ»، مَوْضِعِ بِمَكَّةَ^(٢) - يَقُولُ: «وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَحَيْرٌ أَرْضِ

(١) الْهَيُولَى - وَتَشَدَّدَ الْيَاءُ مضمومة -: أَصْلُ الشَّيْءِ وَمَادَتُهُ . «تاج العروس» (هيل)،
وَالْمَرَادُ: مَحَاسِنُهُ أَصْلُ كُلِّ حُسْنٍ وَمَنْبَعُهُ .

(٢) وَهُوَ مَوْضِعٌ بِهَا عِنْدَ بَابِ الْحَنَاطِينَ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: «النَّاسُ يَشَدَّدُونَ الْحَزْرَةَ
وَالْحَدْيِيَّةَ، وَهِيَ مَخْفَقَتَانِ». انظر: «النهاية» (حزور) .

اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ، مَا خَرَجْتُ» (١).

بِمَكَّةَ نُورٌ يَهْزُ الشُّعُورَ وَيُنْطِقُ كُلَّ فِتْيِ أَحْرَسِ
يُجَادِبُ قَلْبِي إِلَيْهَا الْهَوَى فَفِي غَيْرِهَا الْقَلْبُ لَمْ يَأْنَسِ
وَبَيْتُ الْعَتِيقِ لَنَا قِبْلَةٌ نُفَدِّيهِ بِالنَّفْسِ وَالْأَنْفَسِ

لَقَدْ ظَلَّتْ مَكَّةُ عَبْرَ التَّارِيخِ، وَعَلَى مَرِّ الْقُرُونِ، بِنَاءً شَامِخًا، وَصَرْحًا
مَنِيعًا، تَتَهَاوَى الدُّوَلُ وَتَتَسَاقَطُ كَأُورَاقِ الْخَرِيفِ، وَتُحْفَظُ مَكَّةُ بِحِفْظِ اللَّهِ
رَمْزًا لِلإِيمَانِ وَالْأُخُوَّةِ، وَمَوْثَلًا لِلْعَقِيدَةِ، وَمَصْدَرًا لِلدَّعْوَةِ، وَمَرْكَزًا
لِأَعْظَمِ حَضَارَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ انْتَبَهَتْ مِنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ، حَتَّى غَيَّرَتْ مَجْرَى التَّارِيخِ،
وَهَزَّتْ كِيَانَ الْعَالَمِ، وَزَلَزَلَتْ كِيَانَ الْوُثْنِيَّةِ، وَحَطَّمَتْ عُرُوشَ الْجَاهِلِيَّةِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ! بِمَكَّةَ عَبَقُ الذِّكْرِيَّاتِ الْخَالِدَةِ، وَشَذَى الْبُطُولَاتِ الْمَاجِدَةِ.

مَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ، مَرْكَزُ الْعَالَمِ، وَوَاسِطَةُ الدُّنْيَا، وَقُطْبُ الرَّحَى فِي
كِيَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، اسْأَلُوا عَنْ ذَلِكَ التَّارِيخِ مِنْ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى
إِبْرَاهِيمَ؛ حَيْثُ بِنَاءُ الْبَيْتِ، وَحَيْثُ الْمَقَامُ وَالْحَطِيمُ، وَزَمْزَمُ وَهَاجِرُ
وَإِسْمَاعِيلُ، إِلَى هُودٍ وَصَالِحٍ، وَمُوسَى وَعِيسَى - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - إِلَى
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - يَصْدَعُ بِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ فِي
تِلْكَ الرُّبَا وَالْبِقَاعِ، إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا فَاتِحًا مُظْفَرًا، إِلَى الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ

(١) رواه أحمد (٣٠٥/٤)، والترمذي (٣٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٥٢)،

وابن ماجه (٣١٠٨).

وَالْفَاتِحِينَ الْعِظَامِ، حَتَّى هَيَّا اللَّهُ لِهَذِهِ الْبِقَاعِ الْمُبَارَكَةِ تِلْكَ الدَّوْلَةَ الْمُبَارَكَةَ،
 تَرَعَى شُئُونَ الْحَرَمِينَ وَتُولِيهِمَا الْعِنَايَةَ وَالْإِهْتِمَامَ، أَخْلَصَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا،
 وَسَدَّدَ أَقْوَالَهَا وَأَفْعَالَهَا، وَجَعَلَ مَا تَقَدَّمَهُ فِي مَوَازِينِهَا، وَلِيَمِتَّ الْحَاسِدُونَ
 بِحَسَدِهِمْ، وَالْمَغِيظُونَ بِغَيْظِهِمْ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَزْعَى الْآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ،
 وَنَحْنُ نَعِيشُ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ الطَّاهِرَةِ، وَلَكِنْ - وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! - لَقَدْ
 أَسَاءَ أَقْوَامٌ الْآدَبَ مَعَ اللَّهِ، وَمَعَ حَرَمِهِ، وَمَعَ عِبَادِهِ؛ فَهَلْ مِنَ الْآدَبِ أَنْ
 يُمَارِسَ الْعَبْدُ مَا يُخَالِفُ الْعَقِيدَةَ، أَوْ يَقْتَرِفَ بِدْعَةً أَوْ خُرَافَةً، أَوْ خَطِيئَةً أَوْ
 مَعْصِيَةً؟! هَلْ مِنَ الْآدَبِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ أَنْ تُضَيِّعَ الصَّلَاةَ، وَيُسَاهَلَ فِي
 الطَّاعَاتِ؟! هَلْ مِنَ الْآدَبِ اقْتِرَافُ الذُّنُوبِ، مِنْ وَقُوعٍ فِي الرِّئْيِ، أَوْ
 تَعَامُلٍ بِالرِّبَا، أَوْ تَعَاطٍ لِلْمُسْكِرَاتِ وَالْمُحَدَّرَاتِ، وَجَلْبٍ لَهَا إِلَى أَفْضَلِ
 الْبِقَاعِ؟! هَلْ مِنْ حُسْنِ الْجَوَارِ السَّبَابُ وَالشَّتَائِمُ، وَالْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْبُهْتَانُ،
 وَالظُّلْمُ وَالتَّعَدِّيُّ، وَالْغِشُّ وَالتَّرْوِيرُ؟! أَوْ إِعْلَانُ الْمَعَارِفِ، وَرَفْعُ أَصْوَاتِ
 الْمَلَاهِي، أَوْ التَّبَرُّجُ وَالسُّفُورُ وَالْإِخْتِلَاطُ الْمَحْرَمُ، وَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ
 السُّفَهَاءِ مِنْ قِلَّةِ الْحَيَاءِ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَأَمْنِهِ؟! هَلْ مِنَ الْآدَبِ مَعَ حَرَمِ اللَّهِ أَنْ
 يُحَوَّلَ إِلَى جَلْبِ مَنْشُورَاتٍ مُفْسِدَةٍ، أَوْ يُحَوَّلَ إِلَى مُزَايَدَاتٍ وَمُهَاتَرَاتٍ؟!!

فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَأَحْسِنُوا الْآدَبَ مَعَ هَذِهِ الْبِقَاعِ

الطَّاهِرَةِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، هَا هِيَ طَلَائِعُ وَفُودِ الرَّحْمَنِ وَفَدَتْ إِلَيْنَا، وَفَدَتْ
إِلَيْكُمْ - يَا أَهْلَ أُمَّ الْقُرَى - فَمَاذَا أَعَدَدْتُمْ لَهُمْ مِنْ قِرَى، إِنَّ الْقِرَى
الْمَطْلُوبَ قِرَى الرُّوحِ وَالْخُلُقِ وَحُسْنِ التَّعَامُلِ، فَلْيَتَّقِ اللهُ الْمَسْئُولُونَ عَنِ
الْحَجِيجِ، وَلْيَتَّقِ اللهُ الْمُطَوَّفُونَ وَالْقَائِمُونَ عَلَى حَمَلَاتِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ،
لِيُخْلِصُوا أَعْمَالَهُمْ لَهِ، وَلْيَزْعُوا شُئُونَ عِبَادِ اللهِ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ
عَنْهُمْ أَمَامَ اللهِ، وَلْيَكُونُوا عِنْدَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ؛ فَلَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ - وَهُمْ
فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ - يُكْرِمُونَ الْحَجِيجِ؛ وَمَا السَّقَايَةُ وَالرِّعَايَةُ، وَالرِّفَادَةُ
وَالْوِفَادَةُ، إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ؛ فَأَهْلُ الْإِسْلَامِ أَوْلَى بِذَلِكَ وَأَخْرَى.

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَالتَّزَمُوا جَمِيعًا بِالْآدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِنَّ
عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَأَنْ نَشْكُرَهُ عَلَى مَا حَبَانَا مِنْ نِعْمَةٍ هَذِهِ الْبِقَاعِ
الْمُبَارَكَةِ، وَأَنْ نَرْعَى الْآدَبَ فِيهَا.

نَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا التَّأَدُّبَ بِآدَابِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا اتِّبَاعَ
سُنَّةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى^(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، بَلَغَ مِنَ الْمَرَاتِبِ أَشْرَفَهَا وَالْأَسْنَى، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَدَحَهُمْ رَبُّهُمْ وَأَثْنَى، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَظِّمُوا الْمَشَاعِرَ وَالشَّعَائِرَ؛ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٣]، ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠]، وَاشْكُرُوهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى مَا حَبَاكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَالطَّمَأِينَةِ، لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ الشَّرِيفَةِ، وَالْحُرْمَاتِ الْأَمْنَةِ الْمُنِيفَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ كَمَا تَعِيشُونَ فِي الْأَمْكِنَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ فَإِنَّكُمْ تَعِيشُونَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَهِيَ أَشْهُرُ الْحَجِّ الْمُبَارَكَةِ، وَالْأَشْهُرُ الْحُرْمِ الْمُعْظَمَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيهَا: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦].

(١) أَغْنَى: أَعْطَى، وَأَقْنَى: رَضِيَ. انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/٤٦٧).

فِيَجِبُ عَدَمُ ظُلْمِ النَّفْسِ بِالْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ
 وَالْأَمْكِنَةِ الشَّرِيفَةِ؛ أَلَا وَإِنَّ مِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ التَّحَدُّثَ بِمَا حَبَّ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ
 الْبِلَادَ الْمُبَارَكَةَ؛ حَيْثُ هَيَأُ لِهَذَا الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ الْأَفْذَاذِ
 مَنْ يَقُومُونَ بِرِعَايَتِهِمَا وَصِيَانَتِهِمَا، مِنْ وِلَاةِ الْأَمْرِ - وَفَقَهُمُ اللَّهُ - الَّذِينَ
 بَدَّلُوا - وَيَبْدُلُونَ - فُصَارَى جُهِدِهِمْ فِي صِيَانَةِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، إِعْمَارًا
 وَتَطْهِيرًا، وَتَوْسِعَةً وَصِيَانَةً وَتَطْوِيرًا.

وَالْحَقُّ وَالتَّارِيخُ، نَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ الْحَرَمَانِ الشَّرِيفَانِ عِنَايَةً
 وَرِعَايَةً وَخِدْمَةً لِلْحَجِيجِ، كَمَا حَصَلَ وَيَحْصُلُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ،
 نَقُولُهَا حَقًّا وَصِدْقًا وَإِنْصَافًا، لَا نُرِيدُ بِهَا مُجَامَلَةً وَلَا نِفَاقًا، وَلِيُمِتَّ
 الْحَاسِدُونَ بِحَسَدِهِمْ!

فَبِاسْمِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، وَبِاسْمِ الْحُجَّاجِ وَالْعُمَّارِ وَالزُّوَّارِ، نَرْفَعُ
 أَكْفَ الضَّرَاعَةِ لِمَنْ كَانَ خَلْفَ هَذَا الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ الْجَلِيلِ: أَنْ يَجْزِيَهُمْ
 اللَّهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَرَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ فِي مَوَازِينِ أَعْمَالِهِمْ، مَعَ مَا
 يُؤْمَلُ مِنْ بَدَلِ الْمَزِيدِ، زَادَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى وَالتَّوْفِيقِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الرَّسُولِ الْمُجْتَبَى،
 وَالْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى؛ كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ عَزَّ مِنْ
 قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
 وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].



الخطبة لله والى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ لِلنَّاسِ أَمْنًا وَمَثَابَةً، وَزَادَهُ سُبْحَانَهُ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالتَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالْإِصَابَةِ، وَالنَّخْوَةِ وَالتَّجَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَتابع:

فِي أَيَّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ عَامٍ تَسْتَقْبِلُ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ مُنَاسَبَةً عَظِيمَةً، تَرْتُو إِلَيْهَا الْأَبْصَارُ، وَتَشْرَبُ إِلَيْهَا الْأَعْنَاقُ، وَتَخْفِقُ

لَهَا الْقُلُوبُ الْمُؤْمِنَةُ، وَتَسْتَبْشِرُ بِهَا النَّفُوسُ الْمُسْلِمَةُ، تِلْكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - هِيَ فَرِيضَةُ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، حَيْثُ الْبِقَاعُ الْمُقَدَّسَةُ، وَالْمَشَاعِرُ الْمُشْرِفَةُ، فِي مَهَبِطِ الْوَحْيِ، وَمَنْبَعِ الرِّسَالَةِ، وَمَصْدَرِ إِشْعَاعِ نُورِ الْإِيمَانِ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيعًا، مِنْ هُنَا: حَيْثُ تُسَكَّبُ الْعِبْرَاتُ، وَتُنزَلُ الرَّحْمَاتُ، وَتُقَالُ الْعَثْرَاتُ^(١)، وَتُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وَتُكْفَرُ السَّيِّئَاتُ، وَيَجُودُ رَبُّ الْبَرِيَّاتِ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٢)، وَفِيهِمَا عَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٣).

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَلَكِنِّي يَسْتَفِيدُ الْحَاجُّ مِنْ مَنَافِعِ الْحَجِّ وَأَثَارِهِ، وَلِيَنَالَ مَا كُتِبَ لِلْحُجَّاجِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَمَّ هَذَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ: أَنْ يَلْتَزِمَ الْمَنْهَجَ الشَّرْعِيَّ، وَالْهَدْيَ النَّبَوِيَّ، فِي أَدَاءِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ؛ فَلِلْحَجِّ شُرُوطٌ وَأَرْكَانٌ، وَوَاجِبَاتٌ وَمُسْتَحَبَّاتٌ، وَضَوَابِطٌ وَأَدَابٌ، لَا بَدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا.

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ، وَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ، يَا مَنْ قَطَعْتُمْ الْفَيَافِي وَالْقِفَارَ،

(١) العثرات: الزلات، أي: يصفح عنها ويتجاوز. «اللسان» (عشر) (قيل).

(٢) «صحيح البخاري» (١٧٧٣)، و«صحيح مسلم» (١٣٤٩).

(٣) «صحيح البخاري» (١٨١٩)، و«صحيح مسلم» (١٣٥٠).

وَاجْتَرْتُمْ الْأَجْوَاءَ وَالْبِحَارَ، وَتَجَشَّمْتُمْ^(١) الصَّعَابَ، وَتَحَمَّلْتُمْ الْمَشَاقَّ، وَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ وَأَوْطَانَكُمْ، إِلَيْكُمْ هَذِهِ الْوَصَايَا الْمَوْجِزَةَ الْجَامِعَةَ، وَالْكَلِمَاتِ الْمُخْتَصِرَةَ النَّافِعَةَ، لَا سِيَّمَا وَأَنْتُمْ تَسْتَعِدُّونَ لِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ:

أَوَّلًا: الْأَصْلُ الَّذِي تَنَبَّيَ عَلَيْهِ سَائِرُ الْعِبَادَاتِ مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ، أَلَا وَهُوَ: تَوْحِيدُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ دُونَ سِوَاهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فَأَعْظَمُ مَقَاصِدِ الْحَجِّ وَمَنَافِعِهِ: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْإِشْرَاقِ بِهِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ [الحج: ٢٦]؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَلْجَأَ الْعِبَادُ - فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِمْ، وَتَفْرِيجِ كُرْبَاتِهِمْ، وَشِفَاءِ مَرَضَاهُمْ - إِلَّا إِلَى مَنْ بِيَدِهِ وَحْدَهُ أَرْمَةُ الْأُمُورِ^(٢)، وَدَفْعُ الشَّرُورِ، وَتَصْرِيفُ الْأَيَّامِ وَالذُّهُورِ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عُلُوقًا كَبِيرًا.

ثَانِيًا: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]؛ فَلَا رِيَاءَ وَلَا سُمْعَةَ، وَلَا انْصِرَافَ عَنِ اللَّهِ إِلَى غَيْرِهِ، مِنْ أَشْخَاصٍ أَوْ شِعَارَاتٍ، أَوْ مَنَاهِجٍ أَوْ مَبَادِيءٍ تُخَالِفُ هَذَا الْأَصْلَ وَتَنْقُضُهُ أَوْ تَنْقُضُهُ.

(١) أي: تكلفتموها على مشقة. «القاموس» (جشم).

(٢) أي: بيده وحده تصريف الأمور والأحداث. «أساس البلاغة» (زمم).

ثالثاً: تحقِيقُ المُتَابَعَةِ لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ كَمَا أَمَرَ اللهُ، وَلِزُومِ
سُنَّتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَالْأَخْذُ عَنْهُ؛ فَهُوَ الْقَائِلُ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ،
مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - : «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا،
فَهُوَ رَدٌّ»^(١) وَالْقَائِلُ فِي الْحَجِّ : «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ»^(٢).

رابعاً: تَقْوَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْإِزْدِلَافِ
إِلَيْهِ^(٣) بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا سِيَّمَا عِنْدَمَا يَجْتَمِعُ شَرَفُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ؛
﴿وَتَكَرَّذُوا فِاتِك خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ، تِلَاوَةٌ
وَطَوَافٌ، تَلْبِيَةٌ وَصَلَاةٌ، بَرٌّ وَإِحْسَانٌ.

خامساً: اسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ رِحْلَةً بَرِّيَّةً،
وَلَا نَزْهَةً خَلْوِيَّةً، وَلَا تَفْعُلُ تَقْلِيدًا وَعَادَةً وَمُحَاكَاةً، وَإِنَّمَا هِيَ: رِحْلَةٌ
إِيمَانِيَّةٌ، مُنْعَمَةٌ أَجْوَاؤُهَا بِالْمَعَانِي السَّامِيَّةِ، وَالْأَهْدَافِ النَّبِيلَةِ، وَفُرْصَةٌ
عَظِيمَةٌ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَلِزُومِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، بَعِيدًا
عَنِ اللَّوْثَاتِ الْعَقْدِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ، وَالْمُخَالَفَاتِ الْمُنْهَجِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ.

سادساً: اسْتِشْعَارُ مَكَانَةِ هَذَا الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَقَدَاسَةِ هَذِهِ الْبِقَاعِ
الْمُبَارَكَةِ، وَمَا حِيطَتْ بِهِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْمَهَابَةِ؛ فَلَا يُسْفِكُ فِيهَا دَمٌ، وَلَا

(١) تقدم تخريجه (ص ١٦١).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٧)، والبيهقي (١٢٥/٥)؛ من حديث جابر، رضي الله عنه.

(٣) أي: التقرب إليه، ومنه: الرُّلْفَى، أي: القُرْبَى. «اللسان» (زلف).

يُعْضَدُ فِيهَا شَجَرٌ، وَلَا يُنْفَرُ فِيهَا صَيْدٌ، وَلَا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمَنْ عَرَفَهَا، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (١) فَالشَّجَرُ وَالصَّيْدُ وَالإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ فِي مَأْمِنٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْأَذَى؛ ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فَلَا يَجُوزُ أَبَدًا أَنْ يُحَوَّلَ هَذَا الْمَكَانُ إِلَى مَا يُتَافَى مَقَاصِدَ الشَّرِيعَةِ وَمَنْهَجَ الإِسْلَامِ، وَلَا تَكُونُ فِيهِ دَعْوَةٌ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا يُرْفَعُ فِيهِ شِعَارٌ إِلَّا شِعَارُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ، وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُؤْذِيَ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ يُرَوِّعَ الْآمِنِينَ، أَوْ يَصْرِفَ الْحَجَّ إِلَى مَا يُخَالِفُ سُنَّةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِمِ بِظُلْمٍ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج].

سَابِعًا: الإِسْتِعْدَادُ لِلْحَجِّ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْفِقْهِ فِي الْأَحْكَامِ، وَالْبَصِيرَةِ فِي مَعْرِفَةِ الْمَنَاسِكِ - عِلْمًا وَعَمَلًا - وَسُؤَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَمَّا يُشْكَلُ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ عَلَى جَهْلٍ، أَوْ تُؤَدَّى الْمَنَاسِكُ عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَذَلِكَ أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْنَى بِهِ الْحُجَّاجُ أَيَّمَا عِنَايَةٍ.

ثَامِنًا: اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي وَالْمُحَرَّمَاتِ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وَأَطْرُقُ النَّفْسِ

(١) تقدّم تخريجه (ص ٢٥٩).

عَلَى عَمَلِ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ أَيًّا كَانَتْ .

تاسعاً: العَمَلُ عَلَى بَرِّ الْحَجِّ، وَالْقِيَامُ بِكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَرِيدَ فِي حَسَنَاتِ الْحَاجِّ، وَيُتَمِّمَ نُسْكَهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: اخْتِيَارُ الرَّفِيقِ الصَّالِحِ، وَكَسْبُ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الْقَبُولِ، بِإِذْنِ اللَّهِ .

عاشراً: التَّحَلِّيُ بِالْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالِيَةِ، وَالْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ الرَّفِيعَةِ، وَالتَّحَلِّيُ عَنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ الْخُلُقَ وَالْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَوْ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ، وَالْحَذَرُ مِنْ إِيْذَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ أَوْ الْيَدِ أَوْ اللُّسَانِ؛ فَالْحَجُّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَدْرَسَةٌ لِتَعْلِيمِ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَالسَّجَايَا الْحَمِيدَةِ، وَالشَّمَائِلِ النَّبِيلَةِ، وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا؛ مِنَ الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ، وَالتَّعَاوُنِ وَالْإِيْتَارِ، بَعِيدًا عَنِ الْعُنْفِ وَالشَّدَّةِ، وَالْمَرَّاحِمَةِ وَالْإِيْذَاءِ .

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، هَلْكَذَا يَجِبُ أَنْ يَعِيَ الْحُجَّاجُ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ الْعَظِيمَةَ، وَأَنْ يَلْتَزِمُوا بِهَذِهِ الْوَصَايَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَتَمَثَّلُوهَا وَقِعًا عَمَلِيًّا بِأَفْعَالِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ، وَإِنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ - الْيَوْمَ - لَفِي أَسَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى اسْتِجْلَاءِ دُرُوسِ الْوَحْدَةِ وَالْإِيْمَانِ، وَالصَّبْرِ وَالْمُثَابَرَةِ، وَالتَّعَاوُنِ وَالْإِيْحَاءِ، وَالْاجْتِمَاعِ وَالْقُوَّةِ، وَكُلِّهَا مِنْ ثَمَرَاتِ وَأَثَارِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي جَمَعَهَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٨] .

نَسَأَلُ اللّٰهَ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْ
حُجَّاجِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ مَنَاسِكَهُمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ حَجَّهُمْ مَبْرُورًا، وَسَعْيَهُمْ
مَشْكُورًا، وَذَنْبَهُمْ مَغْفُورًا، وَأَنْ يُيَسِّرَ لَهُمْ آدَاءَ مَنَاسِكِهِمْ وَيُعِينَهُمْ عَلَى
إِتْمَامِهَا، وَيَخْتِمَ لَنَا وَلَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالْقَبُولِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَائِلِ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج: ٣٤]،
أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا إِلَى دَرْبِ الْحَقِّ طَرِيقًا
وَمَسْلَكًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى
اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ افْتَقَى.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوا اللَّهَ يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ، وَأَشْكُرُوهُ
سُبْحَانَهُ عَلَى مَا هَيَأَ لَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الرُّوحَانِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَعَلَى مَا
حَبَّأَكُمْ^(١) مِنْ هَذِهِ الْمِنَنِ الْوَفِيرَةِ وَالْآلَاءِ الْجَسِيمَةِ؛ أَمِنٌ وَإِيمَانٌ، أَمِنٌ فِي
الْأَوْطَانِ، وَصِحَّةٌ فِي الْأَبْدَانِ، صُنُوفُ النِّعَمِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، تَتَقَلَّبُونَ
فِيهَا صَبَاحَ مَسَاءً، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ أَوْلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا.

صُيُوفَ الرَّحْمَنِ، وَفُودَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ! وَفَدْتُمْ إِلَى هَذِهِ الْبِقَاعِ
الْمُقَدَّسَةِ؛ فَاشْكُرُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، وَأَنْصَرِفُوا إِلَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، فَقَدْ
وَفَّرْتُمْ لَكُمْ الْإِمْكَانَاتِ الْكَثِيرَةَ، وَالخِدْمَاتِ الْوَفِيرَةَ، بِفَضْلِ اللَّهِ، ثُمَّ
بِفَضْلِ مَا يُؤَلِّيهِ الْمَسْئُولُونَ عَنْ خِدْمَةِ الْحَجَّاجِ مِنْ فَائِقِ عِنَايَةٍ، وَحُسْنِ

(١) حباه يخبؤه: أعطاه. «اللسان» (حبو).

رِعَايَةٍ، أَثَابَهُمُ اللهُ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي مَوَازِينِهِمْ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَكُونُوا جَمِيعًا قَائِمِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ مُلتَزِمِينَ
بِالْأَمْنِ وَالتَّطَامِ، واحذروا المَزَاحِمَةَ عِنْدَ الْأَبْوَابِ وَالتَّطَرُّقَاتِ وَالمَشَاعِرِ،
وَارْجِعُوا مِنْ هَذِهِ الفَرِيضَةِ بِالمَنَافِعِ العَظِيمَةِ، وَالآثَارِ الحَمِيدَةِ؛ تَفْلِحُوا
وَتَسْعَدُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَى أَفْضَلِ مَنْ صَلَّى وَصَامَ،
وَحَجَّ وَقَامَ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ المَلِكُ
العَلَامُ، فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّ عَلَى عِبَادِهِ النَّعْمَ، وَوَالَى عَلَيْهِمُ الْمِنَّةَ، نَحْمَدُهُ
سُبْحَانَهُ بِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَهُ
الشُّكْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ؛ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ، وَالنُّعْمَةُ
الْمُسْدَاةُ، بَلَغَ الرَّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ
جِهَادِهِ، فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، أَعْلَامِ الْهُدَى،
وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِخَيْرٍ وَإِحْسَانٍ وَاقْتَفَى.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِهِ
الْعَظِيمَةِ، وَالْآئَةِ الْجَسِيمَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ سَعِدَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَبْلَ أَيَّامِ قَلَائِلِ
بِحُلُولِ مُنَاسِبَةِ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَلَقَدْ نَعِمْتَ بِأَدَائِهَا فِي جَوْ
إِيمَانِي فَرِيدٍ، وَفِي وَضْعِ آمِنٍ مُطْمَئِنٍّ بِحَمْدِ اللَّهِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى
تَوْفِيقِهِ لِإِتْمَامِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى مَا يَسَّرَ وَأَعَانَ،

وَنَسَأَلُهُ تَعَالَى كَمَا وَقَفْنَا لِأَدَاءِ حَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنَّا، وَأَنْ يَجْعَلَهُ
حَجًّا مَبْرُورًا، وَسَعِيًّا مَشْكُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الِاسْتِقَامَةَ عَلَى
شَرْعِهِ عَلَى الدَّوَامِ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ مَرَّتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ الْكَرِيمَةُ،
أَقْبَلُوا فِيهَا عَلَى رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا، مُهَلِّلِينَ مُكَبِّرِينَ، دَاعِينَ خَاشِعِينَ مُسْتَغْفِرِينَ،
وَالْيَوْمَ لَمَّا قُوِّضَتْ فِي الْحَجِّ حَيَاتُهُمْ، وَانْتَهَتْ أَيَّامُهُمْ، وَوَلَّى الْحُجَّاجُ
وُجُوهَهُمْ شَطْرَ أَوْطَانِهِمْ، وَبَدَأَتْ قَوَائِلُ الْحَجِيجِ تَسْلُكُ طَرِيقَ الْعَوْدَةِ إِلَى
رِحَالِهَا، بَعْدَ أَنْ وَقَفُوا هَذِهِ الْمَوَاقِفَ الْعَظِيمَةَ، وَنَعَمُوا بِالْعَيْشِ فِي هَذِهِ
الْعَرَصَاتِ الْكَرِيمَةِ، عَادُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَذَوِيهِمْ، وَقَدْ رَفَعُوا
أَكْفَ الضَّرَاعَةِ، وَذَرَفُوا دُمُوعَ الْخَشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ، مُسْتَغْلِينَ شَرَفَ الزَّمَانِ
وَالْمَكَانِ، بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُمْ،
وَأَجَزَلَ ثَوَابَهُمْ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ!

وغيرُ الحجاجِ قد مرُّوا بتلك الأيامِ الفاضلةِ التي يكونُ العملُ
الصَّالِحُ فيها أفضلَ من الجهادِ في سبيلِ اللهِ؛ كما صحَّ بذلكِ الخبرُ عن
سيِّدِ البشْرِ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - في حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ - رضي اللهُ
عنهُما - عندَ البخاريِّ، وغيرِه^(١)، فَشِطَّ بَعْضُهُمْ؛ فَصَلَّى وَصَامَ، وَقَرَأَ

(١) رواه الطيالسي (٢٧٥٣)، وأحمد (٢٢٤/١)، والبخاري (٩٦٩).

وَقَامَ، وَضَحَّى وَكَبَّرَ، وَتَخَاذَلَ آخَرُونَ؛ فَفَاتَتْهُمْ تِلْكَ الْأَيَّامُ الْمُبَارَكَةَ،
فَأَصْبَحُوا فِي حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ. حَقًّا: إِنَّهَا لَأَيَّامٌ مَشْهُودَةٌ، وَأَوْقَاتٌ مَحْمُودَةٌ،
إِنَّهَا نَفَحَاتُ كَرِيمَةٍ، وَلَحْظَاتُ عَظِيمَةٍ، لَهَا مَنَافِعُ الْجَمَّةِ، وَأَثَارُهَا
الْمُتَعَدِّدَةُ فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، السُّؤَالُ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْآوِنَةِ: وَمَاذَا
بَعْدَ الْحَجِّ؟! وَمَاذَا بَعْدَ آدَاءِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ، وَبَعْدَ حُلُولِ هَذِهِ
الْأَيَّامِ الْكَرِيمَةِ؟! كَيْفَ هِيَ أَحْوَالُنَا الْآنَ؟! كَيْفَ هِيَ حَالُ الْأَفْرَادِ
وَالْمُجْتَمَعَاتِ؟! هَلْ يَقِفُ الْأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، وَيَعُودُ النَّاسُ إِلَى مَا
كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ الْحَجِّ، أَوْ أَنَّ هُنَاكَ سَبِيلًا قَوِيمًا يَجِبُ عَلَى الْحَاجِّ أَنْ
يَسْلُكَهُ بَعْدَ حَجِّهِ؟! هَلْ تَغَيَّرَ الْمَنَهِجُ وَالسُّلُوكُ، وَنَظَرَ كُلُّ حَاجٍّ فِي حَيَاتِهِ
نَظْرَةً صَاحِحَةً، وَبَدَأَ صَفْحَةً جَدِيدَةً، وَانْطَلَقَ جَادَّةً عَلَى ضَوْءِ شَرِيعَةِ اللَّهِ
وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؟! هَلْ غَيَّرَ الْحَاجُّ حَيَاتَهُمْ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى حَسَنٍ، وَمِنْ
حَسَنٍ إِلَى أَحْسَنٍ؟! هَلْ امْتَدَّتْ مَنَافِعُ الْحَجِّ وَأَثَارُهُ؛ فَتَجَاوَزَتْ حَدَّ الْمَكَانِ
وَالزَّمَانِ إِلَى عُمُومِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ، وَشُمُولِ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ وَالنَّوَاحِي؟!!

إِنَّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الْحَجَّ مِيلَادٌ جَدِيدٌ، وَعَهْدٌ سَعِيدٌ، يَجِبُ عَلَى
الْحَاجِّ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى آثَارِهِ وَمَنَافِعِهِ وَعَنْهَا لَا يَحِيدُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ انْطِلَاقًا
جَادَّةً لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَفُرْصَةً عَظِيمَةً لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ.

وَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُحَاسِبَ أَنْفُسَنَا بَعْدَ آدَاءِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ: هَلْ أَدَّتْ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ آثَارَهَا فِي حَيَاتِنَا، أَوْ أَتَتْهَا مَرَّتٌ كَسَحَابَةِ صَيْفٍ أَوْ وَمُضَةٍ بَرَقٍ سَرْعَانَ مَا تَزُولُ دُونَ نَفْعٍ أَوْ أَثَرٍ!؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، مَاذَا تَغَيَّرَ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ!؟ مَا الَّذِي صَلَحَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ هَلْ تَبَدَّدَتْ آلَامُهُمْ، وَتَحَقَّقَتْ آمَالُهُمْ!؟ إِنَّ مِنْ مَقَائِيسِ قَبُولِ الْعَمَلِ أَوْ رَدِّهِ أَنْ يُنْظَرَ الْمَرْءُ إِلَى آثَارِ ذَلِكَ الْعَمَلِ فِي حَيَاتِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ عَلَامَةِ قَبُولِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَإِنَّهُ لَيَجْدُرُ بِالْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَفَهَّمُوا شَعَائِرَ دِينِهِمْ، وَيَسْتَفِيدُوا مِنْ مَوَاسِمِ الْخَيْرِ؛ لِتَوَثُّرٍ فِي مَجْرَى حَيَاتِهِمْ، وَإِنَّ مِنَ الْخَطَأِ الْفَادِحِ وَقَلَّةِ الْبَصِيرَةِ فِي فَهْمِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ: أَنْ يَظُنَّ أُنَاسٌ - وَبِئْسَ مَا ظَنُّوا! - أَنَّ مَوَاسِمَ الْعِبَادَةِ مَرَّاحِلُ ضَيِّقَةٍ، يَتَحَقَّفُ فِيهَا الْإِنْسَانُ مِنَ الدُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، فَإِذَا تَجَاوَزَهَا، عَادَ لِيُوَاقِعَ غَيْرَهَا، وَتَنْتَهِي فِتْرَةٌ إِقْبَالَهُ عَلَى اللَّهِ بِانْتِهَاءِ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْمُبَارَكَةِ.

يَجِبُ أَنْ يَعِيَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ مَوَاسِمَ الْخَيْرِ تَغْيِيرٌ كَامِلٌ، وَتَبَدُّلٌ شَامِلٌ، فِي كُلِّ جَلِيلٍ وَصَغِيرٍ، مِنْ حَيَاةِ الْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالِانْقِيَادِ لِلَّهِ، وَإِنَّ مِنْ إِضْلَالِ الشَّيْطَانِ وَخِدَاعِ الثُّفُوسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ: أَنْ يَنْكُصَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَعْقَابِهِمْ^(١)، وَيَحُورُوا إِلَى مَعَاصِيهِمْ،

(١) نكصوا على أعقابهم، أي: رجعوا إلى الوراء. «النهاية» (نكص).

فَيَعِيشُوا ضَحَايَا خِدَاعِ النَّفُوسِ وَمَصَايِدِ الشَّيَاطِينِ، فَيَبْتَغِيهِمُ الْمَوْتُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، عِبَادًا بِاللَّهِ!

يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، يَا مَنْ أَجَبْتُمْ نِدَاءَ رَبِّكُمْ، وَرَفَعْتُمْ التَّلْبِيَةَ إِجَابَةً لِأَمْرِهِ، هَا هُوَ مَوْلَاكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - يُنَادِيكُمْ بِنِدَاءِ الْإِيمَانِ: أَنْ تَسْتَقِيمُوا عَلَى شَرْعِهِ، وَتَسْتَجِيبُوا لَهُ وَلِرَسُولِهِ، وَتَتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَتَعْبُدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ، فِي حَيَاتِكُمْ إِلَى مَمَاتِكُمْ؛ قَالَ تَعَالَى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:

٢٤]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

[آل عمران]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ

وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج].

فَلْبُوا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - نِدَاءَ اللَّهِ، وَاسْتَجِيبُوا لِأَمْرِهِ فِي كُلِّ حَيَاتِكُمْ وَفِي كُلِّ شُؤْنِكُمْ؛ كَمَا أَجَبْتُمُوهُ فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا: أَنْ نَقُومَ حَيَاتِنَا بَعْدَ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ عَلَى نَهْجِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنْ نَرَى آثَارَ الْعِبَادَاتِ عَلَى سُلُوكِنَا وَحَيَاتِنَا، إِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي تُعَانِي مِنَ الْوَيْلَاتِ وَالْمَشْكَلاتِ مَا تُعَانِيهِ - لَجْدِيرَةٌ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ طَرِيقًا لِلْخَلَّاصِ مِنَ الْمُعْضَلَاتِ، وَقُوَّةً فَاعِلَةً لِتَدْلِيلِ كُلِّ الْمُعَوَّقَاتِ وَالْعَقَبَاتِ؛ وَذَلِكَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ وَوَحْدَةِ الصِّفِّ، عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَجْنِيدِ أَنْظِمَتِهَا

وَوَسَائِلِ إِعْلَامِهَا وَمَنَاهِجِ تَعْلِيمِهَا كَافَّةً؛ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْمَبْدَأِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهِ .

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ مِمَّا يَحْرُ فِي النَّفْسِ أَنْ تَمُرَّ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ عَلَى
الْأُمَّةِ دُونَ اتِّعَاطِ وَاعْتِبَارِ، وَاسْتِشْعَارِ لِأَبْعَادِهَا وَأَثَارِهَا الْعَقْدِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ
وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَنَحْوِهَا، وَلَا تَحْسُسِ فِي وَاقِعِ الْأُمَّةِ بِجَوَانِبِ الْمُتَعَدِّدَةِ؛
فَأَيْنَ الْقَادَةَ وَالْعُلَمَاءُ؟! وَأَيْنَ الْمُفَكِّرُونَ وَأَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ فِي الْأُمَّةِ عَنِ
اتِّخَاذِ الْحُلُولِ الْعَمَلِيَّةِ، مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ الْعَظِيمَةِ لِمُشْكَلَاتِ
الْأُمَّةِ الْمُسْتَعْصِيَّةِ وَقَضَايَاهَا الْمُعَقَّدَةِ، وَاتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ الْجَادَّةِ وَالْحُطُوتِ
الْحَاسِمَةِ الْحَكِيمَةِ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ كُلِّهَا؟!

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، بَعْدَ أَدَائِنَا لِهَذِهِ الْفَرِيضَةِ أَنْ لَنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ: بِأَيِّ حَجٍّ
رَجَعَ مَنْ دَنَسَ الْعَقِيدَةَ بِضُرُوبِ الْإِشْرَاقِ، وَلَوَّثَهَا بِالْوَانِ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ؟!
بِأَيِّ حَجٍّ رَجَعَ مَنْ هَدَمَ دِينَهُ بِتَرْكِ عَمُودِهِ وَهُوَ الصَّلَاةُ؟! بِأَيِّ حَجٍّ رَجَعَ مَنْ
أَصَرَ عَلَى مَا يَتَعَاطَى مِنْ مُحَرَّمَاتٍ، فَلَمْ يَمْنَعُهُ حُجُّهُ عَمَّا كَانَ يَقْتَرِفُ مِنْ
رَبًّا أَوْ تَعَاطَى لِلْمُسْكِرَاتِ وَالْمُحَدَّرَاتِ، أَوْ تَعَامَلَ بِالْغِشِّ وَالتَّزْوِيرِ وَسَيِّئِ
الْمُعَامَلَاتِ، أَوْ وَقَّوعَ فِي الْقَطِيعَةِ وَالْعُقُوقِ وَسَافِلِ الْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ؟!
فَصِدْقًا صِدْقًا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَصِدْقًا صِدْقًا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ مَعَ رَبِّكُمْ؛
تُفْلِحُوا وَتَفُوزُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِيْنَ .

أَقُوْلُ قَوْلِيْ هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيْمَ الْجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ
الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ
عَلَى جَزِيلِ الْعَطَايَا وَالهِبَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
عَالِمِ السِّرِّ وَالْخَفِيَّاتِ، شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا النَّجَاةَ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ الْخَلِيقَةِ وَسَيِّدُ الْبَرِيَّاتِ، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَعَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ
الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ،
وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، إِنَّهُ- وَإِنْ انْتَهَى مَوْسِمٌ مِنْ مَوَاسِمِ الْعِبَادَةِ- فَإِنَّ
حَيَاةَ الْمُسْلِمِ كُلَّهَا فُرْصَةٌ يَجِبُ أَنْ يَسْتَغْلِلَهَا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّ
الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَيْسَ لَهُ مَوْسِمٌ مُحَدَّدٌ، وَلَا مُنَاسَبَةٌ مُعَيَّنَةٌ، وَأَوَامِرُ الشَّرْعِ
جَاءَتْ عَامَّةً فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَبَيَّنَّ يَدَيِ الْمُسْلِمِ- بِحَمْدِ اللَّهِ- مَوَاسِمُ
عَدِيدَةٌ، وَفُرْصٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ كَثِيرَةٌ؛ هَذِهِ الصَّلَوَاتُ الْحَمْسُ، هَذِهِ
تِلَاوَةُ كِتَابِ اللَّهِ، وَهَذَا الذِّكْرُ وَالِاسْتِغْفَارُ، وَالتَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ، هَذِهِ نَوَافِلُ

الْعِبَادَاتِ، وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَهَذِهِ أَبْوَابُ الْخَيْرِ مُشْرَعَةً، فَأَيْنَ السَّالِكُونَ؟!

فَاجْتَهِدُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ مُدَّةَ حَيَاتِكُمْ، وَخُذُوا
بِأَسْبَابِ قَبُولِ الْعَمَلِ بَعْدَ آدَائِهِ، وَأَهْمُهَا: الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ
الْعُمَرَ قَصِيرٌ، وَالْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَإِنَّ الْأَجَالَ مَحْدُودَةٌ، وَالْأَنْفَاسَ
مَعْدُودَةٌ، وَتَذَكَّرُوا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا
تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّكُمْ تُودَّعُونَ عَمَّا قَرِيبٍ عَمَّا كَامِلًا مَضَى
مِنْ أَعْمَارِكُمْ بِمَا أُوْدِعْتُمُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ وُفِّقَ لِخِتَامِ عَامِهِ
بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ بِشُرُوطِهَا الْمُعْتَبِرَةِ، وَهِيَ: الْإِفْلَاحُ عَنِ الذُّنُوبِ، وَالتَّوْبَةُ
عَلَى فِعْلِهَا، وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعُودَةِ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بِالْحَوَاتِيمِ، وَاللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ﴿٨٧﴾
[طه]، فَإِلَى مَتَى الْغَفْلَةُ يَا عِبَادَ اللَّهِ؟! وَأَيْنَ التَّائِبُونَ؟! نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا
وَأَيَّاكُمْ مِنْهُمْ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ! .

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الْوَرَى؛ كَمَا
أَمَرَكَ بِذَلِكَ رَبُّكَمُ جَلَّ وَعَلَا، بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ، أَحْمَدُهُ
تَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا عَلَى الدَّوَامِ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا مُتَوَالِيًا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
السَّلَامُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَنْبَاءِ، إِمَامُ الْمُتَمَيِّنِينَ،
وَقَائِدُ الدُّعَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، فَبَلَغَ وَدَعَا،
وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ، وَنَصَحَ وَجَاهَدَ، وَصَبَرَ وَصَابَرَ، فَكَانَتْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا فِي
الدُّعْوَةِ وَالْجِهَادِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ
بَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَأَرْضَاهُمْ، وَمَنْ حَمَلَ رَايَةَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

عِبَادَ اللَّهِ، مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
بِوُجُودِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَمِنْ سُنَّتِهِ

كَذَلِكَ : أَنْ جَعَلَ هَذِهِ الْمُتَنَاقِضَاتِ فِي صِرَاعٍ دَائِمٍ ، وَتَبَايُنٍ مُسْتَمِرٍّ ؛ وَلِذَلِكَ :
فَإِنَّ مَنَعَ الْفَسَادِ ، وَكَبَحَ طُغْيَانَ الشَّرِّ وَالْهَوَى ، وَالْإِبْقَاءَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَدْلِ
وَالْخَيْرِ - : ضَرُورَةٌ مِنْ ضَرُورَاتِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَلَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ وَإِقَاعًا
مَلْمُوسًا إِلَّا بِحَمْلِ رَايَةِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَرَفْعِ اللَّوَاءِ لِأَعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ .

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذِرْوَةٌ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ، وَرُتْبَةٌ فِي
أَعْلَى شُعَبِ الْإِيمَانِ ، بِهِ تَعْلُو الْكَلِمَةُ ، وَتَعَزُّ الْأُمَّةُ ، وَتُحْمَى الْبَيْضَةُ^(١) ،
وَتُصَانَ الْحُرْمَاتُ ، وَيُحْمَى الذَّمَارُ^(٢) ، وَيُقَهَّرُ الْأَعْدَاءُ ، وَيُرْغَمُ اللَّدَادُ ،
بِالْجِهَادِ يَتِمُّ إِفْرَارُ الْحَقِّ فِي نِصَابِهِ ، وَيُرَدُّ الْبَغْيُ وَالظُّلْمُ وَالطُّغْيَانُ ، وَيُكَفَّحُ
الشَّرُّ وَالْكَيْدُ وَالْعُدْوَانُ ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ التَّجَارَةُ الْمُنْجِيَّةُ ، وَالصَّفَقَةُ
الرَّابِحَةُ ، وَالْبِضَاعَةُ الْمُبَشِّرَةُ ، يَحُوزُ أَهْلُهُ الْمُخْلِصُونَ مِنَ الْمَنَازِلِ أَرْفَعَهَا ،
وَمِنَ الْمَكَانَةِ أَعْظَمَهَا ، وَمِنَ الدَّرَجَاتِ أَعْلَاهَا ، فَهُمُ الْأَعْلُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

مَعَاشِرِ الْمُسْلِمِينَ ، لَقَدْ حَظِيَتْ فَرِيضَةُ الْجِهَادِ فِي هَذَا الدِّينِ بِالْعِنَايَةِ
وَالِاهْتِمَامِ ؛ فَعَشْرَاتُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ، وَمِثَاتُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ
الشَّرِيفَةِ كُلُّهَا تَحُثُّ عَلَى الْجِهَادِ ، وَتُرَغَّبُ فِيهِ ، وَتُبَيِّنُ مَا لِأَهْلِهِ مِنَ الْأَجْرِ
وَالْمَثُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَالْعِزَّةِ وَالنُّصْرَةِ فِي الدُّنْيَا ؛ مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ

(١) البيضة : مجتمع القوم وموضع سلطانهم . «النهاية» (بيض) .

(٢) الذَّمَارُ : كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفع عنه ؛ كالحرم والأهل . «اللسان» (ذمر) .

ذِي بَصِيرَةٍ؛ كَمَا جَاءَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ رَكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا، وَاتَّقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ، وَعَطَّلُوا هَذِهِ الْفَرِيضَةَ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(١)، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهَ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزَ غَارِيًا، أَوْ يَخْلُفَ غَارِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وَمَا ذَلِكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِلَّا لِمَا يُسَبِّهُ تَرَكُ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ مِنْ تَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ، وَتَحْكُمِهِمْ فِي الْأُمَّةِ، يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَهَا، وَيُرْمَلُونَ نِسَاءَهَا، وَيَسْتَيْحُونَ أَوْ يَسْتَيْحُونَ حُرْمَاتِهَا، وَيَعْبَثُونَ بِمَقَدَّسَاتِهَا وَمَقَدَّرَاتِهَا، وَلَا يَرْقُبُونَ فِيهَا إِلَّا^(٣) وَلَا ذِمَّةً^(٤)، وَلَا يَرْعُونَ عَهْدًا وَلَا حُرْمَةً؛ فَيَعْمُ الدُّلُّ، وَتَسْوَدُ الْمَهَانَةُ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المُنافِقُونَ: ٨].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، إِنَّا مِنْ أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ، بَارِعَةٍ فِي الْبُطُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ،

(١) «صحيح مسلم» (١٩١٠)، و«سنن أبي داود» (٢٥٠٢).

(٢) «سنن أبي داود» (٢٥٠٣)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧٦٢).

(٣) الإل: القرابة. «الغريبتين»، لأبي عبيد الهروي، مادة (ألل).

(٤) الذمة: العهد. المصدر السابق، مادة (ذمم).

وَالْقُوَّةَ وَالْفِدَاءَ، شِعَارُهَا: اللهُ أَكْبَرُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالْعِزَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَجِهَادُهَا عَبْرَ الْقُرُونِ كَانَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -
لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا - وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى - نَحْنُ مِنْ أُمَّةٍ أُنزِلَ
عَلَى رَسُولِهَا قَوْلُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ جَاهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦١﴾ [التحریم]،
وَأُنزِلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا
كَبِيرًا ﴿٥٧﴾ [الفرقان]، وَأُنزِلَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْلُ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا:
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَلِذَلِكَ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قُدْوَةً هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي الْإِيمَانِ وَالِدَّعْوَةِ
وَالجِهَادِ، يَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ تَشْهَدِ
الْأُمَّمُ، وَلَمْ يَشْهَدِ التَّارِيخُ شَجَاعَةً كَشَجَاعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الْقَائِلِ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى
المُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا! . . . وَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوَدِدْتُ أَنِّي أَعْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَعْزُو فَأُقْتَلُ،
ثُمَّ أَعْزُو فَأُقْتَلُ» (١).

(١) رواه البخاري (٣٦)، ومسلم (١٨٧٦)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

وَمَا ذَاكَ - يَا أُمَّةَ الْجِهَادِ وَالْفِدَاءِ، وَيَا أَتْبَاعَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْهُدَى
وَالْمَلْحَمَةِ - إِلَّا لِعِظَمِ مَكَانَةِ الْجِهَادِ فِي هَذَا الدِّينِ، وَمَكَانَةِ أَهْلِهِ، وَعُلُوِّ
مَكَانَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَلَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنْ الْجَنَّةِ؛ فَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ
مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ؛ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١).

اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ - يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - إِنَّ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثْرًا فِي
رَفْعِ هَامَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَاسْتِعْلَائِهَا عَلَى أُلُوَانِ الْكِبْرِ عَلَى الْحَقِّ،
وَالْبَطْرِ^(٢) عَلَى الْخَلْقِ؛ كَمَا أَنَّ فِيهِ إِعْلَاءً لِكَلِمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَدَحْرًا
لِلظُّلْمِ وَالْبَاطِلِ، وَالغَدْرِ وَالْعُدْوَانِ، إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَهُوَ بَدَلُ الْوُسْعِ، وَاسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -
بِالْقَلَمِ وَاللِّسَانِ، بِالسِّيفِ وَالسِّنَانِ، بِالْقَلْبِ وَالْجَنَانِ، بِكُلِّ الْمَشَاعِرِ
وَالْأَحَاسِينِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْغَزْوَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ عِلَامَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّ التَّخَلُّفَ عَنْهُ مِنْ عِلَامَاتِ
التَّفَاقِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يَقُولُ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ

(١) رواه البخاري (٧٤٢٣)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) البَطْرُ: أي: التبختر. «اللسان» (بطر).

بِالْعَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ» (١).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ
رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهَّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ،
أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٢).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُبَاهِدُونَ، إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَهَبَ لِنُصْرَةِ
الْحَقِّ، وَدَفَعَ الْبَاطِلِ، هَذِهِ بِلَادُ الْمُسْلِمِينَ يُهَدِّدُهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ،
يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا فِي مُقَدَّرَاتِهَا وَمُقَدَّسَاتِهَا، يُرِيدُونَ أَنْ يَنَالُوا مِنْ أَهْلِهَا
وَخَيْرَاتِهَا، يُرِيدُونَ أَنْ يُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، ﴿يُرِيدُونَ لِيطْفئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف].

فَعَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ - أَنْ تُعِدُّوا أَنْفُسَكُمْ لِلْجِهَادِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَيْسَ غَرِيبًا - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - أَنْ تُصَابَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي بَعْضِ
أَدْوَارِهَا بِاللَّوَانِ مِنَ الْكَوَارِثِ، وَأَنْوَاعِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالرَّزَايَا وَالْحَوَادِثِ،
وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ كُلَّ الْغَرَابَةِ أَنْ تَضْعَفَ وَتَسْتَكِينَ، أَوْ تَذِلَّ وَتَهُونَ، وَقَدْ
كَتَبَ اللَّهُ لَهَا الْعِزَّةَ وَالنُّصْرَةَ وَالْقُوَّةَ، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران].

(١) تقدم تخريجه في (ص ٢٨٨).

(٢) تقدم تخريجه في (ص ٢٨٨).

فِيَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَا أَحْفَادَ الْأَبْطَالِ وَالْمُجَاهِدِينَ، لِيَكُنْ لَكُمْ فِي الْجِهَادِ خَيْرٌ عَوْنٍ عَلَى نَيْلِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ فِي الدُّنْيَا، وَكَسْبِ الْمَثُوبَةِ فِي الْآخِرَى؛ فَإِنَّهُ نَوْعٌ مِنْ أَهَمِّ أَنْوَاعِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَيْهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثِهِمْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾﴾ [التوبة].

أَلَا مَا أَعْظَمَهَا مِنْ تِجَارَةٍ! وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ ثَمَنِ! كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «بَايَعَهُمْ - وَاللَّهِ - فَأَعْلَى ثَمَنَهُمْ»^(١).

وَهَلْ بَعْدَ الْجَنَّةِ مِنْ ثَمَنِ، يَا عِبَادَ اللَّهِ؟! «أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(٢)، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٥ / ١١).

(٢) حديث رواه الترمذي (٢٤٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٧٦، ٨٨١)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

شَىءٌ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [التوبة].

فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ رُزِّتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ
الْحِفْدِ وَالتَّسَلُّطِ، وَالْعَدَاءِ الظَّاهِرِ وَالمُسْتَتِرِ.

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لَاتَّقَيْتُهُ وَلَكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثٌ

أَحَلَّ الكُفْرُ بِالإِسْلَامِ ضَيْمًا يَطُولُ بِهِ عَلَى الدِّينِ النَّحِيبُ!
فَحَقُّ ضَائِعٌ وَحِمَى مُبَاحٌ وَسَيْفٌ قَاطِعٌ وَدَمٌ صَيبُ!
أَتَسْبَى المُسْلِمَاتُ بِكُلِّ أَرْضٍ وَعَيْشُ المُسْلِمِينَ إِذْنُ يَطِيبُ؟!
أَمَا لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَقٌّ يُدَافِعُ عَنْهُ شُبَّانٌ وَشَيْبُ؟!
فَقُلْ لِدَوِيِّ البَصَائِرِ حَيْثُ كَانُوا أَجِيبُوا اللَّهَ وَيَحْكُمُ أَجِيبُوا!!

فَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نُعِدَّ العُدَّةَ لِلجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِعْرَازًا لِديْنِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ، وَنُصْرَةً لِلْمُظْلُومِينَ وَالمُضْطَّهَدِينَ، وَرَدْعًا لِلظَّالِمِينَ، وَالتَّطْعَاةَ
وَالْمُعْتَدِينَ؛ هَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُ، وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ
مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

يَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، يَا أَيُّهَا المُجَاهِدُونَ، وَاللَّهِ لَنْ
يَرْتَفِعَ الدُّلُّ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا بِرَفْعِ رَايَةِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَا عَزَّتِ
الأُمَّةُ، وَسَادَتْ فِي كُلِّ قُرُونِهَا وَأَعْصَارِهَا إِلَّا بِرَفْعِ رَايَةِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ

الله، وَلَا ذَلَّتْ وَضَعَفَتْ مَكَانَتُهَا، وَأَنْتَهَكَتْ حُرْمَاتُهَا، إِلَّا لَمَّا ضَيَّعَتْ
 فَرِيضَةَ الْجِهَادِ، وَلَمَّا تَرَكَتْ وَاجِبَ الْجِهَادِ وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِذَا
 رَفَعَتِ الْأُمَّةَ عِلْمَ الْجِهَادِ، فَلَنْ يَبْقَى لِلظُّلْمِ مَكَانٌ فِي الْبِلَادِ وَلَا بَيْنَ الْعِبَادِ،
 فَعَلَيْكُمْ - مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ - أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، وَتَسِيرُوا عَلَى هَذَا
 الْمِنْهَاجِ الْعَظِيمِ، الَّذِي رَسَمَهُ لَكُمْ دِينُكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، قَوْلًا وَفِعْلًا.

إِنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، أُمَّةَ الْبُطُولَاتِ وَالْجِهَادِ وَالْفِدَاءِ، لَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ
 أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ سَطَّرَتْ بُطُولَاتِهَا كَهَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِنَّا مِنْ أُمَّةٍ ضَمَّتْ
 عَبْرَ تَارِيخِهَا نُجْبَةً مُمَيَّزَةً مِنَ الْأَبْطَالِ الْمُجَاهِدِينَ:

فَهَذَا أَبُو بَكْرٍ صَدِيقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَقُولُ يَوْمَ الرَّدَّةِ: «وَاللَّهِ! لَوْ
 مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»^(١).

وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفُ اللَّهِ الْمَسْلُوبِ، الَّذِي يَقُولُ: «لَقَدْ حَضَرْتُ
 أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَعْرَكَةٍ، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعٌ شَبِيرٍ إِلَّا وَفِيهِ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، أَوْ ضَرْبَةٌ
 بِسَهْمٍ، وَهَأَنْذَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي، فَلَا نَامَتُ أَعْيُنُ الْجُبْنَاءِ!».

إِنَّمَا مِنْ أُمَّةٍ سَطَّرَ أَبْطَالُهَا أَرْوَاعَ التَّمَاذِجِ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛
 كَمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَبِي
 عُبَيْدَةَ، وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَصَلَّاحَ الدِّينِ، وَقُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، وَطَارِقَ بْنَ

(١) تقدم جزء منه (ص ٢١٧).

زِيَادٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ نَافِعِ الَّذِي وَقَفَ عَلَى ضِفَافِ الْبَحْرِ قَائِلًا: «وَاللَّهِ! لَوْ أَنِّي
أَعْلَمُ أَنَّ وَرَاءَ هَذَا الْبَحْرِ أَنَا سَاءٌ، لَخَضْتُهُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (١).

اللَّهُ أَكْبَرُ! هَذِهِ الصَّفَحَاتُ النَّاصِعَةُ، وَهَذِهِ الْبُطُولَاتُ الرَّائِعَةُ، الَّتِي
سَطَّرَهَا هَؤُلَاءِ الرَّجَالُ؛ ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب]؛ فَلَنُكُنْ -
رَحِمَكُمُ اللَّهُ - خَيْرَ خَلْفٍ لِحَيْرِ سَلْفٍ.

فَالِى الْمَتَاجِرَةِ مَعَ اللَّهِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - إِلَى الصَّفَقَةِ الرَّابِحَةِ - أَيُّهَا
الْأَثْرِيَاءُ - فَانْتُمْ مَدْعُوونَ إِلَى الْمُسَاهَمَةِ وَالْمُرَابِحَةِ، وَحَيَّ عَلَى الْجِهَادِ - يَا
أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ؛ فَصِيحَاتُ إِخْوَانِكُمْ فِي فَلَسْطِينَ
وَأَفْغَانِسْتَانَ، وَكَشْمِيرَ وَالشَّيْشَانَ، وَالْبُوسْنَةَ وَالْهَرِسِكِ، وَنِدَاءَاتُ أَشْقَائِكُمْ
بِمِلَّةِ أَفْوَاهِهِمْ فِي بَقَاعِ شَتَّى مِنَ الْعَالَمِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ نِدَاءُ رَبِّكُمْ -
جَلَّ وَعَلَا - لَكُمْ، بِنِدَاءِ الْإِيمَانِ لِلتَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحْرِيفٍ نُجِحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٧﴾ تَوْمَنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الصف].

اللَّهُمَّ أَقِمَّ عِلْمَ الْجِهَادِ، وَأَقِمَّ (٢) أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْفَسَادِ،
وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ عَلَى الْعِبَادِ، يَا مَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَإِلَيْهِ الْمَعَادُ.

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٤/١٠٧).

(٢) أَقِمَّ: أَقَهْرَ وَذَلَّلَ. «القاموس» (قمع).

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهِدْيِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُجَاهِدِينَ، وَحَزَبِهِ الْمُفْلِحِينَ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ
وَحْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى
اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ
لِلْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ أَفْقًا وَاسِعًا، وَنِطَاقًا شَاسِعًا، وَهُوَ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ؛
بِالنَّفْسِ وَالْقَلْبِ وَالْجَنَانِ، وَالدَّعْوَةِ وَالْقَوْلِ وَالْبَيَانِ، وَالسَّيْفِ وَالْيَدِ
وَالسَّنَنِ، وَالْمَالِ وَالْقَلَمِ وَاللِّسَانِ، وَالْقُدْوَةَ الْحَسَنَةَ، وَالتَّرْبِيَةَ السَّلِيمَةَ،
وَهُوَ كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ- رَحِمَهُ اللَّهُ- عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ:

أُولَاهَا: جِهَادُ النَّفْسِ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ
نُقْطَةُ الْبِدَايَةِ لِجِهَادِ الْأَعْدَاءِ.

ثَانِيهَا: جِهَادُ الشَّيْطَانِ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ.
ثَالِثُهَا، وَرَابِعُهَا: جِهَادُ الْكُفَّارِ، وَالْمُنَافِقِينَ^(١).

وَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجَاهِدَ بِنَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ عَلَى قَدْرِ

(١) «زاد المعاد، في هدي خير العباد» (٩/٣).

المُسْتَطَاع، وَأَنْ يَرَوْضَ نَفْسَهُ وَيُعِدَّهَا إِعْدَادًا مَعْنَوِيًّا وَحِسِّيًّا لِلجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَنْ تُعَادَ الْحُقُوقُ الْمَسْلُوبَةُ، وَالذِّيَارُ الْمَغْصُوبَةُ إِلَّا بِذَلِكَ؛ ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١]، وَإِنَّهُ - وَإِنْ طَالَ لَيْلُ الظَّلَامِ، وَتَعَاقَبَتِ الْمَحَنُ وَالْفِتَنُ وَالْآلَامُ - فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ بَوَارِقَ الْفَجْرِ لِغَدِ مُشْرِقٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً مَعَ إِخْوَانِكُمُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بَقَاعِ الْمُسْلِمِينَ .

وَلِيَكُنْ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى قَائِدِ جَيْشِهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَبْرَاسًا لَكُمْ؛ فَمِمَّا جَاءَ فِيهِ قَوْلُهُ:

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَمْضَى وَأَقْوَى الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ، وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ؛ فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَإِنَّمَا يُنْصَرُّ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَإِلَّا نُصِرَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا، لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِكُمْ» (١).

كَمَا تَذَكَّرُ كُتُبُ السَّيْرِ: أَنَّ أَمِيرَ جَيْشِ الرُّومِ فِي عَصْرِ عُمَرَ - رَضِيَ

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/ ٤٠).

اللَّهُ عَنْهُ - أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ جَيْشِهِ لِيَنْظُرَ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ وَاصِفًا جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ: «جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ دِقَاقٍ، عَلَى خِيُولٍ عِتَاقٍ، أَمَّا اللَّيْلُ فَرُهْبَانٌ، وَأَمَّا النَّهَارُ ففُرْسَانٌ، لَهُمْ دَوِيٌّ بِالْقُرْآنِ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ» (١).

هَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ إِنْ أَرَادُوا الْعِزَّ لِدِينِهِمْ، وَالنَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَإِيَّاهُمْ لِفَاعِلُونَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَإِنَّهُ لَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ حُكُومَةً وَشَعْبًا: وَثُوفُهَا مَعَ الْمُجَاهِدِينَ فِي شَتَى الْبِقَاعِ، وَدَعْمُهَا لِلْحُقُوقِ الْعَادِلَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَلَهَا مِنَ الْمَوَاقِفِ الطَّيِّبَةِ، وَالْمَشَاعِرِ النَّبِيلَةِ، وَالِدَّعْمِ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ: مَا شَهِدَ بِهِ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ يَنْبَغِي التَّحَدُّثُ بِهَا وَشُكْرُهَا، وَبَدَلُ الْمَزِيدِ مِنْهَا؛ وَلَا غَرَوْ فِيهِ الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْهَا جَحَافِلُ الْإِيمَانِ، وَكَتَائِبُ الْجِهَادِ؛ لِرَفْعِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْعنكبوت].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى إِمَامِ الْمُجَاهِدِينَ، وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٥٦٩/٩).



الخطبة للهولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَ هَذِهِ الْأُمَّةَ، فَجَعَلَهَا: خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُ بِاللَّهِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَتَبَ الْخَيْرِيَّةَ وَالْفَلَاحَ، لِدَعَاةِ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، حَامِلُ لِيَوَاءِ الدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ وَالْكِفَاحِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِ وَتَرَسَّمُوا خُطَاهُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ الْمَسَاءَ وَالصَّبَاحُ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ، وَالتُّصْحَّحَ وَالتَّعَاوُنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالتَّوَاصِيَّ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ، وَإِشَاعَةَ الْخَيْرِ وَالفَضِيلَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَمُحَارَبَةَ الشَّرِّ وَالرَّذِيلَةَ وَالفَسَادِ، وَاسْتِئْصَالَهَ مِنَ الْمُجْتَمَعِ -: مِنْ أَبْرَزِ سِمَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - الَّتِي فَاقَتْ بِهَا سَائِرَ الْأُمَمِ؛ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ لِذَا

كَانَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ: الْقُطْبُ الْأَعْظَمُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَالْمُهَيْمَةُ الْكُبْرَى لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالصَّالِحِينَ، بَلْ قَدْ عَدَّهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ رُكْنًا سَادِسًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ، وَالْفَوَائِدِ وَالْمَصَالِحِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَلِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى تَرْكِهِ مِنْ اسْتِشْرَاءِ الْبَاطِلِ، وَانْتِشَارِ الْفَسَادِ، وَغَلَبَةِ الْمَعَاصِي وَهَيْمَتَيْهَا، وَهِيَ الْجَالِبَةُ لِسَخَطِ اللَّهِ، الْمُنْدِرَةُ بِمَقْتِ اللَّهِ وَعَاجِلِ عُقُوبَتِهِ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْأُمَّمِ.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ: أَمَارَةٌ الْإِيمَانِ، وَإِنَّ تَرْكَهُ عِلَامَةٌ النِّفَاقِ؛ ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بِأَعْيُنِنَا رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ يُخْفُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ؛ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ] [الحج]، وَهُمَا طَوْقُ النَّجَاةِ وَشَرِيَانِ الْحَيَاةِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف].

وَبِالْجُمْلَةِ: فَهُمَا مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَآكِدِ الْفَرَائِضِ، وَأَوْجِبِ

الوَاجِبَاتِ، وَالزَّمِ الْحُقُوقِ، وَقَدْ جَاءَ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ بِمَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ :
يَقُولُ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ،
فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ »،
وَفِي رِوَايَةٍ : « وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » (١) .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا
يُسْتَجَابُ لَكُمْ » (٢) .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ
أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ : كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ :
يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّهَ، وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا
يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْيَلَهُ وَشَرِبِيَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، صَرَبَ اللَّهُ
قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ »، ثُمَّ قَالَ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) «صحيح مسلم» (٤٩) .

(٢) رواه أحمد (٣٨٨/٥)، والترمذي (٢١٦٩) .

عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
 كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾
 تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ
 سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
 فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ [المائدة]، ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا وَاللَّهِ! لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ،
 وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَيَّ يَدِي الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ
 أَطْرًا، وَلَتَقْضِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَضْرًا، أَوْ لَيُضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى
 بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ» (١).

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ فَرْدًا أُصِيبَ بِمَرَضٍ عُضَالٍ فِي جُزْءٍ مِنْ
 جِسْمِهِ، فَأَهْمَلَهُ؛ أَوْ لَيْسَ يَسْتَشِيرِي الْمَرَضُ فِي جَسَدِهِ كُلِّهِ، فَيَعْسُرُ عِلَاجَهُ،
 وَيَتَعَدَّرُ شِفَاؤُهُ؟! فَكَذَلِكَ الْمُنْكَرُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِذَا ظَهَرَ وَتُرِكَ فَلَمْ يُغَيَّرْ،
 فَإِنَّهُ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَأْلَفَهُ النَّاسُ وَيَسْتَمِرُّوهُ، وَعِنْدَئِذٍ: يُصْبِحُ مِنَ الْعَسِيرِ تَغْيِيرُهُ
 وَإِزَالَتُهُ؛ فَتَعُمُّ الْمُنْكَرَاتُ، وَتَنْتَشِرُ الْفَوَاحِشُ، وَتَغْرُقُ سَفِينَةُ الْأُمَّةِ.

وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلًا بَلِيغًا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ -: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ
 اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا؛ فَكَانَ

(١) رواه أحمد (١/٣٩١)، وأبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٣٠٤٧).

الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ، مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا
خَرَقْنَا فِي نَصِينِنَا خَرَقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا: فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا،
هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ، نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا»^(١).

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ أَشَادَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ بِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْعَظِيمَةِ:

يَقُولُ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الْأَعْظَمُ فِي الدِّينِ، وَهُوَ الْمُهْمُّ الَّذِي ابْتَعَثَ اللَّهُ لَهُ
النَّبِيِّنَ أَجْمَعِينَ، وَلَوْ طُويَ بِسَاطِهِ وَأُهْمِلَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ، لَتَعَطَّلَتِ الثُّبُوءَةُ،
وَاضْمَحَلَّتِ الدِّيَانَةُ، وَعَمَّتِ الْفِتْرَةُ، وَانْتَشَرَتِ الضَّلَالَةُ، وَشَاعَتِ
الْجَهَالَةُ، وَاسْتَشْرَى الْفَسَادُ، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ، وَخَرِبَتِ الْبِلَادُ، وَهَلَكَ
الْعِبَادُ، وَلَمْ يُشْعَرْ بِالْهَلَاكِ إِلَّا يَوْمَ التَّنَادِ»^(٢).

وَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ كُتُبَهُ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَهُوَ مِنَ الدِّينِ »^(٣).

وَيَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ، بِهِ قَوَامُ
الْأَمْرِ وَمَلَكَهُ . . . فَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْآخِرَةِ، وَالسَّاعِي فِي تَحْصِيلِ رِضَا اللَّهِ -

(١) رواه أحمد (٢٦٨/٤)، والبخاري (٢٤٩٣)؛ من حديث النعمان بن بشير، رضي
الله عنهما.

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣٠٦/٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٢١/٢٨).

عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَعْتَنِي بِهِ؛ فَإِنَّ نَفْعَهُ عَظِيمٌ»^(١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، الْمَعْرُوفُ الَّذِي جَاءَ الشَّرْعُ بِالْأَمْرِ بِهِ: اسْمٌ يَجْمَعُ كُلَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، مِنْ الْعَقَائِدِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ كَالْإِيْمَانِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَنَحْوِهَا، وَالْمُنْكَرُ: مَا أَنْكَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَقْبَحُ ذَلِكَ وَأَعْظَمُهُ: مُنْكَرَاتُ الْعَقَائِدِ، وَالْأُمُورِ الْمُتَبَدِّعَةِ فِي الدِّينِ، وَكِبَائِرُ الدُّنُوبِ، عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، يَا حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، إِنَّ وَاجِبَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى أَحَدٍ بَعِيْنِهِ مِنَ الْأَشْخَاصِ أَوْ الْهَيْئَاتِ، وَلَكِنَّهُ وَاجِبٌ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَكُلُّ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ، بِحَسَبِ مَنْزِلَتِهِ وَمَكَانَتِهِ؛ بَيِّدَ أَنْ^(٢) عَلَى أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ - مِنَ الرُّعَاةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْوُجُهَاءِ وَالْمُخْتَصِّصِينَ وَالدُّعَاةِ - مَا لَيْسَ عَلَى غَيْرِهِمْ: فَالْأَبُ مَسْئُولٌ عَنْ أُسْرَتِهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَالْمُعَلِّمُ فِي مَجَالِهِ، وَالْمُوظَّفُ فِي دَائِرَتِهِ، وَالتَّاجِرُ فِي سُوقِهِ، وَهَكَذَا كُلُّ عَلَى ثَغْرَةٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، وَكُلُّ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، بَلِ الْمُسْلِمُ الْحَقُّ حَيْثُمَا حَلَّ وَوَقَعَ، أَفَادَ وَنَفَعَ؛ لِأَنَّهُ عَضْوٌ فِي جَسَدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَهُ مَكَانَتُهُ، وَعَلَيْهِ وَاجِبَاتُهُ، وَهُوَ مُطَالِبٌ

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/٢٤).

(٢) بَيِّدَ أَنْ، أَي: غَيْرَ أَنْ. «القاموس» (بيد).

بِالتَّفَاعُلِ مَعَ مُجْتَمَعِهِ، وَالْأَلَمِ لِأَلَمِهِ، وَالتَّشَاطُ فِي مُحِيطِهِ؛ نَشْرًا لِلْخَيْرِ
وَالصَّلَاحِ، وَدَرءًا لِلشَّرِّ وَالْفَسَادِ.

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، إِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى
مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَّاتِ، وَالْوُقُوفِ أَمَامَ الْمُؤَامَرَاتِ، إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِالثَّوَابِتِ
وَالْيَقِينِيَّاتِ، وَالْمَبَادِيءِ وَالْمُقَوِّمَاتِ، الَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا عِزُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَسَعَادَتُهَا فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، مَعَ حُسْنِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمُتَغَيَّرَاتِ،
وَجَامِعُ هَذِهِ الثَّوَابِتِ: هُوَ الْقِيَامُ بِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْفَرِيضَةِ
الْكَرِيمَةِ، الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ الْأَصِيلُ، وَالْأَسَاسُ الْمَتِينُ، الَّذِي مَتَى مَا
قَامَتْ بِهِ الْأُمَّةُ، عَزَّتْ وَسَادَتْ، وَانْتَصَرَتْ وَقَادَتْ.

إِنَّهُ قَوَامُ هَذَا الدِّينِ، بِهِ نَالَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْخَيْرِيَّةَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَالوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ، وَلَا يَبْدُ مِنْ تَحَلِّيِ الْأَمْرَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَالْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ: بِالرَّفْقِ وَالْعِلْمِ، وَالْحِلْمِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ؛ لِيَكُونَ
لِعَمَلِهِمُ الْأَثْرُ الْإِيجَابِيُّ، فِي بُعْدِ عَنِ التَّعْنِيفِ وَالغِلْظَةِ.

وَالْحَقُّ: أَنَّ أَهْلَ الْحِسْبَةِ - وَفَقَّهُمُ اللَّهُ - يَبْذُلُونَ جُهُودًا جَبَّارَةً، تُذَكِّرُ
فَتَشْكُرُ، يُبَغِي أَنْ يُشَجَّعُوا مَادِيًّا وَمَعْنَوِيًّا، وَأَنْ يُكَفَّ عَنْ تَضَخِيمِ أَخْطَائِهِمْ.

مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ؟! (١)

وَالْعَامِلُونَ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ، هُمْ مِنْ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - نَحْسَبُهُمْ
وَلَا نُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا - فَمَجَالُ الْحِسْبَةِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - تَاجُ عِزِّ هَذِهِ
الْأُمَّةِ، وَثَمَرَةُ رِسَالَتِهَا، وَأَثَرُ دَعْوَتِهَا، وَمَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ حَضَارَتِهَا، هُوَ
صِمَامُ الْأَمَانِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنَ اللَّوْثَاتِ الْعَقْدِيَّةِ، وَالْإِنْحِرَافَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ،
لَا تَمَكِّنُ لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا بِهِ؛ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ﴾ [الحج].

هُوَ سَفِينَةُ النَّجَاةِ، وَطَوْقُ الْحَيَاةِ، وَالْقَائِمُونَ بِهِ - وَفَقَّهُمُ اللَّهُ - رِجَالٌ
أَهَمَّهُمْ أَمْرُ أُمَّتِهِمْ، وَأَرْقَاهُمْ وَجُودُ الْمُنْكَرَاتِ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، يَجِدُّونَ لِإِزَالَةِ
الْمُنْكَرَاتِ بِأَرْوَاحِ مُتَوَهِّجَةٍ، وَضَمَائِرِ حَيَّةٍ؛ لِحِفْظِ وَجُودِ الْأُمَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ،
وَأَمْنِهَا الْعَقْدِيِّ وَالْفِكْرِيِّ وَالسُّلُوكِيِّ، وَاسْتِمْرَارِ بَقَاءِ عَنَاصِرِ تَمَكِّيْنِهَا.

هُمُ مَشَاعِلُ هِدَايَةٍ، وَمَصَادِرُ تَوْجِيهِ، وَسُرُجُ إِشْعَاعٍ، يَعْمَلُونَ بِحِكْمَةٍ
وَحِمَاسٍ؛ لِإِضْلَاحِ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ، هُمْ لِدِينِ اللَّهِ دُعَاةٌ، وَعَلَيْهِ حُرَاسٌ،
كَمْ يَلْقَوْنَ مِنَ الْعَنَتِ فِي هَذِهِ الْمُهْمَةِ الشَّاقَّةِ! وَلَا غَرَابَةَ أَنْ يَعْمَلَ بَعْضُ

(١) البيت لأبي القاسم الحريري ضمن قصيدة له في المقامة الشعرية، مطلعها:

سَامِحٌ أَحَاكَ إِذَا خَلَطَ مِنْهُ الْإِصَابَةَ بِالْغَلَطِ

والبيت من شعر الأمثال. انظر: «مقامات الحريري» (٢٣١).

الرُّؤْيِيَّةُ لِلوَقِيَّةِ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَصْطَدِمُونَ بِالشَّهَوَاتِ، وَيَكْبَحُونَ جِمَاحَ
 الْمُغْرِيَّاتِ، الْإِيْمَانَ دَافِعُهُمْ، وَالغَيْرَةَ حَافِزُهُمْ؛ فَلِلَّهِ دَرُّهُمْ مِنْ رِجَالِ،
 وَبُورِكَتْ أفعالُهُمْ وَجُهُدُهُمْ، وَضَاعَفَ اللهُ مُثُوبَتَهُمْ!

وَتُشْهِدُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ عَلَى حُبِّهِمْ، وَالِدُعَاءِ لَهُمْ؛ لِمَا
 يَصْطَلِعُونَ بِهِ مِنْ مَهَامِّ جَسِيمَةٍ، تَعْمَلُ عَلَى تَجْفِيفِ مَنَابِعِ الشَّرِّ فِي الْأُمَّةِ،
 وَحِرَاسَةِ ثُغُورِ الْمُجْتَمَعِ مِنْ تَسَلُّلِ الْجَرِيْمَةِ، بِدَعْوَى الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ،
 أَوْ التَّقْدِيمِيَّةِ الزَّائِفَةِ، أَوْ الْمَدْنِيَّةِ الْمَافُوتَةِ.

فَوَاجِبُ الْأُمَّةِ جَمِيعًا: تَعْرِيزُ جَانِبِ الْحِسْبَةِ؛ فَإِنَّ ضَعْفَهُ وَأَنْحِسَارَهُ،
 وَطَيِّبِ بَسَاطِهِ، وَأَنْخِفَاضِ لَوَائِهِ، وَإِهْمَالَ عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ -: نُذْرُ شُرُورِ خَطِيرَةٍ،
 وَأَضْرَارِ مُسْتَطِيرَةٍ عَلَى الْأُمَّةِ جَمِيعًا، وَإِنَّ الْمُتَمَلِّمَ لِأَحْوَالِ عَالَمِنَا
 الْإِسْلَامِيِّ الْمُعَاصِرِ يُذْرِكُ مَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ -
 حَرَسَهَا اللهُ - مِنْ عِنَايَةٍ بِهِذَا الْجَانِبِ الْمُهِمِّ؛ فَرِعَايَةُ الْحِسْبَةِ تَأْجُ عَلَى
 رَأْسِهَا، وَغُرَّةٌ فِي جَبِينِهَا، جَعَلَتْ لَهُ جِهَازًا مُسْتَقِلًّا، وَجِهَةً خَاصَّةً
 مَسْئُولَةً، وَرِئَاسَةً عَامَّةً، تَتَوَلَّى رِعَايَتَهَا وَالْعِنَايَةَ بِهَا، وَتَلْكَ جُهُودٌ مَذْكُورَةٌ
 مَشْكُورَةٌ، وَعِنْدَ الْمُتَصِفِّينَ غَيْرُ مَنكُورَةٍ، يَجِبُ أَنْ تُرَوَى فَلَا تُطْوَى، مَعَ
 مَا يُؤَمَّلُ مِنْ تَعَاوُنِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَزِيدِ الدَّعْمِ لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ فِي
 الْأُمَّةِ؛ فَالشُّرُورُ كَثِيرَةٌ، وَجُهُودُ الْمُغْرِضِينَ وَفِيرَةٌ فِي خَرَقِ سَفِينَةِ الْأُمَّةِ،

وَالسُّنَنُ لَا تَتَعَيَّرُ، وَالْمُتَغَيِّرَاتُ لَا تَتَمَهَّلُ؛ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

فَلَنَتَّقِ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا هَيْئَةً بِذَاتِهِ، لِلْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِنَتَّعَاوَنَ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْمَبْدَأِ الْعَظِيمِ،
وَلِنُكُنَّ يَدًا وَاحِدَةً عَلَىٰ مَنْ يُرِيدُ خَرْقَ سَفِينَةِ أُمَّتِنَا بِالشَّرِّ وَالْفَسَادِ، رَائِدُنَا
فِي ذَلِكَ: الْإِخْلَاصُ وَالْحِكْمَةُ، وَالشَّفَقَةُ وَالرَّفْقُ، وَالْإِنَاءَةُ وَالرَّحْمَةُ؛
فَتِلْكَ أَبْرَزُ الصِّفَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّىٰ بِهَا مَنْ يَتَّصِدَّىٰ لِهَذَا الْأَمْرِ
الْعَظِيمِ؛ فَهُمْ دُعَاةٌ خَيْرٍ وَرَحْمَةٍ، وَحِرْصٌ وَشَفَقَةٌ عَلَىٰ إِخْوَانِهِمْ
الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرَةٌ عَلَىٰ دِينِ اللَّهِ الْقَوِيمِ، وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، فَأَوْلَىٰ
أَنْ يُسَانِدَ وَيُعَاضِدَ، وَيُسَجِّعَ وَيُؤَازِرَ، وَيُكْرِمَ مَادِيًّا وَمَعْنَوِيًّا.

يَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، إِنَّهُ إِذَا أَفَلَتَ زَمَامُ هَذَا الْأَمْرِ، وَطُوبَىٰ
بِسَاطِهِ، وَقَلَّ أَنْصَارُهُ، وَأَخْفَقَتْ رَأْيَتُهُ، وَأُهْمِلَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ -: فَشَتِ
الضَّلَالَةُ، وَشَاعَتِ الْجَهَالَةُ، وَفَسَدَتِ الْبِلَادُ، وَهَلَكَ الْعِبَادُ، وَإِنَّ النَّاطِرَ
فِيْمَا أَصَابَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْمُعَاصِرَةَ، لِيَأْسَىٰ أَشَدَّ الْأَسَىٰ مِنْ تَفَاقُمِ
الْمُحْرَمَاتِ، وَانْتِشَارِ الْمُنْكَرَاتِ، مِمَّا تَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ الْكَلِمَاتُ، وَيُزْجِمُ
عَنْهُ الْحَالُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْجَوَانِبِ الْعَقْدِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ
وَالْفِكْرِيَّةِ؛ مِمَّا ضَعُفَتْ مَعَهُ الْغَيْرَةُ، وَهَتَكَتْ مِنْ أَجْلِهِ أَعْرَاضٌ، وَانْتَشَرَتْ

الأفكار الهدامة، والمباديء المنحرفة، وتطاول فيه الفساق من الرجال والشباب والنساء، ولا تسأل عما تضحج به القنوات الفضائية، والشبكات المعلوماتية، مما يلح بالسؤال :

أين الغيرة الإسلامية؟! وأين الحمية الدنيئة؟! بل أين النزعة الإنسانية، والشهامة العربية، والرجولة الأصلية؟! هل نرعت من القلوب، واضمحلّت من النفوس؟! إنه إذا كثر الخبث، وانتشر الفساد، ولم يُغيّر - عمّ العذاب الصالح والطالح؛ فعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله - عز وجل - إلى جبريل - عليه السلام - أن اقلب مدينته كذا وكذا بأهلها، قال: يارب، إن فيهم عبدك فلاناً، لم يعصك طرفة عين؟ قال: اقلبها عليه وعليهم؛ فإن وجهه لم يتمعر^(١) في ساعة قط^(٢)»، وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - قالت: قلت: يارسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم، إذا كثر الخبث»؛ متفق عليه^(٣).

ومع ذلك كله: فلا يزال - والله الحمد والمنة - في أرض الله من هو

(١) لم يتمعر، أي: لم يتغير. «النهاية» (معر).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٦٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٩٥)، (٧١٨٩- ط. الهند).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٠٥٩)، و«صحيح مسلم» (٢٨٨٠).

قَائِمٌ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ، وَصَادِعٌ بِدَعْوَتِهِ، وَلَا نَيْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، بَلْ نَتَفَاءَلُ خَيْرًا -
إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَلَكِنَّ الْأَمْرَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْجُهْدِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الْمُتَضَافِرَةِ؛ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْمَبْدِ الْعَظِيمِ، وَنَشْرِهِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛
لِيَعْمَّ الْخَيْرُ وَيُنْتَشِرَ، وَيَتَوَارَى الْبَاطِلُ وَيُنْدَحِرَ؛ ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾

[إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

بَارِكْ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعِنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِسُنَّةِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، وَهَدَانَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، وَأَجَارَنَا - بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ - مِنْ
الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَتَابَ عَلَيْنَا أَجْمَعِينَ؛ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَمُسَبَّبِ الْأَسْبَابِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ قَامَ بِالدَّعْوَةِ وَالِإِحْتِسَابِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْبَصَائِرِ وَالْأَلْبَابِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

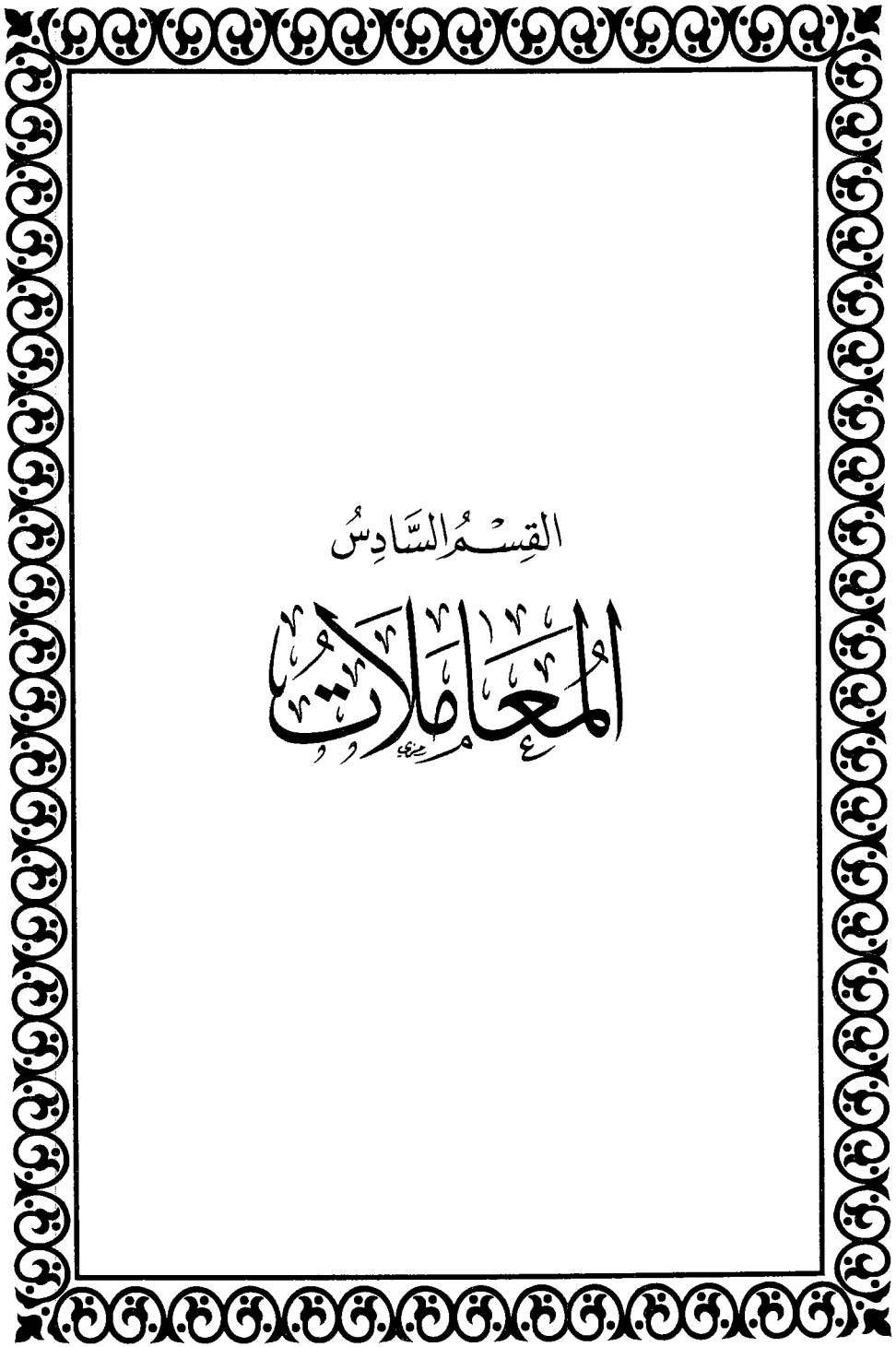
أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالتَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَقَدْ عَرَفْتُمْ مَنْزِلَتَهُ وَمَكَانَتَهُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَالْأَدِلَّةَ عَلَيْهِ، وَالْوَعِيدَ الشَّدِيدَ لِمَنْ تَرَكَهُ وَأَهْمَلَهُ، وَأَدْرَكْتُمْ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْحَالُ، وَبَانَ لَكُمْ أَسْبَابُ ذَلِكَ، وَتَنَائِجُهُ الْوَحِيمَةُ، وَوَقَفْتُمْ عَلَى وَصْفَةٍ مِنْ عِلَاجِ ذَلِكَ الْأَمْرِ، وَصِفَاتٍ مَنْ يَقُومُ بِهِ.

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَمَلُ الْجَادُّ الْمُخْلِصُ الْمِنِّيُّ عَلَى أُسُسِ سَلِيمَةٍ، وَقَوَاعِدِ مُحْكَمَةٍ حَكِيمَةٍ، وَتَرْكُ التَّوَانِيِ وَالتَّوَاكُلِ وَالتَّلَاوُمِ وَإِلْقَاءِ التَّبَعَةِ عَلَى الْآخَرِينَ، فَلَوْ قَامَ كُلُّ مَنَّا بِوَجْهِهِ، وَعَرَفَ دَوْرَهُ وَرِسَالَتَهُ، وَتَعَاوَنَ مَعَ إِخْوَانِهِ- لَمْ يَجِدِ الْبَاطِلَ سَبِيلًا، وَلَمْ يَلْقَ الْفَسَادَ رَوَاجًا، وَلَكِنَّهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ؛ لِيَنْظَرَ مَنْ يَجِدُ وَيَعْمَلُ، مِمَّنْ يَتْرُكُ الْحَبَلَ عَلَى الْغَارِبِ

وَيُهْمِلُ، وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ
 غَيْرَةً عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَحِرْصًا عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ، وَغَضَبًا إِذَا انْتَهَكَتْ
 حُرْمَاتُ اللَّهِ؛ فَتَأَسَّوْا بِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - تَفْلِحُوا وَتَسْعُدُوا، ثُمَّ
 صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسَّرَّاجِ الْمُنِيرِ؛ كَمَا
 أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْمَوْلَى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



القِسْمُ السَّادِسُ

المجاهل



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَلَّ لَنَا الطَّيِّبَاتِ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا الْخَبَائِثَ، أَحْمَدُهُ
تَعَالَى حَمْدًا مُعْتَرِفٍ بِنِعَمِهِ، وَأَشْكُرُهُ جَلًّا وَعَلَا شُكْرًا مُقَرَّبًا بِمِنْنِهِ، وَأُنِّي
عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ؛ فَهُوَ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، وَمُسْتَحِقُّ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ لَنَا فِي الْحَلَالِ غُنْيَةً عَنِ
الْحَرَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرُ الْأَنْبَاءِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم
وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْبَرَّةِ الْكِرَامِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَأَشْكُرُوهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَأَغْنَاكُمْ
بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ الْغَرَاءُ، بِتَنْظِيمٍ شَامِلٍ لِجَمِيعِ
جَوَانِبِ الْحَيَاةِ، وَإِصْلَاحِ كَامِلٍ لِكُلِّ مُتَطَلِّبَاتِ النَّاسِ فِي شَتَّى شُئُونِهِمْ
الْفَرْدِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَنَظَّمَتِ لِلْعِبَادِ سُبُلَ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ، وَمُعَامَلَاتِهِمْ
مَعَ عِبَادِ اللَّهِ، كُلُّ ذَلِكَ فِي حُدُودِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ وَفِي إِطَارِ الْمُبَاحِ الْمَشْرُوعِ،
الَّذِي يَرْعَى الْحُقُوقَ، وَيَصُونُ الْمَصَالِحَ، وَيَدْرَأُ الْأَضْرَارَ وَالْمَفَاسِدَ،

وَيَحْفَظُ الدِّمَاءَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْأَمْوَالَ، فِي مَنْهَاجِ قَوِيمٍ، وَقِسْطَاسٍ مُسْتَقِيمٍ،
وَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ، وَهَدْيٍ يُقْتَدَى بِهِ.

وَكَمَا شَرَعَ الْإِسْلَامُ عَقِيدَةً صَحِيحَةً، وَعِبَادَاتٍ سَامِيَةً، تَصِلُ الْعَبْدَ
بِرَبِّهِ؛ يُؤَدِّيهَا عَلَى ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - كَذَلِكَ رَسَمَ لَهُمْ فِي مَجَالِ
الْمُعَامَلَاتِ - فِيمَا بَيْنَهُمْ - مِنْهَجًا سَلِيمًا عَدْلًا، تَحْكُمُهُ ضَوَابِطُ شَرْعِيَّةٌ،
وَشُرُوطٌ وَأَدَابٌ مُرْعِيَّةٌ، يَجِبُ اعْتِبَارُهَا وَالتَّزَامُهَا، وَالتَّعَامُلُ عَلَى مُقْتَضَى
حُدُودِهَا وَمَعَالِمِهَا؛ فَلَا فَوْضَى وَلَا ظَلْمَ وَلَا بَاطِلَ، وَلَا تَعَدِّي وَلَا غَضَبَ
وَلَا غِشَّ، وَلَا مُمَاطَلَةَ وَلَا غَرَرَ وَلَا غَبْنَ، وَلَا جَهَالََةً وَلَا خِيَانَةً، بَلْ إِنْصَافٌ
وَاحْتِرَامٌ، وَعَدْلٌ وَصِدْقٌ وَبَيَانٌ، وَمُرَاعَاةٌ لِحُقُوقِ الْآخَرِينَ.

يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِحِكْمَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء]، وَيَقُولُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ:
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا
مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة].

وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ الْعَظِيمَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ
عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ

هَذَا» (١)

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ مَالُ
أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ» (٢)، وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ
الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ
يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ
حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ
لِذَلِكَ؟!» (٣)

أَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسِيرَ فِي مُعَامَلَاتِهِ -
مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَإِيجَارٍ وَقَرْضٍ، وَارْتِهَانٍ وَتِجَارَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ - عَلَى وَفْقِ
شَرِيعَةِ اللَّهِ الْكَامِلَةِ، وَلَقَدْ ضَلَّ أَقْوَامٌ أَنْحَسَرَ مَفْهُومُ الدِّينِ الشَّامِلِ عِنْدَهُمْ،
فَقَصَرُوهُ عَلَى جَانِبِ الْعِبَادَاتِ، وَفَصَلُّوا الدِّينَ - جَهْلًا أَوْ إِعْرَاضًا - عَنِ
الْحَيَاةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ نُظْمٍ وَمُعَامَلَاتٍ، فَيَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ (٤) بِغَيْرِ حَقِّهِ،

(١) تقدم طرف منه (ص ٣٩).

(٢) رواه أحمد (٧٢/٥)، وأبو يعلى (١٥٧٠)؛ من حديث عم أبي حُرَّةِ الرَّقَاشِيِّ.

(٣) «صحيح مسلم» (١٠١٥).

(٤) أي: يتصرفون فيه بما لا يرضاه الله تعالى. «تاج العروس» (خوض).

وَلَا يُبَالُونَ بِمَا جَمَعُوهُ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟! فَالْحَلَالُ مَا حَلَ فِي
أَيْدِيهِمْ أَيَّامًا كَانَ مَصْدَرُهُ؛ لَا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الْمُعَامَلَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَاتِّبَاعِ
شَتَّى الْوَسَائِلِ وَالْحِيلِ الْمَمْنُوعَةِ، لِلْحُصُولِ عَلَى الْمَالِ عَبْرَ أَيِّ طَرِيقٍ! قَدْ
اسْتَوَلَى عَلَيْهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا، وَمَلَكَ شُغْرَهُمْ بَرِيقُ الْمَادَّةِ، وَفَتَنَهُمْ حُبُّ
الدَّرْهِمِ وَالذِّينَارِ، وَطَغَى عَلَيْهِمُ الْهُوسُ الْمَادِّيُّ، وَقَدْ يُضَيِّعُونَ دِينَهُمْ
بِعَرَضٍ قَلِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَدْ يَبِيْعُونَ دِينَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ وَدُنْيَا غَيْرِهِمْ - وَالْعِيَاذُ
بِاللَّهِ! - الرَّبَا وَسَيْلَتُهُمْ، وَالغِشُّ سَجِيَّتُهُمْ^(١)، وَالْخِيَانَةُ وَالْخَدِيعَةُ شِعَارُهُمْ
وَدَيْدُنُهُمْ^(٢)، وَالْأَيْمَانُ الْمُغْلَظَةُ مَرْكَبَتُهُمْ، وَالظُّلْمُ وَالتَّرْوِيرُ طَرِيقَتُهُمْ،
وَالْكَذِبُ وَالتَّدْلِيسُ مَطِيَّتُهُمْ، فِي سَبِيلِ الدُّنْيَا يَسْتَمِيتُونَ، وَلِلْحُصُولِ عَلَى
زِيَادَةِ الْمَالِ بِالْغَالِيِ وَالرَّخِيصِ يُضْحُونَ، لَا يُفَكَّرُونَ فِي الْعَوَاقِبِ، وَلَا
يَخَافُونَ مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ؛ لَا لِأَنْفُسِهِمْ يُحَاسِبُونَ، وَلَا بِالْمَوْتِ وَالرَّحِيلِ عَنِ
هَذِهِ الدُّنْيَا يَعْتَبِرُونَ، وَلَا لِلْآخِرَةِ وَالْحِسَابِ يَنْظُرُونَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء].

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ نَظَرًا لِأَهْمِيَّةِ الْمُعَامَلَاتِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ؛ لِمَا
تُمَثِّلُهُ مِنْ خَيْرٍ كَبِيرٍ فِي الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ، وَلِمَا لَهَا مِنْ صِلَةٍ مُبَاشِرَةٍ بِحَيَاةِ
النَّاسِ وَتَعَامُلِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلِغَلْبَةِ الْجَهْلِ عَلَى صُنُوفٍ كَثِيرٍ مِنَ

(١) السَّجِيَّةُ: الطَّبِيعَةُ وَالْخُلُقُ، وَالْجَمْعُ: سَجَايَا. «تاج العروس» (سجوا).

(٢) الدَّيْدَانُ وَالدَّيْدَانُ: الْعَادَةُ. «القاموس» (ددن).

النَّاسِ، وَقِلَّةِ الْعِلْمِ فِي أَحْكَامِ الْمُعَامَلَاتِ، وَلَا تَنَا نَعِيشُ فِي زَمَانٍ طَغَتْ فِيهِ الْمَادِّيَّاتُ، وَقَلَّ فِيهِ التَّوَرُّعُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ، فِي عَصْرِ أَصْبَحَ فِيهِ الْمَالُ غَايَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ حَتَّى فَسَدَتْ فِي سَبِيلِ جَمْعِهِ الذَّمُّ، وَضَعَفَ الْوَازِعُ الدِّيْنِيَّ وَالْأَخْلَاقِيَّ -: لِذَلِكَ كَانَ التَّبِيهُ وَالتَّذْكِيرُ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ مُهِمًّا جَدًّا، كَيْفَ لَا وَلِصِفَةِ التَّعَامُلِ أَثَرَهَا الْبَعِيدُ - إِنْ سَلَبًا أَوْ إِنْجَابًا - عَلَى الْفَرْدِ وَأُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ!؟

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ لَطِيبَ الْكَسْبِ أَثْرًا بِالْغَا عَلَى الْفَرْدِ فِي حُسْنِ سُلُوكِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِهِ، وَحَيَاةِ ضَمِيرِهِ، وَاسْتِنَارَةِ بَصِيرَتِهِ، وَصَلَاحِ أُسْرَتِهِ، وَقَبُولِ دُعَائِهِ، وَعَلَى الْمُجْتَمَعِ لِاسْتِبَابِ أُمُورِهِ، وَصَلَاحِ شُؤْنِهِ، وَاسْتِقَامَةِ أَفْرَادِهِ.

وَإِنَّ لِلْمُعَامَلَاتِ الْخَبِيثَةِ الْمُحَرَّمَةِ أَثْرًا سَيِّئًا وَشَوْمًا بِالْغَا عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ»^(١)، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، بِسَنَدٍ حَسَنِ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَلَا يَكْسِبُ

(١) السُّحْتُ: الْحَرَامُ الَّذِي لَا يَجِلُّ كَسْبُهُ. «النهاية» (سحت).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣ / ٣٢١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٦١٤)، وَابْنُ حِبَانَ (١٧٢٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (١٣٦/١٩)؛ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَيُنْفِقُ مِنْهُ؛ فَيُبَارِكُ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ؛ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ؛ إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَمْحُو السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ»^(١).

بِهَذَا تَعَلَّمُونَ - يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - أَنَّ الْكَسْبَ الْخَبِيثَ، وَالْمُعَامَلَاتِ الْمُحَرَّمَةَ، شَرٌّ وَبَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابٌ وَنَارٌ فِي الْآخِرَةِ - عِيَادًا بِاللَّهِ - كَيْفَ يَلِيقُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَسْمَعَ هَذَا الْوَعِيدَ، وَيَلْحَظَ هَذِهِ الْمَخَاطِرَ الْعَاجِلَةَ وَالْآجِلَةَ لِهَذَا النَّوعِ مِنَ التَّعَامُلِ، ثُمَّ لَا يُبَالِي بِكَسْبِهِ؟! إِنَّ هَذَا - كَمَا أَنَّهُ نَقْصٌ فِي الدِّينِ - فَهُوَ خَلَلٌ فِي الْإِدْرَاكِ وَالتَّمَكُّيرِ، وَإِيثَارٌ لِلْفَانِيَةِ عَلَى الْبَاقِيَةِ.

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ: أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ»^(٢).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، إِنَّا الْيَوْمَ لَفِي زَمَانٍ ارْتَفَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الرَّايَةُ، فَقَدْ كَثُرَتِ الْمُعَامَلَاتُ الْمُحَرَّمَةُ، وَانْتَشَرَتِ الْمَكَاسِبُ الْخَبِيثَةُ، وَصَارَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - هَدَاهُمُ اللَّهُ - يَأْخُذُ الْمَالَ بِطَرِيقِ الْغِشِّ فِي الْمُبَايَعَاتِ، وَالْخَدِيعَةِ

(١) «المسند» (١/٣٨٧)، و«شعب الإيمان» (٥٥٢٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٠٥٩).



فِي الْمُعَامَلَاتِ ، وَبَطْرِيقِ الْخِيَانَةِ فِيمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالٍ وَمَسْئُولِيَّاتٍ :

فَالْمَوْظَفُ الَّذِي يَتَسَاهَلُ فِي آدَاءِ عَمَلِهِ ، وَلَا يُنْجِزُ مُعَامَلَاتِ
الْمُسْلِمِينَ - خَائِنٌ فِي وَظِيفَتِهِ ، مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِأَكْلِ الْحَرَامِ عَنْ طَرِيقِ أَخْذِ
مُرْتَبِهِ مَعَ تَقْرِيطِهِ وَإِضَاعَتِهِ ، وَقَدْ لَا يَتَوَرَّعُ بَعْضُهُمْ عَنْ أَخْذِ الرِّشْوَةِ ؛ إِنْجَازًا
لِبَعْضِ الْمُعَامَلَاتِ ، وَفِي هَذَا غِشٌّ لِلْمُسْلِمِينَ وَخِيَانَةٌ لِأَوْلِي الْأَمْرِ .

وَالتَّاجِرُ الَّذِي يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا ، وَالْمُدَايِنَاتِ الْمُحَرَّمَةِ ، وَيَكْتُمُ الْعُيُوبَ
فِي السَّلْعِ ، وَيُوقِعُ الْمُشْتَرِيَ فِي الْغَبْنِ وَالْغَرْرِ ، وَيَبْخَسُ الْمَكَائِلَ وَالْمَوَازِينَ
وَالْمَقَائِيسَ ، أَوْ يُتَاجِرُ فِي أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ ؛ كَالآتِ اللَّهْوِ وَنَحْوِهَا ، وَالشَّرِكَاتِ
وَالْمُؤَسَّسَاتِ ، وَالْمُقَاوَلَاتِ وَالْمُنَاقَصَاتِ ، الَّتِي لَا يَتَوَرَّعُ أَصْحَابُهَا عَنْ
غِشِّ الْمُسْلِمِينَ وَخِيَانَتِهِمْ .

وَكَذَلِكَ مَنْ يَظْلِمُونَ الْأَجْرَاءَ وَالْعَامِلِينَ ، وَالْمُسْتَحْدِمِينَ عِنْدَهُمْ
بِمَطْلَبِهِمْ حُقُوقَهُمْ ، وَمَنْعِهِمْ مُرْتَبَاتِهِمْ ، وَمَنْ يَتَعَاطُونَ الرِّشْوَةَ وَالتَّزْوِيرَ ،
أَوْ مَنْ يَغْلُونَ^(١) فِي أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَتَصَرَّفُونَ فِيهَا هُوَ مِنَ الْمَرَافِقِ الْعَامَّةِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ يَتَعَامَلُونَ بِالْقِمَارِ وَالْمَيْسِرِ ، وَالْيَانِصِبِ وَالتَّائِمِنَاتِ
الْبَاطِلَةِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَتَعَامَلُونَ بِالْغَضَبِ وَالتَّعَدِّيِّ ، وَالتَّجَشِّهِ وَالتَّغْرِيرِ
وَالكُذْبِ ، سَوَاءً كَانَ عَلَى الْأَفْرَادِ أَمْ عَلَى الْجِهَاتِ وَالدَّوَائِرِ الرَّسْمِيَّةِ :

(١) يَغْلُونَ أَي: يَخُونُونَ، مِنَ الْغُلُولِ، وَهُوَ الْخِيَانَةُ فِي الْمَغْنَمِ . «اللسان» (غلل).

كُلُّ أَوْلِيَّكَ سَائِرُونَ فِي طَرِيقِ الْحَرَامِ، وَكُلُّ تِلْكَ جَرَائِمُ وَمَخَازٍ
يُنْدَى لَهَا الْجَبِينُ، وَيَتَوَقَّفُ اللِّسَانُ عَنْ تَعْدَادِهَا؛ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ، وَخَجَلًا
مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ أَمَانَةَ الْكَلِمَةِ تَقْتَضِي التَّنْبِيهَ عَلَى كُلِّ الْمَشْكَلاتِ
الْمَوْجُودَةِ فِي مُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِتَلَافِيهَا وَالبُعْدِ عَنْهَا، وَيَكْفِي الْكَيْسَ
زِيَارَةَ لِبَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَمَاكِنِ الْمَبِيعَاتِ، وَالْمَعَارِضِ لِلْمَأْكُولَاتِ
وَالْمَلْبُوسَاتِ، وَالسَّيَّارَاتِ وَالْأَرَاضِي وَالْعَقَارَاتِ، وَغَيْرِهَا، وَالإِطْلَاعَ عَلَى
شَيْءٍ مِمَّا تَقُومُ بِهِ بَعْضُ الشَّرِكَاتِ وَالْمُؤَسَّساتِ التَّجَارِيَّةِ وَنَحْوِهَا؛ لِيَرَى
بِأَمِّ عَيْنِهِ الْبَوْنَ الشَّاسِعَ بَيْنَ مَا يَجِبُ شَرْعًا، وَمَا يُوْجَدُ وَاقِعًا.

وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا يَجْرِي فِي دَوَائِرِ الْمَحَاكِمِ وَالْحُقُوقِ مِنَ الْخُصُومَاتِ
وَالْمُنَازَعَاتِ، عَلَى أُمُورٍ مَادِّيَّةٍ؛ فِي أَمْوَالٍ أَوْ عَقَارَاتٍ، أَوْ أَرَاضٍ أَوْ
مَزَارِعَ، أَوْ سُبُلٍ أَوْ نَحْوِهَا، كَانَ وَرَاءَهَا الطَّمَعُ الْمَادِّيُّ، وَالظُّلْمُ وَالتَّعَدِّيُّ
عَلَى حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

فِي أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي كَسْبِكُمْ، انظُرُوا مَاذَا
يَدْخُلُ إِلَى أَرْضِدَتِكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَمَا يَصِلُ إِلَى أَجْوَافِكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ.

وَيَا أَيُّهَا الْمُتَعَامِلُونَ بِالتَّجَارَةِ، الصَّدَقَ الصَّدَقَ مَعَ اللَّهِ وَمَعَ عِبَادِ
اللَّهِ، حَذَارٍ مِنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ وَخَدِيعَتِهِمْ، فَطُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ! وَيَا شَقَاوَةَ
مَنْ نَبَتَ لِحُمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالْمُحْرَمَاتِ! إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى مَنْ أَحَبَّ نَجَاتَهُ

أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَهُ الْأَجَلُ فَيَنْدَمَ عَلَى تَفْرِيطِهِ ؛ يَقُولُ ﷺ : «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ ؛ مِنْ مَالٍ ، أَوْ عَرْضٍ ، فَلْيَأْتِهِ فَلْيَسْحَلْهُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ؛ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ ، أَخَذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لِصَاحِبِهِ ؛ وَإِلَّا أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ ؛ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» (١) .

تَذَكَّرُوا- يَا أَزْيَابَ الْأَمْوَالِ- أِنَّ اللَّهَ سَائِلُكُمْ عَنْ كُلِّ أَمْوَالِكُمْ ، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ، فِي مَوْقِفٍ عَظِيمٍ تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ؛ فَإِنَّهُ : لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ ، وَمِنْهَا : عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْحَبْرُ ، عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ ؛ كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ ، وَغَيْرِهِ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- (٢) فَأَعَدُّوا لِلسُّؤَالِ جَوَابًا ، وَلِلْجَوَابِ صَوَابًا ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ سَتَّخِرَ سَهْمُ الْأَمْوَالِ الْمُحَرَّمَاتِ عَنِ الْإِجَابَةِ- وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ !- وَاللَّهُ نَسَأَلُ أَنْ يُغْنِيَنَا بِحَلَالِهِ عَنِ حَرَامِهِ ، وَيُكْفِينَا بِفَضْلِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَغْفِرُوهُ ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩ ، ٦٥٣٤) ، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٣٢٦) ؛ من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .
(٢) رواه الدارمي (٥٥٤) ، والترمذي (٢٤١٧) ، وأبويعلى (٧٤٣٤) .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً نَزَّجُوا بِهَا النَّجَاةَ يَوْمَ
يُبْعَثُ مَا فِي الْقُبُورِ، وَيَحْصَلُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَالزُّمُوا الطَّيِّبَاتِ الْمُبَارَكَةَ أَيًّا كَانَتْ، فَلَنْ يَقْبَلَ
اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَتَبَيَّنُوا فِي أُمُورِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَاسْأَلُوا عَمَّا أَشْكَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ أُمُورِ الْمُعَامَلَاتِ، وَاحذَرُوا الْمُشْتَبَهَاتِ؛ فَمَنْ وَقَعَ فِيهَا،
جَرَّتْهُ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ؛ يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ،
وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبَهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ
لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ»^(١).

وَتَحَلَّوْا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - بِالنِّزَاهَةِ وَالْأَمَانَةِ فِي قِيَامِكُمْ بِالْأَعْمَالِ

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)؛ من حديث النعمان بن بشير، رضي
الله عنه .

الوِظَيْفِيَّةِ وَالتَّجَارِيَّةِ؛ إِخْلَاصًا لِلَّهِ، وَنُصْحًا لِرِوَاةِ الْأَمْرِ الَّذِينَ اتَّمَنَوْكُمْ
 عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ؛ بِالْقِيَامِ بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَحْقِيقًا لِلتَّعَاوُنِ
 وَالْمَوَدَّةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَاعْلَمُوا: أَنَّ لِلْحَلَالِ بَرَكَهً لَكُمْ
 وَعَلَيْكُمْ وَعَلَى أَسْرِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَمُجْتَمَعِكُمْ بِأَسْرِهِ، وَتَذَكَّرُوا الْحِسَابَ
 عَنْ كُلِّ دِرْهَمٍ اِكْتَسَبْتُمُوهُ وَفِي أَيِّ طَرِيقٍ أَنْفَقْتُمُوهُ، فَمَنْ أَخَذَ الْأَجْرَ، سَأَلَهُ
 اللَّهُ عَنِ الْعَمَلِ، فَصِدْقًا صِدْقًا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - فِي مُعَامَلَاتِكُمْ، وَفِي كُلِّ
 أُمُورِكُمْ؛ تَسَعَّدُوا وَتَفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالتَّعْمَةِ
 الْمُسَدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ
 بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
 وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَشَرَعَ لَنَا أَكْمَلَ الشَّرَائِعِ وَأَفْضَلَ الْأَحْكَامِ، وَأَبَانَ لَنَا الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَجَعَلَ فِي الْحَلَالِ غُنِيَّةً عَنِ الْحَرَامِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْأَلُهُ التَّجَاوُزَ عَنِ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحَلَّ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَوْلِي الْفَضْلِ وَالثَّقَى، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَشْكُرُوهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَأَوْلَاكُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ دِينًا كَامِلًا، وَنِظَامًا شَامِلًا، عَمَّ بِإِصْلَاحِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، وَهَيَأُ بِتَنْظِيمِهِ أُمُورَ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، شَمِلَ مَرَافِقَ الْحَيَاةِ كُلَّهَا بَلْ وَمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَعُنِيَ بِتَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ، وَسَلَامَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْمُعَامَلَاتِ، لَمْ يَتْرِكْ نِظَامًا فِيهِ صَلَاحٌ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ إِلَّا جَاءَ

بِهِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ أَيًّا كَانَ نَوْعُهُ؛ وَازَنَ بَيْنَ عَالَمِي الرُّوحِ وَالْمَادَّةِ؛ فِي تَنَاسُقِ
 فَرِيدٍ، وَبِنَاءٍ مُحْكَمٍ لَمْ تَشْهَدِ الْبَشَرِيَّةُ لَهُ مَثِيلاً عَبْرَ التَّارِيخِ؛ أَلَا وَإِنَّ مِنْ
 الْأَنْظِمَةِ الْمُهِمَّةِ وَالْجَوَانِبِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي عُنِيَ بِهَا الْإِسْلَامُ أَيُّمَا عِنَايَةٍ:
 الْجَانِبَ الْاِقْتِصَادِيَّ فِي حَيَاةِ الْفَرْدِ وَالْأُمَّةِ؛ لِمَا لَهُ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ الْكُبْرَى فِي
 حَيَاةِ النَّاسِ وَوَأَقِعِهِمْ، وَفِي تَصَرُّفَاتِهِمُ الْمَالِيَّةِ وَتَعَامُلِهِمْ.

إِحْوَةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ أَقَامَ الْإِسْلَامُ نِظَامَهُ الْاِقْتِصَادِيَّ عَلَى قَاعِدَةِ
 الْإِيمَانِ وَأَسَاسِ الْعَقِيدَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ خَالِقُ الْكُونَ وَمَالِكُ الْمُلْكِ
 وَوَحْدَهُ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَالتَّشْرِيْعُ، وَأَنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ
 اسْتُخْلَفَ الْعِبَادَ فِيهِ؛ لِيَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، وَمَكَّنَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ
 وَالْمَعَايِشِ وَالْأَقْوَاتِ، ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا؛ لِيَرَى صِدْقَ تَعَامُلِهِمْ، وَأَبَاحَ لَهُمْ
 الْبَيْعَ وَالْاِتِّجَارَ؛ لِتَنْتَظِمَ أُمُورُهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ تَكَافُلًا وَتَسْخِيرًا،
 وَحِكْمَةً وَتَقْدِيرًا، وَرَحْمَةً وَتَدْبِيرًا.

وَلَقَدْ أَمَرَ الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يَسِيرُوا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى وَفْقِ مَنْهَجِ
 اللَّهِ، وَعَلَى ضَوْءِ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ مُرَاعَاةً لِلْمَبَادِيءِ الْاِئْمَانِيَّةِ، وَالضُّوَابِطِ
 الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَالْمُعَامَلَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ بَعِيدًا عَنِ الظُّلْمِ وَالتَّعَدِّيِّ، وَبِخُسِ
 النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ، وَابْتِرَازِ جُيُوبِهِمْ، وَامْتِصَاصِ دِمَائِهِمْ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ فِي نَظَرَتِهِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَسَطًا

بَيْنَ التُّظْمِ، وَعَدْلًا بَيْنَ الْمَبَادِيءِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ وَالِاشْتِرَاكِيَّةِ؛ فَقَاعِدَتُهُ
 إِيمَانِيَّةٌ، وَأَهْدَافُهُ إِسْلَامِيَّةٌ، وَرِسَالَتُهُ عَالَمِيَّةٌ، وَضُرُوبُهُ أَخْلَاقِيَّةٌ، وَنَزْعَتُهُ
 إِنْسَانِيَّةٌ أَخْوِيَّةٌ، وَوَجْهَتُهُ دِينِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَنَظْرَتُهُ وَاقِعِيَّةٌ إِصْلَاحِيَّةٌ، لَا تَحُدُّهُ
 إِلَّا حُدُودُ الشَّرِيعَةِ؛ رَاعَى الْمِلْكِيَّةَ الْفَرْدِيَّةَ، وَعَنَى بِمَصَالِحِ الْأَفْرَادِ إِلَى
 جَانِبِ مَصَالِحِ الْجَمَاعَةِ دُونَ إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ، وَبِلَا وَكْسٍ وَلَا شَطَطٍ؛
 بَحِيثٌ لَمْ يَجْعَلْ لِلْفَرْدِ طَرِيقًا لِلِإِثْرَاءِ وَالتَّضَحُّمِ وَالاخْتِكَارِ وَالتَّسَلُّطِ عَلَى
 حِسَابِ الْآخَرِينَ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَبْخَسْهُ حَقَّهُ^(١)، وَلَمْ يُلْغِ تَمَلُّكُهُ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ
 مَظْلُومًا فِي مُجْتَمَعٍ تَسْوَدُهُ حَرْبُ الطَّبَقَاتِ، وَيُدَاسُ فِيهِ الْأَفْرَادُ الْمُعْوَزُونَ^(٢)؛
 كَمَا هُوَ وَاقِعُ التُّظْمِ الْأَرْضِيَّةِ، وَالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ؛ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهَا وَالغَرْبِيَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَمِنْ أَهَمِّ مَلَاحِجِ النِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ الْإِسْلَامِيِّ
 وَمَحَاسِنِهِ: تَحْرِيمُهُ لِلرِّبَا، وَتَشْنِيعُهُ عَلَى الْمُرَابِّينَ؛ لِمَا لِلرِّبَا مِنْ آثَارٍ
 سَيِّئَةٍ، وَعَوَاقِبٍ وَخِيَمَةٍ، وَأَخْطَارٍ كَثِيرَةٍ، وَشُرُورٍ مُسْتَطِيرَةٍ، وَعُقُوبَاتٍ
 عَاجِلَةٍ وَآجِلَةٍ، وَأَضْرَارٍ بِالْغَةِ عَلَى حَيَاةِ الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، الرَّبَا كَبِيرَةٌ
 كُبْرَى، وَجَرِيمَةٌ شَنْعَاءُ، وَبَلِيَّةٌ عَظْمَى، مُحَرَّمٌ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ،
 وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، عَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ السَّبْعِ الْمَوْبِقَاتِ الْمُهْلِكَاتِ؛ كَمَا

(١) لَمْ يَبْخَسْهُ حَقَّهُ، أَي: لَمْ يَظْلَمْهُ بِنَقْصَانِ حَقِّهِ. «اللسان» (بخس).

(٢) الْمُعْوَزُونَ: الْفُقَرَاءُ الْمُعْدِمُونَ. «اللسان» (عوز).

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (١).

الرِّبَا مِنْ كَبْرِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَعْظَمِ الْفَوَاحِشِ، مُحَرَّمٌ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيظَلِمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (١٦٠) وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّ نُهْوًا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ ﴿[النساء: ١٦٠، ١٦١]، أَكَلَةُ الرِّبَا مُتَوَعَّدُونَ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مُهَدَّدُونَ بِالْعَذَابِ فِي النَّارِ وَبَسَّ الْقَرَارُ، الْمُرَابُونَ مُحَارِبُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ؛ يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة)، وَهَلْ يَجْرُؤُ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ - الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْقَوِيِّ الْمَتِينِ، الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - مَنْ لَهُ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلِ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ؟! مَنْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ، فَهُوَ الْخَاسِرُ الْمَهْزُومُ، فَرَحْمَاكَ إِلَهَنَا رُحْمَاكَ، وَاللَّهِمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!!

الْمُتَعَامِلُونَ بِالرِّبَا تَنْفِرُ مِنْهُمْ الْقُلُوبُ، وَيَنْبِذُهُمُ الْمُجْتَمَعُ؛ تَرَاهُمْ شَحِيحِينَ جَشِعِينَ، جَمُوعِينَ مُنُوعِينَ؛ الْمُرَابُونَ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﷺ؛ فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ، عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ الرِّبَا، وَمُوكَلَّهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ، وَقَالَ:

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢٤).

هُم سَوَاءٌ»^(١)، أي: سَوَاءٌ فِي الْإِثْمِ .

وَفِي الرَّبَا جُرْأَةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَمَخَالَفَةٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أَلْغَى مَسَالِكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِنْهَا الْمُعَامَلَاتُ الرَّبَوِيَّةُ؛ فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَصَعُهُ رَبَانَا: رَبَا الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»؛ كَمَا جَاءَ فِي خُطْبَةِ عَامِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، خَرَجَهَا مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

وَفِي الرَّبَا: خَرَابُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، فِي الرَّبَا: تَعْطِيلٌ لِمَصَالِحِ الْبَشَرِ، وَتَعْرِيفُ أَمْوَالِهِمْ لِلْخَطَرِ، فِي الرَّبَا: جَوْرٌ وَظُلْمٌ، وَبَغْيٌ وَتَسَلُّطٌ، بِهِ يُلْغَى الْمَعْرُوفُ، وَبِهِ يَنْعَدَمُ الْإِحْسَانُ، بِهِ تَذْهَبُ الْأَمْوَالُ، وَتُمْحَقُ الْبَرَكَاتُ؛ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة].

الْمُرَابِي عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ السَّعِيرِ، وَعَلَى طَرِيقِ هَلَكَةٍ وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ، الْمُرَابِي مُجْرِمٌ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَمُجْتَمَعِهِ وَأَمْنِهِ، مُبْغَضٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ عِبَادِ اللَّهِ.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، مَا ظَهَرَ الرَّبَا فِي أُمَّةٍ إِلَّا أَهْلَكَهَا، وَلَا فِي جَمَاعَةٍ إِلَّا دَمَّرَهَا، وَلَا فِشَا فِي أُمَّةٍ إِلَّا حَلَّ بِهَا الْفَقْرُ وَالْأَمْرَاضُ وَالظُّلْمُ، وَكَمْ

(١) «صحيح مسلم» (١٥٩٨).

(٢) تقدم طرف منه (ص ٣٩).

نَرَىٰ وَنَسْمَعُ مِنْ تَلْفِ الْأَمْوَالِ وَزَوَالِهَا؛ بَغْرَقٍ، أَوْ حَرَقٍ، أَوْ نَحْوِهِمَا مِنْ
 الْعُقُوبَاتِ الْعَاجِلَةِ! وَكَمْ نَقْرَأُ وَنُشَاهِدُ مَا تُفْرِزُهُ الْمُشْكِلَاتُ الْاِفْتِصَادِيَّةُ
 الْمُتَأَزِّمَةُ فِي الْعَالَمِ مِنْ تَرَائِكُمِ الدُّيُونِ الْهَائِلَةِ؛ جَرَاءَ الرَّبَا وَالتَّعَامُلِ بِهِ،
 ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [١٧٧] ﴿طه﴾!

اسْمَعُوا- رَحِمَكُمُ اللَّهُ- إِلَىٰ حَالَةِ الْمُرَابِئِنَ- وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- يَقُولُ اللَّهُ-
 عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
 الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]:

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَيُّ: لَا يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا
 يَقُومُ الَّذِي مَسَّهُ الشَّيْطَانُ وَصَرَعَهُ؛ كُلَّمَا قَامُوا، صُرِعُوا، وَكُلَّمَا أَرَادُوا
 التُّهُؤُصَ، سَقَطُوا؛ فَهُمُ كَالْمَجَانِينِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! (١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
 «لَمَّا أُسْرِيَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ بَطُونُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَطْنُهُ مِثْلُ
 الْبَيْتِ الضَّخْمِ، قَدْ مَالَتْ بِهِمْ بَطُونُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَبْرَحُوا؛ كُلَّمَا
 قَامُوا، مَالَتْ بِهِمْ بَطُونُهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيْلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ
 أَكَلَةُ الرَّبَا، لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» (٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/٨-١٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/٧٠٨).

(٢) رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتاب «الترغيب والترهيب» (١٣٧٣).



وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
 قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ بَطُونُهُمْ
 كَالْبَيْوتِ، فِيهَا الْحَيَاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بَطُونِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا
 جَبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرَّبِّ»^(١).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
 قَالَ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَاَنْطَلَقْنَا
 حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ، وَعَلَى وَسَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ
 حِجَارَةٌ؛ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، رَمَى الرَّجُلَ
 بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ، رَمَى فِي فِيهِ
 بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ:
 أَكَلُ الرَّبِّ»^(٢).

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهَ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الرَّبِّا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ
 يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ»^(٣) وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، إِذَا كَانَ هَذَا أَهْوَنَهَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ -
 فَكَيْفَ بِأَعْظَمِهَا؟! فَاللَّهُمَّ عَفْوِكَ وَعَافِيَتِكَ يَا اللَّهُ! .

(١) «المسند» (٢/٣٦٣)، وابن ماجه (٢٢٧٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٠٨٥).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٢٢٧٥)، و«المستدرک» (٢/٣٧)، و«شعب الإيمان» (٥٥١٩).



وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الرَّبَّاَ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ، وَقَالَ: «إِنَّ الدَّرْهَمَ يُصِيبُهُ الرَّجُلُ مِنْ الرَّبَّاَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْخَطِيئَةِ مِنْ سِتِّ وَثَلَاثِينَ زَنِيَةً يَزِينُهَا الرَّجُلُ»^(١).

اسْمَعُوا يَا مَنْ تَتَعَامَلُونَ بِالرَّبَّاَ، أَبْعَدَ هَذَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يُقَدِّمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ إِيمَانٌ عَلَى التَّعَامُلِ بِالرَّبَّاَ، وَهُوَ بِهَذِهِ الشَّنَاعَةِ وَالْفِطَاعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَعَمَى الْبَصَائِرِ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، أَلَا إِنَّ الرَّبَّاَ مِنْ أَعْظَمِ مَا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْمُعَاصِرَةَ؛ فَالْوَاجِبُ عَلَيَّ مَنْ أَرَادَ نَجَاتَهُ يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَحْذَرَهُ غَايَةَ الْحَذَرِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِمَا عَلَيْهِ الْمُتَسَاهِلُونَ الَّذِينَ غَرَّهُمْ حُبُّ الْمَالِ؛ يُقَاسُونَ أَتْعَابَهُ، وَيَتَحَمَّلُونَ حِسَابَهُ، وَيَصْلُونَ عَذَابَهُ!

تَذَكَّرُوا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - عُقُوبَةَ اللَّهِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ الْجَشَعُ وَالطَّمَعُ عَلَى الْمُعَامَلَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَاعْتَبِرُوا يَا أَوْلِيَّ الْأَبْصَارِ؛ ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبَّاَ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم].

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ - اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا التُّجَّارُ، اتَّقُوا اللَّهَ يَا أَرْيَابَ الْبُنُوكِ وَالْمَصَارِفِ، اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا، أَنْقِذُوا الْأُمَّةَ مِنْ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٢٣).

المُعَامَلَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ، لَا تُبْتَلِ الْأُمَّةُ بِالذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ وَالْهَزِيمَةِ بِشُؤْمِ تَعَامُلِكُمْ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ يَا مَنْ تَتْسَاهَلُونَ فِي إِطْلَاقِ الْأَحْكَامِ عَلَى بَعْضِ
المُعَامَلَاتِ؛ حَذَارِ أَنْ تُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ بِالتَّحَايِلِ عَلَى شَرَعِ اللَّهِ، وَالْأَخْذِ
بِالرُّخْصِ، وَالْأَقْوَالِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَرْجُوحَةِ، وَاحْرِصُوا عَلَى بَرَاءَةِ ذِمِّكُمْ
يَوْمَ تُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ. جَلَّ جَلَالُهُ.

إِنَّ مِنَ الْعَارِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَسْتَبَدُّوا فِي أُمُورِ مُعَامَلَاتِهِمْ
الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِّنِيِّ هُوَ خَيْرٌ، وَأَنْ يَسْتَمِرُّوا التَّعَامُلَ بِالْعَفَنِ الرَّبَّوِيِّ،
وَهُمْ أَرْبَابُ رِسَالَةِ الصَّلَاحِ، وَحَامِلُو رَايَاتِ الْإِصْلَاحِ لِلْبَشَرِيَّةِ، كَيْفَ
وَهُمْ يَرُونَ الْأَنْظِمَةَ الْوَضْعِيَّةَ تَنْهَارُ وَتَنْهَآوِي بَيْنَ الْفَيْئَةِ (١) وَالْأُخْرَى؟!
فَالْفُرْصَةُ فُرْصَةٌ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي عَرْضِ النِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ
الْيَوْمَ، وَسَيَحْظَى بِالنَّجَاحِ بِإِذْنِ اللَّهِ؛ كَيْفَ وَهُوَ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ!؟

وَتَذَكَّرُوا- أَيُّهَا الْمُتَعَامِلُونَ بِالرِّبَا- الْمَصْرَعِ الْوَحِيمِ لِلْمُرَابِينِ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَذَارِ أَنْ تَعْتَرُوا بِمَنْ يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا، سَتُسْأَلُونَ أَمَامَ اللَّهِ عَنِ
أَمْوَالِكُمْ: مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتُمُوهَا؟ وَفِيمَ أَنْفَقْتُمُوهَا؟ كَمَا وَرَدَ عَنِ الْمَعْصُومِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ التَّرْمِذِيِّ، وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ (٢).

(١) الفينة: الساعة والحين. «تاج العروس» (فين).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٢٥).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا رِبْوًا
 أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٦﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
 لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٧﴾ [آل عمران].

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ الْيَوْمَ الَّذِي تَقَرَّرَ فِيهِ أَعْيُنُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَتُشْفَى فِيهِ
 صُدُورُ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ بِانْتِشَاعِ سَحَابَةِ الرَّبَا الْقَاتِمَةِ عَنْ مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ،
 بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧]، وَمَا ذَلِكَ
 بِمُسْتَحِيلٍ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْعَيُورِينَ عَلَيْهِ، وَالْمُعْتَنِينَ بِالْاِقْتِصَادِ
 الْإِسْلَامِيِّ، وَالْعَامِلِينَ عَلَى وُجُودِ الْمَصَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى مُقْتَضَى
 التُّصُوصِ وَالْقَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ.

سَدَّدَ اللَّهُ الْخُطَا، وَنَفَعَ بِالْجُهُودِ، وَأَغْنَانَا بِحَلَالِهِ عَنِ حَرَامِهِ،
 وَبِفَضْلِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ
 ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْنَا الْخَبَائِثَ وَأَحَلَّ لَنَا الطَّيِّبَاتِ ، أَحْمَدُهُ
تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ ، فِي الْحَيَاةِ وَعِنْدَ الْمَمَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ، وَبِفَضْلِهِ تُكْفَرُ
الْخَطَايَا وَالسَّيِّئَاتُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، حَثَّ عَلَى أَكْلِ
الْحَلَالِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمُسْتَبْهَاتِ ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالْمَكْرَمَاتِ ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ .

أما بعد :

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتُ ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ عَالِمَ السِّرِّ
وَالْخَفِيَّاتِ ، وَالْمُطَّلِعَ عَلَى مَا تُكْتَنُهُ الضَّمَائِرُ وَتَرْتَوُونَ إِلَيْهِ الْمَقَاصِدُ وَالنِّيَّاتُ .
عِبَادَ اللَّهِ ، لَقَدْ شَاعَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ
صُورٌ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ الرَّبَوِيَّةِ الْمُحْرَمَةِ ، وَوَجِبُ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى
حَذَرٍ وَحَيْطَةٍ مِنَ الدُّخُولِ فِيهَا وَالتَّعَامُلِ بِهَا ، وَأَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ عَمَّا
يُشْكِلُ عَلَيْهِ مِنْهَا ، وَلَقَدْ انْتَشَرَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ الْمُحْرَمَةِ وَالْمُسْتَبْهَةِ ،
وَالْحِيلِ الْمَمْنُوعَةِ ، وَإِنَّ مِنَ التُّصْحِحِ لِدِينِ اللَّهِ وَلِعِبَادِ اللَّهِ : التَّنْبِيْهِ عَلَيْهَا حَتَّى
يَحْذَرَهَا النَّاسُ :

فَمِنْ صُورِ الْمَعَامَلَاتِ الرَّبَوِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ: الْقَرْضُ بِالْفَائِدَةِ؛ كَأَنْ يُقْرِضَ رَجُلٌ آخَرَ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ عَلَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ هَذَا الْمَبْلَغَ مَعَ زِيَادَةٍ مِثْوِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ.

وَمِنْهَا، الْإِيْدَاعُ بِالْفَائِدَةِ؛ كَمَا يُسْمَوْنَهَا.

وَمِنْهَا، مَا يَحْصُلُ عِنْدَ صَرْفِ الثُّقُودِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ؛ مِنْ عَدَمِ التَّقَابُضِ فِي الْمَجْلِسِ، وَمِنْ ذَلِكَ: مَا يَحْصُلُ فِي مَحَلَّاتِ الصِّيَاغَةِ وَالْحُلِيِّ وَالْمُجَوَهَرَاتِ؛ مِنْ بَيْعِهَا بِدَرَاهِمٍ، ثُمَّ يَحْصُلُ التَّفَرُّقُ قَبْلَ الْقَبْضِ.

وَمِنْهَا، بَيْعُ الْعَيْنَةِ الْمُحَرَّمِ^(١).

وَعَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، الَّتِي لَيْسَ هَذَا مَجَالَ بَسْطِهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، يَدًّا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ؛ خَرَّجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ^(٢).

(١) انظر: «المغني» (٦/٢٦١-٢٦٣)، و«الموسوعة الفقهية» (٩/٩٥-٩٧).

(٢) «صحيح مسلم» (١٥٨٧).

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَرَادَ، فَقَدْ أُرْبَى، الْآخِذُ وَالْمُعْطِي فِيهِ سَوَاءٌ» (١).

وَمِنْ صُورِ الْمَعَامَلَاتِ الْمُحَرَّمَةِ الْمُعَاصِرَةِ: مَا تَعَمَدُ إِلَيْهِ بَعْضُ الْبُنُوكِ وَالشَّرِكَاتِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الْمَالِيَّةِ، مِنْ الدَّعْوَةِ إِلَى الْمُسَاهَمَاتِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الرِّبَا وَالْمُشْتَبِهَاتِ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ الْحَذَرُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ عَظِيمٌ، وَالْخَطَرَ جَسِيمٌ.

وَالْبَدِيلُ عَنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنْ صُورِ التَّعَامُلِ الْحَلَالِ الْمُبَاحِ، وَالْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ مُجْتَمِعٌ مُحَبَّبٌ وَتَرَاحِمٌ، وَمَوَدَّةٌ وَتَكَافُلٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَکُمْ رُءُوسٌ أَمْوَالِکُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُم عَزَّ وَجَلَّ؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) «صحيح مسلم» (١٥٨٤/٨٢).

القِسْمُ السَّابِعُ

الْأَخْلَاقُ وَالسَّلَاكُ



الْأَمَانَةُ مَفْهُومُهَا، وَمَكَانَتُهَا، وَأَثَارُهَا



الخطبة للهوئي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ جَزِيلَ الْعَطَايَا
وَالهِبَاتِ، وَنَهَى سُبْحَانَهُ عَنِ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ وَسَائِرِ الْخِيَانَاتِ، وَأَوْعَدَ عَلَى
ذَلِكَ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَأَشَدَّ الْعُقُوبَاتِ، أَحَمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ
وَأَسْتَغْفِرُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الصَّادِقِينَ
الْأَمْنَاءَ؛ أَهْلَ الْبِرِّ وَالطُّهْرِ وَالْخَيْرِ وَالْوَفَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، الْمَوْصُوفُ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، رَغَبَ أُمَّتُهُ فِي
الْأَمَانَةِ، وَحَدَّرَهَا مِنَ الْخِيَانَةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَهْلِ
الطُّهْرِ وَالْأَمَانَةِ، وَصَحْبِهِ أَوْلِيَا الْفَضْلِ وَالْعَدَالَةِ، وَتَابِعِيهِمْ بِالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ
وَالدِّيَانَةِ، وَكُلِّ مَنْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ وَتَحَلَّى عَنِ الْخِيَانَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَتابع:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَعَلِّمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ

الهُدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ،
وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

يَا عِبَادَ اللَّهِ، يُرَبِّي الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ عَلَى خَيْرِ السَّجَايَا وَأَحْسَنِ
الْخِصَالِ، وَأَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْبَلِ الشَّمَائِلِ، وَيَتَرَقَّبُ مِنْ كُلِّ مُتَّبِعٍ لَهُ أَنْ
يَكُونَ ذَا نَفْسٍ عَزِيزَةٍ، وَقَلْبٍ حَيٍّ، وَضَمِيرٍ يَقِظٍ، تُصَانُ بِهِ الْحُقُوقُ، وَتُحْرَسُ
بِهِ الْأَعْمَالُ، وَتُحْفَظُ بِهِ الْمَسْئُولِيَّاتُ؛ وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ بِتَرْبِيَةٍ
أَهْلِي الْإِسْلَامِ عَلَى التِّزَامِ الْأَمَانَةِ، وَأَوْجَبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ نَزِيهًا
أَمِينًا يَتَحَلَّى بِلِبَاسِ الْعِفَّةِ وَالْأَمَانَةِ، وَيَتَخَلَّى عَنِ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الْأَمَانَةَ عَظِيمٌ قَدْرُهَا، كَبِيرٌ شَأْنُهَا فِي دِينِ اللَّهِ -
عَزَّ وَجَلَّ - وَلِذَلِكَ جَاءَ الْأَمْرُ بِتَحْقِيقِهَا وَرِعَايَتِهَا؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ
أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]،
وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:
٥٨]، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا
أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ مِنْ
أَعْظَمِ دَلَائِلِ الْإِيمَانِ وَأَهَمِّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ:
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، وَالآيَةُ الْعُظْمَى فِي شَأْنِ الْأَمَانَةِ، وَبَيَانِ



مَكَانَتِهَا، وَعِظَمُ مَنْزِلَتِهَا هِيَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا ﴾ [الأحزاب]، فَيَا لَهَا مِنْ آيَةٍ عَظِيمَةٍ تُبَيِّنُ حُطُورَةَ الْأَمْرِ وَعِظَمَ
الْمَسْئُولِيَّةِ؛ حَيْثُ أَشْفَقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْ حَمْلِ الْأَمَانَةِ،
وَحَافَتْ مِنْ عَوَاقِبِ حَمْلِهَا؛ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ
وَالنَّكَالِ!!

وَفِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ؛ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى
مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»^(١)؛ كَمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ: أَنَّ الْخِيَانَةَ فِي
الْأَمَانَةِ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢)، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ: مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا
دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»^(٣).

اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، عِبَادَ اللَّهِ، تَأَمَّلُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - حُطُورَةَ الْأَمْرِ
وَعِظَمَ الشَّأْنِ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمُهَمَّةِ الَّتِي يُنَوِّ بِحَمْلِهَا الضَّعَافُ الْمَهَازِبِلُ،

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٣)، و«صحيح مسلم» (٥٩)، بلفظ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا
حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ».

(٣) «المسند» (١٣٥/٣)، و«مسند أبي يعلى» (٢٨٦٣).

وَالظُّلْمَةُ الْمَجَاهِيلُ .

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِذَا عَرَفْنَا قَدْرَ الْأَمَانَةِ وَمَكَانَتَهَا فِي دِينِ اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - وَالتَّصَوُّصَ الْوَارِدَةَ فِيهَا، فَإِنَّهُ يَبْقَى جَانِبٌ مُهِمٌّ تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ لَدَى
كُلِّ مُسْلِمٍ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ جَهَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، أَلَا وَهُوَ «مَفْهُومُ الْأَمَانَةِ»؛
فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَامَّةِ يَقْضِرُ الْأَمَانَةَ فِي أَضْيَقِ مَعَانِيهَا، حَتَّى لَقَدْ انْحَسَرَ
مَفْهُومُهَا عِنْدَهُمْ فِي حِفْظِ الْوَدَائِعِ فَحَسَبُ، مَعَ أَنَّ حَقِيقَتَهَا فِي الْإِسْلَامِ
أَضْحَمُ وَأَثْقَلُ، وَمَفْهُومُهَا أَوْسَعُ وَأَشْمَلُ .

إِنَّ الْأَمَانَةَ - فِي شَرَعِ اللَّهِ - عَظِيمَةُ الْمَعْنَى، وَاسِعَةُ الدَّلَالَةِ، تَحْمِلُ
فِي طَيَّابَتِهَا مَعَانِيَ شَتَّى؛ يَجْمَعُهَا: سُعُورُ الْمُسْلِمِ بِتَبِعَاتِهِ، وَقِيَامُهُ بِمَسْئُولِيَّاتِهِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ يُوَكَّلُ إِلَيْهِ وَيُكَلَّفُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَيَقِينُهُ الْجَازِمُ:
أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَمَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِيَقُومَ بِكُلِّ مَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ
وَحُقُوقِ عِبَادِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ .

وَقَدْ اتَّفَقَتْ أَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَمَانَةِ فِي آيَةِ الْأَحْزَابِ (١):
جَمِيعُ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَمَنْ قَامَ بِهَا، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَاسْتَحَقَّ ثَوَابَ
اللَّهِ، وَمَنْ تَسَاهَلَ فِيهَا، فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْخِيَانَةِ وَمَا تَجَلَّبُهُ مِنْ سَخَطِ
وَعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

(١) الآية رقم (٧٢). وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٢/١٢٦).



أَمَّةَ الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ، إِنَّ أَعْظَمَ أَمَانَةٍ تَحَمَّلَهَا الْمُسْلِمُ أَمَانَةُ تَوْحِيدِ
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ، وَإِنَّ الشُّرْكَ بِهِ
سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ الظُّلْمِ وَأَشَدُّ الْخِيَانَةِ.

لُزُومُ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَمَنْهَجِ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَمَانَةٌ، وَالتَّحَبُّطُ
فِي طُرُقِ الْغَوَايَةِ وَالبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ خِيَانَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ؛ وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ
قَدْ قَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

تَحْكِيمُ شَرِيعَةِ اللهِ، وَالْحُكْمُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ: أَمَانَةٌ
عَظِيمَةٌ، وَتَحْكِيمُ غَيْرِ شَرَعِ اللهِ مِنْ قَوَائِنِ الْجَاهِلِيَّةِ: خِيَانَةٌ فَادِحَةٌ.

هَذَا فِي بَعْضِ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ وَالْمُتَابَعَةِ.

أَمَّا الْعِبَادَاتُ: فَهِيَ جَمِيعًا أَمَانَاتٌ فِي عُنُقِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ؛
فَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ، وَالغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ أَمَانَةٌ، وَالصَّلَاةُ أَمَانَةٌ، وَكَذَلِكَ الرِّكَاءُ
وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَغَيْرُهَا.

أُمُورُ السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ، مِنَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَالبِرِّ وَالصَّلَةِ، وَالْحِلْمِ
وَالصَّفْحِ، وَالْجُودِ وَالصَّبْرِ، وَالْحَيَاءِ وَالْإِحَاءِ: أَمَانَةٌ، وَضِدُّهَا؛ مِنَ الكَذِبِ
وَالغِشِّ، وَالْقَطِيعَةِ وَالجَهْلِ: خِيَانَةٌ، وَكَذَا الكِبَائِرُ وَالْمُحَرَّمَاتُ، وَسَائِرُ
الدُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي؛ مِنَ القَتْلِ وَالزَّنى، وَالسَّحْرِ وَالشُّعُودَةِ، وَالسَّرِقَةِ
وَالغَضَبِ وَالإِخْتِلَاسِ، وَالغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالبُهْتَانِ وَالْحَسَدِ، وَالبَغْضَاءِ

وَالْحِقْدِ وَالشَّخْنَاءِ : كُلُّهَا مِنْ ضُرُوبِ الْخِيَانَةِ .

الْمَعَامَلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ ؛ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ ، وَتِجَارَةٍ وَإِجَارَةٍ ، وَنَحْوِهَا :
مِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ الْأَمَانَةِ ؛ فَلَا يَجُوزُ فِيهَا النَّجْشُ وَالغِشُّ ، وَالتَّدْلِيْسُ
وَالتَّرْوِيْزُ وَكَتْمُ الْعُيُوبِ ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخِيَانَةِ .

الْوِظَائِفُ الْعَامَّةُ الَّتِي أُوتِمِنَ عَلَيْهَا الْمُوظَّفُونَ مِنْ قَبْلِ وِلَاةِ الْأَمْرِ :
أَمَانَاتُ فِي أَعْنَاقِ الْمُوظَّفِينَ ، يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهَا ، وَيَكُونُوا عِنْدَ
حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ ، أَمَانَةٌ وَكِفَاءَةٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَأَنْ يَقُومُوا بِهَا حَقَّ قِيَامٍ ؛ امْتِثَالًا
لَأَمْرِ اللَّهِ ، وَطَاعَةً لِرَسُولِهِ ﷺ ، وَنُصْحًا لِرِوَاةِ الْأَمْرِ ، وَقِيَامًا بِمَصَالِحِ
الْمُسْلِمِينَ ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُوظَّفُونَ - فِيمَا أُنِيطَ بِكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ ،
وَإِيَّاكُمْ وَالِاسْتِهَانَةَ بِحُقُوقِ عِبَادِ اللَّهِ ، وَالتَّسَاهُلَ وَالتَّسْوِيفَ فِي إِنْجَازِ
مُعَامَلَاتِهِمْ ، وَإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ أَمَامَ الْمُرَاجِعِينَ لِأُمُورٍ لَيْسَتْ مِنْ مَصَالِحِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَتِلْكَ مِنْ جَوَانِبِ الْغِشِّ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْخِيَانَةِ لِرِوَاةِ الْأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ .

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، الْعِلْمُ أَمَانَةٌ ؛ فَعَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْمُدْرِسِينَ وَطَلَبَةِ
الْعِلْمِ وَحَمَلَةِ الشَّهَادَاتِ الْعُلْيَا : أَنْ يُؤَدُّوا الْأَمَانَةَ الَّتِي فِي أَعْنَاقِهِمْ بِالْبَلَاغِ
وَالْبَيَانِ وَالتَّرْبِيَةِ ؛ حَتَّى يَعْصِيَ النَّفْعَ وَيَتَوَارَى الْجَهْلَ .

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْمَالُ الْحِسْبَةِ ، أَمَانَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي أَعْنَاقِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَالتَّقْصِيرُ فِيهَا مِنْ أَفْذَحِ الْخِيَانَةِ لِلْأُمَّةِ .

قَنَوَاتُ التَّوَجُّهِ وَالْفِكْرِ، وَالثَّقَافَةِ وَمَنَهِجِ التَّعْلِيمِ، وَمَا قَدَفَتْ بِهِ
الْمَدِينَةُ الْحَدِيثَةُ مِنْ قَنَوَاتِ الْإِتِّصَالِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ: أَمَانَةٌ فِي يَدِ مَنْ
أَوْثَمُوا عَلَيْهَا، يَجِبُ أَنْ تُسَخَّرَ لِحَدَمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

العُقُودُ وَالْمُنَاقَصَاتُ، وَمَشَارِيعُ الْمُؤَسَّسَاتِ وَالشَّرِكَاتِ، وَالْمَرَافِقُ
الْعَامَّةُ: أَمَانَةٌ عَظِيمَةٌ.

الْوَقْتُ وَالشَّبَابُ، وَالْقُوَّةُ وَالصِّحَّةُ وَالْقُتُوَّةُ: أَمَانَاتٌ يَجِبُ أَنْ
تُشْغَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

الجَوَارِحُ؛ مِنْ سَمْعٍ وَبَصَرٍ، وَفُؤَادٍ وَلِسَانٍ: أَمَانَاتٌ وَوَدَائِعُ عِنْدَ
الْمُسْلِمِ يَجِبُ أَنْ تُسَخَّرَ فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَنْ تُصَانَ عَنِ الْوَانَ
السَّمَاعِ الْمُحَرَّمِ، وَالنَّظَرِ الْمُحَرَّمِ، وَالْإِطْلَاعِ الْمُحَرَّمِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

العَلَاقَاتُ الزَّوْجِيَّةُ، وَالشُّنُونُ الْأُسْرِيَّةُ: أَمَانَةٌ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَأَفْرَادِ
الْأُسْرَةِ؛ فَلَا تُشَاعُ الْأَسْرَارُ، وَلَا تُذَاعُ الْأَخْبَارُ.

الْأَوْلَادُ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، يَجِبُ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى
تَرْبِيَّتِهِمْ وَتَنْشِئَتِهِمْ تَنْشِئَةً سَلِيمَةً، وَصِيَانَتِهِمْ عَنْ فُرْنَاءِ الشُّوءِ.

وَالكَلِمَةُ أَمَانَةٌ يَجِبُ أَنْ يَعْيَهَا حَمَلَةُ الْأَقْلَامِ، وَصُنَّاعُ الْحَرْفِ
وَالكَلِمَةِ، وَأَرْبَابُ الْمَنَابِرِ.

حُقُوقُ الْمَجَالِسِ، وَعَوْرَاتُ الْمُسْلِمِينَ وَأَسْرَارُهُمْ؛ كُلُّ ذَلِكَ أَمَانَةٌ؛
وَكَمْ مِنْ حِبَالٍ مَوَدَّةٍ تَقَطَّعَتْ، وَعَلَامَاتٍ صِدَاقَةٍ تَصَرَّمَتْ^(١)، وَمَصَالِحَ
تَعَطَّلَتْ؛ لِلْأَسْتِهَانَةِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَإِطْلَاقِ الْكَلَامِ عَلَى عَوَاهِنِهِ^(٢)!

الْمَرْأَةُ أَمَانَةٌ؛ حِجَابُهَا وَعَفَافُهَا وَحِشْمَتُهَا، وَبُعْدُهَا عَنِ الرَّجَالِ؛ أَمَانَةٌ،
وَكَذَا قَرَارُهَا فِي الْبَيْتِ وَقِوَامَةُ الرَّجُلِ عَلَيْهَا، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَمَانَةِ.

الْأَمْوَالُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ أَمَانَةٌ عِنْدَ مَنْ آفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، يَجِبُ أَنْ
يُصْرَفَهَا فِي حُقُوقِهَا الشَّرْعِيَّةِ.

وَهَكَذَا - إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - تَجَلَّى لَنَا مَفْهُومُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ،
وَلَا عَجَبَ أَنْ أَثْقَلَتْ كَاهِلَ الْوُجُودِ كُلِّهِ حَتَّى أَشْفَقَ مِنْ حَمْلِهَا^(٣)؛ فَلَا يَجُوزُ
لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَهَيِّنَ بِهَا، أَوْ يُفَرِّطَ فِي حَقِّهَا بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَعْنَى.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، إِنَّ مِقْيَاسَ حَضَارَةِ الْأُمَّمِ، وَمِعْيَارَ رُقِيِّهَا وَتَقَدُّمِهَا؛
إِنَّمَا هُوَ بِنِزَاهَةِ أَفْرَادِهَا، وَأَمَانَةِ أَبْنَائِهَا؛ فَلَا خَيْرَ فِي أُمَّةٍ سَادَتْهَا الْخِيَانَةُ،
وَاسْتَشْرَى فِيهَا الْفَسَادُ وَالْغَدْرُ، وَالْإِضَاعَةُ وَالْمَكْرُ، وَلَا تَزَالُ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ

(١) تَصَرَّمَتْ، أَي: تَقَطَّعَتْ. «اللسان» (صرم).

(٢) مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ قَوْلُهُمْ: «أَطْلَقَ الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِنِهِ» أَي: لَمْ يَتَدَبَّرْهُ، فَلَا يَزِيئُهُ وَلَا
يُخْطِئُهُ، وَقِيلَ: هُوَ إِذَا لَمْ يُبَالِ أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، وَقِيلَ: هُوَ إِذَا تَهَاوَنَ بِهِ، وَقِيلَ:
هُوَ إِذَا قَالَهُ مِنْ قَبِيحِهِ وَحَسَنِهِ. انظر: «مجمع الأمثال» (٣٠٨/١)، و«اللسان» (عهن).

(٣) أَشْفَقَ مِنْهُ، أَي: خَافَ مِنْهُ وَحَذَرَ. «اللسان» (شفق).

مَا دَامَتْ قَائِمَةٌ بِالْأَمَانَةِ، وَإِذَا اخْتَلَّ هَذَا الْأَمْرُ: تَصَدَّعَ بُنْيَانُهَا، وَاخْتَلَّ نِظَامُهَا، وَاسْتَشْرَى فِيهَا الْفَسَادُ بِجَمِيعِ جَوَانِبِهِ وَصُورِهِ.

إِنَّ الْأَمَانَةَ مَصْدَرُ الْفَلَاحِ، وَيَنْبُوعٌ^(١) الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، صَاحِبُهَا مَحْمُودٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ؛ مَا ارْتَفَعَتْ أُمَّةٌ إِلَّا بِهَا، وَلَا ازْدَهَرَتْ إِلَّا بِسَبَبِهَا، وَلَا رَاجَتْ بِضَاعَةٌ بِغَيْرِهَا، وَلَا صَلَحَتْ مُعَامَلَةٌ بِسِوَاهَا.

وَإِنَّ مَا تَعَانِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ؛ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالْفَسَادِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ - الْفَسَادِ الْإِدَارِيِّ، وَالْوِظَافِيِّ، وَالْمَالِيِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ - إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ تَقْصِيرِ أُمَّةٍ فِي الْأَمَانَةِ، وَمَا بُلِيَتْ أُمَّةٌ الْإِسْلَامِ بِأَشَدِّ مِنْ وُجُودِ الْخَوْنَةِ الظَّلْمَةِ، الْجَائِرِينَ الْجَهْلَةَ، الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحِرْمَانِهِمْ وَبِخْسِهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَيَلِيهِمْ مِنْ كِرَامَتِهِمْ وَاخْتِصَاصَاتِهِمْ الْمَادِّيَّةِ أَوِ الْمَعْنَوِيَّةِ.

فَجَدِيرُ بِنَا - أُمَّةُ الْإِسْلَامِ - أَنْ تَرْعَى الْأَمَانَةَ، وَأَنْ نَقُومَ بِهَا حَقَّ قِيَامٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كَفِيلٌ - بِإِذْنِ اللَّهِ - أَنْ يُحَقِّقَ السَّعَادَةَ لِلْمُجْتَمَعِ دُنْيَا وَأُخْرَى، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ لِلْقِيَامِ بِمَا أُنِيطَ بِهِمْ مِنْ أَمَانَاتٍ، وَمَا اضْطَلَعُوا بِهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ، إِنَّهُ جَوَادُّ كَرِيمٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

(١) الينبوع: عين الماء، وجمعه ينبوع. «اللسان» (نوع).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَمَانَاتِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ جَمِيعًا أَمْنَاؤُا لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ، كُلُّ فِي مَوْقِعِهِ وَفِيمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ أَمَامَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ هَذِهِ الْأَمَانَةِ، حَفِظْتُمْ أَمْ ضَيَّعْتُمْ؟ فَ«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١).

وَعَلَيْكُمْ بِإِقْتِفَاءِ آثَارِ سَلَفِكُمُ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - الَّذِينَ ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي حِفْظِ الْأَمَانَةِ؛ فَهَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ يُعْرِفُ عِنْدَ قَوْمِهِ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى يُوصَفُ بِالْقَوِيِّ الْأَمِينِ، وَيُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُنْعَتُ بِالْمَكِينِ الْأَمِينِ؛ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾ [يوسف]، وَأَثَرُ

(١) «صحيح البخاري» (٢٥٥٤)، و«صحيح مسلم» (١٨٢٩).

عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَوْلُهُ: «لَا يُعْجِبُكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَنْطَنَتُهُ، وَلَكِنْ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ، فَهُوَ الرَّجُلُ»^(١)، وَقَالَ عَلِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَدَاءُ الْأَمَانَةِ مِفْتَاحُ الرَّزْقِ».

وَلَكِنْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - قَدْ وَرَدَ أَنَّ الْأَمَانَةَ تُرْفَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ حُدَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي «الصَّحِيحِينَ»، فِي نَزُولِ الْأَمَانَةِ وَرَفْعِهَا، وَفِيهِ: ثُمَّ حَدَّثَنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ، فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتَقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ...» إِلَى قَوْلِهِ: «فَيَصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا»^(٢)، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا صُبِعَتِ الْأَمَانَةُ، فَاَنْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(٣).

فَلِنَسْتَقِ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلِنَحَافِظَ عَلَى هَذِهِ الْخَصْلَةِ الْعَظِيمَةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - أَمَارَةُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ لِلْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَسَبِيلُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الصَّادِقِ الْأَمِينِ؛ كَمَا أَمَرَكَ بِذَلِكَ مَوْلَاكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) «كنز العمال» للمتقي الهندي (٦٧٧/٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٩٧)، و«صحيح مسلم» (١٤٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٥٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.



الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، أَحْمَدُهُ تَعَالَى
وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَهَدَانَا، وَمِنْ جَزِيلِ نِعَمَائِهِ مَنْحَنَا وَأَعْطَانَا،
فَمِنْ دُونِ النَّاسِ خَصَّنَا وَاصْطَفَانَا، وَمِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ اخْتَارَنَا وَاجْتَبَانَا.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَلَأَ قُلُوبَ أَهْلِ الْإِيمَانِ
بِرًّا وَرَحْمَةً وَحَنَانًا، وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ تَفَضُّلاً مِنْهُ
وَامْتِنَانًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيْبِنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْرَفُ
الْمُرْسَلِينَ رِسَالَةً، وَأَفْضَلُ الْبَشَرِيَّةِ إِنْسَانًا، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ كِتَابًا وَقُرْآنًا،
شِفَاءً وَمَوْعِظَةً وَنُورًا وَفُرْقَانًا، وَهُدًى لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً وَبَيَانًا، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَنْعَمُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا،
وَعَلَى الْبِرِّ وَالْخَيْرِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ؛ لِنُحَقِّقَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - صَلَاحَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَةِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَعَلَى
الْآيَةِ الْمُتَوَافِرَةِ، وَمِنْهُ الْمُتَكَثِّرَةُ؛ فَكَمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ نِعَمٍ عَلَى

عِبَادِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ! فَمَنِ الَّذِي خَلَقَنَا إِلَّا اللَّهُ؟! وَمَنِ
الَّذِي رَزَقَنَا إِلَّا هُوَ عَزَّ وَجَلَّ؟! وَمَنِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالسَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
وَالْأَفْئِدَةِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِالْعُقُوبِ وَالْقُوَى إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ؟! ﴿ وَإِنْ نَعُدُّوْا
نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم]؛ لِذَلِكَ
كَانَ حَقُّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - أَعْظَمَ الْحُقُوقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فِي عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ
وَطَاعَتِهِ، لِإِلَهِ غَيْرِهِ وَلَا رَبِّ سِوَاهُ؛ وَشُكْرُ الْمُنْعِمِ وَاجِبٌ عَقْلًا وَنَفْلًا^(١)،
وَأَوَّلُ مُنْعِمٍ عَلَى الْعِبَادِ هُوَ اللَّهُ، جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ! .

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ وَإِنْعَامِهِ: حَقُّ الْوَالِدِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِذَا كَانَ لِلَّهِ
سُبْحَانَهُ نِعْمَةُ الْخَلْقِ وَالْإِيْجَادِ، فَلِلْوَالِدَيْنِ نِعْمَةُ التَّرْبِيَةِ وَالْإِيْلَادِ، وَالْعِنَايَةِ
بِشُؤْنِ الْإِبْنَاءِ وَالْأَوْلَادِ؛ لِذَلِكَ قَرَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ بِحَقِّهِ سُبْحَانَهُ،
وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِعِظَمِ حَقِّهِمَا وَكَرِيمِ فَضْلِهِمَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ وَوَصَّيْنَا
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ [لقمان] .

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣٣٣).

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «ثَلَاثُ آيَاتٍ مَقْرُونَاتٌ بِثَلَاثٍ، وَذَكَرَ مِنْهَا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان]؛ فَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ لَوَالِدَيْهِ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ».

وَكَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ بِشُكْرِهِ عَلَى إِنْعَامِهِ عَلَيْهِ بِخَلْقِهِ وَرِزْقِهِ وَتَدْيِيرِهِ: أَمْرَهُ بِشُكْرِ وَالِدَيْهِ؛ لِإِنْعَامِهِمَا عَلَيْهِ وَإِحْسَانِهِمَا إِلَيْهِ، وَلَا يُظَنُّ أَنَّ عَاقِلًا يَجْهَلُ إِحْسَانَ وَالِدَيْهِ عَلَيْهِ؛ فَمَنْ السَّبَبُ فِي وُجُودِ الْإِنْسَانِ؟! وَمَنْ الَّذِي اعْتَنَى بِهِ فِي مَرَاحِلِ عُمُرِهِ مُنْذُ أَنْ كَانَ نُطْفَةً إِلَى أَنْ أَصْبَحَ رَجُلًا، وَاهْتَمَّ بِهِ مُنْذُ أَصْلِ وُجُودِهِ وَحَمَلِهِ، وَوِلَادَتِهِ وَرِضَاعَتِهِ، وَفِصَالِهِ وَتَغْذِيَتِهِ، وَتَرْبِيَتِهِ وَتَنْشِئَتِهِ، إِلَى أَنْ أَصْبَحَ طِفْلًا ثُمَّ صَبِيًّا، ثُمَّ شَابًا يَافِعًا، ثُمَّ رَجُلًا جَلْدًا يَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّةَ؟! إِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ مَنْ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِبِرِّنَا وَإِحْسَانِنَا، إِنَّهُمْ الْوَالِدَانِ اللَّذَانِ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَافَأَتَهُمَا، وَلَا نَقْدِرُ عَلَى مُجَازَاتِهِمَا مَهْمَا عَمِلْنَا وَبَدَلْنَا، وَلَكِنْ نَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا: أَنْ يَجْزِيَهُمَا عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَأَنْ يُكَافِئَهُمَا خَيْرَ مَا كَفَأَ وَالِدًا عَنِ أَوْلَادِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا بِرَّهُمَا مَا حَيَيْنَا؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ!

أَتَى عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَجُلٌ، فَقَالَ: «أُمِّي عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ، أَنَا مَطِيئُهَا، أَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي، وَأُنْحِي عَلَيْهَا بِيَدِي، وَالْيَ مِنْهَا مِثْلَ مَا

كَانَتْ تَلِي مِنِّي ؛ أَوَأَدَيْتُ شُكْرَهَا؟ قَالَ : لَا ! قَالَ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
قَالَ : إِنَّكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا ، وَأَنْتَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُمِيتَهَا ، وَكَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ
بِكَ ، وَهِيَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُطِيلَ عُمُرَكَ»^(١) .

وَلَقِيَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - رَجُلًا فِي الْمَطَافِ يَحْمِلُ أُمَّهُ
عَلَى ظَهْرِهِ يَطُوفُ بِهَا ، فَقَالَ : «يَا ابْنَ عُمَرَ ، أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ : وَلَا
بِرَفْرَفَةٍ وَاحِدَةٍ!»^(٢) .

اللَّهُ أَكْبَرُ! مَا أَعْظَمَ الْحَقَّ ، وَمَا أَشَدَّ تَقْصِيرَ الْخَلْقِ! وَلَكِنْ نَسَأَلُ اللَّهَ
أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، كَمْ هِيَ شَدِيدَةُ تِلْكَ الْمُعَانَاةِ ، وَكَمْ هِيَ عَظِيمَةُ
صُورِ التَّضَحِيَّاتِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا الْأَبْوَانُ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِ أَبْنَائِهِمْ ، وَخُرُوجِهِمْ
إِلَى مُعْتَرِكِ الْحَيَاةِ! وَكَمْ يَتَعَبُ الْوَالِدَانِ! وَكَمْ يَبْذُلَانِ وَيُقَدِّمَانِ ، لِأَسِيْمَا
الْأُمِّ الْحَنُونِ ، تِلْكَ الْمُرِيْبِيَّةُ الْمُشْفِقَةُ ، قَالِبُ الْحَنَانِ وَالْعَطَاءِ الْمُتَدَقِّقُ
بِفَيْضِ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ ، عَطْفُهَا مِلءُ جَنَانِهَا ، الْأُمُّ الرَّءُومُ^(٣) الَّتِي
حَمَلَتْكَ بَيْنَ أَحْشَائِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ مَا تُعَانِيهِ مِنْ آلامِ الْوَحْمِ ،

(١) رواه ابن الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٢١) .

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١) ، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق»

(٢٣٥) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٢٦) .

(٣) الأم الرءوم: العاطفة على ولدها. «اللسان» (رأ م) .

وَتَقَلِ الْحَمْلِ، ثُمَّ لَا تَسْأَلِ عَمَّا تُكَابِدُهُ مِنَ آلامِ الْوَضْعِ، وَتُلَاقِيهِ مِنْ مَتَاعِبِ الْمَخَاضِ؛ ﴿حَمَلْتَهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتَهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، تُقَاسِي مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْآلَامِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، بَلْ إِنَّهَا لِتَشَاهِدُ الْمَوْتَ وَهِيَ تُعَالِجُ آلامَ الطَّلُقِ وَالْإِنْجَابِ، ثُمَّ مَتَاعِبَ الرِّضَاعَةِ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ، تَقُومُ بِهَا مُثْقَلَةً، وَتَقْعُدُ بِهَا مُتَمَلِّمَةً.

ثُمَّ هِيَ بَعْدَ ذَلِكَ تَجُوعُ لِتَشْبَعِ أَنْتَ، وَتَسْهَرُ لِتَنَامَ، وَتَتَعَبُ لِتَسْتَرِيحَ، كَمْ سَهَرَتِ اللَّيَالِي الطَّوِيلَةَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي! وَكَمْ تَجَرَّعَتِ الْآلَامُ؛ لِیُحَقِّقَ وَلِيدَهَا الْأَحْلَامَ! وَتَتْرُكُ كَثِيرًا مِمَّا تَشْتَهِيهِ؛ خَشْيَةَ ضَرَرٍ يَعْتَرِيهِ، فَهِيَ بِهِ رَحِيمَةٌ، وَعَلَيْهِ شَفِيقَةٌ حَمِيمَةٌ، إِنْ غَابَتْ عَنْهُ دَعَاهَا، وَإِنْ أَعْرَضَتْ عَنْهُ نَاجَاهَا، وَإِنْ أَصَابَهُ ضُرٌّ نَادَاهَا؛ بَلْ إِنَّهَا لِتُفَضِّلُ مَوْتَهَا لِحَيَاتِهِ، بَلْ تَتَمَنَّى أَنْ تَمُوتَ لِتَحْيَا أَنْتَ، وَتَشْقَى لِتَسْتَرِيحَ أَنْتَ، قَدْ كَانَ بَطْنُهَا لَكَ وَعَاءً، وَحِجْرُهَا لَكَ حِوَاءً، وَتُدْيِيهَا لَكَ سِقَاءً، وَتَوَدُّ لَوْ تَقَبَّلُ الْمَنِيَّةُ دُونَكَ فِدَاءً، وَكَمْ تُعَانِي مِنَ الْمَتَاعِبِ عِنْدَ الْفِصَالِ وَالْفِطَامِ، وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّنْشِئَةِ!

وَتَسْتَمِرُّ مَعَهَا الْمَتَاعِبُ حَتَّى بَعْدَ أَنْ تَشِبَّ أَنْتَ عَنِ الطُّوقِ^(١) وَتُضْبِحَ رَجُلًا وَزَوْجًا وَذَا أَوْلَادٍ، فَالْوَالِدَةُ دَائِمًا تَبْحَثُ عَنْكَ وَتَتَفَقَّدُ أَحْوَالَكَ، يَسُوءُهَا مَا يَسُوءُكَ، وَيُحْزِنُهَا مَا يُحْزِنُكَ، فَلِلَّهِ دَرُهْنٌ مِنْ أُمَّهَاتٍ مُشْفِقَاتٍ،

(١) الطُّوقُ: حُلِيِّ يُجْعَلُ لِلْعُنُقِ. «تاج العروس» (طوق).

وَمُرِّيَّاتِ رَفِيقَاتِ، وَوَالِدَاتِ حَانِيَاتِ رَقِيقَاتِ!! جَزَاهُنَّ اللهُ عَنَّا جَنَاتِ
عَرْضُهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ.

أَمَّا الْأَبُ الْعَالِي، وَالْوَالِدُ الْحَانِي: فَذَلِكَ الْمَوْجَهُ الْقِيَمُ، وَالْمُرَبِّي
الْفَاضِلُ، يَسْعَى وَيَجِدُ، وَيَكْدَحُ وَيَكْدُ، وَيُنْشِئُ وَيُنْفِقُ، وَيُرَبِّي وَيُشْفِقُ،
يَعْذُوكَ مَوْلُودًا، وَيَعُولُكَ يَافِعًا، إِذَا لَقِيكَ هَشًّا، وَإِذَا جِئْتَهُ بَشًّا، وَإِذَا
حَضَرَ أَقْعَدَكَ عَلَى حِجْرِهِ وَصَدْرِهِ، وَإِذَا خَرَجَ تَعَلَّقَتْ بِهِ، وَإِذَا غَبَتْ عَنْهُ
سَأَلَ عَنْكَ وَانْتَظَرَ مَجِيئَكَ، إِذَا رَأَكَ ابْتَسَمَ مُحِيَّاهُ وَبَرَقَتْ ثَنَائِيَاهُ، ثُمَّ كَمَّ
يَبْذُلُ لِتَعْلِيمِكَ وَتَنْشِئَتِكَ، وَتَغْذِيَتِكَ وَتَرْبِيَتِكَ! فَجَزَاهُ اللهُ مِنْ وَالِدِ كَرِيمٍ،
وَأَبِ رَحِيمٍ خَيْرِ الْجَزَاءِ وَأَعْظَمِ الْمَثُوبَةِ.

لِذَلِكَ: لَا عَجَبَ- أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- أَنْ تَكَرَّرَتِ الْوَصِيَّةُ فِي كِتَابِ اللهِ
فِي حَقِّ الْوَالِدَيْنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف:
١٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].

وَاللهُ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِنَّ لِلْوَالِدَيْنِ حَقًّا عَلَيْنَا بَعْدَ حَقِّ الْإِلَهِ فِي الْإِحْتِرَامِ
أَوْلَادَنَا وَرَبَّيَانَا صِغَارًا فَاسْتَحَقَّا نَهَايَةَ الْإِكْرَامِ
وَفِي مَشْكَاتِ الثُّبُوءِ يَأْتِي بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قَرِينًا لِلصَّلَاةِ عَمُودِ الْإِسْلَامِ؛
وَمُتَقَدِّمًا عَلَى الْجِهَادِ ذِرْوَةِ سِنَامِ الْإِسْلَامِ؛ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي
«صَحِيحَيْهِمَا»، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ:

أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ، قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ، قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١)؛ فَانظُرُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - كَيْفَ فَاقَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي مَعَامِعِ الْقِتَالِ وَمَشَاهِدِ الْوَعْيِ وَجَرَيَانِ الدَّمَاءِ؛ وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» - أَيْضًا - أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحْيِ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(٢).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، بِرُّ الْوَالِدَيْنِ فَرِيضَةٌ لَازِمَةٌ، وَفَضِيلَةٌ جَازِمَةٌ، وَجُوبُهَا حَتْمٌ، وَأَدَاؤُهَا عَزْمٌ، لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي التَّسَاهُلِ بِهَا، وَالتَّهَؤُنِ بِشَأْنِهَا؛ الدِّينُ وَالشَّرْعُ، وَالتَّنْقُلُ وَالْعَقْلُ، وَالْمُرُوءَةُ وَالرَّحْمَةُ، وَرَدُّ الْجَمِيلِ وَالْإِنْسَانِيَّةُ: رَوَافِدُ وَدَلَائِلُ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا وَأَدَائِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ.

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ: مِنْهُجُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَمَلُ الْكِرَامِ وَالصَّالِحِينَ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم]، وَيَقُولُ عَنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم].

وَالدُّعَاءُ لَهُمَا - أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا - دَأْبُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَمَيِّنِينَ؛ قَالَ اللَّهُ عَن

(١) «صحيح البخاري» (٥٢٧)، و«صحيح مسلم» (٨٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٠٠٤)، و«صحيح مسلم» (٢٥٤٩)؛ من حديث عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما.

نُوح - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح: ٢٨]، وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ^(١) وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم].

وَأَحَقُّ الْأَبْوِينَ بِالْبِرِّ الْأُمَّ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ مُكَابَدَتِهَا الْعَظِيمَةِ؛ فَنِي
«الصَّحِيحِينَ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:
«أُمَّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ»، قَالَ:
ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبُوكَ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ: «أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ
أُمَّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» ^(٢).

فِي أَيِّهَا الْأَبْنَاءُ، وَيَأْتِيهَا الْبَنَاتُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ،
بِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَأَنَّ
سَخَطَ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ.

وَإِنَّكَ لِتَأْسَفُ أَشَدَّ الْأَسْفِ مِنْ صُورٍ تَرَاهَا، أَوْ حَقَائِقَ تَسْمَعُهَا؛ مِنْ
تَسَاهُلِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ فِي بِرِّ وَالِدِيهِمْ؛ فَلَا تَقْدِيرَ وَلَا احْتِرَامَ، وَلَا سَمْعَ
وَلَا طَاعَةَ، وَلَا بِرَّ وَلَا أَدَبَ، بَلْ غِلْظَةٌ وَفِظَاظَةٌ، وَنَهْرٌ وَعُقُوقٌ؛ مِنْ النَّاسِ

(١) هذا الاستغفار من إبراهيم - عليه السلام - لوالديه؛ لكن استغفاره لأبيه كان قبل أن
يتبرأ منه لِمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ. انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥١٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٧١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٤٨).

مَنْ بَلَغَ حِسَّةً وَوَقَاحَةً، وَنَدَالَهَ وَصَفَاقَةً: أَنْ يَأْمُرَهُ أَبُوهُ أَوْ أُمُّهُ فَيَهْزَ كَتِفَيْهِ وَيَتِيَنِي عِطْفِيهِ وَيُدِيرَ ظَهْرَهُ، وَكَأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْنِيهِ، بَلْ قَدْ يَعْبَسُ وَجْهَهُ، وَيَقْطُبُ جَبِينَهُ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ، وَيُسِيءُ أَدَبَهُ، ضِدًّا أُمَّهُ أَوْ أَبِيهِ!! أَمَا عَلِمَ ذَلِكَ الْغَرُّ الْمَافُونُ: أَنَّ عَمَلَهُ هَذَا سَبَبٌ لِشِقَائِهِ؟! فَالْوَيْلُ لَهُ، ثُمَّ الْوَيْلُ لَهُ يَوْمَ عَرْضِهِ عَلَى مَوْلَاهُ!.

بَلْ مِنَ النَّاسِ: مَنْ وَصَلَ بِهِ الْحَالُ الْأَلَّا يَتَوَرَّعَ عَنْ رَفْعِ دَعْوَى قَضَائِيَّةٍ ضِدًّا أَبِيهِ فِي الْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ، أَوْ بَلَاحٍ وَشَكْوَى ضِدَّهُ فِي مَرَاكِزِ الشَّرْطَةِ أَوْ دُورِ الْحُقُوقِ وَنَحْوِهَا!! لِمَاذَا كُلُّ هَذَا؟! أَمِنْ أَجْلِ حَفَنَةِ مِنَ الْمَالِ أَوْ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ؟! حَتَّى انْتَشَرَتِ الْقَطِيعَةُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ حُطَامِ الدُّنْيَا، أَوْ شَيْءٍ فِي كَوَامِنِ النَّفُوسِ؛ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدِ مَرَّتْ أَشْهُرٌ - بَلْ سَنَوَاتٌ - وَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا أَبُوَيْهِ، أَوْ يُزْرَهُ أَوْ يَنْصِلَ بِهِ!!.

بَلْ لَقَدْ يَبْلُغُ الْحَالُ بَعْضِ أَهْلِ الْعُقُوقِ: أَنْ يَتْرَكَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ عِنْدَ كِبَرِهِمَا أَوْ مَرَضِهِمَا، فِي دُورِ الرَّعَايَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَمُرُّ الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ عَنْهُمَا شَيْئًا!! أَيْنَ الْإِيْمَانُ؟! وَأَيْنَ الْفَضِيلَةُ؟! وَأَيْنَ الْمُرُوءَةُ؟! بَلْ أَيْنَ الرَّحْمَةُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ؟! لَقَدْ قَلَبَ أَوْلِيكَ لِأَبَائِهِمْ ظَهَرَ الْمِجَنِّ (١)،

(١) الْمِجَنُّ: التُّرْسُ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «قَلَبَ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ»؛ يُضْرَبُ لِمَنْ كَانَ لِإِنْسَانٍ عَلَى مَوَدَّةٍ أَوْ رِعَايَةٍ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنِ الْعَهْدِ. انظر: «النهاية» (جنن)، و«مجمع الأمثال» (١٠١/٢).

وقابلوا الإحسان بالإساءة .

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرِكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ! (١)

وَمِنَ النَّاسِ: مَنْ إِذَا تَزَوَّجَ، نَسِيَ أَبَوَيْهِ، وَأَهْمَلَ شَأْنَهُمَا، مُتَشَغِلًا بِمَا لَدَيْهِ مِنْ جَدِيدٍ! وَكَمْ هِيَ صُورُ الْمُعَانَاةِ الَّتِي تُعَانِيهَا الْأُمَّهَاتُ مِنْ جَرَاءِ تَفْضِيلِ الزَّوْجَةِ عَلَى الْوَالِدَةِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ يَتَطَاوَلُ عَلَى أُمِّهِ فِي مَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنْ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ، أَلَا بَشَرٌ مَا صَنَعُوا!، وَتَبَّ لِمَا فَعَلُوا!! .

نَعَمْ؛ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْأَوْلَادُ - أَنْ تَرَعُوا حُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَعَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ - أَنْ تَكُونُوا عَوْنًا لِأَبْنَائِكُمْ فِي بِرِّكُمْ، وَأَلَّا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَأَلَّا تَتَدَخَّلُوا فِي خَصَائِصِ شُؤْنِهِمْ لِأَسِيْمَا بَعْدَ الزَّوْاجِ؛ لِمَا يُسَبِّبُ ذَلِكَ مِنْ حَلٍّ وَشَائِحٍ (٢) الصَّلَةِ، وَفَضْمٍ عُرًا (٣) الْمَحَبَّةِ وَالْوِتَامِ .

وَمِنَ النَّاسِ - لِقَلَّةِ فَهْمِهِ - مَنْ يَجْعَلُ بَرَّهُ وَإِحْسَانَهُ لِأَصْدِقَائِهِ وَزُمَلَانِهِ، فَيُطِيعُ زُمَلَاءَهُ وَيَبْرُأُ أَصْدِقَاءَهُ، وَيَعُوقُ أُمَّهُ وَيَجْفُو أَبَاهُ! بَلْ إِنَّكَ لَتَأْسَفُ حِينَ

(١) البيت لعمر بن معدى كرب الصحابي - رضي الله عنه - انظر: «ديوانه» (ص ١٠٧)، و«خزانة الأدب» (٦/٣٦١)، (١٠/٢١٠).

(٢) الوشائح: جمع وشيجة، وهي الرحم المشتبكة المتصلة. «لسان العرب» و«القاموس المحيط» (وشج).

(٣) العُرَا: جمع عُرْوَة، وهي ما يُسْتَمْسَكُ بِهِ وَيَعْتَصِمُ، وَفَضْمُهَا: قَطْعُهَا. «تاج العروس» (عرو) (فضم).

تَجِدُ مَنْ عَلَيْهِ مَظَاهِرُ الصَّلَاحِ وَالْإِنْشِغَالِ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ الدَّعْوَةِ وَلَا
يَجْعَلُ لِأَبْوَيْهِ حَظًّا مِنَ التَّقْدِيرِ وَالرَّعَايَةِ، وَالْبِرِّ وَالْعِنَايَةِ.

وَمَهْمَا كَانَ عَلَى الْأَبْوَيْنِ مِنْ تَقْصِيرٍ، فَبِرُّهُمْ وَاجِبٌ، وَالْإِحْسَانُ
إِلَيْهِمْ مُتَعَيِّنٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، وَفِي
«الصَّحِيحَيْنِ»، عَنْ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَىٰ أُمِّي
وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: إِنَّ
أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكَ»^(١)؛
فَكَيْفَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بِمَا دُونَ ذَلِكَ؟!

الْأَفَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْآبَاءُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا يُعَانِيهِ
بَعْضُكُمْ مِنْ صُورِ الْعُقُوقِ إِنَّمَا مَرَدُّهُ غَالِبًا إِلَى الْإِهْمَالِ فِي التَّرْبِيَةِ، وَمَا
يُوجَدُ مِنْ آثَارٍ لِذَلِكَ، فَتَيَجَّبُهَا قُصُورٌ فِي التَّشِيشَةِ السَّلِيمَةِ؛ فَالَّذِي
يُهْمِلُ أَبْنَاءَهُ وَلَا يَزْعَاهُمْ، كَيْفَ يُرِيدُ مِنْهُمْ بِرًّا؟! وَكَيْفَ يَجْنِي مِنَ
الشَّوْكِ الْعِنَبَ؟! وَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْأَبْنَاؤُ، وَبَادِرُوا لِلْبِرِّ بِوَالِدَيْكُمْ مَهْمَا
كَانَتْ الْأَحْوَالُ.

وَإِنَّ حَقًّا عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ مُقْصِرًا فِي حَقِّ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا،

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٢٠)، و«صحيح مسلم» (١٠٠٣).

أَنْ يُبَادِرَ مِنَ الْآنَ فَيَطْبَعَ قُبْلَةَ حَارَّةٍ عَلَى جَبِينِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ، وَيَنْدَمَ عَلَى مَا مَضَى، وَيَعْتَدِرَ عَمَّا سَلَفَ، وَحَقًّا عَلَى كُلِّ قَاطِعٍ أَنْ يَبْرَّ وَيَصِلَ، وَيُصْبِحَ وَيُمْسِيَ بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَإِنَّ عَلَى جَمِيعِ قَنَوَاتِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّوَجِيهِ - مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْبَيْتِ، وَالمَدْرَسَةِ وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ - أَنْ تُعْنَى بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ التَّرْبُويَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ الْمُهِمَّةِ، وَحَذَارِ أَنْ يُقْلَبَ الْمُجْتَمَعُ الإِسْلَامِيُّ - مُجْتَمَعُ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَافُلِ، وَالْبِرِّ وَالتَّوَاصُلِ - إِلَى مُجْتَمَعٍ مَادِّيٍّ لَا يُؤْمِنُ بِقِيَمٍ، وَلَا يَهْتَمُّ بِمَبَادِيءٍ، وَلَنَا مَوْعِظَةٌ وَعِظَةٌ فِيمَا نَرَى وَشَاهِدُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! .

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْبِرِّ وَأَدَاءِ الْحُقُوقِ، وَنَهَانَا عَنِ الْقَطِيعَةِ
وَالْعُقُوقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مَنْ يَطْمَعُ فِي
رِضَاهُ وَإِلَى جَنَّتِهِ يَتَوَقَّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ بَيْنَ
غُرُوبِ وَشُرُوقِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَدُّوا حَقَّهُ كَمَا أَمَرَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ كَمَا
أَمَرَ بِالْبِرِّ وَأَدَاءِ الْحُقُوقِ، نَهَاكُمْ عَنِ الْقَطِيعَةِ وَالْعُقُوقِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ كَبِيرَةً
مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ الْمُوجِبَةِ لِسُخْطِ الْجَبَّارِ، وَالْمُعْرَضَةِ لِعَذَابِ الْوَاحِدِ
الْقَهَّارِ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ،
قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ...»^(١) فَانظُرُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ -
كَيْفَ قَرَنَ الْعُقُوقَ بِالشَّرْكِ؛ عِيَاذًا بِاللَّهِ!؟

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ

(١) «صحيح البخاري» (٥٩٧٦)، و«صحيح مسلم» (٨٧).

النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ . . .»^(١)، وَفِيهِمَا،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
وَكَيفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ؛ فَيَسُبُّ أَبَاهُ،
وَيَسُبُّ أُمَّهُ؛ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(٢)، وَإِنَّكَ لَسَامِعٌ مِنْ ذَلِكَ فِي دُنْيَا النَّاسِ عَجَبًا! .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ ﷺ
قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبُوْنَهُ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ
كِلَيْهِمَا؛ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(٣)؛ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ - أَيْضًا - أَنَّ
مِنَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: «الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ»^(٤) .

أَلَا إِنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ - يَاعِبَادَ اللَّهِ - مُتَأَكَّدٌ فِي جَمِيعِ مَرَاكِلِ الْحَيَاةِ،
لَأَسِيْمًا عِنْدَ الْمَرَضِ وَالْكَبَرِ، بَلْ إِنَّهُ يَسْتَمِرُّ حَتَّى بَعْدَ الْوَفَاةِ؛ فَقَدْ رَوَى
الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، عَنْ أَبِي أُسَيْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٌ أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ
مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَادُ عَهْدِهِمَا

(١) «صحيح البخاري» (٢٤٠٨)، و«صحيح مسلم» (١٢/٥٩٣) «كتاب الأفضية» .

(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٧٣)، و«صحيح مسلم» (٩٠) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٥١) .

(٤) رواه أحمد (٦٩/٢)، والنسائي (٨٠/٥)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما .

مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدَيْقَيْهِمَا» (١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَالِدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ» (٢).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاللَّهَ اللَّهُ فِي الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْإِحْسَانِ، قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ! وَالتَّوْبَةَ التَّوْبَةَ، أَيُّهَا الْمُقْصِرُونَ فِي آدَاءِ الْحُقُوقِ، وَالْوَاقِعُونَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعُقُوقِ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ: يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ!

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنُّعْمَةِ الْمُسَدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ فِي عُلَاهُ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

(١) «المسند» (٣/٤٩٨)، و«سنن أبي داود» (٥١٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٢).



الخطبة لله والى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ الْأَنْفُسِ وَنَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ وَسَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ التَّائِحِي سِمَةً مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَا زِمًا مِنْ لَوَازِمِ صِحَّةِ الْإِيمَانِ، وَصَيَّرَ عِبَادَهُ بَعْدَ الْفُرْقَةِ كَأَشَدِّ وَأَقْوَى بُنْيَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ رُسُلِهِ، آخِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَعَى إِلَى التَّائِلِفِ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، فَجَمَعَ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأَغْنَى بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ^(١)، وَأَعَزَّ بِهِ بَعْدَ الدَّلَّةِ، فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالتَّهَارُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

(١) الْعَيْلَةُ: الفاقة والفقير. «اللسان» (عيل).

وَرَسُولُهُ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ [الأنفال].

عِبَادَ اللَّهِ، مِنَ الْمَبَادِيءِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَرْسَى دَعَائِمَهَا دِينُنَا الْحَنِيفُ
مَبْدَأُ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]،
وَإِذَا كَانَتِ الْأُخُوَّةُ بَيْنَ النَّاسِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ وَالْمَشَارِبِ، فَإِنَّ
أَوْثَقَهَا عُرْوَةٌ، وَأَحْكَمَهَا لُحْمَةٌ، وَأَقْوَاهَا رَابِطَةٌ، وَأَثْبَتَهَا مَوَدَّةٌ: أُخُوَّةُ
الدِّينِ الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ عُرَاهَا، وَلَا تَتَصَرَّمُ حِبَالُهَا، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْأَحْدَاثِ
وَالزَّمَانِ، وَلَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْقَوْمِ وَالْمَكَانِ، بَلْ تَجْمَعُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ
عَلَى تَبَاعُدِ الْأَقْطَارِ، وَتَنَائِي الدِّيَارِ، وَاخْتِلَافِ الْبِقَاعِ وَالْأَمْصَارِ، أُخُوَّةُ
أَسَاسُهَا الْعَقِيدَةُ وَالْإِيمَانُ، وَقَاعِدَتُهَا الدِّينُ الْخَالِصُ لِلْوَاحِدِ الدِّيَانِ،
وَهَذَا سِرُّ قُوَّتِهَا وَرُسُوخِهَا، وَتَأْلِيفِهَا بَيْنَ أُنْبَائِهَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبِهَا، وَتَكْوِينِهَا مِنْهُمْ وَحَدَّةً رَاسِخَةً الدَّعَائِمِ، مَتِينَةَ الْبِنَاءِ، لَا تَنَالُ
مِنْهَا الْعَوَاصِفُ الْهَوَاجِءُ؛ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ، وَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»، عَنْ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ
كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا - وَشَبَّكَ ﷺ أَصَابِعَهُ» (١)، وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ
التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ

(١) «صحيح البخاري» (٤٨١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٨٥).

المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١).

معشرا الإخوة، إن أخوة الإسلام هي روح الإيمان القوي، ولباب المشاعر الفياضة، والأحاسيس المزهفة التي يكتننها المسلم لإخوانه في العقيدة، حتى إنه ليحيا بهم، ويعيش معهم وفيهم، فكأنهم جميعا أغصان تفرعت من دوحه^(٢) واحدة، وانبثقت من أصل واحد، تضمحل^(٣) معه فوارق الأجناس والألوان، وتتوارى من خلاله التمييزات العرقية، وتموت العصبيات القومية، والفوارق الجنسية؛ لتبقى القاعدة الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي العالمي، الذي تضمه أصرة خاصة، وتطله راية واحدة لا ثاني لها، إنها راية الإيمان، وأصرة الأخوة في الإسلام؛ يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات].

إخوة الإسلام، في المجتمع الإسلامي القائم على عقيدة الإيمان، والملتقى على شعائر الإسلام - يقوم إزاء العقيدة مقام إزاء النسب، وتحل رابطة الإيمان محل الروابط المادية، والمصالح الشخصية،

(١) «صحيح البخاري» (٦٠١١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٨٦).

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة، والجمع: دوح. «اللسان» (دوح).

(٣) اضمحل الشيء، أي: ذهب. «اللسان» (ضمحل)، و«تاج العروس» (ضمحل).

والمطامع الذاتية؛ فيه يحبُّ المسلمُ لإخوانه المسلمين ما يحبُّ لنفسه؛
يَحْزَنُ لِحُزْنِهِمْ، وَيَفْرَحُ لِفَرَحِهِمْ، وَيُسَاطِرُهُمْ أَفْرَاحَهُمْ وَأَتْرَاحَهُمْ^(١)،
وَيُشَارِكُهُمْ آلامَهُمْ؛ ولهذا قضى الإسلامُ على مظاهر الأثرة الظالمة
والأنانية الباغية؛ لأنها نزعةٌ بغيضةٌ، وآفةٌ كريهةٌ، حارَبَهَا الإسلامُ، وأحلَّ
مكانها الإخاءَ والمودَّةَ.

والتأخرُّفُ في تأريخِ هذه الأمة: يُدْرِكُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأُمَّةِ الإِسْلَامِ أَنْ
تَجْتَمِعَ لَهَا كَلِمَةٌ، أَوْ يَتَوَحَّدَ لَهَا صَفٌّ، أَوْ تَرْتَفِعَ لَهَا رَايَةٌ، أَوْ تَقُومَ لَهَا
دَوْلَةٌ، أَوْ يَرْهَبَ مِنْهَا عَدُوٌّ - إِلَّا بِتَأْخِيهَا فِيمَا بَيْنَهَا إِخَاءَ عَظِيمًا لَا مَثِيلَ لَهُ
فِي تَأْرِيخِ الأُمَمِ، إِخَاءٌ يُمَثِّلُ قُوَّةَ رَاسِخَةٍ قَامَ عَلَيْهَا أَسَاسُ أُمَّةٍ عَزِيزَةٍ
صَابِرَةٍ، قُوَّةٍ قَاهِرَةٍ، رَدَّتِ الهَجَمَاتِ الكَاسِحَةَ، وَالْحَمَلَاتِ الغَاشِمَةَ،
وَالاعْتِدَاءَاتِ الجَائِرَةَ، وَخَرَجَتْ بَعْدَ الصَّرَاحِ مَعَ خُصُومِهَا مَرْهُوبَةً
الجَانِبِ، رَفِيعَةَ العِمَادِ، وَطَيِّدَةَ الأَرْكَانِ.

أُمَّةُ الوَحْدَةِ وَالإِخَاءِ، فِي تَأْرِيخِنَا - نَحْنُ المُسْلِمِينَ - نَمَازُجُ
عَظِيمَةٌ، وَمَظَاهِرُ فَرِيدَةٌ لِقُوَّةِ التَّلَاحُمِ وَالتَّأْخِي بَيْنَ أُنْبَاءِ الإِسْلَامِ، أَشْهَرُهَا
مُؤَاخَاةُ المُصْطَفَى ﷺ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ^(٢) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -

(١) الأتراحُ: جمع تَرَحٍ، وهو ضد الفَرَحِ. «النهاية» (ترح).

(٢) انظر مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في «السيرة النبوية» لابن هشام
. (٥٠٤/٢).

فَكَانَ لِكُلِّ أَنْصَارِيٍّ أَخٌ لَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ؛ حَتَّىٰ إِنْ الْأَنْصَارِيَّ لَيَذْهَبُ
بِأَخِيهِ الْمُهَاجِرِ إِلَىٰ بَيْتِهِ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ قِسْمَةَ كُلِّ شَيْءٍ فِي بَيْتِهِ مِنْ مَالٍ أَوْ
مَتَاعٍ، وَيُشَارِكُهُ حَيَاتَهُ سَرَّاءَهَا وَضَرَاءَهَا؛ فَأَيُّ إِخَاءٍ فِي الدُّنْيَا يَعْدِلُ هَذَا
الإِخَاءَ الْإِسْلَامِيَّ؟! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ثُمَّ مَاذَا حَدَّثَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - بَعْدَ أَنْ أَحْكَمَتِ الْمَادَّةُ سَيِّطَرَتَهَا
عَلَىٰ قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَلْقَتِ الْمَدِينَةُ الرَّائِفَةَ ثِقَلَهَا فِي كَثِيرٍ
مِنَ الْبِقَاعِ، وَتَجَاوَزَتِ الدُّنْيَا الْأَيْدِيَّ إِلَىٰ الْقُلُوبِ -: وَافَقَ ذَلِكَ ضَعْفُ فِي
الإِيمَانِ، وَخَلَلٌ فِي التَّرْبِيَةِ، وَانْسِيَاقٌ وَرَاءَ الْمَلذَّاتِ وَالْمَادِيَّاتِ؛ فَضَعْفُ
التَّحَكُّمِ أَمَامَ الْمُؤَثِّرَاتِ وَالتَّحْدِيَّاتِ؛ حَدَثَ جَرَاءَ ذَلِكَ تَوَثُّرٌ فِي الْعَلَاقَاتِ
الاجْتِمَاعِيَّةِ - لِأَتْفِهِ الْأَسْبَابِ - بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، حَتَّىٰ الْأَقْرَبِينَ نَسَبًا
وَمُصَاهِرَةً، وَرَحِمًا وَمُجَاوِرَةً؛ فَسَادَتِ الْخُصُومَاتُ، وَكَثُرَتِ الْمُنَازَعَاتُ،
وَعَلَبَ الْجَفَاءُ، وَاسْتَحْكَمَتِ الْقَطِيعَةُ؛ فَأَذْهَبَتِ الْوُدَّ وَالصَّفَاءَ، وَأَدَّى
ذَلِكَ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْمُرَافَعَاتِ، وَعَمَّتِ الْأَثْرَةُ وَالْأَنَانِيَّةُ وَحُبُّ الذَّاتِ .

مِنْ مَظَاهِيرِ ذَلِكَ - وَلَوْ عَجِبْتُمْ -: أَلْوَانُ مِنَ التَّعَامُلِ تَعَجُّ بِهَا السَّاحَةُ
الاجْتِمَاعِيَّةُ، تُعَدُّ مِنْ إِفْرَازَاتِ ضَعْفِ الإِخَاءِ الْإِسْلَامِيِّ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ،
بَلْ حَتَّىٰ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ، وَمِنْ صُورِ ذَلِكَ: أَخٌ تَحْصُلُ لَهُ مَعَ

أَخِيهِ - ابْنِ أُمِّهِ وَأَبِيهِ - خِلَافَاتُ يَسِيرَةٍ عَلَى شَيْءٍ قَلِيلٍ مِنْ حُطَامِ هَذِهِ الدُّنْيَا
 الْفَانِيَةِ، فَتَتَعَقَّدُ الْقَضِيَّةُ وَتَتَضَخَّمُ الْمُشْكَلَةُ، وَيَعِجْزُ أَهْلُ الْإِصْلَاحِ، وَيَأْبَى
 كُلُّ وَاحِدٍ إِلَّا التَّرَدُّدَ عَلَى الْمَحَاكِمِ، وَدُورِ الْقَضَاءِ، وَمَرَكَزِ الشَّرْطَةِ؛
 لِلإِنْتِقَامِ مِنْ أَخِيهِ، مِنْ أَجْلِ حَفَنَةِ مَالٍ، أَوْ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ
 لَمْ يَلِقِ السَّلَامَ عَلَى أَخِيهِ مِنْذُ أَشْهُرٍ بَلْ سَنَوَاتٍ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ عِبَادَ اللَّهِ!!

لِمَا ذَاكُلْ هَذَا؟ أَخُ يَشْتَكِي أَخَاهُ!!

أَخْرَلَهُمْ يَقِفُ عَلَى بَيْتِ عَمِّهِ وَلَا خَالَهِ، وَلَا ابْنَ عَمِّهِ وَلَا ابْنَ خَالِهِ،
 لِيُزَارِيَهُمْ، بَلْ وَحَتَّى لَمْ يَكْلَفْ نَفْسَهُ رَفْعَ سَمَاعَةِ الْهَاتِفِ لِلإِتِّصَالِ بِهِمْ مِنْذُ
 سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ مِنْ أَجْلِ مُشَادَّةٍ كَلَامِيَّةٍ!

صَدِيقٌ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَزَمِيلٌ عَزِيزٌ كَرِيمٌ، نَصَحَبُهُ السَّنَوَاتِ الْعَدِيدَةَ
 فِي صَفَاءٍ وَوِثَامٍ، فَتَحَدَّثُ هَفْوَةً، أَوْ تَحْصُلُ زَلَّةٌ وَجَفْوَةٌ، فَتَنْفَصِمُ عُرَا
 الْمَحَبَّةِ، وَتَتَصَرَّمُ جِبَالُ الْمَوَدَّةِ، وَتَتَحَوَّلُ إِلَى ضِعَائِنِ وَأَحْقَادٍ وَظُنُونٍ سَيِّئَةٍ! .

جَارٌ مُلَاصِقٌ، جِدَارُهُ بِجِدَارِكَ، تُحِبُّهُ وَيُحِبُّكَ، تَزُورُهُ وَيُزُورُكَ،
 فَيَنْخَاصِمُ الْأَطْفَالَ - كَعَادَتِهِمْ - فَتَغْضَبُ الْأُمَّهَاتُ، وَتَعْلُو الصَّيْحَاتُ،
 وَيَتَدَخَّلُ الْأَبَاءُ الْعُقَلَاءُ، فَتَنْشَبُ بَيْنَهُمْ مَعْرَكَةٌ حَامِيَّةٌ، هُجْرٌ فِي الْقَوْلِ (١)،
 وَتَشَابُكٌ بِالْأَيْدِي، وَتَتَدَخَّلُ الْجِهَاتُ الْمَسْئُولَةُ، وَتُصْبِحُ نَتِيجَةُ ذَلِكَ

(١) الهُجْرُ فِي الْقَوْلِ: الْقَبِيحُ مِنَ الْكَلَامِ. انظر: «اللسان» (هجر).

قَطِيعَةً دَائِمَةً، وَجَفَاءً مُسْتَمِرًّا، وَتَشْهِيرًا بِالْمَجَالِسِ، بَلْ يَدْفَعُ ذَلِكَ إِلَى
الْإِنْتِقَالِ وَالْإِنْتِقَامِ.

فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! أَهَذِهِ الْأُمَّةُ الْوَاحِدَةُ؟! أَهَذِهِ تَعَالِيمُ الْأُحْوَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّادِقَةِ؟! كَفَى - يَا عِبَادَ اللَّهِ - تَشَاحُنًا وَهَجْرًا، حَذَارٍ أَنْ يُنْجَحَ
الشَّيْطَانُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَكُمْ^(١)، اضْطَلِحُوا أَيُّهَا الْمُتَشَاحِنُونَ، وَتَوَاصَلُوا
أَيُّهَا الْمُتَقَاطِعُونَ؛ فَإِنَّ سُؤْمَ التَّشَاحِنِ وَالْقَطِيعَةِ عَظِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛
أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَهُ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ،
يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»
أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -^(٢)
وَقَوْلَهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنْصُرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»^(٣)، وَقَوْلَهُ: «تُعْرِضُ الْأَعْمَالُ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، يَقُولُ: دَعُوا هَٰذَيْنِ حَتَّى يَضْطَلِحَا»؛ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ،
وَغَيْرُهُ؛ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤).

(١) التحريش بين القوم: الإفساد بينهم، وإغراء بعضهم ببعض «اللسان» (حرش).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٠٧٧)، و«صحيح مسلم» (٢٥٦٠).

(٣) «صحيح البخاري» (٢٤٤٣).

(٤) رواه الطيالسي (٢٥٢٥)، وأحمد (٢/٢٦٨)، ومسلم (٢٥٦٥).

وَعَلَى صَعِيدِ آخِرٍ - أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ - مَا مَدَى إِسْهَامِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي تَحْقِيقِ الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؟! بِمَعْنَى: مَنْ مِنَّا نَظَرَ فِي حَالِ إِخْوَانِهِ، وَأَوْضَاعِ جِيرَانِهِ، لَأَسِيْمًا مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، وَالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ وَالْحَاجَةِ؛ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ مَالٍ أَوْ غِذَاءٍ أَوْ كِسَاءٍ فَلْيُنْفِثْ عَنْ إِخْوَانِهِ الْمُحْتَاجِينَ، وَمَا أَكْثَرُهُمْ! فَإِنَّ ذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِلتَّكَافُلِ، وَغَرْسٌ لِلْمَحَبَّةِ؛ وَذَلِكَ يَحْتَلُّ الْقَدْرَ الْكَبِيرَ مِنَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، أَمَّا الَّذِينَ يَتَقَلَّبُونَ فِي نِعَمِ اللَّهِ، وَعَلَى بُعْدِ أَمْتَارٍ مِنْهُمْ إِخْوَةٌ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ يَتَصَوَّرُونَ جُوعًا^(١)، فَلَمْ يُحَقِّقُوا هَذَا الْمَبْدَأَ الْعَظِيمَ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَحِينَ نَذَكَّرُ بِوَجِبِ الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّا لَا نَسَى إِخْوَةَ لَنَا فِي الْعَقِيدَةِ، فِي بَقَاعِ كَثِيرَةٍ مِنْ عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ، لَهُمْ عَلَيْنَا وَاجِبُ الدَّعْمِ وَالْمُؤَازَرَةِ، وَالِدُّعَاءِ وَالْبَدْلِ وَالْمُنَاصَرَةِ، وَيَأْتِي فِي مُقَدِّمَةِ هَؤُلَاءِ: الشُّعُوبُ الْمُجَاهِدَةُ الصَّابِرَةُ، وَالْأَقْلِيَّاتُ الْمُسْلِمَةُ الْمُضْطَهَدَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

فَأَقُولُ لِلَّذِينَ جَفَّتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْبَدْلِ، وَتَوَقَّفَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الدُّعَاءِ لِإِخْوَانِهِمْ: لَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ؛ فَإِخْوَانُكُمْ بِأَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى دَعْمِكُمْ وَبَدْلِكُمْ وَدُعَائِكُمْ، وَلَا تَسْتَقْبَلُوا شَيْئًا تَدْفَعُونَهُ وَتَقْدِّمُونَهُ.

(١) يَتَصَوَّرُونَ جُوعًا، أَي: يَتَلَوَّزُونَ وَيَصِيحُونَ مِنَ الْجُوعِ. «تاج العروس» (ضور).

أَمَّا إِخْوَانُنَا فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ - وَسَلَامُ اللَّهِ عَلَى أَرْضِ الْمِعْرَاجِ
 الْمُبَارَكَةِ - فَإِنَّهُمْ فِي بُطُولَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ وَجِهَادٍ مُسْتَمِيتٍ، وَلَوْ قَلَّ مَا فِي
 أَيْدِيهِمْ، وَهُمْ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى دَعْمِ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَمُنَاصَرَتِهِمْ،
 وَالِدُّعَاءِ لَهُمْ؛ حَتَّى يُطَهَّرَ اللَّهُ أَرْضَ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ مِنْ اخْتِلَالِ
 الْغَاصِبِينَ، وَرِجْسِ الْغَاشِمِينَ، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠،
 فاطر: ١٧].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
 أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ
 الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِهِ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى
عَلَى عَظِيمِ فَضْلِهِ وَأَشْكُرُهُ عَلَى جَزِيلِ إِحْسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الدَّاعِي إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَاتَّبَاعِهِ وَإِخْوَانِهِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ تَقْوَاهُ الْقِيَامَ بِحُقُوقِ
الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ؛ فَرَوْضُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى أَنْ تُحِبُّوا لِإِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ مَا
تُحِبُّونَهُ لِأَنْفُسِكُمْ؛ قَالَ يَحْيَى الرَّازِيُّ: «لِيَكُنْ أَقْلَ حَظِّ الْمُؤْمِنِ مِنْكَ ثَلَاثٌ:
إِنْ لَمْ تَنْفَعُهُ فَلَا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلَا تَعُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ»^(١).

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ خِذْلَانَ الْمُسْلِمِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَتَرْتَّبُ
عَلَيْهِ انْفِصَامُ عُرَا الْأُخُوَّةِ، وَجَلْبُ الدَّلَّةِ وَالْمَهَانَةِ لِلْجَمِيعِ، وَمَا هَانَ
الْمُسْلِمُونَ إِلَّا يَوْمَ أَنْ وَهَتَتْ أَوَاصِرُ الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ، وَأَصْبَحَ الْأَخُ يَتَنَكَّرُ
لِأَخِيهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَجَمَّعَ فِيهِ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٢٩٤).

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال].

فَالْتَوْبَةَ التَّوْبَةَ، يَا أَهْلَ الْأُوبَةِ، مِنْ دَاءِ التَّنَافُرِ وَالتَّنَاحُرِ، وَالتَّشَاحُنِ وَالتَّدَابُرِ!! وَأَفِضُوا جَمِيعًا إِلَى ظِلَالِ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ، وَالتَّعَاوُنِ وَالْأُخُوَّةِ وَالْوِثَامِ؛ تَحَقَّقُوا مَا تَصْبُونَ إِلَيْهِ مِنْ رُشْدٍ وَخَيْرٍ، فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ، وَلَعَلِّي أَذْكَرُ أَنْ مِنْ ثَمَرَاتِ هَذَا الْكَلَامِ عَمَلِيًّا أَنْ يَسْعَى وَيُبَادِرَ كُلُّ مُتَشَاحِنٍ إِلَى التَّسَامُحِ وَالصَّفَاءِ، وَالتَّزَاوُرِ وَالتَّقَاءِ؛ فَوَرَمًا يَسْمَعُونَ هَذَا الْكَلَامَ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَهُمَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَبْعَدُهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ^(١)، وَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ يَا عِبَادَ اللَّهِ، ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [القصص: ٦٠].

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْهُدَى؛ كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) كما مر في حديث «الصحيحين» المتقدم (ص ٣٧٥).



الخطبة للهوى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾
[آل عمران]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. عِبَادَ اللَّهِ، يَهْدِفُ الْإِسْلَامُ إِلَى بِنَاءِ الْفَرْدِ الْمُسْلِمِ بِنَاءً مُحْكَمًا

مُتَكَامِلًا، قُوَّةً فِي الْإِيْمَانِ وَالْعَقِيْدَةِ، وَسَلَامَةً فِي الصَّدْرِ وَالذَّخِيْلَةِ، وَنَصَاعَةً فِي الْمَنْهَجِ وَالسِّيْرَةِ، وَطَهَارَةً فِي الْقَلْبِ وَالسَّرِيْرَةِ، وَنَزَاهَةً فِي الْخُلُقِ وَالسُّلُوكِ؛ لِيَعِيْشَ الْمَرْءُ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ قَرِيْرَ الْعَيْنِ، سَلِيْمَ الْقَلْبِ، مُبْرَأً مِنْ وَسَاوِسِ الضَّغِيْنَةِ وَالشَّحْنَاءِ، مُنْزَهًا عَنِ سُلُوكِ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَلَيْسَ أَبْعَدَ لِلْهُمُومِ وَأَطْرَدَ لِلْوَسَاوِسِ وَالْغُمُومِ وَلَا أَنْصَعَ لِلصَّفْحَةِ مِنَ الرِّضَا بِاللَّهِ، وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ، فِي قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَفِي عَدْلِهِ وَحُكْمِهِ وَاخْتِيَارِهِ لِعِبَادِهِ.

يَا طَالِبَ الْعِيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ رَغْدًا بِلَا قَتْرٍ صَفْوًا بِلَا قَلْقٍ خَلَّصَ فُوَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَالْغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ

إِحْوَةَ الْإِيْمَانِ، إِنَّ الْفَرْدَ الْمُتَحَلِّيَّ بِهَذِهِ السَّجَايَا الْكَرِيْمَةِ هُوَ لَبِنَةُ الْمُجْتَمَعِ الْمِثَالِيِّ، وَنَوَاةُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَقَّةِ؛ حَيْثُ يَنْشُدُ الْإِسْلَامُ إِقَامَةَ الْمُجْتَمَعِ الْمُتَمَاسِكِ، وَالْكِيَانَ الشَّامِخِ، الَّذِي تُرْفَرُفُ بَيْنَ جَنْبَاتِهِ رَايَاتُ الْمَحَبَّةِ وَالْوِتَامِ، وَالْمَوَدَّةِ وَالْإِيْثَارِ وَالسَّلَامِ، وَتَرْتَبُطُ بَيْنَ أَبْنَائِهِ وَشَائِجِ الْحُبِّ الْمُتَبَادِلِ، وَالْوُدِّ الْمُشْتَرَكِ، وَالتَّعَاوُنِ الشَّائِعِ الْبِنَاءِ، بَعِيْدًا عَنِ الْأَثَرَةِ الْمَمْقُوتَةِ، وَالْفَرْدِيَّةِ الْمُتَسَلِّطَةِ، وَالْأَنْثَانِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، الَّتِي إِنْ نَمَتْ جُدُورُهَا، وَتَفَرَّعَتْ أَشْوَاكُهَا، أَذَوَتْ زَهْرَاتِ الْإِيْمَانِ الْمُتَفَتِّحَةِ، وَشَوَّهَتْ أَنْوَارَ عِقْدِ الْإِسْلَامِ الْوَضَاءَةِ الْمُتَلَاثَةِ؛ وَلِذَلِكَ حَارَبَ الْإِسْلَامُ الْأَمْرَاضَ الْقَلْبِيَّةَ، وَالْأَدْوَاءَ النَّفْسِيَّةَ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةَ، وَاعْتَنَى بِوَصْفِهَا

وَتَشْخِصُهَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ وَالْأَدْوَاءِ الْبَدَنِيَّةِ؛ فَحِينَمَا يَحُلُّ
 الْمَرَضُ بِالْبَدَنِ: يُهْرَعُ^(١) الْإِنْسَانُ إِلَى أَمْهَرِ طَبِيبٍ لِيَصِفَ لَهُ الْعِلَاجَ
 الشَّافِي بِإِذْنِ اللَّهِ؛ لَكِنَّ أَمْرَاضَ الْقُلُوبِ قَدْ لَا يُحْسِنُ بِهَا الْمَرْءُ حَتَّى تُفْسِدَ
 عَلَيْهِ دِينَهُ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! .

لِذَا فَقَدْ أَحَاطَ الْإِسْلَامُ الْمُجْتَمَعُ بِحِصْنٍ مَنِيعٍ؛ حَتَّى لَا تَتَسَرَّبَ إِلَيْهِ
 هَذِهِ الْأَدْوَاءُ الْقَاتِلَةُ، وَالْأَمْرَاضُ الْقَلْبِيَّةُ الْفَتَاكَةُ، وَحَافِظَ عَلَى سَفِينَةِ
 الْمُجْتَمَعِ أَنْ تَحْرِقَهَا هَذِهِ الْأَدْوَاءُ؛ فَتَطُوحَ بِهَا بَعِيدًا عَنِ شَاطِئِ الْأَمْنِ
 وَالْأَمَانِ، وَدَوْحَةِ الْخَيْرِ وَالْإِطْمِئْنَانِ؛ فَيَتَسَرَّبَ الْإِيمَانُ مِنْهُ تَسَرُّبَ الْمَاءِ
 مِنَ الْإِنَاءِ الْمَثْلُومِ^(٢)، وَيَغْرَقَ الْمُجْتَمَعُ فِي لَجَجِ الضَّغَائِنِ وَالْأَحْقَادِ،
 وَأَمْوَاجِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَالْأَثْرَةِ وَالْعِنَادِ؛ فَيَكُونُ فَرِيسَةً لِلطَّامِعِينَ، وَصَيْدًا
 سَمِينًا لِلْأَعْدَاءِ الْمُتْرَبِّصِينَ، يُحْكُمُونَ عَلَيْهِ فَبَضَّتْهُمْ، وَيَنْقُثُونَ سُمُومَهُمْ،
 وَيَقْعُ عَلَى أَيْدِيهِمْ خَرَابُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ؛ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ وَالْأَلِيمِ
 عِقَابِهِ! .

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، هُنَاكَ دَاءٌ عُضَالٌ، وَمَرَضٌ قَلْبِيٌّ قَتَالٌ، مَا فَشَا فِي أُمَّةٍ
 إِلَّا كَانَ نَذِيرَ هَلَاكِهَا، وَمَا دَبَّ فِي دِيَارٍ إِلَّا كَانَ سَبِيلَ فَنَائِهَا، وَمَا انْتَشَرَ فِي
 صُفُوفِ جَمَاعَةٍ إِلَّا كَانَ سَبَبَ شَقَائِهَا وَبِلَائِهَا، إِنَّهُ مُصَدِّرُ كُلِّ بِلَاءٍ، وَمَنْبَعُ

(١) يُهْرَعُ: يُسْرَعُ مِنْ اضْطِرَابٍ. انظر: «القاموس» (هرع).

(٢) أي: المكسورة شَفْتُهُ. «اللسان» (ثلم).

كُلَّ عَدَاءٍ، وَأَصْلُ كُلِّ شَقَاءٍ؛ سِلَاحُ مَضَاءٍ، وَسَيْفٌ بَتَّارٌ، يَضْرِبُ بِهِ
 الشَّيْطَانُ الْقُلُوبَ فَتَمَزَّقُ، وَالْمُجْتَمَعَاتِ فَتَتَفَرَّقُ؛ يُفْسِدُ الْمَوَدَّةَ، وَيَقْطَعُ
 حِبَالَ الْمَحَبَّةِ، وَيَهْدِمُ أَوَاصِرَ الْقُرْبَى؛ يَغْرِسُ الضَّغِينَةَ وَالْبَغْضَاءَ، وَيَزْرَعُ
 الْحِقْدَ وَالشُّحْنَاءَ، وَيُثْبِتُ الْعَدَاوَةَ وَاللَّأوَاءَ، بَلْ يَخْلُقُ الدِّينَ، وَيَهْدِمُ
 الدُّنْيَا، وَيَقْضِي عَلَى بَوَاعِثِ الْخَيْرِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

ذَلِكُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ - هُوَ دَاءُ الْحَسَدِ؛ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنِ الْغَيْرِ،
 وَكَرَاهِيَّةُ وُصُولِ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ، وَتِلْكَ خَصْلَةٌ ذَمِيمَةٌ، تُعْمِي عَنِ الْفَضَائِلِ،
 وَتَأْخُذُ صَاحِبَهَا إِلَى طَرِيقِ الرَّذَائِلِ؛ حَتَّى تَقْضِيَ عَلَيْهِ بِأَشَدِّ الْمَعَاوِلِ، أَلَّا
 قَاتَلَ اللَّهُ الْحَسَدَ مَا أَعَدَّهُ! لَمْ يَزَلْ بِصَاحِبِهِ حَتَّى قَتَلَهُ!

إِضْبِرْ عَلَى حَسَدِ الْحَسُو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
 فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَحِدْ مَا تَأْكُلُهُ^(١)

الْحَسَدُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - دَاءُ الْأُمَمِ، وَسَرَطَانُ الشُّعُوبِ؛ رَوَى الْإِمَامُ
 أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ
 وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص ٤٢٥)، والبيتان - أيضًا - في «العقد
 الفريد» لابن عبد ربه (٣١٢/٢)، قال: أنشدني فتى بالرملة، يعني: قرطبة،
 وذكرهما.

الدِّينَ» (١).

فَمَا أوردَ الأُمَّمَ أَشْرَ مَوَارِدِ العَطَبِ، وَأصْدَرَهَا أَفْطَعَ مَصَارِعِ الهَلَاكِ
إِلَّا الحَسَدُ، مَا أَذْهَبَ رِيحَ الأُمَّةِ، وَفَرَّقَ كَلِمَتَهَا، وَمَزَّقَ وَحَدَنَهَا، وَأَخْلَلَ
بِصْفُوفِهَا: إِلَّا الحَسَدُ وَالحَاسِدُونَ، لَا كَثَرَهُمُ اللهُ! وَلَا عَجَبٌ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ
ذَنْبِ عِصِي اللهِ بِهِ، وَمِنْهُ انْطَلَقَتْ أَوَّلُ شَرَارَةٍ؛ لِتُوقَدَ عَوَامِلَ الشَّقَاءِ فِي
الإنْسَانِيَّةِ: فَمَا الَّذِي أَوْقَعَ إِبْلِيسَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا حَسَدُهُ لِأَبِينَا آدَمَ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ؟! وَمَا الَّذِي حَمَلَ قَابِيلَ عَلَى قَتْلِ هَابِيلَ إِلَّا حَسَدُهُ لِأَخِيهِ؛
﴿ فَقَنَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠]! وَمَا الَّذِي حَمَلَ إِخْوَةَ
يُوسُفَ عَلَى مَا فَعَلُوا بِهِ إِلَّا الحَسَدُ؛ ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا
مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [يوسف: ٨]! [يوسف: ١٠٩]

وَمَا الَّذِي حَمَلَ اليَهُودَ - عَلَيْهِمُ لَعَائِنُ اللهِ المُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ! -
عَلَى جَحْدِ نُبُوَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالسَّعْيِ فِي بَثِّ الفَسَادِ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا
الحَسَدُ؟! قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ
بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الحَقُّ ﴾
[البقرة: ١٠٩]، وَهُوَ الَّذِي دَفَعَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ إِلَى الإِسْتِكْبَارِ عَنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ
ﷺ؛ ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرِيبِينَ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٦] أَهْمٌ يَقْسِمُونَ

(١) «المسند» (١/١٦٧)، و«جامع الترمذي» (٢٥١٠)؛ من حديث الزبير بن العوام، رضي الله عنه.

رَحِمْتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
 دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٧﴾ [الزخرف].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَالْيَوْمَ مَا فَرَّقَ الْأُمَّةَ شَيْعًا مُتَنَاحِرَةً، وَأَحْزَابًا مُتَنَافِرَةً
 إِلَّا الْحَسَدَ، وَمَا ظَهَرَ الْخِلَافُ فِي الْأُمَّةِ حَتَّى ذَهَبَ مَجْدُهَا، وَضَعُفَ أَمْرُهَا،
 وَوَهَنَ عَزْمُهَا، وَمَاتَسَلَّطَ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا إِلَّا بِالْحَسَدِ، وَمَا انْقَسَمَتِ الْأُمَّةُ
 إِلَى قَوْمِيَّاتٍ، وَتَفَرَّقَتْ إِلَى دُوَيْلَاتٍ؛ فَهُمْ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ مَذَاهِبُ
 شَتَّى، وَفِي عَالَمِ الْاِقْتِصَادِ وَالاجْتِمَاعِ وَالسُّلُوكِ مَشَارِبُ شَتَّى، حَتَّى شُغِلَ
 بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، بَلْ نَهَشَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا^(١) - إِلَّا
 بِالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالْحِقْدِ وَالشُّحْنَاءِ.

وَكَمَا قِيلَ:

مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ!^(٢)

فَمَا يَفْعَلُهُ يَهُودُ الْيَوْمِ، وَصَهَابِنَةُ الْعَصْرِ، يَاخُوَانَنَا فِي فِلَسْطِينَ
 الْمُسْلِمَةَ - مِنْ إِبْعَادِهِمْ عَنْ أَرْضِهِمْ، وَحَرَمَانِهِمْ مِنْ وَطَنِهِمْ وَأَهْلِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ

(١) يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: تَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا، أَي: تَفَرَّقُوا تَفَرُّقًا لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهُ. انظر: «مجمع
 الأمثال» للميداني (١/ ٢٧٥).

(٢) هذا عجز بيت لطرفة بن العبد البكري أحد فحول شعراء المعلقات، والبيت بتمامه:

كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مِنْ نَعْلٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ!

أَي: مَا أَشْبَهَ بَعْضَ الْقَوْمِ بِبَعْضٍ، وَالْبَيْتُ مِنْ أَشْعَارِ الْأَمْثَالِ. انظر: «مجمع الأمثال»
 (٢/ ٢٧٥).

وَأَمْوَالِهِمْ - إِلَّا بُرْهَانٌ عَلَى الصَّلْفِ الصَّهْيُونِيِّ، وَالْحَسَدِ الْيَهُودِيِّ، وَمَا تَجَاوَزَاتُ الصَّرْبِ النَّصَارِيِّ، وَأَعْمَالُهُمُ الشَّنْعَاءُ، وَجَرَائِمُهُمُ التَّكْرَاءُ فِي جُمْهُورِيَّةِ الْبُوسْنَةِ وَالْهَرَسِكِ - إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى الْحِقْدِ الصَّلِيبِيِّ وَالْحَسَدِ الصَّرْبِيِّ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَفْعَالُ الْهِنْدُوسِ الْوَيْتِيِّينَ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ، وَهَدْمُهُمْ لِلْمَسَاجِدِ، وَإِهَانَتُهُمْ لِلْمَشَاعِرِ وَالشَّعَائِرِ - حَتَّى أَرَأَوْا الدَّمَاءَ، وَمَرَّفُوا الْأَشْلَاءَ، وَهَدَمُوا مُشَيَّدَ الْبِنَاءِ، وَقَتَلُوا الْأَطْفَالَ وَرَمَلُوا النِّسَاءَ - إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى الْحِقْدِ الْوَيْتِيِّ عَلَى كُلِّ مَا يَمُتُّ إِلَى الْإِسْلَامِ بِصِلَةٍ .

وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الصُّومَالِ، وَكَشْمِيرَ، وَبُورْمَا، وَإِيرِيترِيَا، وَالْفِلِيبِينَ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْبِقَاعِ .

فَالْحَسَدُ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - خَصْلَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ، وَخَلَّةٌ يَهُودِيَّةٌ، وَغَلِيَانَاتٌ عُدْوَانِيَّةٌ، وَهَيْجَانَاتٌ إِبْلِيسِيَّةٌ، يُبْثُّهَا إِبْلِيسُ، وَأَعْوَانُ إِبْلِيسَ فِي كُلِّ زَمَانٍ؛ وَإِنَّهُ لَوْ خِيمَ الْمَرْتَعِ، شَدِيدُ التَّكَايَةِ، سَيِّءُ الْعَاقِبَةِ؛ يَحْرِقُ الْقُلُوبَ، وَيَبْعَثُ الْمِحْنَ وَالْكُرُوبَ، وَيَجْلِبُ الْعُدْوَانَ وَالْحُصُومَاتِ وَالْحُطُوبَ، وَيَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعِ^(١)، حَذَرَ مِنْهُ الْمُصْطَفَى ﷺ أُمَّتَهُ؛ فَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ: «لَا تَحَاسَدُوا^(٢)، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا^(٣)، وَلَا

(١) البلاقع: جمع بَلَقَعَ وبلقعة، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها. «النهاية» (بلقع).

(٢) أصلها: «لا تحاسدوا»، وحذفت إحدى التاءين، وكذا ما بعده من أفعال.

(٣) التَّجَسُّسُ، بالجيم: البحث عن العورات، والتحسس، بالحاء: الاستماع لحديث =

تَنَاجَشُوا^(١)، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا^(٢).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، الْحَسَدُ يُذْهِبُ الْحَسَنَاتِ، وَيُثْبِتُ السَّيِّئَاتِ؛ رَوَى
أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ
الْحَطَبَ»، أَوْ قَالَ: «الْعُشْبَ»^(٣).

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْحَسَدَ! كَمْ أَذْهَبَ مِنْ نِعْمَةٍ! وَكَمْ أَحَلَّ مِنْ نِقْمَةٍ! وَكَمْ
فَرَّقَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَشَتَّتَ شَمْلَ الْأَحِبَّةِ!! غَيْرَ أَنَّ الْمَحْسُودِينَ هُمْ أَهْلُ
الْفَضْلِ وَالْمَعَالِي.

مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

* * *

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُهُمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ^(٤)

= القوم. وفيهما أقوال آخر. انظرها في: «النهاية» (جسس).

(١) من التَّجَشُّسِ فِي الْبَيْعِ، وَهُوَ أَنْ يَمْدَحَ السَّلْعَةَ لِيُرَوِّجَهَا، أَوْ يَزِيدَ فِي ثَمَنِهَا، وَهُوَ لَا
يُرِيدُ شَرَاءَهَا؛ لِيَقَعَ غَيْرُهُ فِيهَا. «النهاية» (نجش).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٦٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٦٣)؛ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «سنن أبي داود» (٤٩٠٣).

(٤) الْبَيْتَانِ بِلَا نِسْبَةٍ فِي «الْعَقْدِ الْفَرِيدِ» (٢ / ٣١٣)، وَ«شَرْحِ قَطْرِ النَّدَى». لِابْنِ هِشَامٍ
(ص ٤٧٠).

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، الْحَسَدُ جَمْرَةٌ تَتَّقَدُ، وَنَارٌ تَضْطَرِمُ، وَصَاحِبُهُ سَيِّءُ النَّيَّةِ، خَبِيثُ الطَّوِيَّةِ، مُعَاقِبٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ؛ قَالَ أَبُو اللَّيْثِ السَّمْرَقَنْدِيُّ: «يَصِلُ إِلَى الْحَاسِدِ خَمْسُ عُقُوبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ حَسَدُهُ إِلَى الْمَحْسُودِ: غَمٌّ لَا يَنْقَطِعُ، وَمُصِيبَةٌ لَا يُوجِرُ عَلَيْهَا، وَمَذْمَةٌ لَا يُحَمِّدُ عَلَيْهَا، وَسَخَطُ الرَّبِّ، وَغَلَقُ بَابِ التَّوْفِيقِ»^(١)، عِيَاذًا بِاللَّهِ.

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ فَالْكُلُّ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومٌ
كَضَرَّائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوْ جَهِهَا حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَدَمِيمٌ
وَتَرَى اللَّيْبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمِ شَتَمَ الرَّجَالِ وَعَرَضُهُ مَشْتُومٌ^(٢)

الْحَاسِدُ، لَا يَجْلِبُ إِلَّا ضَرَرًا، وَلَا يُورِثُ إِلَّا خَطَرًا، وَلَا يَنْظُرُ إِلَّا شَزْرًا^(٣)، وَلَا يُضْمِرُ إِلَّا غَدْرًا، وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا شَرًّا، وَلَا يُدَبِّرُ إِلَّا مَكْرًا؛ النَّعْمَةُ لَا تُرْضِيهِ، وَالْمِنَّةُ تُؤْذِنُهُ، وَالنَّعْمَةُ عَلَيْكَ تُشْقِيهِ.

و«الْحَسُودُ لَا يُسُودُ»^(٤)، وَلَا يَبْلُغُ الْمَقْصُودَ، يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَيُوجِّجُ نَارَ الْحَقْدِ فِي صَدْرِهِ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ الْمَحْسُودُ، وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ،

(١) «تنبيه الغافلين» لأبي الليث السمرقندي (١/١٩٠).

(٢) الأبيات لأبي الأسود الدؤلي. انظر: «خزانة الأدب» للبغدادى (٨/٥٦٧).

(٣) النظر الشزور: نَظَرَ فِيهِ إِعْرَاضٌ؛ كَنَظَرَ الْمُعَادِي الْمُبْغِضِ. «اللسان» (شزر).

(٤) هذا من الأمثال التي استعملها المولدون، يضربونه في ذم الحسد. انظر: «مجمع

الأمثال» (١/٢٣٠).

وَابْنِ حَبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»: «لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدِ الْإِيمَانِ وَالْحَسَدِ»^(١)، وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ: «لَا يَرَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا»^(٢).

وَقَدْ يَيْئَسُ الشَّيْطَانُ مِنْ إِتْقَاعِ الْمُسْلِمِ فِي الشُّرْكِ وَالْوَيْثِيَّةِ؛ لَكِنَّهُ لَا يَيْئَسُ أَنْ يُحَرِّشَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(٣)،^(٤).

وَمِنَ الْمَعْلُومِ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ الْحَسَدِ، وَأَثَارِ الْحِقْدِ: سُوءَ الظَّنِّ بِالْإِخْوَانِ، وَتَتَبُّعَ الْعَوْرَاتِ، وَالتَّفَخُّ فِي الْهَنَاتِ، وَنَشْرَ السَّقَطَاتِ، وَتَلْمُزَ الْعَثْرَاتِ. وَإِنَّ الْحَاسِدِينَ لَيَجِدُونَ فِي الْغَيْبَةِ، وَتَهْشِ الْأَعْرَاضِ، وَالتَّمِيمَةِ: مُتَنَقِّسًا لِأَحْقَادِهِمُ الْمَدْفُونَةَ، وَخَبَايَاهُمُ الْمَكْنُونَةَ؛ فَلَا يَسْتَرِيحُونَ إِلَّا إِذَا نَشَرُوا الْمَعَايِبَ، وَلَا يَتَلَذَّذُونَ إِلَّا بِإِذَاعَةِ الْأَخْطَاءِ وَالْمَثَالِبِ، وَإِيْمُ اللَّهِ! إِنَّ ذَلِكَ دَلِيلُ دَنَاءَةِ الْهَمَّةِ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّ أَهْلَ الْحِقْدِ

(١) «سنن النسائي» (١٣/٦)، و«صحيح ابن حبان» (٤٦٠٦)، و«شعب الإيمان» (٦٦٠٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «المعجم الكبير» (٨١٥٧)؛ من حديث ضمرة بن ثعلبة، رضي الله عنه.

(٣) أي: ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء، والحروب والفتن وغيرها. انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥٦/١٧).

(٤) رواه مسلم (٢٨١٢)، وأحمد (٣٥٤/٣).

وَاللُّؤْمُ وَالْخِسَّةُ: إِذَا رَأَوْكَ حَسَدُوكَ، وَإِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُمْ اغْتَابُوكَ.

وَقَدْ يَأْتِي الْحَسَدُ فِي قَالِبِ التَّقْدِ، وَإِبْدَاءِ السَّوْءَاتِ؛ فَيَتَلَهَّى
الْحَاسِدُونَ بِنَشْرِ الْفَضَائِحِ، وَيَتَلَذُّونَ بِسَرِّدِ الْقَبَائِحِ، فَلِمَاذَا كُلُّ هَذَا - يَا
أَهْلَ الْإِسْلَامِ - وَقَدْ قَسَمَ اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ أَرْزَاقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ؟! ﴿ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء: ٥٤].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، يَشْتَدُّ قُبْحُ الْحَسَدِ حِينَ يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَنَسِّينَ إِلَى
الْعِلْمِ وَالْمَعْرُوفِينَ بِالْخَيْرِ وَالِدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ، وَإِنَّهُ لَيَكْثُرُ بَيْنَ الْأَمْثَالِ
وَالنُّظَرَاءِ، وَالقُرَنَاءِ وَالرُّمَلَاءِ، وَكَذَلِكَ فِي صُفُوفِ النِّسَاءِ، وَالْمُتَطَلِّعِينَ
إِلَى الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَاصِبِ؛ فَقَدْ يُوجَدُ مِنْ بَيْنِ الْأَقْرَانِ مَنْ يَبُرُّ إِخْوَانَهُ
وَيَفُوقُ رُمَلَاءَهُ، فَتَحْرِكُ سِهَامُ الْحَسَدِ، وَتُرْمَى شَرَارَاتُ الْكَيْدِ وَالْحِقْدِ،
فَتَقْضِي عَلَى الْأُخُوَّةِ، وَتُورِثُ الْأَحْقَادَ وَالضَّغِينَةَ وَالْقَطِيعَةَ، وَإِنَّكَ لَوَاجِدٌ
فِي الْمُجْتَمَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا، فَمَا أَكْثَرَ الْمُتَحَاسِدِينَ! وَمَا أَكْثَرَ الْمُتَقَاطِعِينَ
وَالْمُتَشَاحِنِينَ، هَدَاهُمُ اللَّهُ! وَلَيْسَ حَسَدُ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
بِغَرِيبٍ، وَلَكِنَّ الْغَرَابَةَ كُلَّ الْغَرَابَةِ أَنْ يَسْرِىَ التَّحَاسُدُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ!!

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَأَنْبِذُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَرَسُّبَاتِ الْغِلِّ
وَالْحَسَدِ، وَاصْطَلِحُوا وَتَوَادُّوا وَتَصَافَوْا، وَتَصَافَحُوا وَتَسَامَحُوا، وَكُونُوا
عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ مَا قَالَهُ السَّلَفُ الْأَخْيَارُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ: ﴿ رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي

قُلُوبِنَا غَلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾ [الحشر].

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْوَالِ وَالْأَعْمَالِ؛ لَا يَهْدِي
لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا؛ لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ،
اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا
وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النَّفَاقِ وَالْحَسَدِ وَالشَّخْنَاءِ، وَالْحِقْدِ
وَالْبَغْضَاءِ، وَأَعْيِنَّا مِنَ الْخِيَانَةِ، وَأَلْسِنَتَنَا مِنَ الْكُذْبِ، يَا سَمِيعَ الدَّعَاءِ،
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَاقِدِينَ، وَكَيْدِ الْحَاسِدِينَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ الَّذِي لَا يُحَدُّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَلَيْهِ الْمَعْوَلُ وَالْمُعْتَمَدُ، وَإِلَيْهِ الْمُسْتَنْدُ، وَمِنْهُ وَحْدَهُ الْمُسْتَمَدُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ أَكْرَمُ الْأُمَّةِ فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ وَالْمَخْتِدِ^(١)، أَمْرُهُ رَبُّهُ بِالْتَعَوُذِ مِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ؛ أَسْلَمَ الْأُمَّةَ صُدُورًا، وَأَبْرَهَا قُلُوبًا، وَأَطَهَرَهَا سِيرَةً وَأَمَجَدَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاحْرِصُوا عَلَى سَلَامَةِ الْقُلُوبِ، وَرَاقِبُوا مَوْلَاكُمْ عَلَامَ الْغُيُوبِ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ ثَوَابَ سَلَامَةِ الصُّدُورِ، دُخُولُ الْجَنَّةِ دَارِ السَّلَامِ وَالْحُبُورِ؛ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ^(٢)

(١) الْمَخْتِدُ: الْأَصْلُ؛ يُقَالُ: فَلَانٌ كَرِيمٌ الْمَخْتِدِ. «اللسان» (حتد).

(٢) تَنْطَفُ، أَي: تَقَطَّرُ. «النهاية» (نطف).

لِحَيْثُهُ مِنْ وَضُوئِهِ^(١) ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالِ ، قَالَ : فَتَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَلَمْ يَرِ مِنْهُ
كَثِيرَ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «يَطْلُعُ
عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢) ، وَلَمْ أَرَكَ عَمِلْتَ كَبِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا
الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ، غَيْرَ أَنِّي لَا
أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَشًّا ، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ
اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : «هَذِهِ التِّي بَلَغَتْ بِكَ» .

وَاعْلَمُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - أَنْكُمْ مَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَاكُمْ اللَّهُ مِنْ نِعَمٍ
فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ ، بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، حَرَسَهَا اللَّهُ ! فَنِعْمَةُ
العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَنِعْمَةُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ، وَالْخَيْرَاتِ وَالْإِطْمِئْنَانِ ، وَنِعْمَةُ
التَّلَاحُمِ بَيْنَ الْقِمَّةِ وَالْقَاعِدَةِ ، وَالتَّرَابُطِ بَيْنَ الرُّعَاةِ وَالرَّعِيَّةِ ، وَالدَّوْلَةِ
وَالْعُلَمَاءِ ، نِعْمٌ يَوْذُ كَثِيرٌ - مِمَّنْ شَرِقَتْ قُلُوبُهُمْ - أَنْ يَبُتُّوا الْفِتْنَةَ ، وَيُوقِظُوا
الْمِحْنَةَ ، وَيَبْذُرُوا الْقَلَاقِلَ ، وَإِنَّا لَنَسْمَعُ وَنَرَى مِنْ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ
الْمُغْرِضَةِ الْمَاجُورَةَ شَيْئًا كَثِيرًا ، لَا بَلَغَهُمُ اللَّهُ مَا رِبُّهُمْ ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ
حَاسِئِينَ حَائِبِينَ ، ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر : ٤٣] .

(١) الوضوء، بفتح الواو: الماء الذي يُتَوَضَّأُ بِهِ. «اللسان» (وضاً).

(٢) رواه معمر في «جامعه» (٢٠٥٥٩)، ومن طريقه أحمد (١٦٦/٣)، والنسائي في

«الكبرى» (١٠٦٩٩).

وَتَذَكَّرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنْ حَسَدَ الْأَعْدَاءِ لَا يَنْتَهِي؛ فَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ وَفِطْنَةٍ، يُرِيدُ أَعْدَاءُ عَقِيدَتِكُمْ جَرِّكُمْ إِلَى أُمُورٍ لَيْسَتْ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ؛ بِإِحْدَاثِ زِيَادَاتٍ، وَتَعْظِيمِ لِبَعْضِ الشُّهُورِ وَالْمُنَاسَبَاتِ، مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْهُجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

وَفِيَّةٌ أُخْرَى: تُرِيدُ أَنْ تَجْرَّ الْأُمَّةَ إِلَى التَّشْبِهِ بِأَعْدَاءِ الْمِلَّةِ؛ بِتَعْظِيمِ أَيَّامِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ؛ حَسَدًا وَكَيْدًا لِعَقِيدَةِ السَّلَامَةِ وَالصَّفَاءِ، وَالطُّهْرِ وَالنَّقَاءِ، هَذَا وَقَدْ تَبَيَّنَ الدَّاءُ، وَتَشَحَّصَ الدَّوَاءُ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا الْعَمَلُ وَالْإِقْتِدَاءُ، ثَبَّتْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى دِينِهِ الْقَوِيمِ، وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الْوَرَى، كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة لله والى

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ
الْدِّينِ ﴿٤﴾ أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَهُمْ
إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ مُتَرَاحِمِينَ، عَلَى الْخَيْرِ مُتَعَاوِنِينَ، وَفِي سَبِيلِ الْفَضَائِلِ
مُتَكَاتِفِينَ؛ لِأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ حَافِظِينَ، وَعَنِ الْغَيْبَةِ وَالْبُهْتَانِ مُبْتَعِدِينَ،
وَلِلْفَحْشِ وَالرُّورِ مُجْتَنِبِينَ، وَعَنْ أَعْرَاضِ إِخْوَانِهِمْ ذَابِّينَ وَمُدَافِعِينَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ؛ هُوَ
الْمَرْجُؤُ سُبْحَانَهُ لِصَلَاحِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامَ الْمُتَّقِينَ، وَسَيِّدُ
وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ الطَّيِّبِينَ،
وَصَحْبِهِ الْعُرَّةِ الْمَيَامِينِ، وَمَنْ افْتَقَى أَثَرَهُ، وَدَعَا بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَتَرَجِمُوا التَّقْوَى إِلَى سُلُوكِ عَمَلِيٍّ
فِي أُمُورِ حَيَاتِكُمْ، وَوَاقِعِ تَطْبِيقِيٍّ فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ؛ تَحْمِلِكُمْ عَلَى حُبِّ
الْخَيْرِ وَإِسَاعَةِ الْفَضِيلَةِ، وَدَرْءِ الشَّرِّ وَإِفْصَاءِ الرِّذِيلَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، مِنْ أَمِّ مَا يُمَيِّرُ الْمُجْتَمَعَ الْإِسْلَامِيَّ: أَنَّهُ مُجْتَمَعٌ
 مَوَدَّةٍ وَتَرَاحِمٍ، وَتَكَاتُفٍ وَتَلَاحِمٍ، وَمَحَبَّةٍ وَتَلَؤْمٍ، يَقُومُ عَلَى أُسُسِ
 التَّعَاوُنِ الْمُشْتَرِكِ، وَالتَّقْدِيرِ الْمُشَاعِ، وَيُنْبِنِي عَلَى قَوَاعِدِ الْمَحَبَّةِ الْمُتَبَادَلَةِ،
 وَالمُعَامَلَةِ الرَّفِيقَةِ، لَا مَكَانَ فِيهِ لِلْأَثَرَةِ الْمَمْقُوتَةِ، وَالْأَنَانِيَةِ الْمَكْرُوهَةِ،
 وَالفَرْدِيَّةِ الْمُتَسَلِّطَةِ؛ قُلُوبُ أَفْرَادِهِ مُفْعَمَةٌ بِالْحُبِّ لِإِخْوَانِهِمْ، وَأَلْسِنَتُهُمْ
 ثَرَّةٌ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، حَذِرَةٌ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَالنَّيْلِ
 مِنْ كَرَامَتِهِمْ، لَا يَحْمِلُونَ الْحِقْدَ الدَّفِينِ، وَلَا يُنْشِرُونَ الْإِفْكَ الْمُبِينِ، هُمْ
 كَمَا وَصَفَ اللَّهُ: ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكُفْرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، لَقَدْ أَحَاطَ الْإِسْلَامُ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ بِسِيَاحِ مَنِيَعٍ
 مِنْ دَاخِلِهِ، يَحُولُ دُونَ تَصَدُّعِ بُنْيَانِهِ، وَتَزَعُّعِ أَرْكَانِهِ؛ فَأَقَامَ الضَّمَانَاتِ
 الْوَاقِيَةَ، وَالْحَصَانَاتِ الْكَافِيَةَ، الْحَائِلَةَ دُونَ مَعَاوِلِ الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيْبِ: أَنْ
 تَتَسَلَّلَ إِلَى جِبْهَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ، فَتَعْمَلَ عَمَلَهَا هَدْمًا وَتَخْرِيْبًا، وَفُرْقَةً وَتَأَلِيْبًا،
 وَطَالَبَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَزْعُوا حَقَّ الْإِيمَانِ وَالْأُخُوَّةِ، وَأَنْ يُصْلِحُوا ذَاتَ
 بَيْنِهِمْ، وَأَنْ يَحْفَظُوا أَلْسِنَتَهُمْ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي أَعْرَاضِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ
 يَقْفُوا سَدًّا مَنِيعًا أَمَامَ الْجَرَائِمِ الْمُدْمِرَةِ، وَالْأَمْرَاضِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ الْفَتَّاكَةِ
 الَّتِي تَأْتِي عَلَى بُنْيَانِ الْمُجْتَمَعِ مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَتَحْوُلُهُ إِلَى مُجْتَمَعِ صِرَاعٍ

دَائِمٍ، وَتَفَكُّكِ مُسْتَمِرٍّ، وَإِحْنٍ^(١) مُتَكَثِرَةٍ، وَفَنَاتٍ مُتَنَاحِرَةٍ، وَوَيْلٌ لِلْمُجْتَمَعِ
يَوْمَئِذٍ مِنْ أَعْدَائِهِ الْمُتَفَرِّجِينَ مِنْ بَعْدٍ؛ حَيْثُ سَيَكُونُ لُقْمَةً سَاعَةً لَهُمْ!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، هُنَاكَ مَرَضٌ عُضَالٌ، وَدَاءٌ خَطِيرٌ مُنْتَشِرٌ بَيْنَ
النَّاسِ قَلَّ أَنْ تَسْلَمَ مِنْهُ الْمَجَالِسُ، وَيَنْدُرُ أَنْ يَنْفَكَ مِنْهُ مُجْتَمَعٌ مِنَ
الْمُجْتَمَعَاتِ، بَلْ إِنَّهُ يَضْرِبُ أَطْنَابَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَجَالِسِنَا وَاجْتِمَاعَاتِنَا
وَلِقَاءَاتِنَا، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، وَيُخَيِّمُ بِظِلِّهِ الثَّقِيلِ عَلَيْهَا - مَعَ عَظِيمِ خَطَرِهِ
عَلَى الْإِيمَانِ وَالْأَخْلَاقِ، وَكَبِيرِ أَثَرِهِ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْأَسْرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ -
إِنَّهُ «دَاءُ الْغَيْبَةِ»، وَيَا لَهَا مِنْ خَصَلَةٍ ذَمِيمَةٍ، تَنْمُ عَنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ،
وَسَلَاطَةِ اللِّسَانِ، وَخُبْثِ الْجَنَانِ؛ صَاحِبِهَا يُمَثِّلُ لَوْمَ الطَّبَعِ، وَقُبْحَ
الْمَعْشَرِ، وَضَعْفَ الْخُلُقِ، وَقِلَّةَ الْوَاظِعِ، وَدَنَاءَةَ السَّجَايَا.

الْغَيْبَةُ: مُصِيبَةٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ أَيَّمَا مُصِيبَةٍ، تَفْعَلُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ
أَفْعَالًا عَجِيبَةً، تُؤَثِّرُ عَلَى الْأَسْرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ آثَارًا خَطِيرَةً غَرِيبَةً، وَتَفْعَلُ
بِهَا فِعْلَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، تُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَتُبَاعِدُ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، تُفْسِدُ
الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الرُّمَلَاءِ، وَتَعَكِّرُ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ، كَمْ فَرَقَتْ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَزَوْجِهِ، وَالابْنِ وَأَبِيهِ، وَالْأَخِ وَأَخِيهِ! كَمْ مَرَّقَتْ مِنْ آصِرَةٍ، وَأَثَارَتْ مِنْ
فِتْنَةٍ! كَمْ أَذَكَّتْ مِنْ أَحْقَادٍ، وَأَوْرَثَتْ مِنْ ضِعَائِنِ، وَأَوْغَرَتْ مِنْ صُدُورٍ!

(١) الإحْن: جمع إحنة، وهي الحقد في الصدر. «اللسان» (أحن).

كَمْ جَرَّتْ مِنْ شُرُورٍ عَظْمَى، وَأَخْطَارٍ كُبْرَى! بَلْ لَرُبَّمَا قَامَتِ الْحُرُوبُ
الطَّاحِنَةُ بَيْنَ فِتَاتٍ وَدُوَلٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

المُعْتَابُ: عَضُوٌّ مَسْمُومٌ فِي المُجْتَمَعِ، وَمُؤَذِّ لِهٖ وَلِرَسُولِهٖ وَالْمُؤْمِنِينَ،
مُفْسِدٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.

لِذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - جَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَحْرِيمِ الْغِيْبَةِ تَحْرِيمًا قَاطِعًا، بَلْ
نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الْغِيْبَةَ مِنَ الْكِبَائِرِ ^(١)؛ تَعْدِلُ
الْقَتْلَ، وَالرِّبَا، وَالزُّنَى، وَسَائِرَ الْكِبَائِرِ. وَيَقُولُ ابْنُ حَجْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:
«الْغِيْبَةُ هِيَ: الدَّاءُ الْعُضَالُ، وَالسَّمُّ الَّذِي فِي الْأَلْسِنِ أَحْلَى مِنَ الرُّلَالِ».

وَقَدْ جَعَلَهَا مَنْ أُوْتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ﷺ عَدِيْلَةً قَتْلِ النَّفْسِ، وَغَضَبِ
الْمَالِ؛ يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ
وَعَرَضُهُ» ^(٢)، وَيَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَاللَّهُ، لِلْغِيْبَةِ أَسْرَعُ
فِي دِيْنِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَكْلَةِ» ^(٣) فِي جَسَدِهِ» ^(٤).

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلُّ: كَلَامُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمُ

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/٣٣٧).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٦٤).

(٣) الأكلة: داءٌ يقع في العضو، فيأكل منه. «اللسان» (أكل).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (ص ١٩٢).

بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿ [الحجرات: ١٢].

فَتَأْمَلُ، أَخِي الْمُسْلِمِ - رَحِمَكَ اللَّهُ - هَذَا الْأَسْلُوبَ الْبَلِيغَ، فِي النَّهْيِ الْمَقْرُونِ بِالْمِثَالِ الَّذِي يَزِيدُ الْأَمْرَ شِدَّةً وَتَغْلِيظًا، وَالْعَمَلَ تَقْيِيحًا وَتَشْنِيعًا؛ ﴿ أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾؛ فَإِنَّ أَكْلَ لَحْمِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُسْتَقْدَرُ جِبَلَةً وَطَبْعًا، وَلَوْ كَانَ كَافِرًا، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ أَحَا فِي الدِّينِ؟! فَإِنَّ الْكَرَاهِيَةَ أَعْظَمُ؛ بَلْ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مَيْتًا وَجِيفَةً؟! فَسُبْحَانَ اللَّهِ - عِبَادَ اللَّهِ - مَا أَعْظَمَ خَطَرَ الْغَيْبَةِ! وَمَا أَشْنَعَ جُرْمَهَا! وَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرَ تَسَاهُلَ النَّاسِ بِهَا الْيَوْمَ؛ حَتَّى لَكَأَنَّهَا مَائِدَةٌ مَجَالِسِهِمْ! فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِي مَعْنَى الْغَيْبَةِ يَقُولُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُمَا، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟! قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اِعْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهْتَهُ» (١).

وَالْمُعْتَابِينَ نَسُوقُ هَذَا الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ لِأَرْبَابِ هَذِهِ الْبِضَاعَةِ الْبَيْسِيَّةِ؛ يَقُولُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤).

يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ! لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ، يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»^(١).

أَيْهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، أَتَذَرُونَ مَا عُقُوبَةُ الْمُغْتَابِينَ؟! اسْمَعُوا، يَا مَنْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْأَمْرَ يَسِيرٌ؛ رَوَى أَبُو دَاوُدَ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ»^(٢) وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟! قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(٣)، وَلَمَّا قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا - تَعْنِي أَنَّهَا قَصِيرَةٌ - قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ -: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ، لَمَزَجَتْهُ!»^(٤) أَي: أَتَنَّتَهُ وَغَيَّرَتْ رِيحَهُ.

فَاسْمَعُوا - يَا مَنْ تَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِ عِبَادِ اللَّهِ تَخْطِئَةً وَتَجْرِيحًا، ثَلَمًا وَتَنْقِيسًا وَتَقْبِيحًا - فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْصَبُ نَفْسَهُ حَكَمًا عَلَى الْخَلِيقَةِ فِي جَلْسَةٍ، بَلْ فِي لَحْظَةٍ، يُحْطِئُ هَذَا وَيُسْفَهُ ذَاكَ، وَيَجْهَلُ هَذَا وَيُضَلِّلُ ذَاكَ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ، أَيْنَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ؟! أَيْنَ

(١) رواه أحمد (٤/٤٢٠)، وأبو داود (٤٨٨٠)؛ من حديث أبي برزة الأسلمي، رضي الله عنه.

(٢) يَخْمِشُونَ: يَخْدِشُونَ وَيَجْرَحُونَ. «النهاية» (خمش).

(٣) «سنن أبي داود» (٤٨٧٨).

(٤) رواه أحمد (٦/١٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢).



اسْتَشْعَارُ رِقَابَةِ اللَّهِ؟! أَيْنَ رِعَايَةُ حُرْمَةِ حُقُوقِ عِبَادِ اللَّهِ؟! لَقَدْ وَصَلَ الْأَمْرُ فِي هَذَا ذِرْوَتَهُ، وَبَلَغَ غَايَتَهُ وَنَهَايَتَهُ؛ فَالْأَمْرُ خَطِيرٌ جِدُّ خَطِيرٍ - يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ - لَا يَسَعُ الشُّكُوتُ عَلَيْهِ وَالرِّضَا بِهِ، لَقَدْ تَحَوَّلَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْمَجَالِسِ وَالْمُنْتَدِيَاتِ إِلَى أَسْوَاقٍ تُرَوِّجُ فِيهَا أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُقَدِّمُ لِحُومِهِمْ فِي أَطْبَاقٍ مِنْ عَذَابٍ، وَيُسْتَدْرُ بِأَفْعَالِهِمْ وَتَنْصِرُ فَاتِهِمْ فَآكِهَةً فِي الْمَجَالِسِ، وَهِيَ مِنْ نَارٍ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! .

لَقَدْ وَجِدَ فِي السَّاحَةِ فِتْنًا مِنْ الْفَارِغِينَ ذَوِي الْبَطَالَةِ الْمُقْنَعَةِ، آثَرُوا الْكَلَامَ عَلَى الْعَمَلِ، وَأَقْعَدَهُمُ التَّوَانِي وَالْكَسَلَ، عَجَزُوا عَنِ اللَّحَاقِ بِرُكْبِ الْجَادِّينَ الْعَامِلِينَ؛ فَاعْمَلُوا فِيهِمْ كَلَامًا وَنَقْدًا؛ بِضَاعَتِهِمُ النَّقْدَ وَالتَّجْرِيحَ، دَيَدَنُهُمُ الْبَحْثَ عَنِ أَخْطَاءِ الْآخَرِينَ، وَالْإِشَارَةَ إِلَيْهِمْ بِالتَّصْرِيحِ وَالتَّلْمِيحِ، عَقَدُوا الْمَجَالِسَ وَكَوَنُوا اللَّقَاءَاتِ لِأَجْلِ هَذِهِ الْبِضَاعَةِ الرَّائِفَةِ .

ذَلِكَ مِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ أَشَدَّ الْأَسْفِ، وَمِمَّا يَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ، وَمِمَّا تَبْكِي لَهُ الْمُرُوءَةُ، وَتَبْتُ لَهُ الْفَضِيلَةُ، وَلَقَدْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ لِهَؤُلَاءِ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ! .

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَمِنَ الْعَجَبِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ الْإِحْتِرَازُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيَضَعُبُ عَلَيْهِ التَّحْفُظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ؛ حَتَّى تَرَى الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالذِّينِ وَالرُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا؛ يَزِلُّ بِالْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَعَدَّ مَا بَيْنَ

المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(١) .

وَيَقُولُ الْحَسَنُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَشْتَغِلُ بِعُيُوبِ
غَيْرِهِ، وَيَتْرُكُ عُيُوبَ نَفْسِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ مُكْرِبِهِ»^(٢) .

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَدْرُونَ مَا أَرْبَى الرَّبَا عِنْدَ اللَّهِ؟» قَالُوا: اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ أَرْبَى الرَّبَا عِنْدَ اللَّهِ اسْتِحْلَالُ عِرْضِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ»،
ثُمَّ قَرَأَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بِهَتْنَا وَإِنَّمَا مِينَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾ [الأحزاب] ^(٣) .

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ أَدَّبَ الرَّسُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحَابَتَهُ الْأَدَبَ الرَّفِيعَ؛ حَيْثُ
قَالَ: «لَا يُلَغِّنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ
إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمٌ الصَّدْرِ»^(٤) .

اللَّهُ أَكْبَرُ! أَيْنَ هَذَا مِنْ حَالِ الْمَفْتُونِينَ بِتَبَعِ الزَّلَّاتِ، وَتَعَقُّبِ
الْهَفَوَاتِ، وَإِبْرَازِ السَّقَطَاتِ؟! يُوسَّعُونَ الْخَرْقَ، وَيَفْضَحُونَ الْخَلْقَ،
وَيَجْعَلُونَ مِنَ الْحَبَّةِ قُبَّةً، وَيَنْفُخُونَ فِي الْكَلِمَاتِ، وَيَمْتَطُونَ صَهْوَةَ سُوءِ
الظَّنِّ بِإِخْوَانِهِمْ، وَالشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ تَمُوتُ فِي حِينِهَا وَلَا

(١) «الداء والدواء» (ص ٢٤٤) .

(٢) انظر: «الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ١٩٨) .

(٣) رواه أبو يعلى (٤٦٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧١١)؛ من حديث عائشة،
رضي الله عنها .

(٤) رواه أبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٦)؛ من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه .

تُبَارِحُ مَكَانَهَا، وَرُبَّ كَلِمَةٍ صَارَتْ شَرَارَةً، تَعْقُبُهَا نَارٌ مُلْتَهَبَةٌ تَقْضِي عَلَى
 الْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، تَجِدُ هَوًّا لَاءً مُغْرَمِينَ بِسَرْدِ الْفَضَائِحِ، وَإِعْلَانِ الْقَبَائِحِ،
 وَإِبْدَاءِ الْعَوْرَاتِ، وَكَشْفِ السُّتُورِ وَالسَّلْبِيَّاتِ، فِي الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ،
 وَالذُّوَلِ وَالْحُكُومَاتِ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ وَالْهَيْئَاتِ، فِي الْعُلَمَاءِ وَالْعَامَّةِ، فِي
 الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ، فِي الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ، وَهَلُمَّ جَرًّا .

وَمَنْهَجُ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - التَّنَاصُحُ الْمَحْبُوبُ، لَا التَّفَاضُحُ
 الْمَذْمُومُ؛ قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ،
 وَإِيَّاكُمْ وَذِكْرَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ دَاءٌ»^(١)، وَيَقُولُ بَعْضُ السَّلَفِ: «الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنْ
 الزَّانِي، قِيلَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: الرَّجُلُ يَزْنِي ثُمَّ يَتُوبُ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ،
 وَصَاحِبُ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّىٰ يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ»^(٢)، وَقَالَ قَتَادَةُ: «ذُكِرَ لَنَا
 أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَثْلَاطٍ: ثُلُثٌ مِنَ الْغَيْبَةِ، وَثُلُثٌ مِنَ الْبَوْلِ، وَثُلُثٌ
 مِنَ النَّمِيمَةِ»^(٣)، وَاغْتَابَ رَجُلٌ آخَرَ عِنْدَ بَعْضِ السَّلَفِ، فَنَهَرَهُ، فَقَالَ: «يَا
 هَذَا، إِيَّاكَ وَوُلُوعَ الْكِلَابِ!»^(٤) .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، مِنْ أَشَدِّ الْغَيْبَةِ خَطَرًا، وَأَعْظَمِهَا ضَرَرًا: الْوَقِيعَةُ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» (ص ٢٠٤).

(٢) «كتاب الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ١٦٤)، وانظر: «كنز العمال» (٣/٥٨٩).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» (ص ١٩٠).

(٤) انظر: «كتاب الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ٢٩٩).

فِي أَعْرَاضِ وُلاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَالَّذِي يُبَغِّي: الدُّعَاءُ لَهُمْ، وَإِبْرَازُ مَحَاسِنِهِمْ، وَمَنَاصِحَتَهُمْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؛ حَتَّى لَا تُوعَرَ صُدُورُ الْعَامَّةِ، وَلَا تُؤَلَّبَ عَوَاطِفُ الْجَمَاهِيرِ؛ وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الدَّعْوَةِ وَالِإِصْلَاحِ، فَلُحُومُهُمْ مَسْمُومَةٌ، وَغَيْبَتُهُمْ مَذْمُومَةٌ، وَمَنْ ابْتُلِيَ بِالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ، وَالثَّلْبُ لَهُمْ^(١) - ابْتِلَاةُ اللَّهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ؛ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(٢) وَالْكَمَالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ؟!^(٣)

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَاتَّقِينَ اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمَاتُ - فَإِنَّ الْغَيْبَةَ فِي مَجَالِسِ النِّسَاءِ كَثِيرَةٌ - فِي فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ - بِشَكْلِ مُذْهِلٍ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤).

اتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمَسْئُولُونَ - عَنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، لَا تَجْعَلُوا لِلْمُغْتَابِينَ عِنْدَكُمْ رَوَاجًا، وَاحْذَرُوا تَصْدِيقَهُمْ فِي فُلَانٍ وَغَيْرِهِ، إِلَّا بَعْدَ التَّبَيُّنِ وَالتَّثَبُّتِ^(٥)؛ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا

(١) الثَّلْبُ لَهُمْ، أَي: الْعَيْبُ لَهُمْ، وَالتَّنْقِصُ مِنْهُمْ. «اللسان» (ثلب).

(٢) «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (ص ٣٠٧).

(٣) البيت للحريري، وقد سبق تخريجه (ص ٣٠٧).

(٤) «صحيح البخاري» (٢٩)، و«صحيح مسلم» (٢٧٣٧).

(٥) أمَّا وجوب التَّبَيُّنِ: فمستفادٌ من قراءة الجمهور: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، وأما وجوب التَّثَبُّتِ: =

قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ [الحجرات].

وَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا حَمَلَةَ الْأَقْلَامِ وَالتَّقْرِيرَاتِ ، وَيَا أَصْحَابَ الرَّأْيِ
وَالِاسْتِشَارَاتِ - إِيَّاكُمْ وَالتَّحَايِلَ عَلَى الْبِرَاءِ ، وَاحْذَرُوا سُوءَ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ .

وَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ - وَفَرُّوا أَعْرَاضَ إِخْوَانِكُمْ ،
احْمِلُوهُمْ - وَلَوْ خَالَفُوكُمْ - عَلَى الْمَحَامِلِ الْحَسَنَةِ ، وَاحْذَرُوا أَنْ يُوقِعَ
الشَّيْطَانُ بَيْنَكُمْ ؛ فَإِنَّهُ يَسَّسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ ؛ فَعَمِلَ عَلَى التَّحْرِيشِ
بَيْنَهُمْ ، وَلَا يُفْسِدُ ذَاتَ بَيْنِكُمُ الْأَعْرَارُ وَالْأَدْعِيَاءُ ، وَالجَهْلَةُ وَالسُّفَهَاءُ .

وَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا سَبَابَ الْإِسْلَامِ - كُونُوا يَدًا وَاحِدَةً فِي الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ،
تَلَاحَمُوا مَعَ عُلَمَائِكُمُ الرَّبَّانِيِّينَ ، وَوَلَاتِكُمُ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُونُوا صَفًّا
وَاحِدًا عَلَى أَعْدَائِكُمُ الْمُتْرَبِّصِينَ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال] .

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَجَنَّبَنِي
وَإِيَّاكُمْ طَرِيقَ الْغَافِلِينَ وَالْمُغْتَابِينَ ، وَجَعَلْنَا جَمِيعًا إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ ؛ إِنَّهُ
جَوَادٌ كَرِيمٌ !

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَغْفِرُوهُ ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا .

= فَمِنْ قِرَاءَةِ حَمْزَةِ الْكِسَائِيِّ وَخَلْفَ : ﴿ فَتَتَّبِعُوا ﴾ . انظر : «النشر» في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢/٢٥١، ٣٧٦) .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، قَوْلُهُ الْحَقُّ، وَوَعْدُهُ الصِّدْقُ، وَأَمْرُهُ الْإِحْسَانُ وَالرِّفْقُ،
نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ بِالْعَمَلِ وَالنُّطْقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّذْيِيرِ وَالرِّزْقِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
والتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَاحْرِصُوا عَلَى اجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ، وَرَاقِبُوا
رَبِّكُمْ عِلَامَ الْغُيُوبِ، ابْتَعِدُوا عَنْ مَجَالِسِ الْغَيْبَةِ، فَشُؤْمُهَا يَعْمُ الْمُتَكَلِّمَ
وَالسَّمَاعَ وَالرَّاضِيَ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِكَثْرَةِ الْمُغْتَابِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ أَدْرَكْنَا جَمِيعًا خُطُورَةَ الْغَيْبَةِ وَشَنَاعَتَهَا،
وَأَنَّهَا تَحْصُلُ بِأَدْنَى شَيْءٍ يُذَكِّرُ عَنِ الْمُسْلِمِ وَهُوَ يَكْرَهُهُ، خَلْقًا أَوْ خُلُقًا أَوْ
نَحْوَ ذَلِكَ؛ كَمَا تَبَيَّنَتْ حِكْمَةُ الْإِسْلَامِ فِي تَحْرِيمِهَا؛ حِفَاطًا عَلَى أَعْرَاضِ
الْمُسْلِمِينَ، وَتَأْكِيدًا لِحُرْمَتِهِمْ، وَصِيَانَةً لِلْمُجْتَمَعِ عَنِ مَعَاوِلِ^(١) الْهَدْمِ
الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تُصَدِّعُ بُنْيَانَهُ مِنَ الدَّاخِلِ.

(١) المعاول: جمع معول، وهي: الفأس العظيمة التي يُقَرَّبُ بِهَا الصَّخْر. «اللسان» (عول).

أَحَبَّتِي فِي اللَّهِ، وَإِذَا بَحَثْنَا عَنِ الْأَسْبَابِ وَالْبَوَاعِثِ لِهَذَا الْمَرَضِ
الْخَطِيرِ، وَجَدْنَاهَا لَا تَعْدُو: ضَعْفَ الْإِيمَانِ، وَقِلَّةَ الْوَاظِعِ، وَعَدَمَ الْخَوْفِ
مِنَ اللَّهِ؛ إِضَافَةً إِلَى التَّشْفِيِّ وَالغَيْظِ، وَالإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ رَغَبَاتِ النَّفْسِ
الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَالْعَمَلِ عَلَى رَفْعِهَا فَوْقَ مَنْزِلَتِهَا، وَالْحَطِّ مِنْ أَقْدَارِ
الْآخِرِينَ، فَالَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ يَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهِ: «أَنَا الْكَامِلُ، وَالنَّاسُ
مُحْطِطُونَ! وَأَنَا الْمُحِقُّ، وَالنَّاسُ مُبْطِلُونَ!»، وَكَفَى بِذَلِكَ ضِعَّةً وَدَنَاءَةً،
أَضِفُ إِلَى ذَلِكَ: تَمَكُّنَ الْحَسَدِ وَالشَّحْنَاءِ، وَالْحِقْدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالضَّغَائِنِ
فِي النَّفُوسِ، وَالِاسْتِرْسَالِ مَعَ الْآخِرِينَ دُونَ حَسِيبٍ وَلَا رَقِيبٍ.
وَقَدْ وَضَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - كَالْغَزَالِيِّ، وَالنَّوَوِيِّ،
وغيرِهِمَا^(١): اسْتِثْنَاءَاتٍ سِتَّةَ تَجُوزُ فِيهَا الْغَيْبَةُ لِلضَّرُورَةِ، وَهِيَ:
التَّظَلُّمُ، وَالِاسْتِفْتَاءُ، وَالِاسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَتَحْذِيرِ الْمُسْلِمِينَ
مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وَإِظْهَارُ فَسْقِ الْمُجَاهِرِ، وَالتَّعْرِيفُ بِالِإِنْسَانِ إِذَا لَمْ
يُعْرَفْ إِلَّا بِوَصْفٍ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ غَيْرِهِ.

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/١٥٢، ١٥٣)، و«رياض الصالحين» (ص ٤٥٠،
٤٥١)، و«الأذكار» (ص ٥٤٠-٥٤٣)، و«الزواجر» لابن حجر الهيتمي (٢/٢٩-
٣١)، و«سبل السلام» (٨/٣١٠، ٣١١)، وراجع رسالة العلامة الشوكاني «رفع
الريبة، عما يجوز ولا يجوز من الغيبة».

وَقَدْ جَمَعَهَا النَّاطِمُ بِقَوْلِهِ:

وَالْقَدْحُ لَيْسَ بِغَيْبَةٍ فِي سِتِّهِ مُتَظَلِّمٍ، وَمُعَرِّفٍ، وَمُحَدَّرٍ
وَلِمُظْهِرٍ فَسَقًا، وَمُسْتَفْتٍ، وَمَنْ طَلَبَ الْإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرٍ^(١)

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، أَمَّا الْعِلَاجُ لِهَذَا الْمَرَضِ الْخَطِيرِ - يَا عِبَادَ
اللَّهِ - فَهُوَ التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ بِالْكَفِّ عَنِ هَذَا الْجُرْمِ الْخَطِيرِ، وَكَثْرَةُ
الِاسْتِغْفَارِ، وَمُجَانَبَةُ مَجَالِسِ الْغَيْبَةِ، وَالْبُعْدُ عَنِ أَهْلِ الشُّوْءِ وَالْبَاطِلِ،
وَالدَّعَاءُ لِمَنْ اغْتَبْتَهُ فِيهِ، وَذِكْرُهُ بِالْخَيْرِ، وَإِبْدَاءُ مَحَاسِنِهِ وَفَضَائِلِهِ فِي
الْمَكَانِ الَّذِي اغْتَبْتَهُ فِيهِ، وَالتَّحَلُّلُ مِنْهُ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ
وَخِتَامِهِ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَأَطْرُقُ النَّفْسِ عَلَى الظَّنِّ الْحَسَنِ، وَطَلَبُ
الْمَعَادِيرِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ، وَتَذَكُّرُ
الْمَوْتِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ.

يُرْوَى أَنَّ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِذَا اغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدٌ قَالَ:
«يَا هَذَا، اذْكُرِ الْكَفْنَ وَالْقُطْنَ وَالْحَنُوطَ إِذَا وُضِعَ عَلَيْكَ»^(٢).

وَيَا سَلُوكِي لِمَنْ اغْتَابَهُمُ النَّاسُ؛ لِاسْتِفَادَتِهِمْ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؛ يُرْوَى

(١) هذان البيتان نسبهما الصنعاني إلى ابن أبي شريف. انظر: «سبل السلام»
(٣١١/٨).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣٦٤/٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٣٤١/٩).

أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ أَنَّ رَجُلًا اغْتَابَهُ، أُرْسِلَ إِلَيْهِ طَبَقًا مِنْ رُطْبٍ،
وَقَالَ لَهُ: «بَلِّغْنِي أَنَّكَ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ حَسَنَاتِكَ - أَيُّ: بِغِيَّتِكَ لِي - فَأَرَدْتُ أَنْ
أُكَافِئَكَ عَلَيْهَا، فَأَعْذُرْنِي؛ فَإِنِّي لَا أَفِدِرُ عَلَى مُكَافَأَتِكَ عَلَى التَّمَامِ» (١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَتُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ
وَالْمَعَاصِي؛ تَسْعُدُوا وَتُقْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ، رَزَقَ اللَّهُ الْجَمِيعَ
التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، وَالْأُوبَةَ الصَّادِقَةَ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ إِلَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَقِيَوْمِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِينَ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/١٦٤).



الخطبة للهولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْمَنِّ وَالْعَطَاءِ، وَالْعِزِّ وَالْعِظَمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ، أَحْمَدُهُ
تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْأَلُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَشَفَ
الْبَلَاءِ وَتَوَالِي النَّعْمَاءِ، وَفِي الْآخِرَةِ حُسْنَ الْعُقْبَى وَعَظِيمَ الْجَزَاءِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا أُنَدَادَ لَهُ وَلَا شُرَكَاءَ، سُبْحَانَهُ لَا يُعْجِزُهُ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ
أَفْضَلُ الرُّسُلِ وَخَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْأَصْفِيَاءِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الشُّرَفَاءِ الْأَتْقِيَاءِ، وَصَحْبِهِ الثُّجَبَاءِ الْأَوْفِيَاءِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَافْتَقَى، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد:

فَأَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهَا الْعُدَّةُ فِي الشَّدَّةِ
وَالرَّخَاءِ، وَالذَّخِيرَةُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، تَكْشِفُ الْهُمُومَ، وَتُدْهِبُ
الْغُمُومَ، وَتَجْلِبُ الْأَرْزَاقَ، وَتَيْسِّرُ الْأُمُورَ بِإِذْنِ اللَّهِ؛ ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق]، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ

أَمْرِهِ يُتْرَكُ ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ [الطلاق].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، مِنَ الْأَهْدَافِ الْكُبْرَى، وَالْمَقَاصِدِ الْعُظْمَى الَّتِي قَصَدَتْ إِلَيْهَا شَرِيعَتُنَا الْغَرَاءُ: بِنَاءُ الْفَرْدِ الصَّالِحِ، وَإِقَامَةُ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ الْمِثَالِيِّ، الَّذِي تَصِلُ بَيْنَ أَفْرَادِهِ جُسُورُ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ، وَتَنْشَأُ بَيْنَ أَوْلَادِهِ عِلَاقَاتُ الْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ وَالْوَفَاءِ، مُجْتَمَعُ الْمَحَبَّةِ وَالتَّرَاحُمِ، وَالتَّكَاتُفِ وَالتَّلَاحُمِ، وَالْمَوَدَّةِ وَالتَّلَاوُمِ، الْقَائِمُ عَلَى أُسُسِ التَّعَاوُنِ الْمُشْتَرِكِ، وَالْحُبِّ الْمُتَبَادَلِ، وَالْمِنِيِّ عَلَى قَوَاعِدِ التَّعَامُلِ الرَّفِيقِ، وَالتَّقْدِيرِ الْمُشَاعِ؛ فَلَا مَكَانَ فِيهِ لِلْأَنَانِيَّةِ الْمَمْقُوتَةِ، وَلَا الْأَثَرَةَ الْمَكْرُوهَةَ، وَلَا الْفَرْدِيَّةَ الْمُتَسَلِّطَةَ؛ قُلُوبُ أَفْرَادِهِ مُفْعَمَةٌ بِالْمَحَبَّةِ لِإِخْوَانِهِمْ، وَالسِّنْتُهُمْ ثَرَّةٌ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، سَلِيمَةٌ مِنَ الْوَلُوغِ فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَالْوَقِيعَةِ فِي سِيرَتِهِمْ، وَالطَّعْنِ فِي سَرِيرَتِهِمْ، وَالتَّيْلِ مِنْ كَرَامَتِهِمْ، لَا يَحْمِلُونَ حَقْدًا دَفِينًا، وَلَا يُنْشُرُونَ إِفْكًَا مُبِينًا، يَعِيشُونَ مُتَحَابِّينَ فِي بِنَاءِ شَامِخٍ، وَجَسَدٍ وَاحِدٍ، وَبُنْيَانٍ مَرْصُوعٍ، حَلَقَاتُ مُتْرَابِطَةٌ فِي سِلْسِلَةٍ مُحْكَمَةٍ، وَجَوَاهِرُ نَاصِعَةٌ، وَدُرَرٌ مُتَلَالِئَةٌ فِي عِقْدٍ فَرِيدٍ مَصُونٍ مِنَ التَّنَاطُرِ وَالْإِنْدِثَارِ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ لَا تَتَسَلَّلُ إِلَيْهِ عَوَامِلُ التَّصَدُّعِ وَالْإِنْهِيَارِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، لَقَدْ طَلَبَ الْإِسْلَامُ أَهْلَهُ الْمُتَشَرِّفِينَ بِحَمْلِ رِسَالَتِهِ: أَنْ يَرْعَوْا حَقَّ الْإِيمَانِ وَالْأُخُوَّةِ، وَأَنْ يُصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَأَنْ

يَقِفُوا سَدًّا مَنِعًا أَمَامَ الْجَرَائِمِ الْمُدْمِرَةِ، وَالْأَمْرَاضِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْفَتَاكِهَ،
الَّتِي تَأْتِي عَلَى بُنْيَانِ الْمُجْتَمَعِ مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَتُحوِّلُهُ إِلَى مُجْتَمَعٍ صِرَاعٍ دَائِمٍ،
وَتَفْكَكٍ دَائِبٍ، وَإِحْنٍ مُتَكَثِرَةٍ، وَفِتْنَاتٍ مُتَنَاحِرَةٍ، وَدَعَا إِلَى الْحِفَاطِ عَلَى
سَلَامَةِ الْمُجْتَمَعِ، وَضَمَانِ أَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ؛ لِيَتَصَدَّقَ لِعَايَاتِ الْعَوَاصِفِ،
وَتَلَاطِمَاتِ الْأَمْوَاجِ؛ حَتَّى لَا تُغَيِّرَ مَسَارَ سَفِينَةِ الْمُجْتَمَعِ، أَوْ تُحْدِثَ فِيهَا
الشُّرُوخَ وَالْحُرُوقَ؛ فَتَطُوحَ بِهَا بَعِيدًا عَنِ بَرِّ الْأَمَانِ وَشَاطِئِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ.

وَإِنَّهُ لَا يَزَالُ الْمُجْتَمَعُ بِخَيْرٍ مَا عَرَفَ فِيهِ أَفْرَادُهُ حُقُوقَ بَعْضِهِمْ تُجَاهَ
بَعْضٍ، وَسَادَتِ بَيْنَهُمُ الْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ، وَتَلَاشَتْ بَيْنَهُمُ الصِّفَاتُ
الدَّمِيمَةُ، وَالْمَسَالِكُ الْمَرْدُودَةُ.

مَعَاشِرِ الْإِخْوَةِ، وَإِنَّ مِنْ أَمَمِ السَّجَايَا الْحَمِيدَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَسُودَ
بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ: حُسْنَ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَالتَّثَبُّتِ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ
لَهُمْ وَعَنْهُمْ، وَلَقَدْ أَدَّبَ الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ عَلَى ذَلِكَ؛ حِفَاظًا عَلَى تَمَاسُكِ
الْمُجْتَمَعِ، وَتَلَاحُمِ أَفْرَادِهِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ
فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾
[الحجرات]، وَفِي قِرَاءَةِ حَمْزَةِ وَالْكِسَائِيِّ: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا:
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]،

(١) انظر: «النشر، في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥١، ٣٧٦).

وَقَالَ ﷺ - فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ - : «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١)، وَرَوَى مُسْلِمٌ - أَيْضًا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ^(٣) : «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا...» .

أَحَبَّتِي فِي اللَّهِ، إِنَّ شَأْنَ الْمُسْلِمِ الْوَاعِي أَلَّا يَقْبَلَ أَيَّ قَوْلٍ يَصِلُ إِلَى مَسْمَعِهِ دُونَ التَّثَبُّتِ وَالتَّحَرِّيِّ؛ فَقَدْ يَكُونُ الْمُخْبِرُ مُغْرَضًا، أَوْ يَجْرُؤُ إِلَيْهِ مَعْنَمًا، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَغْرَمًا، أَوْ يَنَالُ مَكَانَةً وَحُظُوعًا، وَإِذَا كَانَ فِي دُنْيَا النَّبَاتِ طُفَيْلِيَّاتٍ تَلْتَفُّ حَوْلَ النَّبْتَةِ الصَّالِحَةِ؛ لِتُفْسِدَ نُمُوَهَا - فَإِنَّ فِي الْبَشَرِ مَنْ هُمْ كَذَلِكَ، وَأَعْنِي: مَنْ يَلْتَقُونَ حَوْلَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، فَيُؤْغِرُونَ الصُّدُورَ، وَيَبْعَثُونَ الشُّرُورَ، فَتَحْدُثُ الْقَطِيعَةُ وَالشَّخْنَاءُ، وَالْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ، بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَتَضْرِبُ الظُّنُونُ السَّيِّئَةَ أَطْنَابَهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ؛ فَتَقْضِي عَلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ بَيْنَهُمْ .

وَخَطَرُ هَؤُلَاءِ عَظِيمٌ فِي الْأُمَّةِ، وَهُمْ كَثِيرٌ - لَا كَثَرَهُمُ اللَّهُ - فَكَمِ أَحَدُثُوا فَجَوَاتٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ! وَكَمِ تَجَنُّوا عَلَى الْأَبْرِيَاءِ! وَكَمِ أَشْعَلُوا نَارَ الْفِتْنَةِ وَالْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ وَالْأَصْفِيَاءِ! مِمَّا يُحْتَمُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٦٦)، و«صحيح مسلم» (٢٥٦٣)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه .

(٢) «صحيح مسلم» (٥)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه .

(٣) عند ابن حبان في «صحيحه» (٣٠) .

يَحْذَرُوهُمْ فَلَا يُصَدِّقُوهُمْ، وَذَلِكَ مَبْدَأُ إِسْلَامِيٍّ عَظِيمٍ تَجِبُ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ؛ سَدًّا لِلْبَابِ أَمَامَ الْوُشَاةِ الْمُتَرَبِّصِينَ، وَنَقْلَةَ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضِينَ، وَمَنْعًا لِمُرُوجِي الشَّائِعَاتِ وَالْبَلَغَاتِ الْكَيْدِيَّةِ الْمُغْرِضَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمَكْذُوبَةِ عَنِ الْبُرَاءِ الْغَافِلِينَ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَنْتَ»^(١)، وَرَوَى أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرَّبَا: الْاسْتِطَالَةَ فِي عَرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ»^(٢).

وَقَدِيمًا تَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَأْسٍ الْمُنَافِقِينَ كَبْرَ الْإِفْكِ الْمُبِينِ، فِي تَلْوِيثِ سِيرَةِ الطَّاهِرَةِ الْمُطَهَّرَةِ الْمُبْرَأَةِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ سُبْحَانَهُ مُوجَّهًا إِلَى مَا يَنْبَغِي اتِّخَاذُهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْمُخْزِيَةِ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾^(١٢) . . . إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾^(١٦) يَعِظُكُمْ

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣)، وأحمد (٤٥٩/٦).

(٢) «المسند» (١/١٩٠)، و«سنن أبي داود» (٤٨٧٦)؛ من حديث سعيد بن زيد،

رضي الله عنه.

اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ [النور].

وَهُوَ مَنْهَجٌ مَرْسُومٌ يَجِبُ أَنْ يُحْتَدَىٰ عِنْدَ سَمَاعِ كُلِّ شَائِعَةٍ، وَرَوَاجِ كُلِّ ذَائِعَةٍ؛ لِثَلَا يَحْصُلَ النَّدْمُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَىٰ مُسْلِمٍ، وَإِشَاعَةَ مَا لَيْسَ فِيهِ، أَوْ الْكَذِبِ عَلَيْهِ، وَنَقْلِ مَا لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ تَحْتَ شِعَارِ «يَقُولُونَ!»، أَوْ «يَزْعُمُونَ!»، وَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، وَنَوْعٌ مِنَ الْإِنْدَاءِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَإِشَاعَةَ مَا هُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْخَطِيرَةِ الْمُتَشْرِعَةِ بَيْنَ النَّاسِ مَرَضًا عَضَالًا، وَدَاءً عِيَاءً، إِنَّهُ الْخَصْلَةُ الدَّمِيمَةُ وَالْخَلَّةُ الْوَحِيمَةُ، وَمَا هِيَ يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ؟

إِنَّهَا «النَّمِيمَةُ»، الَّتِي تَنَمُّ عَنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَخُبْثِ الْجَنَانِ، وَسَلَاطَةِ اللِّسَانِ، وَهِيَ: «نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ شَخْصٍ إِلَىٰ آخَرَ؛ لِلْإِفْسَادِ بَيْنَهُمَا».

وَالنَّمَامُ لِنَيْمِ الطَّبْعِ، فَيَبْحُ الْمَعْشَرِ، دَنِيءُ الْهَمَّةِ، قَلِيلُ الْمُرُوءَةِ، يَنْقَاطِرُ حَسَّةً وَقُبْحًا، وَقَدَارَةً وَدَنَاءَةً، قَدْ تَرَسَّبَ الْغِلُّ فِي أَعْمَاقِهِ؛ فَلَا يَسْتَرِيحُ حَتَّىٰ يُزِيدَ وَيُرْغِي، وَيُفْسِدَ وَيُؤْذِي، فَكَمْ بَاعَدَ بَيْنَ أَحِبَّةٍ، وَشَتَّتَ مِنْ إِخْوَةٍ، وَقَطَعَ مِنْ حِبَالِ مَوَدَّةٍ، وَأَفْسَدَ مِنْ عِلَاقَةٍ، وَمَزَّقَ مِنْ آصِرَةٍ،

وَأَنَارَ مِنْ فِتْنَةٍ، وَأَذَكَى مِنْ أَحْقَادٍ، وَأَوْرَثَ مِنْ ضَعَائِنَ، وَفَرَّقَ بَيْنَ زَوْجَيْنِ، وَبَاعَدَ بَيْنَ مُتَصَافِيَيْنِ!! بَلْ كَمْ دَمَّرَ مِنْ بُيُوتَاتٍ، وَأَهْلَكَ مِنْ مُجْتَمَعَاتٍ، وَنَسَفَ مِنْ حَضَارَاتٍ!! بَلْ لَرُبَّمَا قَامَتِ الْحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ - بِسَبَبِ ذَلِكُمْ - بَيْنَ دَوْلٍ وَفِتَاتٍ!! وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

إِنَّهُ عَصُومٌ مَسْمُومٌ؛ يُحْدِثُ الْقَطِيعَةَ وَالْجَفَاءَ، وَيَتَكَلَّمُ فِي الْحَفَاءِ، يَتَلَوَّنُ كَالْحِرْبَاءِ، وَيَنْفُثُ سُمُومَهُ كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ، دَيْدَنُهُ الْإِفْسَادُ وَالْهَمْزُ، وَعَادَتُهُ الْخُبْثُ وَالْغَمْزُ، وَسُلُوكُهُ الشَّرُّ وَاللَّمْزُ، لَا يُحِبُّ إِلَّا الْإِثَارَةَ وَالتَّهْوِيشَ، وَلَا يَتَلَدُّذُ إِلَّا بِالشَّائِعَةِ وَالتَّحْرِيشِ، وَلَا يَرْتَاحُ إِلَّا بِالتَّقْوِيلِ وَالدَّعَاءِ، وَلَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ، وَلَا يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ؛ حَتَّى يُفْسِدَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، وَيُفَرِّقَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَكَمْ حَصَلَ مِنْ جِنَايَةٍ عَلَى الْأَكْفَاءِ الْمُؤَهَّلِينَ بِسَبَبِ وَشَايَةِ دَعْيِي مَأْفُونٍ!!

لِذَلِكَ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَمِنْ عَمَلِهِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِينٍ﴾ [القلم].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَهُ وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(٢)،

(١) «صحيح مسلم» (١٠٥)؛ من حديث حذيفة، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري» (٦٠٥٦).

قَالَ التَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - : «وَهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ»^(١) ، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ : «وَقِيلَ : الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا : أَنَّ النَّمَامَ هُوَ الَّذِي يَحْضُرُ الْقِصَّةَ ، فَيَنْقُلُهَا ، وَالْقَتَاتُ : الَّذِي يَتَسَمَّعُ مِنْ حَيْثُ لَا يُعْلَمُ بِهِ ، ثُمَّ يَنْقُلُ مَا سَمِعَهُ»^(٢) ، وَقَدْ حَكَى الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - الْإِجْمَاعَ عَلَى تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّهَا مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ^(٣) .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا : فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ : فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»^(٤) ، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَلَا أُنبِّئُكُمْ مَا الْعِضَةُ؟» - وَهِيَ أَشَدُّ الْبُهْتَانِ - قَالَ : «هِيَ : النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»^(٥) .

عِبَادَ اللهِ ، أَبْعَدَ هَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ الَّذِي تَرْتَعِدُ مِنْ هَوَاهُ الْفَرَائِصُ ، يَرْتَضِي أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا الْمَسْلَكَ الْمَشِينِ فِي كَشْفِ الْأَسْرَارِ ، وَهَتِكِ الْأُسْتَارِ ، وَالْغَرَامِ بِتَتَبُعِ الزَّلَّاتِ ، وَتَعَقُّبِ الْهَفَوَاتِ ،

(١) «شرح مسلم» للنووي (١١٢/٢) .

(٢) «فتح الباري» (٤٧٣/١٠) .

(٣) كتاب «الكبائر» للذهبي (ص ١٦٠) .

(٤) «صحيح البخاري» (٢١٨) ، و«صحيح مسلم» (٢٩٢) .

(٥) رواه مسلم (٢٦٠٦) .

وَتَضَخِيمِ الْهَنَاتِ؟! وَرُبَّ كَلِمَةٍ تَمُوتُ فِي حِينِهَا وَلَا تَبَارِحُ مَكَانَهَا، وَرُبَّ
 كَلِمَةٍ صَارَتْ شَرَارَةً فَأَضْرَمَتْ نَارًا عَظِيمَةً تَقْضِي عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ،
 وَقَدْ قِيلَ: «إِنَّ النَّمَامَ يُفْسِدُ فِي سَاعَةٍ، مَا لَا يُفْسِدُهُ السَّاحِرُ فِي سَنَةٍ».

وَمَنْهَجُ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - السِّرُّ وَالتَّنَاضُحُ، لَا النَّمُّ وَالتَّقَاضُحُ،
 وَيَقُولُ عَمْرُو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَا تَنْظَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ فِي مُسْلِمٍ شَرًّا
 وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا»^(١).

إِنَّ مِنَ الرَّجُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ: أَنْ تُوَاجِهَ أَخَاكَ بِمَا فِيهِ، وَإِنَّ مِنَ الْجُبْنِ
 وَالصَّفَاقَةِ وَاللُّؤْمِ وَالْوَضَاعَةِ: أَنْ تُظْهِرَ لَهُ الْمَحَبَّةَ وَتَقُولَ لَهُ: أَنْتَ! وَأَنْتَ!
 فَإِذَا تَوَارَيْتَ، قَلْبَتْ لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ^(٢)؛ فَأَبْدَيْتَ عُيُوبَهُ، وَوَلَعْتَ فِي
 عَرِضِهِ، وَقُلْتَ: فِيهِ! وَفِيهِ! وَتِلْكَ - وَاللَّهِ - مَسَالِكُ الْمُقْبُوحِينَ الْوَضِعَاءِ،
 وَالْمَرْدُودِينَ الْوَمَاءِ؛ يَقُولُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ
 ذَا الْوَجْهَيْنِ: الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَأَى بَوَجْهِ، وَهُوَ لَأَى بَوَجْهِ»^(٣)، وَمِثْلُهُ ذُو
 اللِّسَانَيْنِ؛ الْحُلُوءُ أَمَامَكَ، وَالْحَنْظَلُ وَرَاءَكَ.

وَإِنْ تَعَجَبَ، فَعَجَبْ شَأْنُ مَنْ يُسْلِمُ عَقْلَهُ لِهَوَلاءِ التَّمَامِينِ،

(١) رواه ابن الدنيا في «مدارة الناس» (٤٥)، وانظر: «شعب الإيمان» (٨٣٤٢)،
 (٨٣٤٤، ٨٣٤٥).

(٢) مثلُ تقدّم تخريجه وشرحه. انظر: (ص ٣٦٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٤٩٤)، و«صحيح مسلم» (٢٥٢٦)؛ من حديث أبي هريرة،
 رضي الله عنه.

فِيصَدَّقُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ دُونَ تَثَبُّتٍ وَلَا رَوِيَّةٍ!! .

قَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «كُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ التَّمِيمَةُ، وَقِيلَ لَهُ: «إِنَّ فَلَانًا قَالَ فِيكَ كَذَا وَكَذَا، أَوْ فَعَلَ فِي حَقِّكَ كَذَا وَكَذَا، أَوْ هُوَ يُدَبِّرُ فِي إِفْسَادِ أَمْرِكَ، أَوْ فِي مُمَالَاةِ عَدُوِّكَ، أَوْ تَقْبِيحِ حَالِكَ» أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ - : فَعَلَيْهِ سِتَّةُ أُمُورٍ:

الأولُ؛ ألا يَصَدِّقَهُ؛ لِأَنَّ النَّمَامَ فَاسِقٌ، وَالْفَاسِقُ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ؛
بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١) .

الثَّانِي: أَنْ يَنْهَاهُ عَنِ ذَلِكَ، وَيَنْصَحَهُ، وَيُقَبِّحَ عَلَيْهِ فِعْلَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُبَغِّضَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى،
وَيَجِبُ بُغْضُ مَنْ يُبَغِّضُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الرَّابِعُ: أَلَّا يَظُنَّ بِأَخِيهِ الْغَائِبِ الشُّوْءَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَجْتَبُوا كَثِيرًا
مِنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِعَظْمِ الظَّنِّ إِيَّامًا﴾ [الحجرات: ١٢].

الخَامِسُ: أَلَّا يَحْمِلَهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلَى التَّجَسُّسِ وَالْبَحْثِ، وَتَتَّبِعَ
الْعَوْرَاتِ؛ فَإِنَّ «مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ
عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» (٢) .

(١) راجع: الآية رقم (٦) من سورة الحجرات .

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٢)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، وانظر ما تقدم =

السَّادِسُ: أَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا نَهَى النَّمَامَ عَنْهُ، وَلَا يَحْكِي نَمِيمَتَهُ»^(١).

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَذَكَرَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ شَيْئًا؛ فَقَالَ عُمَرُ: «يَا هَذَا، إِنْ شِئْتَ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِكَ: فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنْ جَاءَكَ كُفْرٌ فَاسْقُ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم]، وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ؛ فَلَا تَعُودُ إِلَيْهِ؟! فَقَالَ: الْعَفْوَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا أَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا!»^(٢).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّا لَنَشْكُو إِلَى اللَّهِ تَفَشِّيَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي صُفُوفِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ؛ أَلَا فَلْتَقِ اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلْتَحْذَرُ مِنْ هَذِهِ الْخِصْلَةِ الدَّمِيمَةِ، وَالْبِضَاعَةِ الدَّمِيمَةِ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ أَرْبَابُ الْوِظَائِفِ وَالْمَسْئُولِيَّاتِ؛ فَإِنَّ لِهَذَا الصَّنْفِ عِنْدَهُمْ رَوَاجًا وَانْتِشَارًا، وَلْتَقِ اللَّهَ النِّسَاءُ؛ فَإِنَّ سُوقَ النَّمِيمَةِ فِي صُفُوفِهِنَّ رَائِجَةٌ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ!

وَلِيَتَّقِ اللَّهَ أَصْحَابُ الاسْتِشَارَاتِ، وَحَمَلَةُ الْأَقْلَامِ وَالتَّقْرِيرَاتِ؛ فَلَا يَتَحَامَلُوا عَلَى الْبُرَاءِ الْغَافِلِينَ، وَلَا يُسَيِّئُوا الظَّنَّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَا سِيَّمَا

= (ص ٤٠٠).

(١) عن: «إحياء علوم الدين» بتصرف يسير (٣/١٥٦)، ونقل كلام الغزالي: كُلُّ مَنْ النُّووي فِي «الْأَذْكَارِ» (ص ٥٥١)، وَابْنُ حَجْرٍ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (١٠/٤٧٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/١٥٦).

أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ، وَالْحِسْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ، وَلَيَتَّقِ اللَّهُ طَلَبَةَ الْعِلْمِ؛ فَلَا
 يَحْمِلُهُمُ الْخِلَافُ - فِيمَا فِيهِ سَعَةٌ وَمَنْدُوحَةٌ - وَلَا الْإِنْتِصَارُ لِوَجْهَاتِ
 النَّظَرِ: عَلَى الْوَقِيعَةِ بِإِخْوَانِهِمْ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ، وَلَيَتَّقِ اللَّهُ أَرْبَابَ هَذِهِ
 الْبِضَاعَةِ الْخَاسِرَةِ؛ فَيَكْفُؤُوا عَنْ هَذَا الْمَسْلُوكِ الْمَرْذُولِ، وَالْعَمَلِ
 الْمَشِينِ، وَلَيَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِمْ قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَهُمُ الْأَجَلُ، وَلَا تَسَاعَةَ مَنْدَمٍ!
 وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَعْمَالَنَا، وَأَنْ يَهْدِيََنَا سُبُلَ السَّلَامِ،
 وَأَنْ يَكْفِينَا شَرَّ كُلِّ حَاسِدٍ وَنَمَّامٍ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.
 نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.
 أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
 الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَاخْتَصَّ بِأَبْهَى جَمَالٍ، وَأَعْلَى جَلَالٍ، وَتَفَضَّلَ عَلَيَّ عِبَادِهِ بِجَزَائِلِ النَّوَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، الْمُنَزَّهُ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ وَالْأَمْثَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، كَرِيمُ السَّجَايَا وَشَرِيفُ الْخِصَالِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَأَفْضَلِ آلٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَالِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِذَا التَّمَسَّتْ عَوَامِلُ وَدَوَّافِعُ هَذَا الدَّاءِ الْخَطِيرِ- دَاءِ التَّمِيمَةِ- فَإِنَّهُ يَبْرُزُ فِي طَلِيعَتَيْهَا: ضَعْفُ الْإِيمَانِ، وَسُوءُ التَّرْبِيَةِ، وَرُفْقَةُ السُّوءِ، وَأَنْطَوَاءُ الْقُلُوبِ عَلَى الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ، وَالْكِبْرِ وَالتَّعَالِي، إِضَافَةٌ إِلَى الْفِرَاقِ وَالبَطَالَةِ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمَفْتُونِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ: السَّعْيُ إِلَى إِرْضَاءِ الْآخَرِينَ، وَالهَوَى، وَالجَهْلُ بِعَوَاقِبِ هَذَا الدَّاءِ الْخَطِيرِ.
أَمَّا طَرِيقُ عِلاجِهِ: فَإِنَّهُ يَكْمُنُ فِي تَقْوِيَةِ الْإِيمَانِ، وَالتَّرْبِيَةِ الْحَسَنَةِ،

وَالرُّفْقَةَ الصَّالِحَةَ، وَإِعْمَارَ وَقْتِ الْفَرَاغِ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحِ،
وَسَلَامَةَ الصُّدُورِ، وَالْإِنْشِغَالَ بِعُيُوبِكَ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِكَ.

وَلِتَذَكَّرَ مَنْ ابْتَلِيَ بِهَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ، وَالشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِ؛ مَصْرَعَهُ
فِي قَبْرِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمُوجِبَاتِ دُخُولِ النَّارِ،
وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! وَلِتَذَكَّرَ مَوْقِفَهُ يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَى رَبِّهِ، وَلِيُحَافِظَ عَلَى لِسَانِهِ،
وَلِيُشْغَلَهُ بِالْخَيْرِ وَالذِّكْرِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يَنْهَى أَصْحَابَهُ أَنْ
يُبْلَغَهُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مَا يَسُوءُهُ؛ رَوَى أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «لَا يُبْلَغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ
إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمٌ الصَّدْرِ»^(١).

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا - يَا رَعَاكُمْ اللَّهُ - أَنْ نَسْعَى لِلِإِصْلَاحِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّقَرُّبِ،
لَا لِلتَّبَاعُدِ وَالتَّنَافُرِ وَالتَّخْرِيبِ؛ يَقُولُ ﷺ - فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ،
وَالْتِّرْمِذِيُّ -: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟!»
قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ
هِيَ: الْحَالِقَةُ»^(٢)، وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هِيَ الْحَالِقَةُ؛ لَا
أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»^(٣).

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٠٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)؛ من حديث أبي الدرداء، رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٠)؛ من حديث الزبير بن العوام، رضي الله عنه، وانظر ما تقدم
(ص ٣٨٣).

وَإِنَّا كُمْ وَإِرْضَاءَ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَسِّرُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ
يَيْسِّرْ مِنَ التَّخْرِيشِ بَيْنَهُمْ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَغَيْرِهِ (١)،
وَلَنْكُنْ كَهَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ الَّذِي قَالَ عَنْهُ ﷺ - وَكَانَ جَالِسًا يَوْمًا مَعَ
أَصْحَابِهِ -: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، وَلَمْ يَكُنْ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - كَثِيرَ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ -: «غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ
أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا -: «فَهَذَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ» (٢)، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ
جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر].

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ؛ كَمَا
أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٨٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٩٣).

القِسْمُ الثَّامِنُ

القَضَايَا الْجَمَاعِيَّة



الخطبة للهوى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ،
وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقْنَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، النَّبِيُّ
الْقُدُّوسُ، وَالْمُرَبِّيُّ الْأُسْوَةُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَطِيعُوهُ،
وَرَاقِبُوهُ دَوْمًا وَلَا تَعْصُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، مِنَ الْقَضَايَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي عُنِيَ بِهَا الْإِسْلَامُ عِنَايَةً بِالِغَةِ،
وَرَعَاهَا رِعَايَةً فَائِقَةً؛ حَيْثُ جَاءَ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ بِالْحَثِّ عَلَيْهَا
وَالتَّرْغِيبِ فِيهَا -: «قَضِيَّةُ الزَّوْجِ»؛ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ
وَالدُّنْيَا، وَلِمَا لَهُ مِنَ الْحُكْمِ السَّامِيَةِ، وَالْمَنَافِعِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَالْمَعَانِي

الكَرِيمَةِ؛ فَهُوَ ضَرُورَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ؛ لِبِنَاءِ الْحَيَاةِ، وَتَكْوِينِ الْأَسْرِ، وَتَأْسِيسِ
 الْفَضِيلَةِ، وَغَضِّ الْأَبْصَارِ، وَتَحْصِينِ الْفُرُوجِ، وَكَثْرَةِ النَّسْلِ بَقَاءً لِلنُّوعِ
 الْإِنْسَانِيِّ؛ كَمَا أَنَّهُ أَمْرٌ مُحَبَّبٌ إِلَى النَّفْسِ؛ تَقْتَضِيهِ الْفِطْرَةُ السَّوِيَّةُ،
 وَيَحْتُ عَلَيْهِ الشَّرْعُ الْحَنِيفُ، وَيَتَطَلَّبُهُ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ، وَيَأْلَفُهُ الطَّبَعُ
 السَّلِيمُ، بِهِ تَتَعَارَفُ الْقَبَائِلُ، وَتَتَكَوَّنُ الشُّعُوبُ، وَتَتَكَاثَرُ الْأُمَمُ، فِيهِ
 الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ، وَالطَّمَأِينَةُ الْقَلْبِيَّةُ، وَالتَّقَلُّبُ بَيْنَ أَعْطَافِ النَّعِيمِ،
 وَالتَّعَاوُنُ عَلَى أَعْبَاءِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيَكْفِيهِ أَنَّهُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ
 عَلَى حِكْمَتِهِ، وَالدَّاعِيَةِ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي عَظِيمِ خَلْقِهِ، وَبَدِيعِ صُنْعِهِ؛ ﴿ وَمَنْ
 ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
 وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم].

إِحْوَةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ عَادَ أَمْرُ الزَّوْاجِ مِنْ قَضِيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَضَرُورَةٍ
 بَشَرِيَّةٍ، وَعِبَادَةٍ عَظِيمَةٍ إِذَا أُخْلِصَتْ فِيهِ النَّيَّةُ، إِلَى مُشْكَلَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ
 خَطِيرَةٍ، لَا مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَإِنَّمَا مِنْ حَيْثُ مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ فِيهِ مِمَّا لَا يَمُتُ
 إِلَيْهِ بِصِلَةٍ، وَلَا يَرْتَبُطُ بِهِ شَرْعًا، وَلَا عَقْلًا؛ وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ - مِنْ فِعْلِ النَّاسِ
 لَهُ - أَمْرًا حَتْمِيًّا، لَا يَتِمُّ الزَّوْاجُ بِدُونِهِ، وَكَأَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ، نَتِيجَةَ
 الْإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ الْأَعْرَافِ الْبَالِيَةِ، وَالْعَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالانْتِقَادِ الْأَعْمَى
 خَلْفَ شِعَارَاتِ زَائِفَةٍ، وَالْبَحْثِ عَنِ الْمَفَاخِرَةِ وَالْمُبَاهَاةِ؛ عَلَى حِسَابِ
 الشَّرْعِ الْحَنِيفِ، وَالْعَقْلِ السَّلِيمِ، وَالْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، لَقَدْ كَثُرَ الْحَدِيثُ عَنْ مُعْضَلَاتِ الزَّوْاجِ ،
 وَطَفَحَتْ فِيهِ الْكِتَابَاتُ وَالْمَقَالَاتُ ، وَمَلَأَتْ قُلُوبَ النَّاسِ وَمَسَامِعَهُمْ ،
 وَشَغَلَتْ أَوْقَاتَهُمْ ، وَتَسَبَّبَتْ فِي إِسْعَادِ أَفْرَادٍ وَأُسْرٍ ، وَتَقْوِيضِ وَتَشْتِيَتِ
 بِيُوتٍ أُخْرَى ، وَبُحَّتْ حَنَاجِرُ الْغَيُورِينَ عَلَى مُجْتَمَعِهِمْ ؛ مِنْ التَّحْذِيرِ مِمَّا
 يُصَاحِبُ كَثِيرًا مِنَ الزَّيْجَاتِ مِنَ الْمَشْكَلاتِ وَالتَّعْقِيدَاتِ ، بَلْ وَالْمُحَرَّمَاتِ
 وَالتَّمْنُكَرَاتِ ، وَالتَّقَالِيدِ وَالتَّمْخَالَفاتِ ؛ مِنْ التَّغْيِيرِ وَالتَّشْكِلياتِ ، وَالتَّفَاخُرِ
 وَالتَّمْبَاهَاةِ فِي الْكَمَالِيَّاتِ .

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ ، لَقَدْ رَسَمَ دِينُنَا الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفُ الْمَنْهَجَ الْوَاضِحَ فِي
 هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمُهَيْمَةِ ؛ فَقَدْ جَاءَ بِتَوْفِيرِ أُمُورِ الزَّوْاجِ ، وَالْحَثِّ عَلَى
 الْإِفْتِصَادِ فِيهِ ؛ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالتَّبِيهِيُّ ، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ أَعْظَمَ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ
 مَثُونَةٌ»^(١) ؛ فَالَّذِينَ يُخَالِفُونَ هَذَا الْمَنْهَجَ بِالتَّأخِيرِ وَالتَّسْوِيفِ ، وَالتَّقَالِ
 وَالتَّعْقِيدِ - إِيْمًا يُخَالِفُونَ مَنْهَجَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ الْقَوْلِيَّةَ وَالفِعْلِيَّةَ ،
 وَالتَّمْسَلِمْ الْحَقُّ لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ أَبَدًا .

إِخْوَةَ الْإِيْمَانِ ، وَيَحْسُنُ هُنَا أَنْ أَدْكُرَ بَعْضَ الْمَشْكَلاتِ وَالعُقَبَاتِ فِي
 طَرِيقِ الزَّوْاجِ ، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى آثارِهَا السَّيِّئَةِ عَلَى الْفَرْدِ وَالتَّمْجَمَعِ ، وَبَيَانِ

(١) «المسند» (٦/١٤٥) ، و«سنن البيهقي» (٧/٢٣٥) .

الْمُنْهَجِ السَّلِيمِ، وَالْعِلَاجِ الْقَوِيمِ، وَالذَّوَاءِ النَّاجِعِ، لِكُلِّ مُشْكَلَةٍ مِنْهَا؛
لَعَلَّهَا تَجِدُ آذَانًا صَاحِيَةً، وَقُلُوبًا وَاعِيَةً، وَتَطْبِيقًا عَمَلِيًّا:

فَأَوَّلُ هَذِهِ الْمَشْكَلَاتِ: عُرُوفٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّبَابِ مِنَ الْجِنْسَيْنِ عَنِ
الزَّوْاجِ الْمُبَكَّرِ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ حُجَجٌ وَاهِيَةٌ، وَأَسْبَابٌ أَوْهَى، بَعْضُهَا
يَعُودُ إِلَى الْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ، وَبَعْضُهَا يَعُودُ إِلَيْهِمْ؛ وَذَلِكَ لِتَعَلُّقِهِمْ بِأَمَالٍ وَأَحْلَامٍ
سَرَابِيَّةٍ، وَخَيَالَاتٍ وَأَوْهَامٍ وَقَتِيَّةٍ، هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ إِيْحَاءِ الشَّيْطَانِ:

فَبَعْضُهُمْ: يَتَعَلَّقُ بِحُجَّةِ إِكْمَالِ الدَّرَاسَةِ؛ زَاعِمِينَ أَنَّ الزَّوْاجَ يَحْوُلُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُوَاصَلَةِ دِرَاسَتِهِمْ، وَتِلْكَ حُجَّةٌ دَاحِضَةٌ، وَشُبْهَةٌ وَاهِيَةٌ؛ فَمَتَى
كَانَ الزَّوْاجُ عَائِقًا عَنِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ؟! بَلْ لَقَدْ ثَبَتَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالْوَاقِعِ:
أَنَّ الزَّوْاجَ الْمُوَفَّقَ يُعِينُ عَلَى تَفْرِغِ الذَّهْنِ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ، وَرَاحَةِ الْفِكْرِ.
ثُمَّ - وَأَقْوَلُهَا بِحَقٍّ - مَاذَا تَنْفَعُ الْمَرْأَةَ بِالذَّاتِ شَهَادَاتُهَا إِذَا بَقِيَتْ
عَانِسًا، قَدْ فَاتَهَا رُكْبُ الزَّوْاجِ، وَأَصْبَحَتْ أَيَّمَا لَمْ تَسْعُدْ فِي حَيَاتِهَا بِزَوْجٍ
وَأَوْلَادٍ يَكُونُونَ لَهَا ذُخْرًا فِي الْحَيَاةِ، وَبَعْدَ الْمَمَاتِ؟!

فَوَصِيَّتِي لِلشَّبَابِ، مِنْ ذُكُورٍ وَإِنَاثٍ: أَنْ يُفَكِّرُوا جَدِيًّا فِي مَوْضِعِ
الزَّوْاجِ مَتَى مَا تَيَسَّرَ لَهُمْ أَمْرُهُ، وَالْأَوْلَى يَتَعَلَّقُوا بِأُمُورٍ مِثَالِيَّةٍ - فِي زَعْمِهِمْ -
تَكُونُ حَجَرَ عَثْرَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَرُومُونَ مِنْ سَعَادَةٍ، وَيَشْهُدُونَ مِنْ خَيْرٍ
وَنَجَاةٍ، وَالْأَيْتَدَّرَعُوا بِمَا يُسَمُّونَهُ «تَأْمِينِ الْمُسْتَقْبَلِ»؛ فَإِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ بِيَدِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعِنْدَهُ وَحْدَهُ الْعِلْمُ بِهِ.

وَكَذَلِكَ، الْأَيْحَتَجُوا بِمَسْأَلَةِ الْمَادَّةِ وَالرِّزْقِ؛ فَهِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَعَ بَدَلِ الْأَسْبَابِ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنْ
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: «أَطِيعُوا اللَّهَ فَيَمَّا أَمَرَكُمُ مِنَ النِّكَاحِ، يُنْجِزْ لَكُمْ مَا
وَعَدَكُمْ مِنَ الْغِنَى»^(١)، وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «الْتَمِسُوا
الْغِنَى فِي النِّكَاحِ»^(٢).

فَعُرُوفُ الشَّبَابِ مِنَ الذَّكُورِ وَالْإِنَاثِ عَنِ الزَّوْجِ: لَهُ مَضَارُّهُ
الْخَطِيرَةُ، وَعَوَاقِبُهُ الْوَحِيمَةُ، وَنَتَائِجُهُ الْمُدْمِرَةُ عَلَى الْأُمَّةِ بِأَسْرَهَا،
لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ أَسْبَابُ الْفِتْنَةِ، وَتَوَقَّرَتْ فِيهِ الشُّبُلُ
الْمُنْحَرِفَةُ لِقَضَاءِ الشَّهْوَةِ؛ فَلَا عَاصِمَ مِنَ الْإِنْزِلَاقِ فِي مَهَاوِي الرَّذِيلَةِ،
وَالْفَسَادِ الْأَخْلَاقِيِّ، إِلَّا اللَّجُوءُ إِلَى الزَّوْجِ الشَّرْعِيِّ.

وَمِنَ الْمُؤَسِفِ: أَنْ يَصِلَ بَعْضُ الشَّبَابِ إِلَى سِنِّ الثَّلَاثِينَ أَوْ أَكْثَرَ
وَهُوَ لَمْ يُفَكِّرْ بَعْدُ فِي مَوْضُوعِ الزَّوْجِ، وَمَا انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ الْفَسَادِ إِلَّا لَمَّا
وُضِعَتِ الْعِرَاقِيلُ أَمَامَ الرَّاعِيَيْنِ فِي الزَّوْجِ، بَلْ لَمْ يَتَشَرَّ الْحَنَا وَالزُّنَا،
وَاللَّوْاطُ وَالْإِسْتِمْنَا، وَالْمُعَاكَسَاتُ وَالْمُغَازَلَاتُ، وَالْعَلَاقَاتُ الْمَشْبُوهَةُ،
وَالسَّفَرُ إِلَى بِيئَاتٍ مَوْبُوءَةٍ - إِلَّا بِسَبَبِ تَعْقِيدِ أُمُورِ الزَّوْجِ، لَأَسِيَّمَا مَعَ عَلْبَةِ

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٥٨٢/٨).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٣١١/٩).

مَا يَخْدِشُ الْفَضِيلَةَ، وَيَقْضِي عَلَى الْعِقَّةِ وَالْحَيَاءِ؛ مِمَّا يُرَى وَيُفْرَأُ وَيُسْمَعُ مِنْ أَلْوَانِ الْفَسَادِ؛ مِمَّا قَدَفَتْ بِهِ الْمَدِينَةُ الْخَبِيثَةُ، وَمَا لَفَظَتْهُ الْحَضَارَةُ الزَّائِفَةُ؛ وَحَدَّثَتْ وَلَا كَرَامَةَ عَمَّا تَبَتْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْوَسَائِلِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَالْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ، وَالشَّبَكَاتِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ؛ مِمَّا تَبَتْ مِنْهُ الْفَضِيلَةُ، وَيَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَهَنَّاكَ مُشْكِلَةً أُخْرَى، وَعَقَبَهُ كَادَاءً، أَلَا وَهِيَ:

«مَنْعُ النِّسَاءِ مِنْ زَوَاجِ الْأَكْفَاءِ»، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ، فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»؛ حَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَالْحَاكِمُ؛ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ^(١)؛ فَهَنَّاكَ بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ - هَدَاهُمُ اللَّهُ - قَدْ خَانُوا الْأَمَانَةَ الَّتِي فِي أَعْنَاقِهِمْ - مِنْ بَنَاتِهِمْ، وَفَتِيَاتِهِمْ - بِمَنْعِهِنَّ مِنَ الزَّوْاجِ مِنَ الْأَكْفَاءِ، دِينًا وَخُلُقًا وَأَمَانَةً؛ فَقَدْ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِمُ الْخَاطِبُ الْكُفُّ فِي دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَخُلُقِهِ، وَالَّذِي لَا يُلْفَى نَظِيرُهُ، وَلَا يُدْرِكُ قَرِينُهُ؛ فَيَمَاطِلُونَهُ وَيَعْتَدِرُونَ لَهُ بِأَعْدَارٍ وَاهِيَةٍ، وَيَنْظُرُونَ فِيهِ إِلَى أُمُورٍ شَكْلِيَّةٍ، وَجَوَانِبَ كَمَالِيَّةٍ، وَاعْتِبَارَاتٍ ثَانَوِيَّةٍ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ مَالِهِ وَوِظِيفَتِهِ، وَوَجَاهَتِهِ وَمَكَانَتِهِ، وَيُعْفِلُونَ أَمْرَ دِينِهِ وَخُلُقِهِ وَأَمَانَتِهِ.

بَلْ لَقَدْ وَصَلَ بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ الْجَشْعُ وَالطَّمَعُ؛ أَنْ يَعْرِضَ ابْنَتَهُ سِلْعَةً

(١) «جامع الترمذي» (١٠٨٤، ١٠٨٥)، و«سنن ابن ماجه» (١٩٦٧)، و«المستدرک» (٢/١٦٥، ١٦٦)؛ من حديث أبي هريرة، وأبي حاتم المزني، رضي الله عنهما.

لِلْمَسَاوِمَةِ، وَتِجَارَةً لِلْمَزَايِدَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَمَا دَرَى هَذَا الْمِسْكِينُ أَنَّ
هَذَا غِشٌّ وَعَظْلٌ^(١) وَخِيَانَةٌ!!

فَأَيْنَ الرَّحْمَةُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ؟! كَيْفَ لَا يُفَكِّرُونَ فِي الْعَوَاقِبِ،
وَالنَّاتِجِ الْمُزْرِيَةِ؟! أَيْسَرُهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا الْأَخْبَارَ الْمُرُوعَةَ، وَالْأَنْبَاءَ
الْمُزْعِجَةَ عَنِ بَنَاتِهِمْ، مِمَّا يَنْدَى لَهُ جَبِينُ الْفَضِيلَةِ وَالْحَيَاءِ؟! وَمَاذَا لَوْرُدُوا
هُمْ عَنِ الزَّوْاجِ وَهُمْ فِي شَوْقٍ إِلَيْهِ؟! كَيْفَ سَيَكُونُ رَدُّ الْفِعْلِ عِنْدَهُمْ؟!!

فِي أَيِّهَا الْأَوْلِيَاءِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا تَحْتَ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْبَنَاتِ، بَادِرُوا
بِتَرْوِيحِهِنَّ مَتَى مَا تَقَدَّمَ الْخَاطِبُ الْكُفَّاءُ فِي دِينِهِ وَخُلُقِهِ؛ إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ
فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ؛ وَعَظْلُ النِّسَاءِ، وَرَدُّ الْأَكْفَاءِ: فِيهِ جِنَايَةٌ عَلَى
النَّفْسِ، وَعَلَى الْبِنْتِ، وَعَلَى الْخَاطِبِ، وَعَلَى الْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ وَالْأُمَّةِ بِأَسْرِهَا.

مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنَ الْمُشْكَلاتِ الْمُسْتَعْصِيَةِ، وَالْعَقَبَاتِ
الْمُسْتَفْجَلَةِ: مُشْكَلةُ غَلَاءِ الْمُهُورِ، وَالْمُبَالِغَةُ فِي الصِّدَاقِ؛ حَتَّى صَارَ
الزَّوْاجُ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْأُمُورِ الشَّاقَّةِ أَوْ الْمُسْتَحِيلَةِ، وَبَلَغَ الْمَهْرُ فِي
بَعْضِ الْبِقَاعِ حَدًّا خَيَالِيًّا لَا يُطَاقُ، إِلَّا فِي دِيُونٍ تُثْقَلُ كَاهِلُ الزَّوْجِ،
وَيُؤَسِّفُ كُلَّ مُسْلِمٍ: أَنْ يَصِلَ الْجَشَعُ بِبَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَطْلُبَ مَهْرًا يَزِيدُ

(١) عَظْلُ النِّسَاءِ: مُنْعَهُنَّ مِنَ التَّرْوِجِ، وَحَبْسُهُنَّ عَنْهُ ظُلْمًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَنْزَوَجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. «اللسان» (عضل)، وانظر: «تفسير
ابن كثير» (١/ ٦٣١-٦٣٢).

عَلَى مِائَةٍ أَوْ مِائَتَيْ أَلْفِ رِيَالٍ، مِنْ أَنَاسٍ يَعْلَمُ اللهُ حَالَهُمْ، لَوْ جَلَسُوا شَطْرَ حَيَاتِهِمْ فِي جَمْعِ ذَلِكَ الْمَبْلَغِ، لَمَا اسْتَطَاعُوا، فَيَا سُبْحَانَ اللهِ! أَلَيْ هَذَا الْحَدِّ بَلَغَ الطَّمَعُ وَحُبُّ الدُّنْيَا بَعْضِ النَّاسِ؟! وَكَيْفَ تُعْرَضُ الْمَرْأَةُ الْحُرَّةُ الْكَرِيمَةُ سِلْعَةً لِلْبَيْعِ وَالرَّبْحِ؟!

إِنَّ الْمَهْرَ فِي الزَّوْجِ يَاعِبَادَ اللهِ - وَسِيْلَةٌ لِأَعْيَانِهِ، وَمَعَزَى لِأَجْبَائِهِ، وَإِنَّ الْمُغْلَالَةَ فِيهِ لَهَا آثَارٌ سَيِّئَةٌ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ لَا تَخْفَى عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ؛ مِنْ تَعْطِيلِ الزَّوْجِ، أَوْ الزَّوْجِ مِنْ مُجْتَمَعَاتٍ مُخَالِفَةٍ لِلْمُجْتَمَعَاتِ الْمُحَافِظَةِ.

وَلَمْ يَقِفِ الشَّرُّ بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ تَجَاوَزَهُ إِلَى أَنْ يَشْتَرِطَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْهَا: أَنْ يُقَدَّمَ الْخَاطِبُ أَمْوَالًا لِلْأَبِ، وَأُخْرَى لِلْأُمِّ، وَمُسَاعَدَاتٍ لِلْأَقَارِبِ، وَعَطَايَا لِلْأَصْحَابِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ خُرُوجٌ عَنِ مَنَهْجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللهُ - يَقُولُ الْفَارُوقُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «لَا تُغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللهِ - كَانَ أَوْلَاكُمْ وَأَحَقَّكُمْ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ»^(١)، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «الْتِمَسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»^(٢)، وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَلَى وَزْنِ

(١) رواه الطيالسي (٦٤)، وأحمد (٤١/١)، وابن ماجه (١٨٨٧).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥)؛ من حديث سهل بن سعد، رضي الله عنه.

نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ^(١) .

وَقَدْ أَنْكَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُغَالِينِ فِي الْمُهْورِ؛ فَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ مِنَ الْفِضَّةِ - يَعْنِي: مِائَةً وَسِتِّينَ دِرْهَمًا - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟! كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ»^(٢) .

فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، كَيْفَ بِحَالِ الْمُغَالِينِ الْيَوْمَ؟! الَّذِينَ يَجِبُ الْأَخْذُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَبَذَلُ الْجُهُودِ لِتَوْعِيَّتِهِمْ وَتَعَقُّلِهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ الضَّعَافِ ذَوِي الدُّخُولِ الْمَحْدُودَةِ!!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَمُشْكَلَةُ الْمَشْكَلاتِ فِي مَوْضِعِ الزَّوْاجِ: مَا أُحِيطَ بِهِ الزَّيْجَاتُ مِنْ تَكَالِيفَ بَاهِظَةٍ، وَنَفَقَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَعَادَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ فَرَضَهَا النَّاسُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، تَقْلِيدًا وَتَبَعِيَّةً، مُفَاخِرَةً وَمُبَاهَاةً؛ كَحُلِيِّ وَأَثَاثِ خَيَالِيٍّ، إِسْرَافًا وَتَبْذِيرًا، وَاسْتِنْجَارٍ لِأَفْخَمِ الْفَنَادِقِ، وَأَعْظَمِ الْقُصُورِ، وَأَجْمَلِ الْقَاعَاتِ، وَحَدَّثٍ وَلَا حَرَجٍ، عَمَّا يَخْفَى وَلَا يُشَاهَدُ.

لِمَاذَا كُلُّ هَذَا، يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ؟! كَيْفَ يُعْرَضُ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ لِسَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَكُونُ مِنْ زُمْرَةِ الشَّيَاطِينِ؛ لِإِسْرَافِهِ وَتَضْيِيعِهِ

(١) رواه البخاري (٥١٥٥)، ومسلم (١٤٢٧)؛ من حديث أنس، رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٤٢٤)، وابن حبان (٤٠٩٤)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

الأموال في غير الوجه الشرعي؟! وقد قال عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ﴾ [الإسراء: ٢٧].

إِنَّهُ لِمَا يَنْدِي لَهُ الْجَبِينُ: أَنْ تُصْرَفَ أَمْوَالُ طَائِلَةٍ كَفِيلَةٌ أَنْ تَسُدَّ كِفَايَةَ قُرَى عَدِيدَةٍ عَلَى مُنَاسَبَةٍ وَاحِدَةٍ، فِي أَيِّ سَبِيلٍ ذَلِكَ؟! أَعْرَضَكُمْ وَجُودُ الْمَالِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ؟! أَلَا تَعْتَبِرُونَ بِأَحْوَالِ إِخْوَانِ لَكُمْ فِي الْعَقِيدَةِ مِمَّنْ لَا يَجِدُونَ مَا يَسُدُّ رَمَقَهُمْ، وَلَا مَا يَرْوِي ظَمَأَهُمْ، وَلَا يُورِي عَوْرَاتِهِمْ؟!!

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ بِنِعَمِهِ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى الْأَيُّوا أَخِذْنَا بِمَا فَعَلَهُ الشُّفَهَاءُ مِنَّا، إِنَّنَا - وَاللَّهِ - نَخْشَى عُقُوبَةَ اللَّهِ الْعَاجِلَةَ قَبْلَ الْأَجَلَةِ، وَكَمْ رَمَيْتُ عَشْرَاتُ الذَّبَائِحِ، وَأَكْوَامِ الْأَطْعِمَةِ: مُهَانَةً مَرْمِيَّةً فِي أَمَاكِنِ الثُّغَايَاتِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَتَعَقَّلُوا كُلَّ التَّعَقُّلِ فِي مَوْضِعِ الزَّوْاجِ، وَلَا تَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ مِنَ الشُّفَهَاءِ وَالْقَاصِرَاتِ، وَدَعْوَتِي لِلْمُصْلِحِينَ وَالْوُجُهَاءِ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَثْرِيَاءِ، وَأَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ فِي الْأُمَّةِ: أَنْ يَكُونُوا قُدُوةً لغيرِهِمْ فِي هَذَا الْمَجَالِ؛ فَالنَّاسُ لَهُمْ تَبَعٌ.

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ؛ ﴿ إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ فَقَدَّرَ، وَشَرَعَ فَيَسَّرَ، سُبْحَانَهُ أَحَلَّ النِّكَاحَ،
وَحَرَّمَ السَّفَاحَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَالِقُ الإِصْبَاحِ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَقُدُوتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ
عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ - وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ الْبَاطِنَةِ
وَالظَّاهِرَةِ، وَخُذُوا بِمَنْهَجِ الإِسْلَامِ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ، وَاحذَرُوا مِنْ مُخَالَفَتِهِ؛
فَإِنَّهَا جَالِبَةٌ لِلْفِتْنَةِ وَالْعَذَابِ الأَلِيمِ.

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ، وَإِنَّ مِمَّا أَحَدَثَهُ النَّاسُ فِي حَفَلَاتِ الزَّوْاجِ:
أُمُورًا مُنْكَرَةً فِي الشَّرْعِ؛ فَعِلاوَةٌ عَلَى الإِسْرَافِ وَالتَّبْدِيرِ، وَالتَّقَاخُرِ
وَالْمُبَاهَاةِ - فَهِنَّكَ أُمُورٌ أُخْرَى تَوَسَّعَ بَعْضُ النَّاسِ فِيهَا؛ نَتِيجَةٌ ضَعْفِ
الإِيمَانِ، وَقِلَّةِ العِلْمِ، وَالإِغْرَاقِ فِي المَادَّةِ:

فَمِنْ ذَلِكَ؛ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَجْعَلُ مِنْ حَفَلَاتِ الزَّوْاجِ مَوْسِمًا
لِلإِخْتِلَاطِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَظُهُورِ الزَّوْجِ مَعَ زَوْجَتِهِ أَمَامَ الحَاضِرِينَ
وَهُمْ بِكَامِلِ الزِّيْنَةِ، وَتَلْتَقُطُ الصُّورُ المُحَرَّمَةَ لَهُمْ، وَفِي هَذَا مِنَ الفِتْنَةِ
وَالفَسَادِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ!

وَبَعْضُهُمْ: يَجْعَلُهُ مُوسِمَ سَمَرٍ وَسَهْرٍ عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ الْمُحَرَّمِ،
إِلَى سَاعَةٍ مُتَأَخَّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَخْرُؤُنْ: يُضَيِّعُونَ الْحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ عِبَادِ
اللَّهِ؛ فَيَجْعَلُونَ فُرْصَةَ الزَّوْجِ فُرْصَةً لِلْعَلَّاقَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، وَاللِّقَاءَاتِ
الْمُحَرَّمَةِ، وَبَعْضُهُمْ: يُؤْذِي جِيرَانَهُ وَإِخْوَانَهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَصْوَاتِ
الْمُحَرَّمَةِ، وَالْإِزْعَاجِ بِالسَّيَّارَاتِ وَغَيْرِهَا، وَصِنْفٌ: يَجْعَلُهُ فُرْصَةً لِلسَّمَاعِ
الْمُحَرَّمِ لِلْأَغَانِيِ الْخَلِيعَةِ الْمُنْكَرَةِ، الَّتِي تُذَكِّي الشَّهْوَةَ، وَتَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
- عَزَّ وَجَلَّ - وَتَكُونُ طَرِيقًا إِلَى الْفَسَادِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ !!

وَهَذَا كُلُّهُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُعَادَ النَّظَرُ فِيهِ، وَأَنْ نَبْدَأَ جَمِيعًا
التَّطْبِيقَ الْعَمَلِيَّ فِي الْيُسْرِ وَالسَّمَاخَةِ، وَالسَّيْرِ عَلَى الْهَدْيِ الشَّرْعِيِّ،
وَالسَّنَنِ النَّبَوِيِّ، فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمُهَمَّةِ، وَغَيْرِهَا.

وَلَا يَفُوتُنِي هُنَا: أَنْ أُشِيدَ بِبَعْضِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ ضَرَبُوا
أَمْثَلَةً يُشْكِرُونَ عَلَيْهَا فِي الْاِقْتِصَادِ وَالتَّرْشِيدِ، وَالتَّخْفِيفِ وَالتَّيْسِيرِ فِي
أُمُورِ زَوَاجَاتِهِمْ، وَهِيَ بَادِرَةٌ لَيْسَتْ غَرِيبَةً عَلَى مُجْتَمَعِنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ -
نَرْجُو أَنْ تَعَمَّ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا قَرِيبًا - بِإِذْنِ اللَّهِ - مَتَى مَا تَزَايَدَ الْوَعْيُ،
وَسَادَ التَّنَاصُحُ وَالتَّكَاتُفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ
بِذَلِكَ الْمَوْلَى الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].



الخطبة لله والى

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِعِ الْكَائِنَاتِ، وَبَارِيءِ التَّسْمَاتِ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
وَعَظِيمِ الثُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ السَّابِغَاتِ، وَأَشْكُرُهُ
عَلَى جَزِيلِ الْعَطَايَا وَالهِبَاتِ، سُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ كَرِيمٍ، بَرٌّ رَحِيمٍ، يَقْبَلُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، سُبْحَانَ مَنْ لَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ،
وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ!

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَرْفَعُ قَائِلَهَا
أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَرْشَدَنَا إِلَى الْحَقِّ بِالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ،
وَأَبَانَ الْحُقُوقَ وَالْوَاجِبَاتِ، لِكُلِّ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمُؤَيَّدُ بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ، وَالآيَاتِ
الْبَاهِرَاتِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَئِمَّةِ التَّقِيَّةِ
وَالْعُدُولِ الثَّقَاتِ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمَاتُ، اتَّقُوا اللَّهَ جَمِيعًا؛ فَإِنَّ
تَقْوَاهُ - سُبْحَانَهُ - خَيْرُ زَادٍ يُدْخِرُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ.

أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ ، هُنَاكَ مَطْلَبُ نَفْسٍ ، وَأُمْنِيَّةٌ عَزِيزَةٌ يُشْدُّهَا
كُلُّ زَوْجَيْنِ ، وَرَغْبَةٌ مُلِحَّةٌ يَرُومُهَا كُلُّ عَرُوسَيْنِ ، مَتَى مَا تَحَقَّقَتْ ، رَفَرَفَتْ
عَلَى الْأُسْرَةِ أَعْلَامُ الْمَحَبَّةِ وَالْهِنَاءِ ، وَدَوَّتْ فِي جَنَابَتِهَا كَلِمَاتُ الرَّحْمَةِ
وَالصَّفَاءِ ، وَمَتَى مَا عُدِمَتْ ، غَرِقَتِ الْبُيُوتُ فِي لُجَجِ الْقَلْقِ وَالشَّقَاءِ ،
وَطَوَّحَتْ بِسَفِينَتَيْهَا^(١) أَمْوَاجُ الشَّرِّ وَالْبَغْضَاءِ ، إِلَى لُجَجِ الْعَطَبِ وَالْعِنَاءِ .

تَلَكُّمٌ - أَيْهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ - هِيَ : «السَّعَادَةُ الزَّوْجِيَّةُ» ، الْعُمَلَةُ
الصَّعْبَةُ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ ، وَالصَّفَقَةُ النَّادِرَةُ فِي أَكْثَرِ الْأَمْصَارِ ، حَيْثُ
لَا زَالَتِ الْمُشْكِلَاتُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ تَتَعَاظَمُ ، وَالْمُعْضِلَاتُ الْأُسْرِيَّةُ تَتَفَاقَمُ ،
وَتَحْتَلُّ الصَّدَارَةَ فِي قَضَايَا الْأُمَّةِ ، وَأَوْضَاعِ الْمُجْتَمَعِ ؛ مِمَّا يُنْذِرُ بِخَطَرٍ
كَبِيرٍ ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ ، عَلَى الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ، فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ .

أَيْهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَيْتُهَا الْأَخَوَاتُ الْمُسْلِمَاتُ ، مِنْ نِعَمِ
اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ : أَنْ هَيَأُ لَهُمُ الْأَسْرَ وَالْبُيُوتَاتِ ، وَمَنْ عَلَيْهِمُ بِالزَّوْجَاتِ
الْكَرِيمَاتِ ، آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ ، سَكَنًا وَرَحْمَةً ، وَلِبَاسًا وَمَوَدَّةً ؛ قَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرُّوم] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ :
﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً

(١) يقال : طَوَّحَ بِهِ ، وَطَوَّحَهُ : إِذَا تَوَهَّهَ وَذَهَبَ بِهِ هَلْهِنًا وَهَلْهِنًا . «اللسان» (طوح) .



وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيالَ الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾ [النحل]،
يَجِدُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ الْمَأْوَى الْكَرِيمَ، وَالرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ بَعْدَ عَنَاءِ الْعَمَلِ،
وَطُولِ الْكَدْحِ وَالْكَلَلِ، يُنْفَضُ عَنْ نَفْسِهِ غُبَارَ السَّامَةِ وَالْمَلَلِ، وَيُؤَدِّدُ مَتَاعِبَ
الْحَيَاةِ بِابْتِسَامَةِ حَانِيَةٍ، وَبَشَاشَةِ مُشْرِقَةٍ، وَكَلِمَاتِ رَقِيقَةٍ، وَمُعَامَلَةٍ رَفِيقَةٍ،
وَعَوَاطِفِ دَافِيَةٍ، وَمَشَاعِرِ فَيَاضَةٍ، تُبَادِلُهَا إِيَّاهُ شَرِيكَةً عُمَرَهُ، وَرَفِيقَةً دَرَبَهُ،
وَصَفِيَّةً فُؤَادِهِ، وَأُمًّا أَوْلَادِهِ، وَتَجِدُ الْمَرْأَةَ فِي بَيْتِهَا: عُنْشَ الزَّوْجِيَّةِ السَّعِيدِ،
وَبَيْتَ الْعُمْرِ الرَّغِيدِ؛ يَنْشَأُ فِي كَنَفِهِ وَيَتَرَعَّرُ بَيْنَ جَنَابَتِهِ جَيْلٌ صَالِحٌ فَرِيدٌ،
فِي ظِلِّ أُبُوَّةٍ حَادِيَةٍ^(١)، وَأُمُومَةٍ حَانِيَةٍ، بَعِيدًا عَنِ أَسْبَابِ التَّوَتُّرِ وَالْقَلْقِ،
وَمُنْغَصَاتِ الْعَيْشِ، وَجَالِبَاتِ الشَّقَاءِ وَالِإِضْطِرَابِ.

هَكَذَا يُرِيدُ الْإِسْلَامُ مِنَ الْأَسْرِ أَنْ تَكُونَ قِلَاعَ خَيْرٍ وَمَحَبَّةٍ وَوِثَامٍ،
وَحُصُونٍ بَرٍّ وَحَنَانٍ وَسَلَامٍ، وَيَطْلُبُ مِنْ رُكْنِي الْأُسْرَةِ الْعَرِيقَيْنِ؛ الزَّوْجِ
وَالزَّوْجَةِ: أَنْ يَكُونَا مِثَالًا لِحُسْنِ التَّعَاوُنِ، وَالْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ
لِكُلِّ مِنْهُمَا؛ وَعَلَيْهِ: فَالسَّعَادَةُ الزَّوْجِيَّةُ لَا تَكْمُنُ أَبَدًا فِي مَلْبَسٍ بَهِيٍّ، وَمَطْعَمِ
شَهِيٍّ، وَعَيْشٍ طَرِيٍّ، وَإِنَّمَا فِي الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّعَاوُنِ؛ وَإِنَّ
بَيْتًا يَقُومُ عَلَى التَّرَاعِ وَالْحُصُومَاتِ، وَتَتَشَرُّ فِيهِ الْإِحْنُ وَالْمُشْكِلَاتُ،

(١) حادية: متعطفة حانية؛ يقال: حَدَبَ فلانٌ على فلان، أي: تعطفَ وحننا عليه.
«اللسان» (حذب).

لَحْرِيٍّ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ أَعَاصِيرُ الدَّمَارِ، وَتَقْضِي عَلَيْهِ رِيَّاحُ التَّمَكُّكِ وَالبَوَارِ،
فِي بُعْدٍ عَنِ هُدُوءِ البَالِ، وَنَشْدَانِ الإِسْتِقْرَارِ^(١).

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ وَالمُسْلِمَاتِ ، أَيُّهَا الأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ ، إِنَّ
العَلَاقَةَ الزَّوْجِيَّةَ عِلَاقَةً عَمِيقَةً الجُذُورِ ، وَطَيِّدَةً الأَرْكَانِ ، بَعِيدَةً الأَغْوَارِ ؛
يُوضِحُ ذَلِكَ قَوْلُ الحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم : ٢١] ؛
مِمَّا يُؤَكِّدُ تَحْقِيقَ الطَّمَأِينَةِ بِأَعْلَى صُورِهَا ، وَأَسْمَى مَعَانِيهَا ، وَقَوْلُهُ
سُبْحَانَهُ : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

اللهُ أَكْبَرُ ! انظُرُوا إِلَى عِظَمَةِ الإِعْجَازِ القُرْآنِيِّ بِهَذِهِ الصُّورَةِ البَلِغَةِ
الَّتِي تُجَسِّدُ صِلَةَ الزَّوْجِيَّةِ بِصِلَةِ المَرْءِ بِلِبَاسِهِ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَقْرَبُ لَهُ وَأَلْصَقُ بِهِ
مِنْهُ ؟ ! وَهِيَ بِهَذَا تَسْمُو عَنِ العِلَاقَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَالصَّلَاتِ المَادِّيَّةِ ،
وَالرَّوَابِطِ الشَّهْوَانِيَّةِ ، وَالأُمُورِ البِهِيمِيَّةِ ، بَلْ هِيَ عِلَاقَةُ رُوحِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ
كَرِيمَةٍ ؛ وَلِهَذَا حَرَّصَ الإِسْلَامُ عَلَى تَوْطِيدِ هَذِهِ العِلَاقَةِ ، وَأَمَرَ بِالمُحَافَظَةِ
عَلَيْهَا ، وَحَدَّرَ مِنَ التَّسَاهُلِ وَالتَّقْصِيرِ فِيهَا ؛ حَتَّى لَا تَذُبَلَ وَرْدَةُ صَفَائِهَا ،
وَتَمُوتَ زَهْرَةُ هِنَائِهَا ، وَتُجْتَثَّ شَجَرَةُ بَقَائِهَا ، وَلَا يَتَأْتَى ذَلِكَ إِلَّا بِقِيَامِ كُلِّ
مِنَ الزَّوْجَيْنِ بِمَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ تُجَاهَ الآخَرِ مِنَ الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ .

إِخْوَةَ الإِيمَانِ ، لِيَعْلَمَ الزَّوْجَانِ الكَرِيمَانِ ، أَنَّ الكَمَالَ الأُسْرِيَّ أَمْرٌ

(١) أَي : طَلَبِهِ ؛ يُقَالُ : نَشَدَ الشَّيْءَ نَشْدًا وَنَشْدَانًا : طَلَبَهُ . «اللِّسَانُ» (نشد).

مُسْتَحِيلُ الْمَنَالِ؛ لِأَنَّ الْقُصُورَ الْبَشَرِيَّ أَمْرٌ جَبَلِيٌّ، فَلْيُوطِنُ كُلُّ مِنْهُمَا نَفْسَهُ عَلَى قُبُولِ الْهَنَاتِ، وَالتَّغَاضِي عَنِ الزَّلَّاتِ، وَالتَّسَامُحِ عِنْدَ وُجُودِ الْهَفَوَاتِ؛ فَ«مَنْ حُوسِبَ عَلَى الْجُلِّ، عَجَزَ عَنِ الْكُلِّ».

وَأَهَمِّيَّةُ هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَخُطُورَةُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ: فَقَدْ جَاءَ كِتَابُ اللَّهِ بَيَانَهَا أتمَّ بَيَانٍ؛ كَمَا أَعْلَنَهَا الْمُصْطَفَى ﷺ عَلَى الْأُمَّةِ فِي الْمَجْمَعِ الْعَظِيمِ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ؛ فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ الْجُشَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ»^(١)، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ، فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ، فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا؛ أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِنَنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكَرَّهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكَرَّهُونَ؛ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ: أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»^(٢).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خَلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ

(١) عَوَانٌ عِنْدَكُمْ: أَسْرَى فِي أَيْدِيكُمْ، وَاحْدَتُهَا: عَانِيَةٌ. «النهاية» (عني).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١١٦٣)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٨٥١).

أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصَّلَعِ أَعْلَاهُ؛ فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ
أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(١).

وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا
طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تُضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ
إِلَّا فِي الْبَيْتِ»^(٢).

وَأَجَلُ مِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣)
[النساء]، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ
دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة].

فِيهَا أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ، إِنَّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَعْرِفَ
وَاجِبَاتِهِ وَحُقُوقَهُ، فَيَقُومَ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ، وَوَاللهُ لَوْ قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ بِدَوْرِهِ وَوَاجِبِهِ،
لَمَا عَانَتِ الْأَسْرُ مِنْ مُشْكَلاتِ تَقْضُ الْمَضَاجِعِ، نَعَمْ وَاللهُ تَقْضُ الْمَضَاجِعِ^(٣)،
وَمُعْضَلَاتٍ وَمُنَازَعَاتٍ تَجْعَلُ الْبُيُوتَ بِلَاقِعَ.

(١) «صحيح البخاري» (٥١٨٦)، و«صحيح مسلم» (١٤٦٨).

(٢) «سنن أبي داود» (٢١٤٢).

(٣) تَقْضُ الْمَضَاجِعِ، أَي: تُصَيِّرُ عَلَى الْمَضَاجِعِ الْقَضْضَ، وَهُوَ الْحَصَى الصَّغَارُ؛ فَلَا
يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى النُّومِ فِي مَكَانِهِ. «تاج العروس» (قضض).



فِيَا أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي زَوْجَاتِكُمْ ، أَدُّوا الْوَاجِبَ عَلَيْكُمْ ،
 أَدُّوا وَاجِبَ الْقَوَامَةِ ، كَمَا شَرَعَ اللَّهُ ، قُومُوا بِوَاجِبِ التَّفَقَّةِ وَالسُّكْنَى قَدْرَ
 طَاقَتِكُمْ ؛ ﴿ أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا نَضَارُوهُمْ لِضَيْقُوا عَلَيْهِمْ ﴾
 [الطلاق : ٦] ، ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ
 اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا ﴾ [الطلاق : ٧] ، عَاشِرُوا زَوْجَاتِكُمْ
 بِالْمَعْرُوفِ ، حَسَّنُوا أَخْلَاقَكُمْ مَعَهُنَّ ، وَمَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ أَخْلَاقِكُمْ ، مِنْ
 زَوْجَاتِكُمْ شَرِيكَاتِ حَيَاتِكُمْ؟!

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ حِبَّانَ ، عَنْ أَبِي
 هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا
 أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ »^(١) ، وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا أَنَّهُ ﷺ
 قَالَ : « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي »^(٢) ، قُومُوا أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ
 بِحَقِّ الْمَبِيتِ وَالْمُعَاشِرَةِ ، وَعَلَّمُوا زَوْجَاتِكُمْ أُمُورَ دِينِهِنَّ ، وَغَارُوا
 عَلَيْهِنَّ ، وَصُونُوا كِرَامَتَهُنَّ ، وَاحْفَظُوا أَعْرَاضَهُنَّ ، وَلَا تَتْرُكُوا لَهُنَّ الْحَبْلَ
 عَلَى الْغَارِبِ^(٣) ، أَلْزِمُوهُنَّ السِّتْرَ وَالْحِجَابَ ، وَالْعَفَافَ وَالْحِشْمَةَ ،

(١) «المسند» (٢/٤٧٢)، و«سنن أبي داود» (٤٦٨٢)، و«جامع الترمذي» (١١٦٢)،
 و«صحيح ابن حبان» (٤١٧٦).

(٢) «جامع الترمذي» (٣٨٩٥)؛ من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٣) الغارب: أعلى مقدم السنام، وهذا على وجه التمثيل، أي: احذروا من تخليتها
 سيبلهنَّ بحيث يذهبنَّ حيث شئنَّ؛ كهذا البعير المخلى لا يُمنعُ من شيء، ومنه =

وَاحْفَظُوهُنَّ مِنْ دَوَاعِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَوَسَائِلِ الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيبِ، وَأَسْبَابِ
الْإِنْحِرَافِ وَالْجَرِيمَةِ.

وَإِنَّكَ لَتَعَجِبُ مِنْ صُورِ التَّعَامُلِ الَّتِي يُعَامِلُ بِهَا بَعْضُ الْأَزْوَاجِ
زَوْجَاتِهِمْ؛ فَمِنْ الرِّجَالِ: مَنْ لَا يَعْرِفُ فِي بَيْتِهِ إِلَّا لُغَةَ الْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي، يُكَشِّرُ
وَيُزْمِجِرُ، وَيَسْتَطِيلُ وَيَسْتَبِدُّ؛ سَيِّءُ الْعِشْرَةِ، نَقِيلُ الطَّبَعِ، بَطِيءُ الرِّضَا، سَرِيعُ
الْغَضَبِ، شَدِيدُ الْإِنْفِعَالِ؛ إِنْ تَكَلَّمَ فَأَحْمَقُ، وَإِنْ تَصَرَّفَ فَأَخْرَقُ^(١)؛ صَفِيقُ
وَجْهًا^(٢)، ضَيْقُ عَطْنًا^(٣)، إِنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَمَنَّانٌ، وَإِنْ خَرَجَ مِنْهُ فَظَنَّانٌ، لَيْسَ
بِلَطِيفٍ وَلَا حَنَّانٍ، تَعِيشُ زَوْجَتَهُ مَعَهُ فِي عَنَاءٍ، وَتَتَقَلَّبُ فِي شَقَاءٍ، وَتَتَجَرَّعُ
مَعَهُ الْغُصَصَ وَالْبَلَاءَ.

وَقَدْ وُجِدَ مِنَ الزَّوْجَاتِ مَنْ تَشْتَكِي زَوْجَهَا: بِأَنَّهُ لَا يَحْضُرُ الْجُمُعَ وَلَا
الْجَمَاعَاتِ، وَأُخْرَى تُخْبِرُ: أَنَّهُ يَتَعَاطَى الْمُسْكِرَاتِ، وَيُدْمِنُ الْمُخَدَّرَاتِ،
وَنَائِلَةٌ تُفِيدُ: أَنَّهُ كَثِيرُ السَّهَرَاتِ، وَالسَّمَرَاتِ، وَالسَّفَرَاتِ، وَرَابِعَةٌ: تَشْتَكِي
عَلَاقَاتِهِ الْمَشْبُوهَةَ، ، ، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ!

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ - قُومُوا بِحُقُوقِ زَوْجَاتِكُمْ، لَأَسِيَمَا عِنْدَ

= قولهم في المثل: «ألقى حبله على غاربه» أي: دعه يذهب حيث يشاء. انظر:
«النهاية» و«اللسان» (غرب).

(١) أَخْرَقُ، أي: أحمق جاهل. «اللسان» (خرق).

(٢) يقال: وجه صفيق، أي: وقح. «القاموس» (صفق).

(٣) ضَيْقُ الْعَطْنِ: ضيق الذراع. «أساس البلاغة» (عطن).



الكِبَرِ وَالْمَرَضِ، وَعِنْدَ الطَّلَاقِ الرَّجْعِيِّ، وَلَيْتَقَى اللهُ مَنْ رَأَمُوا تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ؛ بِالْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ، وَعَدَمِ ظُلْمِ الْأُولَى مِنْهُنَّ، وَالْمَيْلِ إِلَى الْأَخِيرَاتِ، وَإِنَّكَ لَوَاجِدٌ فِي هَذَا أُمُورًا غَرِيبَةً، وَحِكَايَاتٍ عَجِيبَةً، بَعْضُهُنَّ تَشْتَكِي أَنَّهُ لَمَّا تَزَوَّجَ عَلَيْهَا، لَمْ تَرَهُ مُنْذُ سِنِينَ، وَلَمْ يَقُمْ بِوَأَجِبَاتِهِ تُجَاهَهَا، وَتُجَاهَ أَوْلَادِهَا؛ فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ! .

وَيَا مَعَاشِرَ الزَّوْجَاتِ، اتَّقِينَ اللَّهَ فِي أَزْوَاجِكُنَّ، أَطِعْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَانظُرِي - أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ - أَيْنَ أَنْتِ مِنْ زَوْجِكَ؟! فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتِكَ وَنَارُكَ؛ كَمَا رَوَى ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَالْحَاكِمِ^(١)، وَاعْلَمِي - أَيَّتُهَا الْأُخْتُ الْمُسْلِمَةُ - أَنَّ مِقْيَاسَ قُرْبِكَ مِنَ اللَّهِ بِمِقْدَارِ رِضَا زَوْجِكَ عَنكَ بِالْمَعْرُوفِ؛ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ، دَخَلَتْ الْجَنَّةَ»^(٢)، أَحْفَظُنَّ بِيُوتِ أَزْوَاجِكُنَّ، وَأَمْوَالَهُنَّ، وَأَوْلَادَهُنَّ، لَا تُرْهَقُنَّهُنَّ فِي التَّفَقُّعِ، وَفُؤْمَنَ بِخِدْمَتِهِنَّ، وَأَدَاءِ حُقُوقِهِنَّ، وَاحْذَرْنَ مِنَ التَّسَاهُلِ فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ وَرَدَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ

(١) «المسند» (٤/٣٤١)، و«المستدرک» (٢/١٨٩)؛ من حديث حصين بن محصن،

عن عمته، رضي الله عنها.

(٢) «جامع الترمذي» (١١٦١).

امْرَأَتُهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا - لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِـ «مُسْلِمٍ»: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاحِطًا عَلَيْهَا؛ حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا زَوْجَهَا»^(١).

فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، هَلْ تَرْضَى مُؤْمِنَةً عَاقِلَةً شَرِيفَةً، حُرَّةً عَفِيفَةً بِذَلِكَ؟! وَمَا أَكْثَرَ اللُّوَاتِي هَذِهِ حَالَهُنَّ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا»^(٢).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لِأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»^(٣)، وَمَا ذَاكَ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - إِلَّا لِعِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، فَلْتَسْمَعْ الرِّوَايَاتُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الشَّرِيفَةَ، وَلْتَعْمَلْ عَلَى ضَوْئِهَا؛ إِنْ أَرَدْنَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَثَوَابَ الْآخِرَةِ.

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٣٧)، و«صحيح مسلم» (١٤٣٦).

(٢) «المسند» (٢٤٢/٥)، و«جامع الترمذي» (١١٧٤).

(٣) «جامع الترمذي» (١١٥٩).

وَإِنَّكَ لَنَصَابٌ بِالذُّهُولِ، وَتَأْسَفُ أَشَدَّ الْأَسْفِ مِنْ وَضْعِ كَثِيرٍ مِنَ
الزَّوْجَاتِ فِي بُيُوتِهِنَّ، وَمُعَامَلَتِهِنَّ لِأَزْوَاجِهِنَّ:

فَمِنْهُنَّ: مَنْ لَا تَعْرِفُ مِنْ زَوْجِهَا إِلَّا الْخَادِمَ الدَّلِيلَ، تُنْمِطُهُ
بِوَابِلِ الطَّلَبَاتِ وَالْحَاجَاتِ، وَتُزْعِجُهُ بِقَوَائِمِ الْمُشْتَرِيَاتِ وَالْكَمَالِيَّاتِ.
وَمِنَ الزَّوْجَاتِ: مَنْ تَكَلَّفُ شَطَطًا، وَتَقُولُ غَلَطًا، وَتُكْثِرُ لَغَطًا^(١)،
وَتَتَّبِعُ سَقَطًا، كَنُودٌ^(٢) عُنُودٌ^(٣)، غَيْرَ رَضِيَّةٍ وَلَا وَدُودٍ، إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ
بَيْتَهُ يَجِدُ الثُّوبَ الرَّثَّ، وَالشَّعْرَ الْمُبْعَثَرَ، وَالتَّطَاوُلَ وَالزَّرْعَقَ، تُصْبِحُ
وَهِيَ نَوَامَةٌ، وَتُمْسِي وَهِيَ لَوَامَةٌ، تَعْتَمِدُ فِي عَمَلِ الْبَيْتِ عَلَى
الْخَادِمَاتِ، وَلَا تَعْرِفُ إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَى الصَّاحِبَاتِ، وَالذَّهَابَ إِلَى
الْحَفَلَاتِ؛ فَلَا دِينَ يَرُدُّعَهَا، وَلَا خُلُقَ يَقْوَمُهَا، تَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ^(٤)،
وَعِظَائِمِ الْأُمُورِ، عِنْدَ أَدْنَى فُتُورٍ، بَرْزَةٌ مُتْرَجِّلَةٌ، لَا خَيْرَ فِيهَا لِأَهْلِ
بَيْتِهَا، وَلَا لِزَوْجِهَا، وَلَا أَوْلَادِهَا؛ فَاللَّهُمَّ عَفُوكَ وَعَافِيَتِكَ يَا اللَّهُ!

فَلْيَتَّقِ اللَّهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتُ، وَلْيَقُمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ
وَالزَّوْجَاتِ بِوَجِبِهِ؛ حَتَّى لَا تَقْضِيَ الْمُنَازَعَاتُ عَلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ

(١) الشَّطَطُ: الْجَوْرُ وَالظُّلْمُ وَالْبُعْدُ عَنِ الْحَقِّ، وَاللَّغَطُ: صَوْتُ وَضَجَّةٍ لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ.
«اللسان» (شطط) (لغط).

(٢) امْرَأَةٌ كَنُودٌ: كَفُورٌ لِلْمَوَاصِلَةِ وَالْمُودَةِ. «اللسان» (كنود).

(٣) عنود: معاندة صعبة كثيرة المعارضة. «اللسان» (عند).

(٤) الشُّبُور: الهلاك والخسران. «اللسان» (شبر).

الْأَسْرِ وَالْبَيُوتَاتِ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَعْمَالَنا وَنِيَّاتِنَا، وَأَنْ
يَهَبَ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الرَّحِيمِ الْغَفَّارِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى فَضْلِهِ
الْمِدْرَارِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعْمِهِ الْغَزَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ
الْأَطْهَارِ، وَإِخْوَانِهِ الْأَبْرَارِ، وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا
تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: 281]،
وَأَعْلَمُوا أَنَّ سَبَبَ صَلَاحِ الْأُسْرِ وَالْبَيْوتِ عُمرَانَهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ،
وَابِعَادَهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ؛ فَالْمَعَاصِي سُؤْمُ الْأُسْرِ، وَخَرَابُ الْبَيْوتَاتِ، فَكَمْ
تَفَرَّقَ جَمْعٌ، وَتَشَتَّتَ شَمْلٌ، وَاضْطَرَبَتْ أُسْرٌ، وَطُلِّقَتْ نِسَاءٌ، وَشُرِّدَ
أَبْنَاءٌ؛ بِسُؤْمِ الْمَعَاصِي الْمَسْمُوعَةِ، وَالْمَرْئِيَّةِ، وَالْمَقْرُوعَةِ!

وَأَعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْبَيْوتَ مِنْ أَهَمِّ الْمَعَاقِلِ لِنَشْرِ الْإِيمَانِ،
وَإِخْرَاجِ جَيْلِ الْعَقِيدَةِ وَالْقُرْآنِ، لِأَسِيْمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَأَنَّ أَعْدَاءَ
الْإِسْلَامِ لَا زَالُوا يَسْتُونُ حَمَلَاتِهِمُ الشُّعُوَاءَ عَلَى الْبَيْوتِ وَالْأُسْرِ؛ لِتَقْوِيضِ

أركانها^(١)، وَزَعْرَعَةَ بُيَانِهَا، وَزَلْزَلَةَ تَمَاسِكِهَا، وَإِنَارَةَ الْخِلَافَاتِ الرَّوْجِيَّةِ،
 وَقَدْ اسْتَجَابَ لِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ ضِعَافِ الدَّمِّ؛ فَعَمِلُوا عَلَى إِضْرَامِ نَارِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ
 الرَّوْجَيْنِ، وَانْبَرَى أَنْاسٌ مِنْ غَيْرِ الْأُسْرَةِ لِلتَّخْيِيبِ بَيْنَهُمَا^(٢).

فَلْيَتَّقِ اللَّهُ الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتُ، فِي كُلِّ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالرَّوْجَاتِ؛
 فَلَا يَتَدَخَّلُوا فِي حَيَاةِ أَبْنَائِهِمْ إِلَّا فِيمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ، وَلْيَكُنْ بَيْتُ الثُّبُوءِ -
 عَلَى صَاحِبِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - مِثَالًا يُحْتَدَى، وَأَنْمُودَجًا يُقْتَفَى،
 فِي تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ، وَقَطْعِ دَابِرِ الْمَشْكَلاتِ وَالْخُصُومَاتِ.

وَإِنِّي لِأَدْعُو - مُخْلِصًا - كُلَّ زَوْجَيْنِ حَصَلَ بَيْنَهُمَا مَا حَصَلَ: أَنْ يَطُويَا
 صَفْحَةَ الْمَاضِي، وَأَنْ يَبْدَأَ حَيَاةً جَدِيدَةً، مَلُؤَهَا التَّسَامُحَ وَالْمَحَبَّةَ وَالْوِثَامَ؛
 كَمَا أَنَّ الدَّعْوَةَ مُلِحَّةٌ إِلَى تَكْوِينِ لِحَاظِ إِصْلَاحِ مُعْتَبَرَةٍ فِي كُلِّ أُسْرَةٍ وَقَبِيلَةٍ؛
 لِعِلَاجِ الْمَشْكَلاتِ الرَّوْجِيَّةِ قَبْلَ اسْتِنْفَاحِهَا وَتَفَاقُمِهَا، وَتَحْكِيمِ الْحَكَمَيْنِ
 كَمَا شَرَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَنْ يَتَحَلَّى الزَّوْجَانِ - لَا سِيَّمَا مَنْ بِيَدِهِ عِصْمَةُ
 الرَّوْجِيَّةِ - بِالصَّبْرِ، وَعَدَمِ التَّعَجُّلِ فِي فَصْمِ عُرَا هَذِهِ الْعِلَاقَةِ؛ فَالْعَوَاقِبُ
 وَخِيَمَةٌ، وَالْآثَارُ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعِ عَظِيمَةٌ.

وَاسْمَعُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - هَذَا الْمِثَالَ الْمُحْتَدَى فِي تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ
 بَيْنَ الرَّوْجَيْنِ، وَحُسْنِ التَّعَامُلِ بَيْنَهُمَا:

(١) تقويض الأركان: هدمها. «تاج العروس» (قوض).

(٢) أي: للإفساد بينهما. انظر: «اللسان» (خب).

فَمِنْ صَاحِبِ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ : «أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ وَلَدُ أُمِّ سُلَيْمٍ
 بِنْتِ مِلْحَانَ زَوْجَةِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ قَدْ خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ ، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ : لَا يَذْكُرُ أَحَدٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مَوْتَ
 ابْنِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ ، وَسَأَلَ عَنْ وَلَدِهِ ، قَالَتْ : هُوَ أَسْكَنُ مَا يَكُونُ ؛ فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ
 عُوْفِيَ ، وَقَامَ فَأَكَلَ ، ثُمَّ تَزَيَّتْ لَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَتَطَيَّبَتْ فَنَامَ مَعَهَا ،
 وَأَصَابَ مِنْهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ، قَالَتْ لَهُ : احْتَسِبْ وَلَدَكَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ،
 فَقَالَ : «بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا»^(١) ، فَجَاءَتْ بِوَلَدِهِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ،
 فَأَنْجَبَ وَرَزَقَ عَشْرَةَ مِنَ الْوَالِدِ كُلُّهُمْ مِنَ الْقُرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُجَاهِدِينَ .

هَذِهِ صُورَةٌ مِنْ صُورِ التَّعَامُلِ الْمِثَالِيِّ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ ، فَأَيْنَ
 الْمُقْتُونَ وَالْمُقْتَفِيَاتُ ؟ ! إِنَّهُمْ لَكَثِيرُونَ ، وَإِنَّهُنَّ لَكَثِيرَاتُ ، وَلِلَّهِ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ !
 هَذَا ؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الْوَرَى ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ
 بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
 عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب] .

* * *

(١) رواه أحمد (١٠٥/٣) ، والبخاري (١٣٠١ ، ٥٤٧٠) ، ومسلم (٢١٤٤) ؛ من
 حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْكَمَ الْأَحْكَامِ، وَشَرَعَ الشَّرَائِعِ، وَجَعَلَ شَرِيْعَتَهُ الْمُهِمِّمَةَ عَلَى مَا سِوَاهَا بِلَا مُنَازَعٍ، أَحَمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَتَّى سُبْحَانَهُ عَلَى حِمَايَةِ الْأَسْرِ مِنْ عَوَامِلِ الشَّقَاقِ وَالْعَاثِيَاتِ الْبَلَّاقِعِ، وَصَانَهَا مِنْ أَسْبَابِ التَّصَدُّعِ وَالْإِنْهِيَارِ، وَأَمَرَ بِسَدِّ طُرُقِهِ وَالذَّرَائِعِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ الْعَابِدُ الْخَاشِعُ، جَعَلَ مِنْ بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ مِثَالًا لِكُلِّ مُفْتَفٍ مُتَابِعٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَيْمَةِ الطَّلَائِعِ، وَالنُّجُومِ الطَّوَالِعِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ وَتَتَابَعَتِ الْمَجَامِعُ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فِي أَيِّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، اتَّقُوهُ جَلَّ وَعَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَفِي أَسْرِكُمْ، اتَّقُوهُ سُبْحَانَهُ فِي عِلَانِيَّتِكُمْ وَسِرِّكُمْ، وَعُسْرِكُمْ وَيُسْرِكُمْ، اتَّقُوهُ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ.

عِبَادَ اللَّهِ، قَضِيَّةُ اجْتِمَاعِيَّةٍ خَطِيرَةٌ، وَمُشْكَلَةٌ أُسْرِيَّةٌ كَبِيرَةٌ، تَتَجَلَّى فِي ظَوَاهِرٍ مَرِيرَةٍ، وَتَبْرُزُ فِي حَالَاتٍ كَثِيرَةٍ، تَسُودُ أَرْجَاءَ الْمُجْتَمَعَاتِ،

وَتَهْدُدُ كَثِيرًا مِنَ الْأَسْرِ وَالْبُيُوتَاتِ، كَمْ فَرَقَتْ مِنْ جُمُوعٍ، وَأَذْرَفَتْ مِنْ دُمُوعٍ! كَمْ شَتَّتَتْ مِنْ أُسْرِ، وَصَدَعَتْ مِنْ مَنَازِلٍ، وَأَطْفَأَتْ مِنْ شُمُوعٍ! كَمْ قَوَّضَتْ مِنْ بِنَاءٍ، وَأَحَدَّتْ مِنْ عَنَاءٍ، وَأَوْرَثَتْ مِنْ شَقَاءٍ، وَأَيَّمَتْ مِنْ نِسَاءٍ^(١)، وَضَيَّعَتْ مِنْ أَبْنَاءٍ! كَمْ كَانَتْ سَبَبًا فِي إِحْدَاثِ فِتَنِ وَمُشْكَلَاتٍ، وَإِذْكَاءٍ مَحَنِ وَمُعْضِلَاتٍ! كَمْ كَانَتْ سَبَبًا وَرَاءَ إِحْنٍ وَخُصُومَاتٍ، وَسُلْمًا لِتَفْسِيهِ الْقَطِيعَةِ وَالْمُنَازَعَاتِ! أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الْقَضِيَّةُ الْأُسْرِيَّةُ الْخَطِيرَةُ؟! أَتَعْلَمُونَ مَا هَذِهِ الْمُشْكَلَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ الْكَبِيرَةُ؛ الَّتِي هَدَدَتْ حَيَاةَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَفْرَادِ وَالْأَسْرِ، وَحَوَّلَتْهَا إِلَى جَحِيمٍ لَا يُطَاقُ؟! إِنَّهَا قَضِيَّةُ «الطَّلَاقِ»، وَكَفَى بِهَا مِنْ مُشْكَلَةٍ! وَأَعْظَمُ بِهَا مِنْ مُعْضِلَةٍ!! حَتَّى لَتَكَادُ تُمَثِّلُ فِي هَذَا الْعَصْرِ، مَحَلَّ الصَّدَارَةِ فِي الْمُشْكَلَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْخَطِيرَةِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، لَقَدْ كَثُرَ الطَّلَاقُ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ، وَفَشَا فُشُوعًا رَهِيْبًا؛ مِمَّا يُنْذِرُ بِأَشَدِّ الْخَطَرِ عَلَى الْبُيُوتِ وَالْأَسْرِ، وَشَاعَ انْتِهَاجُهُ سُيُوعًا عَظِيمًا، وَتَسَاهَلَ فِتْنَامٌ مِنَ النَّاسِ بِالتَّلَفُّظِ بِهِ حَتَّى عِنْدَ أَنْفِهِ الْأَسْبَابِ، وَلَا كُنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَلْسِنَةِ بِسَبَبٍ وَبِلَا سَبَبٍ، وَإِنْ تَعَجَّبُوا فَعَجَبٌ صَنِيعٌ أَقْوَامٍ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ؛ حَتَّى حَوَّلُوهَا إِلَى مُمَازِحَاتٍ وَالْأَعْيَبِ، وَتَحَدِيَّاتٍ وَأَعَاجِيبٍ! حَتَّى عَمَّ الْخَطْبُ، وَدَوَّتْ نِدَاءَاتُ الْخَطَرِ، وَصَيَّحَاتُ الْإِنذَارِ، وَارْتَفَعَتْ إِحْصَاءَاتُ الطَّلَاقِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَعَلَتْ نِسْبُهُ وَأَرْقَامُهُ، بِشَكْلِ يُنْذِرُ بِعَوَاقِبِ

(١) كَمْ أَيَّمَتْ مِنْ نِسَاءٍ! أَي: جعلتهنَّ أَيْمَى لَا أَزْوَاجَ لَهُنَّ. انظر: «اللسان» (أيم).

وَخِيَمَةٍ عَلَى الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ، وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ مُصَدَّرَ قَلْقٍ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا اِكْتَوَى أَحَدُهُمْ بِنَارِهَا، وَاصْطَلَى بِلِظَاهَا - هُرِعَ إِلَى الْمُفْتَيْنِ وَالْقُضَاةِ، يَسْأَلُهُمْ مَخْرَجًا حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لَيَلْجَأُ إِلَى حِيلٍ وَأَكَاذِيبٍ فِي سَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَى بُغْيَتِهِ؛ حَتَّى أَشْغَلَ الْعُلَمَاءُ عَنْ قَضَايَاهُمْ الْأَهَمَّ، وَأُنْقَلَتْ كَوَاهِلُ الْقُضَاةِ فِي الْمَحَاكِمِ بِجُمُوعٍ غَفِيرَةٍ، وَمُعَامَلَاتٍ كَثِيرَةٍ، فِي هَذِهِ الْقَضَايَا.

وَلَا تَسْأَلُ عَنْ رَيْنِ الْهَوَاتِفِ، وَسُيُولِ الْمُعَامَلَاتِ، وَعَقْدِ الْجَلْسَاتِ، وَأَعْدَادِ الْمُرَاجِعِينَ وَالْمُرَاجِعَاتِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، نَاسِينَ أَوْ مُتَنَاسِينَ أَنَّ قَضِيَّةَ الطَّلَاقِ شَرِيعَةٌ مُحْكَمَةٌ، لَا أَهْوَاءَ مُحْكَمَةٌ، وَأَنَّهَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الَّتِي حَدَّهَا، وَنَهَى عَنْ تَعَدِّيِّهَا؛ قَالَ تَعَالَى فِي سِيَاقِ آيَاتِ الطَّلَاقِ:
﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق]، **﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [البقرة]، **كَمَا أَنَّ الطَّلَاقَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا بَدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَالْحَذَرَ مِنَ الْإِسْتِهْزَاءِ بِهَا؛ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَكُمْ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة].

وَإِحْسَاسًا بِخَطَرِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، كَانَ لَا بَدَّ مِنَ التَّطَرُّقِ إِلَيْهَا، وَالْبَحْثِ فِي أَسْبَابِهَا، وَأَثَارِهَا، وَطُرُقِ عِلَاجِهَا، وَشَيْءٍ مِنْ حِكْمِهَا وَأَحْكَامِهَا؛ لِنُكُونِ عَلِيٍّ بِصِيرَةٍ فِي أُمُورِ دِينِنَا، وَمِنْ اللَّهِ نَسْتَلِهِمُ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ؛ بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ، أَيُّهَا الرِّوَجَاتُ،
لَقَدْ شَرَعَ الْإِسْلَامُ عِلَاقَةَ الرِّوَجِ لِتَبْقَى لِتَفْنَى، وَلِتُدُومَ لَا لِتَنْقَطِعَ، وَلِيَنْشَأَ
الْوِفَاقُ، وَيَزُولَ الشَّقَاقُ، وَمَنْحَ الْأُسْرَةَ مِنَ الضَّمَانَاتِ، وَأَرْسَى لَهَا مِنَ
الدَّعَائِمِ مَا يَكْفُلُ لَهَا الْإِسْتِقْرَارَ وَالثَّبَاتَ، وَاحْتَرَمَ الْإِسْلَامُ عُقْدَةَ النِّكَاحِ،
وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا لَفْظَ: «الْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ» وَاعْتَبَرَ رَابِطَةَ الرِّوَجِ مِنْ أَقْوَى
العُقُودِ، وَعَهْدَهُ مِنْ أَكْدِ الْعُهُودِ.

وَلَمْ تَتْرِكِ الشَّرِيعَةُ الْأَمْرَ بَيْنَ الرِّوَجَيْنِ سُدىً، تَتَحَكَّمُ فِيهِمُ
الْأَهْوَاءُ، وَيَسِيرُونَ فِي حَيَاتِهِمُ الرِّوَجِيَّةَ عَلَى غَيْرِ هُدًى، بَلْ حَدَدَ الْحُقُوقَ
وَالْوَاجِبَاتِ، وَوَزَعَ الْوِظَائِفَ وَالْمَسْئُورِيَّاتِ عَلَى حَسَبِ الْقُدْرَاتِ
وَالْإِمْكَانَاتِ، وَمُرَاعَاةِ الطَّبَائِعِ وَالنَّفْسِيَّاتِ، كُلُّ ذَلِكَ بِأَسْلُوبٍ عَادِلٍ
حَكِيمٍ، وَبِقِسْطٍ مُسْتَقِيمٍ مُسْتَمَدٍّ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي
عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة]، كَمَا أَوْصَى
الْإِسْلَامُ أَنْ تَسُودَ بَيْنَ الرِّوَجِيَّةِ عِلَاقَاتُ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَنْ تُرْفَرَفَ
عَلَيْهِ رَايَاتُ الْحَنَانِ وَالْإِشْفَاقِ، وَتَلُوحَ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الْإِحْسَانِ وَالْوِفَاقِ، وَأَمَرَ
بِالْمُعَاشَرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْمُعَامَلَةَ بِالْحُسْنَى؛ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ
كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء]،
نَعَمْ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ - فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كثيرًا، رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَفْرُكُ»^(١) مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةٌ؛ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»^(٢).

إِنَّهُ لِأَبَدٌ لِلرِّجَالِ مِنْ مَعْرِفَةِ طَبِيعَةِ النِّسَاءِ، وَمَا خُلِقْنَ لَهُ، وَجُبِلْنَ عَلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الرِّجَالِ قَدْ يَطْلُبُ الْمِثَالِيَّةَ فِي الْمَرْأَةِ بَعِيدًا عَنِ الْوَاقِعِيَّةِ، أُرْشِدَ الْإِسْلَامُ إِلَى مُرَاعَاةِ هَذَا الْجَانِبِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، فِي «صَحِيحَيْهِمَا»؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ؛ فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(٣).

كَمَا حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى حِمَايَةِ الْأُسْرَةِ أَنْ يَتَسَلَّلَ إِلَيْهَا أَهْلُ التَّخْيِبِ، وَدُعَاةُ التَّأْلِيْبِ، وَأَرْبَابُ التَّخْرِيْبِ مِنْ كُلِّ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ، وَسَدَّ الْبَابَ دُونَ التَّدْخُلِ فِي شُؤْنِ الزَّوْجَيْنِ الْإِنِّيَّةِ الْإِصْلَاحِ؛ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا»^(٤) أَي: أَفْسَدَهَا عَلَيْهِ^(٥).

وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا وَضَعَهُ الْإِسْلَامُ مِنْ أُسُسِ لِبْنَاءِ الْأُسْرَةِ وَحِمَايَتِهَا، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْبَشْرِ الْخَطَأَ، وَمِنْ طَبِيعَتِهِمُ التَّقْصِيرُ؛ فَقَدْ تَعَصَّفَ بِالْأُسْرَةِ

(١) لَا يَفْرُكُ، أَي: لَا يَبْغِضُ. «النهاية» (فرك).

(٢) «صحيح مسلم» (١٤٦٩).

(٣) تقدّم تخريجه (ص ٤٤٣).

(٤) رواه أحمد (٣٩٧/٢)، وأبو داود (٢١٧٥)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٥) انظر: «النهاية» (حبيب).

عَوَاصِفُ الشَّقَاقِ وَالْخِلَافِ؛ لِأَنَّهُ قَلَّمَا يَتَّقُ الزَّوْجَانَ وَيَتَطَابَقَانِ مِنْ كُلِّ
 الْوُجُوهِ؛ لَكِنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لَا يَضُرُّهُمَا مَا تَعَاشَرَا بِالْمَعْرُوفِ،
 وَتَعَامَلَا بِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ، وَأَكْرَمَ كُلِّ صَاحِبِهِ، وَأَطْرَحَ الْهَوَى
 وَرَغَبَاتِ النَّفْسِ جَانِبًا؛ إِنَّ الَّذِي يُهَدِّدُ كَيَانَ الْأُسْرَةِ: تَتَّبِعُ الْهَفَوَاتِ، وَتَقْصِي
 الْعَثَرَاتِ، وَتَلْمَسُ السَّقَطَاتِ، وَتَضَخِّمُ الْهَنَاتِ.

لَكِنْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَا الَّذِي يَجِبُ اتِّخَاذُهُ مِنْ قَبْلِ الزَّوْجَيْنِ عِنْدَ
 حُصُولِ الشَّقَاقِ وَالنِّزَاعِ؟ هَلِ الطَّلَاقُ أَوَّلُ الْعِلَاجِ كَمَا يَعْمَدُ إِلَيْهِ بَعْضُ
 الْمُتَعَجِّلِينَ الَّذِينَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْعَوَاقِبِ؟! هَلِ الطَّلَاقُ مِنَ السُّهُوَةِ،
 بَحِثْ يَتَّخِذُهُ قَلِيلُو الصَّبْرِ، ضِعَافُ التَّحَمُّلِ، وَسَيْلَةُ أَوْلَى لِحَسْمِ الْخِلَافِ؟!!

لَقَدْ أَرْشَدَنَا الْإِسْلَامُ إِلَى الْمَنَهِجِ الْحَقِّ عِنْدَ حُدُوثِ الشُّوزِ بَيْنَ
 الطَّرَفَيْنِ، وَوَضَعَ لِذَلِكَ وَسَائِلَ عِلَاجِيَّةً لَا تُحْفِقُ أَبَدًا، مَتَى مَا صَفَتِ
 السَّرِيرَةُ، وَحَسَنَتِ النَّيَّةُ؛ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ
 بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَدِيثِ
 قَدِئْتُمْ حَلْفَظْتُمْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ شُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ بِ
 وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾ [النساء]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ أَمْرَاهُ
 خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا
 وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

يَمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿١٢٨﴾ [النساء].

وَإِذَا اسْتَحْكَمَ النَّزَاعُ وَاسْتَدَامَ، فَقَدْ شَرَعَ الْإِسْلَامُ التَّدخُلَ لِلِإِصْلَاحِ
بِتَحْكِيمِ الْحَكَمِينَ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الرَّوَجَيْنِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ
يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَيْرًا ﴿٣٥﴾ [النساء].

لَكِنَّ السُّؤَالَ الَّذِي يَطْرُحُ نَفْسَهُ، هَلْ قَامَ الرَّوَجَانِ بِالْحُقُوقِ
وَالوَاجِبَاتِ؟! وَإِذَا حَصَلَ النَّزَاعُ، فَهَلْ عَمِلَا بِمَنْهَجِ الْإِسْلَامِ لِعِلَاجِ ذَلِكَ؟!
هَلْ سَعِيَ لِلِإِصْلَاحِ؟! أَيْنَ أَهْلُ الصُّلْحِ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَهْلِ؟! أَيْنَ تَحْكِيمُ
الْحَكَمِينَ؟! أَوْ أَنَّ ذَلِكَ فِي عِدَادِ الْأُمُورِ الْمَهْجُورَةِ؟! إِنَّهُ إِذَا أُمِكنَ
الْوِفَاقُ، فَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ الْإِقْدَامُ عَلَى فَضْمِ عُرَا الرَّوْجِيَّةِ بِطَلَبِ الطَّلَاقِ؛
يَقُولُ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا
رَائِحَةُ الْجَنَّةِ» (١).

لَكِنَّ إِذَا تَعَدَّرَ الْوِفَاقُ، وَتَحَوَّلَتِ الْحَيَاةُ إِلَى جَحِيمٍ لَا يُطَاقُ، وَلَمْ
تَعْمَلْ أَسْبَابُ الْعِلَاجِ وَوَسَائِلُ الْإِصْلَاحِ عَمَلَهَا فِي الْقُلُوبِ - فَقَدْ قَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا
حَكِيمًا ﴿١٣﴾ [النساء].

(١) رواه أحمد (٢٨٣/٥)، وأبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، والحاكم (٢/٢٠٠)، والبيهقي (٣١٦/٧)؛ من حديث ثوبان، رضي الله عنه.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ الطَّلَاقَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِأَسْبَابٍ شَرْعِيَّةٍ، فَهُوَ عَبَثٌ لَا يَقْرَهُهُ الدِّينُ، وَتَحْرِيبٌ لَا تَعْمُرُ بِهِ الْحَيَاةُ، فَأَيْنَ الَّذِينَ يُفَكِّرُونَ فِي الْعَوَاقِبِ؟! مَا ذَنْبُ الْأَوْلَادِ وَالْأَطْفَالِ؟! وَمَا جَرِيرَةُ الضَّعَفَاءِ وَالضَّعِيفَاتِ، وَالْأَبْرِيَاءِ وَالْبَرِيئَاتِ؟! وَلَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ: «أَبْغَضُ الْحَلَائِلِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ»^(١)؛ فَلْيَعْلَمْ كُلُّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى الطَّلَاقِ أَوْ فَكَّرَ فِيهِ؛ أَنَّ الطَّلَاقَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَفْرَحُ لَهَا الشَّيْطَانُ، وَيَبْعَثُ مِنْ أَجْلِهَا جُنُودَهُ، وَكَفَى بِذَلِكَ تَحذِيرًا مِنْهُ وَتَنْفِيرًا! رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ؛ فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزَلَةٌ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً؛ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا! فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا! ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ! قَالَ: فَيُذْنِبُهُ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ!»^(٢).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لِلْجَمِيعِ خُطُورَةُ أَمْرِ الطَّلَاقِ، وَشَيْءٌ مِنْ آثَارِهِ عَلَى الْأَسْرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ - فَإِنَّ مِنَ الْمُنَاسِبِ تَلَمُّسَ أَهَمِّ أَسْبَابِهِ، تَشْخِصًا لِلدَّاءِ، وَوَصْفًا لِلدَّوَاءِ.

وَالْبَاحِثُ عَنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ وَقُوعِهِ يَجِدُ أَنَّ مِنْهَا: عَدَمَ قِيَامِ كُلِّ مَنْ

- (١) رواه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والحاكم (١٩٦/٢)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما.
- (٢) «صحيح مسلم» (٢٨١٣).

الزَّوْجَيْنِ بِوَأَجَابَتِهِ تَجَاهَ الْآخَرِ، وَالتَّقْصِيرِ فِي الْمُعَاشِرَةِ بِالْحُسْنَى .

كَمَا أَنَّ مِنْهَا؛ سُوءَ الْخُلُقِ، وَضَعْفَ الْوَازِعِ، وَقِلَّةَ الصَّبْرِ وَالتَّحْمُلِ،
وَطَلَبَ الْمِثَالِيَّةِ، وَوُجُودَ الْفَوَارِقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَالِاسْتِجَابَةَ لِدَاعِيِ الْهَوَى
وَالْغَضَبِ، وَعَدَمَ التَّحَكُّمِ فِي النَّفْسِ وَضَبْطِ الْأَعْصَابِ، وَالتَّدْخُلَ مِنَ الْأَفْرَادِ
خَارِجَ نِطَاقِ الْأُسْرَةِ مِمَّنْ لَا يَهْمُهُمُ الْأَمْرُ؛ لِلتَّحْرِيشِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ^(١).

كَمَا أَنَّ مِنْهَا؛ عَدَمَ الْإِلْتِزَامِ بِمَنْهَجِ الْإِسْلَامِ عِنْدَ حُدُوثِ أَيِّ خِلَافٍ،
وَالتَّقْصِيرِ فِي الْإِصْلَاحِ وَالتَّحْكِيمِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ .

فَيَا أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ .

وَيَا أَيُّهَا الزَّوْجَاتُ، اتَّقِينَ اللَّهَ فِي أَزْوَاجِكُنَّ، لَا تَكُنِّي إِحْدَاكُنَّ
سَبَبًا فِي اسْتِفْزَازِ زَوْجِهَا، وَإِثَارَةِ أَعْصَابِهِ، فَمَنْ بِحُقُوقِ الْأَزْوَاجِ وَالْبَيْوتِ
وَالْأَوْلَادِ؛ فَالْمَرْأَةُ الْمُوَفَّقَةُ هِيَ الَّتِي تَكْسِبُ زَوْجَهَا، وَتَمْتَصُّ غَضَبَهُ،
وَتَعْرِفُ حُقُوقَهُ، لَا مَنْ تُشْعِلُ النَّارَ، وَتَزِيدُ الطِّينَ بِلَّةً .

وَلْيَتَّقِ اللَّهُ الْأَزْوَاجَ، وَلْيَصُونُوا عِلَاقَاتِهِمْ عَنِ الْخِلَافَاتِ وَالْمُنَازَعَاتِ،
إِنْ كَانُوا يُرِيدُونَ سَعَادَتَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ .

وَيَا مَنْ دَبَّ النَّزَاعُ بَيْنَهُمَا، احْتَكِمُوا إِلَى دِينِكُمْ وَإِسْلَامِكُمْ؛ فَفِيهِ

(١) يقال: حَرَّشَ بَيْنَهُمْ تَحْرِيشًا، أَي: أَفْسَدَ وَأَغْرَى بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ. «اللسان»
(حرش).

القَضَاءُ عَلَى أَسْبَابِ الْخِلَافِ ، وَحَسْمُ النَّزَاعِ مِنْ مَبْدَئِهِ ، وَاقْتِلَاعُ الشَّرِّ مِنْ
جُدُورِهِ ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوقِّقَ الْجَمِيعَ إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَأَنْ يُصْلِحَ
الْقُلُوبَ ، وَيَجْمَعَ الشَّمْلَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ .
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ ، وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، فَاسْتَغْفِرُوهُ ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَاخْتَصَّ بِأَبْهَى جَمَالٍ، وَأَعْلَى جَلَالٍ، وَتَفَضَّلَ عَلَى عِبَادِهِ بِجَزِيلِ النَّوَالِ، لَهُ الْحَمْدُ فِي كُلِّ حَالٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تُقَدَّسَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَنْعُوتُ بِأَشْرَفِ الْخِلَالِ، وَأَكْرَمِ الْخِصَالِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَأَفْضَلِ آلٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَالِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاتَّقِينَ اللَّهَ - إِمَاءَ اللَّهِ - تَفَقَّهُوا جَمِيعًا فِي أُمُورِ دِينِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلطَّلَاقِ أَحْكَامًا يَجِبُ مَعْرِفَتُهَا عَلَى كُلِّ مَوْاقِعَ لَهُ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْمُطَلَّقِ أَنْ يُطَلِّقَ كَيْفَمَا شَاءَ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَنْهَجٍ شَرْعِيٍّ فِي ذَلِكَ.

وَمِنْ مَلَامِحِهِ: أَنْ يُطَلِّقَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ بِإِحْسَانٍ؛ قَالَ تَعَالَى:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وَمِمَّا يَنْبَغِي فَفِهُهُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الطَّلَاقَ نَوْعَانِ: طَلَاقٌ سُنِّيٌّ،

وَطَلَاقٌ بَدْعِيٌّ:

فَالطَّلَاقُ السُّنِّيُّ: هُوَ الَّذِي يَجِبُ التِّزَامُهُ عِنْدَ إِنْتِقَاعِ الطَّلَاقِ؛

وَذَلِكَ : بِأَنْ يُطَلِّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ طَلْقَةً وَاحِدَةً فِي طَهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ .
 وَالطَّلَاقُ الْبِدْعِيُّ : أَنْ يُطَلِّقَهَا أَكْثَرَ مِنْ طَلْقَةٍ دُفْعَةً وَاحِدَةً ، أَوْ يَقُولَ :
 أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا ، أَوْ يُطَلِّقَهَا وَهِيَ حَائِضٌ ، أَوْ يُطَلِّقَهَا فِي طَهْرٍ قَدْ وَاقَعَهَا فِيهِ ،
 وَفَاعِلُ ذَلِكَ آثِمٌ ، مُرْتَكِبٌ أَمْرًا مُحَرَّمًا .

فَهَلِ التَّرَمُّ الْمُطَلَّقُونَ هَذِهِ الْأَحْكَامُ ؟ ! وَهَلْ فَتَهُوا أَحْكَامَ الطَّلَاقِ ؟ !
 ثُمَّ إِنَّهُ لِأَبَدٌ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى مَسْأَلَةِ كَثْرِ الْوُقُوعِ فِيهَا ، وَهُوَ « طَلَاقُ
 الثَّلَاثِ » ؛ أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَيْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ : عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ جَمِيعًا ، فَقَامَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ - غَضَبَانَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيْلَعُبُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ؟ ! » حَتَّى
 قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أَقْتُلُهُ ؟ ! (١)

وَجَاءَ رَجُلٌ قَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
 فَسَأَلَهُ ؟ فَسَكَتَ مُغْضَبًا ، ثُمَّ قَالَ : « يَنْطَلِقُ أَحَدُكُمْ فَيَرْكَبُ الْحِمَاقَةَ ، ثُمَّ
 يَقُولُ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ! وَاللَّهِ يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
 مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق] ، وَإِنَّكَ لَمْ تَتَّقِ اللَّهَ ، فَلَا أَجِدُ لَكَ مَخْرَجًا ؛ عَصَيْتَ
 رَبَّكَ ، وَبَانَتَ مِنْكَ امْرَأَتُكَ » ، وَجَاءَهُ رَجُلٌ قَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ أَلْفًا ، فَقَالَ :
 « اتَّخِذْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا ؟ ! يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثٌ » (٢) .

(١) «سنن النسائي» (١٤٢/٦) .

(٢) انظر : «المصنف» لعبد الرزاق (١١٣٤٦-١١٣٥٣) .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلَا تَسْتَعْجِلُوا فِي أُمُورِ الطَّلَاقِ؛ فَلَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا!! .

وَإِذَا كَانَ مِنْ تَوْجِيهِ لِعِلَاجِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، فَإِنَّهُ يَتَلَخَّصُ فِي التَّخَلِّيِ عَنْ كُلِّ ذَرَائِعِهِ وَأَسْبَابِهِ الَّتِي سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، ثُمَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِلْعُلَمَاءِ وَالرُّجُحَاءِ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَمَدِينَةٍ، وَأُسْرَةٍ وَقَبِيلَةٍ: جُهُودٌ فِي عِلَاجِ الْمَشْكِلاتِ الزَّوْجِيَّةِ، عَنْ طَرِيقِ لِحْجَانِ إِصْلَاحِ مَوْثُوقَةٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ فِي الْمُجْتَمَعِ، يَلْجَأُ إِلَيْهَا - بَعْدَ اللَّهِ - كُلُّ مَنْ وَاجَهَتْهُ مُشْكِلةٌ كَهَذِهِ، وَبِذَلِكَ تَقِلُّ الْمَشْكِلاتُ، بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَأَخِيرًا: مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، أَصْلَحَ اللَّهُ حَالَهُ، وَأَصْلَحَ زَوْجَهُ، وَأَصْلَحَ أُسْرَتَهُ وَأَوْلَادَهُ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سِيَاقِ آيَاتِ الطَّلَاقِ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق] .

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْمَوْلَى الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ؛ فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب] .

* * *



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، وَجَعَلَ
لِكُلِّ دَوْرَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
أَوْصَى أُمَّتَهُ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ مَا صَبَحَ
بَدَا، وَمَا لَيْلٌ سَجَا^(١)، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا سَرْمَدِيًّا أَبَدًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمَاتُ،
اتَّقِينَ اللَّهَ - عَزَّوَجَلَّ - وَاشْكُرُوهُ جَمِيعًا عَلَى مَا هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَأَوْلَاكُمْ
مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ.

عِبَادَ اللَّهِ، مِنْ مَحَاسِنِ دِينِنَا الْإِسْلَامِيِّ، وَمُمَيِّزَاتِ شَرِيعَتِنَا الْغُرَّاءِ:
أَنَّهَا جَاءَتْ بِالشُّمُولِ وَالْكَمَالِ، فَلَمْ تَتْرِكْ جَانِبًا مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ إِلَّا
نَظَّمَتْهُ أَحْسَنَ نِظَامٍ وَأَحْكَمَهُ، وَلِلَّهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِيمَا يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ؛
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [٤٤] [الملك].

(١) سجا الليل: سكن ودام. «اللسان» (سجو).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَمِنَ الْجَوَانِبِ الرَّئِيسَةِ الَّتِي تَوَلَّاهَا الْإِسْلَامُ
 بِالْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ، وَأَحَاطَهَا بِسِيَاحٍ مَنِيْعٍ مِنَ الصِّيَانَةِ وَالْحِمَايَةِ، وَرَسَمَ لَهَا
 خَيْرَ مَنْهَجٍ لِمَا لَهَا مِنَ الْأَهْمِيَّةِ وَالْمَكَانَةِ: الْجَانِبُ الْمُتَعَلِّقُ بِالْمَرْأَةِ وَشُؤْنِهَا،
 وَمَسْئُورِيَّتِهَا فِي الْأُمَّةِ، وَمَكَانَتِهَا فِي الْمُجْتَمَعِ، وَمَا لَهَا مِنْ حُقُوقٍ، وَمَا
 عَلَيْهَا مِنْ وَاجِبَاتٍ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهَا اللَّبَنَةُ الْكُبْرَى، وَالنَّوَاةُ الْأُولَى الَّتِي
 يَقُومُ عَلَيْهَا عَمُودُ الْأُسْرَةِ، وَبِالتَّالِي نَهْضَةُ الْأُمَّةِ وَبِنَاءُ حَضَارَتِهَا، وَلِأَنَّهَا
 الْأُمُّ الرَّءُومُ الْمُشْفِقَةُ، الْعَفِيفَةُ الْمُرَبِّيَّةُ، وَالزَّوْجُ الْحَنُونُ الْمُؤْنِسَةُ، وَالْأُخْتُ
 الْكَرِيمَةُ السَّارَّةُ، وَالْبِنْتُ اللَّطِيفَةُ الْبَارَّةُ، بَلْ هِيَ الْمَدْرَسَةُ الْحَقِيقِيَّةُ
 لِإِعْدَادِ الْأَجْيَالِ، وَصِنَاعَةِ الرَّجَالِ.

إِحْوَةَ الْإِيْمَانِ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالْمَرْأَةُ مَهْضُومَةُ الْحُقُوقِ، مَهِيضَةُ
 الْجَنَاحِ^(١)، مَسْلُوبَةُ الْكِرَامَةِ، مُهَانَةٌ مُزْدَرَأَةٌ، مَحَلُّ التَّشَاؤْمِ وَسُوءِ
 الْمُعَامَلَةِ، مَعْدُودَةٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ، وَأَبْخَسِ السَّلْعِ، تُبَاعُ وَتُشْتَرَى، تُوهَبُ
 وَتُكْتَرَى، لَا تَمْلِكُ وَلَا تَرِثُ؛ بَلْ: تُقْتَلُ وَتُوْعَدُ بِلَا ذَنْبٍ وَلَا جَرِيرَةٍ، فَلَمَّا
 جَاءَ الْإِسْلَامُ بِحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، رَفَعَ مَكَانَتَهَا وَأَعْلَى شَأْنَهَا، وَأَعَادَ لَهَا
 كِرَامَتَهَا وَأَنْصَفَهَا؛ فَمَنْحَهَا حُقُوقَهَا، وَأَلْغَى مَسَالِكَ الْجَاهِلِيَّةِ نَحْوَهَا،
 وَاعْتَبَرَ هَاشِرِيكَةً لِلرَّجُلِ شَقِيقَةً لَهُ فِي الْحَيَاةِ.

(١) أي: مكسورة الجناح. «اللسان» (هيض).

وَقَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ مَعَ الرَّجُلِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ؛
يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]، وَقَالَ تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا
خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَأَوْصَىٰ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ خَيْرًا؛ فِيهِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (١)،
وَلِأَحْمَدَ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيِّ، عَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» (٢).

كَمَا ضَمِنَ لَهَا الْإِسْلَامُ الْكَرَامَةَ وَالْإِنْسَانِيَّةَ، وَالْحُرِّيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ،
وَالْأَعْمَالَ الْإِسْلَامِيَّةَ، الَّتِي تَتَّفِقُ مَعَ طَبِيعَتِهَا وَأُثُوثِهَا، فِيمَا لَا يُخَالِفُ نَصًّا
مِنْ كِتَابٍ، أَوْ سُنَّةٍ، وَلَا يُعَارِضُ قَاعِدَةً وَمَقْصِدًا مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَفِي
مُحِيطِ نِسَائِيٍّ مَصُونٍ. كَمَا سَاوَىٰ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي عَدَدٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ،
إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمُسَاوَاةَ قَائِمَةٌ عَلَىٰ مِيزَانِ الشَّرْعِ وَمِقْيَاسِ التَّقْلِ الصَّحِيحِ،
وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ خَصَائِصَ وَمَزَايَا،

(١) تقدّم تخريجه (ص ٤٤٣).

(٢) تقدّم تخريجه (ص ٤٤٥).

وَمُقَوِّمَاتٍ لَيْسَتْ لِلآخِرِ، وَأَهْلٌ كَلَّا مِنْهُمَا لِمَا سَيَقُومُ بِهِ مِنْ مَهَامٍّ فِي هَذِهِ
الْحَيَاةِ، فَأَعْطَى الرَّجُلَ قُوَّةً فِي جَسَدِهِ؛ لِيَسْعَى وَيَكْدَحَ، وَمَنْحَ الْمَرْأَةَ
الْعَطْفَ وَالْحَنَانَ؛ لِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ، وَتَنْشِئَةِ الْأَجْيَالِ، وَبِنَاءِ الْأَسْرِ الْمُسْلِمَةِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ الْمَرْأَةُ بَعْدَ هَذَا التَّكْرِيمِ؟! وَأَيُّ شَيْءٍ
تَنْشُدُهُ بَنَاتُ حَوَاءَ بَعْدَ هَذِهِ الْحَصَانَةِ وَالرَّعَايَةِ؟! أَيْسْتَبْدِلُنَّ الَّذِي هُوَ أَدْنَى
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؟! أَيُؤَثِّرُنَّ حَيَاةَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَالتَّهْتِكِ وَالِاخْتِلَاطِ،
عَلَى حَيَاةِ الطُّهْرِ وَالْعَفَافِ وَالْحِشْمَةِ؟! أَيُضْرِبُنَّ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،
الْأَمْرَةَ بِالْحِجَابِ وَالْعِفَّةِ عُرْضَ الْحَائِطِ، وَيُخَدَعْنَ بِالْأَبْوَابِ الْمَاكِرَةِ،
وَالْأَصْوَاتِ النَّاعِقَةِ، وَالدَّعَايَاتِ الْمُضَلِّلَةِ، وَالْكَلِمَاتِ الْمَعْسُولَةِ
الْخَادِعَةِ، الَّتِي تُطَالِعُنَا بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى، وَتُتَارُ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ؟!
أَيَتْرُكُنَّ النَّاسِيَّ بِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّاهِرَاتِ، وَأَعْلَامِ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ؛
كَ«عَائِشَةَ، وَخَدِيجَةَ، وَفَاطِمَةَ، وَسُمَيَّةَ، وَنُسَيْبَةَ»، وَيُقَلِّدْنَ الْمَاجِنَاتِ،
وَيَنْشَبِهْنَ بِالْفَاجِرَاتِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ!؟

أُخْتِي الْمُسْلِمَةُ، إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغِي كَمَالِ الْمَنْشُودِ، وَتُعِيدِي مَجْدَكَ
الْمَفْقُودَ، وَتُحَقِّقِي مَكَانَتِكَ السَّامِيَةَ، إِلَّا بِاتِّبَاعِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَالْوُقُوفِ
عِنْدَ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ فَذَلِكَ كَفِيلٌ أَنْ يَطْبَعَ فِي قَلْبِكَ مَحَبَّةَ الْفَضَائِلِ وَالْتِمَازَةَ
عَنِ الرَّذَائِلِ؛ فَمَكَانِكَ وَاللَّهُ تُحْمَدِي، وَيَيْتِكَ تَسْعَدِي، وَحِجَابِكَ تَصْلُحِي،
وَعَفَافِكَ تُرِيحِي وَتَسْتَرِيحِي!

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ عَلَيْهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فَأَنْتِ فِي الْإِسْلَامِ دُرَّةٌ مَصُونَةٌ ، وَجَوْهَرَةٌ مَكُونَةٌ ، وَبِغَيْرِهِ : دُمِيَّةٌ فِي يَدِ كُلِّ فَاجِرٍ ، وَالْعُوبَةُ وَسِلْعَةٌ بِهَا يُتَاجَرُ ، بَلْ يَلْعَبُ بِهَا ذُنَابُ الْبَشَرِ ، فَيُهْدَرُونَ عِقَّتَهَا وَكِرَامَتَهَا ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا لَفْظَ النَّوَاةِ ، وَيَرْمُونَهَا رَمِيَّ الْقَذَاةِ (١) ، فَمَتَى خَالَفَتِ الْمَرْأَةُ آدَابَ الْإِسْلَامِ ، وَتَسَاهَلَتْ بِالْحِجَابِ ، وَبَرَزَتْ لِلرِّجَالِ مُزَاحِمَةً مُتَعَطِّرَةً - : غَاضَ مَاؤُهَا ، وَقَلَّ حَيَاؤُهَا ، وَذَهَبَ بِهَاؤُهَا ؛ فَعَظُمَتْ بِهَا الْفِتْنَةُ ، وَحَلَّتْ بِهَا الشُّرُورُ وَالنَّقْمَةُ .

فَيَأْتِيهَا الْمُسْلِمَةُ ، الْمُعْتَرَّةُ بِشَرَفِ الْإِسْلَامِ ، وَيَأْتِيهَا الْحُرَّةُ الْعَفِيفَةُ الْمَصُونَةُ ، أَنْتِ خَيْرُ خَلْفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ ، تَمَسَّكِي بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، وَكُونِي عَلَى حَذَرٍ وَفِطْنَةٍ مِنَ الْأَيْدِي الْمَاكِرَةِ ، وَالْعِيُونِ الْغَادِرَةِ ، وَالْأَنْفُسِ الْحَبِيبَةِ الشَّرِيرَةِ ، الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تُنْزِلَكَ مِنْ عَلِيَاءِ كَرَامَتِكَ ، وَتَهْبِطَ بِكَ مِنْ سَمَاءِ مَجْدِكَ ، وَتُخْرِجَكَ مِنْ دَائِرَةِ سَعَادَتِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْخَدِيعَةَ وَالْإِنْهَزَامَ ، أَمَامَ هَذِهِ الْحَرْبِ السَّافِرَةِ بَيْنَ الْحِجَابِ وَالسُّفُورِ ، وَالْعَفَافِ وَالْإِبَاحِيَّةِ ، كَيْفَ وَقَدْ ثَبَّتَ - بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلشَّكِّ - أَنَّ التَّبَرُّجَ

(١) القذاة: ما يقع في العين والماء والشراب، من تراب أو وسخ أو غير ذلك، وجمعه: قذى. «النهاية» (قذي).

وَالسُّفُورَ مَطِيَّةَ الْفَسَادِ، وَطَرِيقَ الشُّرُورِ!

إِنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ؛ قَدْ سَاءَ هُمْ، وَأَقْضَى مَضَاجِعَهُمْ، مَا تَمَتَّعَ بِهِ
الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ مِنْ حَصَانَةٍ وَكِرَامَةٍ؛ فَسَلَطُوا عَلَيْهَا الْأَضْوَاءَ، وَنَصَبُوا لَهَا
الشُّبَاكَ، وَرَمَوْهَا بِبَنِيهِمْ وَسِهَامِهِمْ، وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنْ يُحَقِّقَ مَقَاصِدَهُمْ،
وَيَسِيرَ فِي رِكَابِهِمْ، وَيَسْعَى فِي نَشْرِ أَفْكَارِهِمْ - أَنَّاسٌ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا،
يَتَكَلَّمُونَ بِالْأَسْتِنَا، فَيَشْتُونَ الْحَرْبَ الْفِكْرِيَّةَ الشَّعْوَاءَ، عَلَى أَخَوَاتِنَا
الْمُسْلِمَاتِ مَاءٍ وَجُوهِنَا، عَبْرَ الْعَنَاوِينَ الْخَادِعَةِ، وَالْمَقَالَاتِ السَّاحِرَةِ،
هُنَالِكَ وَهُنَاكَ، فَيَنَادُونَ - زُورًا وَبُهْتَانًا - بِتَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ، وَيَطَالِبُونَ بِعَمَلِ
الْمَرْأَةِ وَخُرُوجِهَا مِنَ الْمَنْزِلِ، وَيُشِيعُونَ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةَ، وَالشُّبَّةَ
الدَّاحِضَةَ عَنِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ؛ فَيَقُولُونَ عَنِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ الْمُحَافِظِ:
«إِنَّ نِصْفَهُ مُعْطَلٌ، وَلَا يَتَنَفَّسُ إِلَّا بِرَيْثَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَيْفَ تَتْرُكُ الْمَرْأَةَ حَبِيسَةً
الْبَيْتِ، وَرَهَيْتَهُ الْمَنْزِلَ؟!» وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْأَفَّاكَةِ^(١)، وَالْعِبَارَاتِ
الْمُضَلِّلَةِ، فَمَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ؟! وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَهْدِفُونَ؟! نَعَمْ إِنَّهُمْ يَهْدِفُونَ
إِلَى تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ مِنْ أَخْلَاقِهَا وَأَدَابِهَا، وَأَنْسِلَاحِهَا مِنْ مُثْلِهَا وَقِيمِهَا وَمَبَادِئِهَا،
وَإِنْقَاعِهَا فِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ! يُرِيدُونَهَا عَارِضَةً لِلْأَزْيَاءِ، وَسِلْعَةً لِلشُّدْجِ
وَالْبُسْطَاءِ! فَمَنْ لِصَلَاحِ الْبَيْتِ، وَسَعَادَةِ الْأَهْلِ، وَتَرْبِيَةِ الْأَجْيَالِ!؟

(١) الأفَّاكة: الكذّابة، من الإفك، وهو الكذب. «اللسان» (أفك).

خَبُرُونِي بِرَبِّكُمْ ، أَيُّ فِتْنَةٍ تَقَعُ ، وَأَيُّ بَلَاءٍ يَحْدُثُ ، إِذَا هُتِكَ الْحِجَابُ ،
وَوُضِعَ الْجِلْبَابُ ، وَافْتَرَسَ الْمَرْأَةُ الذَّنَابُ ؛ نَتِيجَةَ السُّفُورِ وَالِاخْتِلَاطِ ، فِي
الدَّوَائِرِ وَالْمَكَاتِبِ ، وَالْمَدَارِسِ وَالْأَسْوَاقِ ؟ ! أَمَا يَكْفِي زَاجِرًا ، وَيَشْفِي
وَاعِظًا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَا وَقَعَتْ فِيهِ الْمُجْتَمَعَاتُ الْمُخَالِفَةُ لِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ ؛
مِنَ الْهُبُوطِ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الرِّذِيلَةِ ، وَمَهَاوِي الشُّرُورِ ، وَبُؤْرِ الْفَسَادِ ، حِينَ
أَهْمَلَتْ أَمْرَ الْمَرْأَةِ ، حَتَّى انْطَلَقَتِ الصَّيْحَاتُ الْمُجْرِبَةُ ، وَالنَّدَاءَاتُ الْمُتَكَرِّرَةُ ؛
مُطَالِبَةً بِعَوْدَةِ الْمَرْأَةِ إِلَى حِصْنِهَا وَقَرَارِهَا ؟ ! هَلْ يَرْضَى مَنْ فِيهِ أَدْنَى غَيْرَةٍ
وَرَجُولَةٍ أَنْ تَصِيرَ امْرَأَتُهُ وَمَوْلِيَّتُهُ مَرْتَعًا لِأَنْظَارِ الْفَسَقَةِ ، وَعُرْضَةً لِأَعْيُنِ الْحَوَانِةِ ،
وَمَائِدَةً مَكْشُوفَةً ، وَلُقْمَةً سَائِغَةً ، أَمَامَ عَدِيمِي الْمُرُوءَةِ ، وَضِعَافِ التُّفُوسِ ؟ !

وَلَقَدْ أَفَادَتِ الْأَوْضَاعُ السَّائِدَةُ أَنَّ خُرُوجَ الْمَرْأَةِ مِنْ بَيْتِهَا هُوَ أَمَارَةٌ
الْخَرَابِ وَ الدَّمَارِ ، وَعَلَامَةٌ الضِّيَاعِ وَالْفَسَادِ ، وَعَنْوَانُ انْقِطَاعِ وَشَائِحِ الْأَلْفَةِ
وَالْمَحَبَّةِ وَالْفَضِيلَةِ ^(١) ، وَانْتِشَارِ غَوَائِلِ الْفَسَادِ وَالرِّذِيلَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ .

فَالِأَخَوَاتِنَا الْمُسْلِمَاتِ ، فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ ، وَإِلَى نِصْفِ أُمَّتِنَا
الثَّانِي ، يُوجَهُ هَذَا النَّدَاءُ الْحَانِي ، مِنْ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الطَّاهِرَةِ : بِالتَّمَسُّكِ الْحَقِّ
بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَالْعِزِّ عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ بِالنَّوَاجِدِ ، وَاتِّبَاعِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ وَأَدَابِهِ .

(١) وشائج الألفة والمحبة والفضيلة ، أي : روابطها وما يؤدي إلى التفافها وتشابكها ،
مفردتها : وشيجة . انظر : «اللسان» (وشح) .

وَالِى الْجَمْعِيَّاتِ النَّسَائِيَّةِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ: يُوجِّهُ نِدَاءُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَغَبَّةٍ^(١) مُخَالَفَةِ الْمَرْأَةِ لِهَدْيِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِنْسِيَّاقِ وَرَاءَ الشُّعَارَاتِ الْبَرَّاقَةِ، وَالذَّعَايَاتِ الْمَسْمُومَةِ الْمُضَلِّلَةِ، ضِدَّ أَخْلَاقِ الْمَرْأَةِ وَمُثْلِهَا وَقِيمِهَا.

وَالِى الْمَسْئُولِينَ عَنِ الْقِتَاةِ الْمُسْلِمَةِ، تَعْلِيمًا وَرِعَايَةً، قِيَامَةً وَعِنَايَةً: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيَقُومُوا بِوَجِبِهِمْ تَجَاهَهَا، مَعَ التَّرْكِيزِ وَالْعِنَايَةِ بِالْجَوَانِبِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، لِأَبَدٍ مِنْ وَضْعِ حَدِّ فَاصِلٍ، وَسَدِّ مَنِيْعٍ، أَمَامَ السُّيُولِ الْمُتَدَفِّقَةِ مِنَ الْمَظَاهِرِ الْفَاصِحَةِ، وَالْمَنَاظِرِ الْمَاجِنَةِ، وَالْأَفْلَامِ الْخَلِيعَةِ، وَالصُّوَرِ الْعَارِيَةِ، وَشِبْهِ الْعَارِيَةِ، الَّتِي تَقْضِي عَلَى الْغَيْرَةِ وَالْأَخْلَاقِ، وَتُورِثُ الدِّيَانَةَ وَالرَّذِيْلَةَ.

أَمَّا أَوْلِيَاءُ أُمُورِ النِّسَاءِ، مِنْ أَزْوَاجٍ وَأَبَاءٍ: فَإِنَّا نَذَكِّرُهُمْ بِوَجِبِ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمَرْأَةِ؛ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]؛ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَنْ يَقُوا أَنْفُسَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ بِالْقِيَامِ بِتَرْبِيَّتِهِمْ، وَأَطْرِهِمْ عَلَى تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَلِيَحْذَرُوا مِنَ الْإِسْتِرْسَالِ فِي تَرْكِ الْحَبْلِ عَلَى الْغَارِبِ؛ فَإِنَّا نُنَاشِدُ فِيهِمْ غَيْرَتَهُمْ عَلَى نِسَائِهِمْ، وَنُحَاطِبُ فِيهِمْ

(١) مَغَبَّةُ الْأَمْرِ: عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ. «اللسان» (غيب).

شَهَامَتَهُمْ^(١)؛ ذَبًّا عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، وَصَوْتًا لِمَحَارِمِهِمْ، فَضْلًا عَنْ دِيَانَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ.

فِي أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ، اعْتَبِرُوا وَاحذَرُوا وَلَا تَتَّخِذُوا؛ فَالْسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بَعِيْرِهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ نَكْبَةَ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ فِي مُجْتَمَعَاتِهَا، وَإِخْفَاقِهَا فِي أَخْلَاقِهَا - لَمْ تَكُنْ إِلَّا بَعْدَ مَا نُكِبَتْ فِي نِظَامِ أُسْرِهَا، وَفَسَادِ تَرْبِيَّتِهَا لِنِسَائِهَا؛ وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضْرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(٢)، وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(٣).
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) يقال: شَهَمَ الرجلُ شَهَامَةً؛ فهو شَهْمٌ؛ إذا كان ذكياً نافذاً في الأمور ماضياً. «اللسان» (شهم).

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)؛ من حديث أسامة بن زيد، رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٢)؛ من حديث أبي سعيد، رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى الْعَالَمِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِمَاءَ اللَّهِ، تَمَسَّكُوا جَمِيعًا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ فِي اللَّهِ، إِنَّ قَضِيَّةَ الْمَرْأَةِ مِنَ الْخُطُورَةِ وَالْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ كَبِيرٍ، وَتَحْتَاجُ إِلَى عَرْضٍ مُتَجَدِّدٍ مُرَكِّزٍ؛ لِأَنَّهَا اتُّخِذَتْ مَطِيَّةً وَغَرَضًا مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ؛ يَبْتُونُ مِنْ خِلَالِهَا شُبُهَهُمْ، وَيُنْشُرُونَ أَبَاطِيلَهُمْ وَسُمُومَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلِكَيْلَا يَنْخَدِعَ بَعْضُ الدَّهْمَاءِ^(١) وَالدَّهْمَاوَاتِ؛ فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ - كُلِّ فِي مَجَالِهِ -:

(١) الدهماء: جماعة الناس وكثرتهم. انظر: «اللسان» و«تاج العروس» (دهم).

العناية بهذه القضية، وبيان منهج الإسلام فيها؛ لِنُتِبَتِ للعالم بأسره أننا -
 والله الحمد - في يقظة من أمر ديننا، وأن فتياتنا المصونات عزيزات
 بإسلامهن، متمسكات بدينهن، لا تنطلي عليهن^(١) أقوال الناعقين،
 أعداء المثل والقيم والمبادئ السامية، لاسيما ونحن نعيش في بلاد
 الحرمين - حرسها الله - حيث تتحلى المرأة بالسير على المنهج الإسلامي
 الصحيح؛ حتى أصبحت فريدة في نوعها، متميزة عن غيرها، شامة بين
 بنات جنسها؛ في وقت تتقاذف المرأة فيه أمواج الفتن، وما ذاك إلا
 بتمسك قادتها - وفقهم الله - بتعاليم الإسلام، وتأكيدهم على منع كل ما
 يخالف ذلك من مظاهر التبرج والسفور، والاختلاط ونحوها، والله
 الحمد والمنة.

ويحسن هنا التنبيه إلى أمر مهم، وهو: أن المرأة المسلمة إذا
 حضرت بيوت الله - ولأسيما في الحرمين الشريفين - فإن عليها أن تكون
 مثالا في الاحتشام والوقار، والستر والعفاف، والحجاب الشرعي في
 وجهها وجميع بدنها؛ اتباعا للتصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب
 والسنة؛ كما يجب عليها أن تكون بعيدة عن مزاحمة الرجال، وإيذائهم

(١) أي: لا تُشكِلُ عليهن، تقول: أمرٌ مطليٌّ، أي: مُشكِلٌ مظلم. «تاج العروس»
 (طلبي).

بِالتَّعَطُّرِ، وَالتَّرْتِيزِ بِالثِّيَابِ الْجَمِيلَةِ وَالْحُلِيِّ الْفَاخِرَةِ؛ لِيُكْتَبَ لَهَا الْأَجْرُ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَهَلْ تَجِدُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ آذَانًا صَاعِيَةً، وَقُلُوبًا وَاَعِيَةً؟! ذَلِكَ مَا
أَرْجُو وَأَمَلُ؛ ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ؛ كَمَا
أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة للهوى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَدَّخَرَهَا لِيَوْمٍ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَجَزَاهُ عَنْ أُمَّتِهِ وَدَعْوَتِهِ جَزَاءً وَفِيْرًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، أَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - اتَّقَوْهُ سُبْحَانَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَسْرِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، اتَّقَوْهُ فِي أَوْلَادِكُمْ وَرِعَايَاكُمْ، وَمَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، اتَّقَوْهُ؛ يَقِيكُمْ، وَيُعْنِيكُمْ، وَيَهْدِيكُمْ.

عِبَادَ اللَّهِ، أَرَأَيْتُمْ بِمَاذَا يُقَاسُ تَقَدُّمُ الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ؟! وَبِأَيِّ مَعْيَارٍ يُوزَنُ رَقِيُّ الشُّعُوبِ وَالْبِيئَاتِ؟! وَعَلَى أَيِّ أَسَاسٍ تُبْنَى الْأَمْجَادُ

وَتَشَادُ الْحَضَارَاتُ؟! كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعِنَايَةِ الْفَائِقَةِ بِمَوْضُوعٍ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ، مَوْضُوعٍ هُوَ هَاجِسُ الْعُلَمَاءِ وَالْمُرَبِّينَ، وَقَضِيَّةُ الدُّعَاةِ وَالْمُصْلِحِينَ، وَهَمُّ الْمُفَكِّرِينَ وَالْغَيُورِينَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ: هُوَ أُمْنِيَّةُ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَالْعَمَلِيَّةُ الْكُبْرَى لِلْمُدْرَسِينَ وَالْمُدْرَسَاتِ، وَالْمُرَبِّينَ وَالْمُرَبِّيَّاتِ؛ كَمَا أَنَّهُ مَطْلَبٌ مُلِحٌّ لَدَى الدُّوَلِ وَالْحُكُومَاتِ؛ كَمَا بُدِلَتْ مِنْ أَجْلِهِ أَرْمَنَةٌ وَأَوْقَاتٌ! وَكَمَا دُعِمَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْإِمْكَانَاتِ وَالْقُدْرَاتِ! كَمَا صُرِفَتْ لِتَحْقِيقِهِ جُهُودٌ! وَكَمَا أُنْفِقَتْ فِي سَبِيلِهِ أَمْوَالٌ بِلا حُدُودٍ! وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ عَلَى مَوْضُوعٍ مَتَى مَا تَحَقَّقَ فِي أُمَّةٍ، عَزَّتْ وَسَادَتْ، وَأَفْلَحَتْ وَقَادَتْ، وَإِذَا أَهْمِلَ، حَلَّ فِيهَا الْفَسَادُ وَالِدَّمَارُ، وَحَصَلَ لَهَا الْحَرَابُ وَالْبَوَارُ؛ حَيْثُ ذَاكَ قُلٌّ: عَلَى الْأُمَّةِ الْعَفَاءُ^(١)، وَسَطَّرَ عَلَى أَنْقَاضِهَا^(٢) عِبَارَاتِ الْعَزَاءِ!

أَتَدْرُونَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَا ذَلِكَ الْمَوْضُوعُ الْمُهْمُ؟! إِنَّهُ «مَوْضُوعُ التَّرْبِيَّةِ»، وَكَفَى بِهَا مِنْ مُهِمَّةٍ! وَأَعْظَمَ بِهَا مِنْ أَمَانَةٍ وَمَسْئُولِيَّةٍ!.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ مَسْئُولِيَّةَ تَرْبِيَةِ الْأَجْيَالِ، وَإِعْدَادِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ - مَسْئُولِيَّةٌ عَظْمَى، وَإِنَّ قَضِيَّةَ الْعِنَايَةِ بِفِلذَاتِ الْأَكْبَادِ، وَثَمَرَاتِ الْفُؤَادِ مِنَ النَّشْءِ وَالْأَوْلَادِ - قَضِيَّةٌ كُبْرَى، يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يُؤَلُّوَهَا كُلَّ اهْتِمَامِهِمْ؛ لِأَنَّ مَقُومَاتِ سَعَادَتِهِمْ - أَفْرَادًا وَمُجْتَمَعَاتٍ -

(١) العفاء: الهلاك والدروس وذهاب الأثر. «اللسان» (عفو).

(٢) الأنقاض: جمع نقض، وهو المنقوض، أي: المهدم. «تاج العروس» (نقض).

مُوطَةٌ بِهَا؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْإِعْدَادِ لَهَا أَيَّمَا إِعْدَادٍ؛ رَسْمًا لِلْمَنَاهِجِ،
وَإِعْدَادًا لِلْحُطُطِ، وَتَضَافِرًا فِي الْجُهُودِ، وَتَوَلِيَّةً لِلْأَكْفَاءِ؛ لِتَمِّمَ الْعَمَلِيَّةَ
التَّرْبَوِيَّةَ سَلِيمَةً مِنْ تَعَثُرِ الْحُطَا؛ بَعِيدَةً عَنِ التَّنَاقُضِ وَالْإِزْدِوَاجِيَّةِ، مُجَانِبَةً
لِلتَّقْلِيدِ وَالتَّبَعِيَّةِ؛ اعْتِرَازًا بِشَخْصِيَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَشُمُوخًا فِي مَنَاهِجِنَا
الشَّرْعِيَّةِ، مُتَرَسِّمِينَ هَدْيَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَنَهْجَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ ضَرُورَتَنَا لِلتَّرْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَعْلَى الضَّرُورَاتِ،
وَحَاجَتَنَا إِلَيْهَا أَشَدُّ الْإِحَاحَا مِنْ كُلِّ الْحَاجَاتِ؛ فَمَا قِيَمَةُ الْأَجْسَادِ وَالْأَبْدَانِ
بِلَا قِيَمٍ وَلَا أَدْيَانٍ؟! وَمَا قِيَمَةُ الصُّورِ وَالْأَشْبَاحِ بِلَا عُقُولٍ وَلَا أَرْوَاحٍ؟!
وَهَلْ تُغْنِي الْقَوَالِبُ إِذَا فَسَدَتِ الْقُلُوبُ؟! فِي الْأَجْسَادِ تَشْتَرِكُ كُلُّ
الكَائِنَاتِ، وَفِي الْبَحْثِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَشَارِكُ الْإِنْسَانَ فَصَائِلُ
الْحَيَوَانَاتِ، وَفِي الْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ وَالْهَوَاءِ يَشْتَرِكُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَفَّارُ،
وَالْأَبْرَارُ وَالْفُجَّارُ، وَالْأَخْيَارُ وَالْأَشْرَارُ، لَكِنْ بِالْمَبَادِيءِ وَالْقِيَمِ، بِالتَّرْبِيَّةِ
وَالتَّعْلِيمِ، بِالْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ: يَسْتَقِلُّ أَهْلُ الْإِسْلَامِ!

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، كَمْ تُعَانِي الْمُجْتَمَعَاتُ الْبَشَرِيَّةُ الْيَوْمَ مِنْ مَصَائِبِ
وَحَوَادِثٍ؟! وَكَمْ تَجَرَّعَتْ مِنْ وَيَلَاتٍ وَكَوَارِثٍ؟! لِمَاذَا ارْتَفَعَتْ مُعَدَّلَاتُ
الْجَرَائِمِ بِمَا يَذْهَلُ الْعُقُولُ؟! لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِيَحْدُثْ إِلَّا لَمَّا أَهْمَلْتَ قَضِيَّةَ
التَّرْبِيَّةِ، وَمَا تَفَشَّى الظُّلْمُ وَالطُّغْيَانُ وَالْفَسَادُ إِلَّا لَمَّا أُسِيئَتْ تَرْبِيَةُ الْإِنْسَانِ،
وَانْحَرَفَتْ أَخْلَاقِيَّاتُهُ، وَانْجَرَفَتْ سُلُوكِيَّاتُهُ فِي مَهَاوِي الرَّدَى وَالضَّيَاعِ،

لَقَدْ خَلَفَتْ خُلُوفٌ، وَوَجِدَتْ أَجْيَالٌ بَعْدَ أَجْيَالٍ، مُتَّكِسَةً الْفِطْرَةَ،
 مَعْدُومَةً التَّرْبِيَّةِ، لَا تَعْرِفُ حُقُوقَ اللَّهِ، وَلَا حُقُوقَ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَحْمِلُونَ
 رِسَالَةَ، وَلَا يُحَقِّقُونَ هَدَفًا وَلَا غَايَةً، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ
 مُنْكَرًا، حَيَاتُهُمْ لَهْوٌ وَبَطَالَةٌ، وَأَحْوَالُهُمْ شَرٌّ وَغَوَايَةٌ، فِي الرَّذَائِلِ غَارِقُونَ،
 وَلِلْفَضَائِلِ تَارِكُونَ، لَا خَيْرَ فِيهِمْ لِلْبِلَادِ وَلَا لِلْعِبَادِ؛ فَأَيُّ جِنَايَةٍ عَلَى
 الْمُجْتَمَعِ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ؟!

إِنَّ وُجُودَ أَجْيَالٍ فِي مَعَزِلٍ عَنِ التَّرْبِيَّةِ الْحَقَّةِ: جَرِيْمَةٌ فِي حَقِّ الْمُجْتَمَعِ،
 وَجِنَايَةٌ عَلَى الْأُمَّةِ بِأَسْرِيهَا؛ كَمِ اشْتَكَّتِ الْمُجْتَمَعَاتُ مِنْ انْحِرَافِ الْأَحْدَاثِ!
 وَكَمِ اشْتَكَى الْآبَاءُ مِنْ تَمَرُّدِ الْأَبْنَاءِ! وَكَمِ عَانَى الْوَالِدَانِ مِنَ الْعُقُوقِ،
 وَإِهْمَالِ أَبْنَائِهِمْ فِي آدَاءِ الْحُقُوقِ؛ مُتَنَاسِينَ أَنَّ مَكْمَنَ الدَّاءِ فِي هَذِهِ
 الْمَشْكَلَاتِ كُلِّهَا هُوَ سُوءُ التَّرْبِيَّةِ! .

لِذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ: أَنْ يَقُومُوا بِمَسْئُولِيَّاتِهِمْ فِي تَحْقِيقِ
 هَذَا الْأَمْرِ بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ إِمْكَانَاتٍ، وَأَنْ تَتَكَتَفَ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ
 الْقَنَوَاتِ: الْبَيْتُ وَالْأُسْرَةُ، الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَابُ، الْمَدَارِسُ وَالْجَامِعَاتُ،
 الْمَسَاجِدُ وَالْمُنْتَدِيَّاتُ، الْمُجْتَمَعُ بِكَافَّةِ فَنَائِهِ، وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ بِشَتَّى
 فَنَوَاتِهَا، الْكُلُّ يَجِدُ فِي التَّرْبِيَّةِ وَالْبِنَاءِ، وَغَرْسِ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ فِي الْبِنَاتِ
 وَالْأَبْنَاءِ؛ لِيُخْرَجَ جَيْلٌ مِثَالِيٌّ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ عُنِيَ دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ بِقَضِيَّةِ التَّرْبِيَةِ عِنَايَةً كَبِيرَةً لَمْ تَشْهَدْ الْمُجْتَمَعَاتُ الْبَائِدَةَ^(١) وَالْمُعَاصِرَةُ لَهَا مَثِيلًا، عِنَايَةً لَمْ تَقُمْ بِهَا الْأَنْظُمَةُ التَّرْبَوِيَّةُ شَرْقِيَّهَا وَغَرْبِيَّهَا، بَعِيدًا عَنِ الْفَلَسَفَاتِ الْمُعَقَّدَةِ، وَالْأَفْكَارِ الْمُلَوَّنَةِ؛ فَأَبْدَعَ الْإِسْلَامُ، وَأَخْفَقَتْ جُهُودُ الْمُفْتُونِينَ بِأَعْدَائِهِ، وَسَطَعَ نُورُ الْهِدَايَةِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ، وَأَظْلَمَتْ حَيَاةَ الْمُعْرِضِينَ عَنِ طَرِيقِ الْهِدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَإِنْ انْتَفَشَتْ أَلْقَابُهُمْ، وَخَدَعُوا السُّدُجَ بِمَعْسُولِ كَلَامِهِمْ بِدَعْوَى التَّجْدِيدِ وَالْمُعَاصِرَةِ، وَالْحَقُّ: أَنَّ كُلَّ النَّظَرِيَّاتِ التَّرْبَوِيَّةِ هِيَ فِي مَعَزِلٍ عَنِ هَدْيِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، إِنَّهَا إِفْلَاسٌ مَا بَعْدَهُ إِفْلَاسٌ، فَمَاذَا قَدَّمَتْ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا الضِّيَاعَ وَالذَّمَّارَ، حِينَ اسْتَجَارَتْ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ؟!^(٢) وَلَا مُنْقَذَ لِأَجْيَالِ الْعَالَمِ إِلَّا بِالتَّرْبِيَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ، حَيْثُ الْهَدَفُ السَّامِيُّ؛ وَهُوَ تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَتَسْخِيرُ كَافَّةِ الْجَوَانِبِ لِخِدْمَةِ هَذَا الْأَصْلِ الْأَصِيلِ؛ وَكَذَا تَرْبِيَةُ الْأَجْيَالِ عَلَى أَنَّهُمْ حَمَلَةٌ عَقِيدَةٌ، وَأَرْبَابٌ هَدَفٌ وَغَايَةٌ، وَأَصْحَابُ إِيمَانٍ وَخُلُقٍ؛ يَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ كَافَّةً.

(١) المجتمعات البائدة، أي: المنقرضة الهالكة. «اللسان» (بيد).

(٢) من أمثال العرب قولهم: «كالمستجير من الرمضاء بالنار»، وأصله بيت لكلِّبٍ وائلٍ، وهو قوله:

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ
كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
انظر: «مجمع الأمثال» (١/٣٧٥).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، وَحِينَمَا نَقَفُ بَعْضَ الْوَقَفَاتِ مَعَ أَهْمِ الْقَنَوَاتِ
 الْمَسْئُولَةِ عَنِ التَّرْبِيَةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ، نَرَى أَنَّ الْبَيْتَ هُوَ الْقَاعِدَةُ الْأَسَاسِيَّةُ
 لِلتَّرْبِيَةِ، وَالْأُسْرَةُ هِيَ النَّوَاةُ الْأُولَى فِي الْقِيَامِ بِالْعَمَلِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ، وَيَبْدَأُ
 ذَلِكَ مِنْ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ ذَاتِ الْمَنْبِتِ الْحَسَنِ وَالْمَعْدِنِ النَّفِيسِ؛
 حَيْثُ تُعَدُّ الزَّوْجَةُ لِتَكُونَ مُرَبِّيَّةً فَضْلِيًّا، وَمَدْرَسَةً أُولَى، وَيَتَدَرَّجُ ذَلِكَ
 حَتَّى يَفْتَحَ الطِّفْلُ عَيْنَيْهِ فِي أَحْضَانِ أَبِيهِ؛ لِيَجِدَ الْعِنَايَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ، وَالتَّرْبِيَةَ
 الْإِيمَانِيَّةَ؛ قَبْلَ الْعِنَايَةِ الْمَادِّيَّةِ، انْطِلَاقًا مِنْ وَاجِبِ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ؛
 يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوَأَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]:

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: «أَيُّ: عِلْمُهُمْ وَرَبُّوهُمْ وَأَدَبُهُمْ بِمَا يَكُونُ وِقَايَةً
 لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ»^(١)، وَتِلْكَ أَمَانَةٌ عَظِيمَةٌ، الْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ خَانَهَا؛
 يَقُولُ ﷺ - فِيمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «كُلُّكُمْ
 رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٢).

فِي الْبَيْتِ يَتَعَلَّمُ الطِّفْلُ - وَهُوَ فِي مَدَارِجِ صِبَاهُ - مَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ؛
 فَهُمَا الْقُدْوَةُ لَهُ، يَتَأَسَّى بِأَفْعَالِهِمَا، وَيَقْتَدِي بِأَقْوَالِهِمَا وَأَعْمَالِهِمَا؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ
 مَسْئُولِيَّةَ الْأَبَوَيْنِ فِي تَوْجِيهِ الْإِبْنِ عَظِيمَةٌ، يَقُولُ ﷺ فِي بَيَانِ عَظِيمِ تَأْتِيرِ الْأَبَوَيْنِ
 عَلَى ابْنِهِمَا: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يُنصَّرَانِهِ، أَوْ

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٣١٢/٨)، و«تفسير ابن كثير» (١٦٧/٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٥٢).

يُمَجِّسَانِهِ»^(١)، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَا نَحَلَ^(٢) وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنِ»^(٣)، وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٤).

هَذِهِ تَوْجِيهَاتٌ تَرْبَوِيَّةٌ لِلْبَيْتِ الْمُسْلِمِ، حَيْثُ يَتَرَبَّى النَّشْءُ فِيهِمْ عَلَى الْعَقِيدَةِ وَالْفَضَائِلِ؛ كَمَا يَتَرَوَى مِنَ الزَّادِ الْحَسِيِّ، بَلْ أَكْثَرُ؛ وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ يُخْطِئُ حِينَمَا يَقْصُرُ التَّرْبِيَّةَ عَلَى إِشْبَاعِ الرَّغَبَاتِ، وَالتَّرَكِيزِ عَلَى الْمَادِّيَّاتِ.

فَيَأْتِيهَا الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوْلَادِكُمْ، كُونُوا قُدْوَةً لَهُمْ فِي الْخَيْرِ، نَشُّوهُمْ عَلَى الْعِنَايَةِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَالِإِهْتِمَامِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، اسْلُكُوا فِي تَرْبِيَّتِهِمْ مَنْهَجَ الْإِسْلَامِ، تَحَلَّوْا بِالرَّفْقِ فِي مُعَامَلَتِهِمْ، وَالْحَزْمِ عِنْدَ تَكَرُّرِ أَخْطَائِهِمْ، وَحَذَارِ أَنْ تَظْهَرُوا أَمَامَهُمْ بِمَظْهَرٍ غَيْرِ لَائِقٍ، عَوِّدُوهُمْ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ، وَالتَّحَلُّقِ مَعَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، عَوِّدُوهُمْ عِفَّةَ اللِّسَانِ، وَالبُعْدَ عَنِ السَّبَابِ وَالشَّتَائِمِ، وَقَوْلِ الزُّورِ وَالبِدْءَةِ وَنَحْوِهَا،

(١) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) نحله: أعطاه بلا عوض. «تاج العروس» (نحل).

(٣) رواه أحمد (٤١٢/٣)، والترمذي (١٩٥٢)، والحاكم (٢٦٣/٤).

(٤) رواه أحمد (١٨٠/٢)، وأبو داود (٤٩٥)، والحاكم (١٩٧/١)؛ من حديث عبد الله

ابن عمرو، رضي الله عنهما.

إِيَّاكُمْ أَنْ يَطَّلَعَ الْوُلَادُ عَلَى الْخِلَافَاتِ بَيْنَكُمْ! لِمَا يَجْرُهُ ذَلِكَ مِنْ ضَرَرٍ
عَلَى نَفْسِيَّاتِهِمْ، وَتَحْطِيمِ لِمَعْنَوِيَّاتِهِمْ.

وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ تَكَلُّوا عَمَلِيَّةَ تَرْبِيَّتِهِمْ لِلْخَادِمِينَ وَالْخَادِمَاتِ!!
فَهُمْ ضَرَرٌ عَلَى الْأُسْرَةِ؛ لِمَا يَحْمِلُونَهُ فِي الْغَالِبِ مِنْ أَفْكَارٍ وَأَخْلَاقٍ
وَعَادَاتٍ ثَبَتَ فِي الْوَأَقَعِ خَطَرُهَا، وَثَبَتَ لَدَى كُلِّ غَيُورٍ شَرُّهَا وَضَرَرُهَا،
أَبْعَدُوهُمْ عَن قُرْنَاءِ الشُّوءِ، تَابِعُوهُمْ فِي صَلَوَاتِهِمْ وَخَلَوَاتِهِمْ، تَابِعُوهُمْ
مَعَ مَنْ يَمْشُونَ؟! وَمَنْ يُصَاحِبُونَ؟! مَاذَا يَقْرَأُونَ؟! وَمَاذَا يَسْمَعُونَ؟!
وَمَاذَا يُشَاهِدُونَ؟! كَوْنُوا الرِّقَابَةَ الْمُكْتَفَّةَ الْمُقْرُونَةَ بِمَشَاعِرِ الْمَحَبَّةِ
وَالْحَنَانِ وَالشَّفَقَةِ، فَالرَّاعِي الْفَطْنُ لَا يَهْمِلُ رَعِيَّتَهُ فِي أَرْضِ الْمَسْبُوعَةِ^(١).

حَذَارِ أَنْ تَسَلَّلَ إِلَى الْأُسْرِ - بِاسْتِئْذَانٍ أَوْ بِغَيْرِهِ - أَلْوَانٌ مِنَ الْعَزْوِ
الْفِكْرِيِّ وَالْحُلُقِيِّ؛ فَتَهْدِمَ مَا بَنَيْتُمُوهُ، وَتَنْقُضَ مَا شَيْدْتُمُوهُ، نَشْتُوهُمْ عَلَى
الْفَضِيلَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الرَّذِيلَةِ:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبْوَهُ!

ادْعُوا اللَّهَ لَهُمْ دَائِمًا بِالْهِدَايَةِ وَالصَّلَاحِ؛ كَمَا كَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ، عَلَيْهِمُ
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ:

فَهَذَا الْخَلِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَقُولُ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

[الصافات]، ﴿ وَاجْتَنِبْني وَبنيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم]، وَيَقُولُ:

(١) أَرْضُ مَسْبُوعَةٍ، أَي: كَثِيرَةُ السَّبَاعِ. «اللسان» (سبع).

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم : ٤٠].

وَهَذَا زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَقُولُ : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران : ٣٨] ، وَمَا قِيَمَةُ الذُّرِّيَّةِ ، إِنْ كَانَتْ غَيْرَ طَيِّبَةٍ ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ !
وَهَذَا لُقْمَانَ الْحَكِيمُ فِي وَصَايَاهُ الْمَشْهُورَةِ لِأَنَّهُ الْوَارِدَةُ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ (١) .

وَهَذَا أَنْبِيَاكُمْ وَقَدْ وَتَكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي تَوْجِيهَاتِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ لِلشَّبَابِ قَوْلًا وَفِعْلًا .

عَلَّمُوهُمْ آدَابَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْمَنَامِ ، وَالْمُخَالَطَةَ وَالْمَسَاجِدِ .
فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ - تَابِعُوا أَبْنَاءَكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ ، وَاحْذَرُوا مِنْ تَرْكِ الْحَبْلِ لَهُمْ عَلَى الْغَارِبِ .

أَخِي الْمُسْلِمَ الْمُبَارَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ عَنِ الْقَنَاةِ الثَّانِيَةِ فِي تَنْشِئَةِ الْأَجْيَالِ فِي ظِلَالِ التَّرْبِيَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَجَدْتَهَا «الْمَدْرَسَةَ» ؛ حَيْثُ يَبْرُزُ دَوْرُهَا التَّرْبَوِيُّ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِمَكَانٍ يَقْضِي فِيهِ الشَّابُّ شَطْرَ يَوْمِهِ ، وَيُمَارِسُ فِيهِ أَلْوَانًا مِنَ الْأَعْمَالِ ؟! لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمَدَارِسَ تُغَوِّرُ مُهِمَّةً ، وَقِلَاعَ حَصِينَةٍ ، يَجِبُ أَنْ يَقُومَ الْمَسْتَوْلُونَ عَنْهَا بِوَاجِبِهِمْ حَقَّ قِيَامٍ ، تَعْلِيمًا وَتَرْبِيَّةً وَإِصْلَاحًا .

(١) انظر: الآيات رقم (١٣) إلى (١٩) من سورة لقمان.

فَيَأْتِيهَا الْمُدْرَسُونَ وَالْمُدْرَسَاتُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا حَمَلْتُمْ مِنْ أَمَانَةٍ تَعْلِيمِ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، كُونُوا قُدْوَةً لَهُمْ فِي الْخَيْرِ ، نَشُؤُهُمْ عَلَى حُبِّ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ ، امزجوا بَيْنَ الْعَمَلِيِّينَ كِلْتَيْهِمَا ، وَكُونُوا الْجُسُورَ الْمُتَوَاصِلَةَ بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ ؛ لِيَتَحَقَّقَ صِلَاحُ الْأَبْنَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، حَذَارِ أَنْ تَخَالِفُوا أَقْوَالَكُمْ بِسُلُوكِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ ! لَا يَرِ الْطُلَّابُ مِنْكُمْ أَمْرًا مُحَرَّمًا ؛ فَوَ اللَّهُ لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ بِدُونِ أَدَبٍ وَلَا خُلُقٍ وَلَا تَرْبِيَةٍ ! .

وَحِينَ يَأْتِي دَوْرُ « الْمَسْجِدِ » - يَا عِبَادَ اللَّهِ - نَجِدُهُ وَاحِدَةً الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ، وَالرَّاحَةَ وَالْإِطْمِئْنَانَ ، وَيَتَعَلَّمُ فِيهِ النَّاسُ التَّلَاوَةَ وَالصَّلَاةَ ، وَالذِّكْرَ وَالدُّعَاءَ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ لِلْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ دَوْرًا كَبِيرًا فِي التَّرْبِيَةِ ؛ فَهِيَ مَعَاقِلُ حَصِينَةٌ ، وَقِلَاعٌ عَتِيدَةٌ ، وَثَعُورٌ مُهِمَّةٌ ؛ حَيْثُ إِنَّهَا تَشْعُ نُورًا وَإِضْلَاحًا فِي الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ .

أَمَّا وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ ، فَمَسْئُولِيَّتُهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَسْئُولِيَّاتِ ، لِأَسِيْمًا فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي هُوَ عَصْرُ الْإِعْلَامِ وَكَفَى ؛ فَالْوَاجِبُ اسْتِثْمَارُ هَذِهِ الْوَسَائِلِ بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّنْشِئَةِ لِأَجْيَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِأَنَّهَا دَخَلَتْ كُلَّ بَيْتٍ ، وَعَمَّتْ كُلَّ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ ، فَاسْتِثْمَارُهَا فِي الْخَيْرِ مُتَعَيِّنٌ ، وَفِي نَشْرِ الْفَضِيلَةِ مُتَحْتَمٌّ ، وَمَا إِحْأَالُ الْمَسْئُولِينَ عَنْهَا إِلَّا عَلَى دِرَآيَةِ بِذَلِكَ ، وَحَدَّثَ وَلَا حَرَجَ ، عَمَّا تَمُوجُ بِهِ الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ ، وَالشَّبَكَاتُ الْمَعْلُومَاتِيَّةُ ؛ مِمَّا يُفْسِدُ

التَّزْيِيَةَ، مِمَّا يَتَطَلَّبُ وَعِيًّا عَمِيقًا، وَحَذْرًا شَدِيدًا .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَنَا جَمِيعًا إِلَى تَرْبِيَةِ أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا عَلَى مَا يُحِبُّهُ
وَيَرْضَاهُ؛ ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤]،
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ ذُرِّيَّاتِنَا مَنْ يَكُونُ صَالِحًا مُصْلِحًا، هَادِيًا مَهْدِيًّا؛ يَا سَمِيعَ
الدُّعَاءِ! .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْمَنِّ وَالْأَلَاءِ وَالْعِزِّ وَالْعِظَمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ، الْمُسْتَحِقُّ
لِأَعْظَمِ الشُّكْرِ، وَأَجْزَلِ الثَّنَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
الْمُنَزَّهُ عَنِ الْأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاءِ، وَالْأَمْثَالِ وَالشُّرَكَاءِ، أَوْجَبَ عَلَيَّ الْأُمَّهَاتِ
وَالْآبَاءِ، حُسْنَ تَرْبِيَةِ الْبَنَاتِ وَالْأَبْنَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
إِمَامُ الْحَنْفَاءِ، وَقَائِدُ الْأَصْفِيَاءِ، وَأَفْضَلُ مَنْ قَامَ بِالتَّرْبِيَةِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْبِنَاءِ،
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَوْفِيَاءِ، وَصَحْبِهِ الْأَتْقِيَاءِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَرْبِيَةِ
أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَمَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ؛ فَقَدْ عَرَفْتُمْ جَمِيعًا أَهْمِيَّةَ هَذِهِ
القَضِيَّةِ، لَأَسِيْمًا فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخَّرَةِ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ! لَوْ
قُمْنَا بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ، لَمْ نَشْتِكِ مِنْ مُشْكَلَاتٍ، وَلَمْ نُعَانَ مِنْ جَرَائِمٍ
وَأَنْجِرَافَاتٍ، وَلَا خْتَفَتْ مَظَاهِرُ الْإِنْجِلَالِ، وَتَلَاشَتْ مَعَاطِبُ الْإِخْتِلَالِ.

بَيِّدْ أَنْ هُنَاكَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - جُزْئِيَّةٌ لَهَا أَهْمِيَّتُهَا الْخَاصَّةُ فِي هَذِهِ
القَضِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ الْعَامَّةِ، أَلَا وَهِيَ الْعِنَايَةُ بِتَرْبِيَةِ الْمَرْأَةِ: بِنْتًا، وَأُخْتًا،
وَزَوْجَةً، لَأَسِيْمًا تَنْشِئُهَا مِنْذُ الصَّغَرِ عَلَى الْفِضِيلَةِ وَالْحَيَاءِ؛ وَاللَّهُ دَرُّ الْقَائِلِ:

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا فِي الشَّرْقِ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ؟!
 رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا فِي الْخَافِقِينَ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ
 الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ
 الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا^(١) بِالرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّمَا إِيْرَاقِ
 الْأُمُّ أُسْتَاذُ الْأَسَاتِذَةِ الْأَلَى شَغَلَتْ مَاثِرُهُمْ مَدَى الْآفَاقِ^(٢)

فَمَا عَانَتْ مُجْتَمَعَاتُ الْيَوْمِ مِنَ الْمَظَاهِرِ الْمُحْرَمَةِ، وَالْمَنَاظِرِ الْمُثْبِرَةِ،
 إِلَّا لَمَّا أَهْمَلَتْ تَرْبِيَةَ الْمَرْأَةِ، وَمَاعَمَّتِ الْفِتْنَةَ بِمَظَاهِرِ التَّفْسُخِ وَالتَّبْرُجِ
 وَالتَّبَدُّلِ، وَالسُّفُورِ وَالِإِخْتِلَاطِ، إِلَّا لَمَّا أَهْمَلَتْ تَرْبِيَةَ الْمَرْأَةِ؛ فَلْيَتَّقِ اللهُ
 الْقَوَائِمُونَ عَلَى النِّسَاءِ مِنَ الْأَرْوَاجِ وَالْآبَاءِ، فَلْيُؤَدِّبُوهُنَّ وَيَأْخُذُوا عَلَى
 أَيْدِيهِنَّ، وَيُلْزِمُوهُنَّ بِالْقَرَارِ فِي الْبُيُوتِ، وَالْحِجَابِ الشَّرْعِيِّ، حَتَّى لَا يَفْتَنَّ
 وَلَا يُفْتَنَّ، فَيَأْتِينَ عَلَى بُنْيَانِ التَّرْبِيَةِ مِنَ الْقَوَاعِدِ.

وَمِنَ الْخَطَا كُلِّ الْخَطَا، وَالْخِيَانَةِ فِي الْأَمَانَةِ: إِهْمَالُ الْمَرْأَةِ،
 وَالْإِنْسِيَاقُ وَرَاءَ طَلَبَاتِهَا، دُونَ سُؤَالِ عَنِ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، وَدُونَ رَقِيبٍ أَوْ
 حَسِيبٍ، فِي لِبَاسِهَا وَسَائِرِ اهْتِمَامَاتِهَا، وَقَدْ وَصَلَ الْحَالُ بِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ
 يَعْمَدَ إِلَى جَلْبِ الصُّورِ الْفَاضِحَةِ، وَالْمَظَاهِرِ الْمُحْرَمَةِ، وَالْوَسَائِلِ
 الْمُثْبِرَةِ، فَيَتْرُكُهَا بَيْنَ أَيْدِيهِ وَبَنَاتِهِ.

(١) الْحَيَا: الْمَطْرُ؛ لِإِحْيَائِهِ الْأَرْضِ. «تاج العروس» (حيي).

(٢) الْآيَاتِ مِنْ قَصِيدَةِ لِلشَّاعِرِ حَافِظِ إِبْرَاهِيمِ. انظُر: «ديوانه» (١/ ٢٣٠).

الْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ!
فَلَيَّتِقَ اللَّهُ الْجَمِيعُ فِيمَا أَوْتُمِنُوا عَلَيْهِ، وَلَيُقَوْمُوا بِوَاجِبِ التَّرْبِيَةِ، كُلُّ
فِي مَجَالِهِ؛ يَصْلِحُ الْحَالُ، وَيَسْعَدُ الْمُجْتَمَعُ؛ بِإِذْنِ اللَّهِ.
هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مُعَلِّمِ الْبَشَرِيَّةِ، وَقَائِدِ
الْبَرِيَّةِ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

القِسْمُ التَّاسِعُ

حَاثِي الْمُسْلِمِينَ وَقَضَايَاهُمْ



الخطبة للهوى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُنْزِلُ الْكِتَابِ،
وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمُ الْأَحْزَابِ، لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ قَاصِمُ الْجَبَابِرَةِ،
وَكَاسِرُ الْأَكَاسِرَةِ، وَمُبِيدُ الْقِيَاصِرَةِ! سُبْحَانَهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ!
سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ! سُبْحَانَهُ هُوَ الْقَوِيُّ!

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نَبِيُّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ،
وَوَضَعَ وَزْرَهُ، وَرَفَعَ فِي الْعَالَمِينَ قَدْرَهُ، وَأَعْلَى فِي الْآفَاقِ ذِكْرَهُ، وَجَعَلَ
الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، نَصْرَهُ بِالرُّعْبِ، وَأَيَّدَهُ بِالْحَقِّ،
وَجَعَلَ عِزَّهُ وَنَصْرَهُ تَحْتَ ظِلِّ سَيْفِهِ وَرُمْحِهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، الَّذِينَ بَدَلُوا نَفْسَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، وَنُصْرَةَ لِدِينِ اللَّهِ، وَإِعْلَاءَ لِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَقَطْعًا لِدَابِرِ أَعْدَاءِ اللَّهِ؛ فَرَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَعَمَّنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَاقْتَفَى أَثْرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فَإِنَّ فِي تَقْوَى اللَّهِ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَضَاقِقِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ الْمَازِقِ، وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْمَزَالِقِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ [الطلاق].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ افْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَجَرَتْ سُنَّتُهُ فِي كَوْنِهِ وَخَلْقِهِ، أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ صِرَاعٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمُقَارَعَةٌ بَيْنَ قُوَى الْخَيْرِ وَقُوَى الشَّرِّ، وَمَعْرَكَةٌ دَائِمَةٌ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادٌ بَيْنَ جَبْهَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فِي مُقَابِلِ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ، وَدَفْعُ النَّاسِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ؛ صَلاَحًا لِهَذَا الْكَوْنِ، وَعِمَارَةً لِهَذِهِ الْأَرْضِ، وَإِنْقَاءً عَلَى الْعُنَاصِرِ الْخَيْرِ، وَإِقْصَاءً لِلْعُنَاصِرِ الشَّرِّيرَةِ، وَبِتْرًا لِلْأَعْضَاءِ الْمَسْمُومَةِ فِي أَيِّ مُجْتَمَعٍ؛ حَتَّى لَا تُؤَثِّرَ عَلَى بِنِيَّتِهِ وَكِيَانِهِ، وَإِنَّ مِنْ طَبِيعَةِ هَذَا الدِّينِ أَنَّهُ فِي مَعْرَكَةٍ دَائِمَةٍ، وَصِرَاعٍ دَائِبٍ مُسْتَمِرٍّ مَعَ الشُّعَارَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَيَّا كَانَ مَصْدَرُهَا، وَمَنْهَجُهَا، وَزَمَانُهَا.

وَلَقَدْ خَاضَ الْإِسْلَامُ مُنْذُ بُرُوعِ شَمْسِهِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ الْحَاسِمَةَ عَلَى اخْتِلَافِ جَوَانِبِهَا، وَخَرَجَ مِنْهَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - ظَافِرًا مُنْتَصِرًا؛ تَحْقِيقًا لَوَعْدِ

الله - جَلَّ وَعَلَا - لَقَدْ عَانَى مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ؛ فَاقْتَلَعَ جُدُورَهُ، وَاسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُ، عَانَى مِنَ النَّفَاقِ؛ فَأَبْدَى عَوَارَهُ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُ، وَهَتَكَ أَسْتَارَهُ، وَفَضَحَ أَخْبَارَهُ، وَأَبَانَ أَخْطَارَهُ، كُلُّ ذَلِكَ حِفَاطًا عَلَى مُقَوِّمَاتِ الْمُجْتَمَعِ، وَسَلَامَتِهِ مِنْ أَيِّ عُدْوَانٍ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ، أَوْ إِزْهَاقِ لِنُفُوسِ الْأَبْرِيَاءِ، أَوْ هَدْرٍ لِحُقُوقِهِمْ وَإِضَاعَةٍ لِمُقَدَّرَاتِهِمْ.

مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَقَدْ أَلْزَمَ الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ دَرَّةَ الْفِتَنِ عَنْ هَذَا الدِّينِ، وَصِيَانَةَ الْحَقِّ فِي الْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ مِنْ عَبَثِ الْعَابِثِينَ، وَعُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ؛ لِذَلِكَ فَقَدَ رَبِّي الْإِسْلَامَ أَتْبَاعَهُ أَنْ يَكُونُوا دَائِمًا عَلَى أْتَمِّ اسْتِعْدَادٍ، وَأَكْمَلِ أَهْبَةِ، وَأَقْوَى إِعْدَادٍ؛ لِمُقَاوَمَةِ الْبَغْيِ، وَاسْتِنْصَالِ الشَّرِّ، وَمُقَاوَمَةِ الظُّلْمِ، وَمُقَارَعَةِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، وَدَرَاءِ الْفَسَادِ وَالْجَرَائِمِ؛ حَتَّى لَا تُسْتَدَلَّ الرَّقَابُ، وَيَنْتَشِرَ الْخَوْفُ وَالْإِرْهَابُ، وَيَشْتَدَّ سَاعِدُ التَّسْلُطِ وَالْعَدَاءِ، وَحَتَّى لَا يَنَالَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَا مِنْ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ، وَكَرَامَتِهِمْ وَمُقَدَّرَاتِهِمْ: أَيُّ عَدُوٍّ أَوْ حَاقِدٍ، كَائِنًا مَنْ كَانَ.

وَقَدْ مَدَحَ اللهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهَذِهِ الْخِصَالِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشورى]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [٤١] إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى].

وَمُنْذُرًا أَنْ أُعْلَنَ الْإِسْلَامُ تَحْرِيرَ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْخُضُوعِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَأَنْقَذَ
 الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ عِبُودِيَّةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَطَهَّرَهَا مِنْ أَدْرَانِ الْجَاهِلِيَّةِ،
 وَأَعْتَقَهَا مِنْ أَغْلَالِ الطَّوَاغَيْتِ وَالظُّلْمَةِ، مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ: هَاجَ الشَّرُّ، وَمَاجَ
 الظُّلْمُ، وَثَارَتْ عَوَاصِفُ الْبَاطِلِ، وَتَحَرَّكَتْ قُوَى الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ؛ لِتَعْمَلَ
 عَلَى كُلِّ صَعِيدٍ وَمِيدَانٍ، وَتَلَاحَقَتْ مَلَا حِمُّ الصَّرَاعِ، عَبْرَ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَعْصَارِ،
 وَفِي مُخْتَلَفِ الْبِقَاعِ وَالْأَمْصَارِ، وَتَتَابَعَتْ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مَوْجَاتُ الْحِقْدِ
 وَالْفَسَادِ وَالْعُدْوَانِ، وَحَلَقَاتُ الظُّلْمِ وَالْبَطْشِ وَالطُّغْيَانِ؛ تَهْدِفُ إِلَى تَمْزِيقِ
 وَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرْمِي إِلَى تَدْمِيرِ كِيَانِهِمْ، وَتَقْوِيضِ بِنَائِهِمْ وَحَضَارَتِهِمْ
 بِشَتَّى الْأَسَالِبِ، وَمُخْتَلَفِ الْأَسْلِحَةِ وَالْوَسَائِلِ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، وَلَقَدْ مَنِيَّ الْإِسْلَامُ^(١) عَبْرَ تَأْرِيخِهِ الطَّوِيلِ بِكَثِيرٍ مِنْ
 الدَّسَائِسِ وَالْمُؤَامَرَاتِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ التَّحْدِيَّاتِ وَالْهَجَمَاتِ، تَحْدِيَّاتٍ
 دَاخِلِيَّةٍ، وَتَحْدِيَّاتٍ خَارِجِيَّةٍ، وَحُرُوبٍ مُعْلَنَةٍ، وَأُخْرَى خَفِيَّةٍ، وَمَعَ
 وَقُوفِ الْإِسْلَامِ طَوْدًا شَامِحًا^(٢)، وَحِصْنًا مَنِيعًا، إِلَّا أَنَّ الْأَعْدَاءَ لَمْ
 يَكْفُؤُوا، وَلَنْ يَكْفُؤُوا، وَلَا يَزَالُونَ فِي سَعْيِ حَثِيثٍ، إِلَى كُلِّ هَدَفٍ حَيْثُ؛
 ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ
 كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة].

(١) مُنِيَّ بِكَذَا مَنِيًّا وَمَنُوءًا، أَي: ابْتُلِيَ. «اللسان» (مني).

(٢) الطَّوْدُ: الْجَبَلُ الْعَظِيمُ. «النهاية» (طود).

وَمِنْ أخطرِ هؤلاءِ الأعداءِ: مَنْ يَتظاهرُ بالإسلامِ، وَيَلبَسُ لُبوسَ
 الإيمانِ، وَيَرْفَعُ الشُّعاراتِ البرَّاقةَ، والمَظاهرَ الزَّائفةَ، وَيخدَعُ النَّاسَ
 بِالكَلِماتِ المَعسُولَةِ، والألفاظِ الرِّثانةِ، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
 يُعِجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٠٣﴾
 وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ أَرْحَتَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْفُسَادَ ﴿١٠٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ
 الْمِهَادُ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة].

مَعاشِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَشَبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ! فَالْأعداءُ هُمُ الأعداءُ،
 بَلْ أَلَدُّ! وَالتَّحَدِّيَّاتُ هِيَ التَّحَدِّيَّاتُ، بَلْ أَشَدُّ! إِجْرَامٌ يَناسِبُ أحوالِ العَصْرِ،
 وَإِرهابٌ يُسايِرُ تَقَدُّمَ الزَّمَنِ، وَمِمَّا زادَ الطَّيْنَ بِلَّةً: زَعاماتٌ تَسَلِّطُ عَلَي
 رِقابِ الشُّعوبِ المَقهورَةِ، وَتَحكُمُهُمُ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ، وَتَجْرُهُمُ إِلى
 الهَلاكِ وَالدمارِ، وَأَنْظِمَةُ تَتَلَعَبُ بِمِصائِرِ الشُّعوبِ، وَتَتَحَكَّمُ فِي
 مُقدِّراتِهِمُ، وَتَدوسُ كرامَتَهُمُ، تَبني عُرُوشَها عَلَي جِماجِمِ الأبرياءِ،
 وَأشْلاءِ الضُّعفاءِ - كانَ اللهُ فِي عَوْنِ الشُّعوبِ المَقهورَةِ! - وَوَسائِلِ إِعلامِ
 هِيَ مِعولٌ هَدَّامٌ، مَأزورَةٌ غيرَ مَأجورَةٍ، لَعِبَتْ بِالْحَرْفِ^(١)، وَأَرخَصَتْ
 مُصدَأِ قِيبَتَهُ، وَضَيَّعَتْ أمانَةَ الكَلِمَةِ، لا تَفْتَأُ تَقْلِبُ الحَقائِقَ، وَتَعكِسُ

(١) الحَرْفُ: اللُّغة. «اللِّسان» و«تاجِ العروس» (حرف).

المفاهيم، تهدي^(١) بما تدرى وبما لا تدرى، وتهرف بما تعرف وبما لا تعرف^(٢)، تمثل أبقافاً ناعقة لخدمة الباطل وأهله، وشعوب كثيرة، وجموع غفيرة: سارت في ركاب القوم وخدعت بالبهارج، ترسفت في أغلال^(٣) الجهل والهوى، يتبعون كل ناعق، ويشايعون كل مارق، إمعات^(٤) إن عد الثقات، وسفهاء إن عد العقلاء، وغوغاء ودهماء إذا ذكر الرجال العظماء، ولؤماء إذا ذكر الكرماء.

فواأسفا، ثم وأأسفا على أحوال هؤلاء! وسبحان من يهدي من يشاء، ويضل من يشاء!

أمة الإسلام، ولاتزال الأحداث الجارية في الساحة تستأثر بالحديث؛ حيث تعجز الكلمات عن وصفها وبيان مآلها، ويستعجم اللسان عن التعبير عن أخطارها ولأوائها، وتكاد الحرب على خليجنا الآمن تنهي

- (١) هذى يهذى هذياناً: تكلم بكلام غير معقول. «اللسان» (هذي).
- (٢) من أمثال العرب قولهم: «لا تهرف بما لا تعرف»، ويروى: «لا تهرف قبل أن تعرف»؛ يضرب لمن يتعدى في مدح الشيء قبل معرفته، والهرف: الإطناج في المدح. راجع: «مجمع الأمثال» (٢/٢١٩).
- (٣) ترسفت: تمشي مشي المقيد، والأغلال: جمع غل، وهو: الجامعة من الحديد توضع في اليد أو العنق. «تاج العروس» (رسف) (غلل)، والمراد: أن الجهل والهوى ملازم لها.
- (٤) إمعات: جمع إمعة، وهو: الذي لا رأي له ولا عزم؛ فهو يقول لكل أحد: أنا معك. انظر: «اللسان» (أمع).



شَهْرَهَا الْأَوَّلَ مِنْ عُمْرِهَا الْقَصِيرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَكِنْ مِنَ الْمُؤَسِفِ جِدًّا؛
 أَنْ مَنْ تَوَلَّى كِبَرَهَا، وَأَضْرَمَ نَارَهَا «صِدَامُ الطَّاعِيَةِ» لَا يَزَالُ يَرْسُفُ فِي ثُوبِ
 صَلَفِهِ وَغُرُورِهِ، مُعَرِّضًا الْأُمَّةَ بِأَسْرِهَا إِلَى أَضْرَارٍ خَطِيرَةٍ، وَشُرُورِ
 مُسْتَطِيرَةٍ، وَإِنَّ الْمُتَضَرَّرَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذِهِ الْحَرْبِ الدَّامِيَةِ هُوَ الشَّعْبُ
 الْعِرَاقِيُّ الْمُسْلِمُ الْأَبِيُّ!، فَبِأَيِّ حَقٍّ يَتَعَرَّضُ هَذَا الشَّعْبُ الْمَظْلُومُ بِحُكْمِ
 دِكْتَاتُورِيٍّ ظَالِمٍ عَيْنِدِ، إِلَى الْحَرْبِ وَالذَّمَارِ؟! حَيْثُ لَا يُسْمَعُ إِلَّا أَرْيُزُ
 الطَّائِرَاتِ، وَطَلَقَاتُ الْمَدَافِعِ، وَدَوِيُّ الْإِنْفِجَارَاتِ، وَحَرَكَةُ الدَّبَابَاتِ،
 وَإِطْلَاقُ الصَّوَارِيخِ! إِنَّا نَطَالِبُ طَاعِيَةَ الْعِرَاقِ: أَنْ يَزْعَى حُقُوقَ الْأُخُوَّةِ
 الَّتِي تَرْبُطُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِأَخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ
 الرَّافِدِينَ^(١)، وَبَعْدَادِ الرَّشِيدِ وَابْنِ حَنْبَلٍ، فَيَبَادِرَ فَوْرًا إِلَى إِيقَافِ رَاحِي
 الْحَرْبِ، وَيُنْسَحِبَ مِنْ أَرْضِ الْكُوَيْتِ الْمُسْلِمِ الشَّقِيقِ.

وَإِنْ تَعَجَبُوا - يَارِعَاكُمُ اللَّهُ - مِنْ أَفْعَالِ هَذَا الطَّاعِيَةِ، فَعَجَبٌ تَلَاعِبُهُ
 بِالشُّعَارَاتِ! أَيُّ إِسْلَامٍ، وَأَيُّ إِيمَانٍ لِمَنْ ابْتَغَى غَيْرَ اللَّهِ حَكْمًا، وَغَيْرَ دِينِهِ
 مِنْهَجًا، وَرَضِيَ بِالشُّعَارَاتِ الْكُفْرِيَّةِ، وَقَتَلَ الْأَبْرِيَاءَ، وَسَفَكَ الدِّمَاءَ، وَرَوَّعَ
 الْأَمِينِينَ، وَفَعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ أُمَّتُهُ فِي الضَّلَالِ وَالْإِجْرَامِ عَبْرَ التَّأْرِيخِ!
 ثُمَّ الْأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَتَبَاكَى عَلَى الْمُقَدَّسَاتِ، وَهُوَ الَّذِي
 يُمَطِّرُ أَرْضَ الْحَرَمَيْنِ بِالصَّوَارِيخِ الْحَاقِدَةِ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ! وَيَرْفَعُ شِعَارَاتِ

(١) بلاد الرافدين: العراق، والرافدان: دجلة والفرات. «اللسان» (رفد).

الْجِهَادِ وَالْإِسْتِشْهَادِ، وَهُوَ الْأَوْلَى بِالْمُجَاهَدَةِ وَالْقِتَالِ؛ لِأَفْعَالِهِ الشَّنِيعَةِ!!
 وَفِي أَيِّ قَوَامِيسِ الشَّهَادَةِ يُوجَدُ أَنَّ الشَّهِيدَ مَنْ قَتَلَ الْأَبْرِيَاءَ، وَسَفَكَ الدَّمَاءَ،
 وَظَلَمَ وَطَغَى وَبَغَى؟! يَنْظَاهِرُ بِالْحَمَاسِ لِقَضِيَّةِ فَلَسْطِينَ، وَكَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ
 قَضِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَذِهِ الْأَيَّامَ، لَمَّا جَعَلَ قَضِيَّتَهُ الْوَاحِدَةَ عِدَّةَ قَضَايَا
 سَاخِنَةٍ! وَأَيْنَ قَضِيَّةُ الْكُوَيْتِ عَنِ شَفَقَتِهِ وَعَظْفِهِ؟! حَتَّى الْمِيَاهُ الصَّافِيَّةُ،
 وَالْحَيَوَانَاتُ الْوَادِعَةُ، وَالْبَيْتَةُ السَّلِيمَةُ؛ بَرًّا وَبَحْرًا وَجَوًّا - لَمْ تَسَلَمْ مِنْ
 عُدْوَانِهِ!! إِمْعَانًا فِي الْكَيْدِ، وَإِغْرَاقًا فِي الْإِجْرَامِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! .

وَالْيَوْمَ يَشْغَلُ الرَّأْيَ الْعَامَّ بِقَضِيَّةِ عَدَدٍ مِنَ الْمَدَنِيِّينَ قُتِلُوا،
 يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ قَتَلُ هَؤُلَاءِ جَرِيْمَةٌ لَا تُغْتَفَرُ، وَقَتْلُ وَتَشْرِيدُ أَبْنَاءِ
 الْكُوَيْتِ مَسْأَلَةٌ فِيهَا نَظْرٌ؟! .

يُطْلَقُ بَعْضُ الصَّوَارِيخِ عَلَى إِسْرَائِيلَ؛ لِصَرْفِ أَنْظَارِ بَعْضِ الدَّهْمَاءِ
 إِلَى بُطُولَتِهِ الْمُزَيَّفَةِ، وَلَكِنْ كَيْفَ يُسْتَسَاعُ إِطْلَاقُهُ الصَّوَارِيخِ عَلَى بِلَادِ
 الْمُقَدَّسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ؟! سُبْحَانَ اللَّهِ!

..... لِكَ الْوَيْلُ! لَا تَزْنِي وَلَا تَتَّصِدَّقِي! (١)

وَالْعَجَبُ الْعَجَابُ مِنْ حَالِ هَؤُلَاءِ الْمُزْتَرِّقَةِ الْإِنْتِهَازِيْنَ النَّفْعِيِّنَ،

(١) عجز بيت لإسماعيل بن عمّار الأسدي، والبيت بتمامه:

يَقُولُ لَهَا أَهْلُ الصَّلَاحِ نَصِيحَةً لِكَ الْوَيْلُ! لَا تَزْنِي وَلَا تَتَّصِدَّقِي!

وعجز البيت من الأمثال. انظر: «تمثال الأمثال» للشيبني (٢/ ٥٣٣).

الَّذِينَ يُصَفِّقُونَ وَيَزْمِرُونَ، وَلَا يَكْتَفُونَ بِذَلِكَ، بَلْ يُعْلِنُونَ الْحِدَادَ - كَمَا زَعَمُوا - عَلَى بَعْضِ الْقَتْلَى الْمَدَنِيِّينَ، لَكِنْ أَيْنَ هُمْ يَوْمَ أُصَيْبِ إِخْوَانِنَا الْكُوَيْتِيِّونَ؟! كَفَى ضَحِكًا عَلَى أَذْقَانِ الشُّعُوبِ، وَذَرًّا لِلرِّمَادِ فِي الْعُيُونِ، إِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!! .

أَحْوَالٌ مُبْكِيَّةٌ، وَأَوْضَاعٌ مُزْرِئَةٌ، وَأُمَّةُ الْإِسْلَامِ آلَ أَمْرُهَا إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الْمُتَرَدِّدَةِ، فَيَا لَهَا مِنْ مِخْنَةٍ! وَكَفَى بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ، تَتَطَلَّبُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ صَادِقِ الْإِسْلَامِ - وَالصَّدِّقُ قَلِيلٌ فِي عَالَمِ التَّرْيِيفِ - أَنْ يَقُومَ بِدَوْرِهِ فِي زَحْمَةِ الْأَحْدَاثِ! فَالْغَفْلَةُ وَالْإِعْرَاضُ هُمَا الدَّاءُ الْعُضَالُ، لَا بَدَّ مِنْ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ فِي عِلَاجِ الْأَزْمَاتِ، وَمِنْ التَّوَجُّهِ الصَّادِقِ إِلَى اللَّهِ؛ فَهُوَ الْمَلْجَأُ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمَلَمَّاتِ^(١): الْوَلَاةُ وَالْقَادَةُ بِدَوْرِهِمْ فِي تَحْقِيقِ الشَّرِيعَةِ، وَالْعُلَمَاءُ وَالِدُّعَاةُ بِدَوْرِهِمْ فِي تَبْصِيرِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَائِرَةِ، وَالشُّبَّابُ الْمُسْلِمُ بِالتَّسَلُّحِ وَالْإِعْدَادِ بِالْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ أُمُّ الْأَبْطَالِ، وَمُرَبِّيَّةُ الْأَجْيَالِ، بِالْإِعْدَادِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَلَوْ أَنْ تُصْلِحَ حَالَهَا وَتُسَاعِدَ بِالتَّزَامِهَا بِحِجَابِهَا وَعَفَافِهَا وَحِشْمَتِهَا؛ لِأَنَّنا نَطْلُبُ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ بِالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِعِبَادَتِهِ، وَالبُعْدِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُحَرَّمَاتِ، ، ، وَهَكَذَا، وَالْكُلُّ بِدُعَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ، وَلَوْ بِكَفِّ شَرِّهِ، وَفَرَجُ اللَّهِ آتٍ لَا مَحَالَةَ،

(١) الملمَّات: جمع ملمَّة، وهي النازلة الشديدة من نوازل الدهر. «اللسان» (لم).

وَمَلَامِحُ النَّصْرِ قَرِيبَةٌ بِحَمْدِ اللَّهِ؛ ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف]، وَاللَّهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَالْعِزَّةُ وَالنُّصْرَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ،
وَالذَّلَّةُ وَالْمَهَانَةُ وَالْهَزِيمَةُ لِأَعْدَاءِ الدِّينِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَازِلُ الْكُفْرَةِ وَالظَّالِمِينَ ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنَ
الظُّلْمَةِ وَالْبُعَاةِ وَالْمُعْتَدِينَ ، وَالْمُنْتَصِرُ لِلْمَظْلُومِينَ وَالْمُضْطَهَدِينَ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الْمُجَاهِدِينَ ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ ، صَلَّى
اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينَ ،
وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- تَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ ، وَكُونُوا عَلَى وَعْيٍ بِمَا يَحِيكُهُ
أَعْدَاؤُكُمْ ضِدَّكُمْ ، فَأَنْتُمْ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْآمِنَةِ مَحْسُودُونَ ؛ لِمَا تَنَعَّمُونَ بِهِ
مِنْ أَمْنٍ وَأَمَانٍ ، وَرَاحَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ ، يُرِيدُ أَعْدَاؤُكُمْ أَنْ يُعَكِّرُوا صَفْوَ أَمْنِكُمْ ،
وَرَعْدَ عَيْشِكُمْ ، فَمَا فَتِنُوا يَبْتُونُ الْأَقَاوِيلَ الْكَاذِبَةَ ، وَالشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةَ
مِمَّا ظَهَرَ أَمْرُهُ- بِحَمْدِ اللَّهِ- وَلَمْ يَعُدْ خَافِيًا عَلَى أُولِي الْبَصَائِرِ .

وَمِنْ حُطِّطِهِمُ الْحَيْثِيَّةِ: تَكْوِينُ خَلَايَا لِلإِرْهَابِ وَالإِجْرَامِ ، وَعِصَابَاتِ
لِلإِفْسَادِ وَالتَّخْرِيبِ ، وَقَدْ ظَنَّ أَوْلِيكَ أَنَّهُمْ يُجِيدُونَ الإِصْطِيَادَ فِي الْمَاءِ
العَكْرِ ، وَلَكِنْ خَابَ ظَنُّهُمْ ، وَضَلَّ سَعْيُهُمْ ؛ فَلَنْ يُفْلِتُوا مِنْ رِقَابَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ لَنْ



يَعْدَمُوا جَزَاءَهُمُ الرَّادِعَ الَّذِي سَيَقَعُ بِهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَبِأَمْثَالِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ تَسَوَّلَ لَهُ نَفْسُهُ الْعَبَثَ بِأَمْنِ الْأَمِينِ، وَإِنَّ أَمْنَ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ لَمَسْئُولِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ وَوَاوِدِينَ وَمُقِيمِينَ، وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّا أَنْ يَكُونَ جُنْدِيًّا فِي مَيْدَانِهِ، وَعَيْنًا سَاهِرَةً عَلَى نَعْرِهِ، رَاصِدَةً لِكُلِّ مُجْرِمٍ أَتَيْمٍ مِنْ قَبْلِهِ.

وَتَحِيَّةُ تَقْدِيرٍ وَإِعْزَازٍ لِلْجُنُودِ الْمَجْهُولِينَ؛ الَّذِينَ يَسْهَرُونَ عَلَى أَمْنِ بِلَادِنَا، حَيْثُ يَنَامُ النَّاسُ، وَيَتَعَبُونَ حَيْثُ يَسْتَرِيحُ غَيْرُهُمْ، لَا حَرَمَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ مَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ خِدْمَةِ لِدِينِهِمْ وَمَقَدَّسَاتِهِمْ! وَلَا تَرَالُ الْوَصِيَّةُ مَوْصُولَةً لِعُجُودِنَا الْأَشَاوِسِ^(١)، وَلِيُوثِنَا الْأَكَاسِرِ، الْمُرَابِطِينَ فِي جَبَهَاتِ الْقِتَالِ، وَفِي مِيَادِينِ الشَّرَفِ وَالْبُطُولَةِ وَالْفِدَاءِ، فِي الْخُطُوطِ كُلِّهَا أَمَامِيَّهَا وَخَلْفِيَّهَا، وَفِي الْجِهَاتِ جَمِيعِهَا، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ وَالِاحْتِسَابِ، وَالْمُرَابِطَةِ وَالصِّدْقِ، وَالذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ وَالِدُّعَاءِ! فَالْنَّصْرُ قَادِمٌ - بِإِذْنِ اللَّهِ - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الروم]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ [الصفات].

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَاتِ وَالْمَلَا حِمِ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

(١) الْأَشَاوِسُ: جَمْعُ أَشْوَسَ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْجَرِيُّ عَلَى الْقِتَالِ. «اللسان» (شوس).



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ
الْغَزَارِ، وَأَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى فَضْلِهِ الْمِدْرَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ، لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَكُلُّ
شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى
الْمُخْتَارُ؛ فَهُوَ خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ الْأَخْيَارِ، الَّذِينَ
لَزِمُوا السُّنَّةَ وَالْآثَارَ، صَلَاةً وَسَلَامًا تَامِينَ كَامِلِينَ مُتَعَاقِبِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ نَكُونَ مِنْ تَبِعِهِمْ بِإِحْسَانٍ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- فَتَقْوَى اللَّهِ سِرُّ النَّصْرِ وَالْفَلَاحِ، وَسَبَبُ التَّوْفِيقِ
وَالنَّجَاحِ، وَطَرِيقُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛
فَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ، وَدَعَا وَأَخْبَرَ، وَهَدَى وَحَدَّرَ، بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ،

وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكُشِفَ بِأَمْرِ رَبِّهِ الْغُمَّةَ، وَهَدَى النَّاسَ - بِإِذْنِ رَبِّهِمْ - إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ؛ فَأَشْرَقَتْ بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ ظُلُمَاتِهَا، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ شَتَاتِهَا.

وَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ أَنْصَارًا، هُمْ صَحَابَتُهُ الْكِرَامُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - خَيْرُ الْقُرُونِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَفْضَلُ الْأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولِهَا بِاتِّفَاقٍ، أَبْرَأُ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا، إِذَا عَلَوْا فَهَمُّ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَإِذَا حَكَمُوا فَهَمُّ الْوِلَاةِ الْخَيْرَةِ، كَيْفَ لَا وَقَدِ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَحَمَلِ شَرِيْعَتِهِ؟! حَمَلُوا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لُؤَاءَ الدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ؛ فَفَتَحُوا الْبِلَادَ، وَأَسْعَدُوا الْعِبَادَ، وَقَادُوا هُمْ إِلَى الْخَيْرِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، نَشَرُوا الْإِسْلَامَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، رَفَعُوا رَايَةَ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَحَطَّمُوا عُرُوشَ الْوَيْبِيَّةِ، وَنَكَّسُوا رَايَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاحْتَلَوْا الصَّدَارَةَ وَالْإِدَارَةَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَمْسَكُوا بِزِمَامِ قِيَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتَحَوَّلَتِ الْأُمَّةُ رَاعِيَةَ الْغَنَمِ، إِلَى قَادَةِ شُعُوبٍ وَسَاسَةِ أُمَّمٍ، حَقَّقَتِ الْخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ، وَتَوَلَّتِ الْقِيَادَةَ وَالرِّيَادَةَ، وَاحْتَلَّتِ الْمَكَانَةَ وَالسِّيَادَةَ، وَمَلَأَتِ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، وَالْقُلُوبَ إِيمَانًا وَخَشْيَةً وَعِلْمًا؛ مِمَّا لَمْ يَشْهَدْ لَهُ التَّارِيخُ مِثْلًا، وَلَمْ يَعْرِفِ الْعَالَمُ لَهُ نَظِيرًا.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَمَا كَادَتِ الْقُرُونُ الثَّلَاثَةُ تَنْقُضِي؛ حَتَّى ظَهَرَتِ

الْفِتْنُ، وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْمِحْنِ، خَلَفَتْ خُلُوفٌ تَفَرَّقَتْ بِهِمُ السُّبُلُ، وَأَعْرَضُوا
عَنْ مَنْهَجِ الرُّسُلِ، وَصَلَّتْ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَحْكَمَتْ فِيهِمُ الْآرَاءُ، وَتَعَدَّدَتْ
فِيهِمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَبَايَنَتِ النَّزَعَاتُ وَالْمَشَارِبُ؛ ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون].

كَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْإِخْتِلَافَاتُ، وَأَهْلَكَتْهُمْ الْأَنْيَابَاتُ، وَسَعَوْا لِلْحُطُوطِ وَحُبِّ
الذَّاتِ، فَضَرَبَتِ الْأُمَّةُ فِي تِيهِ السُّبُلِ أَحْقَابًا مِنَ الزَّمَنِ، وَعُقُودًا مِنَ التَّارِيخِ؛
فَرَطُوا فِي أَمْرِ اللَّهِ، فَانْفَرَطَ عِقْدُهُمْ أَمَامَ أَعْدَاءِ اللَّهِ، الَّذِينَ سَعَوْا وَيَسْعُونَ لِإِطْفَاءِ
نُورِ اللَّهِ؛ ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسَمَّرَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة].

وَكَانَ مِنْ نَتِيجَةِ هَذَا الْإِعْرَاضِ عَنِ الثَّوَابِتِ الْعَقْدِيَّةِ، وَالْمَقْوَمَاتِ
التَّاصِيلِيَّةِ: تَسَلَّطَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأُمَّةِ فِي دِيَارِهَا وَأَفْكَارِهَا، وَمَقَدَّرَاتِهَا
وَمَقَدَّسَاتِهَا، فَعَصَفَتْ بِالْأُمَّةِ عَوَاصِفُ الْفُرْقَةِ؛ فَصَلَّتْ أَفْهَامُ، وَزَلَّتْ أَقْدَامُ،
وَالْمُسْتَفِيدُ مِنْ ذَلِكَ هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ مَا فَتِنُوا فِي إِذَاقَةِ الْمُسْلِمِينَ
صُنُوفَ التَّحَدِّيَّاتِ، وَالْأَوَانَا مِنَ الْهَجَمَاتِ، وَبَثَّ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الدَّسَائِسِ
وَالْمُؤَامَرَاتِ، عَلَى اخْتِلَافِ النَّزَعَاتِ وَالشَّعَارَاتِ، فَكَانَ أَنْ بُلِيَتْ أَجْيَالٌ
مِنَ الْأُمَّةِ بِأَزْمَاتٍ وَأَزْمَاتٍ: احْتَلَّتْ دِيَارُ، وَغَيَّرَتْ أَفْكَارُ، وَعَبِثَتْ بِمَقَدَّسَاتِ،
وَأَنْتَهَكَتْ حُرْمَاتِ، وَاسْتَيْبَحَتْ أَعْرَاضُ وَأَمْوَالُ وَمَقَدَّرَاتِ، ضَاعَتْ مَمَالِكُ
وَدُوُلٌ حَكَمَهَا الْإِسْلَامُ قُرُونًا عَدِيدَةً.

وَمَا زَالَتِ الْحَرْبُ الْعَدَائِيَّةُ لِلْإِسْلَامِ ظَاهِرَةً سَافِرَةً، وَلَا تَزَالُ قَضَايَا

أُمَّنَا وَمَآسِي مُجْتَمَعَاتِنَا، وَجِرَاحَاتُ إِخْوَانِنَا: تَنْزِفُ، فِي عَصْرِ ضَاعَتْ فِيهِ
 الْمَقَائِيسُ، وَانْقَلَبَتْ فِيهِ الْمَوَازِينُ، وَأَصْبَحَ الْمَظْلُومُ ظَالِمًا، وَالْمَطْلُوبُ
 طَالِبًا، وَتَعَامَتِ الْهَيْئَاتُ الدَّوْلِيَّةُ، وَتَقَاعَسَتْ الْمُنْظَمَاتُ الْعَالَمِيَّةُ عَنْ
 حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَتَمَتْ أَخْبَارَهُمْ حَتَّى خُدِّرَتِ الشُّعُوبُ، وَأُصِيبَتْ
 بِالذُّهُولِ وَالْحَيْرَةِ، وَلَا يَكَادُ الْمَتَابِعُ لَهُمُومٌ أُمَّتِهِ، وَمَآسِي إِخْوَانِهِ يُحَسُّ
 بِالْأَمَلِ، حَتَّى يُصَابَ بِالْإِحْبَاطِ وَالْأَلَمِ، وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ الْقَضَايَا الْإِسْلَامِيَّةَ
 تَزْدَادُ تَعْقِيدًا، وَالْإِنْفِرَاجَاتِ فِي أَحْوَالِ الْأُمَّةِ تَعُودُ إِلَى صِرَاعَاتٍ، وَتَتَحَوَّلُ
 إِلَى صِدَامَاتٍ؛ فَالْحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ، وَالِاشْتِيَاكَاتُ الدَّامِيَّةُ، وَمُسْلَسَلَاتُ
 الْقَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ - تَرِيدُ وَتَرِيدُ، وَالْأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَالْأَعْجَبُ: أَنَّهَا تَكُونُ
 أَحْيَانًا بَيْنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَحِبَّةِ؛ فَيُوجَّهُ الْأَخُ السَّلَاحَ إِلَى صَدْرِ أَخِيهِ!
 أَحْوَالٌ مُبْكِئَةٌ، وَأَوْضَاعٌ مُزْرِئَةٌ؛ فَالَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ،
 وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، قَضَيْتُنَا الْإِسْلَامِيَّةَ الْأُولَى الَّتِي يَجِبُ أَلَّا تُنْسَى فِي
 جَدِيدِ الصَّرَاعَاتِ وَالْقَضَايَا: قَضِيَّةُ أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَثَالِثِ الْمَسْجِدَيْنِ
 الشَّرِيفَيْنِ، وَ«قَضِيَّةُ الْأَقْصَى» يَجِبُ أَنْ تَظَلَّ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَلَا يُقْبَلُ
 التَّنَازُلُ وَالتَّغَاضِي عَنْهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، وَلَيْسَ مَا قَامَتْ بِهِ الصُّهْيُونِيَّةُ
 الْعَالَمِيَّةُ عِبْرَ التَّارِيخِ بِخَافٍ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، بَلْ مُسَطَّرٌ بِمِدَادِ قَاتِمٍ لِقَوْمٍ

بُهت^(١) خَوْتِهِ، مَعْرُوفِينَ عَبْرَ التَّارِيخِ بِنَقْضِ الْعُهُودِ وَالْمَوَائِثِ، وَالتَّحَدِّيِ
السَّافِرِ لِمَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ وَمُقَدَّسَاتِهِمْ!

وَمَا اسْتَمْرَارُ «الصَّرْبِ الظَّالِمَةِ» - فِي صَلْفٍ وَرُعُونَةٍ - ضِدَّ مُسْلِمِي
البُوسْنَةِ وَالْهَرَسِكِ، إِلَّا أَمْرٌ يَحْزُنُ فِي النُّفُوسِ، وَيُورِّقُ الْقُلُوبَ!

وَسَلَامُ اللَّهِ عَلَى «سَرَايْفُو» الَّتِي يُمَطِّرُهَا دُعَاةُ الصَّلِيبِ الْحَاقِدُونَ
بِصَوَارِيخِ اللُّؤْمِ وَالْحِقْدِ، وَقَدَائِفِ الْخُبْثِ وَالْمَكْرِ، ضِدَّ الْمَسَاجِدِ
وَالْمَدَارِسِ وَالْبَيْوتِ!!

وَعَلَى صَعِيدِ «الصُّومَالِ الْحَزِينِ»، مَاذَا يَدُورُ هُنَاكَ؟! وَإِلَى أَيِّ حَدِّ
انْتَهَتْ أَحْبَارُ الْفَصَائِلِ الصُّومَالِيَّةِ وَالْفُرْقَاءِ فِيهَا؛ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ أَمْنِ
بِلَادِهِمْ، وَسَلَامَةِ شَعْبِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ؟!

أَمَّا مَا يَدُورُ فِي «السَّاحَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ»: فَأَمْرٌ جَلَلٌ، وَمُصَابٌ عَظِيمٌ،
وَخَطْبٌ جَسِيمٌ، يَحْتَارُ فِيهِ الْحَلِيمُ! فَمَا هِيَ الْأَبْعَادُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلصَّرَاعَاتِ
الْمُسْتَمِرَّةِ عَلَى أَرْضِ الْأَفْغَانِ؟! وَمَنِ الْمُسْتَفِيدُ مِمَّا يَدُورُ هُنَاكَ؟! إِلَى اللَّهِ
الْمُسْتَكِي! فَقَدْ وَصَلَتِ الْأَوْضَاعُ فِي بِلَادِ الْأَفْغَانِ إِلَى وَضْعٍ لَا يَسْتَسِينُغُهُ
الْعُقْلَاءُ، وَلَا يَقْبَلُهُ الْكُرَمَاءُ، وَلَا يَرْضَاهُ الشُّرَفَاءُ! وَهَلْ يَكُونُ الْأَخُّ عَلَى أَخِيهِ
أَشَدَّ عَدَوَاةً مِنَ الْعَدُوِّ السَّافِرِ؟! تُرَى مَا السَّرُّ، وَمَا الْخَبْرُ؟! لَقَدْ حَرَّرَ

(١) بُهت: جمع بهوت، وهو المباهت الذي يستقبلك بأمر يقذفك به وأنت منه بريء
لا تعلمه؛ فتبهت منه. «النهاية» و«اللسان» (بهت).

الْأَفْغَانَ وَطَنَهُمْ مِنَ الشُّيُوعِيَّةِ الْحَمْرَاءِ فِي أُعْجُوبَةٍ رَائِعَةٍ، تَبَاهَى بِهَا الْأُمَّةُ
 الْإِسْلَامِيَّةُ، وَبَذَلَتِ الْأُمَّةُ جَمِيعًا أَرْوَاحَهَا وَمُهْجَ أَبْنَائِهَا، وَقَدَّمَتْ أَمْوَالَهَا
 وَدُعَاءَهَا لِدَعْمِ الْجِهَادِ هُنَاكَ؛ فَلِمَاذَا ضَاعَتِ رَوْعَةُ الْجِهَادِ، وَشُوِّهَتْ
 بَطُولَاتُ الرَّجَالِ؟!!

فَيَا أَيُّهَا الْقَادَةُ الْأَفْغَانُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَبِلَادِكُمْ وَشُعُوبِكُمْ؛
 إِنَّهُ مِنَ الْأَجْدَى التَّحَاكُمُ إِلَى شَرِّعِ اللَّهِ، وَحَسْمُ الْخِلَافِ بِالطَّرِيقِ السَّلْمِيَّةِ؛
 لَا تَضَيِّعُوا مَا عَلَّقْتَهُ الْأُمَّةُ عَلَيْكُمْ مِنْ آمَالٍ، وَلَا تُجَدِّدُوا بِخِلَافَتِكُمْ الْهُمُومَ
 وَالْآلَامَ، لِمَاذَا تُتَّاحُ الْفُرْصَةُ لِلْأَصَابِعِ الْخَفِيَّةِ؛ كَيْ تَعْبَثَ فِي بِلَادِكُمْ، وَتُشْعَلَ
 النَّارَ فِيمَا بَيْنَكُمْ؟! أَصْغُوا إِلَى صَوْتِ الْعَقْلِ وَالصَّوَابِ، وَاحْمُوا الْبِلَادَ
 وَالْعِبَادَ مِنَ الدَّمَارِ وَالْحَرَابِ، إِنَّا لَنُخْشَى أَلَّا تُجِدِي الْمُنَاشِدَاتِ، وَلَا تَنْفَعِ
 جُهُودُ الصُّلْحِ وَالِاتِّفَاقَاتِ، لَكِنْ يَظَلُّ الْأَمَلُ يُرَاوِدُنَا، وَالْفَأَلُ يَحْدُونَا فِي
 حَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ، وَأَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَادَةُ الْأَفْغَانُ إِلَى مَسَاعِي
 الصُّلْحِ وَالْوِفَاقِ، وَيَجْمَعُوا قُلُوبَهُمْ عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَيُوَحِّدُوا صُفُوفَهُمْ
 عَلَى وَحْدَةِ الْكَلِمَةِ، وَيَحْذَرُوا مِنْ حُطُوظِ النَّفْسِ وَالْهَوَى؛ أَلَا تَبًّا لِلْأَطْمَاعِ
 الشَّخْصِيَّةِ، وَأُفٍّ لِلْمَصَالِحِ الدَّائِيَّةِ؛ إِذَا كَانَتْ عَقَبَةً أَمَامَ مَصَالِحِ الْأُمَّةِ
 وَسَلَامَةِ الْجَمَاعَةِ! وَتَعَسَّا لِلْكَرَاسِيِّ وَالْمَنَاصِبِ، وَبُعَدَّا لِلْأَطْمَاعِ وَالْمَرَاتِبِ؛
 إِذَا كَانَتْ تَجْرُّ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ لِلشَّرِّ وَالْفَسَادِ!

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، مَاسِي الْأُمَّةِ الْأُخْرَى كَثِيرَةٌ، وَجِرَاحَاتُهَا

عَدِيدَةٌ، وَأَخْبَارُ الْأَقْلِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا تَكَادُ تَخْفَى، حَتَّى أَصْبَحَ حَالُ
الْأُمَّةِ كَمَا صَوَّرَهَا الشَّاعِرُ الْمَكْلُومُ:

دَهَى الْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَاعْزَاءَ لَهُ هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَّ نَهْلَانُ!
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَرْضِ أَنْدَلُسٍ فَقَدْ مَضَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ!
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ أَسْفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ!
عَلَى بِلَادٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَاوِيَةٍ قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمَرَانُ!
حَتَّى الْمَادِنُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْثِي وَهِيَ عِيدَانُ!
كَمْ يَسْنَعِيثُ بِنَا الْمُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَرُ إِنْسَانُ!
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ^(١)

فِي قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ، يَأْمَنُ مَكَّنَكُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَخْلَفَكُمْ فِيهَا؛
لِتَقُومُوا بِالْعَدْلِ، وَرَفَعَ الظُّلْمَ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَنْصِرُوا دِينَ اللَّهِ، وَكُونُوا عَوْنًا
لِشُعُوبِكُمْ فِي تَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللَّهِ، وَدَعْمِ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ.

وَيَا عُلَمَاءَ الْأُمَّةِ، يَا أَيُّهَا الْمُؤْتَمِنُونَ عَلَى مِيرَاثِ الثُّبُوتِ، يَا مَنْ أَخَذَ
عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ لَتَبَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فُومُوا بِمَسْئُولِيَّاتِكُمْ
فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّوَجِيهِ، وَلَا تَتَّقَاعَسُوا عَنْ آدَاءِ وَاجِبِكُمْ، وَأَنْصَحُوا لِلَّهِ،

(١) هذه الأبيات مختارة من قصيدة للشاعر المجوّد أبي البقاء الرُنْدِيّ الشاعر الأندلسي
المعروف، توفي سنة (٧٩٨هـ). انظر: «نفع الطيب» للمقري (٢/١٩٤)،
(٣/٣٤٧)، (٤/١٤٧، ٤٨٦، ٤٨٨)، (٥/٦٠٢).

وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَالْأُمَّةَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ.

وَيَادْعَاةَ الْإِسْلَامِ، اجْمَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَىٰ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ -
رَحِمَهُمُ اللَّهُ - تَخَلَّوْا عَنِ الْحِزْبِيَّةِ الضَّيِّقَةِ، وَالْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ، كُونُوا
عَوْنًا لِرِوَاةِ الْأَمْرِ فِي تَحْقِيقِ الْخَيْرِ لِلْأُمَّةِ جَمِيعًا؛ إِنَّ التَّعَاوُنَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ
وَالرُّعَاةِ عَيْنُ الْمَصَالِحِ لِلْأُمَّةِ، وَإِنَّ شَقَّ عَصَا الطَّاعَةِ، وَبَثُّ بُدُورِ الْفُرْقَةِ،
وَالخُرُوجَ عَلَى الْجَمَاعَةِ - يَجْزُ الْأُمَّةَ إِلَى شَرِّ كَبِيرٍ، وَضَرَرَ خَطِيرٍ، وَمِنْ فَضْلِ
اللَّهِ عَلَىٰ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ: أَنْ فَتَحَتْ صَدْرَهَا، وَمَدَّتْ يَدَهَا - قَادَةً وَعُلَمَاءَ -
لِرِعَايَةِ شُؤْنِ الْمُسْلِمِينَ، وَالسَّعْيِ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِغَرِيبٍ
عَلَيْهَا؛ فَهِيَ مَحَطُّ أَنْظَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَهْوَىٰ أُنْدَتِهِمْ؛ فَلْتَمُدَّ الْأُمَّةُ يَدَهَا إِلَيْهَا؛
لِتَحْقِيقِ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَدَرْءِ الشُّرُورِ وَالْمَفَاسِدِ عَنْهُمْ.

وَإِنَّ الْأُمَّةَ لَنْطَلُعَ إِلَىٰ مَرَاحِلِ الْعَمَلِ وَالْمَنْهَجِيَّةِ وَالتَّأْصِيلِ، فَلَمْ تَعُدْ
تُجَدِّي الْكَلِمَاتُ وَلَا التَّنْظِيرُ، وَإِنَّ مَسْئُولِيَّةَ صَلَاحِ أَحْوَالِ الْأُمَّةِ، وَالخُرُوجِ
بِهَا مِنْ مَازِقِهَا - مَسْئُولِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، فِي خُطَا حَثِيثَةٍ؛ فِي الْعَقِيدَةِ
وَالْعِلْمِ، وَالْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ؛ لِيَتَحَقَّقَ لِلْأُمَّةِ وَعَدُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَتَخَلَّفُ،
وَإِنَّا لَنَأْمُلُ أَنْ تَكُونَ مَصَائِبُ الْأُمَّةِ سَحَابَةً صَنِيفٍ، عَنْ قَرِيبٍ تَنْقَشِعُ،
فَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَلْيَقَرَّ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ عَيْنًا؛ فَمِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ
نَسْتَلِهِمُ النَّصْرَ وَالتَّمْكِينَ!

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور].

وَلرُبَّ ضَائِقَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى دَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ (١)

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) هذان بيتان منسوبان للإمام الشافعي - رحمه الله - . انظرهما في ديوانه (ص ٣٢).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ بَارَكَ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَأَفْصَى مَنْ أَعْرَضَ عَن
عِبَادَتِهِ وَاسْتَقْصَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرْنَا
بِالْتَّمَسْكِ بِالذِّينِ وَأَوْصَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، بَلَغَ
رِسَالَةَ رَبِّهِ فَمَا ضَلَّ وَلَا اسْتَعْصَى، صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ تَبَعَ مِلَّتَهُ
وَتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ وَاسْتَوْصَى، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ
الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ،
وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، مِنَ الثَّوَابِ النَّبِيِّ لَا تَقْبَلُ الْجِدَلَ أَنَّ قَضِيَّةَ
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ قَضِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ عَرِيقَةٌ، وَسَتَّبَعِي كَذَلِكَ - بِإِذْنِ
اللَّهِ - حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا؛ فَلَا مُسَاوَمَةَ عَلَى مُقَدَّسَاتِنَا، وَلَا
تَنَازُلَ عَن شَيْءٍ مِنْ ثَوَابَتِنَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ قَضِيَّةُ الْأَقْصَى رَأْسُ الْقَضَايَا
الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَكْبَرُهَا، هُوَ أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَثَالِثُ الْمَسْجِدَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ،
وَمَسْرُؤُ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، مَكَانَتُهُ ضَارِبَةٌ فِي جُذُورِ التَّأْرِيخِ، وَهُوَ الْيَوْمَ يَمُرُّ

بِمَأْسَاةٍ تَمَزَّقُ الْقُلُوبَ، وَتُورِّقُ الْأَكْبَادَ، مِنْ شُدَّادِ الْآفَاقِ^(١)، وَضَالَّةِ
 الْعَالَمِ، وَإِخْوَانِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ - عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ - يُرِيدُونَ هَدْمَ بِنَائِهِ، وَتَغْيِيرَ مَعَالِمِهِ وَإِقَامَةَ هَيْكَلِهِمُ الْمَرْغُومِ عَلَى
 أَنْفَاضِهِ - لَا بَلَّغَهُمُ اللَّهُ مُرَادَهُمْ! - وَإِنَّ لَكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَةً فِي الْعَقِيدَةِ
 عَلَى ثَرَى فِلَسْطِينَ الْمُجَاهِدَةِ، يَقُومُونَ بِانْتِفَاضَةِ إِسْلَامِيَّةٍ بَاسِلَةٍ لِلدَّفَاعِ عَنِ
 الْأَقْصَى وَالْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ؛ فَوَاجِبُ الْمُسْلِمِينَ دَعْمُهُمْ وَالْوُقُوفُ مَعَهُمْ صَقًّا
 وَاحِدًا ضِدَّ الْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ؛ حَتَّى يُقَرَّ اللَّهُ الْأَعْيُنَ بِالتَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ، وَمَا
 ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠، وفاطر: ١٧].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا وَوَصَّى؛
 فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) شُدَّادُ الْآفَاقِ: هم المتفرِّقون في الآفاق، جمع شَادٌّ. «اللسان» (شذذ).

مَأْسَاةُ الْبُوسَنَةِ وَالْهَرَسِكِ بَيْنَ الْوَاجِبِ لِإِسْلَامِيٍّ وَالتَّخَاذُلِ الْعَالَمِيِّ!



الخطبة للهولي

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَتَبَ الْعِزَّةَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ،
أَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ .
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ؛
إِلَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، هُوَ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْمُسْتَعَاثُ لِرَدِّ كَيْدِ الْكَافِرِينَ،
وَالْمُرْتَجَى لِدَفْعِ مَكْرِ الطُّغَاةِ وَالظَّالِمِينَ، وَحُلُولِ الْهَزِيمَةِ بِالْغَاشِمِينَ
الْمُعْتَدِينَ؛ بِهِ نَحُولُ، وَبِهِ نَصُولُ، وَبِهِ نُؤْمَلُ، كَفَّ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ،
وَرَفَعَ الْبَلَاءَ عَنِ الْمَنْكُوبِينَ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدُ
الْمُجَاهِدِينَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ؛ نَصَرَهُ اللَّهُ بِالرُّعْبِ يُقْذَفُ فِي قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ، نَبِيُّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ، وَوَضَعَ
وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذَّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ

بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فَلَيْسَ لَكُمْ بغيرِ التَّقْوَى حَبْلٌ يَقْوَى، وَلَيْسَ لَكُمْ بغيرِ الدِّينِ عِزَّةٌ لَا تُضَاهَى، وَقُوَّةٌ لَا تَلِينُ؛ فَأَمَّةُ الْعَقِيدَةِ: أُمَّةٌ لَا تَذُلُّ وَلَا تَهِينُ، وَلَا تَضَعُفُ وَلَا تَسْتَكِينُ، لَا تَعْرِفُ الْخُضُوعَ وَالْخُنُوعَ أَمَامَ مُتَلَوِّي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ؛ فَخُضُوعُهَا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعِزَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَالذُّلَّةُ وَالصَّغَارُ، وَالْعَارُ وَالسَّنَارُ^(١)، وَالْوَيْلُ وَالنَّارُ، لِأَعْدَاءِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ، الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً فِي الْمُؤْمِنِينَ.

إِحْوَةَ الْعَقِيدَةِ، إِنَّ دِينَكُمْ الْإِسْلَامِي دِينٌ يَنْأَى بِأَتْبَاعِهِ عَنِ مَوَاقِفِ الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ، وَالضَّعْفِ وَالِاسْتِكَانَةِ، وَيَتَرَفَّعُ بِهِمْ عَنِ كُلِّ مَوْضِعٍ يَخْدِشُ الْكِرَامَةَ، وَيَجْرَحُ الْمَكَانَةَ؛ فَالْعِزَّةُ وَالْإِبَاءُ، وَالْكَرَامَةُ وَالْإِيخَاءُ، خِلَالِ عُظْمَى، وَمِثْلٍ عَلِيًّا؛ دَعَا إِلَيْهَا الدِّينُ، وَحَثَّ عَلَيْهَا، وَغَرَسَهَا فِي قُلُوبِ أبنَائِهِ، وَتَعَهَّدَهَا بِالنَّمَاءِ؛ لِيُوقِنَ الْمُسْلِمُ يَقِينًا لَا يَهْتَرُ: بِأَنَّ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ - دُونَ اللَّهِ - فَهُوَ صَغِيرٌ، وَكُلٌّ غَنِيٌّ - سِوَاهُ - فَقِيرٌ، وَكُلٌّ مُتَعَاظِمٌ - بَعْدَهُ - حَقِيرٌ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا يَرْجُو إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَطْلُبُ الْمَدَدَ

(١) السَّنَارُ: أَقْبَحُ الْعَيْبِ وَالْعَارِ، وَقَلَّمَا يَفْرُدُونَهُ مِنْ «عَارٍ» فَيَقُولُونَ: عَارٌ وَسَنَارٌ. (اللسان) (شعر).

وَالنَّصْرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَلَا يُطَاطَبُ رَأْسُهُ لِمَخْلُوقٍ، وَلَا يَتَضَعُ لِبَشَرٍ، وَلَا يَكُونُ جَبَانًا مُسْتَبَاحًا غَرَضًا لِكُلِّ طَامِعٍ، وَلَا ضَعِيفًا لُقْمَةً لِكُلِّ جَائِعٍ، بَلْ يَسْتَمِيتُ دُونَ دِينِهِ وَنَفْسِهِ، وَعَرِضِهِ وَمَالِهِ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُ مَشَقَّةٌ وَعَنَاءٌ، وَأُرِيقَتْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ دِمَاءٌ، وَمُرِّقَتْ فِيهِ أَشْلَاءٌ - فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ رَخِيسٌ لِحِصَانَةِ الدِّينِ وَالدِّيَارِ، وَحِمَايَةِ الْعَرِضِ وَالْأَهْلِ وَالذَّمَّارِ^(١)؛ فَالْبَقَاءُ عَلَى الدُّلِّ مَرْفُوضٌ، وَقَبُولُ الْبَغْيِ وَالضَّيْمِ مَمْنُوعٌ، وَأُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَرَابِطَةُ الْعَقِيدَةِ تَسْمُو عَلَى كُلِّ الرُّوَابِطِ الْمَادِّيَّةِ، وَالتَّعَرَّاتِ الطَّائِفِيَّةِ.

وَأَيْنَمَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فِي بَلَدٍ عَدَدَتْ ذَاكَ الْحِمَى مِنْ صُلْبِ أَوْطَانِي

وَأُخُوَّةُ الدِّينِ تَفْرِضُ التَّنَاصُرَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ،

وإِبْطَالِ الْبَاطِلِ، وَرَدِّعِ الْمُعْتَدِي، وَكَفِّ الظَّالِمِ، وَإِجَارَةِ الْمَهْضُومِ.

وَإِنَّ خِذْلَانَ الْمُسْلِمِ^(٢) لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَخَطْبٌ

جَسِيمٌ، وَهُوَ ذَرِيعَةُ خِذْلَانِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا؛ حَيْثُ يَقْضِي عَلَى خِصَالِ

الْإِبَاءِ وَالشَّهَامَةِ، وَالْبَدْلِ وَالتُّصْرَةِ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ عَزَّتِ الْأُمَّةُ وَسَادَتْ،

وَانْتَشَرَتْ وَقَادَتْ، يَوْمَ أَنْ اعْتَزَّتْ بِالْإِسْلَامِ، وَجَيْشَتْ الْجِيُوشَ، وَسَارَتْ

الْقَوَافِلُ لِقَمْعِ أَعْدَاءِ الدِّينِ؛ فَيَوْمَ تَطَاوَلَ عِلْجٌ^(٣) عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،

(١) الذَّمَّارُ: الحرم والأهل، وكل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفع عنه. «اللسان» (ذمر).

(٢) الخِذْلَانُ: ترك النصرة والعون. «اللسان» (خذل).

(٣) العِلْجُ: الكافر من كفار العجم، وجمعه: أعلاج وعلوج. «اللسان» (علج).

وَيَوْمَ لَطَمَتِ امْرَأَةٌ أُخْرَى فِي «عَمُورِيَّة» مِنْ بِلَادِ الرُّومِ - سَارَتْ جُيُوشُ
 الْمُسْلِمِينَ، أَوْلَهَا عِنْدَ الْعَدُوِّ، وَآخَرَهَا فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِرَفْعِ الظُّلْمِ عَنْ
 هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْمَظْلُومَةِ^(١)، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
 أَجَبْتُهُ مُعَلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا وَلَوْ أَجَبْتِ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ^(٢)

وَيَوْمَ أَنْ هَانَتِ الْأُمَّةُ عِنْدَ رَبِّهَا، هَانَتْ عِنْدَ أَعْدَائِهَا؛ ﴿ وَمَنْ يُرِنِ اللَّهُ
 فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ [الحج: ١٨].

نَعَمْ؛ هَانَتِ الْأُمَّةُ يَوْمَ أَنْ وَهَتْ أَوَاصِرُ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ أَبْنَائِهَا، وَنَظَرَ
 أَحَدُهُمْ إِلَى أُخِيهِ فِي الْعَقِيدَةِ نَظْرَةَ اِزْدِرَاءٍ وَتَنَكُّرٍ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُ، بَلْ
 أَصْبَحَتْ شُعُوبٌ إِسْلَامِيَّةٌ تَنْتَقِصُ، بَلْ تُبَادُ؛ فَلَا يَمْلِكُ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا هَزَّ
 الْأَكْتَاFِ، وَثَنِي الْأَعْطَافِ، وَكَأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْنِيهِمْ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ نُكِبَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِكَوَارِثٍ وَنَكَبَاتٍ، وَأَحَاطَتْ
 بِهَا تَحَدِّيَاتٌ وَمُؤَامِرَاتٌ، أَصَابَتْهَا عِبْرٌ تَأْرِخُهَا الْمَدِيدِ مَحْنٌ وَبَلَايَا،
 وَمَآسٍ وَرَزَايَا، حَلَّتْ مَصَائِبٌ وَكُرُوبٌ، وَحَدَّثَتْ جِرَاحَاتٌ وَخُطُوبٌ، مَآسٍ
 هُنَالِكَ، وَحُرُوبٌ هُنَاكَ، طَعَنَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَسِهَامٌ شَتَّى.

- (١) انظر قصة فتح «عمورية» أيام المعتصم في «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٥٢-٢٨٥).
 (٢) البيتان من قصيدة لأبي تمام في مدح المعتصم في فتح «عمورية». انظر: ديوانه
 بشرح التبريزي (١/ ٤٠، ٦٣).

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لَأَتَقَيْتُهُ وَلَكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثٌ

* * *

وَكُنْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
لَقَدْ أَحَلَّ الْأَعْدَاءُ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ قِتْلًا وَتَشْرِيدًا، وَأَصْبَحَ حَالُهُمْ كَمَا
وَصَفَ الْغُيُورُ بِقَوْلِهِ:

أَحَلَّ الْكُفْرُ بِالْإِسْلَامِ ضَيْمًا يَطُولُ بِهِ عَلَى الدِّينِ النَّحِيبُ!
فَحَقُّ ضَائِعٌ وَحِمَى مُبَاحٌ وَسَيْفٌ قَاطِعٌ وَدَمٌ صَيِّبُ!
وَكَمَ مِنْ مُسْلِمٍ أَمْسَى سَلِيبًا وَمُسْلِمَةٍ لَهَا حَرَمٌ سَلِيبُ!
وَكَمَ مِنْ مَسْجِدٍ جَعَلُوهُ دَيْرًا عَلَى مَحْرَابِهِ نُصِبَ الصَّلِيبُ!
أُمُورٌ لَوْ تَأَمَّلَهُنَّ طِفْلٌ لَطَفَلَفِي عَوَارِضِهِ الْمَشِيبُ^(١)!
أَتَسْبَى الْمُسْلِمَاتُ بِكُلِّ أَرْضٍ وَعَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِذْنُ يَطِيبُ؟!
أَمَا لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَقٌّ يُدَافِعُ عَنْهُ شُبَّانٌ وَشَيْبُ
فَقُلْ لِدَوِيِّ الْبَصَائِرِ حَيْثُ كَانُوا أَجِيبُوا اللَّهَ وَيَحْكُمُ أَجِيبُوا!

نَعَمْ، أَجِيبُوا اللَّهَ وَيَحْكُمُ أَجِيبُوا! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿اسْتَجِيبُوا لِلرَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧]، ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ

(١) أي: لدنا الشَّيبُ من عوارضه، وهي صَفَحَاتُ خَدِّهِ. انظر: «اللسان» (طفل).

وَأَمِنُوا بِهِ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزِّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ
 اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾
 [الأحقاف].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، الْخَطْبُ عَظِيمٌ، وَالْمُصَابُ جَلَلٌ، وَأَحْوَالُ الْمُسْلِمِينَ
 وَأَوْضَاعُ الْأُمَّةِ تَبَعَتْ عَلَى الْأَسَى وَالْقَلَقِ، وَجِرَاحَاتُ الْمُسْلِمِينَ وَتَزْفُ
 دِمَائِهِمْ تُصِيبُ الْمُتَابِعَ بِالْحَسْرَةِ وَالْأَرْقِ؛ أَحْوَالٌ تُشْكِي إِلَى اللَّهِ!! فِدْمَاءُ
 الْمُسْلِمِينَ أَرْخَصُ الدَّمَاءِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ
 يُقِيمُونَ الدُّنْيَا وَلَا يُعِدُّونَهَا، لَا لِأَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ يُقْتَلُ، وَإِنَّمَا لِأَنَّ شَخْصًا
 يَنْجَرُّ بِتَضَرُّيْحٍ يُحَابِي سِوَاهُمْ، أَوْ يُعَادِي مِنْهُمْ.

فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، إِلَى مَتَى الذَّلَّةُ يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ؟! إِلَى مَتَى تَظَلُّ الْأُمَّةُ
 تَتَجَرَّعُ غُصَصَ الْمَذَلَّةِ أَمَامَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ؟! مَاذَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ؟! أَيْنَ
 شُعُورُ الْجَسَدِ الْإِسْلَامِيِّ حِينَ يُصَابُ جُزْءٌ مِنْهُ؟! مَاذَا أَصَابَ خَيْرَ أُمَّةٍ
 أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؟! مَاذَا جَرَى لِأُمَّةِ الْعِزِّ وَالشَّهَامَةِ، وَأُمَّةِ النَّجْدَةِ وَالْكَرَامَةِ؟!
 إِلَى مَتَى يَظَلُّ الْإِسْلَامُ يُحَجِّمُ فِي حُدُودِ جُغْرَافِيَّةٍ، وَخَرَائِطِ سِيَاسِيَّةٍ؟! أَيْنَ
 مَوْقِعُ الْمُسْلِمِينَ فِي النِّظَامِ الدَّوْلِيِّ الْجَدِيدِ؟! أَيْنَ الصَّوْتُ الْإِسْلَامِيُّ عَلَى
 مَنَابِرِ الْعَالَمِ، وَفِي الْمَحَافِلِ الدَّوْلِيَّةِ؟! أَيْنَ مَكَانَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَرَارَاتِ
 الْعَالَمِيَّةِ؟! لِمَاذَا لَا يَكُونُ لَهُمْ وَزْنٌ وَلَا تَأْثِيرٌ؟! لِمَاذَا يَأْخُذُ الْأَعْدَاءُ زِمَامَ
 الْمُبَادَرَةِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ، بِمَا فِيهَا قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ؟! لِمَاذَا يُتْرَكُ لَهُمُ الْمَيْدَانُ

وَحَدَهُمْ، وَالْمُسْلِمُونَ يَتَمَرَّجُونَ؟! مَاذَا جَنَى الْمُسْلِمُونَ حِينَ تَقَاعَسُوا^(١)
عَنِ الْقِيَامِ بِوَأَجِبِهِمْ، وَالِدَفَاعِ عَنْ حُقُوقِهِمْ؟!!

اقْرءُوا التَّارِيخَ، وَتَأَمَّلُوا السَّيْرَ وَالْأَحْدَاثَ لَقَدْ ضَاعَتِ الْأَنْدَلُسُ
جَزِيرَةُ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ حَكَمَهَا الْمُسْلِمُونَ ثَمَانِيَةَ قُرُونٍ، مَاذَا جَنَتِ الْأُمَّةُ
جِرَاءَ التَّخَاذُلِ؟! وَلَقَدْ ضَاعَتِ فِلَسْطِينُ هِيَ الْأُخْرَى، فَهَلْ تُتْرَكُ حُصُونُ
أُخْرَى لِلضَّيَاعِ؟! وَهَلْ يُفَرِّطُ الْمُسْلِمُونَ فِي بِلَادِهِمْ؟! هَلْ تُتْرَكُ الْبُوسَنَةُ
وَالْهَرِسِكُ لِلضَّيَاعِ وَالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ، وَهِيَ تُلَاقِي الْيَوْمَ حَرْبَ إِبَادَةٍ لَمْ
يَشْهَدْ لَهَا التَّارِيخُ الْمُعَاصِرُ مَثِيلاً؟! إِنَّهَا مَأْسَاءُ بِكُلِّ الْمَقَائِسِ، وَمُعْضِلَةٌ
بِكُلِّ الْمَعَايِيرِ! فَاقْتِ الْأَوْصَافَ، يَعْجِزُ اللَّسَانُ عَنْ تَصْوِيرِ الْمَأْسَاءِ، وَيَحْفَقُ
الْجَنَانُ^(٢) عِنْدَ عَرَضِ الْأَحْدَاثِ، وَيَعْيَا الْبَيَانُ عَنِ ذِكْرِ الْمَآسِي، وَيَسْقُطُ
الْقَلَمُ مِنْ هَوْلِ الْحَقَائِقِ، وَيَقْصُرُ الْوَصْفُ عَمَّا يَحْدُثُ هُنَاكَ مِنْ إِبَادَةٍ شَامِلَةٍ،
تَحْتَ سَمْعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ!!.

هَذَا؛ وَتَشِيرُ آخِرُ التَّقَارِيرِ إِلَى أَنَّ الْوَضْعَ مُرَوِّعٌ بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ الْكَلِمَةُ
مِنْ مَعْنَى، وَأَنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ يَجِدُونَ لِإِسْدَالِ السُّتَارِ، بَعْدَ عَرَضِ آخِرِ
الْمَشَاهِدِ، فِي مُسَلْسَلِ الْقَضَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ؛ فِي صَمْتِ رَهَيْبٍ،
وَسُكُوتِ عَجِيبٍ، وَتَخَاذُلٍ مُطْبِقٍ؛ فَأَيْنَ النَّاسُ عَنْ عِظَمِ هَذِهِ الْمَأْسَاءِ؟!!

(١) تقاعسوا: تأخروا. «القاموس» (قمس).

(٢) يحفق الجنان، أي: يضطرب القلب ويتحرك. «تاج العروس» (خفق) (جنن).

أَيْنَ الْمَعْنِيُّونَ بِقَضَايَا الْأُمَّةِ وَشُؤْنِ الدَّوْلِ؟! أَيْنَ مُنْظِمَاتُ الْعَالَمِ، وَهَيئاتُهُ
الْمُتَّحِدَةُ، وَمَجْلِسُ أَمْنِهِ، وَمَحْكَمَةُ عَدْلِهِ الدَّوْلِيَّةُ؟! أَيْنَ الْمُتَبَجِّحُونَ بِرِعايَةِ
الْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ؟! وَأَخِيرًا: أَيْنَ الدَّوْلُ وَالْحُكُومَاتُ وَالشُّعُوبُ الْإِسْلَامِيَّةُ؟!

إِنَّهُ إِنْ تَخَاذَلَ هَؤُلَاءِ وَأُوْلَئِكَ ، فَإِنَّ لِإِخْوَانِنَا هُنَاكَ رَبًّا يَحْمِيهِمْ،
وَلِلْأَعْدَاءِ نَارًا تُصْلِيهِمْ! لَقَدْ قَدَّمَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْبُوسْنَةِ وَالْهَرَسِكِ حَتَّى
الآنَ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ قَتِيلٍ!! وَبَلَغَ عَدَدُ الْمُعْتَقَلِينَ مَا يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ
وَتَلَاثِينَ أَلْفَ مُعْتَقَلٍ!! وَعَدَدُ الْجَرْحَى يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ جَرِيحٍ!! أَصْبَحَ
أَكْثَرُهُمْ مُعاقًا، وَعَدَدُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْمُشْرَدِينَ مَا يَقْرُبُ مِنْ مِليُونٍ وَنِصْفِ
مِليُونٍ!! أَمَّا الْمُحَاصِرُونَ دَاخِلَ الْمُدُنِ: فَإِنَّهُمْ يَزِيدُونَ عَنْ مِليُونِ شَخْصٍ،
مُعَرَّضُونَ جَمِيعًا لِخَطَرِ الْمَوْتِ وَالْبَرْدِ وَالْجُوعِ، بَلْ إِنَّ نِصْفَ مِليُونِ مُسْلِمٍ -
لَأَسِيْمًا مِنَ الْأَطْفَالِ - مُهَدَّدُونَ بِالْمَوْتِ فِي مَوْسِمِ هَذَا الشِّتَاءِ؛ الَّذِي
تَصِلُ فِيهِ دَرَجَةُ الْبُرُودَةِ مَا بَيْنَ عَشْرِينَ وَتَلَاثِينَ دَرَجَةً تَحْتَ الصُّفْرِ!!

هَذَا؛ وَقَدْ عَمَدَ الصَّرْبُ إِلَى الْقِيَامِ بِأَعْمَالِ دَنِيئَةٍ، مِنْهَا: اغْتِصَابُ
الْفَتِيَاتِ الْمُسْلِمَاتِ؛ حَيْثُ تَمَّ حَضْرُ عَدَدِ الْمُسْلِمَاتِ الْحَوَامِلِ مِنْ جُنُودِ
الصَّرْبِ الظَّلْمَةِ، فَبَلَغَ الْعَدَدُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُسْلِمَةٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!!
وَيَذْكُرُ شُهُودُ عِيَانٍ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الصَّرْبَ الْمُجْرِمِينَ الظَّلْمَةَ، يَخْفَرُونَ فِي صَدْرِ
الْمُسْلِمِ أَوْ جَبِينِهِ صُورَةَ الصَّلِيبِ بِالسَّكَاكِينِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! - إِمْعَانًا فِي
الْكَيْدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛ كَمَا دَمَّرُوا أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْ مَسْجِدٍ!! فَأَيْنَ الْقُلُوبُ

الَّتِي تَحْتَرِقُ غَيْرَةً وَحَسْرَةً عَلَى أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ؟! أَفَّ لِعَيْنٍ لَا تَسُحُّ دَمْعًا عَلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ! وَلِقَلْبٍ لَا يَتَقَطَّعُ حَسْرَةً عَلَى هَذِهِ الْأَوْضَاعِ!! وَعَوُذُ بِاللَّهِ مِنْ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَجُمُودِ الْمَشَاعِرِ، وَتَبَلُّدِ الْأَحَاسِيسِ، وَمَوْتِ الضَّمَائِرِ!!

أُمَّةَ الْبَطُولَاتِ، أَيْنَ وَاجِبُكَ الْإِسْلَامِيُّ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَسِوَاهَا إِزَاءَ التَّخَاذُلِ الْعَالَمِيِّ؟! أَيْعِزُّ الْمُسْلِمُونَ - وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِليَارِ مُسْلِمٍ - أَنْ يُقَدِّمُوا لِإِخْوَانِهِمُ النَّصْرَةَ وَالْمَعُونَةَ؟! أَيْعِزُّ حُكَّامُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَرَارٌ يَرْمُوا بِثِقَلِهِمْ لَدَى أَصْحَابِ الْقَرَارِ، وَلَا يَكْتَفُوا بِالشَّجْبِ وَالِإِدَانَةِ وَالِاسْتِنكَارِ؟! لَقَدْ سَمِمَتِ الْأُمَّةُ عِبَارَاتِ الْإِدَانَةِ، وَمَجَّتْ كَلِمَاتِ الْاسْتِنكَارِ، وَهِيَ الْيَوْمَ تَتَطَلَّعُ إِلَى حُلُولِ عَمَلِيَّةٍ جَادَّةٍ عَاجِلَةٍ، وَخُطُواتٍ قَوِيَّةٍ جَرِيئَةٍ.

وَمَعَ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ الْقَاتِمَةِ، وَالْأَحْوَالِ الدَّاكِنَةِ، تُضِيئُ شَمْعَةٌ أَمَلٍ؛ تَتَمَثَّلُ فِي دَعْوَةِ حَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - وَفَقَهُ اللَّهِ - لِعَقْدِ مُؤْتَمَرٍ خَاصٍّ لِبَحْثِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْخَطِيرَةِ، وَلَيْسَ هَذَا بَغْرِيْبٍ عَلَى بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ، مَحَطٌّ أَنْظَارِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَلَكِنَّ الْمُهْمَّ الْمُهْمَّ: أَنْ يَتَّبَعَ ذَلِكَ الْخُطُواتِ الْعَمَلِيَّةَ لِمُقَاطَعَةِ الدَّوَلَةِ الصَّرِيَّةِ الْمُجْرِمَةِ؛ عَسْكَرِيًّا، وَسِيَاسِيًّا، وَافْتِصَادِيًّا؛ فَقَدْ حَارَبَتِ الْمُسْلِمِينَ حَرْبَ عَقِيدَةٍ، مُنْذُ مَا يُقَارِبُ خَمْسِينَ عَامًا، وَلَكِنَّ حَرْبَهَا الْيَوْمَ أَكْثَرُ قَسَاوَةً، وَأَشَدُّ ضَرَاوَةً؛ كَمَا يَجِبُ أَنْ يُرْفَعَ الطَّوْفُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ، وَأَنْ يُسْمَحَ لَهُمْ بِشِرَاءِ الْأَسْلِحَةِ لِلدَّفَاعِ عَنِ أَنْفُسِهِمْ، عَجِيبٌ كُلُّ الْعَجَبِ، وَغَرِيبٌ كُلُّ الْغَرَابَةِ!!

أَحْرَامٌ عَلَىٰ بِلَابِهِ الدَّوْ حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ؟! (١)
وَأَنْ يَزَالَ الْحِصَارُ الْإِفْتِصَادِيَّ عَنْ إِخْوَانِنَا هُنَاكَ .

فِي أَخَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، دُمْتَ مُوَفَّقًا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، مَكْلُوءًا بِرِعَايَةِ اللَّهِ .
وَيَأْمَنُ وَهَبَكُمُ اللَّهُ الثَّقَلَ الْعَالَمِيَّ، وَالْكَلِمَةَ فِي الْمَحَافِلِ الدَّوْلِيَّةِ، إِنَّ
أَوْضَاعَ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَاجُ إِلَى حُلُولِ عَمَلِيَّةٍ سَرِيعَةٍ، وَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ مَنْ يَتَصَدَّقُ
لَهَا، فَلَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَظِيمُ الْمُثُوبَةِ؛ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى مُؤْتَمَرِ قَضِيَّةِ الْبُوسَنَةِ
وَالْهَرِسِكِ، وَنُرِيدُهَا ثَانِيَةً لِلصُّومَالِ؛ فَلَيْسَتْ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ أُخْتِهَا،
وَتَالِثَةً لِبَقِيَّةِ الْقَضَايَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا نَنْسَى فِلَسْطِينَ وَالْأَقْصَى؛ حَيْثُ
الِإِنْتِهَاكَاتُ الصُّهُيُونِيَّةُ عَلَى أَشْدِّهَا؛ فَعَسَى أَنْ تُحَلَّ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ بِجِدِّيَّةٍ
عَلَى أَيْدِيكُمْ الْمُبَارَكَةِ، وَتَفُوزُوا بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ عَلَى مُوَاسَاتِكُمْ إِخْوَانَكُمْ
الْمُسْلِمِينَ! وَعَسَى أَنْ تُطَوَّى - بِإِذْنِ اللَّهِ - صَفَحَاتُ مَآسِي الْمُسْلِمِينَ فِي
كُلِّ مَكَانٍ؛ ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَامِلِينَ لِنُصْرَةِ دِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .
اللَّهُمَّ، بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ .
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

(١) البيت لأحمد شوقي، من قصيدته السينية التي عارض بها سينية البحري . انظر:
«ديوانه» (٢/٤٥).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا نَرَى
وَنَسْمَعُ وَنُشَاهِدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَقَدْ عَظُمَ الْمَطْلُوبُ، وَقَلَّ
الْمُسَاعِدُ، وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ؛ فَالْحَطْبُ عَظِيمٌ، وَالكَرْبُ زَائِدٌ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مُعَلِّمٍ، وَأَكْرَمُ مُجَاهِدٍ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَوْلِي الْفَضْلِ وَالْمَحَامِدِ، وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ الْأَمَاجِدِ،
وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِأَهْدَى السُّبُلِ وَأَصَحِّ الْعَقَائِدِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وَاعْلَمُوا أَنَّ مُسَلْسَلَ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَنْتَهِي عِنْدَ حَدٍّ؛ فَكَلِّمًا
انْتَهَتْ قَضِيَّةٌ، أَنْشَأُوا أُخْرَى، وَكَلِّمًا اسْتَوْلَوْا عَلَيَّ بَلَدٍ، هَمُّوا بِأَخْرٍ،
وَهَذَا يُجَسِّدُ مَسْئُولِيَّةَ الْوَعْيِ بِهَذَا الْمُخَطِّطِ الرَّهِيْبِ.

وَلِسَائِلُ أَنْ يَتَسَاءَلَ: وَمَا دَوْرُ الْفَرْدِ حِيَالِ هَذِهِ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ؟
وَالجَوَابُ وَاضِحٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ -: بِالذُّعَاءِ، وَالمُتَابَعَةِ، وَالإِحْسَاسِ،
وَالشُّعُورِ، وَكُلِّ بَدْوَرِهِ، وَعَلَى نَعْرِ مِنْ نُغُورِ الإِسْلَامِ، فَاللَّهُ اللَّهُ، لَا يُوتَ

الإسلام من قبله؛ ونحن مسئولون أمام الله عن قضايانا إخواننا، ولن نُعذر
أمام الله أبدًا بتقصيرنا وتخاذلنا.

وحيثما تُعرض مآسي المسلمين، فإن كثيرًا من الناس يعيشون
مآسي اللهُو والغفلة، والبُعد عن شريعة الله، ولا حلّ للمشكلات إلا
بالعودة الصادقة، والتطبيق الجاد لشرع الله، والتمسك القوي بحبل الله،
وتسخير كل الوسائل الإعلامية، والتقنيات الحديثة لخدمة هذا الدين،
والدعوة إليه، ومشكلات المسلمين - بإذن الله - سحابة صيف عمّا قريب
تنقشع، والنصر للإسلام وأهله طال الزمان أو قصر؛ ﴿والله غالب على
أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف].

هذا؛ وصلوا وسلّموا - رحمكم الله - على إمام المجاهدين،
وسيد الأولين والآخرين؛ كما أمركم بذلك رب العالمين؛ فقال
سبحانه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلّموا تسليماً﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة للهوئي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا يُخَلْفُ وَعْدُكَ، وَلَا يُهْزِمُ جُنْدُكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ بِإِذْنِ رَبِّهِ الْغُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، بِنَفْسِهِ وَسِنَانِهِ، وَمَالِهِ وَلِسَانِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى حَبِيبِكَ وَخَلِيلِكَ، وَمُصْطَفَاكَ وَرَسُولِكَ، وَعَلَى آلِهِ الشَّرِيفِ، وَصَحْبِهِ الْحَنَفِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَافْتَقَى، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَبِتَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ: تُسْتَجَلَبُ الْأَرْزَاقُ، وَيُسْتَنْزَلُ النَّصْرُ، وَتُسْتَكْشَفُ الْهُمُومُ، وَتَنْجَلِي الْغُمُومُ، وَتُسْتَمَطَّرُ الرَّحِمَاتُ، وَتُسْتَدْفَعُ الْفِتْنُ وَالْمِحْنُ وَالْكَرْبَاتُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، مِنْ مُنْطَلَقِ الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحِرْصًا عَلَى تَرْسِيخِ مَفْهُومِ الْمُوَاخَاةِ بَيْنَ بَنِي الْإِسْلَامِ، وَشُعُورًا بِمَا سَيَأْتِنَا الْإِسْلَامِيَّةَ، وَاهْتِمَامًا بِقَضَايَا الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَكُونَ الْمُسْلِمُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَحْوَالِ إِخْوَانِهِ فِي الْعَقِيدَةِ، وَاطِّلَاعًا عَلَى صَفْحَةٍ دَامِيَةٍ، وَسِلْسِلَةٍ شَائِكَةٍ، مِنْ حَلَقَاتِ الْعَدَاءِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَالصَّرَاحِ بَيْنَ مُعَسِّكِرِ الْإِيمَانِ وَالْوَثِيئَةِ - الَّذِي لَا زَالَ مُسْتَعِرِ الْأَوَارِ^(١)، مُتَّصِلِ الْحَلَقَاتِ، آخِذًا بَعْضُهُ بِزِمَامِ بَعْضٍ - عَلْنَا نُقَدِّمُ شَيْئًا يَكُونُ مَعْذِرَةً إِلَى اللَّهِ، وَجَوَابًا لِلتَّأْرِيخِ، وَلَنْ نَعْدَمَ - بِحَوْلِ اللَّهِ - آذَانًا صَاعِيَةً، وَعُقُولًا وَاعِيَةً، وَقُلُوبًا رَحِيمَةً، وَأَفْتِدَةً يَشْتَعِلُ فِيهَا فَتِيلُ الْحَمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ^(٢)، وَالغَيْرَةَ عَلَى حُرْمَاتِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتْتَهَكَةِ؛ فَيَكُونُ - مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ - الْخَيْرُ لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

لِذَلِكَ كُلِّهِ: أَسْتَسْمِحُكُمْ - إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ - أَنْ أَنْتَقِلَ بِكُمْ نَقْلَةً شُعُورِيَّةً مِنْ مَهْبِطِ الْوَحْيِ وَمَنْبَعِ الرِّسَالَةِ؛ حَيْثُ تَنْعَمُونَ بِالْأَمْنِ - لِتُحْسُوا بِمَدَى نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - إِلَى هُنَاكَ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا هُنَاكَ؟! بِلَادٌ تَقَعُ فِي أَقْصَى الْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ، تُمَثِّلُ وَادِيًا بِمِثَابَةِ وَرْدَةٍ مُتَفَتِّحَةٍ، عَلَى سُفُوحِ جِبَالِ «الْهَمَلَايَا» وَتُعَدُّ مِنْ أَجْمَلِ بِلَادِ الْعَالَمِ؛ إِذْ تَبْدُو قِطْعَةً مِنَ الْجَمَالِ الطَّبِيعِيِّ

(١) أي: متوقِّدًا ملتهبًا، والأوار: اللهب، واستعَرَ أوارُ النار: توقَّد لهيها. انظر: «تاج العروس» (سعر) (أور).

(٢) الْحَمِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ: الْغَيْرَةُ عَلَى الْإِسْلَامِ. «النهاية» و«اللسان» (حمي).

الْخَلَابِ، تُحِيطُ بِهَا الْحَدَائِقُ وَالْغَابَاتُ، وَتَفْتَرِقُهَا الْأَنْهَارُ وَالْبُحَيْرَاتُ،
 وَتَتَلَا لَأُ بِهَا التُّلُوجُ النَّاصِعَةُ فَوْقَ قِمَمِ جِبَالِهَا الشَّاهِقَةِ، وَتَكْسُوهَا الْخُضْرَةُ
 الْبَدِيعَةُ، لَكِنَّ مَعَالِمَ هَذَا الْمَشْهَدِ الْأَخَّاذِ اخْتَفَتْ، وَمَلَامِحُهُ الْمَشْهُورَةَ
 تَغَيَّرَتْ، وَتَبَدَّلَتْ فَرْحَتُهَا أَتْرَاحًا، وَبَهْجَتُهَا جِرَاحًا، وَانْقَلَبَتْ سَرَائِئُهَا
 ضَرَاءً، كَانَتْ بِالْأَمْسِ وَرَدَّةً ضَاحِكَةً، لَكِنَّهَا الْيَوْمَ تَذْرِفُ الدُّمُوعَ بَاكِئَةً،
 وَكَيْفَ لَا تَبْكِي؟! وَكَيْفَ لَا يَحِقُّ لَنَا مَعَهَا الْبُكَاءُ؟! وَقَدْ قُتِلَ رِجَالُهَا، وَعُذِّبَ
 سِبَابُهَا، وَرُمِلَتْ نِسَائُهَا، وَيَسَّمُ أَطْفَالُهَا، وَانْتَهَكَتْ أَعْرَاضُهَا، وَأُحْرِقَتْ
 أَنْعَامُهَا، وَهُدِمَتْ مَنَازِلُهَا وَمَسَاجِدُهَا، وَاجْتَسَّتْ خُضْرَتُهَا وَغَابَاتُهَا،
 وَبَدَتْ كَثِيبَةُ الْمَلَامِحِ، عَابِسَةُ الْمُحَيَّا^(١)، فَذُذِبَتْ نَضَارَتُهَا، وَتَحَوَّلَتْ
 جَحِيمًا مُسْتَعْرًا، وَمَسْرَحًا لِلْعُدْوَانِ وَالْهَمَجِيَّةِ، وَمَيْدَانًا لِلتَّعَسُّفِ وَالظُّلْمِ
 وَالْوَحْشِيَّةِ، يَتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ حُثَالَةٌ^(٢) مِنْ أَسَافِلِ الْبَشَرِ - يَكْفِي مِنْ خِسَّتِهِمْ
 أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ - فِي حَقْدِ أَعْمَى، وَصَلَفِ أَرْعَنٍ، لِكُلِّ مَا يُمِثُّ إِلَى
 الْإِسْلَامِ بِصِلَةٍ، وَلَكِنْ لِمَاذَا؟! وَالْجَوَابُ: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا
 بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج].

بَعْدَ ذَلِكَ - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - لِأَشْكَ أَنْكُمْ أَدْرَكْتُمْ بِلَادَ الْمَأْسَاءِ، إِنَّهَا

(١) الْمُحَيَّا: الوجه . «النهاية» (حيي).

(٢) الْحُثَالَةُ مِنَ النَّاسِ: رُذَالُهُمْ وَشِرَارُهُمْ، وَالْحُثَالَةُ: الرديء من كل شيء . «اللسان»
 و«تاج العروس» (حتل).

حَيْثُ يُذْبَحُ الضَّمِيرُ، عَلَى ثَرَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ: فِي «كَشْمِيرٍ».

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، كَشْمِيرُ الْمُسْلِمَةِ صَوْتٌ لَا يَسْمَعُ، وَأَنْبِنٌ لَا يَسْمَعُ،
جُرْحٌ يَنْزِفُ، وَدَمٌّ يَجْرِي، وَدَمْعٌ لَا يُكْفَكُ^(١)، غَفَلَ عَنْهَا كَثِيرٌ، وَشُغِلَ
عَنْهَا جَمٌّ غَفِيرٌ، وَتَجَاهَلَهَا الْإِعْلَامُ الْعَالَمِيُّ، وَخَذَلَهَا الْإِعْلَامُ الْإِسْلَامِيُّ -
مَعَ شَدِيدِ الْأَسْفِ - فَأَصْبَحَتْ قَضِيَّةً تَكَادُ تَكُونُ مُنْسِيَّةً مَغْمُورَةً، وَفِي ثَنَائِهَا
الْأَحْدَاثِ مَطْمُورَةً، قَلِيلٌ مَنْ يَعْرِفُ أَبْعَادَ الْمُؤَامَرَةِ تَجَاهَهَا، وَقَلِيلٌ مَنْ
يَتَفَاعَلُ مَعَ أَحْدَاثِهَا، وَيَتَابِعُ أَخْبَارَهَا، وَيُقَدِّمُ الْحُلُولَ لَهَا، فَالْمَأْسَاءُ
لَيْسَتْ وَوَلِيدَةُ الْيَوْمِ، وَلَكِنَّهَا فِي عِقْدِهَا الْخَامِسِ، فَمُنْذُ قُرَابَةِ نِصْفِ قَرْنٍ
مِنَ الزَّمَانِ، وَالْوَثْنِيُّونَ الْحَاقِدُونَ يَشْتُونَ أَبْشَعَ وَسَائِلِ الْقَمْعِ الْوَحْشِيِّ،
ضِدَّ الشَّعْبِ الْكَشْمِيرِيِّ الْمُسْلِمِ، دُونَ ذَنْبِ جَنَاهُ، وَمِنْ غَيْرِ جَرِيْمَةٍ
اِقْتَرَفَهَا، سِوَى تَمَسُّكِهِ بِعَقِيدَتِهِ وَكِرَامَتِهِ وَحُرِّيَّتِهِ، وَإِضْرَارِهِ عَلَى الْعَيْشِ
فَوْقَ أَرْضِهِ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ؛ بَلْ وَوَقْفَ الْقَرَارَاتِ الْعَالَمِيَّةِ، لَكِنَّ أَعْدَاءَ
الدِّينِ - مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ وَالْوَثْنِيَّةِ - لَمْ يَرْقُبُوا فِيهِمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً، فَلَجُّوا إِلَى
لُغَةِ الْحَدِيدِ وَالنَّارِ؛ لِابْتِلَاعِ بِلَادِ كَشْمِيرِ الْوَادِعَةِ^(٢)، وَتَصْفِيَةِ شَعْبِهَا
الْمُسْلِمِ الْأَبِيِّ؛ فَارْتَكَبُوا أَعْمَالًا وَحْشِيَّةً، وَفَعَلُوا جَرَائِمَ وَفَطَائِعَ تَتْرِيَّةً،
يَأْبَاهَا الدِّينُ وَالشَّرْفُ، وَتَرْفُضُهَا الْمُرُوءَةُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ؛ نَصَبُوا الْمَجَازِرَ

(١) أَي: لَا يُرْدُّ؛ لكَثْرَتِهِ، كَفَكَفَ دَمْعَةً: رَدَّهُ؛ لِيَجِفَّ. «اللسان» (كفف).

(٢) الْوَادِعَةُ: الْهَادِئَةُ الْمَسْتَقَرَّةُ. «اللسان» (ودع).

بِكُلِّ صَلْفٍ وَهَمَجِيَّةٍ، فِي أْبْسَعِ صُورَةٍ لِإِنْتِهَاكِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَمَعَ ذَلِكَ: فَقَدْ وَقَفَ الْعَالَمُ كُلُّهُ بِهَيْئَاتِهِ وَمُنْظَمَاتِهِ، وَوَكَالَاتِ أُنْبَاءِهِ وَوَسَائِلِ إِعْلَامِهِ، فِي حَالَةٍ صَمْتٍ مُطْبِقٍ، وَسُكُوتٍ مُحَيَّرٍ، وَتَخَاذُلٍ رَهِيْبٍ، وَسُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ! مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ حَصَلَ مِعْشَارُ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُونَ لُغَةً مَا^(١)، وَيَتَحَلَّلُونَ بِسُخْنَةٍ مَا^(٢)؟! لَكِنَّ يَنْقُضِي عَجَبُكَ فِي وَقْتِ الصَّرَاعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَالتَّقَلُّبَاتِ الْاِفْتِصَادِيَّةِ وَالْاِجْتِمَاعِيَّةِ، وَالتَّغْيِيرَاتِ الْعَالَمِيَّةِ!.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ، لَقَدْ ارْتَكَبَ الْهِنْدُوسُ الْوَتَيْتُونَ - فِي الْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ عَامَّةً، وَفِي كَشْمِيرٍ خَاصَّةً - جَرَائِمَ يَنْدَى لَهَا الْجَبِينُ^(٣)؛ فَكَمْ مِنْ مُسْنٍ بِحَاجَةٍ إِلَى الرَّعَايَةِ وَالْعِنَايَةِ، ضَرَّجُوهُ بِدِمَائِهِ^(٤)! وَكَمْ مِنْ امْرَأَةٍ تَكَلَّى، أَفْقَدُوهَا زَوْجَهَا وَوَلَيْدَهَا! وَكَمْ مِنْ طِفْلِ بَرِيءٍ يَحْتَاجُ لِمَسَّةِ حَنَانٍ، وَدَفْقَةِ عَطْفٍ وَشَفَقَةٍ، أَفْقَدُوهُ أُمَّهُ الرَّءُومَ وَأَبُوَّتَهُ الْحَانِيَّةَ!

وَهَا هِيَ كَشْمِيرُ الْآنَ تَقِفُ عَلَيَّ فُوْهَةً^(٥) بُرْكَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَنْفَجِرَ؛

(١) أي: غير اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

(٢) السُّخْنَةُ - بفتح السين، وقد تكسر -: الهيئة واللون والحال، وَسُخْنَةُ الرَّجُلِ: حُسْنُ شَعْرِهِ وَدِيْبَاجَتِهِ. «اللسان» (سحن).

(٣) نَدِي الْجَبِينِ يَنْدَى نَدَى، أي: عَرِقَ حَيَاءً. «أساس البلاغة» و«اللسان» (ندي).

(٤) أي: لَطَّخُوهُ بِهَا. «اللسان» (ضرج).

(٥) الْفُوْهَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: فَمَةٌ وَأَوْلُهُ. «اللسان» (فوه).

فَيَقْضِي عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَاسِ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ هُنَاكَ مُضْطَرِّمٌ، وَالْوَضْعُ فِي حَالَةِ غَلْيَانِ مُرُوعٍ، وَالشَّارِعُ الْكَشْمِيرِيُّ تَغَيَّرَتْ مَعَالِمُهُ؛ فَأَصْبَحَ مَسْرَحًا لِلْكَمَائِنِ وَالْغَارَاتِ الْمُسْتَمِرَّةِ، وَالْمَنَازِلُ تَحَوَّلَتْ إِلَى تُكْنَاتٍ^(١) عَسْكَرِيَّةٍ، وَوَصَلَتْ انْتِهَاكَاتُ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ إِلَى دَرَجَةٍ مُذْهِلَةٍ؛ فَقَدْ تَعَطَّلَ النِّظَامُ، وَأَنْهَارَ الْإِفْتِصَادُ، وَمُنِعَ وَصُولُ الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ وَالطَّبِيَّةِ، وَفَرِضَ حَظْرُ التَّجَوُّلِ بِاسْتِمْرَارٍ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ إِخْفَاءِ الْمَأْسَاةِ، وَتَعْنِينِهَا عَلَى الرَّأْيِ الْعَالَمِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَتَتَحَدَّثُ آخِرُ الْإِحْصَاءَاتِ الْمُؤْتَقَّةِ عَنْ أَرْقَامٍ، لَوْلَا أَنَّهَا حَقَائِقٌ ثَابِتَةٌ، لَعَدَّتْ مِنْ ضُرُوبِ الْخِيَالِ وَالْمُبَالِغَةِ؛ فَقَدْ بَلَغَ عَدْدُ الضَّحَايَا قُرَابَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفٍ مُسْلِمٍ! وَتَمَّ اعْتِقَالُ ضِعْفِ ذَلِكَ! وَشَرَّدَ زُهَاءُ مِائَةِ أَلْفِ أُسْرَةٍ!! وَانْتَهَكَ عِرْضُ أَكْثَرِ مِنَ أَلْفِي امْرَأَةٍ!! وَبُقِرَتْ بَطُونَ أَكْثَرَ مِنْ سِتْمِائَةِ بَرِيئَةٍ!! وَأُحْرِقَتْ آلَافُ الْبُيُوتِ وَالْمَزَارِعِ!! وَدُمِّرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدَارِسِ وَالْمَسَاجِدِ!! وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا تَشْعُرُ مِنْ هَوْلِهِ الْأَبْدَانُ، وَكَأَنَّ الْأَمْرَ دَبَّرَ بَلِيلٌ؛ فَيَا لَذَلِّ الْأُمَّةِ!! وَيَا لِلْخِزْيِ وَالْعَارِ الَّذِي حَلَّ بِهَا!! كَمْ مِنْ هَمٍّ يَتَرَبَّعُ عَلَى نَاصِيَةِ الْقَلْبِ الْمُعْنَى^(٢)، وَيَقُودُ زِمَامَهُ!! وَكَمْ مِنْ دَمْعَةٍ حَرَّيْ تَحُطُّ وَسَمًّا عَلَى الْوُجُوهِ الْمُتَأَلِّمَةِ لِأَوْضَاعِ أُمَّتِنَا الْمَأْسَاوِيَّةِ!! وَكَمْ

(١) تُكْنَاتُ الْجُنْدِ وَتُكْنُهُمْ: مَرَازِمُهُمْ، وَاحِدَتُهَا: تُكْنَةٌ. «اللسان» (ثكن).

(٢) الْقَلْبُ الْمُعْنَى، أَي: الْمَهْمُومُ الْمُتَعَبُّ. انظر: «اللسان» (عني).

تَعَالَتْ صَيِّحَاتُ الْحَطْرِ، وَارْتَفَعَتْ رَايَاتُ التُّذْرِ! وَلَكِنْ كَمَا قِيلَ:
فَلَا الْأَذَانُ أَذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ إِذَا تَعَالَى وَلَا الْأَذَانُ أَذَانُ!

أَيْنَ الْغَيْرَةُ وَالْحَمِيَّةُ؟! وَأَيْنَ النَّحْوَةُ^(١) وَالْمُرُوءَةُ؟! وَلَكِنَّا نَحْشَى
أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِمْ:

مَرَزْتُ عَلَى الْمُرُوءَةِ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ عَلَامَ تَنْتَحِبُ الْفَتَاةُ؟
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي جَمِيعًا دُونَ خَلْقِ اللَّهِ مَا تَأُو

فَهَا هِيَ كَشْمِيرُ تَنَادِي وَتَسْتَعِيثُ، وَلَكِنْ هَلْ مِنْ مُجِيبٍ وَمُعِيثٍ؟!
هَلْ مَنْ يَسْمَعُ صَوْتِ وَإِسْلَامَاهُ، وَامُعْتَصِمَاهُ؟! هَلْ مِنْ مُعْتَصِمٍ يَجُودُ
الزَّمَانُ بِهِ؟! وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ فِي تَصْوِيرِ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ:

كَشْمِيرُ مَالِي أُعَانِي الْحُزْنَ وَالْأَلَمَا وَالْحَطْبُ^(٢) أَعْيَابِي الْأَقْلَامَ وَالْكَلِمَا
وَعَالَمُ الْيَوْمِ أَلْقَاهُ بِلَا نَظَرٍ وَقَدْ أَقَامَ عَلَى آذَانِهِ صَمَمًا
إِنْ كَانَ لِلْحَقْدِ أَرْبَابٌ وَمَعْلَمَةٌ فَمَا الْهِنْدُوسُ سِوَى أَرْبَابِهِ اللَّؤْمَا
يَا أَهْلَ كَشْمِيرِ إِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ فَوَاصِلُوا دَرْبَكُمْ وَاسْتَنْهَضُوا الْهِمَمَا
قُلُوبِنَا مَعَكُمْ وَالْمَالُ نَبْذُلُهُ وَدُونَ أَجْرٍ نُحِذُّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَا
فَالدِّينُ يَجْمَعُنَا إِنْ فَرَّقَتْ لُغَةٌ وَالشُّوقُ لِلْحُورِ قَلْبًا صَادِقًا وَفَمَا
فِي أَيُّهَا السَّاسَةُ وَالْقَادَةُ، وَيَا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَالْمُصْلِحُونَ، وَيَا أَيُّهَا

(١) النَّحْوَةُ: الفخر والعظمة. «اللسان» (نخو).

(٢) الْحَطْبُ: واحد الخطوب، وهو الأمر تقع فيه المخاطبة. «تاج العروس» (خطب).

الأثرياء والغيورون، ويا أيها الإعلاميون، ما لكم صامتين، وعن نصرة
إخوانكم مُحجّمين؟!!

إنّ الوضع هناك يتطلّب حُلُولاً عاجلةً، وجُهوداً فورِيَّةً من الهيئات
العالمية، والحكومات الإسلامية، والمنظمات الإغاثية.

فهل من غضبة لله، وغيره على دينه، ووقفه عند حدوده، ونصرة
لأوليائه؟! وهل من درة عمريّة^(١)، وغضبة مضرية^(٢)، وحمية دينية؟!!

إنّ كلّ الغيورين من أبناء المسلمين، ليستكروا الوسائل القمعية^(٣)
الوثنية ضدّ إخوانهم في كشمير، ويهيّبون^(٤) بحكومات الدول
الإسلامية والعالمية، وكافة الشعوب والمنظمات الدولية والإسلامية، أن
يهبوا جميعاً لنصرة الشعب الكشميري المضطهد الأبي، ويقفوا مع
إخوانهم المجاهدين في كشمير، ويمدّوهم بالدعاء والمال، والعتاد
والرجال، وأن يكتفوا جهودهم وضغوطهم على كافة المنظمات الدولية؛

(١) الدرّة، بالكسر: درة السلطان التي يضرب بها، والجمع درر. «تاج العروس»
(درر)، والدرّة العمرية: نسبة إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

(٢) الغضبة المضرية: نسبة إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهذا من قول
القحيف بن عمير:

إذا ما غضبنا «غضبة مضرية» هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما

انظر: «اللسان» (غشم) (حجب)، و«تاج العروس» (حجب).

(٣) القمعية: نسبة إلى القمع، وهو القهر والذل. «اللسان» (قمع).

(٤) يقال: أهأب به يهيّب، أي: دعاه. «اللسان» (هيّب).

حَتَّىٰ يَعودَ لِلشَّعبِ الكَشْمِيرِيِّ حَقُّهُ المَشْرُوعُ، وَيَسْلَمَ مِنَ القَمَعِ وَالإِحتِلالِ
الوَيْبِيِّ لِخَيْرَاتِهِ وَمُقَدَّرَاتِهِ، وَاللهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَعَانُ!
بَارِكْ اللهُ فِي جُهودِ العَامِلِينَ، وَسَدِّدِ الخُطَا عَلَيَّ دَرَبِ العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ؛
﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَيَّ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف].
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَخَالِقِ النَّاسِ مِنْ تُرَابٍ،
أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، مُنْزِلُ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمُ الْأَحْزَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ نَبِيٍّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ خَيْرُ كِتَابٍ، فَسَنَّ السُّنَنَ، وَبَيَّنَّ
الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ آلٍ
وَأَفْضَلِ أَصْحَابِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَعَلِمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ وَاجِبًا مُنَاطًا بِعَوَاتِقِكُمْ^(١)
فِي قَضِيَّةِ إِخْوَانِكُمْ هُنَاكَ، فَأَمِدُّوهُمْ بِدُعَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ الْمِحْنَةَ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا كَشْمِيرُ الْمُسْلِمَةِ، تَتَطَلَّبُ
مِنَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَامَّةً، وَالْمُنْتَظَمَاتِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْإِغَاثِيَّةِ خَاصَّةً: أَنْ تَهْتَمَّ
بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ السَّاخِنَةِ، وَأَنْ تُؤَلِّيَهَا عِنَايَةً فَائِقَةً، فَقَدْ طَالَ لَيْلُ ظَلَامِهَا، وَزَمَنُ
السُّكُوتِ عَنْ مُعَانَاتِهَا، وَإِنَّ أَنْظَارَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ لَتَتَطَلَّعُ إِلَى دَوْلَتَيْنِ

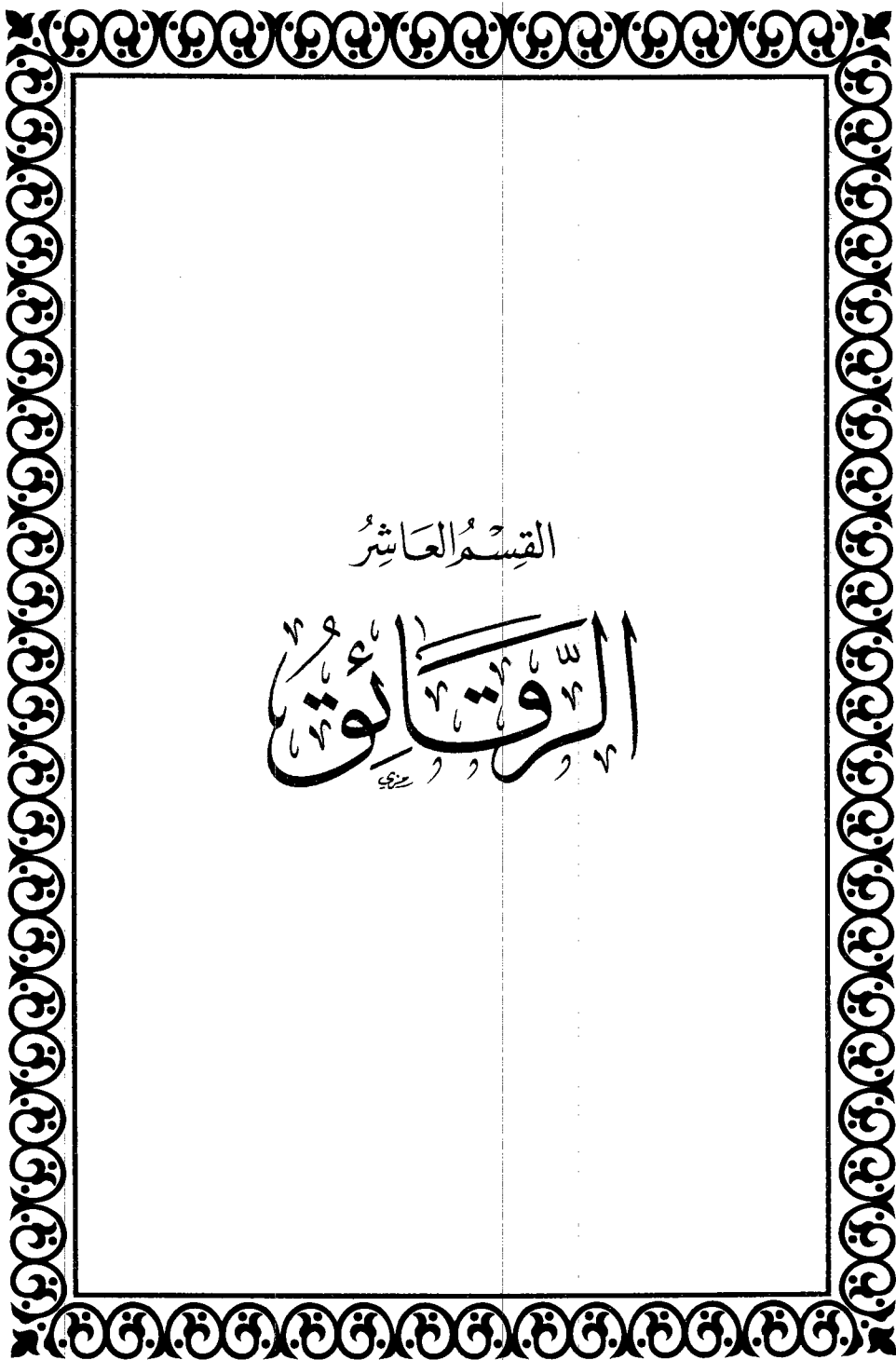
(١) أي: معلقًا بها؛ نقول: أناط الأمر بفلان: علقه به، وعهد به إليه. «تاج العروس»
(نوط).

عَظِيمَتَيْنِ، لُهُمَا ثِقَلُهُمَا السِّيَاسِيُّ وَالِدَوْلِيُّ، وَوَزْنُهُمَا الشَّعْبِيُّ وَالْعَالَمِيُّ،
هُمَا: دَوْلَةُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - حَرَسَهَا اللهُ - وَدَوْلَةُ بَاكِسْتَانَ الْإِسْلَامِيَّةُ،
فَلَقَدْ كَانَ لَهُمَا - وَلَا يَزَالُ بِحَمْدِ اللهِ - دَعْمٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْقَضَايَا الْإِسْلَامِيَّةِ،
وَتَكَلَّلَتْ - بِحَمْدِ اللهِ - بِالتَّوْفِيقِ، فَأَوْلَوْا كَشْمِيرَ الْإِسْلَامِيَّةِ مَزِيدَ عِنَايَةٍ؛
فَهَذِهِ الْبِلَادُ - الْمَحْرُوسَةُ بِقِيَادَتِهَا وَشَعْبِهَا - لَهَا الْقَدْحُ الْمُعَلَّى فِي نُصْرَةِ
قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، جَعَلَهُ اللهُ فِي مَوَازِينِهَا، وَقَدْ كَانَ لَهَا مَعَ شَقِيقَتِهَا
الْمُسْلِمَةِ دَوْلَةِ بَاكِسْتَانَ الْفَضْلُ - بَعْدَ اللهِ - فِي تَخْفِيفِ مُعَانَاةِ الشَّعْبِ
الْأَفْغَانِيِّ الْمُسْلِمِ، فَلْيَكُنْ لِلشَّعْبِ الْكَشْمِيرِيِّ مَا كَانَ لِجَارِهِ الْأَفْغَانِيِّ؛
إِسْهَامًا فِي تَخْفِيفِ مَأْسَاتِهِ، وَسَعْيًا لِنَيْلِ حُرِّيَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ.

وَلِتَعْلَمُوا - يَا رِعَاكُمُ اللهُ - أَنَّهُ وَإِنْ بَلَغَ مَكْرُ الْأَعْدَاءِ مَا بَلَغَ، فَإِنَّ اللهُ
بِفَضْلِهِ وَعَوْنِهِ - مُظْهِرٌ دِينَهُ، وَنَاصِرٌ أَوْلِيَاءَهُ؛ فَمَعَ كُلِّ هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الدَّاكِنَةِ،
تَكَوَّنَتْ فِي كَشْمِيرِ الْمُجَاهِدَةِ: انْتِفَاضَةٌ جِهَادِيَّةٌ، وَحَرَكَاتٌ إِصْلَاحِيَّةٌ،
يَقُومُ عَلَيْهَا رِجَالٌ - نَحْسَبُهُمْ وَلَا نُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا - حَرِيصِينَ كُلَّ
الْحَرِصِ عَلَى رَدِّ الْمُعْتَدِي، وَنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ، وَلَا تَزَالُ - بِحَمْدِ اللهِ -
تُحَقِّقُ نَصْرًا إِثْرَ نَصْرٍ، وَتَتَقَدَّمُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، لِكِنَّهَا تَظَلُّ بِحَاجَةٍ إِلَى
مُسَانَدَةٍ فِعْلِيَّةٍ: إِمَّا عَنْ طَرِيقِ كِفَالَةِ يَتِيمٍ، أَوْ بِنَاءِ مَسْجِدٍ أَوْ مَدْرَسَةٍ، أَوْ
جُهْدِ عَقْدِيٍّ، أَوْ دَعْوِيٍّ، أَوْ إِعَاشِيٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَطَرِيقُ التَّعَرُّفِ عَلَى

تَفَاصِيلِهِ مَرْجِعُهُ الْجِهَاتُ الرَّسْمِيَّةُ وَالْخَيْرِيَّةُ، بِحَمْدِ اللَّهِ .
هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، وَالسَّرَاحِ الْمُنِيرِ؛
كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *



القِسْمُ العَاشِرُ

القَف



النَّظْمَةُ لِلَّهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، نَحْمَدُهُ
تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ وَالْخَطِيئَاتِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، غَفَّارُ الذُّنُوبِ، وَسَتَّارُ الْعُيُوبِ،
وَقَابِلُ التَّوْبَةِ مِمَّنْ يَتُوبُ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ كَرِيمٍ تَوَّابٍ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ
كُلَّ مُتَطَهِّرٍ أَوْابٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ
وَخَلِيلُهُ، سَيِّدُ الْمُسْتَغْفِرِينَ وَالتَّائِبِينَ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، اللَّهُمَّ
صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ،
وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَّ مَا ابْتُلِيَتْ بِهِ النَّفْسُ: الْغَفْلَةُ، وَأَشَدُّ مَا أُصِيبَتْ بِهِ
الْقُلُوبُ: الْقَسْوَةُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ لِهَذِهِ الْأَدْوَاءِ أَسْبَابًا كَثِيرَةً، يَرْجِعُ حَاصِلُهَا
إِلَى مُوَاقَعَةِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ؛ فَهِيَ: أَكْبَرُ حِجَابٍ عَنِ الْمَحْبُوبِ، وَلَا

رَيْبَ أَنَّ الْإِنْصِرَافَ عَمَّا يُبْعَدُ عَنِ الْمَحْبُوبِ أَمْرٌ وَاجِبٌ، وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْبَشَرَ ضَعْفَاءُ مُقْصِرُونَ، وَأَنَّ كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَاءُونَ، وَلَهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ مِنْ دَاخِلِ نَفْسِهِمْ وَخَارِجِهَا مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى مُوَاقَعَةِ الشَّهَوَاتِ، وَارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ، مِمَّا هُمْ مَعَهُ مُعَرَّضُونَ لِلْخَطَرِ دَائِمًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ شَأْنُهُ - وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ، الرَّءُوفُ بِخَلْقِهِ - قَدْ جَعَلَ لَهُمْ حِصْنًا حَصِينًا مِنَ الذُّنُوبِ، وَسَدًّا مَنِيعًا، وَدِرْعًا وَاقِيًا مِنَ الْخَطَايَا، ذَلِكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - هُوَ: «الْإِنَابَةُ وَالتَّوْبَةُ، وَالِاسْتِغْفَارُ وَالْأُوبَةُ».

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ اسْتِرْسَالَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي اقْتِرَافِ الْمَعَاصِي، وَاسْتِمْرَانِهِمْ^(١) الْوُقُوعَ فِي الذُّنُوبِ - أَمْرٌ عَظِيمٌ الْمَوْقِعِ، وَخِيمٌ الْمَرْتَعِ، شَدِيدُ الْخَطَرِ عَلَى النَّفُوسِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ، فَكُلُّ بَلَاءٍ وَفِتْنَةٍ، وَمُصِيبَةٍ وَمِخْنَةٍ، حَصَلَتْ لِلْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ - فَسَبَبُهَا الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى].

وَإِنَّهُ لِيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَبْدَأَ جَادًّا فِي إِصْلَاحِ نَفْسِهِ، وَتَغْيِيرِ مَجْرَى حَيَاتِهِ، وَحَيَاةِ أُسْرَتِهِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى الْخَيْرِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ التَّقْرِيطِ وَالتَّهَاوُنِ وَالِإِضَاعَةِ، إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالطَّاعَةِ؛ هَذَا إِنْ

(١) يقال: استمرأ الشيء، أي: وجده مريبًا، والمريء: الهنيء حميد المعبة. (اللسان) و«تاج العروس» (مرأ).

رُمنَّا صَلَاحَ الْأَوْضَاعِ، وَنَشَدْنَا اسْتِقْرَارَ الْأَحْوَالِ وَأَمَّنَ الْأَصْقَاعَ، وَقَدْ قَالَ
 سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وَإِذَا
 كَانَ الْعَبْدُ لَا يَذِرُنِي مَتَىٰ يَفْجُوهُ الْأَجَلُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَىٰ يُبَاغِتُهُ الْمَوْتُ - فَإِنَّ
 الْكَيْسَ السَّعِيدَ، مَنْ وَفَّقَ لِلسَّيْرِ فِي دَرْبِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالصَّلَاحِ؛
 لِيَحْصُلَ لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ الْخَيْرُ وَالْفَلَاحُ، وَالتَّوْفِيقُ وَالنَّجَاحُ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ وَالْعَقِيدَةَ، إِنَّ حَاجَةَ الْعَبْدِ إِلَى التَّوْبَةِ حَاجَةٌ مُلِحَّةٌ فِي
 كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِحِ حَيَاتِهِ؛ لِأَنَّهَا طَرِيقُ النَّجَاةِ وَسَبَبُ الْفَلَاحِ، وَقَدْ عَلَّقَ
 الْمَوْلَى - جَلَّ وَعَلَا - ذَلِكَ بِهَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ - أَمْرًا عِبَادَهُ بِالتَّوْبَةِ، مُبَيِّنًا
 لَهُمْ آثَارَهَا -: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢١﴾
 [النور]، وَحَكَمَ سُبْحَانَهُ بِالظُّلْمِ عَلَى الْمُعْرِضِينَ عَنِ التَّوْبَةِ؛ لِجَهْلِهِمْ بِحَقِّ
 رَبِّهِمْ، وَعَمَاهُمْ عَنْ عُيُوبِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَفَاتِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَقَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، هَا هُوَ مَوْلَاكُمْ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، يُنَادِيكُمْ بِندَاءِ الْإِيمَانِ؛
 لِتَفِيئُوا إِلَى رِحَابِ التَّوْبَةِ، وَلِتَسْتَظِلُّوا بِدَوْحَةِ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ، بَعِيدًا عَنْ
 سُؤْمٍ (١) الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَلِيَحْصُلَ لَكُمْ تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ، وَدُخُولُ
 الْجَنَّاتِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ

(١) السُّؤْمُ: خِلاَفُ الْيُمْنِ. «اللسان» (شأم).

عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿التَّحْرِيمُ: ٨﴾ .

وَكَمَا تَتَأَمَّلُونَ - يَارِعَاكُمْ اللهُ - فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ شَرَطَ لِلتَّوْبَةِ الَّتِي
يَخْضَلُ بِهَا دُخُولُ الْجَنَّةِ - بِرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ - أَنْ تَكُونَ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَلِنَسْتَمِعَ -
رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ - لِمَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ - رَحِمَهُمُ اللهُ - فِي بَيَانِ هَذَا
الْمَعْنَى الْمُهْمِّ:

يَقُولُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -:
«التَّوْبَةُ النَّصُوحُ: أَنْ يَتُوبَ مِنَ الذَّنْبِ، ثُمَّ لَا يَعُودَ إِلَيْهِ كَمَا لَا يَعُودُ اللَّبَنُ فِي
الضَّرْعِ»^(١).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «هِيَ: أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ نَادِمًا
عَلَى مَا مَضَى، مُجْمِعًا عَلَى الْأَيَّاعُودِ إِلَيْهِ»^(٢).

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: «أَنْ تَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَتَنْدَمَ بِالْقَلْبِ، وَتُمْسِكَ
بِالْبَدَنِ»^(٣).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «يَجْمَعُهَا - أَيُّ: التَّوْبَةُ - أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الْإِسْتِغْفَارُ
بِاللِّسَانِ، وَالْإِنْقِطَاعُ بِالْأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعَوْدِ بِالْجَنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ

(١) «تفسير الطبري» (١٢/١٥٨)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (١/٣٠٩).

(٢) «مدارج السالكين» (١/٣٠٩).

(٣) «مدارج السالكين» (١/٣٠٩).

سَيِّءِ الْإِخْوَانِ» (١).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ سُورَةِ التَّحْرِيمِ: «أَيُّ: تَوْبَةٌ صَادِقَةٌ جَازِمَةٌ، تَمْحُو مَا قَبْلَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَتَلْمُ شَعَثَ (٢) التَّائِبِ وَتَجْمَعُهُ، وَتَكْفُهُ عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الذَّنَائَاتِ» (٣).

وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «التُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ: تَعْمِيمُ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، وَاسْتِغْرَاقُهَا بِهَا، وَالثَّانِي: إِجْمَاعُ الْعَزْمِ وَالصَّدْقُ بِكَلِمَتِهِ عَلَيْهَا، وَالثَّلَاثُ: تَخْلِيصُهَا مِنَ الشَّوَابِ وَالْعِلَلِ الْقَادِحَةِ فِي إِخْلَاصِهَا» (٤).

وَبِهَذَا تَبَيَّنَ لَكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - شُرُوطُ التَّوْبَةِ، وَأَنَّهَا عَظِيمَةُ الْقَدْرِ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ كَلِمَاتٍ مُجَرَّدَةٍ، وَالْفَاظُ مُعْتَادَةٌ تَجْرِي عَلَى الْأَلْسِنَةِ دُونَ فَهْمٍ وَتَحْقِيقٍ لِمَدْلُولِهَا، وَدُونَ عَمَلٍ وَتَطْبِيقٍ لِمُقْتَضَاهَا؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِ شُرُوطِهَا، وَانْتِفَاءِ مَوَانِعِهَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الْفَوْرِ؛ لِذِلَالَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَلِأَنَّ الذُّنُوبَ مُهْلِكَاتٌ مُبْعِدَاتٌ عَنِ اللَّهِ؛ فَيَجِبُ الْهَرَبُ وَالْحَذَرُ

(١) «مدارج السالكين» (١/٣١٠).

(٢) الشَّعَثُ: انتشار الأمر وَخَلَلُهُ. «اللسان» (شعث).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١٦٨/٨).

(٤) «مدارج السالكين» (١/٣١٠).

مِنْهَا، وَسَوَاءٌ أَكَانَتْ الذُّنُوبُ مُتَعَلِّقَةً بِحُقُوقِ اللَّهِ، أَمْ بِحُقُوقِ عِبَادِ اللَّهِ: فَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ مُفْرَطًا فِي عِبَادَةٍ، قَضَاهَا. أَوْ مَظْلَمَةً، أَدَاهَا. أَوْ وَقَعَ فِي غِيْبَةٍ أَخِي لَهُ، اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا. أَوْ اغْتَصَبَ مَالًا أَوْ حَقًّا لِأَخُوَانِهِ، رَدَّهُ إِلَيْهِمْ؛ لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ؛ مِنْ مَالٍ، أَوْ عَرْضٍ، فَلْيَأْتِهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أَخَذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لِصَاحِبِهِ، وَإِلَّا أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ» (١).

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ - بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحًا لِعِبَادِهِ، مَهْمَا عَظُمَتْ سَيِّئَاتُهُمْ، وَكَبُرَتْ خَطِيئَاتُهُمْ، وَارْتَكَبُوا الْعِظَائِمَ وَالْقَوَاصِمَ (٢)، مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْمَآثِمِ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ الْغَفُورُ التَّوَّابُ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ - بَعْدَ ذِكْرِ عُقُوبَةٍ عَدَدٍ مِنَ الْكِبَائِرِ؛ كَالشُّرْكِ، وَالْقَتْلِ، وَالرِّزْوِ -: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان].

(١) تقدّم تخريجه (ص ٣٢٥).

(٢) القواصم: جمع قاصمة؛ من «قَصَمَ الشَّيْءُ» أي: كسره وأبانه؛ يقال: نزلت به قاصمة الظهر. «تاج العروس» (قصم).



وَقَدْ عَرَضَ اللَّهُ التَّوْبَةَ عَلَى الْمُثَلَّثَةِ الْمُكَذِّبَةِ لِرُسُلِ اللَّهِ، الْقَائِلِينَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَمَعَ ذَلِكَ دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ؛ فَقَالَ

سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المائدة: ٧٤]، فَمَا أَوْسَعَ حِلْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ! وَمَا أَعْظَمَ فَضْلَهُ وَنَوَالَهُ!

يُوكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ

أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَن يَكُنِ اللَّهُ لِمَن يَصِرُوا

عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَلُونَ فِيهَا الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]،

[١٣٦]، وَقَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ

يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فَهَيِّبْنَا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَيَا بَشْرَى لَكُمْ أَيُّهَا التَّائِبُونَ! تَحْسِنُونَ

فَتَتَابُونَ، وَتُسَيِّئُونَ فَتَسْتَغْفِرُونَ؛ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ، وَتَذُنُّونَ فَتَتُوبُونَ؛ فَيَتُوبُ

اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ فَتَحَ بَابَهُ لَكُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا؛ فَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، عَنْهُ

ﷺ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ: «يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ

بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١)، وَحِينَ

يَنْزِلُ سُبْحَانَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ،

(١) رواه مسلم (٢٧٥٩)؛ من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَى سَاحَاتِ كَرَمِهِ، وَمِيَادِينِ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَيَقُولُ تَعَالَى: «هَلْ مِنْ مُسْتَعْفِرٍ فَأَعْفِرَ لَهُ؟! هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟!»^(١).

وَكَيْفَ تَتَصَوَّرُونَ- يَا عِبَادَ اللَّهِ- فَرِحَ رَجُلٌ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ فِي صَحْرَاءٍ قَاحِلَةٍ، وَفَقَدَ بَعِيرَهُ فِي أَرْضِ فَلَاحٍ، وَمَفَازَةٍ مُهْلِكَةٍ، وَقَدْ انْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَجَدَّ فِي طَلِبِهَا حَتَّى آيَسَ مِنْهَا، وَأَخَذَ مِنْهُ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَالْجَهْدُ كُلَّ مَا خَذَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَمُوتَ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ وَجَدَهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، كَيْفَ تَتَصَوَّرُونَ فَرِحَتُهُ بِرَاحِلَتِهِ؟! فَاللَّهُ- جَلَّ وَعَلَا- أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ! كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ الدُّنُوبَ مَهْمَا عَظُمَتْ، فَعَفُو أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ أَعْظَمُ، وَإِنَّ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ ذُنُوبَهُ لَا يَتَّسِعُ لَهَا عَفْوُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنًّا سَوِيًّا؛ هَذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ تِسْعًا وَتَسْعِينَ نَفْسًا، ثُمَّ أَكْمَلَ الْمِائَةَ بِرَجُلٍ عَابِدٍ، وَلَمَّا جَاءَ تَائِبًا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَشَمِلَهُ بِرَحْمَتِهِ؛ كَمَا وَرَدَتْ قِصَّتُهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣).

(١) رواه أحمد (٤٣٣/٢)، والبخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري» (٦٣٠٩)، و«صحيح مسلم» (٢٧٤٧).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٤٧٠)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٦).

وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَتَعَلَّقَ أَقْوَامٌ بِنُصُوصِ الْوَعْدِ، وَيُغْلَبُوا
جَانِبَ الرَّجَاءِ، وَيَعْتَمِدُوا عَلَى سَعَةِ عَفْوِ اللَّهِ، مُحْتَجِّينَ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ،
فَيَتِمَادُونَ فِي الْمَعَاصِي، وَيَسُونُ الْعُقُوبَةَ، وَيَغْرُهُمْ طُولُ الْأَمَلِ؛ فَهَذَا
أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

فَالْوَاجِبُ: الْمُبَادَرَةُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَتَرْكُ التَّسْوِيفِ؛ فَإِنَّ تَأْخِيرَ التَّوْبَةِ
هُوَ - بِحَدِّ ذَاتِهِ - ذَنْبٌ يَسْتَحِقُّ التَّوْبَةَ؛ كَيْفَ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَخْشَى أَنْ يُحَالَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَتَمُوتُهُ فَيَنْدَمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ؟! وَقَدْ
حَذَّرَ الْمَوْلَى - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى
اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ
يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء].

فَالْيَ مَتَى الْعَفْوَ، يَا عِبَادَ اللَّهِ! ﴿١٩﴾ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]؟! يَا أَيُّهَا التَّارِكُونَ لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ؛ مِنْ
صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصَلَاةٍ، الْمُرتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ شِرْكَ، أَوْ تَرْكٍ لِلصَّلَاةِ، أَوْ
تَسَاهُلٍ فِيهَا، أَوْ وَقُوعٍ فِي دَمٍ، أَوْ عَرَضٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ مُسْكِرٍ، أَوْ مُخَدَّرٍ،
أَوْ قَطِيعَةٍ وَعُقُوقٍ وَسُوءِ خُلُقٍ، أَوْ عُكُوفٍ عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّغْوِ، بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ

قَبْلَ أَنْ يُوَارِيَكُمْ الثَّرَى، وَيَسْرِي بِكُمْ الْبَلَى، وَتَكُونُوا جُثَا هَامِدَةً، وَجِيفًا
بَالِيَةً؛ لَا يَنْفَعُكُمْ - حِينَئِذَكَ - إِلَّا عَمَلُكُمْ الْمَتَّوِّجُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْإِنَابَةِ
الصَّادِقَةِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿٥٧﴾ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿٥٨﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٦٠﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى
مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٦١﴾ [الزمر].

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، وَأَعِزَّنَا مِنَ الْغَفْلَةِ، وَاعْصِمْنَا مِنَ
الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ ﴾ [غافر]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا نِدَّ لَهُ سُبْحَانَهُ وَلَا شَبِيهَهُ، وَلَا مِثْلَ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ، وَالسَّرَاجُ الْمُنِيرُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ تَابِعٍ مُسْتَنِيرٍ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ، وَاحذَرُوا صَغَائِرَ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهَا بَرِيدٌ إِلَى الْكِبَائِرِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهِنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الْعَبْدِ حَتَّى يُهْلِكَنَّهُ؛ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبَرُ، عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - (١) وَلَيْكُنْ لَكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي نَبِيِّكُمْ الْمُصْطَفَى ﷺ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهُوَ الَّذِي قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهُوَ أَخَوْفُ خَلْقِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، وَأَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ - يَعُدُّ لَهُ أَصْحَابُهُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»؛ كَمَا فِي حَدِيثِ

(١) رواه الطيالسي (٤٠٠)، وعنه أحمد (١/٤٠٢-٤٠٣)؛ من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه.



ابن عمر - رضي الله عنهما - عند الإمام أحمد، وغيره^(١)، وقد ورد في الحديث الصحيح؛ أنه ﷺ قال: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» - صلوات الله وسلامه عليه - كما في البخاري من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه^(٢).

الله أكبر! إذا كان هذا خوف المصطفى ﷺ، فما بالنا نحن لا نخاف ونحن المثقلون بالأوزار، المكبلون بالخطايا والآثام؟! فلنتق الله - يا عباد الله - ولنبدأ صفحة جديدة من أعمارنا، ولنأخذ عهداً على أنفسنا، ونحن في حرم الله: أن نتوب إلى الله سبحانه من جميع الذنوب والمعاصي.

أمة الإسلام، وإذا كان المسلمون هذه الأيام يستقبلون شهراً كريماً، وموسماً عظيماً، ألا وهو شهر رمضان المبارك: فإن ما ذكرناه من التوبة - من حقوق الله، وحقوق عباد الله - هو المنهج الصحيح في استقبال هذا الشهر الكريم، في الوقت الذي جهل فيه كثير من المسلمين - هداهم الله - الاستقبال الشرعي والمعنوي لهذا الشهر المبارك، وعدلوا في استقباله إلى أمور شكلية ومادية، يترجم عنها حال كثير من الناس في هذه الأيام؛ وهم يتزاحمون في الأسواق؛ استعداداً لرمضان - بزعمهم - فما هكذا

(١) رواه الطيالسي (٢٠٥٠)، وأحمد (٢١/٢)، وأبوداود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٣٠٧).

تُورَدُ الْإِبِلُ^(١) أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَمَنْ أَرَادَ التَّوْفِيقَ لِحُسْنِ الصِّيَامِ وَالصِّيَامِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْبَابِ ذَلِكَ؛ مِنَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالِاقْبَالِ عَلَى اللَّهِ جَلًّا وَعَلَا؛ لِيَحُوزَ عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ فِي أَيَّامِ وَلِيَالِي هَذَا الْوَأْفِدِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا الضَّيْفِ الْعَظِيمِ؛ فَانظُرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - مَاذَا أَعَدَدْتُمْ لَهُ مِنْ عَمَلٍ وَتَوْبَةٍ؟!

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى سَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) هَذَا مَثَلٌ، وَأَصْلُهُ شِعْرٌ قَالَهُ مَالِكُ بْنُ زَيْدٍ مَنَاةٌ لِأَخِيهِ سَعْدٍ؛ حَيْثُ قَصَرَ سَعْدٌ فِي إِيرَادِ إِبِلِ أَخِيهِ مَالِكٍ، فَقَالَ لَهُ:

أُورِدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ مَا هَكَذَا يَا سَعْدُ تُورَدُ الْإِبِلُ!
 وَهُوَ مَثَلٌ يَضْرِبُ لِمَنْ قَصَرَ فِي الْأَمْرِ. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/٣٦٤).



الخطبة للهروي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ، وَكَتَبَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الدُّنْيَا
الْفَنَاءَ^(١)، وَجَعَلَهَا دَارَ امْتِحَانٍ وَابْتِلَاءٍ، وَجَعَلَ الْقُبُورَ بَعْدَهَا لِأَهْلِ
الْإِيمَانِ خَيْرَ فَنَاءٍ^(١)، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ وَالشَّانِ، وَأَشْكُرُهُ فِي
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاسِعُ الْعَطَاءِ،
ذُو الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ، الْمُنَزَّهَ عَنِ الْأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ، وَ الْمُتَعَالِي
عَنِ الْأَمْثَالِ وَالنُّظَرَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَصْفِيَاءِ،
وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَتْقِيَاءِ، وَصَحْبِهِ
الْأَوْفِيَاءِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ.

أما بعد:

فَأَوْصِيَكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ عَالِمِ السَّرَائِرِ، فَاتَّقُوهُ جَلَّ وَعَلَا فِي

(١) الفناء - بفتح الفاء -: نقيض البقاء، والفناء - بكسرها -: المُتَّسِعُ أمام الدار.
«اللسان» (فني).

الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ؛ فَإِنَّ تَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ أَفْضَلُ زَادِ يُؤْنَسُ فِي الْمَقَابِرِ، وَخَيْرُ مَا
أَعَدَّ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، وَيُكْشَفُ مَا فِي الضَّمَائِرِ؛ يَوْمَ الْآزِفَةِ
إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ، يَوْمَ لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ وَلَا الذَّخَائِرُ^(١).

عِبَادَ اللَّهِ، مَنْ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ وَالِدَّوَامِ؟! مَنْ الَّذِي كَتَبَ الْمَوْتَ
عَلَى جَمِيعِ الْأَنْامِ؟! مَنْ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ؟! وَمَنْ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا
يَفُوتُ؟! مَنْ الْبَاقِي فَلَا يَزُولُ، وَالْأَحَدُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَحُولُ؟!
سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ! كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْعَبِيدِ،
وَتَعَالَى أَنْ يَفْنَى أَوْ يَبِيدَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ كَانَ الْمَوْتُ طَالِبَهُ، كَيْفَ يَلْدُهُ قَرَارًا؟! وَمَنْ
كَانَ الْقَبْرُ مَنزِلَهُ، كَيْفَ يَتَّخِذُ الدُّنْيَا أَفْضَلَ دَارٍ؟! لَقَدْ أَلْهَتْنَا الْأَمْوَالُ وَالذُّورُ،
وَشَغَلَتْنَا الْأَوْلَادُ وَالْقُصُورُ، عَنِ التَّفَكِيرِ فِي الْمَصِيرِ إِلَى الْقُبُورِ، وَضَيَّعْنَا
فِي غَمْرَةِ الْمُسْتَجِدَّاتِ وَالْأَحْدَاثِ، مَا نَحْنُ صَائِرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَجْدَاثِ^(٢)،
وَلَمَّا ضَعُفَ الْإِحْسَاسُ وَكَثُرَ الْإِمْسَاسُ، أُسْنِينَا الدَّفْنَ وَالْإِرْمَاسَ^(٣)،
فَالَى اللَّهُ نَشْكُو قَسْوَةَ الْقُلُوبِ، مَعَ كَثْرَةِ الْقَوَارِعِ^(٤) وَالْخُطُوبِ!!

(١) الذخائر: جمعُ ذخيرة، وهي: ما أُذخِرَ. «تاج العروس» (ذخر).

(٢) الأجداث: هي القبور، واحدها: جدث، بالتحريك. «القاموس» (جدث).

(٣) الإرماس: الدفن، تقول: «أرْمَسْتُ الْمَيِّتَ»: إذا دفنته. «الصحاح» (رمس).

(٤) القوارع: جمع قارعة، وهي النازلة الشديدة تنزل على الإنسان بأمر عظيم، وفي

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، كَمْ هُوَ شَدِيدُ الْوَفْعِ عَلَى النَّفْسِ تَوَدِّعُ الْأَحِبَّةَ!
 وَكَمْ هُوَ بَالِغُ الْأَثْرِ عَلَى الْقُلُوبِ فِرَاقُ الْأَعِزَّةِ! لَكِنَّ مَنْ آمَنَ بِقَضَاءِ اللَّهِ
 وَقَدَرِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، لَا يَمْلِكُ إِلَّا الرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ،
 وَلَكِنَّ الْعَجَبَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فِي غَمْرَةِ سَاهُونَ،
 وَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ؛ ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
 مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء]؛ كَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِهِمْ وَجَبَ! وَكَأَنَّ الْمَوْتَ
 فِيهَا عَلَى غَيْرِهِمْ كُتِبَ! مَا أَحْوَجَنَا وَقَدْ غَمَرْتَنَا الْمَادِّيَّاتُ، وَشَغَلَتْنَا الْمُلْهِيَّاتُ
 وَالْمُغْرِيَّاتُ، وَعَرَفْنَا فِي الْمَلَدَّاتِ وَالْمُسْتَهْيَاتِ، حَتَّى تَمَكَّنْتَ مِنَ الْقُلُوبِ،
 وَسَيَّطَرْتَ عَلَى النَّفْسِ، حَتَّى لَكَاثْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُخَلَّدُونَ! مَا أَحْوَجَنَا -
 وَالْحَالَةَ هَذِهِ - أَنْ نَقْفَ قَلِيلًا لِلتَّفَكِيرِ فِي الْمَصِيرِ الْمَحْتُمِ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ
 الدُّنْيَا تَحِيدُ بِفِتْنَامِ مِنَ النَّاسِ عَنِ شَاطِيءِ السَّلَامَةِ، وَتَقْدِفُ بِهِمْ إِلَى دَرَكِ
 الْهَلَاكِ وَالْغَوَايَةِ، عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ، وَأَلِيمَ عِقَابِهِ!

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، هَلْ سَأَلْنَا أَنْفُسَنَا هَلْ تَدْوُمُ الْحَيَاةُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ،
 أَوْ أَنَّ الْقَبْرَ هُوَ الْمَصِيرُ وَالْمَالُ؟! هَلْ سَأَلْنَا أَنْفُسَنَا عَنْ هَذِهِ الْجَنَائِزِ، وَعَشْرَاتِ
 الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ نُصَلِّي عَلَيْهِمْ، أَيْنَ هُمْ ذَاهِبُونَ؟! وَعَلَى مَاذَا سَيَقْدُمُونَ؟! مَا

= حديث أبي أمامة، رضي الله عنه: «مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهَّزْ غَارِيًا، أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ»
 أي: بداهية تهلكه. «اللسان» (قرع).

هِيَ أَحْوَالُهُمْ؟! وَمَاذَا يُفْعَلُ بِهِمْ؟! وَمَا هُوَ مَصِيرُهُمْ؟! وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

هُوَ الْمَوْتُ مَا مِنْهُ مَلَاذٌ وَمَهْرَبٌ مَتَى حَطَّ ذَا عَن نَعْسِهِ ذَاكَ يَرْكَبُ (١)
نُؤْمَلُ أَمَالاً وَنَبْغِي نِتَاجَهَا وَعَلَّ الرَّدَى مِمَّا نُرْجِيهِ أَقْرَبُ
وَنَبِي الْقُصُورِ الْمُشْمَخِرَاتِ (٢) فِي الْهَوَا
إِلَى اللَّهِ نَشْكُو قَسْوَةً فِي قُلُوبِنَا وَفِي عِلْمِنَا أَنَّا نَمُوتُ وَتَحْرَبُ
فَلِلَّهِ كَمْ غَادٍ حَبِيبٍ وَرَائِحٍ نَشِيعُهُ لِلْقَبْرِ وَالِدَّمَعُ يَسْكُبُ!
نُهَيْلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ حَتَّى كَانَهُ عَدُوًّا وَفِي الْأَحْشَاءِ نَارٌ تَلْهَبُ (٣)

لَقَدْ ضَمَّتِ الْقُبُورُ الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرَ، وَدَخَلَهَا الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ،
وَامْتَلَأَتْ بِالْمَأْمُورِ وَالْأَمْرِ؛ ضَمَّتِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْعُلَمَاءَ، وَالْأَغْنِيَاءَ
وَالْفُقَرَاءَ، وَالْمَرْءُ وَسِينِ وَالرُّؤْسَاءَ، وَالرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ.

الْقَبْرُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْقَبْرِ مَا الدَّارُ؟!
الدَّارُ دَارٌ نَعِيمٌ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ!

(١) يقال: حَطَّ فلانٌ حَطًّا: نَزَلَ، والنَّعْسُ: السرير الذي يكون فيه الميت ليُحْمَلُ عليه. «تاج العروس» (حطط) (نعش).

(٢) الْمُشْمَخِرَاتُ، أي: العاليات، جمع مشمخرٌ، وهو الطويل من الجبال. «اللسان» (شمخر)؛ شبه به القصر العالي.

(٣) الأبيات مختارة من قصيدة بائنة لشاعر نجد الكبير محمد بن عبدالله بن عثيمين. انظر: القصيدة السادسة عشرة من كتاب «مهلا يا جامع الدنيا» (ص ٥١)، ومراجعته.

دَعُونَا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ - نَعِيشُ مَعَ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ، الَّذِي يُصَوِّرُ عَظَمَةَ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ، وَمَا نَحْنُ قَادِمُونَ عَلَيْهِ، عَلْنَا نَعُدُّ لِلْأَمْرِ عُدَّتَهُ وَنَأْخُذُ لَهُ أَهْبَتَهُ؛ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَالْحَاكِمُ - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُّ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَيَّ رُءُوسَنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ؛ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، يَبْضُ الْوُجُوهَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ^(١)، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ

(١) قوله ﷺ: «كما تسيل القطرة من في السقاء» أي: تخرج بسهولة. ذكره السندي في حاشيته على «المسند». انظر: «مسند الإمام أحمد» (٣٠/٥٠٥).

الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكِ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ،
 قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذِهِ
 الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ : هَذِهِ رُوحُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ - بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي
 كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا - حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ،
 فَيَسْتَفْتِحُونَ فَيَفْتَحُ لَهُ ، فَيَشِيعُهُ^(١) مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي
 تَلِيهَا ، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « اكْتُبُوا
 كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا
 أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى » ، قَالَ : فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ،
 فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَسْأَلَانِهِ : عَنْ رَبِّهِ ، وَدِينِهِ ، وَنَبِيِّهِ ﷺ ، فَيُجِيبُ ،
 فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَالْبُسُوهُ مِنَ
 الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا^(٢) ، وَيُفْسَحُ لَهُ
 فِي قَبْرِهِ مَدُّ بَصَرِهِ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، طَيِّبُ الرَّيْحِ ،
 فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسْرُوكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوَعِّدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ؟
 فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ :
 رَبِّ ، أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي ! .

(١) يشيعه، أي: يتبعه؛ تكريمًا له. انظر: المرجع السابق.

(٢) يأتيه من رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا، أي: يأتيه ما لا يُوصَفُ كُنْهَهُ. انظر: المرجع السابق.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ
الْآخِرَةِ، نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، وَهُوَ
اللبَّاسُ الْحَشِينُ الْمَمْقُوتُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَحِيءُ مَلَكُ
الْمَوْتِ، فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَبِيئَةُ، أَخْرَجِي إِلَى
سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَظْبٍ، فَتَفَرِّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ^(١)
مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُوطِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً
عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ
وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَلَأٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْحَبِيئَةُ؟ فَيَقُولُونَ: رُوحُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ -
بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا - حَتَّى يُتْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ
السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «اَكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سَجِّينٍ،
فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى»، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَكَأَنَّمَا حَرَّرَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ
سَجِيٍّ﴾ [الحج: ٣١]، فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ،
فَيَسْأَلَانِهِ: عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ^(٢)، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي

(١) السَّفُودُ: حديدية يُسَوَّى بِهَا اللَّحْمُ، وَجَمْعُهَا: سَفَايِدُ. انظر: المرجع السابق.

(٢) هَاهُ هَاهُ: كلمة يقولها المتحير في الكلام. انظر: المرجع السابق.

مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَبَ عَبْدِي^(١) ؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَحْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُتْنِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ ! رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ !^(٢) .

يَالَهُ مِنْ حَدِيثٍ عَظِيمٍ ، يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ ! وَإِنَّهُ لَجَدِيدٌ بِمَنْ كَانَ الْمَوْتُ مَصْرَعَهُ ، وَالتُّرَابُ مَضْجَعَهُ ، وَالدُّودُ أُنَيْسَهُ ، وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ سَائِلُهُ وَعَمَلُهُ جَلِيْسَهُ ، وَالْقَبْرُ مَقْرَهُ ، وَالْبَرْزَخُ مُسْتَقْرَهُ ، وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدَهُ ، وَالْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ مَوْرِدَهُ : أَلَا يَعْقِلُ عَنْ هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْحَاسِمَةِ ؛ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ مَاجَهَ - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ ، فَقَالَ : «عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟» قِيلَ : عَلَى قَبْرِ يَحْفِرُونَهُ ، فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَبَدَرَ بَيْنَ

(١) قوله ﷺ : «أن كذب عبدى» أي : فيما قال : «لا أدري» ؛ لأن دين الله ، ونبوة رسوله : كان ظاهرًا . انظر : المرجع السابق .

(٢) «المسند» (٢٨٧/٤) ، و«سنن أبي داود» (٤٧٥٣) ، و«سنن النسائي» (٧٨/٤) ، و«سنن ابن ماجه» (١٥٤٩) ، و«المستدرک» (٣٧/١) .

أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَنَّا عَلَيْهِ فَبَكَيْ، حَتَّى بَلَ الشَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَيُّ إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا»^(١).

وَهَكَذَا كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَعَنَ هَانِيءٌ مَوْلَى عَثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ عَثْمَانُ بْنُ عَقَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ يَبْكِي حَتَّى تَبْتَلَّ لِحِيَّتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي، وَتَذْكُرُ الْقَبْرَ فَتَبْكِي؟! فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ؛ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»^(٢).

وَقَالَ ثَابِتُ الْبُنَائِي: «كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَازَةَ، فَلَا نَرَى إِلَّا مُطْرِقًا بَاكِيًا»^(٣).

هَكَذَا كَانَ خَوْفُ الْقَوْمِ وَقُوَّةُ إِيمَانِهِمْ؛ فَكَيْفَ بِحَالِنَا الْيَوْمَ!؟

تَرَوْعْنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ فَنَلْهُو حِينَ نَعْدُو مُدْبِرَاتٍ

فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ «الْقَبْرَ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّارِ»^(٤)، وَأَنَّهُ يُنَادِي: «وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا عَرَكَ!؟ أَلَمْ

(١) رواه أحمد (٢٩٤/٤)، وابن ماجه (٤١٩٥).

(٢) رواه أحمد (٢٩٢/٢)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧).

(٣) انظر: «شعب الإيمان» (٩٢٧٣).

(٤) انظر: «جامع الترمذي» (٢٤٦٠).

تَعْلَمَ أَنِّي بَيْتُ الظُّلْمَةِ، وَبَيْتُ العُرْبَةِ، وَبَيْتُ الوَحْدَةِ، وَبَيْتُ الدُّودِ؟! (١).

أَبَيْتُ القُبُورِ فَنادَيْتُهَا فَأَيْنَ المَعْظَمِ والمُحْتَقَرِ؟!
تَفَانُوا جَمِيعًا فَمَا مُخْبِرٌ وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الخَبِرُ
تَرُوحٌ وَتَعْدُو بِنَاتِ الثَّرَى (٢)
فِيَا سَائِلِي عَنِ أَناسٍ مَضُوا أَمَّا لِكِ فِيمَنْ مَضَى مُعْتَبَرٌ؟!!

كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَتَعَدُّ إِلَى القُبُورِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟
فَقَالَ: «أَجْلِسْ إِلَى قَوْمٍ يُذَكِّرُونَ بِي مَعَادِي، وَإِنْ غِبْتُ، لَمْ يَغْتَابُونِي»،
وَقَدْ قَالَ ﷺ: «زُورُوا القُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الآخِرَةَ» (٣)، وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ
مِهْرَانَ: «خَرَجْتُ مَعَ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى المَقْبَرَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى
القُبُورِ، بَكَى، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا مَيْمُونُ، هَذِهِ قُبُورُ آبَائِ بَنِي أُمِّيَّةَ،
كَانَتْهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي لَدَاتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ، أَمَا تَرَاهُمْ صَرَخُوا قَدْ
حَلَّتْ بِهِمُ المَثَلَاتُ (٤)، وَاسْتَحَكَمَ فِيهِمُ البَلَاءُ، وَأَصَابَ الهَوَانَ مُقْلًا فِي
أَبْدَانِهِمْ؟!»، ثُمَّ بَكَى - رَحِمَهُ اللهُ - وَقَالَ: «وَاللَّهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا آمِنَ مِمَّنْ
صَارَ إِلَى هَذِهِ القُبُورِ، وَقَدْ آمَنَ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى!»، فَتَذَكَّرُوا

(١) المصدر السابق.

(٢) بنات الثرى، يعنى بها: دود الأرض الذي يسَلط على الميت في قبره.

(٣) رواه مسلم (٩٧٦)، وابن ماجه (١٥٦٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤) المَثَلَاتُ: جمع مَثَلَةٍ، وهي العقوبة. «اللسان» (مثل).

- رَحِمَكُمُ اللهُ - هَذَا الْمَصِيرَ الْمُخْتَوِّمَ، وَاسْتَعِدُّوا لَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ.

اللَّهُمَّ، إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَعْصِمَنَا
مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ هَذِهِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا،
وَأَفْسَحْ فِيهَا ضَيْقَ مَلَاحِدِنَا، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى الْمَوْتِ وَسَكْرَتِهِ، وَالْقَبْرِ
وِظْلَمَتِهِ، وَالْمَوْقِفِ وَكُرْبَتِهِ، وَالصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ^(١)، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ!
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) الرَّزَّةُ: السَّقْطَةُ. «تاج العروس» (زلل).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحِيمِ الْغَفُورِ، الْحَلِيمِ الشَّكُورِ، لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالِيهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ، أَعْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا يَتَجَدَّدُ فِي الرِّوَاكِ وَالْبُكُورِ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ،
شَهَادَةٌ تَنْفَعُ قَائِلَهَا يَوْمَ يُبْعَثُ مَا فِي الْقُبُورِ، وَيُحْصَلُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ذُو الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَالْعَمَلِ الْمَبْرُورِ، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُ مَا فِي
الْقُبُورِ، وَيُحْصَلُ مَا فِي الصُّدُورِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ

نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ [البقرة].

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّا حِينَ نَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمَصِيرِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ
أَنْ يَرْتَكِزَ فِي حُسْبَانِ كُلِّ مُسْلِمٍ: وَجُوبُ تَحْوِيلِ هَذِهِ الْقَضَايَا الْعَقْدِيَّةِ إِلَى
وَأَقْعِ عَمَلِيٍّ، وَسُلُوكِ تَطْبِيقِيٍّ فِي حَيَاتِهِ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُجِبُّ عَلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ
بِمَصِيرِهِ إِلَى الْقُبُورِ، أَنْ يَعْلَمَ يَقِينًا: أَنْ لَا مُنْجِي مِنْ وَحْشَتِهَا وَعَذَابِهَا، إِلَّا
الْإِيمَانُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمُتَابَعَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَوْ صَدَقْنَا الْإِيمَانَ بِذَلِكَ، لَمَا
وَجَدْنَا مَنْ يُدَسُّ الْعَقِيدَةَ، أَوْ يَخْدُسُ الْمُتَابَعَةَ، أَوْ يُزْنِي، أَوْ يُزْبِي، أَوْ

يَظْلِمُ، أَوْ يَكْذِبُ، أَوْ يَغُشُّ، أَوْ يُؤْذِي؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى الْقَبْرِ، فَمَسْئُولٌ حِينَئِذِكَ عَنِ كُلِّ عَمَلِهِ؛ حِينَ يَرْجِعُ الْأَهْلُ وَالْأَوْلَادُ وَالْمَالُ، وَيَبْقَى الْعَمَلُ وَحْدَهُ^(١).

بِمِثْلِ هَذَا التَّصَوُّرِ الْعَقْدِيِّ وَالْعَمَلِيِّ مَعًا، مِنْ أَبْنَاءِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ:
فَتَحُوا الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَبَجَهَلِنَا وَنِسْيَانِنَا لِهَذِهِ الْقَضَايَا: خَسِرْنَا أَسْبَابَ
التَّصْرِ وَالْمَعَالِي، وَعَوَامِلَ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ،
لَمَّا ضَعُفَ إِيمَانُنَا بِهِذِهِ الْأُمُورِ، حَصَلَتِ الْأَحْقَادُ وَالضَّغَائِنُ، حَتَّى تَمَكَّنَ
الْأَعْدَاءُ، وَتَدَاعَوْا عَلَى الْأُمَّةِ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا^(٢).

وَلَكِنَّ الْبَشَائِرَ كَثِيرَةً، وَالْفَأَلُ مَطْلُوبٌ، وَوَاجِبُ الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ:
أَنْ يَشْحَذُوا الْهِمَمَ^(٣)، وَيَحْرِّكُوا الْعَزَائِمَ، وَيَرَفِّقُوا الْقُلُوبَ بِمِثْلِ هَذِهِ
الْمَوَاعِظِ، لَعَلَّهَا تُحَرِّكُ الْفَتِيلَ، وَتُضِيءُ الْمَشَاعِلَ، وَتُنِيرُ الطَّرِيقَ!
فَاعِدُّوا لِلْأَمْرِ عِدَّتَهُ يَا عِبَادَ اللَّهِ.

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةً». وقد تقدم تخريجه (ص ١٠٣).

(٢) إشارة إلى الحديث الذي رواه أحمد (٢٧٨/٥)، وأبوداود (٤٢٩٧)؛ من حديث ثوبان، رضي الله عنه، ولفظ أحمد: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ، مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ؛ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا»، وقوله ﷺ: «تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا» أي: يدعو بعضهم بعضا، يقال: تداعت القبائل على بني فلان: إذا تألبوا ودعا بعضهم بعضا إلى التناصر عليهم. انظر: «اللسان» (دعو).

(٣) شَحَذَ هِمَّتَهُ، أي: أَحَدَّهَا وَقَوَّأَهَا. «تاج العروس» (شحذ).

يَا أَيُّهَا الْغَافِلُونَ، تَذَكَّرُوا هَذَا الْمَصِيرَ الْمَحْتَمَّ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ
قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا.

يَا أَيُّهَا الْمَفْتُونُونَ بِالذُّنُوبِ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، تَذَكَّرُوا الْقُبُورَ، وَتَفَكَّرُوا
انظِرْ أَحْكُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الشَّرَى.

يَا أَيُّهَا الشَّبَابُ اللَّاهِي الْعَابِثُ، الَّذِي غَرَّتْهُ غَفْلَتُهُ وَشَهْوَتُهُ، اسْتَيْقِظْ
قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

يَا أَيُّهَا الْمَرْأَةُ الْمُصِيبَةُ لِحُقُوقِ اللَّهِ، وَحُقُوقِ نَفْسِهَا وَزَوْجِهَا
وَأَوْلَادِهَا، تَذَكَّرِي مَا أَنْتِ قَادِمَةٌ عَلَيْهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وَخُذُوا جَمِيعًا بِالْأَسْبَابِ الْمُنْجِيَةِ مِنْ عَذَابِ
الْقَبْرِ، وَهِيَ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَمُحَاسَبَةُ النُّفُوسِ،
وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الذِّكْرِ وَالتَّلَاوَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، مَعَ صِحَّةِ الْمُعْتَقَدِ،
وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ، وَسَلَامَةِ الْإِتْبَاعِ.

وَلْتَحَذَرُوا جَمِيعًا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - أَسْبَابَ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْهَا:
الْغِيْبَةُ، وَالتَّمِيمَةُ، وَعَدَمُ التَّنَزُّهِ مِنَ الْبَوْلِ؛ فَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَبْرَيْنِ،
فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ
مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»^(١)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -

(١) تقدم تخريجه (ص ٤١٧).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «اسْتَنْزَهُوا مِنَ الْبَوْلِ ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ»^(١) ، وَمِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - الرَّيَاءُ ، وَالرَّبَا ، وَالرَّزَى ، وَسَائِرُ الْمَعَاصِي .

فَعَلَيْنَا أَنْ نُحَدِّثَ تَوْبَةً نَصُوحًا - يَا عِبَادَ اللهِ - وَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِينَدَ بِاللَّهِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ وَضَمَّتِهِ ؛ فَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَغْطَةً ، لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ ، لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ»^(٢) .

إِي وَاللَّهِ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - ظَوَاهِرُ الْقُبُورِ تُرَابٌ ، وَبَوَاطِنُهَا لِمَنْ عَصَى اللهُ حَسْرَاتٌ وَعَذَابٌ !!

هَذِهِ لَفْتَةٌ لِمَحَاسِبَةِ النَّفُوسِ ، قَبْلَ حُلُولِ هَازِمِ اللَّذَاتِ ، وَمُفَرَّقِ الْجَمَاعَاتِ ؛ عَلَيْهَا تُحَدِّثُ مِنَ الْجَمِيعِ تَوْبَةٌ نَصُوحًا ؛ بِمَنْ اللهُ وَكَرَّمَهُ!

هَذَا ؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ، بِقَوْلِهِ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب] .

(١) رواه الدارقطني (١/١٢٨) ، والحاكم (١/١٨٣) .

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١١٤) ، وأحمد (٦/٥٥) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٧٣) .



الخطبة للهروي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ
إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
قَضَى بِالْخَيْرِ وَالْعِزِّ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ، وَبِالذُّلِّ وَالْهَوَانِ لِأَهْلِ الشَّرِّ
وَالْعِصْيَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيَّهُ وَخَلِيلُهُ،
وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، بَشَرًا وَأَنْدَرًا، وَبَلَغَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، فَلَمْ يَتْرِكْ
خَيْرًا إِلَّا دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى هُدْيِهِ، وَالتَّزَمُوا شَرِيعَتَهُ، وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ دَوْمًا وَلَا
تَعْصُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَجَعَلَهَا أُمَّةً هِدَايَةٍ وَقِيَادَةٍ

وَسِيَادَةٍ، اخْتَارَهَا اللهُ لِأَشْرَفِ رِسَالَاتِهِ، وَاجْتَبَاهَا؛ فَبَعَثَ فِيهَا أَفْضَلَ رُسُلِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهَا أَعْظَمَ كُتُبِهِ، وَوَعَدَهَا النَّصْرَ إِنْ هِيَ نَصَرَتْ دِينَهُ، وَالكَرَامَةَ وَالْعِزَّةَ إِنْ هِيَ تَمَسَّكَتْ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ شَرَفُ قِيَادَةِ الْعَالَمِ قُرُونًا طَوِيلَةً، ثُمَّ انْتَزَعَتْ قِيَادَتَهَا، وَدَالَتْ دَوْلَتُهَا^(١)، وَتَدَاعَى عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْهَا الْمَصَائِبُ، وَتَلَاحَقَتْ عَلَيْهَا الْمِحْنُ وَالتَّوَابِتُ، وَشَغَلَ هَذَا الْوَاقِعُ الْمُزْرِي، وَالْوَضْعُ الْمُتْرَدِّي بَالَ الْغَيُورِينَ مِنْ أَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الْمُتَطَلِّعِينَ لِمُسْتَقْبَلِهَا الْمُشْرِقِ، وَغَدِهَا الْمُبْهَجُ؛ بِإِذْنِ اللهِ.

وَالسُّؤَالُ هُوَ: مَا الَّذِي دَهَانَا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ؟! وَمَا الَّذِي أَصَابَ أُمَّتَنَا فَذَلَّتْ وَهَانَتْ؟! مَا الدَّوَاعِي وَالْعَوَامِلُ الَّتِي أَوْصَلَتْهَا إِلَى حَضِيضِ الْغَبْرَاءِ^(٢)، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي ذُرَا الْعَلِيَاءِ؟! مَا الَّذِي جَرَّهَا إِلَى هَذَا الْمُتَحَدَّرِ الْعَمِيقِ، وَطَوَّحَ بِهَا فِي أَعْمَاقِ هَذَا الْوَاقِعِ السَّحِيقِ؟! .

وَالْجَوَابُ - الَّذِي لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ - هُوَ: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهِ الْوُقُوعُ فِي الدُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَمِمَّا لَا يَقْبَلُ الْجَدَلَ: أَنَّ اللهُ تَعَالَى - فِي

(١) دَالَتْ دَوْلَتُهَا، أَي: انْتَقَلَ أَمْرُهَا مِنَ الرَّخَاءِ إِلَى الشَّدَّةِ، وَصَارَتْ الدَّوْلَةُ وَالْغَلْبَةُ لِأَعْدَائِهَا. انظر: «النهاية» (دول).

(٢) الْغَبْرَاءُ: الْأَرْضُ؛ لِعُبْرَةِ لَوْنِهَا، أَوْ لِمَا فِيهَا مِنَ الْغُبَارِ. «اللسان» (غبر)، وَحَضِيضِ الْغَبْرَاءِ: قَرَارِ الْأَرْضِ. «النهاية» (حضض).

هَذِهِ الْحَيَاةُ - سُنْنَا لَنْ تَتَغَيَّرَ فِي الْكَوْنِ وَالْخَلْقِ وَلَنْ تَبَدَّلَ، وَفِي حَيَاةِ
الْأَفْرَادِ وَالْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ لَنْ تَتَحَوَّلَ؛ فَالْأُمَّةُ الَّتِي تَسِيرُ عَلَى شَرَعِ اللَّهِ،
وَنَهْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - تَصِلُ إِلَى مُبْتَغَايَا، وَتَنَالُ مَنَاهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
- بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ - يُسَدِّدُهَا وَيُنْصِرُهَا وَيَرْعَاهَا، وَلَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ
خَلْقِهِ حَسَبٌ وَلَا نَسَبٌ، وَإِذَا تَرَكْتَ الْأُمَّةَ أَمْرَ رَبِّهَا، وَخَالَفْتَ أَحْكَامَ
دِينِهَا، وَتَنَكَّبْتَ سُنَّةَ رَسُولِهَا ﷺ - سَلَكَ اللَّهُ بِهَا طَرِيقَ الْعَنَاءِ وَالشَّقَاءِ حَتَّى
تُرَاجِعَ دِينَهَا، وَمَا أَهْوَنَ الْخَلْقَ عَلَى اللَّهِ، إِنْ هُمْ أَضَاعُوا أَمْرَهُ وَجَاهَرُوا
بِمَعْصِيَتِهِ، وَقَصَّرُوا فِي أَحْكَامِ دِينِهِ، وَهَلْ عُدَّتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ فِي الْقَدِيمِ
وَالْحَدِيثِ إِلَّا بِسَبَبِ ذُنُوبِهَا؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ مَا يُقَوْمُ حَتَّى يُغْفِرُوا مَا
يَأْنُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٢٦]. وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ
يَأْتِيَ الْمُؤْمِنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»^(١).

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا

وَتَرَكَ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا^(٢)

(١) «صحيح البخاري» (٥٢٢٣)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦١).

(٢) البيتان لعبدالله بن المبارك. انظر: «الجواب الكافي» لابن القيم (ص ٨٤)، و«شرح
العقيدة الطحاوية» (ص ٢٣٥).



أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ لِلْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، أَثْرًا بِالْغَا عَلَى الْأَبْدَانِ
وَالْقُلُوبِ، وَشَوْمًا وَاضِحًا فِي حَيَاةِ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي ذَلِكَ
مَا خُلِصَتْهُ: «فَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِي تَضُرُّ، وَلَا شَكَّ
أَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْقُلُوبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي الْأَبْدَانِ، وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
شَرٌّ وَدَاءٌ إِلَّا سَبَبُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي؟!»:

فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْوَالِدِينَ مِنَ الْجَنَّةِ؟! وَمَا الَّذِي أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنْ
مَلَكَوَتِ السَّمَاءِ، وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ، وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَبَدَّلَهُ بِالْقُرْبِ
بُعْدًا، وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنًا، وَبِالْجَمَالِ قُبْحًا، وَبِالْجَنَّةِ نَارًا تَلْطَى؟!!

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ، حَتَّى عَلَا الْمَاءُ رُءُوسَ
الْجِبَالِ؟! وَمَا الَّذِي سَلَطَ الرِّيحَ الْعَقِيمَ عَلَى قَوْمٍ عَادٍ حَتَّى أَلْقَتْهُمْ مَوْتَى
عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، وَدَمَّرَتْ مَا عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ
وَحُرُوبِهِمْ، وَزُرُّوعِهِمْ وَدَوَابَّهُمْ، حَتَّى صَارُوا عِبْرَةً لِلْأُمَّمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟!!

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّى قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي
أَجْوَابِهِمْ، وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟! وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَى اللُّؤِطِيَّةِ ثُمَّ قَلَبَهَا
عَلَيْهِمْ؛ فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا حَتَّى أَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ أَتْبَعَهُمْ حِجَارَةً مِنْ
سِجِّيلٍ أَمْطَرَهَا عَلَيْهِمْ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ؟! وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ
عَلَى قَوْمِ شُعَيْبٍ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلَلِ، فَلَمَّا صَارَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ،

أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلْظَى!؟

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ؛ ثُمَّ نُقِلْتَ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى
جَهَنَّمَ؛ فَلَا جَسَادَ لِلْغَرَقِ، وَالْأَرْوَاحُ لِلْحَرَقِ!؟ وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ
دَارَهُ وَمَالَهُ وَأَهْلَهُ!؟ وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ
وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا!؟

وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء]، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ، وَسَبَّوْا الدَّرَارِي
وَالنِّسَاءَ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً،
فَأَهْلَكُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، ﴿وَلِئْتَبَرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِّرًا﴾ [الإسراء]!؟ وَمَا الَّذِي
سَلَطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَاتِ؛ مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبِيِّ وَخَرَابِ الْبِلَادِ،
وَمَرَّةً بِجَوْرِ الْمُلُوكِ، وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا!؟ وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ
الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مِنْ يُسُومِهِمْ سُوءَ
الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] (١).

وَمَضَى - رَحِمَهُ اللهُ - يُعَدِّدُ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَأَثَارَهَا
عَلَى الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مُسْتَفْرِّثًا نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ،
مُتَّبِعًا أَحْدَاثَ الْأُمَّمِ وَالْقُرُونِ، وَتَارِيخَ الْمُكذِّبِينَ وَالْمُعَانِدِينَ.

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي: حِرْمَانُ الْعِلْمِ وَالرِّزْقِ، وَالْوَحْشَةُ، وَالْعُسْرُ،

(١) «الجواب الكافي» (ص ٦٠، ٦١).

وَالظُّلْمَةُ، وَوَهْنُ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَحِرْمَانُ الطَّاعَةِ، وَمَحْقُ الْبَرَكَاتِ، وَهُوَ أَنَّ الْعَبْدَ عَلَى اللَّهِ؛ ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج]، وَفَسَادُ الْعَقْلِ، وَضَعْفُ الْعَزِيمَةِ، وَالْحَتْمُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَإِطْفَاءُ نَارِ الْغَيْرَةِ، وَذَهَابُ الْحَيَاءِ، وَإِزَالَةُ النَّعْمِ، وَإِحْلَالُ النَّقْمِ، وَالْخَوْفُ، وَالرُّعْبُ، وَالْقَلْتُ، وَعَمَى الْبَصِيرَةِ، وَمَنْعُ الْقَطْرِ، وَحُصُولُ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ وَالنَّكَالِ وَالشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْقَبْرِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَكُلُّ شَرٍّ وَفَسَادٍ فِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ، وَالزُّرُوعِ وَالشَّمَارِ، وَالْمَسَاكِنِ وَالْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، وَالْبَرِّ وَالْجَوِّ وَالْبَحْرِ، وَالْعَاجِلِ وَالْآجِلِ - فَسَبَبُهُ، الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي، وَقَدْ جَاءَ كِتَابُ اللَّهِ الْكَرِيمِ بِمَا يُؤَكِّدُ هَذِهِ الشُّنَنَ - لِأَسِيْمَاعِنْدَ ذِكْرِ قِصَصِ الْمُكْذِبِينَ مِنَ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ - لِيَكُونَ فِيهَا عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ وَمُزْدَجْرٌ، وَذِكْرِي ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ﴿٢٧﴾ [ق]، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت].

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تَزِيلُ النَّعْمَ
وَدَاوِمِ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ فَشُكْرُ الْإِلَهِ يُزِيلُ النَّقْمَ

يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : «إِنَّ لِلْحَسَنَةِ: ضِيَاءً فِي

الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ: سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَبْرِ وَالْقَلْبِ، وَهَذَا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضًا فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ»^(١)، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - عَنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي: «إِنَّهُمْ - وَإِنْ طَقَطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ»^(٢)، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبِرَازِينَ»^(٣) - فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةَ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ؛ أَبِي اللهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ!»^(٤).

وَبَعْدُ،

يَا إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، أَمَا أَنْ لَأُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَنْ تُدْرِكَ أَنَّ مَا أَصَابَهَا فِي هَذَا الزَّمَنِ - مِنْ ضَعْفٍ وَاخْتِلَافٍ، وَفُرْقَةٍ وَتَسَلُّطٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ - إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ وَقُوعِ أَبْنَائِهَا فِي مَعَاصِيِ اللهِ؟! أَمَا كَانَ الْأَجْدَرُ بِهَا - وَهِيَ تُعَاشِرُ أَلْوَانًا مِنَ الْعُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ، الْحَسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي سَبَّبَتْهَا الْمُحَرَّمَاتُ - أَنْ تُرَاجَعَ دِينُهَا الْحَقُّ، وَتُدْرِكَ أَنَّ مَا يَطْفُحُ بِهِ الْعَالَمُ مِنْ

(١) انظر: «الجواب الكافي» (ص ٧٨).

(٢) طَقَطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، أَي: صَوَّتَتْ بِحَوَافِرِهَا، وَالطَّقَطَقَةُ: صَوْتُ حَوَافِرِ الْخَيْلِ عَلَى الْأَرْضِ الصَّلْبَةِ. «اللسان» (طقق).

(٣) هَمَلَجَتْ، أَي: أَحَسَّتِ السَّيْرَ فِي سُرْعَةٍ وَبِخْتَرَةٍ، وَالْبِرَازِينَ: جَمْعُ بَرْدُونٍ، وَهُوَ الدَّابَّةُ. «اللسان» (هملج) (برذن)، وَالْمِرَادُ: مَهْمَا تَكَبَّرُوا وَزَعَمُوا الْعِزَّةَ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةَ فِي نَفْسِهِمْ مَرْكُوزٌ، وَفِي قُلُوبِهِمْ غَيْرُ مَفْقُودٍ؛ عِقُوبَةُ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

(٤) انظر: «الجواب الكافي» (ص ٨٤، ٢٢٩).

الْفَوْضَى فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ، وَمَا تُعَانِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْبِقَاعِ مِنَ الْحُرُوبِ
 الطَّاحِنَةِ الَّتِي تَقْضِي عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، وَمِنَ الْأَمْرَاضِ الْفَتَّاكَةِ،
 وَالْمَجَاعَاتِ الْمُفْزِعَةِ، وَالْفَيْضَانَاتِ الْمُهْلِكَةِ، وَالزَّلَازِلِ وَالْبَرَائِكِينَ
 الْمُدْمِرَةَ، وَالْحَوَادِثِ الْمُرُوعَةَ -: إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ ذُنُوبِ الْعِبَادِ وَإِعْرَاضِهِمْ
 عَنْ رَبِّهِمْ؛ ﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [١٧] ﴿الجن﴾،
 ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ
 حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٤٥] أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى
 تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ [النحل]؟!!

أَمَّا تَرُونَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مَا نَزَلَ بِالْأَمَمِ وَالشُّعُوبِ مِنْ حَوْلِكُمْ؛
 مِنْ آلامٍ وَعُقُوبَاتٍ؟! وَهَلْ كَانَتْ إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي؟! فَإِنَّهَا
 تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ، لَقَدْ غَرِقَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ فِي حَيَاةِ جَاهِلِيَّةٍ؛ فِي
 عَقَائِدِهَا وَأَفْكَارِهَا، وَأَخْلَاقِ أَوْلَادِهَا وَبَنَاتِهَا؛ فَشَاعَ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَمُخَالَفَةُ
 سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِارْتِكَابِ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ، وَأَنْتَهَكَتِ حُرْمَاتُ اللَّهِ،
 وَاقْتَرَفَتْ كِبَائِرُ الذُّنُوبِ الْعَالِيَةِ لِسَخَطِ اللَّهِ، وَعَمَّ الْفِسْقُ، وَأَنْتَشَرَ الْفَسَادُ
 فِي الْبُيُوتِ وَالشُّوَارِعِ وَالْأَسْوَاقِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ وَلَا تَغْيِيرٍ!

وَلَيْسَ بِخَافٍ عَلَى الْغِيُورِ مَا تَقْدِفُ بِهِ الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ مِنَ أَلْوَانِ
 الْفَسَادِ وَالْإِبَاحِيَّةِ؛ فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! بَلْ لَقَدْ بَاتَتْ بَعْضُ الذُّنُوبِ الْيَوْمَ، مِمَّا
 يَفْخَرُ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! فَحَقًّا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ

يَعِيشُونَ عَصْرَ غُرْبَةِ الْإِسْلَامِ، وَفِي أَوْسَاطِ دُعَاةِ جَهَنَّمَ - عِيَادًا بِاللَّهِ! - فَمَا
أَوْسَعَ حِلْمَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ! أَلَمْ تُغْنِ التُّذْرُ يَا عِبَادَ اللَّهِ؟! أَلَمْ تُفِدِ الْعِبْرُ
السَّالِفَةُ وَالْمُعَاصِرَةُ؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر].

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْخَطِيرَ، جَدِيرٌ أَنْ يَتَدَارَسَهُ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ عَلَى
مُسْتَوَى الْقَادَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْمُفَكِّرِينَ وَالدُّعَاةِ وَالْمُصْلِحِينَ؛ لِإِثْقَابِ هَذَا
الرَّحْفِ الْهَائِلِ: الَّذِي يُعَرِّضُ الْأُمَّةَ كُلَّهَا لِسَخَطِ اللَّهِ الْعَاجِلِ قَبْلَ الْآجِلِ.

هَذَا؛ وَإِنَّ الْغَيُورِينَ لَيُعَلِّقُونَ آمَالًا جِسَامًا عَلَى هَذَا الْبَعْثِ
الْإِسْلَامِيِّ الْجَدِيدِ، وَالصَّخُوعَ الْإِيمَانِيَّةَ الرَّشِيدَةَ، وَالْيَقِظَةَ الْإِصْلَاحِيَّةَ
الْحَمِيدَةَ، الَّتِي تَعْمُ أَقْطَارَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ - بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ - لِتَعُودَ
بِأَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَشَبَابِهِمْ إِلَى مَصْدَرِ عِزَّتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ، فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ؛ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَفِي هَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ؛ فَهُوَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴾ [غافر]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِّمُوا أَنَّ الْمَعَاصِيَ مَا حَلَّتْ فِي دِيَارِ إِلَّا خَرَبَتْهَا، وَلَا فِي قُلُوبِ إِلَّا أَعْمَتْهَا، وَلَا فِي أَجْسَادِ إِلَّا عَدَبَتْهَا، وَلَا فِي أُمَّةٍ إِلَّا أَذَلَّتْهَا، وَلَا فِي نَفُوسٍ إِلَّا أَفْسَدَتْهَا، وَلَا فِي مُجْتَمَعَاتٍ إِلَّا دَمَّرَتْهَا!!

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، إِنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ - لِيَصِدَّ وَبَاءَ الذُّنُوبِ وَعَوَاقِبَهَا الْوَحَيْمَةِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ - تَقَعُ عَلَى عَاتِقِ كُلِّ مُسْلِمٍ؛ فَقَدْ قَالَ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١)؛ كُلُّ يَقَوْمٍ نَفْسُهُ، وَيَحْفَظُ أَسْرَتَهُ، وَيُرَبِّي أَوْلَادَهُ عَلَى حُبِّ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، وَيَسْعَى - حَسَبَ قُدْرَتِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ - إِلَى تَطْهِيرِ مُجْتَمَعِهِ وَمُحِيطِهِ مِنْ أَدْرَانِ الْمَعَاصِي، وَاللَّهُ سَائِلٌ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ: حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ؟! فَرُحِمَاكَ

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٥٢).

رَبَّنَا رُحْمَاكَ!!

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّهُ «مَا نَزَلَ بِكَاءٍ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتُوبَةٍ»؛ فَلْتَلْهَجِ الْأَلْسِنَةُ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَالتَّوْبَةِ الدَّائِمَةِ النَّصُوحِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ فِيهَا الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتْ عَنْهَا الْمَوَانِعُ^(١)؛ لَعَلَّ اللَّهَ يُعْفُو وَيَتُوبُ وَيَتَجَاوَزُ؛ فَقَدْ وَعَدَ عِبَادَهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر].

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الْوَرَى؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) راجع تفصيل الكلام على التوبة النصوح في «منزلة التوبة» من «مدارج السالكين» لابن القيم (١/١٧٩-٤٣٣).

القِسْمُ الحَادِي عَشَرَ

مَوْضُوعَاتُ مَتْنِ عَرَبِيَّاتِ



الخطبة للهوى

الحمد لله، جعل في كل زمان فترة من الرسل؛ بقايا من أهل العلم
العاملين، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين،
وتأويل الجاهلين، أحمده تعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره،
وأسأله لي ولسائر المسلمين الهدى واليقين، والعز والنصر والتمكن.
وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المؤمنين، وخالق الخلق أجمعين،
وقيوم السموات والأرضين، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله؛ إمام
المؤمنين، وأشرف الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، صلى الله
وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابه الغر الميامين،
والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم - عباد الله - ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله - رحمكم الله -
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

عباد الله، إن في تاريخ العظماء لخبراً، وإن في سير العلماء لغيراً،
وإن في أحوال الثبلاء لمدكراً، وأممتنا الإسلامية أمة أمجاد وحضارة،

وَتَارِيخٍ وَأَصَالَةٍ، وَقَدْ اِزْدَانَ سِجْلُهَا الْحَافِلُ عَبْرَ التَّارِيخِ بِكُوكِبَةٍ مِنَ الْأَيْمَةِ الْعِظَامِ، وَالْعُلَمَاءِ الْأَفْذَاذِ الْكِرَامِ، يُمَثِّلُونَ عِقْدَ جِيدِهَا^(١)، وَتَاجَ رَأْسِهَا، وَدُرِّيَّ كَوَاكِبِهَا، كَانُوا فِي الْفَضْلِ شُمُوسًا سَاطِعَةً، وَفِي الْعِلْمِ نُجُومًا لَامِعَةً؛ فَعُدُّوا بِحَقِّ أَنْوَارِ هُدًى، وَمَصَابِيحِ دُجَى، وَشُمُوعًا تُضِيءُ - بِمَنْهَجِهَا الْمُتَلَأَلِيَّةِ، وَعِلْمِهَا الْمَشْرِقِ الْوَضَاءِ - غِيَاهِبَ الظُّلَمِ، تُبَدِّدُهَا أَنْوَارُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ.

إِخْوَةَ الْإِيْمَانِ، فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ عُلَمَاءُ رَبَّانِيُونَ، وَأَعْلَامٌ عَامِلُونَ، وَأَيْمَةٌ مَهْدِيُونَ، هُمْ مِنْ مَنَّةِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَامُوا بِالْإِسْلَامِ وَلِلْإِسْلَامِ؛ يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيُبْصِرُونَ بِهِ أَهْلَ الْعَمَى، وَيُرْشِدُونَ مَنْ ضَلَّ مِنْهُمْ إِلَى الْهُدَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ! وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ! يَفْتَبِسُونَ مِنْ نُورِ الْوَحْيِ، وَيَسِيرُونَ عَلَى مَشْكَاتِ الثُّبُوتِ؛ عَقِيدَةً وَعِلْمًا وَعَمَلًا، وَمَنْهَجًا وَدَعْوَةً؛ فَكَمْ نَفَعَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْبِلَادِ! وَكَمْ هَدَى بِهِمْ مِنَ الْعِبَادِ! وَإِنَّ ارْتِبَاطَ الْأَجْيَالِ اللَّاحِقَةِ، وَالنَّاشِئَةِ الْمَعَاصِرَةِ: بِسَلَفِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَفْذَاذِ؛ يَنْتَفِعُونَ بِسِيرَتِهِمْ، وَيَسِيرُونَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ، وَيَقْتَبِسُونَ مِنْ نُورِ عِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ - لَهُوَ مِنْ أَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي يُنْبَغِي أَنْ نُعْتَى بِهَا دَائِمًا وَأَبَدًا؛ لِأَسِيْمَا الْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ، وَالذُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، وَرِجَالِ الْحِسْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ؛ كَيْفَ لَا، وَنَحْنُ

(١) الْجَيْدُ: الْعُنُقُ، وَجَمْعُهُ: أَجْيَادٌ وَجُيُودٌ. «تاج العروس» (جيد).

نَعِيشُ فِي أَعْقَابِ الزَّمَنِ؛ حَيْثُ كَثُرَتِ الْفِتْنُ، وَطَمَّتِ الْمِحْنُ^(١)،
 وَاسْتَحْكَمَتِ الْأَزْمَاتُ، وَعَمَّتِ الْخِلَافَاتُ، وَتَبَايَنَتِ الْمُشْكِلَاتُ
 وَالْمُعْضِلَاتُ، وَاسْتَدَّتِ التَّحَدِّيَاتُ وَالْمُؤَامِرَاتُ، وَلَا مَخْلَصَ مِنْهَا إِلَّا
 الْاِعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالسِّيَرُ عَلَى مَنْهَجِ عُلَمَاءِ سَلَفِ الْأُمَّةِ -
 رَحِمَهُمُ اللَّهُ - الَّذِينَ يُعَدُّونَ أَمْثَلَةَ حَيَّةٍ، وَنَمَازِجَ فَرِيدَةٍ، تُمَثِّلُ التَّطْبِيقَ
 الْحَيِّ السَّلِيمَ، وَالْمَنْهَجَ الْعِلْمِيَّ الصَّحِيحَ لِلْإِسْلَامِ؛ عَقِيدَةً وَسُلُوكًا؛ وَهَذَا
 قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: «سِيرُ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْفَقْهِ»، غَيْرَ أَنَّ
 لَا عِصْمَةَ لِأَحَدٍ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ؛ وَالتَّعَصُّبُ لِلرِّجَالِ مَذْمُومٌ، وَخَيْرُ
 الْهَدْيِ هَدْيٌ مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﷺ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَّةِ، وَأَفْضَلِ هَؤُلَاءِ
 الْعُلَمَاءِ، عَالِمٌ لَا كَالْعُلَمَاءِ، وَعَلِمٌ لَا كَالْأَعْلَامِ، جَبَلٌ أَشَمُّ، وَبَدْرٌ أَتَمُّ،
 وَحَبْرٌ بَحْرٌ، وَطُودٌ شَامِخٌ^(٢)، يُعَدُّ بِجَدَارَةٍ: إِمَامَ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْهَجْرِيِّ،
 فَرِيدُ عَصْرِهِ، وَنَادِرَةُ دَهْرِهِ، قَلَّ أَنْ يَجُودَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ، إِنَّهُ أَيْمَةٌ فِي شَخْصِ
 إِمَامٍ، وَأُمَّةٌ فِي رَجُلٍ؛ قَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «خَرَجْتُ
 مِنَ الْعِرَاقِ فَمَا خَلَفْتُ فِيهِ رَجُلًا أَفْضَلَ وَلَا أَعْلَمَ وَلَا أَتَقَى اللَّهَ مِنْهُ»^(٣)، وَقَالَ

(١) أي: كثرت حتى علت وغلبت. «تاج العروس» (طمم).

(٢) طودٌ شامخٌ، أي: جبلٌ عظيمٌ عالٍ. «اللسان» (طود) (شمخ).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٤٠٦/١٤).

عَنْهُ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «عَالِمُ الْعَصْرِ، وَزَاهِدُ الدَّهْرِ، وَمُحَدِّثُ الدُّنْيَا، وَعَلِمُ السُّنَّةِ، وَبَاذِلُ نَفْسِهِ فِي الْمِحْنَةِ، قَلَّ أَنْ تَرَى الْعَيُونَ مِثْلَهُ، كَانَ رَأْسًا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْأَثَرِ؛ ذَا عَقْلٍ رَزِينٍ، وَصِدْقٍ مَتِينٍ، وَإِخْلَاصٍ مَكِينٍ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ الْإِمَامَةُ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَرَعِ، وَهُوَ أَجَلُّ مَنْ أَنْ يُمدَّحَ بِكَلِمِي، أَوْ أَنْ أُفَوَّهَ بِذِكْرِهِ بِفَمِي» .

أَتَدْرُونَ - يَارِعَاكُمْ اللَّهُ - مَنْ هُوَ؟ مَنْ ذَا الَّذِي تُعْطَرُونَ أَسْمَاعَكُمْ بِذِكْرِ سِيرَتِهِ؟ إِنَّهُ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ: الْإِمَامُ الْفَدُّ، وَالْعَالِمُ الْجِهْدِيُّ^(١)، الْإِمَامُ الْفَاضِلُ، وَالْعَالِمُ الْمُبْجَلُ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَنْ عَرَفْتَهُ الدُّنْيَا، وَذَاعَ ذِكْرُهُ، وَشَاعَ صِيَّتُهُ فِي الْآفَاقِ؛ إِمَامًا عَالِمًا، فَقِيهَا مُحَدِّثًا، مُجَاهِدًا صَابِرًا، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، يَتَحَمَّلُ الْمِحْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالذَّبُّ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُقَارِعُ الْبَاطِلَ بِحِكْمَةٍ نَادِرَةٍ، لَا تَزْعِزُهُ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَمِيدُ^(٢) بِهِ الْعَوَاصِفُ؛ حَتَّىٰ عَدَّ قِمَّةَ عَصْرِهِ وَمَا بَعْدَ عَصْرِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَىٰ جَلَالَتِهِ وَقَدْرِهِ، إِلَّا عِنْدَ مَنْ لَا يُعْبَأُ بِهِمْ .

قَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «أَرَادَ النَّاسُ مِنَّا أَنْ نَكُونَ مِثْلَ أَحْمَدَ! لَا وَاللَّهِ، مَا نَقْوَىٰ عَلَىٰ مَا يَقْوَىٰ عَلَيْهِ أَحْمَدُ، وَلَا عَلَىٰ

(١) الْجِهْدِيُّ - بِكسر الجيم والباء - : التَّقَادُ الْخَيْرِ . «القاموس» (جهبذ).

(٢) أَي: لَا تَتَحَرَّكُ وَلَا تَمِيلُ . «اللسان» (ميد).

طَرِيقَةَ أَحْمَدَ!»^(١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ عَلَى ثَرَى بَغْدَادَ؛ وُلِدَ الْإِمَامُ وَنَشَأَ وَتَرَعَّرَعَ،
وَمِنْ أَصْلِ عَرَبِيٍّ أَصِيلٍ انْحَدَرَ نَسْبُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَعَلَى عِصَامِيَّةٍ^(٢) الْيُئِمُّ؛
تَرَبَّى وَدَرَجَ فِي صِبَاهُ؛ مِمَّا سَاعَدَ عَلَى سُمُوِّ نَفْسِهِ، وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ، وَتُمُوِّ
مَدَارِكِهِ، وَتَعَرَّفِهِ عَلَى أَحْوَالِ مُجْتَمَعِهِ، وَكَانَتْ بَغْدَادُ آنَذَاكَ حَاضِرَةَ الْعَالَمِ
الْإِسْلَامِيِّ، وَمَهْدَ الْعُلُومِ وَالْحَضَارَةِ، تَمُوجُ بِأَنْوَاعِ الْفُنُونِ وَالْمَعَارِفِ،
وَتَزَخَرُ بِشَتَّى الْأَفْكَارِ وَالْعُلُومِ؛ وَعَصْرُهُ عَصْرُ نُضُوجِ الْفِقْهِ، وَظُهُورِ
الْفُقَهَاءِ، وَاشْتِدَادِ الْحَوَارِ الْفِكْرِيِّ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، مَعَ عَدَمِ اسْتِقْرَارِ الْحَالَةِ
السِّيَاسِيَّةِ، وَكَثْرَةِ الْفِتَنِ؛ مِمَّا سَاعَدَ عَلَى حُسْنِ تَوَجُّهِ الْإِمَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
فَاتَّجَهَ إِلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، وَلِزُومِ السُّنَّةِ، فَلَمْ يُحَرِّضْ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَمْ
يُؤَاجِهْ ذَا سُلْطَانٍ، مَعَ قُوَّةٍ فِي الْحَقِّ، وَحُبِّ لِلْخَلْقِ، وَذَبٍّ عَنِ السُّنَّةِ،
وَتَحْذِيرٍ مِنَ الْبِدْعَةِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، لَقَدْ أَقْبَلَ الْإِمَامُ الرَّقِيقُ النَّحِيلُ، الرَّبْعَةَ مِنَ
الرِّجَالِ^(٣)، ذُو اللَّوْنِ الْأَسْمَرِ وَالتَّوَاضِعِ الْجَمِّ، يَنْهَلُ مِنَ الْعِلْمِ؛ فَحَفِظَ

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٤٠٩/١٤).

(٢) الْعِصَامِيُّ: هو من شَرَفَ بِنَفْسِهِ لَا بِأَبَائِهِ، فَنَالَ الْعِلْمَ بِكَدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ وَذِكَايَتِهِ، وَفِي
الْمَثَلِ: «كُنْ عِصَامِيًّا، وَلَا تَكُنْ عِظَامِيًّا» أَي: اشْرُفْ بِنَفْسِكَ لَا بِأَبَائِكَ، وَبِالْاِكْتِسَابِ
لَا بِالْاِنْتِسَابِ. انظر: «مجمع الأمثال» (٣٣١/٢).

(٣) الرَّبْعَةُ مِنَ الرِّجَالِ - بسكون الباء وفتحها -: هو مَرْبُوعُ الْخَلْقِ، أَي: ليس بالطويل =

الْقُرْآنَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْحَدِيثِ وَالْأَثْرِ؛ حَتَّى حَفِظَ مِائَتِ الْآلَافِ مِنْ
الْأَحَادِيثِ، وَمَا كِتَابُهُ «الْمُسْنَدُ» إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى طَوْلِ بَاعِهِ فِي عِلْمِ السُّنَّةِ،
فِي مَجَالِ الرِّوَايَةِ، وَقَدْ جَمَعَهُ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ
حَدِيثٍ، وَاسْتَعْرَقَ فِي جَمْعِهِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً.

أَمَّا الدَّرَايَةُ: فَ«هُوَ ابْنُ بَجْدَنِيهَا»^(١)، وَ«كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ
الْفَرَا»^(٢)، مُلْتَزِمًا بِفِقْهِ السُّنَّةِ وَالْعِنَايَةِ بِالذَّلِيلِ وَالْأَثْرِ، وَالْأَخْذِ بِفَتَاوَى
الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - رَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ؛
حَتَّى قَالَ عَنْهُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «لَقَدْ طَافَ فِي الْبِلَادِ وَالْآفَاقِ؛
لِيَسْمَعَ مِنَ الْمَشَايخِ، وَكَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ فِي الطَّلَبِ وَالتَّحْصِيلِ؛ فَمَا
تَرَكَ لِحِظَةً مِنْ لِحَظَاتِ شَبَابِهِ وَكُهُولَتِهِ، إِلَّا حَرَصَ فِيهَا عَلَى سَمَاعِ
حَدِيثٍ، أَوْ تَصْحِيحِ رِوَايَةٍ، وَمَا قِصَّتُهُ فِي سَمَاعِهِ مِنَ الْإِمَامِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ
هَمَّامِ الصَّنَعَانِيِّ فِي مَكَّةَ»^(٣)، وَسَفَرِهِ مَعَهُ إِلَى بِلَادِهِ - مَعَ بَعْدِ الشُّقَّةِ وَانْقِطَاعِ
النَّفَقَةِ - إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ الْهِمَّةِ وَمِضَاءِ الْعَزِيمَةِ، حَتَّى عَدَّ حَافِظَ زَمَانِهِ.

قَالَ عَنْهُ ابْنُ الْمَدِينِيِّ: «لَيْسَ فِي أَصْحَابِنَا أَحْفَظُ مِنْهُ»^(٤)، وَقِيلَ

= ولا بالقصير. «اللسان» (ربع).

(١) مثلُ تَقَدَّمَ تخريجه وشرحه. انظر: (ص ٩).

(٢) مثلُ تَقَدَّمَ تخريجه والحديث عنه. انظر: (ص ١٢).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/٣٨٣).

(٤) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص ٣٨).



لَأَبِي زُرْعَةَ: مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْمَشَايخِ الْمُحَدِّثِينَ أَحْفَظَ؟ فَقَالَ: «أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؛ حُزِرَتْ كُتُبُهُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَبَلَغَتْ اثْنِي عَشَرَ حِمْلًا وَعَدَلًا، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ مِنْهَا: «حَدِيثُ فُلَانٍ» وَلَا فِي بَطْنِهِ: «حَدَّثَنَا فُلَانٌ»، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَحْفَظُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ»^(١).

وَمَعَ هَذَا الْعِلْمِ الْجَمِّ؛ فَقَدْ خَافَ الْإِمَامُ عَلَى نَفْسِهِ الْبُرُوزَ وَالشُّهْرَةَ وَالتَّصَدُّرَ؛ فَلَمْ يَجْلِسْ لِلتَّدْرِيسِ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(٢) وَمَا ذَاكَ إِلَّا مُرَاعَاةَ لِسَنِ التُّضْجِ وَالِاسْتِيثَاقِ مِنَ الْعِلْمِ، وَكَانَ مِنْ شِدَّةِ وَرَعِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَا يُحَدِّثُ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ؛ خَشْيَةَ الزَّلَلِ، مَعَ قُوَّةِ حَافِظَتِهِ، وَشِدَّةِ عَارِضَتِهِ، وَلَا يَسْمَحُ بِتَدْوِينِ فَتَاوَاهُ، وَلَا يَرَى تَأْلِيفَ الْكُتُبِ؛ وَرَعًا مِنْهُ - عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ - قِيلَ: إِنَّهُ لَسَعَةَ عِلْمِهِ، أَجَابَ عَنْ سِتِّينَ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ بِ«قَالَ اللَّهُ»، وَ«قَالَ رَسُولُهُ ﷺ»، وَ«فَتَاوَى الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، وَمِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ حَيَاةِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْهُجُهُ فِي الْعَقِيدَةِ، وَالتَّزَامُهُ نَهْجَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ فِي التَّوْحِيدِ، وَالصِّفَاتِ، وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ؛ حَتَّى أُوذِيَ وَأَمْتُحَنَ؛ فَصَبَرَ وَصَابَرَ، وَلَمْ يَتَزَحَّزَحْ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ، حَتَّى رُبِّطَ مَوْقِفُهُ فِي مِحْنَتِهِ

(١) المصدر السابق (ص ٧٥).

(٢) المصدر السابق (ص ١٤٧).

بِمَوْقِفِ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: «لَقَدْ أَعَزَّ اللهُ
الإِسْلَامَ بِرَجُلَيْنِ: بِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ الْفِتْنَةِ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ يَوْمَ الْمِحْنَةِ»^(١).

وَلَمْ يَكُنِ الْإِمَامُ - رَحِمَهُ اللهُ - بِمَعزِلٍ عَنِ الْأُمَّةِ وَالْمُجْتَمَعِ، بَلْ كَانَ
عَالِمًا عَامِلًا، مُصْلِحًا مُجَاهِدًا، أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ؛ لَكِنَّهُ -
مَعَ ذَلِكَ - يَلْتَزِمُ مَسَالِكَ الرَّفْقِ وَالْحِكْمَةِ، مُوَافِقًا لِلْجَمَاعَةِ، بَعِيدَ النَّظَرِ فِي
الإِصْلَاحِ؛ يَقُولُ ابْنُ عَمِّهِ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللهُ - فِيمَا
أَخْرَجَهُ الْخَلَّالُ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ»: «اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ فِي وِلَايَةِ الْوَائِقِ
إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ - يَعْنِي الْإِمَامَ أَحْمَدَ، رَحِمَهُ اللهُ - وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ،
إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَفَاقَمَ - يَعْنُونَ إِظْهَارَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - وَلَا
نَرْضَى بِإِمَارَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَنَظَرَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالإِنْكَارِ فِي
قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَا تَشْفُوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا
تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، وَانظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ،
وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرْ، وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ، وَقَالَ: لَيْسَ هَذَا صَوَابًا -
يَعْنِي: نَزَعَ الْيَدَ مِنَ الطَّاعَةِ - هَذَا خِلَافُ الْآثَارِ»^(٢).

وَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ عَلَى مَدَى التَّارِيخِ: أَنَّ سُلْطَانَ الْعِلْمِ لَابْدَ لَهُ مِنْ

(١) المصدر السابق (ص ١٤٨).

(٢) «السنة» لأبي بكر الخلال (١/١٣٤).

مَنْهَجِ سَلِيمٍ، يُتَّخَذُ مَعَ سُلْطَانِ الْحُكْمِ؛ تَحْقِيقًا لِلْمَصَالِحِ، وَدَرَاءً
لِلْمَفَاسِدِ، وَتَجَنُّبًا لِلْأُمَّةِ غَوَائِلَ الشُّرُورِ وَعَادِيَاتِ الْفِتَنِ، اللَّهُ أَكْبَرُ! مَا
أَعْظَمَ الْعِلْمَ! وَمَا أَهَمَّ الْفِئَةَ! وَمَا أَجَلَ مَكَانَةَ الْعَالِمِ إِذَا ثَبَتَ عَلَى السُّنَّةِ،
وَلَمْ تَسْتَمِلْهُ الْعَوَاطِفُ، وَنَظَرَ بَعَيْنِ الْحِكْمَةِ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَلَقَدْ ضَرَبَ الْإِمَامُ أَرْوَعَ الْأَمْثَلَةِ فِي الثَّبَاتِ عَلَى
الْمَبْدَأِ، وَالصَّبْرِ أَمَامَ الْفِتَنِ؛ لَقَدْ أُوْذِيَ وَسُجِنَ، وَضُرِبَ وَأُهِنَّ، فَلَمْ تَلْنُ
لَهُ فَنَاءً، وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَزَحَّزَحْ عَنْ حَقِّ يَرَاهُ، وَلَوْ كَلَّفَهُ
حَيَاتَهُ، وَهَذِهِ دُرُوسٌ لِلْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لَقَدْ سَخَّرَ
بِالْأَهْوَالِ الَّتِي حَاقَتْ بِهِ^(١)، وَالْمَخَاطِرِ الَّتِي حَفَّتْ بِهِ، وَالْمُؤَامَرَاتِ الَّتِي
أَحِيكَتْ ضِدَّهُ، وَهَزِيءَ بِالسَّيَاطِ الَّتِي أَلْهَبَتْ ظَهْرَهُ، وَلَمْ يُبَالِ بِالْحَدِيدِ
الَّذِي كُبِّلَ بِهِ، وَالسَّجْنِ الَّذِي أُودِعَ فِيهِ؛ وَبِالتَّالِيِ: ثَبَتَ أَمَامَ الْمُغْرِبَاتِ.
كُلُّ ذَلِكَ هَيِّنٌ مَا دَامَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَصِيَانَةَ كِتَابِهِ مِنْ عِبَثِ الْعَابِثِينَ،
وَحِفْظِهِ مِنْ عَقَائِدِ الْمُخَالِفِينَ.

أَيُّهَا الْأَجِبَةُ، وَصَفْحَةُ أُخْرَى فِي حَيَاةِ هَذَا الْإِمَامِ الْهُمَامِ، صَفْحَةُ
الْعِبَادَةِ وَتَصْفِيَةِ الرُّوحِ، وَتَرْكِيَةِ النَّفْسِ بِالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، وَالِدُّعَاءِ وَالتَّلَاوَةِ،
وَكَذَلِكَ صَفْحَةُ الْخُلُقِ الرَّفِيعِ، وَالسَّجَايَا الْحَمِيدَةِ؛ زُهْدٌ وَحَيَاءٌ، تَوَاضَعٌ

(١) أَي: تَزَلَّتْ بِهِ، وَأَحَاطَتْ بِهِ. «اللسان» (حقيق).

وَوَرَعٌ، تَعَفُّفٌ وَجُودٌ، بَذْلٌ وَكَرَمٌ، حُبٌّ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، بُعْدٌ عَنِ الشُّهْرَةِ وَالْأَضْوَاءِ، وَحُبٌّ الظُّهُورِ وَكَثْرَةِ الْجَمَاهِيرِ، مُجَانَبَةٌ لِلرِّيَاءِ وَضَعْفُ الإِخْلَاصِ، قَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: «كَانَ أَبِي أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْوَحْدَةِ، لَمْ يَرَهُ أَحَدًا إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ حُضُورِ جِنَازَةٍ، أَوْ عِيَادَةِ مَرِيضٍ، وَكَانَ يَكْرَهُ الْمَشْيَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَتَّبِعُهُ»^(١)، وَتِلْكَ - وَاللَّهِ - مَقَامَاتُ الْعُظَمَاءِ، وَمَنَاهِجُ الْعُلَمَاءِ الْأَتْقِيَاءِ!!

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوا اللَّهَ يَا عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ، اتَّقُوا اللَّهَ يَا دُعَاةَ الْإِسْلَامِ، وَيَا طُلَّابَ الْعِلْمِ، وَيَا أَرْبَابَ الْإِصْلَاحِ! وَلَيْتَ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ، وَلَيْتَ شَبَابَهَا يَتَوَجَّهُونَ بِعُقُولِهِمْ إِلَى عُلَمَاءِ سَلَفِهِمْ، وَلِيَتَذَكَّرُوا الْقُدُوةَ الصَّالِحَةَ، وَالْأَسُوءَةَ الْحَسَنَةَ؛ حَتَّى تَحْيَا فِي أَنْفُسِهِمْ سِيرَةَ سَلَفِهِمْ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَسِيرَتُهُمْ خَيْرُ سَبِيلٍ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَضَمَانَةٌ مِنَ الْفِتَنِ، وَبُعْدٌ عَنِ الْمِحَنِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب].

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص ٣٧٣).

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَبِسِيرِ
سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ
الْمُبِينُ، مَنْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَيِّمَةٍ هُدَاةٍ مُهْتَدِينَ، وَعُلَمَاءَ صَادِقِينَ
عَامِلِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ،
وَأَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الرَّاشِدِينَ
الْمُرْشِدِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ

نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [البقرة] .

وَأَعْلَمُوا - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا لَمْ تَعْتَزَّ بِمَا ضِيئَهَا، وَسِيرِ
عُلَمَائِهَا، وَلَمْ تُفِدْ مِنْ تَارِيخِهَا وَأَمْجَادِ سَلْفِهَا - ضَيَّعَتْ حَاضِرَهَا
وَمُسْتَقْبَلَهَا، وَاضْطَرَبَتْ مَكَانَتُهَا، وَتَخَبَّطَ أَجْيَالُهَا . وَسِيرُ سَلْفِنَا الصَّالِحِ
- رَحِمَهُمُ اللَّهُ - شُمُوعٌ عَلَى طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالِدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ؛ بِهِمْ يُسْتَفَادُ
فِي تَصْحِيحِ الْمَسَارِ، وَتَوْجِيهِ الْمَسِيرَةِ، وَتَوَازُنِ الْخُطَا، وَلَقَدْ ضَلَّ أَقْوَامٌ
زَهَدُوا بِسِيرِ سَلْفِهِمْ، وَالتَّقْتُوا - يَمَنَةً وَيَسْرَةً - يَخِيطُونَ فِي شَتَّى الْمَذَاهِبِ،
وَيَتَدَبَّدُونَ بَيْنَ جَدِيدِ الْمَشَارِبِ، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ
مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ

الشَّيْطَانِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٢﴾ [النساء].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، وَحِينَمَا نُقَلِّبُ صَفْحَةً أُخْرَى مِنْ حَيَاةِ هَذَا
الإمام، نَرَى العَجَبَ العُجَابَ! إِنَّهُ الجَانِبُ الأَسْرِيُّ وَالتَّرْبَوِيُّ، فَلَمْ تَشْغَلْهُ
هُمُومُ العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ، وَالإِصْلَاحِ وَالجِهَادِ، عَنِ أَسْرَتِهِ وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ
لأَهْلِهِ وَرَوْجِهِ؛ يَقُولُ الإمامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللهُ: «تَزَوَّجْتُ أُمَّ صَالِحٍ،
فَأَقَامَتْ مَعِيَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَا اخْتَلَفْتُ أَنَا وَهِيَ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ»^(١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، وَثَمَّةٌ صَفْحَةٌ أُخْرَى مِنْ سِجِلِّ هَذَا الإمام
الخَالِدِ، هِيَ: إِنْصَافُهُ لِلْمُخَالَفِ، وَسَلَامَةُ صَدْرِهِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَقْدِيرُهُ
لأَهْلِ العِلْمِ وَإِنْ اخْتَلَفَ مَعَهُمْ، وَلَمَّا عَتَبَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ، وَأَرَادُوا إِثَارَةَ
الْخِلَافِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّافِعِيِّ، قَالَ: «مَارَأْتُ عَيْنَايَ مِثْلَ الشَّافِعِيِّ»، وَقَالَ:
«إِنِّي لَأَدْعُو اللهُ لِلشَّافِعِيِّ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»^(٢).

وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُقَلِّبَ صَفْحَاتِ حَيَاةِ هَذَا الإمامِ كُلِّهَا، لَطَالَ المَقَامُ،
وَلَكِنْ حَسَبْنَا الإِشَارَةَ وَالتَّذْكِيرَ؛ وَفَاءً لِقَدْرِ عُلَمَائِنَا، وَأَدَاءً لِبَعْضِ حَقِّهِمْ
عَلَيْنَا، وَرَبْطًا لِلنَّاسِ بِسِيرِهِمُ التِّي وَرَثُوهَا عَنِ المَنْهَجِ النَّبَوِيِّ، وَاسْتَقْوَاهَا
مِنْ مَعِينِ الوَحْيِ، فِي بُعْدِ عَنِ التَّعَصُّبِ المَذْهَبِيِّ، وَالمَسْلِكِ التَّحْرِيْبِيِّ،
وَفِي مُجَانِبَةِ لِمَسَالِكِ العُلُوِّ فِي الأُمَّةِ، أَوْ الجَفَاءِ لَهُمْ، وَالحِطِّ مِنْ مَكَاتِبِهِمْ.

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص ٤٠٣).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣٥/١٤).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَبَعْدَ حَيَاةٍ حَافِلَةٍ بِالْخَيْرِ بِجَمِيعِ جَوَانِبِهِ، قَدَّمَ فِيهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جُهْدَهُ وَجِهَادَهُ، وَأَيَّقِظَ فِي الْأُمَّةِ الْإِعْتِرَازَ بِالْإِسْلَامِ، وَشِدَّةَ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، وَالْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ، بَعْدَهَا مَرِضٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْحُمَّى، يَقُولُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةُ، جَلَسْتُ عِنْدَهُ، فَجَعَلَ يَعْرِقُ ثُمَّ يَفِيقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ: لَا بَعْدُ، لَا بَعْدُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَفَعَلَ هَذَا مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَالِثَةً، فَلَمَّا كَانَتْ فِي الثَّالِثَةِ، قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ، إِنَّكَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: مَا تَذْرِي؟! هَذَا إِبْلِيسُ قَائِمٌ حِذَائِي، عَاضٌ عَلَيَّ أَنَامِلِي، يَقُولُ: فُتِنِي يَا أَحْمَدُ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا بَعْدُ، حَتَّى أَمُوتَ»^(١). وَقَالَ صَالِحٌ: «جَعَلَ أَبِي يُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِالشَّهَادَةِ حَتَّى تُؤَفِّيَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلَهُ سَعْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً وَأَيَّامٌ»^(٢).

وَقَدْ شَهِدَتْ جِنَازَتَهُ - كَمَا تَقُولُ كُتُبُ السِّيَرِ - جُمُوعٌ لَمْ يُشْهَدْ مِثْلُهَا، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ أَسْلَمُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: «قُولُوا لِأَهْلِ الْبِدْعِ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ الْجَنَائِزِ»^(٣)، وَأَوْصَى - رَحِمَهُ اللَّهُ - عِنْدَ مَوْتِهِ لِأَهْلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

تَلَكُمُ - يَا رِعَاكُمُ اللَّهُ - صَفَحَاتٌ نَاصِعَةٌ، وَذَلِكُمْ غَيْضٌ مِنْ

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن العجوزي (ص ٥٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٥٤٨، ٥٤٩).

(٣) المصدر السابق (ص ٥٦٠).



فِيضٍ^(١)، لَا يُوفِّي الإِمَامَ حَقَّهُ، وَكَمْ مِنْ مَعَانٍ يَعْجِزُ اللِّسَانُ عَنْ تَصْوِيرِهَا، وَحَيَاةُ الإِمَامِ كُلُّهَا مَعَانٍ وَمَوَاقِفُ، وَحَسْبُهُ: أَنَّهُ إِمَامُ الشُّنَّةِ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ، وَدَعْوِيهِ وَجِهَادِهِ، وَأَنَّهُ حَرَبٌ عَلَى الْجَهْلِ وَالْإِنْحِرَافِ وَالْبِدْعَةِ، وَقَدْ خَلَفَ لِلأُمَّةِ تَرَاثًا عِلْمِيًّا، وَمَذْهَبًا فِقْهِيًّا، لَهُ مِنَ الْمَزَايَا وَالْخَصَائِصِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ؛ فَرَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ فِي عَالَمَيْنِ، مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا!!

وَنِعْمَةٌ تَنْبِيئُهُ أَحْيَرُ، وَهُوَ: أَنَّ الْحَدِيثَ عَنْ عَالِمٍ لَيْسَ حَطًّا مِنْ مَكَانَةٍ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ فَابُوحَيْفَةَ، وَمَالِكُ، وَالشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيعًا - وَسَائِرُ الأئِمَّةِ، لَهُمْ حَظُّهُمْ الْوَافِرُ، فِي خِدْمَةِ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛ فَرَحِمَهُمُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَرَزَقَنَا السَّيْرَ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ!!

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَى خَيْرِ الْوَرَى، النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَالْحَبِيبِ الْمُجْتَبَى؛ كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) هذا من أمثال العرب، والمراد: قليل من كثير. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/٦٠).



الخطبة لله والى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الشُّكْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ، وَلَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ الضَّلَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ كَرِيمٌ السَّجَايَا وَشَرِيفُ الْخِصَالِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَأَفْضَلِ آلٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَالِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَهِيَ وَصِيَّتُهُ سُبْحَانَهُ لِلْأَوَائِلِ وَالْآخِرِ، وَبِهَا تَسْمُو الضَّمَائِرُ، وَتَرِقُّ الْمَشَاعِرُ، وَتُقْبَلُ الشَّعَائِرُ، وَهِيَ الزَّادُ الْحَقِيقِيُّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي غِيَابِ الْمَقَابِرِ، وَبِهَا النَّجَاةُ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، حِينَمَا تُخَيِّمُ عَلَى الْأُمَّةِ اللَّيَالِي الْحَوَالِكُ، فَإِنَّهَا

بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُضِيءُ لَهَا الْمَسَالِكَ، وَعِنْدَمَا تَتَقَاذَفُ سَفِينَةُ الْمُجْتَمَعِ أَمْوَاجُ
مِنَ التِّيَّارَاتِ، وَطُوفَانُ مِنَ التَّحَدِّيَّاتِ، تَمَسُّ الْحَاجَةَ إِلَى رَبَّابِينَ (١) مَهْرَةً،
وَأَيْمَّةٍ مُصْلِحِينَ بَرْرَةً، يَتَوَدُّونَ دَفْتَهَا إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ، وَشَاطِيءِ السَّلَامِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، الصَّرَاعُ بَيْنَ قُوَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ: سُنَّةٌ جَارِيَةٌ،
وَشِرْعَةٌ مَاضِيَةٌ، تُؤَكِّدُهَا شَوَاهِدُ التَّارِيخِ، وَشَهَادَاتُ الْوَاقِعِ، غَيْرَ أَنَّ
النَّهَايَةَ الْحَتْمِيَّةَ - تَأْكِيدًا لَوَعْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَتَخَلَّفُ، وَسُنَّتِهِ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا
تَبَدَّلُ - هِيَ إِحْقَاقُ الْحَقِّ، وَإِبْطَالُ الْبَاطِلِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ؛ ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، وَمِنْ فَضْلِ
اللَّهِ وَلَطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ: أَنَّ هَيَأُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مَنْ
يُضِيءُ لَهَا مَعَالِمَ الدَّرُوبِ، وَمَنْ يُقَارِعُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - عَوَاتِي الْخُطُوبِ،
وَيَقَاوِمُ شِدَّةَ الْأَمْوَاجِ الْعَاتِيَةِ، وَيُصَارِعُ قُوَّةَ التِّيَّارَاتِ الْغَاشِمَةِ، وَمَنْ يَجِدُّ
لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ دِينِهَا؛ ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ [التوبة]، فَلَمَّا عَلَا طُوفَانُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، وَطَغَى
الشُّرُكُ وَالْوَيْبَةُ، مَنَّ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِنَبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَالْحَبِيبِ
الْمُجْتَبَى، وَالرَّسُولِ الْمُرْتَضَى، مُحَمَّدٍ ﷺ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ حَمَلَ لِيَوَاءِ الدَّعْوَةِ بَعْدَ الْمُصْطَفَى ﷺ صَحَابَتُهُ

(١) الربابيين: جمع ربابان، وربان السفينة: الذي يجريها. «اللسان» (ربن).

الْعُرَى الْمَيَامِينُ، وَتَمُرُّ الْقُرُونُ، وَتَتَّبَعُ السَّنُونَ، وَتَعِيشُ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي
 أَوْضَاعِهَا بَيْنَ مَدٍّ وَجَزْرِ، وَلَا يَزَالُ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - فِي كُلِّ الْأَعْصَارِ
 وَالْأَمْصَارِ، مَنْ هُوَ قَائِمٌ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ، مُنَافِحٌ عَنْ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ، وَالْيَوْمَ تَرْسُو
 سَفِينَةُ الْأُمَّةِ عَلَى شَاطِئِ عَالَمِنَا الْمُعَاصِرِ، حَيْثُ عَلَا طُوفَانُ الْإِفْتِنَانِ
 بِالْحَضَارَةِ الْغَرِيبَةِ، وَطَغَى تَيَّارُ الْحَيَاةِ الْمَادِّيَّةِ؛ فَانْبَهَرَ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا،
 وَمَنْ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، بِمَا عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْقَوْمِ، وَأُصِيبَ كَثِيرٌ مِنْ أَرْبَابِ
 الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ، وَحَمَلَةَ الْأَقْلَامِ، وَرِجَالِ الْإِعْلَامِ، أُصِيبُوا بِالْإِنْهَزَامِيَّةِ
 الْفِكْرِيَّةِ، وَالْخُلُقِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ، فَأَثَرُوا عَلَى الرَّعَاعِ^(١)، وَخَدَعُوا الدَّهْمَاءَ
 بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ، وَقُشُورِ التَّقَدُّمِيَّةِ الْمَرْعُومَةِ، وَالْمَدْنِيَّةِ الزَّائِفَةِ.

وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنَ الصَّرَاحِ بَيْنَ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ، أَيْقَنَ
 النَّاسُ بَعْدَهَا بِإِفْلَاسِ حَضَارَةِ الْمَادَّةِ، وَتَعَرَّتِ الشُّعَارَاتُ الزَّائِفَةُ، وَأَفْلَسَتْ
 النَّظَرِيَّاتُ الْجَوْفَاءُ، وَشَعَرَ الْعَالَمُ - لِأَسِيْمَا الْمُنْصِفُونَ - بِالْحَاجَةِ إِلَى دِينٍ
 حَقٍّ، يُهْدِبُ النَّفُوسَ، وَيُزَكِّي الضَّمَائِرَ، وَيَضْبِطُ الْأَخْلَاقَ وَالسُّلُوكَ،
 وَتَمَّتْ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - تَوَجُّهَاتُ إِسْلَامِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ، سَتَعِيدُ - بِإِذْنِ
 اللَّهِ - لِلْأُمَّةِ الْمَفْقُودَةِ مِنْ أَمْجَادِهَا، وَالْمَنْشُودَةِ مِنْ عِزِّهَا، وَالْمَعْقُودَةِ مِنْ
 أَمَالِهَا؛ فَانْتَشَرَتِ الْمَرَائِزُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَكَثُرَتِ الصُّرُوحُ الْعِلْمِيَّةُ
 وَالْحَضَارِيَّةُ، الَّتِي تُعَدُّ مَعَاقِلَ خَيْرٍ وَهَدَايَةٍ، وَصُرُوحَ إِشْعَاعٍ وَإِصْلَاحٍ،

(١) الرَّعَاعُ: غَوْعَاءُ النَّاسِ وَسُقَّاطُهُمْ وَسَفَلَتُهُمْ، الْوَاحِدُ: رَعَاعَةٌ. «اللسان» (رعرع).

وَجُسُورًا لِلتَّوَاصِلِ بَيْنَ حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِهَا، وَانْتَشَرَتْ بَيُوتُ اللَّهِ فِي
أَرْضِ اللَّهِ، بِعِمَارَةِ الْمُؤَفِّقِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فِي عَقْرِ دُورِ أَهْلِ الْحَضَارَةِ الْمَادِيَّةِ.

وَمَعَ هَذِهِ الْبَشَائِرِ، فَإِنَّ هُنَاكَ مَنْ يُرِيدُ إِسْدَالَ السِّتَارِ عَلَى عُقُولِ
أَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِتَتَمَكَّنَ خَفَافِيشُ وَأَدْعِيَاءُ الْحَضَارَةِ مِنَ التَّسَلُّلِ فِي لَيْلٍ
حَالِكٍ؛ لِتَرْتَفِعَ أَلْسِنَةُ لَهَيْبِ الْمُفْتُونِينَ لِحِمَايَةِ هَذَا الْعَفْنِ، وَالِدَّفَاعِ عَنْهُ،
وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ بِدَعَاوَى مُزْرَكَشَةِ، وَأَقْوَالِ مُزْخَرْفَةِ، وَالْبِسَةِ فَاتِنَةِ، ظَاهِرُهَا
الرَّحْمَةُ، وَبَاطِنُهَا الْعَذَابُ، يَرْكَبُونَ مَطَايَا مِنَ الْمَوْضَاتِ، وَيَتَزَيُّونَ بِأَشْكَالِ
مِنَ التَّقْلِيْعَاتِ؛ فِي سَمَاجَةِ خُلُقِيَّةٍ، وَسَدَاجَةِ فِكْرِيَّةٍ؛ فَكَانَ لَا بَدَّ مِنْ كَشْفِ
سُتُورِهَا، وَإِخْرَاجِ مَعْمُورِهَا، وَإِمَاطَةِ اللَّثَامِ، وَالْعَمَلِ عَلَى إِشْعَاعِ الثُّورِ
فِي الظَّلَامِ، تَنْوِيرًا لِلْخَلَائِقِ، وَإِيضَاحًا لِلْحَقَائِقِ؛ ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ
يُسْمِعَ نَوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ تَكِدِ الْقُرُونُ الْمُفَضَّلَةَ تَنْقِضِي، وَالْعُصُورُ
الزَّاهِيَةَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ تَنْتَهِي، حَتَّىٰ بَدَأَ فِي الْأُمَّةِ الْإِنْحِدَارُ، وَأَخَذَ تَطْبِيقُ
الْإِسْلَامِ فِي الْإِنْحِسَارِ؛ فَكَثُرَتِ الْإِنْحِرَافَاتُ، وَتَمَكَّنَتِ الْفُرْقَةُ وَالْخِلَافَاتُ،
تَبَدَّلَتْ قُوَّةُ الْأُمَّةِ ضَعْفًا وَوَهْنًا، وَعَزَّتْهَا ذَلَّةٌ وَاسْتِجْدَاءٌ^(١)، وَأَغَارَ أَعْدَاءُ
الْأُمَّةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِهَا؛ فَهَبُّوا خَيْرَاتِهَا، وَعَبَّثُوا بِمُقَدَّرَاتِهَا، وَاسْتَعْلَوْا

(١) الاستجداء: طَلَبُ الْجِدْوَى، وَهِيَ الْعَطِيَّةُ. «تاج العروس» (جدو).

ثُرَوَاتِهَا، وَ«تَدَاعَوْا عَلَيْهَا كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قِصْعَتِهَا»، فَتَتَابَعَتِ
الْحَمَلَاتُ الصَّلِيبِيَّةُ، وَالْهَجَمَاتُ التَّتَارِيَّةُ، وَتَهَاوَتِ الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ
فِي الْأَنْدَلُسِ، بَعْدَمَا نَعِمَتْ بِهَا ثَمَانِيَةَ قُرُونٍ، وَافْتَسَمَ الْأَعْدَاءُ تَرِكَةَ الرَّجُلِ
الْمَرِيضِ، وَعَبَثُوا بِمُقَدَّسَاتِ الْأُمَّةِ، وَسَقَطَتْ دُوَيْلَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي
أَيْدِي الْعَابِثِينَ الْمُسْتَعْمِرِينَ، وَبَدَأَتْ حَمَلَاتُ التَّغْرِيْبِ، وَسِيَاسَاتُ
تَجْفِيْفِ الْمَنَابِعِ الْخَيْرِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ، وَمُسِخَتْ الْهُويَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ
بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَتِ الشُّعَارَاتُ الْقَوْمِيَّةُ وَالنَّعْرَاتُ الطَّاغُفِيَّةُ، تَلَّتْهَا
الْحُدُودُ الْجُغْرَافِيَّةُ، وَالتَّقْسِيْمَاتُ الْإِفْلِيْمِيَّةُ، وَخَطَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَسَيِّنِ
إِلَى الْإِسْلَامِ وَدَّاعِدَائِهِمْ.

وَحُورِبَ الْإِسْلَامُ بِمُضْطَلِحَاتِ غَرِيبَةٍ، أَشْهَرُهَا فِي هَذِهِ الْآوِيَّةِ: مَا
يُعرفُ بِمُضْطَلِحِ «الْعَوْلَمَةِ»، الَّذِي يُعَدُّ -بِاخْتِصَارٍ-: غَابَةً مُظْلِمَةً، تَمَلُّوْهَا
وَحُوشٌ كَاسِرَةٌ، إِنَّهُ يَزِمُنِي إِلَى تَحْوِيلِ الْعَالَمِ إِلَى قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ، لَكِنَّهُ يُبَيِّرُ
الْيَوْمَ زَوَابِعَ مُنْتَنَةٍ^(١)، وَيَنْفُثُ سُمُومًا قَاتِلَةً؛ مِنْ الْمُمَارَسَاتِ وَالْفَوَاجِعِ
الْمُدْمِرَةِ، وَيُفْضِي إِلَى هَيْمَنَةِ غَرِيبَةٍ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ الْبَدْهِيِّ:
أَنَّ الْأُمَّةَ الْمُسَيِّطِرَةَ تَسْعَى لِفَرَضِ مُعْتَقَدَاتِهَا وَتَقَافَاتِهَا وَمَصَالِحِهَا عَلَى
الْأُمَّةِ الْمُسْتَجِدِيَّةِ، إِنَّهَا لَا تُرِيدُ انْتِقَالَ مَعْلُومَاتٍ مُجَرَّدَةٍ، وَتَقْنِيَّاتٍ مُسَيَّرَةٍ
فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا تُرِيدُ أَنْ تَبْدُرَ بُدُورًا مِنْ حَنْظَلٍ؛ لِتَجْنِيَ الْأُمَّةَ ثَمَارًا مِنْ

(١) أي: أعاصير كريمة، والزوابع: جمع زوبعة، وهي الإعصار. «تاج العروس» (زبع).

عَلِقَمَ، تَجَرَّعُ مَرَارَتَهَا شَجًّا^(١) فِي الْحُلُوقِ، وَطَعَنَاتٍ فِي الْخَوَاطِرِ.

وَإِنْ تَعَجَّبُوا - يَارِعَاكُمْ اللَّهُ - فَعَجَبٌ كَيْلُ أَرْبَابِ الْعَوْلَمَةِ بِمَكْيَالَيْنِ
حِينَمَا تَبْدُو سِيَاسَتَهُمْ أَكْثَرَ انْغِلَاقًا وَعُنْصُرِيَّةً وَرَفْضًا لِلْعَالَمِيَّةِ الصَّحِيحَةِ،
حِينَمَا تَمَسُّ أَنْمَاطَ مَعِيشَتِهِمْ؛ وَإِلَّا فَالْمُسْلِمُونَ هُمْ أَهْلُ الْعَالَمِيَّةِ الْحَقَّةِ
الَّتِي تَمَلَأُ الْأَرْضَ رَحْمَةً وَعَدْلًا وَسَلَامًا؛ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء].

ثُمَّ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَسَاءَلُوا: لِمَ إِذَا يَتَّخِذُ دُعَاةُ الْعَوْلَمَةِ
الْإِسْلَامَ عَدُوًّا لِدُودًا، وَيُحَاوِلُونَ تَشْوِيهِهَ صُورَتِهِ، وَطَمَسَ حَقَائِقِهِ، ظُلْمًا
وَعُلُوًّا، وَجَرَّ بِلَادِهِ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَوْلَمَةِ الْمَفْضُوحَةِ، لَعَلَّ مِنْ أَشَدِّهَا
أَثْرًا، وَأَكْبَرَهَا خَطَرًا، وَأَعْظَمَهَا ضَرَرًا: تِلْكَ الْعَوْلَمَةُ الثَّقَافِيَّةُ وَالْإِعْلَامِيَّةُ
الَّتِي تَبَّتْ الْحَرْبَ ضِدَّ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقِيمِهِمْ وَفِكْرِهِمُ النَّيِّرِ، وَتُرُوجُ
لِثَقَافَاتٍ مَسْمُومَةٍ، تُنذِرُ طَلَائِعَهَا بِمَزِيدٍ مِنَ الشَّقَاءِ لِلْبَشَرِيَّةِ، فَهَلْ يَأْتَرَى
يَتَنَبَّهُ الْمُسْلِمُونَ لِمَا يُرَادُ بِهِمْ، وَيَحْطِطُ لَهُمْ؟!

إِنَّ هَذِهِ الْمُصْطَلِحَاتِ تَحَدِّ كَبِيرٌ يَحْتَاجُ مِنَ الْغَيُورِينَ فِي الْأُمَّةِ إِلَى
رُضْدِهَا، وَالتَّصَدِّي لَهَا مِنْ وَجْهَةِ شَرْعِيَّةٍ؛ كَمَا أَنَّهَا قَضِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ
فِيهَا بِدِقَّةٍ وَتَفَهُمٍ؛ لِإِمْكَانِ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ إِنْجَائِيَّاتِهَا الَّتِي لَا تَتَعَارَضُ مَعَ

(١) الشَّجَا: مَا اعْتَرَضَ فِي الْحَلْقِ مِنْ عَظْمٍ وَنَحْوِهِ. «القاموس» (شجو).

مَصَالِحُ أُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَثَوَابَتِهَا الْعَقْدِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ .

وَتَبَتُّ الْحَقِيقَةُ الْمُسْلِمَةُ فِي مُنْطَلَقِ هَذِهِ الصِّحَاحَاتِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ ،
وَهِيَ الْمَشْعَلُ الْوَضَاءُ فِي نِهَآيَةِ نَفَقِ التَّحْدِيَّاتِ الْمَلِيَّةِ بِالْكَيْدِ وَالْمُؤَامِرَاتِ ؛
فَلَنْ تَهْزِمَ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - عَقِيدَةَ الْإِيْمَانِ الْمُتَغَلِّغَةَ فِي
نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - وَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُوَاجِهُوا هَذِهِ
التَّحْدِيَّاتِ إِلَّا بِتَوْحِيدِ الْجُهُودِ، وَتَنْسِيقِ الْمَوَاقِفِ فِي مَنْظُومَةٍ مُتَأَلِّقَةٍ فِي
عَالَمٍ يَمْوُجُ بِالتَّحَوُّلَاتِ، وَتَعْصِفُ بِعَوَامِلِ اسْتِقْرَارِهِ الْمُتَغَيِّرَاتِ .

أَلَا فُلْيَعْلَمُ سَمَاسِرَةَ الْعَوْلَمَةِ فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ: أَنَّ أُمَّتَنَا
الْإِسْلَامِيَّةَ - بِتَارِيخِهَا وَأَجْيَالِهَا - لَنْ تُفَرِّطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ثَوَابَتِهَا، وَلَنْ
تَتَنَازَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خِصَائِصِهَا مَهْمَا عَمِلُوا عَلَى خَلْحَلَةِ الْبُنَى التَّحْتِيَّةِ -
الثَّقَافِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ - فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ؛ فَلَنْ نَعْمَلَ - بِإِذْنِ اللَّهِ -
مُسْتَوْرِدِينَ لِأَنْمَاطِ الْعَادَاتِ وَالْمُوضَاتِ فِي بُعْدٍ عَنِ قِيَمِنَا وَمَبَادِيئِنَا .

لَقَدْ خِيَّلَ لِبَعْضِ الْمُنْهَزِمِينَ أَمَامَ الْحَضَارَةِ الْغَرِبِيَّةِ مِمَّنْ اسْتَعْبَدَ
الْغَزْوُ الْفِكْرِيُّ قُلُوبَهُمْ: أَنَّ السَّبَبَ فِيْمَا أَصَابَ أُمَّتَنَا مِنْ ضَعْفٍ وَتَأَخُّرٍ،
كَانَ نَتِيجَةً حَتْمِيَّةً لِتَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ؛ فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ! .

عِبَادَ اللَّهِ، كَيْفَ انْحَدَعَتْ فِتْنَامُ مِنَ الْأُمَّةِ؟! وَكَيْفَ انْحَدَرَتْ إِلَى
هَذَا الْمُسْتَوَى مِنَ الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ؟! اِحْتَلَّتْ فِلَسْطِينُنَا الصَّامِدَةُ الْمُجَاهِدَةُ،

وَاسْتَبِيحَتْ مُقَدَّسَاتُنَا الْمُسْلِمَةَ، وَعُبِتَ بِأَرْضِنَا الْمُبَارَكَةِ، وَنُحِيتْ شَرِيعَةُ
 اللَّهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ، بَلْ أُقِيمَتِ الْمَتَارِيسُ ضِدَّهَا بِأَجْيَالٍ انْتُرِعَتْ
 هُوَيْتُهُمْ، وَتَرَبَّوْا عَلَى فِكْرِ أَعْدَائِهِمْ، وَسُمِّمَتْ جُمْلَةٌ مِنْ مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ،
 وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ - فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ - فَأَفْرَزَتْ أَجْيَالًا نَافِرَةً عَنْ
 دِينِهَا، مُنْسَلِحَةً مِنْ قِيمِهَا، فَخَرَجَتْ تَنْعُقُ^(١) بِدَعْوَاتِ غَرِيبَةٍ، وَتَعْتَقُ
 أَفْكَارًا جَاهِلِيَّةً، وَتَرَى فِي الدِّينِ تَأْخُرًا وَرَجْعِيَّةً؛ فَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَلَا
 حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!.

أَلَمْ يَأْنِ الْأَوَانُ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - أَنْ تَعِيَ الْأُمَّةَ رِسَالَتَهَا، وَأَنْ
 تَتَعَرَّفَ عَلَى الْخَلَلِ الْكَبِيرِ فِي حَضَارَةِ أَعْدَائِهَا؟! فَيَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، يَا مَنْ
 أَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا الدِّينِ، وَشَرَّفَكُمْ بِحَمْلِ أَمَانَتِهِ - يَوْمَ أَنْ عَجَزَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَنْ حَمْلِهَا - إِنَّ عَلَيْكُمْ مَسْئُولِيَّةً كَبِيرَةً تُجَاهَ دِينِ اللَّهِ؛
 تَعَلَّمَا وَتَعَلَّمِيْمَا، وَدَعْوَةً وَإِصْلَاحًا؛ فَالِدِّينُ قَادِمٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَا بُدَّ أَنْ
 تَسْتَنْقِنَ الْأُمَّةَ بِمَرَاتِبِ الْيَقِينِ كُلِّهَا: أَنَّهُ لَا مُخْلَصَ لِعَالَمِ الْيَوْمِ - مِنْ أَرْزَامَتِهِ
 الْخَانِفَةِ، وَأَوْضَاعِهِ الْمُتَرَدِّيةِ - إِلَّا الْإِسْلَامُ الْحَقُّ عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ
 الصَّافِيَةِ، وَالْمُتَابَعَةِ الصَّحِيحَةِ لِلْمَنْهَجِ السَّلِيمِ، كِتَابًا وَسُنَّةً، بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ.
 وَإِنَّ النَّاطِرَ الْغَيُورَ لِيَأْسَى أَشَدَّ الْأَسَى مِنْ تَضْيِيعِ الْأُمَّةِ لِكَثِيرٍ مِنْ

(١) تَنْعُقُ: تَصِيحُ. «اللسان» (نق).

الْفُرْصِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهَا، وَاسْتِثْمَارِ وَسَائِلِ الْعَصْرِ الْحَدِيثَةِ؛
 كَالْفَضَائِيِّ مِنَ الْقَنَوَاتِ، وَالْعَالَمِيِّ مِنَ الشَّبَكَاتِ، وَوَسَائِلِ الْمَعْلُومَاتِ؛
 فَأَيْنَ مَنْ يَحْمِلُ هُمُومَ الْعَمَلِ لِلإِسْلَامِ؟! هَاهُوَ الْعَالَمُ يَفْتَحُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ،
 فَأَيْنَ الْعَامِلُونَ الْمُخْلِصُونَ بِمَنْهَجِ قَوِيمٍ، وَأُسْلُوبِ سَلِيمٍ؟! كَمْ يَبْذُلُ
 الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَوْقَاتِهِمْ وَجُهُودِهِمْ لِدِينِهِمْ؟!
 كَفَى حَزَنًا لِلدِّينِ أَنْ حُمَاتِهِ إِذَا خَذَلُوهُ قُلْنَا كَيْفَ يُنْصَرُّ؟!!

* * *

أَمَا لِلَّهِ وَالِإِسْلَامِ حَقٌّ يُدَافِعُ عَنْهُ شَبَابٌ وَشَيْبٌ؟!
 أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ مِنَ الْبَشَائِرِ أَنَّ الْحَضَارَةَ الْمُعَاصِرَةَ تُعْلِنُ إِفْلَاسَهَا،
 وَتَلْفِظُ أَنْفَاسَهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا فَرَّطَتْ فِي أَعْظَمِ مُقَوِّمَاتِ الْبَقَاءِ؛ حَيْثُ
 أَهْدَرَتِ الْقِيَمَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَرَفَضَتْ أَنْ يَكُونَ لِلدِّينِ سُلْطَانٌ عَلَى الْحَيَاةِ،
 وَمِنْ هَذِهِ الثُّغْرَةِ دَخَلَتْ عَلَيْهَا آفَاتُ النَّقْصِ، وَعَوَامِلُ الْإِفْلَاسِ، وَمَعَ
 أَنَّهَا حَقَّقَتِ التَّقَدُّمَ الْمَادِّيَّ، لَكِنَّهَا تَجَاهَلَتِ الْجَانِبَ الْإِنْسَانِيَّ، وَالْمَصِيرَ
 الْآخِرِيَّ؛ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ [الروم]، لَقَدْ أَهْمَلَتِ الْإِنْسَانَ، وَتَجَاهَلَتِ
 رُوحَهُ وَوِجْدَانَهُ، وَعَقْلَهُ وَقَلْبَهُ، وَلَمْ تَنْسَجِمْ مَعَ فِطْرَتِهِ الَّتِي فَطَرَهُ اللَّهُ
 عَلَيْهَا؛ بَلْ قَدَّمَتْ لَهُ الشَّهَوَاتِ الْبَهِيمِيَّةَ بِدَعْوَى الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ،

وَجَعَلَتْ مِنْهُ آلَةً مَوَّارَةً^(١)، وَرَحَى دَوَّارَةً، خَلِيَّةٌ مِنْ مَعَانِي الرُّوحِ،
وَمَعَالِي الْقِيَمِ؛ وَلِذَلِكَ تَتَعَالَى الصَّيْحَاتُ مِنْ هُنَالِكَ وَهُنَاكَ، مُنْذِرَةٌ بِسُوءِ
مَصِيرِ الْبَشَرِيَّةِ فِي ظِلِّ هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْمَادِّيَّةِ الْخَاوِيَةِ مِنْ مُقَوِّمَاتِ الرُّوحِ
وَالْإِيمَانِ، وَتُوشِكُ أَنْ تَنْحَدِرَ إِلَى الْهَاوِيَةِ.

..... وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ!^(٢)

هَاهُمْ الْمُنْصِفُونَ يُعْلِنُونَ صَيْحَاتِ الْخَطْرِ بِأَنَّهُ لَأَحْضَارَةٌ إِلَّا
بِالْإِسْلَامِ، وَ:

..... مَا رَأَى كَمَنْ سَمِعَا^(٣)

لَقَدْ أَعَزَّ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالْإِسْلَامِ، وَهَزِمَتْ مُعْسَكَرَاتُ الْوَثْنِيَّةِ،
وَدَكَّتْ مَعَاقِلَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَحُطِّمَ الْقِيَاصِرَةَ، وَكُسِرَ الْأَكَاسِرَةُ، وَهَزِمَ السَّارُ

(١) أي: كثيرة الجري والحركة، مبالغة من مَارَ يَمُورُ مَوْزًا: إِذَا جَعَلَ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ
وَيَتَرَدَّدُ. «اللسان» (مور).

(٢) عجز بيت للسري الرفاء، والبيت بتمامه:

وَشَمَائِلُ شَهِدَ الْعَدُوُّ بِفَضْلِهَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ!

انظر: «ديوانه» (ص ٩)، والبيت من أبيات الأمثال. انظر: «موسوعة أمثال العرب»
(٣٣/٦).

(٣) جزء من عجز بيت لا يعرف قائله، وهو بتمامه:

يَا ابْنَ الْكِرَامِ أَلَا تَذُنُّو قُتْبَصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَأَى كَمَنْ سَمِعَا

والبيت من شعر الأمثال، وفي معناه قولهم: «ليس الخبر كالمعاينة» و«ليس المخبر
كالمعاین» انظر: «مجمع الأمثال» (١٨٢/٢)، و«شرح قطر الندى» (ص ٩٦).



وَالصَّالِحِينَ بَرَفِعِ شِعَارِ: اللهُ أَكْبَرُ، وَانْتَصَرَ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَعَزَّ عُمَرُ
 وَسَعْدُ، وَخَالِدٌ وَطَارِقُ، وَصَلَّاحُ الدِّينِ بِإِعْلَاءِ رَايَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،
 مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، وَأَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ قَوِيَّةً مَرْهُوبَةً الْجَانِبِ بِالإِسْلَامِ لَيْسَ
 إِلَّا، وَسُنَّصِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُعَاصِرَةَ بِالإِسْلَامِ - بِإِذْنِ اللهِ - لِأَنَّهُ دِينُ
 الْفِطْرَةِ؛ ﴿فَطَرَتِ اللهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ : فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَدَّمَ الْمُسْلِمُونَ لِدِينِهِمْ، وَيُصْلِحُوا
 أَنْفُسَهُمْ، وَيُعَالِجُوا عُيُوبَهُمْ مِنَ الدَّاخِلِ، وَيَسُدُّوا كُلَّ ثَغْرَةٍ يُرِيدُ أَنْ يَنْفُذَ
 الْعَدُوُّ مِنْهَا، وَأَنْ يَتَّحِدُوا عَلَى الْمَصْدَرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،
 وَيَنْبِذُوا كُلَّ الْإِتِّجَاهَاتِ وَالْمَذَاهِبِ، وَجَمِيعِ الْأَحْزَابِ وَالْمَشَارِبِ، الَّتِي
 تُخَالِفُ تَعَالِيمَهُ، وَأَنْ يُؤْصَلُوا - فِي أَنْفُسِهِمْ، وَأَجْيَالِهِمْ - الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ
 النَّافِعَ، وَالتَّرْبِيَةَ السَّلِيمَةَ الرَّاشِدَةَ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ يَنْفَعُ كَثِيرًا بِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لِدِينِ اللهِ؛
 كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم]، وَكَمَا أَخْبَرَ
 الْمُصْطَفَى ﷺ وَبَشَّرَ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ
 اللهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ؛ بَعِزُّ عَزِيزٍ، أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٍ،
 عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ!!»^(١)، وَتِلْكَ لَيْسَتْ أَحْلَامًا

(١) رواه أحمد (١٠٣/٤)، والحاكم (٤٣٠/٤)، والبيهقي (١٨١/٩)، من حديث
 تميم الداري، رضي الله عنه.

أَوْ أَوْهَامًا، حَاشَا وَكَأَلَّا!! وَإِنَّمَا هِيَ وَعُودُ حَقٍّ، وَأَخْبَارُ صِدْقٍ، غَيْرَ أَنَّ
 الْوَاجِبَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: أَنْ يَكُونَ لَهَا مَزِيدٌ اهْتِمَامٍ، وَبَدَلُ جُهُودٍ
 أَكْثَرَ فِي خِدْمَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِنَّا لَنَتَوَجَّهُ إِلَى قَادَةِ الْمُسْلِمِينَ
 بِتَذْكِيرِهِمْ بِالْوَاجِبِ الْأَكْبَرِ فِي إِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ، وَتَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللَّهِ،
 وَنُصْرَةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا: أَنْ يَبْذُلُوا لِدِينِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ مُتَعَطِّشُونَ
 لِغِذَاءِ الرُّوحِ بَعْدَ أَنْ مَلُّوا التَّقَنُّنَ بِالْمَادِّيَّاتِ، لِأَسِيَمًا فِي الْعَالَمِ الْغَرْبِيِّ،
 وَإِنَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ، وَذَوِي
 الْكِفَاةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْآدَابِ الْمَرْعِيَّةِ: أَنْ يُسَهِّمُوا فِي التُّهُوضِ بِمُسْتَوَى
 الدَّعْوَةِ وَالتَّوَجُّهِ؛ لِمَا لَهَا مِنَ الْأَثْرِ الْبَالِغِ عَالَمِيًّا؛ تَصْحِيحًا لِلْمَنَاهِجِ،
 وَتَقْوِيَةً لِلْأَوَاصِرِ، وَتَشْجِيْعًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَإِشْعَارًا لَهُمْ
 بِمَكَانِهِمْ، وَدَوْرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ الَّتِي يَشْعُرُونَ أَنَّهَا تَهْتَمُّ بِهِمْ، وَتَرْعَى
 شُؤْنَهُمْ، وَتُشَاطِرُهُمْ آلَمَهُمْ وَأَمَالَهُمْ؛ وَبِالتَّالِي: سَدُّ الْبَابِ أَمَامَ كُلِّ مَنْ
 يُرِيدُ الْإِضْطِيَادَ فِي الْمَاءِ الْعَكْرِ مِنْ أَصْحَابِ الْإِتِّجَاهَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ،
 وَالْمَسَالِكِ الضَّالَّةِ، وَالْمَشَارِبِ الْمَشْبُوْهَةِ؛ كَمَا أَنَّ الدَّعْوَةَ مُتَجَدِّدَةٌ -
 وَبِالْحَاحِ شَدِيدٌ فِي عَضْرِنَا الْحَاضِرِ - إِلَى الْعَمَلِ عَلَى إِيجَادِ قَنَوَاتِ إِعْلَامِيَّةٍ
 إِسْلَامِيَّةٍ تَبُثُّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ وَمَحَاسِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ بِلُغَاتٍ شَتَّى؛ لِأَنَّ
 الْإِعْلَامَ الْيَوْمَ - فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ - يُؤَدِّي دَوْرًا كَبِيرًا فِي التَّأْثِيرِ عَلَى جَمِيعِ

الفئات؛ مما يتطلب من المعنيين بشئون المسلمين - لاسيما أهل الثراء
واليسار، ورجال الأعمال، وذوو الإقتدار - أن يسهموا بسد هذه
الثغرة؛ أداءً للواجب عليهم تجاه دينهم ومجتمعاتهم.

وأمتنا - بحمد الله - أمة مليئة بالكفاءات، ثرية بالطاقات، وزاخرة
بالقدرات، في شتى التخصصات، ممن هم مؤهلون للعمل بجدارة
واقْتدار، أتعجز الأمة بكفاءاتها ورجالها ومواردها: أن ينبري منها من
يقوم - تسليّة للمحزون، وإقراراً للعيون - بإنشاء قنوات إعلامية إسلامية
تواكب تطورات العصر، وتحمل رسالة الإسلام الحق، بعد أن عملت
القنوات الفضائية المسفّهة أشنع أعمالها؛ بوأد الفضيلة، ورفع راية الرذيلة،
غشاً وهراء، وعفناً وانحلالاً، تبكي له الفضيلة، وتئن من لأوائه الأخلاق
والقيم، ومما يزيد القلب أسى وحُرقة: أنها قد تعود في معظمها إلى ملاك
من بني جلدتنا، ويتكلمون بلغتنا؛ فأين حمية القوم الدنيئة؟! وشهامتهم
العربية؟! وغيرتهم الإسلامية؟! نعوذ بالله من الردى بعد الهدى!

وللحوادثِ سلوانٌ يسهلها وما لِمَا حَلَّ بالإسلامِ سلوانُ!
ألا نفوسٌ أبياتٌ لها هممٌ؟! أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ؟!
لمثل هذا يدوب القلب من كمدٍ إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ!^(١)

(١) الأبيات للشاعر الأندلسي أبي البقاء الرندي من مراثيه المشهورة في الأندلس
(توفي ٧٩٨هـ). وقد سبقت بعض أبيات منها (ص ٥١٣).

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[العنكبوت].

سَدَّدَ اللَّهُ خُطَا الْعَامِلِينَ، وَبَارَكَ فِي جُهُودِ الْغَيُورِينَ؛ لِنُصْرَةِ
دِينِهِمْ، وَخِدْمَةِ أُمَّتِهِمْ وَبِلَادِهِمْ، وَجَعَلَ الْأَعْمَالَ خَالِصَةً لِرُؤُوسِهِ الْكَرِيمِ؛
إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ.

فِيَا لِفُوزِ التَّائِبِينَ! وَيَا لِبُشْرَى الْمُسْتَغْفِرِينَ!!

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَمَنْ عَلَيْنَا
بِلِبَاسِ الْإِيمَانِ خَيْرِ لِبَاسٍ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ،
وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةٍ سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِيَّ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، بَدْرُ التَّمَامِ، وَمِسْكُ الْخِتَامِ، وَخَيْرُ
مَنْ عَمَلَ بِالذِّينِ وَقَامَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْبَرَّةِ الْكِرَامِ،
وَصَحَابَتِهِ الْأَيُّمَةِ الْأَعْلَامِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ
الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ،
وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْأَجَبَةُ فِي اللَّهِ، إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي هَدَانَا اللَّهُ إِلَيْهِ - وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ - هُوَ الْمِنَّةُ الْكُبْرَى، وَالنَّعْمَةُ الْعُظْمَى الَّتِي نَسْأَلُ
اللَّهَ أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَهَا، عِلْمًا وَعَمَلًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ هُوَ دِينُ الْخَيْرِ
وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ، وَالرَّحْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْوِثَامِ، وَالْبَشَرِيَّةِ الْيَوْمَ تَتَطَلَّعُ إِلَى
أَنْ تَتَفَيَّأَ ظِلَالَ هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ؛ مِمَّا يَتَطَلَّبُ الْجِدَّ فِي مَجَالِ الْعَمَلِ
لِلْإِسْلَامِ، وَالتُّهُوُضَ بِمُسْتَوَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَتَنْسِيقَ الْجُهُودِ بَيْنَ

الْعَامِلِينَ، وَالْحَذَرَ مِنَ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةَ الَّتِي لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا إِلَّا الْعَدُوُّ
الْمُتْرَبِّصُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، إِنَّ هُنَاكَ فُرْصًا عَظِيمَةً يُؤَسِّفُ كُلَّ غَيُورٍ عَلَيَّ
أَوْضَاعَ أُمَّتِهِ أَنْ يُفَرِّطَ فِي اسْتِثْمَارِهَا الْمُسْلِمُونَ؛ فَالْأَرْضُ خِصْبَةٌ، وَالْفُرْصُ
مُؤَاتِيَةٌ، وَإِنَّ الْقَضِيَّةَ تَرْجِعُ إِلَى حَاجَةِ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ إِلَى الْعَمَلِ بِخَطِّ سَلِيمَةٍ،
وَمَنْهَجِيَّةِ مَدْرُوسَةِ قَوْمِيَّةٍ، تُخَرِّجُ دُعَاءَ عَلِيٍّ مُسْتَوَى الْعَصْرِ الَّذِي يَعِشُونَهُ؛
لِنُثْبِتَ لِلْعَالَمِ صِدْقَ تَوْجُّهَاتِنَا، وَسَلَامَةَ مَقَاصِدِنَا، وَسُمُوَّ أَهْدَافِنَا بَعْدَ أَنْ
شُوِّهَ الْإِسْلَامُ مِنْ أَطْرَافٍ عِلْمَانِيَّةٍ مُنْحَرِفَةٍ فِي ثِقَافَتِهَا وَأَخْلَاقِهَا، وَمِنْ
أَطْرَافٍ جَاهِلِيَّةٍ غَالِيَّةٍ لَا تُؤْمِنُ إِلَّا بِسَفْكِ الدَّمَاءِ، وَتَبَاثُرِ الْأَشْلَاءِ^(١)، وَدَيْنُ
اللَّهِ وَسَطٌّ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ، وَالْجَافِي عَنْهُ.

وَإِنَّ مِنَ التَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللَّهِ، تِلْكَ الْجُهُودَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُذَكَّرَ
فَتُشْكَرَ، وَعِنْدَ الْمُنْصِفِينَ لَا تُغْفَلُ وَلَا تُنْكَرُ، الَّتِي يَبْدُلُهَا جُنُودٌ مَعْمُورُونَ
مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالِدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ؛ مِمَّنْ آثَرُوا مَا عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا يُنْسَى
الدَّوْرُ الْفَاعِلُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُرَوَى فَلَا يُطْوَى، وَيُظْهَرُ فَلَا يُغْمَرُ، وَيَبَانَ
فَلَا يُطْمَرُ لِبِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - فِي الْمَجَالَاتِ الدَّعْوِيَّةِ،
وَالْمَنَاشِطِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْعَالَمِ؛ وَلَا غَرَوْ: فَهَذَا مِنْ

(١) الأشلاء: جمع شلوا، وهو العضو. «اللسان» (شلو).

صَمِيمِ ثَوَابَتِهَا، وَأَهْمٌ أَهْدَافِهَا وَمُنْطَلِقَاتِهَا فِي بِنَاءِ الْمَرَائِزِ الْإِسْلَامِيَّةِ،
وَأِسَادَةِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْخَيْرِيَّةِ، وَالصُّرُوحِ الْحَضَارِيَّةِ، جَعَلَهُ اللهُ خَالِصًا
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَضَاعَفَ مَثُوبَتَهَا، وَزَادَهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ!
أَلَا وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ
مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، كَثْرَةُ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَى الْهَادِي
الْبَشِيرِ، وَالسَّرَاحِ الْمُنِيرِ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِذَلِكَ الْمَوْلَى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؛
فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

* * *

مُؤَامَرَاتُ لَامُؤْتَمَرَاتٍ
(بِمُنَاسَبَةِ عَقْدِ مُؤْتَمَرِ السُّكَّانِ وَالتَّمْمِيَةِ)



الخطبة للهوى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُودُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ،
وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ،
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَمَنْ افْتَمَى أَثْرَهُ وَاهْتَدَى بِهَدَاهُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- فَقَدْ أَمَرَكُمْ جَلَّ وَعَلَا بِتَقْوَاهُ، فَاعْمَلُوا عَلَى
سُلُوكِ طَرِيقِ هُدَاهُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ حَيْثُ خَلَقَهُ فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَكَرَّمَهُ أَعْظَمَ تَكْرِيمٍ: بَدَأَ خَلْقَهُ مِنْ طِينٍ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ،
وَفَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمَيَّزَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَالْفُؤَادِ؛ وَسَحَّرَ لَهُ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً

وَبَاطِنَةً؛ خَلَقَهُ وَاصْطَفَاهُ، وَفَضَّلَهُ وَاجْتَبَاهُ، وَأَعَدَّهُ أَكْمَلَ إِعْدَادٍ وَأَوْفَاهُ؛
 أَكْرَمَهُ بِالْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ، وَالْعَقِيدَةِ النَّقِيَّةِ، وَحَمَلَهُ الْأَمَانَةَ الْغَالِيَةَ، وَكَلَّفَهُ
 الرِّسَالَةَ السَّامِيَةَ؛ أَنْشَأَهُ مِنَ الْأَرْضِ لِيَعْمُرَهَا، وَاسْتَخْلَفَهُ فِيهَا لِيُصْلِحَهَا؛
 يُنْفِذُ أَحْكَامَهُ، وَيُطَبِّقُ شَرِيعَتَهُ، وَهَيَأَ لَهُ فِيهَا كُلَّ مَا يَحْتَاجُهُ؛ مِمَّا تَقُومُ بِهِ
 حَيَاتُهُ، وَيُصْلِحُ لَهُ أَمْرَ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ؛ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ
 وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا
 تَفْضِيلًا ﴿٧١﴾ [الإسراء].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ حَظِيَ الْإِنْسَانُ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ بِتَكْرِيمٍ
 لَا مَثِيلَ لَهُ، وَتَشْرِيفٍ لَا نَظِيرَ لَهُ، يَنَالُ ذَلِكَ مُنْذُ تَكْوِينِهِ جَنِينًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ،
 وَيَمْتَدُّ هَذَا التَّكْرِيمُ فِي الْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ، لِيَشْمَلَ كُلَّ فَرْدٍ فِي الْمُجْتَمَعِ
 الْإِنْسَانِيِّ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، ضَعِيفًا أَوْ قَوِيًّا، فَقِيرًا أَوْ غَنِيًّا؛ فِي بُعْدٍ عَنِ
 التَّرَعَاتِ الْإِقْلِيمِيَّةِ، وَالْعَصَبِيَّاتِ الْقَوْمِيَّةِ، وَفِي مَنْأَى عَنِ الْمَبَادِيءِ
 الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ، الَّتِي سَامَتِ الْإِنْسَانَ سُوءَ الْعَذَابِ؛
 فَرَسَمَتْ لَهُ هَدَفَهُ؛ اسْتِغْرَاقًا فِي الْإِبَاحِيَّةِ وَالشَّهَوَاتِ، وَأَنْغِمَاسًا فِي
 الْمَادِّيَّاتِ وَالْمَلَدَّاتِ، جَعَلَتْ مِنْهُ آلَةً مُتَحَرِّكَةً، يَتَحَوَّلُ بَعْدَهَا إِلَى مَعْدَةٍ
 جَائِعَةٍ، بِلَا رُوحٍ وَلَا ضَمِيرٍ، وَبِلَا شُعُورٍ وَلَا وَازِعٍ؛ فَدَمَّرَتِ الْإِنْسَانَ مِنْ
 حَيْثُ تُرِيدُ بِنَاءَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ قُوَى الرُّوحِ
 وَالْجَسَدِ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا طَاقَاتٌ وَمُتَطَلِّبَاتٌ، تُؤَخِّذُ مُجْتَمِعَةً مُتَوَازِنَةً، وَلَمْ

وَلَنْ وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ .

وَلَقَدْ أَخْفَقَتْ كُلُّ الْمَحَاوَلَاتِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَالنُّظْمِ الْأَرْضِيَّةِ فِي إِسْعَادِ
الْإِنْسَانِ ؛ لَمَّا أَفْصَتْ عَنْ حَيَاتِهِ مَطَالِبَ الرُّوحِ ، وَغِذَاءَ الْإِيمَانِ ، وَحَجَبَتْ
نُورَ الْعَقِيدَةِ أَنْ يَغْمُرَ الْفَرْدَ بِبَهَائِهِ ، وَالْمُجْتَمَعَ بِضِيَائِهِ ، وَذَلِكَ - لَعَمْرُ الْحَقِّ -
عُدْوَانٌ صَارِخٌ عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَتَجَاهُلٌ لِحَقِيقَتِهِ ، وَإِهْدَارٌ لِإِنْسَانِيَّتِهِ ،
وَزَرَايَةُ حَظِيرَةِ بَكَرَامَتِهِ ، وَوَأْدٌ لِمَعَانِي الْحَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْقِيمِ فِي نَفْسِهِ ،
وَإِنْ أَيْ دَعْوَةٌ لِلْإِنْسَانِ بِتَخَطُّي حُدُودِ اللَّهِ ، وَتَجَاوُزِ شَرِيعَةِ اللَّهِ ، إِنَّمَا تُسِفُّ
بِالْإِنْسَانِ ، وَتَهْتِطُ بِهِ مِنْ أَفَاقِ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ ، إِلَى حَضِيضِ الضَّعْفِ وَالْمَهَانَةِ ،
وَتَجْعَلُهُ سَادِرًا^(١) فِي الظُّلَامِ ، غَارِقًا فِي التِّيهِ وَالضَّلَالِ ، تَعْصِفُ بِهِ تِيَارَاتُ
الضِّيَاعِ ، وَتُوقِعُهُ فِي عَالَمِ الْقَلَقِ وَالْحَيْرَةِ ، وَالِاضْطِرَابِ وَالتَّوَثُّرِ وَالْجَرِيمَةِ ؛
مِنْ حَيْثُ تَزْعُمُ أَنَّهَا تُرِيدُ سَعَادَتَهُ ، وَتَدَّعِي أَنَّهَا تُحَرِّرُهُ وَتَفْتَحُ مَدَارِكَهُ ،
وَتَجْعَلُهُ يُوَاكِبُ الرِّكْبَ فِي التَّطَوُّرِ وَالمَدْنِيَّةِ زَعْمُوا !! وَلِسَانَ حَالِهَا يَقُولُ :

وَدَاوِنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ^(٢)

(١) سادراً: تائها متحيراً. «تاج العروس» (سدر).

(٢) عَجْزُ بَيْتِ لَأَبِي نُوَّاسٍ ، وَالبَيْتُ بِتَمَامِهِ :

دَعُ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللُّومَ إِعْرَاءُ وَدَاوِنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

انظر: «ديوانه» (٢١/١)، و«خزانة الأدب» (٤٣٤/١١).

والبَيْتُ مِنْ أَشْعَارِ الْأَمْثَالِ . انظر: «موسوعة أمثال العرب» (٣٤/٦).

أَبْعَدَ هَذَا يَنْحَدِعُ الْإِنْسَانُ بِالِدَّعَاوَى الْمُرْرُكَشَةِ، وَالْوَعُودِ
الكَاذِبَةِ، وَالْمُؤْتَمَرَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، الَّتِي يُرِيدُ أَصْحَابُهَا تَشْكِيكَ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ فِي مَبَادِئِهِ وَقِيَمِهِ، وَأَخْلَاقِهِ وَمُثَلِهِ، وَصَلَاحِيَّتِهِ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؟!

وَالسُّؤَالُ الَّذِي يَفْرُضُ نَفْسَهُ، مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ؟!

أُرِيدُ وَنَهَا عِلْمَانِيَّةً^(١) تُقْصِي الدِّينَ عَن وَاقِعِ الْحَيَاةِ، وَعَن تَنْظِيمِ
سُئُونَ النَّاسِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَالْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاَخْلَاقِيَّةِ وَغَيْرِهَا،
وَتَجْعَلُ مِنَ الدِّينِ طُقُوسًا لَا أَثَرَ لَهَا فِي دُنْيَا الْوَاقِعِ؟!

أُرِيدُ وَنَهَا اِبَاحِيَّةً تُدَاسُ فِيهَا الْقِيَمُ، وَتُهْدَرُ مِنْ خِلَالِهَا الْأَخْلَاقُ،
وَتَشَاعُ الْأَمْرَاضُ وَالْجَرَائِمُ؟!

أُرِيدُ وَنَهَا فَوْضُوِيَّةً يَتَسَلَّطُ فِيهَا الْقَوِيُّ عَلَى الضَّعِيفِ، وَيُضْبِحُ
النَّاسُ فِيهَا أَشْبَهَ بُوْحُوشٍ كَاسِرَةٍ، وَسِبَاعٍ ضَارِيَةٍ، لَا مَكَانَ فِيهَا إِلَّا لِلْأَقْوَى؟!
لَقَدْ أَفْلَسْتَ كُلَّ هَذِهِ النَّظَرِيَّاتِ، وَلَمْ تَعُدْ صَالِحَةً لِإِسْعَادِ الْبَشَرِيَّةِ،
وَالوَاقِعُ مِنْ أَكْبَرِ الشُّوَاهِدِ عَلَى ذَلِكَ، فَالْعَجَبُ مِنَ الْأَصْوَاتِ النَّاعِقَةِ،

(١) العِلْمَانِيَّةُ، بفتح العين: نسبة إلى العَالَمِ - بفتح اللام - وليست إلى العِلْمِ، ومدلولها
المُتَمَقُّ عليه، يعني: عَزَلُ الدِّينِ عَنِ الدَّوْلَةِ وَحَيَاةِ الْمَجْتَمَعِ. انظر: «الموسوعة
الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٦٨٩).

وَالْأَقْلَامِ الْحَاقِدَةِ، وَالْمُؤْتَمِرَاتِ الْمَشْبُوهَةِ؛ كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى مُحَادَّةِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ، وَمُصَادَمَةِ شَرِّهِ؟! وَالْعَجَبُ الْعَجَابُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ
الضَّعِيفِ! كَيْفَ يَعْذُو قَدْرَهُ، وَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ وَيَسْمَخُ بِأَنْفِهِ^(١)، وَيَعْتَدُّ
بِقُوَّتِهِ، وَيَتَبَاهَى بِسَطْوَتِهِ، وَيَمْتَلِي غُرُورًا وَكِبْرِيَاءً وَغَطْرَسَةً^(٢)؟!

لَكِنَّهُ الْإِنْسَانُ فِي غُلُوِّهِ ضَلَّتْ بِصِيرَتِهِ فَجَنَّ جُنُونًا
مَا أَضْيَعَ الْإِنْسَانُ مَهْمَا عَدَّ^(٣) فِي سُبُلِ الْعُلُومِ إِذَا أَضَاعَ عَرِينًا!

إِنَّ خَلِيقًا بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ، وَيُؤَدِّي دَوْرَهُ، وَيُدْرِكَ مَسْتَوِلِيَّتَهُ،
وَيَقُومَ بِوَاجِبِهِ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَيَتَّقَادَ وَيُذْعَنَ لِحُكْمِهِ، وَيَتَّجِهَ بِصِدْقٍ
وَإِخْلَاصٍ، وَبِكُلِّ شُعُورٍ وَإِحْسَاسٍ، نَحْوَ هَذِهِ الْغَايَةِ الْمَشْرِفَةِ - صَلَاحًا
وَإِصْلَاحًا - وَبِذَلِكَ يَكُونُ مُؤْمِنًا حَقًّا، وَمُسْلِمًا صِدْقًا، وَلَنْ يَقُومَ أَحَدٌ بِذَلِكَ
إِلَّا إِنْسَانُ الْعَقِيدَةِ وَالْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ، فَهَلْ سَعِدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا فِي ظِلِّ الْعَقِيدَةِ
الصَّحِيحَةِ؟! مَنْ الَّذِي صَانَ دَمَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُسْفَكَ، وَعَرَضَهُ أَنْ يُنْتَهَكَ إِلَّا
الْإِسْلَامُ؟! وَمَنْ الَّذِي أَحْرَزَ مَالَهُ أَنْ يُغْتَصَبَ، وَحِمَاهُ أَنْ يُقْتَحَمَ، وَعَقْلَهُ
أَنْ يُعْطَلَ إِلَّا الْإِسْلَامُ؛ يَوْمَ أَنْ فَشِلَتِ الشُّعَارَاتُ؟! وَلَكِنْ يَأْبَى بَعْضُ

(١) يَسْمَخُ بِأَنْفِهِ، أَي: يَتَكَبَّرُ وَيَتَعَطَّمُ. «اللسان» (شمخ).

(٢) الغطرسه: الإعجاب والتطاول على الأقران، وقيل: هو الظلم والتكبر. «اللسان»
(غطرس).

(٣) يقال: عَدَّ فِي السَّيْرِ: أَسْرَعَ فِيهِ. «تاج العروس» (غذذ).

النَّاسِ إِلَّا تَجَاوَزَ حُدُودَ اللَّهِ، وَمُخَالَفَةَ شَرَعِ اللَّهِ؛ ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل]، ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ یَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ ﴾ [المائدة]، ﴿ یریدون أن یطفئوا نورَ الله یأفواهم ویأب الله إلا أن یتمَّ نورُهُ ولو كره الكفرون ﴾ [التوبة: ۳۲].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَكَمَا رَعَى الْإِسْلَامُ حَقَّ الْأَفْرَادِ، فَقَدْ رَعَى حَقَّ الْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَسَعَى لِإِشَاعَةِ الْفَضِيلَةِ، وَمُحَارَبَةِ الرَّذِيلَةِ، وَأَقَامَ صُرُوحَ الْأَسْرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الدِّينِ وَالْقِيَمِ، وَالْمَثَلِ وَالْأَخْلَاقِ، وَاعْتَبَرَ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةَ مِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ التَّقَدُّمِ وَالِازْدِهَارِ وَالْحَضَارَةِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ مَقَاصِدِهِ وَأَهْدَافِهِ - فِي بِنَاءِ حَضَارَةِ إِسْلَامِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ - أَنْ قَصَدَ إِلَى كَثْرَةِ النَّسْلِ وَحِفْظِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ، وَاعْتَبَارِهِ إِحْدَى الضَّرُورِيَّاتِ الْمُقَرَّرَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْعَرَاءِ؛ كَمَا حَثَّ رَسُولُ الْهُدَى ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى كَثْرَةِ النَّسْلِ؛ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «تَنَاقَحُوا تَكْثُرُوا؛ فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَابْنِ حِبَّانَ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاتِرٌ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وَفَرَضَ الْإِسْلَامُ حَقَّ الْمَحَافَظَةِ عَلَى النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَحَرَّمَ الْإِعْتِدَاءَ

(١) «المصنف» (١٠٣٩١).

(٢) «المسند» (١٥٨/٣)، و«صحيح ابن حبان» (٤٠٢٨).

عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ حَمَلًا فِي بَطْنِ الْأُمِّ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى الْيَوْمَ بِالْإِجْهَاضِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]؛ وَذَلِكَ لِمَا فِي هَذِهِ الْجَرِيمَةِ الشَّنْعَاءِ، مِنْ سُوءِ ظَنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْكَارِ لِقُدْرَتِهِ، وَإِظْهَارِهِ سُبْحَانَهُ بِمَظْهَرِ الْعَاجِزِ عَنِ كِفَايَةِ خَلْقِهِ وَرِزْقِهِمْ، تَعَالَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوقًا كَبِيرًا؛ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وَبِذَلِكَ يَعْلَمُ كُلُّ ذِي بَصِيرَةٍ؛ أَنَّ الْقَوْلَ بِتَحْدِيدِ النَّسْلِ، أَوْ مَنَعِ الْحَمْلِ - مُصَادِمٌ لِلتَّصُوصِ الشَّرْعِيِّ، وَالْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، وَالْقَائِلُونَ بِذَلِكَ هُمْ فِتَاتٌ حَاقِدَةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِنَا؛ فَالْأَمْرُ لَا يَعْدُو كَوْنَهُ دَسِيسَةً كُفْرِيَّةً، وَمُؤَامَرَاتٍ عُدْوَانِيَّةً، تَسْتَهْدَفُ تَقْلِيلَ نَسْلِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالزَّجَّ بِهَا فِي الْأَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْبَهِيمِيَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ؛ لِيَتَحَقَّقَ لِلْقَوَى الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ إِضْعَافِ الْكِيَانِ الْإِسْلَامِيِّ، وَتِلْكَ سِلْسِلَةٌ مِنْ مُؤَامَرَاتٍ فِي ثَوْبِ مُؤْتَمَرَاتٍ، تَهْدَفُ إِلَى تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ وَقِيَمِهِمْ، وَنَشْرِ الْإِبَاحِيَّةِ وَالْعَلَاقَاتِ الْجِنْسِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ بَيْنَهُمْ،

بِدَعْوَى الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ تَارَةً، وَبِدَعْوَى الْمُسَاوَاةِ وَالتَّقَدُّمِيَّةِ وَالمَدَنِيَّةِ تَارَةً، وَبِدَعْوَى الْحَدِّ مِنَ الْإِنْفِجَارِ السُّكَّانِيِّ تَارَةً، وَتِلْكَ وَغَيْرُهَا مِنْ الدَّعَاوَى الْمُزْرَكِشَّةِ، يُغْلَفُ بِهَا أَصْحَابُهَا مُؤَامِرَاتِهِمُ الْعَدَائِيَّةَ ضِدَّ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

شَنْشِنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْرَمِ (١)

لَكِنْ يَأَلِّتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ، وَيُدْرِكُونَ أَبْعَادَ الْمُؤَامِرَةِ الشَّرِيسَةِ، ضِدَّ دِينِهِمْ وَقِيَمِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ؛ حَتَّى لَا يَنْخَدِعَ أُنْبَاءُ الْمُسْلِمِينَ بِرَكْبِ الْبَاطِلِ، مَهْمَا طَفَقَتْ بِرَاذِلِيَّتِهِ (٢)!

نَقُولُ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَابَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عِبْرَ أُسْبُوعَيْنِ مَضِيًّا - عَلَى وَجَلٍ وَحَذَرٍ شَدِيدَيْنِ - أَعْمَالَ وَمُدَاوَلَاتٍ، وَنَتَائِجَ وَتَوَصِيَّاتٍ، وَقَرَارَاتٍ مَا سُمِّيَ ظَاهِرًا بِالْمُؤْتَمَرِ الدَّوْلِيِّ لِلسُّكَّانِ وَالتَّنْمِيَّةِ، الَّذِي طَالَعْنَا بِأَفْكَارٍ غَرِيبَةٍ تَتَنَاقَضُ مَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ، وَمَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّهُ مُحْطَطٌ إِجْرَامِيٌّ، مِنَ الدَّوَلِ الصَّلِيبِيَّةِ، وَالصُّهْيُونِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ؛ لِلإِطَاحَةِ بِالْعَقَّةِ

(١) مثل سبق بيانه والحديث عنه . انظر : (ص ١٥٠) .

(٢) أي : مهما صاح أذئابُ الباطلِ بالحق وأهله، وطقطق، أي : صوت وصاح، والبراذين : جمع برذون، وهو الدابة . «اللسان» و«تاج العروس» (طقطق) (برذن) .

وَالطَّهَارَةِ، وَوَادِ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

إِنَّ الْمُتَابِعَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْعَدَائِيَّةِ، وَالْمُؤْتَمَرَاتِ الْإِسْتِغْرَازِيَّةِ،
يَعْجَبُ وَهُوَ يَرَى كَيْفَ يَجْرُؤُ أَوْلِيكَ الْقَوْمُ عَلَى اسْتِغْرَازِ مَشَاعِرِ الْأُمَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، عَلَى سَمْعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ! وَإِنَّا لَنَتَسَاءَلُ مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ؟!
وَمَنْ الْمُسْتَفِيدُ مِنْ عَقْدِ مِثْلِ هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْمَشْبُوهِ؟! وَمَنْ يَقِفُ وَرَاءَهُ؟!
وَهَلْ وَعَتَ أَجْيَالُنَا - الَّتِي لَأَزَالَ كَثِيرٌ مِنْهَا سَادِرًا فِي التَّيْبِ وَالْإِنْحِرَافِ -
عِظَمَ الْمُؤَامَرَةِ؟! وَبِأَيِّ حَقٍّ يُفْرَضُ عَلَى الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَا يُخَالِفُ
شَرَعَ اللَّهِ؟! فَالْأَمْرُ أَمْرُهُ، وَالشَّرْعُ شَرْعُهُ، وَلَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ - كَاتِنًا مَنْ
كَانَ، فَرْدًا أَوْ هَيْئَةً، أَوْ مُنْظَمَةً أَوْ دَوْلَةً - أَنْ يَتَطَاوَلَ عَلَى شَرَعِ اللَّهِ، وَيُلْزِمَ
النَّاسَ بِغَيْرِهِ.

وَالَّذِي يُقَالُ صَرَاحَةً، لَا، وَالْفَ لَا! لِكُلِّ مَنْ يُعَارِضُ شَرَعَ اللَّهِ،
وَيَجْرُؤُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ إِلَى فِتْنٍ لَا يَعْلَمُ عَوَاقِبَهَا إِلَّا اللَّهُ، لَقَدْ أَسَاءَ أَوْلِيكَ
الْقَوْمُ التَّدْبِيرَ، وَأَخْطَئُوا التَّقْدِيرَ، وَقَالُوا بِالْبَاطِلِ وَالتَّزْوِيرِ، وَجَانَبُوا الْحَقَّ
وَالْتَّنْوِيرَ؛ أَمَا يَكْفِي زَاجِرًا، وَيَشْفِي وَاعِظًا، مَا تَعِيشُهُ الْمُجْتَمَعَاتُ
الْمُخَالِفَةُ لِشَرَعِ اللَّهِ مِنْ انْتِشَارِ الْفَوَاحِشِ وَالْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعْصِيَةِ؟! فَكَيْفَ
بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا وَالسَّعْيِ إِلَى نَشْرِهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؟! قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الدِّينِ أَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور].

إِنَّ الْمَعَانَاةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ وَالْاَخْلَاقِيَّةَ، الَّتِي يَعِيشُهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، لَا مُخْلَصَ مِنْهَا إِلَّا الْاِيْمَانُ بِاللَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، مَعَ الْاِخْتِذِ بِالْاَسْبَابِ: مِنْ تَنْمِيَةِ الْمَوَارِدِ، وَتَرْشِيدِ الْاِنْفَاقِ، وَعَدَالَةِ تَوْزِيْعِ الثَّرَوَاتِ، وَعَدَمِ تَبْدِيدِ الطَّاقَاتِ، فِيمَا لَا يَنْفَعُ الْاُمَّةَ، وَالْعَيْبُ عَيْبُ الْاَنْظِمَةِ الْجَائِرَةِ، وَإِلَّا فَارْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، وَخَزَائِنُهُ مَلَأَتْ، وَالْاَرْضُ خِصْبَةٌ، وَلَا تَزَالُ الْخَيْرَاتُ فِي بَاطِنِ الْاَرْضِ وَظَاهِرِهَا مَكْنُونَةً، فَأَيْنَ الْمُسْتَشْمِرُونَ؟! وَلَوْ أَنَّ «الْمِليَارَاتِ» الَّتِي تُنْفَقُ فِي سَبَاقِ التَّسْلِحِ، وَشَنِّ الْحُرُوبِ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ، حُوِّتْ إِلَى مَشَارِيْعِ اِغَاثِيَّةٍ وَإِنْمَائِيَّةٍ، وَاسْتُشْمِرَتْ لِصَالِحِ الْبَشَرِيَّةِ - لَمَا حَصَلَ مَا طَنَطُنُوا^(١) حَوْلَهُ.

وَالَّذِي نُوَدُّ تَاكِيْدَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ: ضَرْوَةٌ اِخْتِذِ الْحَذَرِ مِنْ مُخَطَّطَاتِ وَمُؤَامَرَاتِ اَعْدَاءِ الْاِسْلَامِ، ضِدَّ دِيْنِ الْاُمَّةِ وَقِيْمِهَا وَاَخْلَاقِهَا، وَالْعِنَايَةَ بِالْاَسْرَةِ، وَتَرْبِيَةَ النَّشْءِ عَلَى الْعِفَّةِ وَالْفَضِيْلَةِ، وَالْحِرْصُ عَلَى كَثْرَةِ نَسْلِ الْاُمَّةِ الْاِسْلَامِيَّةِ، وَابْتِهَ - فِي الْوَقْتِ الَّذِي نَسْتَنْكِرُ ذَلِكَ - نَدْعُو قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاءَهُمْ، وَشُعُوبَهُمْ وَكَافَّةَ الْمُنْظَمَاتِ وَالْهَيْئَاتِ الْاِسْلَامِيَّةِ: اَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي مَسْئُوْلِيَّتِهَا، وَتَتَعَاوَنَ فِيمَا بَيْنَهَا؛ لِوَضْعِ مَشْرُوعَاتِ بَدِيْلَةٍ؛

(١) الطَّنَطْنَةُ: كثرة الكلام والتصويت به. «اللسان» (طنطن).

لِمُعَالَجَةِ قَضَايَا التَّنْمِيَةِ، عَلَى ضَوْءِ شَرِيعَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَأَخْلَافِنَا
السَّامِيَةِ.

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَنْ يَكْفِينَا شَرَّ
أَعْدَائِنَا، وَأَنْ يُحْبِطَ مُؤَامَرَاتِهِمْ بِعِزَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ، إِنَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ! .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي
السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾
[البقرة].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَفِي هَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ .
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة السّانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَلَّ فِي عُلَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى هُدَاهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ
الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ،
وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَاشْكُرُوهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى مَا هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ،
وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْإِسْلَامَ أَوْجَبَ عَلَى أَتْبَاعِهِ التَّوَاصِيَّ بِالْحَقِّ،
وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّعَاوُنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالتَّمَسُّكَ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ،
فِي وَقْتٍ ضَلَّ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُبَسِّنَا عَلَى الْإِسْلَامِ!

وإِنَّ مِنَ التَّحَدُّثِ بِنِعْمِ اللَّهِ : مَا وَفَّقَ اللَّهُ إِلَيْهِ قِيَادَةَ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ
الشَّرِيفَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَعُلَمَاءَهَا - وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ - مِنْ اتِّخَاذِ الْمَوَاقِفِ
الصَّامِدَةِ حِيَالِ هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْمَشْبُوهِ، وَمَا كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِ، وَهُوَ مَوْقِفٌ

يَنْبَغِي أَنْ يُذَكَرَ فَيُشَكَرَ، وَإِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ الصَّامِدَةِ فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَدَرءِ الْبَاطِلِ وَحِزْبِهِ، وَالشُّكْرِ مَوْصُولٌ لِمُسَدِّدِهِ سُبْحَانَهُ: أَنْ أَحْبَطَ خُطَطَ وَنَتَائِجَ وَمُؤَامِرَاتِ الْأَعْدَاءِ، وَجَعَلَ كَيْدَهُمْ بَيْنَهُمْ؛ فِيمَا سَبَعُوا إِلَيْهِ مِنْ إِبَاحَةِ الْإِجْهَاضِ، وَالشُّدُودِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - لَكِنَّهُمْ وَلَاشَكَّ سَيَسْعَوْنَ جَاهِدِينَ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الْبَاطِلِ مَرَّاتٍ أُخْرَى، وَلَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُؤْتَمَرُ آخِرَ سَهَامِهِمْ؛ فَلنَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَفُطْنَةٍ، يَا عِبَادَ اللَّهِ!

وَلَقَدْ أَثْبَتَ هَذَا الْمُؤْتَمَرُ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ يَقْظَةً وَصَحْوَةً - بِحَمْدِ اللَّهِ - فَلَنْ تَقْبَلَ شَيْئًا يُخَالِفُ دِينَهَا، وَقِيمَهَا وَأَخْلَاقَهَا؛ بِإِذْنِ اللَّهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، وَإِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ تَعِيشُ عَصْرَ الْفِتَنِ النَّبِيِّ أَقْبَلَتْ كَبْحَرٍ خِضْمٌ قَدْ تَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُهُ، وَلَيْلٍ دَاجٍ قَدْ اذْلَهَمَ ظَلَامُهُ، وَسَيْلٍ جَارِفٍ قَدْ انْعَقَدَ غَمَامُهُ - فَلَا مُخْلَصَ لَهَا مِنَ الْفِتَنِ إِلَّا الْإِعْتِصَامُ بِاللَّهِ، وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَلِزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ، وَالرُّجُوعُ إِلَى عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَالتَّلَاحُمِ بِهِمْ، وَالتَّحَلِّيِ بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ وَالتَّثَبُّتِ، وَالتَّعَقُّلِ وَالحِكْمَةِ، وَالبُعْدُ عَنْ مَسَالِكِ العُنْفِ وَالمُؤَاجَهَةِ، وَكَفُّ اللِّسَانِ عَنِ الخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِي، وَعَدَمُ الْإِنْخِدَاعِ بِالأَبْوَاقِ النَّاعِقَةِ، الَّتِي يُرِيدُ أَصْحَابُهَا الإِصْطِيَادَ فِي المَاءِ العَكْرِ، وَجَرَّ البِلَادِ وَالعِبَادِ إِلَى فِتَنِ لَا يَعْلَمُ عَوَاقِبَهَا إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ الدُّعَاءُ الدُّعَاءُ! وَالإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ

مَنْهَا وَمَا بَطْنٌ ، عَنْ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ خَاصَّةً ، وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ
عَامَّةً ؛ بِمَنْ اللَّهِ وَكَرَمِهِ !

هَذَا ؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الْوَرَى ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ
بِذَلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الْأَحْزَاب] .

* * *

القِسْمُ الثَّانِي عَشَرَ

خَطَبُ الْمَنَابِقِ



الخطبة للهوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ وَنُسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ
وَنَتُوبُ إِلَيْكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ
وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا
رَضِيتَ، وَلَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا، سُبْحَانَكَ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ
كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، أَنْتَ
الْأَحَدُ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَالْفَرْدُ لَا نِدَّ لَكَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَكْرَمَكَ!
سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَعْظَمَكَ! سُبْحَانَكَ إِلَهَنَا، مَا أَحْلَمَكَ! سُبْحَانَكَ
مَوْلَانَا، مَا أَعْدَلَكَ! سُبْحَانَكَ، مَا عَبْدُ نَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ!

وَنَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَمُصْطَفَاكَ وَحَبِيبُكَ،
شَكَرَ نِعْمَتَكَ، وَحَقَّقَ عِبَادَتَكَ، وَبَلَغَ شَرِيعَتَكَ، وَنَصَحَ خَلِيقَتَكَ،
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى
آلِ إِبْرَاهِيمَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا
بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أما بعد:

فَيَأْتِيهَا النَّاسُ، مَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ؟! مَنِ الْبَاقِي عَلَى الدَّوَامِ
فَلَا يَزُولُ، وَلَا يَحُولُ، وَلَا يَفُوتُ؟! مَنِ الْمُتَفَرِّدُ بِتَصْرِيْفِ الشُّهُورِ
وَالْأَعْوَامِ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِتَدْيِيرِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ؟! إِنَّهُ الرَّبُّ الْمَلِكُ الْعَلَّامُ،
وَإِلَّاهُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ، إِنَّهُ اللهُ، فَتَبَارَكَ اللهُ!

إِذَنْ لِمَاذَا يُنْصَرِفُ بَعْضُ النَّاسِ عَنِ اللهِ إِلَى غَيْرِهِ؟! ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللهِ
تَعَلَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل، ١٦]، لِمَاذَا يَنْسَى بَعْضُ النَّاسِ
خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ وَمَوْلَاهُمْ، ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ [النمل، ١٦]،
إِنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقِيقٌ أَنْ يُتَّقَى، بَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرُ
فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ؛ ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ نَنْقُوتُ﴾ [النحل، ٥٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فِي مُسْتَهْلِ كُلِّ عَامِ هِجْرِيٍّ، وَمَعَ إِشْرَاقِهِ كُلِّ
سَنَةٍ: تَبَرُّزُ فِي تَارِيخِنَا الْإِسْلَامِيِّ الْمَجِيدِ أَحْدَاثٌ عِظَامٌ، وَوَقَائِعُ جِسَامٌ،
لَهَا مَكَانَتُهَا عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَهَا أَثْرُهَا الْبَالِغُ فِي عِزِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَنَصْرِهَا، وَقُوَّتِهَا، وَصَلَاحِ شَرِيْعَتِهَا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، هُنَاكَ خَمْسُ قَضَايَا مُهِمَّةٍ، جَدِيرَةٌ بِالتَّنْبِيهِ
وَالْإِشَادَةِ، لَا سِيَّمَا وَنَحْنُ نَعِيشُ مَعَ إِشْرَاقِهِ عَامِ هِجْرِيٍّ جَدِيدٍ؛ عَلَّ هَذِهِ
القَضَايَا تَكُونُ سَبَبًا لِتَحْرِيكِكَ الْهَمَمِ، وَاسْتِنْهَاضِ الْعِزَائِمِ؛ لِالتَّمَسُّكِ الْجَادِّ

بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ «أَوَّلَ الْأَحْدَاثِ» الْجَدِيرَةَ بِالْوَقْفَةِ الْحَازِمَةِ مَعَ الثُّفُوسِ، وَإِنَّ أَهَمَّ الْقَضَايَا الَّتِي يَنْبَغِي التَّرَكِيزُ عَلَيْهَا فِي مُسْتَهَلِّ كُلِّ عَامٍ: أَنْ اسْتِقْبَالَ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِعَامٍ جَدِيدٍ مِنْ حَيَاتِهَا هُوَ بِمَجَرَّدِهِ حَدَثٌ لَا يُسْتَهَانَ بِهِ، وَإِنْ بَدَأَ فِي أَنْظَارِ بَعْضِ النَّاسِ حَدَثًا هَيِّنًا؛ لِطُولِ أَمَلِهِمْ، وَقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ - عِيَادًا بِاللَّهِ - فَلَا يَأْتِمُّ مَرَاحِلُ وَمَطَايَا؛ تُبْعَدُ مِنَ الدُّنْيَا وَتُدْنِي مِنَ الْآخِرَةِ.

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطْعُهَا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ! (١)

نَعَمْ كُلُّ يَوْمٍ يُدْنِي مِنَ الْقُبُورِ، وَيُبْعَدُ عَنْ عَامِرِ الدُّورِ وَالْقُصُورِ، فإِلَى مَتَى الْغَفْلَةُ، يَا عِبَادَ اللَّهِ؟! مَاذَا رَانَ عَلَى الْقُلُوبِ؟! مَاذَا غَشِيَ الْبَصَائِرَ وَالْأَبْصَارَ؟! إِنَّ الْمَوْفَّقَ مَنْ يَسْعَى لِصَلَاحِ حَالِهِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ غَدُهُ خَيْرًا مِنْ يَوْمِهِ، وَيَوْمُهُ أَفْضَلَ مِنْ أَمْسِهِ، وَعَامُهُ الْجَدِيدُ أَفْضَلَ مِنْ عَامِهِ الْمَاضِي، وَالْكَيْسُ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ دُخُولِ الْعَامِ الْجَدِيدِ، وَرَاجَعَ حِسَابَاتِهِ، وَفَتَحَ صَفْحَةً جَدِيدَةً مِنْ حَيَاتِهِ، وَتَعَهَّدَ رَصِيدَهُ الْأُخْرَوِيَّ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَقَدَّرَ لِحُطَاةِ مَوَاضِعِهَا؛ خَشْيَةَ

(١) هذا البيت أول بيتين ذكرهما الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص ٥٢٣)، وثانیهما:

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا الرُّنْحُ وَالْحُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ!

الانزلاقِ فِي مَهَاوِي الفَسَادِ العَقْدِيِّ، والفِكْرِيِّ، والسُّلُوكِيِّ؛ هَذَا عَلَيَّ
مُسْتَوَى الأَفْرَادِ.

أَمَّا الأُمَّةُ: فَلَا رَيْبَ أَنَّهَا حُبِلَى بِالمُشْكَلَاتِ، وَتَكَلَى بِالفِتَنِ
والمُغْرِبَاتِ؛ ضَعْفٌ وَفُرْقَةٌ وَشَتَاتٌ، ذِلَّةٌ وَمَهَانَةٌ وَخِلَافَاتٌ، وَتَنَازُعٌ وَحُرُوبٌ
وَنَكَبَاتٌ، مَا هِيَ الحَالُ فِي المَسْجِدِ الأَقْصَى وَالأَرْضِ المُبَارَكَةِ؟! مَا هِيَ
الأَنْبَاءُ فِي أفْغَانِسْتَانَ المُسْلِمَةِ؟! إِلَى أَيِّ حَدٍّ وَصَلَ الحَالُ فِي بِلَادِ البُوسْنَةِ
وَالهَرَسِكِ المُجَاهِدَةِ الصَّامِدَةِ؟! مَا هِيَ أَخْبَارُ إِخْوَانِنَا فِي العَقِيدَةِ؟! وَأَحْوَالُ
الأَقْلِيَّاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البِقَاعِ؟! مَا هِيَ أَخْبَارُ إِخْوَانِنَا فِي كَشْمِيرَ
وَالشَّيْشَانَ، وَإِرِيترِيَا وَالصُّومَالِ، وَالفِلِيبِينَ وَغَيْرَهَا مِنَ بِقَاعِ الإِسْلَامِ؟!
إِلَى أَيِّ مَدَى وَصَلَ الشُّقَاقُ وَالنِّزَاعُ بَيْنَ أبنَاءِ الإِسْلَامِ؟! إِلَى أَيِّ حَدٍّ
امْتَدَّت سَيْطَرَةُ الأَعْدَاءِ وَعَزَوْهُمْ، عَسْكَرِيًّا، وَفِكْرِيًّا، وَخُلُقِيًّا، لِبِلَادِ
الإِسْلَامِ؟! كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ - مِنْ غُيُومِ الفِتَنِ، وَسُحُبِ المِحَنِ - يَتَطَلَّبُ
مِنْ أبنَاءِ الإِسْلَامِ حُلُولًا عَاجِلَةً، مَعَ إِطْلَالَةٍ هَذَا العَامِ الَّذِي تَبَرَّقَ فِي آفَاقِهِ
فُلُوقٌ مِنَ الآمَالِ العَظِيمَةِ، وَالتَّطَلُّعَاتِ لِمُسْتَقْبَلِ أَفْضَلِ: تَتَبَدَّدُ فِيهَا سُحُبُ
الآلَامِ وَالأَحْزَانِ، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

«القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ» - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - : حَدَثُ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، إِنَّهُ
حَدَثٌ لَا كَالْأَحْدَاثِ، حَدَثٌ غَيْرٌ مَجْرَى التَّأْرِيخِ، حَدَثٌ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ
مَعَالِمَ الشَّجَاعَةِ وَالتَّضْحِيَّةِ، وَالصَّبْرِ وَالنَّصْرِ وَالفِدَاءِ، وَالتَّوَكُّلِ وَالقُوَّةِ

وَالْإِخَاءِ، وَالْإِعْتِزَازِ بِاللَّهِ وَحَدَهُ مَهْمَا بَلَغَ كَيْدُ الْأَعْدَاءِ .

إِنَّ حَدَثَ الْهَجْرَةِ حَدَثٌ جَعَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ طَرِيقًا لِلنَّصْرِ وَالْعِزَّةِ،
وَرَفَعَ رَايَةَ الْإِسْلَامِ، وَتَشْيِيدَ دَوْلَتِهِ، وَإِقَامَةَ صَرْحِ حَضَارَتِهِ، إِنَّ فِي هَذَا
الْحَدَثِ الْعَظِيمِ مِنَ الدَّرُوسِ وَالْعِبَرِ مَا لَوْ اسْتَلْهَمْتَهُ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ،
وَعَمِلَتْ عَلَى ضَوْئِهِ - وَهِيَ تَعِيشُ عَلَى مَفْرَقِ الطَّرِيقِ، وَتَشْعُبُ السُّبُلِ -
لَتَحَقَّقَ لَهَا عِزُّهَا وَقُوَّتُهَا وَمَكَانَتُهَا، وَلَعَلِمَتْ عِلْمَ الْيَقِينِ؛ أَنَّهُ لَا حِلَّ
لِمُشْكَلاتِهَا، وَلَا صَلَاحَ لِأَحْوَالِهَا إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِإِسْلَامِهَا، وَالتَّرَامِهَا بِإِيمَانِهَا
وَعَقِيدَتِهَا، فَوَاللَّهِ! مَا قَامَتِ الدُّنْيَا إِلَّا بِقِيَامِ الدِّينِ، وَلَا نَالَ الْمُسْلِمُونَ الْعِزَّةَ
وَالْكَرَامَةَ، إِلَّا لَمَّا خَضَعُوا لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ! وَهِيَ هَاتِ أَنْ يَحِلَّ أَمْنٌ أَوْ رَحَاءٌ أَوْ
سَلَامٌ دُونَ اتِّبَاعِ نَهْجِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ .

إِذَا تَحَقَّقَ ذَلِكَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - وَتَذَكَّرَ الْمُسْلِمُونَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ
النَّاصِعَةَ، وَعَمِلُوا عَلَى تَحْقِيقِهَا فِي وَاقِعِ حَيَاتِهِمْ - كَانَتْ هِيَ السَّلَاحَ
الْفَاعِلَ الَّذِي تُقَاتِلُ بِهِ، وَالذَّرْعَ الْحَصِينَ الَّذِي تَتَّقِي بِهِ فِي وَجْهِ الْهَجَمَاتِ
الْكَاسِحَةِ، وَالصَّرَاعَ الْعَنِيفِ الَّذِي تَعِيشُهُ قُوى الْأَرْضِ؛ فَالْقُوَّةُ لِلَّهِ، ﴿وَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ. وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [المنافقون] .

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ، وَيَتَفَرَّغُ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ «قَضِيَّةُ ثَالِثَةٌ»، تُعَبِّرُ بِجَلَاءٍ
عَنِ اعْتِزَازِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِشَخْصِيَّتِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتُبْرَهُنَ لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ: عَلَى
اسْتِفْلَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِمَنْهَجِهَا الْمُتَمَيِّزِ الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ عَقِيدَتِهَا وَتَأْرِيحِهَا

وَحَضَارَتَهَا، إِنَّهَا قَضِيَّةٌ أَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِنَّهَا «التَّوْقِيْتُ وَالتَّارِيحُ بِالْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ»، وَكَمْ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ مِنْ مَعْرَى عَظِيمٍ يَجْدُرُ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ تَذْكُرُهُ، وَقَدْ فُتِنَ بَعْضُ أَبْنَائِهَا بِتَقْلِيدِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّشْبُهِ بِهِمْ فِي تَوَارِيخِهِمْ!

أَيُّ عِزَّةٍ الْإِسْلَامِ؟! وَأَيُّ هِي شَخْصِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ؟! هَلْ ذَابَتْ فِي خِصْمٍ مُغْرِيَاتِ الْحَيَاةِ؟! إِنَّا أُمَّةٌ ذَاتُ مَجْدٍ وَحَضَارَةٍ وَأَصُولٍ تَأْرِيخِيَّةٍ، وَمَنْهَجٍ مُسْتَقَلٍّ؛ مُنْبَقِيٍّ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ، فَلَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى تَقْلِيدِ غَيْرِنَا، بَلْ إِنَّ غَيْرِنَا - فِي الْحَقِيقَةِ - بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ أَصَالَتِنَا وَحَضَارَتِنَا، وَلِكِنَّهُ التَّقْلِيدُ وَالتَّبَعِيَّةُ، وَالْإِعْجَابُ وَالْمُجَارَاةُ وَالْإِنْهَزَامِيَّةُ، وَالتَّشْبُهُ الْأَعْمَى مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ - هَدَاهُمُ اللَّهُ - وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ» (١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، «رَابِعُ هَذِهِ الْقَضَايَا»: حَدَثٌ عَظِيمٌ فِي شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، فِيهِ دَرَسٌ بَلِيغٌ، يَدُلُّ عَلَى نُصْرَةِ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَانْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ مَهْمَا تَطَاوَلُوا؛ إِنَّهُ حَدَثٌ قَدِيمٌ، لِكِنَّهُ بِمَغْزَاهُ مُتَجَدِّدٌ عَبْرَ الْأَرْمَنِ وَالْأَمْكِنَةِ، إِنَّهُ يَوْمٌ انْتَصَرَ نَبِيُّ اللَّهِ وَكَلِيمُهُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهَلَكَ فِرْعَوْنُ الطَّاغِيَّةِ، وَمَنْ يَقْرَأُ مِنَّا كِتَابَ اللَّهِ؛ يَجِدُ مَا تَحْتَلَّهُ هَذِهِ الْقِصَّةُ

(١) رواه أحمد (٥٠/٢)، وأبوداود (٤٠٣١)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما.

العَظِيمَةَ مِنْ حَيْرٍ كَبِيرٍ، وَعَرَضٍ مُتَجَدِّدٍ؛ عِبْرَةً وَعِظَةً، وَدَرَسًا لِلدُّعَاةِ إِلَى
 اللَّهِ: أَنَّهُ مَهْمَا بَلَغَ الْأَذَى وَالظُّلْمُ وَالتَّسَلُّطُ، فَإِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ؛ كَمَا أَنَّ
 فِيهَا دَرَسًا لِكُلِّ عَدُوِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ مِمَّنْ مَشَى عَلَى دَرَبِ فِرْعَوْنَ: أَنَّ اللَّهَ
 مُنْتَقِمٌ مِنَ الطُّغَاةِ وَالظَّالِمَةِ؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر]؟!!

تِلْكَ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - إِشَارَاتٌ عَابِرَةٌ، وَقَضَايَا مُهِمَّةٌ، يَحْتَاجُ
 الْمُسْلِمُونَ إِلَى التَّذْكِيرِ بِهَا، وَهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ عَامَهُمُ الْهَجْرِيِّ الْجَدِيدَ،
 الَّذِي نَسَأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا؛ أَنْ يَجْعَلَهُ عَامَ خَيْرٍ
 وَبَرَكَةٍ وَنَصْرِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَعَامَ ذُلٍّ وَهَوَانٍ لِأَعْدَاءِ
 الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَنَسَأَلُهُ سُبْحَانَهُ؛ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُ عَامَ يَقْظَةٍ وَصَلَاحٍ،
 وَنُقْطَةَ تَحَوُّلٍ وَفَتْحٍ لَصَفْحَةٍ جَدِيدَةٍ، وَصَلَاحٍ لِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ
 مَكَانٍ، وَهَزِيمَةٍ سَاحِقَةٍ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى
 أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
 فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ يَزَلْ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفًا، وَبِالْكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ
مَوْصُوفًا، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ: يُيسِّرُ عَسِيرًا،
وَيَجْبِرُ كَسِيرًا، وَيَغْفِرُ ذُنُوبًا، وَيَسْتُرُ عُيُوبًا، وَيَكْشِفُ كُرُوبًا، وَيُغِيثُ
مَلْهُوفًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً خَالِصَةً لِمَنْ
فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
جَعَلَهُ اللَّهُ صَادِقًا أَمِينًا، شَرِيفًا عَفِيفًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً وَسَلَامًا تَزِيدُهُمْ تَفْضِيلًا وَتَشْرِيفًا.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ
الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا، وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ،
وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْأَجِبَةُ فِي اللَّهِ، «خَامِسُ هَذِهِ الْقَضَايَا»: فَاتِحَةُ شُهُورِ الْعَامِ،
شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، إِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ شُهُورِ اللَّهِ جَلًّا وَعِلًّا، مَكَانَتُهُ عَظِيمَةٌ،
وَحُرْمَتُهُ قَدِيمَةٌ، هُوَ رَأْسُ الْعَامِ، وَمِنْ أَشْهُرِ اللَّهِ الْحُرْمِ^(١)؛ فِيهِ نَصَرَ اللَّهُ

(١) الأشهر الحرم أربعة: ثلاثة سرد، أي: متتابعة، وواحد فرد؛ فالسرد: ذو القعدة،
وذو الحجة، والمحرم، والفرد: رجب. «تفسير البغوي» (٤/٤٤).

مُوسَى وَقَوْمَهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ»^(١).

وَأَفْضَلُ أَيَّامِ هَذَا الشَّهْرِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَوْمُ عَاشُورَاءَ؛ فَبِئْسَ الْمَدِينَةُ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟» قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ؛ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَحَنُّ نَصُومُهُ؛ فَقَالَ ﷺ: «نَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ ﷺ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ^(٢)، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؛ فَقَالَ: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»^(٣)، اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا لَهُ مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ!

وَقَدْ عَزَمَ ﷺ عَلَى أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ يَوْمًا؛ مُخَالَفَةً لِأَهْلِ الْكِتَابِ؛ وَعَلَيْهِ: فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَصُومُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ اقْتِدَاءً بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَطَلْبًا لِثَوَابِ اللَّهِ، وَأَنْ يَصُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ؛ مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ،

(١) «صحيح مسلم» (١١٦٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٠٠٤)، و«صحيح مسلم» (١١٣٠).

(٣) «صحيح مسلم» (١١٦٢).

وَعَمَلًا بِمَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ الْمُصْطَفَى ﷺ .

عَمَلٌ قَلِيلٌ ، وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَكَثِيرٌ ، إِنَّ ذَلِكَ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - لِمَنْ فَضَّلَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّ صِيَامَ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَهُوَ شُكْرٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ ، وَهُوَ -
أَيْضًا - اسْتِفْتَاخٌ لِلْعَامِ بِعَمَلٍ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، النَّبِيُّ يُرْجَى فِيهَا
ثَوَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَأَيْنَ الْمُشْمَرُونَ ؟ !

هَذَا ؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ ، النَّبِيِّ الْهَادِي الْمُصْطَفَى الْأَمِينِ ؛ فَقَدْ أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب] .

* * *

بَيْنَ غَيْثَيْنِ هُمَا مَادَّةُ الْحَيَاةِ
« خُطْبَةُ صَلَاةِ الْإِسْتِسْقَاءِ »



الخطبة للهوى

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ
الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة].

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِيْثِ الْمُسْتَغِيْثِيْنَ، وَمُجِيْبِ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّيْنَ، وَكَاشِفِ
الْكُرْبِ عَنِ الْمَكْرُوْبِيْنَ، وَرَافِعِ الْبَلَاءِ عَنِ الْمُسْتَغْفِرِيْنَ، وَمُسْبِغِ النَّعْمِ عَلَيَّ
الْعِبَادِ أَجْمَعِيْنَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَلِيُّ الْحَمِيْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُفْعَلُ مَا يَشَاءُ
وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيْمُ الْحَلِيْمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّءُوفُ
الرَّحِيْمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيْمِ،
سُبْحَانَ مُجِيْبِ الدَّعَوَاتِ، وَغَافِرِ الزَّلَّاتِ، سُبْحَانَ مُعِيْثِ اللَّهْفَاتِ، وَمُنْزِلِ
الْبَرَكَاتِ، سُبْحَانَ وَاهِبِ الْخَيْرَاتِ، وَفَارِحِ الْكُرْبَاتِ، سُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ كَرِيْمٍ،
وَرَبِّ رَحِيْمٍ، وَمَوْلَى عَظِيْمٍ، عَمَّ بِكَرَمِهِ وَرِزْقِهِ وَإِحْسَانِهِ جَمِيْعَ الْمَخْلُوْقَاتِ .

سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَكْرَمَكَ! سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَعْظَمَكَ! سُبْحَانَكَ
رَبَّنَا، مَا أَحْلَمَكَ! سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ! سُبْحَانَكَ
وَبِحَمْدِكَ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ مَقْدِرَتِكَ! .

نَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحْبِيْبَنَا وَقُدْوَتَنَا: مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامَ الْمُرْسَلِينَ، وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ، وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَتَابِعُ:

فِي أَيَّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، اتَّقُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَأَطِيعُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ؛ فَتَقْوَى اللَّهِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - خَيْرٌ لِبَاسٍ؛ ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وَأَهْلُ التَّقْوَى هُمْ خَيْرُ النَّاسِ؛ ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، مَنْ رَامَ عِزًّا وَفَلَاحًا، وَطَلَبَ خَيْرًا وَصَلَاحًا، وَابْتَغَى رُشْدًا وَنَجَاحًا - فَعَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، تَقْوَى اللَّهِ: خُرُوجٌ مِنَ الْمَضَايِقِ، وَنَجَاةٌ مِنَ الْمَآزِقِ، تَقْوَى اللَّهِ: أَمَانٌ مِنَ الرَّزَايَا، وَسَلَامَةٌ مِنَ الْبَلَايَا، تَقْوَى اللَّهِ: عِصْمَةٌ مِنَ الْفِتَنِ، وَنَجَاةٌ مِنَ الْمِحَنِ.

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَمُ وَكَيْسٌ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٌّ نَقِيصَةٌ إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ^(١)

(١) البيتان ذكرهما ابن رجب - رحمه الله - في «لطائف المعارف» (ص ١٢٩). ويقال: =

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ خَلَقَكُمْ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِهَدَفٍ عَظِيمٍ،
 وَأَمْرٍ جَسِيمٍ، أَلَا وَهُوَ: تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ سُبْحَانَهُ؛ يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ -:
 ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ [الذاريات]، فَمَنِ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 غَيْرَ اللهِ؟! وَمَنِ الَّذِي رَزَقَكُمْ غَيْرَ اللهِ؟! وَمَنِ الَّذِي يَكَلِّفُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 غَيْرَ اللهِ؟! .

فَوَاعْبَجَا كَيْفَ يُعْصَى إِلَّا هُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ؟!
 وَاللهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ (١)

فَيَاكُمْ - عِبَادَ اللهِ - وَالْغَفْلَةَ عَنْ سِرِّ خَلْقِ اللهِ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؛
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْرَنَكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥٦﴾ [فاطر].

أَمَا وَاللهِ لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ
 لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ
 لِمَا خُلِقُوا لِمَا هَجَعُوا وَتَأَمُّوا
 عُيُونُ قُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا
 وَمَاتَ ثُمَّ قَبِرَ ثُمَّ حَشِرَ
 وَتَوَيْبِخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
 وَصَلَّوْا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
 وَنَحْنُ إِذَا أَمَرْنَا أَوْ نُهَيْنَا
 كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيْقَاطُ نِيَامُ!

= حَاكُ الثَّوْبِ يَجِيكُهُ حِيَاكَةٌ، أَي: نَسَجَةٌ. وَحَجَمَ الْمَرِيضَ يَخْجُمُهُ حَجْمًا: عَالِجُهُ
 بِالْحِجَامَةِ، وَهِيَ امْتِصَاصُ الدَّمِ بِالْمِخْجَمِ. «اللسان» (حيك) (حجم).
 (١) الأبيات لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» (ص ١٢٢)، و«البداية والنهاية» (١٤/٧٧).

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوَالِي نِعْمَهُ عَلَى عِبَادِهِ؛ لِيَتَكُونَ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، فَإِذَا اسْتَعَانُوا بِنِعْمِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَفَرَطُوا فِي جَنْبِهِ، وَأَضَاعُوا أَوْامِرَهُ، وَاسْتَهَانُوا بِنَوَاهِيهِ، وَاسْتَحَقُّوا بِحُرْمَاتِهِ -: غَيْرَ عَلَيْهِمْ حَالَهُمْ؛ ﴿جَزَاءً وَفَأَقَا﴾ [النبا]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٤٦] [فصلت]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال].

فَإِذَا غَيَّرَ الْعِبَادُ الطَّاعَةَ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَالْمَعْرُوفَ بِالْمُنْكَرِ -: غَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغِنَى بِالْفَقْرِ، وَالْعِزَّةَ بِالذُّلَّةِ وَالْمَهَانَةَ، وَالْقُوَّةَ بِالضَّعْفِ وَالْهَزِيمَةَ، وَالْعِلْمَ بِالْجَهْلِ، وَالْأَمْنَ بِالْخَوْفِ، وَالسَّعَادَةَ بِالْقَلْقِ وَالْإِضْطِرَابِ، وَالنِّعَمَ بِالنِّقَمِ، وَالْخِصْبَ بِالْجَدْبِ، وَالْمَطَرَ بِالْقَحْطِ، وَالْخَيْرَ بِالشُّدَّةِ وَالْمَثُونَةَ.

فَلَمْ يَنْزِلْ بِلَاءٌ مِّنَ اللَّهِ إِلَّا بِذُنُوبِ الْعِبَادِ وَتَقْصِيرِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَن رَّبِّهِمْ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَىٰ شَهَوَاتِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى]، ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنِ هَٰذَا أَقْلُ هُوَ مِن عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران]، وَمَا ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ بِقِلَّةِ

الأمطار، وَعَوْرِ الْمِيَاهِ^(١)، وَانْتِشَارِ الْجَدْبِ وَالْفَحْطِ، وَعَلْبَةِ الْجَفَافِ
وَالْمَجَاعَةِ وَالْفَقْرِ، فِي بَقَاعِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَالَمِ؛ إِلَّا بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَانْتِشَارِ
الْمَعَاصِي بَيْنَهُمْ، وَعُمُومِ الْمُنْكَرَاتِ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَلَنْ يُرْفَعَ مَاهُمْ فِيهِ -
مِنْ شِدَّةِ وَبَلَاءِ، وَجَدْبِ وَقَحْطِ وَعَنَاءِ - إِلَّا بِتَوَجُّهِهِمُ الصَّحِيحِ إِلَى رَبِّهِمْ،
وَعَوْدَتِهِمْ الْحَمِيدَةِ إِلَى دِينِهِمْ، وَكَثْرَةِ تَوْبَتِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لِرَبِّهِمْ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ.

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تَمِثُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الدَّلَّ إِذْمَانَهَا
وَتَرَكَ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا^(٢)

* * *

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْزَعْهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تَزِيلُ النِّعَمَ
وَدَاوِمِ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ فَشُكْرُ الْإِلَهِ يُزِيلُ النِّقَمَ

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ غَيْثَيْنِ لِعِبَادِهِ:

أَوَّلُهُمَا: غَيْثُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْوَحْيِ عَلَى
أَفْضَلِ رُسُلِهِ وَخَاتَمِهِمُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَذَا الْغَيْثُ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقُلُوبِ، وَصَفَاءُ
الْأَرْوَاحِ، وَبِهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا الْغَيْثُ هُوَ مَا يَفْتَقِدُهُ النَّاسُ
الْيَوْمَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ إِنَّ ضَرُورَتَهُمْ إِلَيْهِ وَحَاجَتُهُمْ لَهُ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ مِنْ:

(١) غَوْرُ الْمِيَاهِ: ذَهَابُهَا فِي الْأَرْضِ، وَسُقُوبُهَا فِيهَا. «اللسان» (غور).

(٢) البيتان لعبدالله بن المبارك. وقد تقدم تخريجهما (ص ٥٧٥).

الغَيْثِ الثَّانِي، الَّذِي هُوَ غَيْثُ الْأَرْضِ بِالْأَمْطَارِ، وَلَقَدْ خَرَجْتُمْ
 - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - تَسْتَعِيثُونَ رَبِّكُمْ لِهَذَا الْغَيْثِ، وَإِنَّهُ لَجَدِيرٌ بِنَا أَنْ نَهْتَمَّ
 بِغَيْثِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ؛ لِأَنَّ بِهِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحُصُولَ الْغَيْثِ
 الْآخِرِ؛ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم
 بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فَعَلَيْنَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَنْ نَتَفَقَّدَ قُلُوبَنَا؛ هَلْ رَوَيْتَ مِنْ هَذَا الْغَيْثِ،
 أَوْ هِيَ ظَامِنَةٌ؟! يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي صَحَائِفِنَا: هَلْ هِيَ رَبِيعٌ بِهَذَا
 الْوَحْيِ، أَوْ هِيَ مُجْدِبَةٌ؟! يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُصْلِحَ مَا فَسَدَ مِنْ حَالِنَا، وَأَنْ نُظَهِّرَ
 قُلُوبَنَا، وَنَسْعَى لِرِيَادَةِ إِيْمَانِنَا، وَإِصْلَاحِ عَقِيدَتِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا؛ لِيَحْصَلَ لَنَا
 مَا نُوَمِّلُهُ وَنَرْجُوهُ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ شَكَّوْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ جَدَبَ دِيَارِكُمْ، وَتَأَخَّرَ
 الْمَطَرُ عَنِ بِلَادِكُمْ وَأَوْطَانِكُمْ، فَمَا أُخْرَى ذَلِكَ أَنْ يَدْفَعَكُمْ إِلَى تَلْمُسِ
 أَسْبَابِهِ؛ لِيَكُونَ عَوْنًا لَكُمْ عَلَى تَشْخِيسِ الدَّاءِ الَّذِي أَصَابَكُمْ، فَإِذَا
 تَشَخَّصَ الدَّاءُ، عُرِفَ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّوَاءُ، وَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ مَنَعِ الْقَطْرِ مِنَ
 السَّمَاءِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - غَفْلَةَ الْعِبَادِ عَنِ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَقَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ بِمَا
 رَانَ^(١) عَلَيْهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَتَسَاهُلِهِمْ فِي تَحْقِيقِ الْإِيْمَانِ

(١) ران، أي: غطى وغلب. «اللسان» (رين).

والتَّقْوَى، وَتَقْصِيرَهُمْ فِي آدَاءِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ؛ يَقُولُ ﷺ: «لَمْ يَنْقُصْ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ»^(١)، وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ، لَمْ يُمْطَرُوا»^(٢).

وَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ مَنَعِ الْقَطْرِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ -: إِعْرَاضَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنِ التَّوْبَةِ إِلَى رَبِّهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْغَيْثِ؛ يَقُولُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٦﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٧﴾ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهْرًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح]، وَقَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود].

وَقَدْ خَرَجَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِلاِسْتِسْقَاءِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْإِسْتِغْفَارِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ طَلَبْتُ الْغَيْثَ بِمَجَادِيحِ»^(٣)

(١) «السنين»: جمع سَنَةٍ، وَهِيَ الْجَدْبُ وَالْفَنْحُطُ، يُقَالُ: أَخَذْتَهُمُ السَّنَةَ: إِذَا أَجْدَبُوا وَأَفْحَطُوا. «النهاية» و«اللسان» (سنه).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٥٤٠/٤)؛ من حديث ابن عمر؛ رضي الله عنهما.

(٣) الْمَجَادِيحُ: وَاحِدُهَا مِجْدَحٌ، وَهُوَ نَجْمٌ مِنَ النُّجُومِ، كَانَتْ الْعَرَبُ تَرْعُمُ أَنَّهَا تُمَطَّرُ بِهِ؛ كَقَوْلِهِمْ فِي الْأَنْوَاءِ.

والذي يراود من الحديث: أَنَّهُ جَعَلَ الْإِسْتِغْفَارَ اسْتِسْقَاءً؛ بِتَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: =

السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ»^(١) .

مَعَاشِرِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ «مَا نَزَلَ بِلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ بِلَاءٌ إِلَّا بِتَوْبَةٍ»^(٢)، وَإِنَّ ذُنُوبَنَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - كَثِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ، وَإِنَّ تَقْصِيرَنَا شَدِيدٌ وَكَبِيرٌ، وَإِنَّ شُؤْمَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي لِعَظِيمٌ وَخَطِيرٌ:

أَلَمْ نُقْصِرْ فِي الْإِيمَانِ وَالْعِبَادَةِ وَالْإِحْلَاصِ وَالتَّقْوَى؟!

أَمَا ظَهَرَتِ الْمُتَنَكَّرَاتُ، وَعَمَّتِ الْمُحَرَّمَاتُ، وَانْتَشَرَتِ الْمُؤَبَقَاتُ

فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ؟!

أَمَا هَذِهِ الصَّلَاةُ قَدْ طَاشَ مِيزَانُهَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَهِيَ ثَانِي

أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ؟!

أَمَا هَذِهِ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ قَدْ بَخَلَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَلْهَاهُمْ

التَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الْأَمْوَالِ عَنِ إِخْرَاجِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا؟!

أَمَا هَذِهِ الْمُؤَبَقَاتُ وَالْجَرَائِمُ مِنَ الْقَتْلِ وَالزَّنى وَالرِّبَا، وَشُرْبِ

﴿ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [نوح]، وَأَرَادَ عَمْرُ

إِبْطَالَ الْأَنْوَاءِ، وَالتَّكْذِيبَ بِهَا؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْإِسْتِغْفَارَ هُوَ الَّذِي يُسْتَسْقَى بِهِ، لَا الْمَجَادِيحَ وَالْأَنْوَاءَ الَّتِي كَانُوا يَسْتَسْقُونَ بِهَا. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١٥٨، ١٥٧/٤)، و«النهاية» و«اللسان» (جدح).

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/٣٢٠).

(٢) كما في الأثر عن علي - رضي الله عنه - انظر: «الجواب الكافي» (ص ١٠٣).

وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَتَعَلَّقَ أَقْوَامٌ بِنُصُوصِ الوَعْدِ، وَيُغْلَبُوا
جَانِبَ الرَّجَاءِ، وَيَعْتَمِدُوا عَلَى سَعَةِ عَفْوِ اللَّهِ، مُحْتَجِّينَ بِأَنَّهُ يُعْفِرُ الذُّنُوبَ،
فَيَتِمَادُونَ فِي المَعَاصِي، وَيَتَسَوَّنَ العُقُوبَةَ، وَيَغْرُهُمْ طُولُ الأَمَلِ؛ فَهَذَا
أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ!

فَالوَاجِبُ: المُبَادَرَةُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَتَرْكُ التَّسْوِيفِ؛ فَإِنَّ تَأخِيرَ التَّوْبَةِ
هُوَ - بِحَدِّ ذَاتِهِ - ذَنْبٌ يَسْتَحِقُّ التَّوْبَةَ؛ كَيْفَ وَإِنَّ المُؤْمِنَ لَيَحْشَى أَنْ يُحَالَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَتَقُوتُهُ فَيَنْدَمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ؟! وَقَدْ
حَدَّرَ المَوْلَى - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى
اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوَلِّتِكَ يَتُوبُ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَلَكُنَّ وَلَا الَّذِينَ
يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوَلِّتِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء].

فَالْيَ مَتَى العَقْلَةُ، يَا عِبَادَ اللَّهِ! ﴿١٩﴾ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَحْشَعُوا
قُلُوبَهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]؟! يَا أَيُّهَا التَّارِكُونَ لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ؛ مِنْ
صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصَلَاةٍ، المُرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ شِرْكِ، أَوْ تَرْكِ لِلصَّلَاةِ، أَوْ
تَسَاهُلٍ فِيهَا، أَوْ وَقُوعٍ فِي دَمٍ، أَوْ عَرِضٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ مُسْكِرٍ، أَوْ مُخَدِّرٍ،
أَوْ قَطِيعَةٍ وَعُقُوقٍ وَسُوءِ خُلُقٍ، أَوْ عُكُوفٍ عَلَى اللُّهُوِّ وَاللَّغْوِ، بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ

قَبْلَ أَنْ يُوَارِيَكُمْ الثَّرَى، وَيَسْرِي بِكُمْ الْبَلَى، وَتَكُونُوا جُثًا هَامِدَةً، وَجِيفًا
بَالِيَةً؛ لَا يَنْفَعُكُمْ - حِينَئِذَكَ - إِلَّا عَمَلُكُمْ الْمُتَوَجِّعُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْإِنَابَةِ
الصَّادِقَةِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿﴾ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٩﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى
مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [الزمر].

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، وَأَعِدْنَا مِنَ الْغَفْلَةِ، وَاعْصِمْنَا مِنَ
الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَأَسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا نَدَّ لَهُ سُبْحَانَهُ وَلَا شَبِيهَهُ، وَلَا مِثْلَ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ، وَالسَّرَاجُ الْمُنِيرُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ تَابِعٍ مُسْتَنِيرٍ .

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ، وَاحْذَرُوا صَغَائِرَ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهَا بَرِيدٌ إِلَى الْكِبَائِرِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الْعَبْدِ حَتَّى يُهْلِكَنَّهُ؛ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبَرُ، عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - (١) وَلَيْكُنْ لَكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي نَبِيِّكُمْ الْمُصْطَفَى ﷺ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهُوَ الَّذِي قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهُوَ أَخَوْفُ خَلْقِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، وَأَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ - يَعُدُّ لَهُ أَصْحَابُهُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»؛ كَمَا فِي حَدِيثِ

(١) رواه الطيالسي (٤٠٠)، وعنه أحمد (٤٠٢/١-٤٠٣)؛ من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه .



ابن عمر - رضي الله عنهما - عند الإمام أحمد، وغيره^(١)، وقد ورد في الحديث الصحيح؛ أنه ﷺ قال: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» - صلوات الله وسلامه عليه - كما في البخاري من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه^(٢).

الله أكبر! إذا كان هذا خوف المصطفى ﷺ، فما بالنا نحن لا نخاف وننحن المتقلون بالأوزار، المكبلون بالخطايا والآثام؟! فلتتق الله - يا عباد الله - ولنبدأ صفحة جديدة من أعمارنا، ولناخذ عهداً على أنفسنا، ونحن في حرم الله: أن نتوب إلى الله سبحانه من جميع الذنوب والمعاصي.

أمة الإسلام، وإذا كان المسلمون هذه الأيام يستقبلون شهراً كريماً، وموسماً عظيماً، ألا وهو شهر رمضان المبارك: فإن ما ذكرناه من التوبة - من حقوق الله، وحقوق عباد الله - هو المنهج الصحيح في استقبال هذا الشهر الكريم، في الوقت الذي جهل فيه كثير من المسلمين - هداهم الله - الاستقبال الشرعي والمعنوي لهذا الشهر المبارك، وعدلوا في استقباله إلى أمور شكلية ومادية، يترجم عنها حال كثير من الناس في هذه الأيام؛ وهم يتزاحمون في الأسواق؛ استعداداً لرمضان - بزعمهم - فما هكذا

(١) رواه الطيالسي (٢٠٥٠)، وأحمد (٢١/٢)، وأبوداود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٣٠٧).

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء].

وَأِنَّمَا يَخْوْفُكُمْ اللَّهُ بِالْجَنَافِ وَالْقَعَطِ وَالْجَدْبِ وَمَنْعِ الْقَطْرِ، وَشِدَّةِ
الْمُؤْنَةِ فِي الْأَرْزَاقِ؛ لِيَلَّا تَسْتَمِرُّوا فِي ذُنُوبِكُمْ، وَتُصِرُّوا عَلَيَّ غَفْلَتِكُمْ،
وَإِنَّ مَوَاهِبَ رَبِّنَا لَجَلِيلَةٌ، وَإِنَّ عَطَايَاهُ لَجَزِيلَةٌ؛ بَابُهُ مَفْتُوحٌ، وَعَطَاؤُهُ
مَمْنُوحٌ، وَفَضْلُهُ يَغْدُو وَيَرُوحُ؛ فَاشْكُرُوهُ عَلَيَّ مَا أَعْطَى، وَارْجِعُوا عَنِ
الدُّنُوبِ وَالْأَخْطَا، وَاطْلُبُوا كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ التَّوْحِيدَ
وَالْعِبَادَةَ؛ فَهُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ عَلَيَّ أَنْزَالِ الْغَيْثِ وَتَقْدِيرِ الْأَرْزَاقِ، وَتَوَجَّهُوا
إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، حَقَّقُوا التَّوْبَةَ إِلَى
اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بِشُرُوطِهَا الْمَعْرُوفَةِ: بِالنَّدَمِ عَلَيَّ مَا حَصَلَ مِنَ الدُّنُوبِ،
وَالِإِقْلَاعِ عَنْهَا، وَالْعَزْمِ عَلَيَّ عَدَمِ الْعُودِ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى، رُدُّوا الْمَظَالِمَ
إِلَى أَهْلِهَا؛ «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ؛ مِنْ مَالٍ، أَوْ عَرَضٍ، فَلْيَأْتِهِ
فَلْيَحْلِلْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»^(١)، جَدَّدُوا
التَّوْبَةَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ:

وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْغَرَعْرِهَ كَمَا أَتَى فِي الشَّرْعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
أَمَّا مَتَى تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا فَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا^(٢)

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٢٥).

(٢) البيتان للعلامة حافظ بن أحمد الحكيمي من منظومته «سلم الوصول، إلى علم
الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول». انظر: (ص ٥٥).

لَكِنَّ لَابِدًا مِنْ تَحْقِيقِ شُرُوطِهَا :

شُرُوطُ تَوْبَتِهِمْ إِنْ رُمْتَ عِدَّتَهَا ثَلَاثَةٌ رُتِبَتْ فَافْتَهُمَ عَلَى عَجَلٍ
إِقْلَاعُهُ، نَدَمٌ، وَعَزْمُهُ أَبَدًا أَلَّا يَعُودَ لِمَا مِنْهُ جَرَى، وَقُلِ
إِنْ كَانَ تَوْبَتُهُ مِنْ ظُلْمِ صَاحِبِهِ لَابِدًا مِنْ رَدِّهِ لِلْحَقِّ فِي عَجَلٍ

جَرِّدُوا الْقُلُوبَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مِنَ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ، وَالْبَغْضَاءِ
وَالشُّحْنَاءِ، وَالغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْبُهْتَانِ، أَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، تَسَامَحُوا وَتَرَاحَمُوا،
وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا، صَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَبَرُّوا الْوَالِدَيْنِ، وَأَحْسِنُوا
إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْمَحَاوِينِجِ، أَكْثِرُوا مِنَ
الصَّدَقَاتِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْجُودِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُونُوا إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ، عَلَى
الْخَيْرِ مُتَعَاوِنِينَ؛ فَمَتَى عَلِمَ اللَّهُ إِخْلَاصَكُمْ وَصِدْقَكُمْ، وَصِحَّةَ تَوْبَتِكُمْ
وَإِنَابَتِكُمْ، وَإِلْحَاحَكُمْ عَلَيْهِ بِالْدُّعَاءِ - أَغَاثِكُمْ، وَجَلَبَ الْأَرْزَاقَ لَكُمْ؛
﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات]، وَتَأَسَّوْا بِنَبِيِّكُمْ ﷺ؛ فَقَدْ أَتَى
يَوْمَ الْإِسْتِسْقَاءِ مُتَدَلِّلًا مُتَخَشِّعًا، تَائِبًا مُلْحًا عَلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ؛ فَاهْتَدُوا
بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ، وَاقْتَدُوا بِسُنَّةِ رَسُولِكُمْ ﷺ، وَأَظْهَرُوا الْإِفْتِقَارَ إِلَى رَبِّكُمْ،
وَأَدْعُوهُ جَلًّا وَعَلَا، وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ.

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّمَا أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ!

وَلَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا تَيْسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَأَبْشِرُوا
وَأْمَلُوا، وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ وَخَطَايَاكُمْ،
تَذَكَّرُوا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - تَذَكَّرُوا الْمَوْتَ وَسَكَرَتَهُ، وَالْقَبْرَ وَظُلْمَتَهُ،
وَالصَّرَاطَ وَزَلَّتَهُ، وَالْمَوْقِفَ وَكُرْبَتَهُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ، يَا مَنْ خَرَجْتُمْ تَسْتَعِينُونَ، هَيْنَا لَكُمْ
اجْتِمَاعُكُمْ هَذَا؛ لَقَدْ لَبِيتُمْ دَاعِيَ اللَّهِ، وَأَحْيَيْتُمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَأَمْتَلْتُمْ دَعْوَةَ وَلِيِّ الْأَمْرِ - وَفَقَهُ اللَّهِ - فَلَا حَرَمَكُمُ اللَّهُ فَضْلَهُ، وَحَقَّقَ اللَّهُ
أَمَالَكُمْ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الْحَرَمَانِ الْعَظِيمِ: تَسَاهَلُ بَعْضُ النَّاسِ فِي حُضُورِ دَعْوَةِ
الْخَيْرِ، وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ، بَلْ لَرُبَّمَا رَفَعَ بَعْضُهُمْ عَقِيرَتَهُ مُحْتَجًّا
بِأَنَّ الْمَاءَ فِي الصَّنَابِيرِ، وَمَا دَرَى ذَلِكَ الْغِرُّ الْمَافُونَ حِكْمَةَ اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّكُمْ لَتُدْرِكُونَ - يَا عِبَادَ
اللَّهِ - مَا لِلْمَطْرِ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَمَا فِي تَأْخِيرِهِ مِنَ الْأَضْرَارِ عَلَى الرُّزُوعِ
وَالثَّمَارِ، وَالنَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا حَلَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ مِنَ
الْجَفَافِ وَالْجَدْبِ وَالْقَحْطِ، وَالْمَجَاعَةِ وَغُورِ الْمِيَاهِ؛ مِمَّا لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا
اللَّهُ؛ فَعَلَيْكُمْ بِالصَّدْقِ مَعَ اللَّهِ فِي دُعَائِكُمْ، وَالرَّغْبَةِ الْجَادَّةِ فِي إِصْلَاحِ
نُفُوسِكُمْ وَأَسْرِكُمْ وَمُجْتَمَعَاتِكُمْ.

وَاعْلَمُوا: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عِبَادِهِ إِذَا رَفَعُوا

أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا، إِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فَارْفَعُوا قُلُوبَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَالْهَجُوا بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - وَاسْتَغْفَرِهِ؛
طَالِبِينَ الْغَيْثَ مِنْهُ، رَاجِينَ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلِينَ لِكَرَمِهِ، مُلْحِحِينَ عَلَيْهِ
بِالدُّعَاءِ؛ بِكَشْفِ الشَّدَّةِ، وَإِزَالَةِ الْكُرْبَةِ، وَإِغَاثَةِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ؛ كَمَا أَنَّهُ
لَا بَدَّ أَنْ يَقُومَ الْمَسْئُولُونَ بِوَاجِبِهِمْ فِي إِزَالَةِ الْمُتَكَرَّرَاتِ؛ لِأَنَّ «اللَّهُ يَزْعُ
بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزْعُ بِالْقُرْآنِ»^(١)، وَيَجِبُ عَلَى الرَّعِيَّةِ أَنْ يَكُونُوا عَوْنًا لَوْلَاةِ
الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ؛ بِالتُّصْحِ الْمَشْرُوعِ، وَالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَأَنْ
يَقُومَ الْعُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ بِوَاجِبِهِمْ بِالْأَسَالِبِ الشَّرْعِيَّةِ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ
أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَجَابِرُ الْمُنْكَسِرِينَ، وَرَاحِمُ
الْمُسْتَضْعَفِينَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ،
فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ، ﴿لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا
وَيَغْفِرْ لَنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ [الأعراف]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا

(١) من قول عثمان - رضي الله عنه - : «إِنَّ اللَّهَ لَيَزْعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزْعُ بِالْقُرْآنِ»؛ أخرجه
ابن عبد البر في «التمهيد» (١/١١٨)، وهذا القول مما جرى مجرى الأمثال. انظر:
«مجمع الأمثال» (١٦٢/٢).

إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨٦﴾ [البقرة]، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف]، ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٥] وَيَحْتَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ [يونس].

اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ الْغَيْبُ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا ، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا ، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا ، اللَّهُمَّ أَغْنِ قُلُوبَنَا بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَبِلَادِنَا بِالْخَيْرَاتِ وَالْأَمْطَارِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ ؛ فَلَا تَمْنَعْ عَنَّا بِذُنُوبِنَا فَضْلَكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا ، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا ، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا غَيْثًا مُغِيثًا ، هَنِيئًا مَرِيئًا ، سَحًّا غَدَقًا ^(١) طَبَقًا ^(٢) ، وَاسِعًا مُجَلَّلًا ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ ، اللَّهُمَّ سُقِنَا رَحْمَةً ، اللَّهُمَّ سُقِنَا رَحْمَةً ، لَا سُقِيَا عَذَابٍ وَلَا بَلَاءٍ ، وَلَا هَدْمٍ وَلَا غَرَقٍ .

اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ ، وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ ، وَارْحَمْ بِلَدِّكَ الْمَيِّتَ ، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا غَيْثًا مُبَارِكًا ، تُحْيِي بِهِ الْبِلَادَ ، وَتَرْحَمُ بِهِ الْعِبَادَ ،

(١) مَاءٌ سَحًّا ، أَي : شَدِيدِ الْإِنصَابِ ، وَغَدَقًا : كَثِيرًا عَامًّا . «اللسان» (سح) (غدق).

(٢) طَبَقًا : مَالًا لِلْأَرْضِ ، مُغْطِيًا لَهَا ، يُقَالُ : غَيْثٌ طَبَقٌ ، أَي : عَامٌّ وَاسِعٌ . «النهاية» (طبق).

وَتَجْعَلُهُ بَلَاغًا لِلْحَاضِرِ وَالْبَادِ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ قُوَّةً لَنَا عَلَى طَاعَتِكَ، وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ، اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ، وَأَدِرِّ لَنَا الضَّرْعَ، وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْقَحْطَ وَالْجَفَافَ، وَالْجُوعَ وَالْجَهْدَ، وَاكْشِفْ مَا بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْبَلَايَا؛ فَإِنَّ بِهِمْ مِنَ اللَّأْوَاءِ مَا لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اكْشِفِ الضَّرَّ عَنِ الْمُتَضَرِّرِينَ، اللَّهُمَّ اكْشِفِ الضَّرَّ عَنِ الْمُتَضَرِّرِينَ، وَالْكَرْبَ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، وَأَسْبِغِ النَّعَمَ عَلَى عِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا، وَوَقِّفْهُ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، اللَّهُمَّ هَبِّءْ لَهُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ؛ الَّتِي تَدُلُّهُ عَلَى الْخَيْرِ، وَتُعِينُهُ عَلَيْهِ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ هَوِّلَاءِ عِبَادِكَ: رَفَعُوا أَكْفَ الضَّرَاعَةِ إِلَيْكَ، يَسْأَلُونَكَ الْغَيْثَ، اللَّهُمَّ فَأَعْطِهِمْ سُؤْلَهُمْ، اللَّهُمَّ فَأَعْطِهِمْ سُؤْلَهُمْ، وَحَقِّقْ أَمَلَهُمْ، وَاجْعَلْهُ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى طَاعَتِكَ، وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَقَدْ كَانَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ - بَعْدَمَا يَسْتَعِيْثُ رَبَّهُ - أَنْ يَقْلِبَ رِدَاءَهُ؛ فَاقْلِبُوا أُرْدِيَّتَكُمْ؛ اقْتِدَاءً بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَنَفَاؤُلًا أَنْ يَقْلِبَ

اللَّهُ حَالِكُمْ مِنَ الشُّدَّةِ إِلَى الرَّخَاءِ، وَمِنَ الْقَحْطِ إِلَى الْغَيْثِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ
شِعَارًا وَعَهْدًا تَأْخُذُونَهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِتَغْيِيرِكُمْ لِبَاسِكُمُ الْبَاطِنِ إِلَى لِبَاسِ
الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، بَدَلًا مِنْ لِبَاسِ الدُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا عَنْ بَابِكَ مَطْرُودِينَ، وَلَا مِنْ رَحْمَتِكَ
مَحْرُومِينَ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٩﴾
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾ [الصفات].

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

* * *

نِداء عام، مِنْ مَنبَرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، إِلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ
(خُطْبَةُ عِيدِ الْأَضْحَى الْمُبَارَكِ)



الخطبة للهوئي

اللهُ أَكْبَرُ «تِسْعًا»، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ
وَبِحَمْدِهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا؛ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ
أَكْبَرُ، وَاللهُ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يُفَعِّلُ مَا
يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا تَحَرَّكَتِ الْقُلُوبُ شَوْقًا إِلَى الْبَيْتِ
الْحَرَامِ، وَعَدَدَ مَا اهْتَزَّتْ مَشَاعِرُ الْحَجِيجِ لِرُؤْيَا الْبَيْتِ الْعَتِيقِ؛ اللهُ أَكْبَرُ
عَدَدَ مَا حَدَاهُمْ الْأَمَلُ إِلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَسَتْرِ الْعُيُوبِ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا
تَحَرَّكَتْ قَوَائِلُ الْحَجِيجِ أُمَّةً^(١) هَذِهِ الْبِقَاعَ الْمُبَارَكَةَ؛ اللهُ أَكْبَرُ مَا كَبَّرُوا
وَأَحْرَمُوا وَلَبَّوْا؛ اللهُ أَكْبَرُ مَا طَافُوا بِهِذَا الْبَيْتِ وَاسْتَلَمُوا الْحَجَرَ، وَسَعَوْا
بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَشَرَبُوا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا خَرَجُوا إِلَى
مَنَى، وَوَقَفُوا بِعَرَفَةَ، وَبَاتُوا بِمُزْدَلِفَةَ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا رَمَوْا وَحَلَقُوا
وَنَحَرُوا، وَكَبَّرُوا وَشَكَرُوا؛ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ
أَكْبَرُ، وَاللهُ الْحَمْدُ.

(١) أُمَّةً، أَي: قاصدة؛ من أُمَّةٌ يُرْمَى أَمَّا: إذا قصدته. «اللسان» (أمم).

اللَّهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَاكِرٌ وَكَبَّرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا حَمِدَ اللَّهُ حَامِدٌ
وَشَكَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا تَابَ تَائِبٌ وَاسْتَغْفَرَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ
عَوَائِدِ فَضْلِهِ وَجُودِهِ مَا يَعُودُ فِي كُلِّ عِيدٍ وَيُظْهِرُ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ، وَلَكَ الْحَمْدُ
كَالَّذِي نَقُولُ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ، وَلَكَ
الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ،
أَوْ خَاصَّةٍ أَوْ عَامَّةٍ، أَوْ سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً، لَكَ الْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ، وَلَكَ الْحَمْدُ
بِالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْإِيمَانِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالرَّاحَةِ
وَالْإِطْمِئْنَانِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ؛ بَسَطْتَ رِزْقَنَا،
وَكَبَتَ عَدُوَّنَا، وَأَظْهَرْتَ أَمْنَنَا، وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا، وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا
أَعْطَيْتَنَا؛ فَلَكَ الْحَمْدُ كَثِيرًا كَمَا تُنْعِمُ كَثِيرًا، وَلَكَ الشُّكْرُ كَثِيرًا كَمَا تُجْزِلُ
كَثِيرًا، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ بُلُوغِ هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ،
وَعَلَى مَا يَسَّرْتَ لِحُجَّاجِ بَيْتِكَ الْحَرَامِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ
الْمُبَارَكِ، وَالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَالْمَيْبِيتِ بِمُزْدَلِفَةَ، وَالْإِفَاضَةِ إِلَيَّ مِنْ بَيْتِكَ
يُسْرًا وَأَمَانًا، وَرَاحَةً وَاطْمِئْنَانًا.

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ،

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا وَتَدْوِيرًا، نَحْمَدُهُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ حَمْدًا كَثِيرًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَدَّخَرَهَا لِيَوْمٍ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا، سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلِيًّا كَبِيرًا، سَمِيعًا بَصِيرًا، لَطِيفًا خَبِيرًا، عَفْوًا غَفُورًا!

وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَخَلِيلِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيِّ الْقُرَشِيِّ، مَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ الْأَبْرَارُ، وَصَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا لَاحَتْ الْأَنْوَارُ، وَغَرَدَتِ الْأَطْيَارُ، وَأُورِقَتِ الْأَشْجَارُ، وَأَيَّنَعَتِ الثَّمَارُ^(١)، وَلَبَّى الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ، وَاخْتَلَفَتِ الْأُمَصَارُ، وَتَتَابَعَتِ الْأَعْصَارُ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، إِخْوَةَ الْإِيمَانِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ

(١) أَيَّنَعَتِ الثَّمَارُ تَوْنَعُ: أُذْرَكَتْ وَنَضِجَتْ. «اللسان» (ينع).



جَلَّ وَعَلَا؛ فَهِيَ وَصِيَّتُهُ سُبْحَانَهُ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ؛ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]، مَنْ رَامَ عِزًّا
وَفَلَاحًا، وَنَشَدَ خَيْرًا وَصَلَاحًا، وَطَلَبَ تَوْفِيقًا وَنَجَاحًا - فَعَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ؛
إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ ذُخْرٍ يُدَّخَرُ، وَأَفْضَلُ لِبَاسٍ يُزَيَّنُ بِهِ مَا بَطْنٌ وَمَا ظَهَرَ؛ هِيَ
الطَّرِيقُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَالسِّيَاحُ الْمَنْبِعُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَالْحِصْنُ الْحَصِينُ
وَالدَّرْعُ الْوَاقِي مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ وَضُرٍّ، فِي تَقْوَى اللَّهِ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَضَائِقِ،
وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْعَوَاقِقِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَازِقِ؛ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق]، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق]، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ
لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [الطلاق].

عِبَادَ اللَّهِ، حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ، أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟! أَتَعْلَمُونَ أَيُّ
شَهْرٍ هَذَا؟! أَتَدْرِكُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟! أَمَّا الْيَوْمُ فَهُوَ: يَوْمُ عِيدِ الْأَضْحَى
الْمُبَارَكِ الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ أَمْرَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وَسَمَّاهُ: «يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ»،
لَأَنَّ الْحُجَّاجَ يُؤَدُّونَ فِيهِ مُعْظَمَ مَنَاسِكِهِمْ؛ يَرْمُونَ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، وَيَذْبَحُونَ
هَدَايَاهُمْ، وَيَخْلِقُونَ رءُوسَهُمْ، وَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَيَسْعَوْنَ بَيْنَ الصَّفَا
وَالْمَرْوَةِ، فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ: يَنْتَظِمُ عَقْدُ الْحَجِّجِ عَلَى صَعِيدِ مِنَى،
بَعْدَ مَا وَقَفُوا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَرَفَعُوا أَكْفَ الضَّرَاعَةِ، وَذَرَفُوا
دُمُوعَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَتَضَرَّعُوا إِلَى مَنْ بِيَدِهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِجَابَةُ، ثُمَّ

أَفَاضُوا إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ وَبَاتُوا بِهَا؛ اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ الْقَائِلِ فِيمَا
صَحَّ عَنْهُ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(١).

هَذَا الْيَوْمُ - يَوْمُ عِيدِ الْأَضْحَى الْمُبَارَكِ - جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيدًا
يَعُودُ بِخَيْرِهِ وَفَضْلِهِ، وَبَرَكَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، حُجَّاجًا وَمُقِيمِينَ.

فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ يَتَقَرَّبُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، بِذَبْحِ هَدَايَاهُمْ
وَضَحَايَاهُمْ؛ اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ الْخَلِيلَيْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا
وَسَلَّمَ - فَقَدْ نَحَرَ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً^(٢)،
وَضَحَّى ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَفْرَنَيْنِ؛ اسْتِنَانًا بِسُنَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - الَّذِي أَمَرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ، وَفِلْذَةِ كَبِدِهِ، وَثَمَرَةَ فُوَادِهِ، فَاُمْتَثَلَ
لَأَمْرِ رَبِّهِ جَلًّا وَعَلَا، وَسَلَّمَ وَانْقَادًا، لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ - بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ -
فَدَاهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «ضَحَّى
بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَفْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ»^(٣).

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.
أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ وَرَدَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ، لِمَنْ

(١) تقدّم تخريجه (ص ٢٧١).

(٢) تقدّم تخريج جزء منه (ص ٣٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٥٥٥٨)، و«صحيح مسلم» (١٩٦٦)؛ من حديث أنس، رضي
الله عنه.

أَحْيَا شَعِيرَةَ الْأَضَاحِيِّ؛ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا، وَأُظْلَافِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطَيَّبُوا بِهَا نَفْسًا»^(١).

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ لِلْأُضْحِيَّةِ ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ:

أَوَّلُهَا: بُلُوغُ السِّنِّ الْمُعْتَبَرِ شَرْعًا، وَهُوَ خَمْسُ سِنِينَ فِي الْإِبِلِ، وَسِتَّتَانِ فِي الْبَقَرِ، وَسَنَةٌ فِي الْمَعَزِ، وَنِصْفُ سَنَةٍ فِي الضَّأْنِ.

ثَانِيهَا: أَنْ تَكُونَ سَلِيمَةً مِنَ الْعُيُوبِ الَّتِي تَمْنَعُ الْإِجْزَاءَ، وَقَدْ بَيَّنَّهَا ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَرْبَعٌ لَا تُجْزِيءُ فِي الْأَضَاحِيِّ: الْعَوْرَاءُ الْبَيْنُ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيْنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرَجَاءُ الْبَيْنُ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي»^(٢) «(٣)».

ثَالِثُهَا: أَنْ تَكُونَ الْأُضْحِيَّةُ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ شَرْعًا، وَهِيَ الْفِرَاقُ مِنْ صَلَاةِ الْعِيدِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، مِنْ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ،

- (١) رواه الترمذي (١٤٩٣)، وابن ماجه (٣١٢٦)؛ من حديث عائشة، رضي الله عنها.
- (٢) «ظَلْعُهَا» أَي: عَرَجُهَا، و«الْكَسِيرَةُ»، أَي: الْمُنْكَسِرَةُ الرَّجُلِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ، و«الَّتِي لَا تُنْقِي» أَي: الَّتِي لَا مَخَّ لَهَا؛ لِضَعْفِهَا وَهَزْلِهَا، مِنَ التَّنْقِي، وَهُوَ الْمَخ. «الْنَهَايَةُ» (ظَلْع) (كَسْر) (نَقِي).
- (٣) رواه أحمد (٢٨٢، ٣٠١)، وأبوداود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، والنسائي (٢١٥/٧)، وابن ماجه (٣١٤٤)؛ من حديث البراء، رضي الله عنه.

وَالْأَفْضَلُ: فِي يَوْمِ الْعِيدِ وَفِي النَّهَارِ، وَلَا بَأْسَ بِالذَّبْحِ لَيْلًا.

وَتُجْزِيءُ الشَّاةَ الْوَاحِدَةَ عَنِ الرَّجُلِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يُضْحِي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ
أَهْلِ بَيْتِهِ، فَيَأْكُلُونَ وَيُطْعَمُونَ» (١).

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

وَيَنْبَغِي الْإِحْسَانَ فِي الذَّبْحِ بِحَدِّ الشَّفْرَةِ، وَإِرَاحَةِ الذَّبِيحَةِ، وَالرَّفْقِ
بِهَا، وَإِضْجَاعِهَا عَلَى جَنْبِهَا الْأَيْسَرِ، وَالسُّنَّةُ: أَنْ يَأْكُلَ الْمُسْلِمُ مِنْ
أُضْحِيَّتِهِ، وَيُهْدِي وَيَتَصَدَّقَ مِنْهَا، وَأَنْ يَتَوَلَّى ذَبْحَهَا بِنَفْسِهِ، أَوْ يَحْضُرَهَا
عِنْدَ الذَّبْحِ، وَلَا يُعْطَى جَازِرَهَا أُجْرَتَهُ مِنْهَا؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَصَلِّ
لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۖ ﴾ [الكوثر]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام]، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا
فِي شَكٍّ مِمَّا رَزَقُوا بِهِ وَلَٰكِن كُنَّا جُنُودًا لِلَّهِ قَاتِلِينَ ﴾ [البقرة]، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ
عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة]، وَالْبَدَنُ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ
مِنْ شَعْبِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِجَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا
مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة] لَنْ يَنَالَ اللَّهُ

(١) رواه الترمذي (١٥٠٥)، وابن ماجه (٣١٤٧).

لُحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ بِئَالِهِ النَّقِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ [الحج].

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَفُودَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، اعْلَمُوا: أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: تَوْحِيدُهُ وَعِبَادَتُهُ؛ فَقَضِيَّةُ التَّوْحِيدِ أَهَمُّ الْقَضَايَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَصْلُ الْقَضَايَا بِاتِّفَاقٍ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَيَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وَإِذَا كَانَ التَّوْحِيدُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَعْظَمَ مَأْمُورٍ بِهِ؛ فَإِنَّ مَا يُنَاقِضُهُ مِنْ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ أَعْظَمَ مِنْهُيَّ عَنْهُ؛ فَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَجَعَلَهُ الذَّنْبَ الَّذِي لَا يُغْفَرُ، وَالْكَسْرَ الَّذِي لَا يُجْبَرُ، وَحَكَّمَ عَلَى صَاحِبِهِ بِخُسْرَانِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة]؛ فَلَا عِبَادَةَ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا نَذْرَ، وَلَا نَحْرَ، وَلَا دُعَاءَ، وَلَا اسْتِعَاذَةَ، وَلَا اسْتِغَاثَةَ، وَلَا حَلْفَ إِلَّا بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَاللَّهُ وَحْدَهُ مَالِكُ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وَلَا يَمْلِكُ ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُ

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا وَلِيٌّ صَالِحٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا حُسِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف].

هَذِهِ هِيَ الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي ضَلَّ عَنْهَا أَكْثَرُ النَّاسِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! وَصَدَقَ اللَّهُ: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف]، فَالشِّرْكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ خَطَرُهُ كَبِيرٌ، وَشَرُّهُ مُسْتَطِيرٌ، التَّوَجُّهُ لِغَيْرِ اللَّهِ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ، لِدَفْعِ ضَرٍّ، أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ، أَوْ شِفَاءِ مَرِيضٍ، أَوْ قَضَاءِ حَاجَةٍ، أَوْ دَفْعِ كُرْبَةٍ - كُلُّ ذَلِكَ شِرْكَ مُحِبِّطٌ لِلْأَعْمَالِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحِطَبَنَّ عَلَيْكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر].

وَلَكِنْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مَاذَا رَأَى عَلَى الْعُقُولِ؟! وَمَاذَا أَصَابَ التَّفَكِيرَ؟! مَاذَا يُغْنِي التَّعَلُّقُ بِالْجُدْرَانِ وَالسُّتُورِ؟! وَمَاذَا يُجِدِّي التَّمَسُّحُ بِالْأَمَاكِنِ وَالصُّحُورِ؟! وَمَاذَا تُفِيدُ خَرَزٌ مَصْفُوفَةٌ، وَخَيْوُطٌ مُعَلَّقَةٌ، وَخَرَقٌ مَرْبُوطَةٌ؟! فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف].

وَفِي وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا - مَا يُبَيِّنُ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ؛ يَقُولُ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجُمِعَتِ الصُّحُفُ»^(١).

يَأْمَنُ الْوُدُّ بِهِ فِيمَا أُؤْمَلُهُ وَأُسْتَجِيرُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ
لَا يَجْبِرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ شَيْئًا أَنْتَ جَابِرُهُ^(٢)

وَإِنَّ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ، مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ، لَأَسِيَّمَا بِالْأَضْرِحَةِ وَالْقُبُورِ، وَمَا يُصْرَفُ لَهَا مِنَ الْقُرْبَاتِ وَالنُّذُورِ - لِمِمَّا يَخْدِشُ أَسَاسَ الْعَقِيدَةِ، وَيُوقِعُ فِي الشَّرْكِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَهُ الْمُسْلِمُ؛ وَلَا يَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ مَنْ يَفْعَلُهُ؛ فَالْحَقُّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الشَّرْكَ لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَىٰ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فَحَسْبُ، بَلْ لِكُلِّ زَمَنٍ لُبُوسُهُ، وَلِكُلِّ عَصْرِ مُسْتَجِدَّاتُهُ.
وَمِنَ الشَّرْكِ: الشَّرْكَ فِي الْمَحَبَّةِ، وَالطَّاعَةِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالْإِرَادَةِ وَالْقَصْدِ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، قُومُوا بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ مِنْ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَتَقْوَاهُ وَخَشْيَتِهِ، قُومُوا بِحَقِّ رَسُولِهِ ﷺ: مِنْ مَحَبَّتِهِ مَحَبَّةً حَقِيقِيَّةً،

(١) تقدّم تخريجه (ص ١١٢).

(٢) البيتان لأبي الطيب المتنبّي. وقد سبق تخريجهما. انظر: (ص ١١٩).

وَتَصَدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمُقْتَضَى شَرْعِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَدْعُونَ الْمَحَبَّةَ وَهُمْ يُخَالِفُونَ سُنَّةَ الْمَحْبُوبِ ﷺ؟! ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

يَا مُدَّعِي حُبِّ طَه لَا تُخَالِفُهُ أَلْخُلْفُ يَحْرُمُ فِي دُنْيَا الْمُحِبِّينَا

* * *

أَتَحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ
وَكَذَا تُعَادِي - جَاهِدًا - أَحْبَابَهُ أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ؟!
شَرُّ الْمَحَبَّةِ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلَا عِصْيَانِ
فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلَا فَكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ (١)

وَمِمَّا يُوسَى لَهُ: أَنْ بَعْضَ النَّاسِ - هَدَاهُمُ اللَّهُ - أَحَدْتُوا فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، وَاتَّخَذُوا لِأَنْفُسِهِمْ طُقُوسًا مُبْتَدَعَةً، وَالْوَا عَلَيَّهَا وَعَادُوا، وَيَعْظُمُ الْأَمْرُ حِينَ يَتَّخِذُونَ ذَلِكَ دِينًا يَدْعُونَ أَنَّهُ يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُدْنِيهِمْ مِنْ مَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَيَرْمُونَ كُلَّ مَنْ خَالَفَهُمْ بِبُغْضِ اللَّهِ وَبُغْضِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَرَاهِيَةِ أَوْلِيَائِهِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهَذَا مِنْ اتِّخَاذِ دِينِ اللَّهِ هُزُؤًا وَلَعِبًا؛ فَالْعِبَادَاتُ تَوْقِيفِيَّةٌ، يَجِبُ أَنْ يَسِيرَ الْمُسْلِمُ فِيهَا عَلَى وَفْقِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، لَا بِالْأَهْوَاءِ وَالْآرَاءِ.

(١) الأبيات لابن القيم - رحمه الله - . انظر: «القصيدة النونية» (ص ٢٢١).

وَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ لِلشَّمْسِ أَعْيُنٌ
 وَسَامِحٌ عَيْونًا أَطْفَاءَ اللهُ نُورَهَا
 سِوَاكِ تَرَاهَا فِي مَغِيبٍ وَمَطْلَعِ
 بِأَهْوَائِهَا لَا تَسْتَفِيقُ وَلَا تَعِي

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - أَخْلِصُوا تَوْحِيدَكُمْ لِربِّكُمْ، أَفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ،
 أَثْبِتُوا لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهَا لَهُ
 رَسُولُهُ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ، وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ
 وَلَا تَعْطِيلٍ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

الزُّمُواسِنَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ، إِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ وَالْحُرَافَاتِ، وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ،
 وَمُسْتَحْسَنَاتِ الْعُقُولِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَةٌ؛ فَفِي
 «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ
 قَالَ: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ
 مُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)؛ فَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ
 يَشْرَعَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَالطَّرِيقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَى
 الْخَلْقِ، إِلَّا عَلَى مَنْ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَزِمَ صِرَاطَ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ،
 وَاجْتَنَبَ السُّبُلَ وَالْفِرْقَ، وَالطَّرِيقَ الْمُخَالَفَةَ لَهُ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ هَذَا
 صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
 وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام].

(١) تقدم تخريجه (ص ١٦١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٦١).

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، إِنَّ
أَعْظَمَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا: نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَبْلَهُ فِي
جَاهِلِيَّةِ جَهْلَاءَ، وَضَلَالَةِ عَمِيَاءَ، لَا يَعْرِفُونَ حَقًّا وَلَا هُدًى؛ الْمَقَائِيسُ
عِنْدَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، وَالْمَوَازِينُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْمَفَاهِيمُ مُنْعَكِسَةٌ، وَالْفِطْرُ
مُنْتَكِسَةٌ، وَالْأَوْضَاعُ مُتَقَلِّبَةٌ، وَالْمُجْتَمَعَاتُ مُتَفَرِّقَةٌ، وَالْأَهْوَاءُ مُؤَلَّهَةٌ^(١)؛
ظُلْمٌ وَبَغْيٌ، وَضَلَالٌ وَجَاهِلِيَّةٌ، وَبَاطِلٌ وَشِرْكٌ وَوَثِيئَةٌ، إِلَى أَنْ أَدَانَ اللَّهُ -
وَهُوَ اللَّطِيفُ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ - بِيَعْنَةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَأَنْبِشَاقِ فَجْرِ
الْحَقِّ، وَإِشْعَاعِ نُورِ الْهُدَى، عَلَى يَدِ حَبِيبِنَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَعَزَّ
النَّاسُ بَعْدَ الدَّلَّةِ، وَهُدُوا بَعْدَ الضَّلَالَةِ، وَاجْتَمَعُوا بَعْدَ الْفُرْقَةِ وَالْغَوَايَةِ،
كُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ التَّمَسُّكِ بِالْإِسْلَامِ؛ مَصْدَرِ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَالْقُوَّةِ
وَالنُّصْرَةِ، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الروم] ^(٢).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَتَمَرُّ الْقُرُونُ وَتَمْضِي السَّنُونَ، وَيَتَخَلَّى كَثِيرٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ عَن دِينِهِمْ، وَيَنْتَشِرُ بَيْنَهُمُ الْمُنْكَرُ وَالضَّلَالُ وَالْفَسَادُ، وَالْإِنْحِرَافُ
وَالْبَاطِلُ وَالْإِلْحَادُ، وَتَتَفَرَّقُ الْكَلِمَةُ وَتَتَشَعَّبُ السُّبُلُ، وَتَعُمُّ الدَّلَّةُ وَالْمَهَانَةُ؛

(١) مؤلَّهَةٌ، أَي: اتَّخَذَتْ آلِهَةً؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَيَّ
عَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ٢٣]. انظر: «اللسان» (أله).

(٢) وانظر: «مختصر الصواعق المرسله» (٥/١).

فَتُسَبَّى النِّسَاءُ، وَتُحْتَلُّ الدِّيَارُ، وَيُشْرَدُ الأَبْرِيَاءُ، وَتُنْتَهَكُ المُقَدَّسَاتُ،
وَيُعَاثُ بِالمُقَدَّرَاتِ، وَتَعُمُّ المِحَنُ، وَتَتَعَاقَبُ المَصَائِبُ وَالفِتَنُ.

وَيَبْقَى السُّؤَالُ الَّذِي يُطْرَحُ نَفْسَهُ، السُّؤَالُ الَّذِي يُرَاوِدُ كُلَّ مُسْلِمٍ
غَيُورٍ عَلَى دِينِهِ: مَا السَّبَبُ فِي كُلِّ مَا أَصَابَ المُسْلِمِينَ؟ مَا طَرِيقُ
الْخَلَاصِ مِنَ الفِتَنِ الَّتِي يَعِيشُهَا المُسْلِمُونَ؟ مَا سُلْمُ النَّجَاةِ مِنَ المِحَنِ الَّتِي
تَعِيشُهَا الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ؟ كَيْفَ الخُرُوجُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى
اسْتِعَادَةِ أَمْجَادِ المُسْلِمِينَ؟:

وَالْجَوَابُ الَّذِي نَرْجُو أَنْ يَتَحَقَّقَ وَاقِعًا عَمَلِيًّا مَحْسُوسًا، مُشَاهِدًا
مَلْمُوسًا، فِي كُلِّ نَوَاحِي الحَيَاةِ، فِي كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، هُوَ: اتِّبَاعُ كِتَابِ
اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، هُوَ تَحْكِيمُ الإِسْلَامِ وَلَا شَيْءَ غَيْرِ الإِسْلَامِ، لِأَسِيْمَا
بَعْدَ أَنْ أَفْلَسَتْ التُّظُمُ الأَرْضِيَّةُ، وَالشَّعَارَاتُ الجَاهِلِيَّةُ فِي تَحْقِيقِ الصَّلَاحِ
لِلبَشَرِيَّةِ، وَوَاللهِ وَبِاللهِ وَتَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ! لَنْ تَتَحَقَّقَ أَمَالُ الأُمَّةِ، وَلَنْ
تَخْرُجَ مِنْ آلَمِهَا، إِلَّا بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ ﴿ قَالَ أَهِيْطَا مِنْهَا جَمِيْعًا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه].

وَقَفَ المُصْطَفَى ﷺ هَذِهِ المَوَاقِفَ وَأَعْلَنَ لِلبَشَرِيَّةِ: أَنَّهُا لَنْ تَضِلَّ
مَا دَامَتْ مُتَمَسِّكَةً بِكِتَابِ اللهِ: «قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ - إِنْ

اعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابِ اللَّهِ»^(١)؛ وَمِنْ هُنَا يَأْتِي دَوْرُ الْقَادَةِ وَالْوَلَاةِ، وَالْعُلَمَاءِ
وَالدُّعَاةِ، وَالْمُفَكِّرِينَ وَرِجَالَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْإِعْلَامِ، وَحَمَلَةَ الْأَقْلَامِ؛
لِيُؤَدُّوا رِسَالَتَهُمُ الْعَظِيمَةَ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ، وَتَرْبِيَةِ الْأَجْيَالِ عَلَيْهِ،
وَيَقْفُوا سَدًّا مَنِعًا فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ أَرَادَ النَّيْلَ مِنْهُ وَالْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ.

فِيَا قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَا أَيُّهَا الْوَلَاةُ وَالْحُكَّامُ، إِنَّ مَسْئُولِيَّتَكُمْ
عَظِيمَةٌ؛ فَ«إِنَّ اللَّهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ»^(٢)، سُوِسُوا شُعُوبَكُمْ
بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاحْكُمُوهُمْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ، أَدُّوا الْأَمَانَةَ الَّتِي تَحَمَّلْتُمُوهَا، وَاحْكُمُوا النَّاسَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ،
وَأَدِّاءِ الْحُقُوقِ، كُونُوا سَنَدًا وَعَضُدًا لِأَهْلِ الْخَيْرِ، وَالِدَّعْوَةِ وَالْحِسْبَةِ
وَالْإِصْلَاحِ، حَكِّمُوا الشَّرِيعَةَ فِي أَرْضِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، اتَّخِذُوا مِنْ
الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ بَطَانَةً^(٣)، وَمِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنُّصْحِ مُسْتَشَارِينَ؛ تَصْلُحْ
أَحْوَالَكُمْ وَأَحْوَالَ شُعُوبِكُمْ، وَتَبَقَّ مَكَانَتُكُمْ، وَيَعْمَ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ بِأَدَاةِكُمْ.

عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ مَسْئُولِيَّتَكُمْ فِي تَبْلِيغِ هَذَا الدِّينِ كَبِيرَةٌ، وَأَمَانَتُكُمْ
جَسِيمَةٌ؛ انزِلُوا إِلَى مَيْدَانِ التَّوَجِيهِ وَالْإِرْشَادِ، احْمِلُوا سِلَاحَ الدَّعْوَةِ
وَالْبَلَاغِ، وَاحذَرُوا التَّقْصِيرَ فِي أَدَاءِ مَا حُمِّلْتُمْ، وَكَيْتَمَانِ مَا أُوتِيتُمْ؛ فَإِنَّ

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٩).

(٢) أنرث عن عثمان - رضي الله عنه - تقدم تخريجه (ص ٦٦٠).

(٣) بَطَانَةُ الرَّجُلِ: صَاحِبُ سِرِّهِ، الَّذِي يُشَاوِرُهُ فِي أَحْوَالِهِ. «اللسان» (بطن).

خَطَرَ ذَلِكَ كَبِيرٌ، وَعَلِمُوا أَنَّ ضَعْفَ كَثِيرٍ مِنَ الْعَامَّةِ فِي أُمُورِ عَقِيدَتِهِمْ
وَدِينِهِمْ، وَانْتِشَارَ الْجَهْلِ فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِهِ تَوَارِيكُكُمْ عَنِ
السَّاحَةِ، وَإِحْجَامُكُمْ عَنِ التُّزُولِ إِلَى الْمِيدَانِ.

دُعَاةَ الْإِسْلَامِ، دَوْرُكُمْ كَبِيرٌ جَدُّ كَبِيرٍ، لَقَدْ حَمَلْتُمْ شَرَفَ الدَّعْوَةِ،
وَشَرَفْتُمْ بِتَوَلِّي مِيرَاثِ التُّبُوءَةِ؛ فَاسْلُكُوا أَثَرَ أَفْضَلِ الدُّعَاةِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - رَكِّزُوا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَاهْتَمُّوا بِالنَّوْعِ
وَالكَيْفِ، قَبْلَ الكَثْرَةِ وَالكَمِّ، اجْمَعُوا قُلُوبَكُمْ وَوَحِّدُوا صُفُوفَكُمْ؛
فَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ لَيْسَتْ تَجْمُعاتِ حِزْبِيَّةً، وَلَا تَنْظِيمَاتِ عَصَبِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ
رِسَالَةٌ صَالِحٍ وَإِصْلَاحٍ لِعُمُومِ الْبَشَرِيَّةِ، حَذَارِ أَنْ يُوقَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَكُمْ،
وَأَنْ يَشْتَغَلَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ، وَالْعَدُوُّ يَتَفَرِّجُ مِنْ حَوْلِكُمْ!! رَكِّزُوا عَلَى
الْعِلْمِ فِي دَعْوَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا النَّتَائِجَ، اسْلُكُوا سَبِيلَ الْحِكْمَةِ
وَالرَّفْقِ، وَالْعَقْلِ وَبُعْدِ النَّظَرِ، وَتَحْكِيمِ الْمَصَالِحِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَمَتَى جَنَحَتْ ^(١) الدَّعْوَةُ إِلَى الْعُنْفِ، وَسَلَكْتَ مَسَالِكَ الْإِنْدِفَاعِ
وَالتَّهْوُرِ -: فَسَلَتْ فَسَلًا ذَرِيعًا، وَسَبَبَتْ لِأَصْحَابِهَا الضَّرَرَ الْعَاجِلَ،
وَالْإِنْفِضَاضَ الْعَامَّ، وَصَدَقَ اللَّهُ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطْرًا
غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران].

(١) جَنَحَتْ جُنُوحًا: مالت. «اللسان» (جنح).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، إِنَّهُ لَا عِزَّ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، إِلَّا
بِتَطْبِيقِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِسْلَامُ الَّذِي تُرِيدُ هُوَ الْإِسْلَامُ الْحَقُّ؛ الْإِسْتِسْلَامُ
الْكَامِلُ لِلَّهِ، وَالْإِنْتِقَادُ التَّامُّ لِشَرْعِهِ، الْإِسْلَامُ الْمَبْنِيُّ عَلَى قَاعِدَةِ الْعَقِيدَةِ
الصَّحِيحَةِ، وَالْمُتَابَعَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَالسَّيْرُ عَلَى مَا
سَارَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ،
وَلَكِنْ إِذَا عَرَضَتْ إِسْلَامَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَجَدْتُهُ تَسْمِيًا وَادِّعَاءً،
لَا حَقِيقَةً وَانْتِمَاءً، إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَوْحِيدِ
الْكَلِمَةِ عَلَيْهَا، إِنَّ تَضَامُنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ وَوَحْدَتَهُمْ، مَطْلَبٌ جِدُّهُمْ،
فِي عِزِّهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَانْتِصَارِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَإِنَّ الْفُرْقَةَ وَالْخِلَافَ لَهُمَا
الدَّاءُ الْعُضَالُ الَّذِي يُفْتَتُ جَسَدَ الْأُمَّةِ، وَيُقَطِّعُهَا إِرْبًا إِرْبًا؛ فَاحْرِصُوا -
رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَاحْذَرُوا الشُّقَاقَ وَالنِّزَاعَ وَالْفُرْقَةَ.

وَإِنَّ مِمَّا يَدْعَمُ ذَلِكَ تَلَاحُمَ الشُّعُوبِ مَعَ وُلَاتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ، وَمَعْرِفَةَ
حُقُوقِ وَوَأَجِبَاتِ وُلاةِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ، وَمَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ،
فَكُلُّ عَلَى ثَغْرِ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ يُؤْتِيَ الْإِسْلَامَ مِنْ قَبْلِهِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ تَقْلِيْبَ صَفْحَاتِ تَارِيخِنَا الْمُعَاصِرِ، وَأَوْضَاعِنَا
الْحَاضِرَةِ، يُعْطِي صُورَةً مَأْسَاوِيَّةً لِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ.

وَأَوَّلُ صَفْحَةٍ مَأْسَاوِيَةٍ نَظَرَحُهَا بِكُلِّ حَرَارَةٍ . وَهِيَ الْقَضِيَّةُ السَّاخِنَةُ

فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، بَلْ فِي هَذِهِ الْآوِيَةِ - : قَضِيَّةُ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ فِي
الْبُوسْنَةِ وَالْهَرَسِكِ ، الَّتِي وَصَلَتْ أَوْجَ خُطُورِهَا ، وَبَلَغَتْ حَدًّا لَا يَسَعُ
السُّكُوتُ عَلَيْهِ ، بَلْ وَلَا نَكْتَفِي بِالشَّجْبِ وَالْإِدَانَةِ وَالتَّنْدِيدِ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ
خَطِيرٌ جَدُّ خَطِيرٍ ، ضِدَّ عَقِيدَتِهِمْ وَحُرْمَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَبِلَادِهِمْ
وَمُقَدَّرَاتِهِمْ ، لَقَدْ عَمِلَ فِيهِمْ عَبَادُ الصَّلِيبِ أَعْمَالًا عَظِيمَةً فَظِيْعَةً ، مُجْرِمٌ
صِرْبِيٌّ وَاحِدٌ يَقْتُلُ عَشْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ ! لَقَدْ هَدَمُوا مَسَاجِدَهُمْ ، وَعَبَثُوا
بِمُقَدَّرَاتِهِمْ ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّهُمْ قَالُوا : رَبَّنَا اللَّهُ ،
آلَافُ الْقَتْلَى ، وَعَشْرَاتُ الْآلَافِ مِنَ الْجَرْحَى ، وَمَلَائِينَ الْمُشْرَدِينَ .

هَذِهِ قَوَائِمُ وَإِحْصَاءَاتُ نَكْبَتِهِمْ إِجْمَالًا ، نَاهِيكَ عَنِ انْتِهَاكِ الْأَعْرَاضِ ،
وَسَلْبِ الْأَمْوَالِ ، وَبَقْرِ الْبُطُونِ ، وَإِزْهَاقِ الْأَنْفُسِ الْبَرِيَّةِ مِنَ الْأَطْفَالِ
وَالنِّسَاءِ ، وَمُصَادَرَةِ الْحُرِّيَّاتِ ، وَبَثِّ الرُّعْبِ وَالْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ ؛ لِمَاذَا
يَحْصُلُ هَذَا أَمَامَ سَمْعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ ؟ ! فَلَا مُرَاعَاةَ لِلْحُقُوقِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَلَا الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَلَا التِّزَامَ بِالْمُعَاهَدَاتِ الْعَالَمِيَّةِ ، وَلَا وِفَاءَ بِالْأَعْرَافِ
الدَّوْلِيَّةِ ، وَلَا التِّزَامَ بِدِينِ وَلَا خُلُقِ وَلَا رَادِعِ ، تَبَجُّحٌ مَا بَعْدَهُ تَبَجُّحٌ (١) ،
وَإِهَانَةٌ لِمَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ تَقْضُ الْمَضَاجِعَ ، إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ هُنَاكَ يُنَادُونَ :

(١) تَبَجُّحٌ : افتخار وتباهٍ وتعظُّمٌ . «اللسان» (بجح) .

وَإِسْلَامَاهُ! يَسْتَدِرُّونَ عَطْفَكُمْ وَشَفَقَتَكُمْ وَأُخُوَّتَكُمْ؛ فَحَذَارِ أَنْ تَخَذُلُوهُمْ!!
 كَفَىٰ حَزَنًا لِلدِّينِ أَنْ حُمَاتِهِ إِذَا خَذَلُوهُ قُلْنَا كَيْفَ يُنْصَرُّ؟!
 مَتَىٰ يَسْلَمُ الْإِسْلَامُ مِمَّا أَصَابَهُ إِذَا كَانَ مَنْ يُرْجَىٰ يُخَافُ وَيُحْذَرُ؟!
 وَإِنَّا لَنَتَسَاءَلُ، أَيْنَ الْعَالَمِ عَنْ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ؟! بَلْ أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ
 عَنِ الْإِنْتِصَارِ لِإِخْوَانِهِمْ؟! أَيْنَ أَدْعِيَاءُ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَالْمُتَبَجِّحُونَ
 بِالْإِنْسَانِيَّةِ؟! لَوْ قُتِلَ عَلِيجٌ، أَوْ سُجِنَ، أَوْ أُهِنَ وَاحِدٌ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ -:
 لَقَامَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَقْعُدْ، وَلَا شَتَّغَلَتْ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ بِالْحَدِيثِ حَوْلَهُ،
 وَالْمُطَالَبَةِ بِالْإِفْرَاجِ عَنْهُ، وَالْإِنْتِصَارِ لَهُ! وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا بَوَاكِي لَهُمْ،
 مَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! وَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَلَا
 حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!!

أَحَلَّ الْكُفْرُ بِالْإِسْلَامِ ضَيْمًا يَطُولُ بِهِ عَلَى الدِّينِ النَّحِيبُ!
 فَحَقُّ ضَائِعٌ وَحِمَىٰ مُبَاحٌ وَسَيْفٌ قَاطِعٌ وَدَمٌ صَبِيبُ!
 أَتَسْبَى الْمُسْلِمَاتُ بِكُلِّ أَرْضٍ وَعَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِذْنَ يَطِيبُ؟!
 أَمَا لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَقٌّ يُدَافِعُ عَنْهُ شُبَّانٌ وَشَيْبُ؟!
 فَقُلْ لِدَوِيِّ الْبَصَائِرِ حَيْثُ كَانُوا أَجِيبُوا اللَّهَ وَيَحْكَمْ أَجِيبُوا!!

إِنَّا نَطَالِبُ بِاسْمِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَحُكَّامَ
 الْعَالَمِ: أَنْ يُقَاطِعُوا الْحُكُومَةَ الصَّرْبِيَّةَ الْمُجْرِمَةَ، عَسْكَرِيًّا وَافْتِصَادِيًّا
 وَتِجَارِيًّا، وَأَنْ يَتَدَخَّلُوا عَمَلِيًّا لِإِنْقَاذِ الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ حَيَاةِ إِخْوَانِنَا

المُسْلِمِينَ هُنَاكَ؛ نُصْرَةً لِلْمَظْلُومِ، وَرَدْعًا لِلظَّالِمِ؛ كَمَا أَنَّ وَاجِبَ
 الْمُسْلِمِينَ - جَمِيعًا فِي كُلِّ مَكَانٍ - دَعْمُ إِخْوَانِهِمْ فِي بِلَادِ الْبُوسَنَةِ
 وَالْهَرَسِكِ، وَالذُّعَاءُ وَالضَّرَاعَةُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُنْصِرَهُمْ وَيُفَرِّجَ عَنْهُمْ، وَأَنْ يُبَدِّلَ
 الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُمْ - لَا سِيَّمَا الْأَثْرِيَاءُ مِنْهُمْ - لِدَعْمِ إِخْوَانِهِمْ هُنَاكَ؛ أَيْنَ
 الْحَمِيَّةُ وَالغَيْرَةُ؟! أَيْنَ الشَّجَاعَةُ وَالْإِبَاءُ؟! أَيْنَ الشَّهَامَةُ وَالرُّجُولَةُ؟! أَيْنَ
 الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ؟! إِنَّ إِخْوَانَكُمْ هُنَاكَ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى الذُّعَاءِ
 وَالغِذَاءِ، وَالْكِسَاءِ وَالْمَاءِ، وَالْكَهْرَبَاءِ وَالذَّوَاءِ! .

وَإِذَا قَلَبْتَ صَفْحَةَ أُخْرَى مِنْ مَآسِي الْمُسْلِمِينَ، وَجَدْتَ مَا يُمَاطِلُ
 ذَلِكَ أَوْ يُقَارِبُهُ.

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لَا تَقِيْنُهُ وَلَكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثٌ
 فَمَا هِيَ أَحْوَالُ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ فِي كَشْمِيرٍ؟ لَقَدْ بَغَى عَلَيْهِمُ
 الْوَيْثِيُّونَ؛ لَطَمَسِ هُوَيْتِيَهُمْ، وَتَشْرِيْدَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَحَزَمَانِهِمْ مِنْ
 مُمْتَلَكَاتِهِمْ، عَمِلُوا فِيهِمْ قَتْلًا وَتَشْرِيْدًا!!
 مَا أَحْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فِي الشِّيشَانِ، وَفِي إِرِيْتْرِيَا، وَفِي الْفِلِيبِّينِ، وَفِي
 الصُّومَالِ، وَفِي بِلَادِ الْأَكْرَادِ؛ حَيْثُ يَصْطَلُونَ بِظُلْمِ طَاغِيَةِ الْعِرَاقِ؟! مَا ذَنْبُ
 الشُّجْنَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكُوَيْتِ فِي سُجُونِ طَاغِيَةِ الْعِرَاقِ؟! مَا ذَنْبُ الْمُسْلِمِينَ فِي
 بِلَادِ شَتَّى مِنْ بَقَاعِ الْعَالَمِ؟!
 بَلْ مَا هِيَ أَحْوَالُ إِخْوَانِكُمْ فِي فِلَسْطِينِ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ؟! مَا

هِيَ أَحْوَالُ الْأَقْصَى الْجَرِيحِ؟! هَذِهِ إِسْرَائِيلُ الْحُثَالَةُ الْبَشَرِيَّةُ، وَالشَّرْذِمَةُ الصُّهُيُونِيَّةُ - مِنْ شُدَّادِ الْآفَاقِ، وَقَتْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِخْوَانِ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ - يَعِيشُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، يُرِيدُونَ التَّوَسُّعَ لِنَشْرِ مَذْهَبِهِمُ الْبَاطِلِ، وَدِينِهِمُ الْمُحَرَّفِ، وَبِنَاءِ هَيْكَلِهِمُ الْمَزْعُومِ، كُلُّ ذَلِكَ تَحَدُّ لِمَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى حِسَابِ الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادِهِمْ، وَمَا أَفْعَالُهُمُ الْمَشِينَةُ فِي فَلَسْطِينَ، وَفِي جَنُوبِ لُبْنَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - إِلَّا امْتِدَادًا لِحُلْمِهِمْ فِي الْإِنْتِشَارِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، أَلَا شَاهَتْ وَجُوهُ الصَّهَابَةِ! أَيْعِزُّ الْمُسْلِمُونَ - وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِليَارٍ وَنِصْفِ مِليَارٍ مُسْلِمٍ - أَنْ يَقْفُوا أَمَامَ هَذِهِ الْحَفَنَةِ الْقَلِيلَةِ، وَالشَّرْذِمَةِ الْإِثْمَةِ؟! لَكِنَّا كُنَّا ثُمَّ صِرْنَا كَمَا أَخْبَرَ الْمُصْطَفَى ﷺ: «وَلَكِنَّا كُنَّا كَعُثَاءِ كَعُثَاءِ السَّيْلِ» (١).

لَا بُدَّ مِنْ رَفْعِ رَايَةِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِتَحْرِيرِ الْمُقَدَّسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ بَرَاثِنِ الصُّهُيُونِيَّةِ، وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَرِيبًا؛ بِإِذْنِ اللَّهِ، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَتْ مَآسِي الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْبَشَائِرَ كَثِيرَةً، وَالْفَأَلُ مَطْلُوبٌ، وَالْخَيْرَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَوْجُودٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأُمَّةٌ

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٧٠).

الإسلام أُمَّةٌ مِعْطَاءٌ، أُنْجَبَتِ الْقَادَةُ وَالْعُلَمَاءُ، وَالْأَيْمَةُ وَالْعُظَمَاءُ، وَالْخَيْرُ فِيهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ فَالْيَأْسُ مَرْدُودٌ، وَالنَّشَاؤُ مُذْمُومٌ، وَبَشَائِرُ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ بَادِيَةٌ مُتَكَاثِرَةٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ - هَذِهِ الصَّخْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُبَارَكَةُ تَعْمُ أَرْجَاءَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، بَلِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، الْكُلُّ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ وَيَبْحَثُ عَنْهُ؛ لِمَا يَمْتَازُ بِهِ مِنْ تَحْقِيقِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَتَوْفُرِ الْكَمَالِ وَالشُّمُولِ.

غَيْرَ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ، وَالْعَقِيدَةَ وَالصَّبْرَ، مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهِ أَفْرَادُ الصَّخْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، كَذَلِكَ يُنْبَغِي أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَنْ يُشَاوِرُوهُمْ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا عَنِ التَّعَجُّلِ وَالْعَوَاطِفِ الْمُتَأَجِّجَةِ، وَالْإِنْدِفَاعَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، وَيَحْرِصُوا عَلَى التَّاصِيلِ وَالْمَنْهَجِيَّةِ الصَّحِيحَةِ.

إِخْوَةُ الْعَقِيدَةِ، مِنْ بَشَائِرِ نُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ: تَحَطُّمُ الشُّيُوعِيَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَإِزَاحَةُ السُّنَّارِ الْحَدِيدِيِّ - الَّذِي بَلَغَ سَبْعِينَ عَامًا - عَنْ وَجْهِ شُعُوبٍ تُرِيدُ الْإِسْلَامَ؛ فَالْبِلَادُ الَّتِي رَسَفَتْ تَحْتَ حُكْمِ الشُّيُوعِيَّةِ رَدَحًا مِنَ الزَّمَنِ^(١)، يَأْتِي مِنْهَا الْيَوْمَ رِجَالٌ يُعْلِنُونَ الْإِسْلَامَ، وَيَجْلِسُونَ بِالتَّلْبِيَةِ، وَيُشَارِكُونَ جُمُوعَ الْحَجِيجِ حَجَّهُمْ؛ وَهَذَا - بِحَدِّ ذَاتِهِ - مِنْ بَشَائِرِ نُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ.

وَيَبْقَى السُّؤَالُ الْمُهْمُّ: مَاذَا قَدَّمَ الْمُسْلِمُونَ لِإِخْوَانِهِمْ فِي الْجُمُهورِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْجَدِيدَةِ؟! إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيَّ قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ وَدُعَاتِيهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ

(١) رَدَحًا مِنَ الزَّمَنِ، أَي: طَوِيلًا. «القاموس» (ردح).

وَأَثْرِيائِهِمْ: أَنْ يُسَارِعُوا إِلَى مُسَاعَدَةِ إِخْوَانِهِمْ وَمُسَانَدَتِهِمْ، وَأَنْ يَضَعُوا
الْحُطْطَ السَّلِيمَةَ لِتَنْشِيرِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ السَّلِيمَ، وَبَثَّ
الدُّعَاةَ وَالْمُدْرَسِينَ الْأَكْفَاءَ؛ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ هُنَاكَ أُمُورَ دِينِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ
الصَّحِيحِ، وَإِنَّا لَنُحْشَى أَنْ يَأْخُذَ بِزِمَامِ ذَلِكَ الْأَمْرِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الْأَكْفَاءِ فِي
دِينِهِمْ وَمُعْتَقَدِهِمْ، فَيَحْضِلَ مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، وَتَلْكَ مَسْئُولِيَّةُ الْمُخْلِصِينَ
وَالْغَيُورِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَمِنْ بَشَائِرِ نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ: تَحَرُّرُ أَفْغَانِسْتَانَ الْمُسْلِمَةِ، وَانْتِصَارُهَا
عَلَى الشُّيُوعِيَّةِ الْأَثِمَةِ، فَهِيَ «كَابُولُ» تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا لِلْإِسْلَامِ، بَعْدَ مَا
طَالَ أَسْرُهَا فِي يَدِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ لَا تَتِمُّ حَلَاوَةُ النُّصْرِ إِلَّا بِتَذْكَيرِ
إِخْوَانِنَا الْمُجَاهِدِينَ هُنَاكَ بِاسْمِ جُمُوعِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ: أَنْ يُوحِّدُوا
صُفُوفَهُمْ، وَيَجْمَعُوا قُلُوبَهُمْ، وَيَخْلِصُوا نِيَّاتِهِمْ، وَيَحْذَرُوا مِنْ أَطْمَاعِ الدُّنْيَا
وَالْتَنَافُسِ عَلَيْهَا، وَيَحْذَرُوا مِنَ الْمُنْدَسِّينَ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ وَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ،
حَذَارِ أَيُّهَا الْمُجَاهِدُونَ - وَقَدْ طَالَ انْتِظَارُ الْمُسْلِمِينَ لِانْتِصَارِكُمْ - أَنْ
يَقْطِفَ ثَمَرَةَ جِهَادِكُمْ أَعْدَاؤَكُمْ؛ فَاجْمَعُوا قُلُوبَكُمْ، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال].

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا؛ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ
الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يُهَيِّئَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْ
حُجَّاجِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ حَجَّهُمْ لِأَدَاءِ مَنَاسِكِهِمْ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

اللهُ أَكْبَرُ «سَبْعًا»، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ،
وَاللهِ الْحَمْدُ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ،
وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ،
صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدَاهُ وَدَعَا
بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا أَوْلَاكُمْ مِنْ
نِعْمٍ، اشْكُرُوهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى بُلُوغِ هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، وَاسْتَعِينُوا بِنِعْمِ
اللهِ عَلَى طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ، تَذَكَّرُوا أَنْكُمْ قَادِمُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ
فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

إِحْوَةَ الْإِسْلَامِ، يَسْتَقْبِلُ الْمُسْلِمُونَ هَذَا الْيَوْمَ بِالْفَرَحَةِ وَالْبَهْجَةِ
وَالشُّرُورِ، وَالشُّكْرِ وَالرِّضَا وَالْحُبُورِ^(١)؛ فَالْحُجَّاجُ يُؤَدُّونَ فِيهِ مُعْظَمَ

(١) الحبور: السرور. «اللسان» (حبر).

مَنَاسِكِهِمْ، وَعَيْرُهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالصَّلَاةِ وَالتَّكْبِيرِ وَالْأَضَاحِيِّ؛ فَهِنِيئًا
لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارِكِ! هِنِيئًا لَهُمْ بِحُلُولِ هَذَا الْعِيدِ السَّعِيدِ!
وَأَعْلَمُوا- رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ السَّعَادَةَ فِي الْعِيدِ لَا تَكْمُنُ فِي الْمَظَاهِرِ
وَالشَّكْلِيَّاتِ، وَإِنَّمَا تَتَجَسَّدُ فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ، وَإِتْيَانِ الصَّالِحَاتِ؛ فَادْكُرُوا
آلَاءَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ إِذْ تَعْمُونَ بِحُلُولِ هَذَا الْعِيدِ الْمُبَارِكِ فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ،
وَصِحَّةٍ وَخَيْرٍ وَإِيمَانٍ؛ فَهَذِهِ النِّعَمُ سُلِبَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِذَبْحِ ضَحَايَاهُمْ وَهَدَايَاهُمْ،
فَإِنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ يُضْحُونَ بِالْأَبْرِيَاءِ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، وَفِي هَذَا عِبْرَةٌ
لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ! .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، حَافِظُوا عَلَى دِينِكُمْ، وَقُومُوا بِأَرْكَانِهِ وَوَأَجِبَاتِهِ؛
فَهُوَ دِينُ الشُّمُولِ وَالْكَمَالِ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرَ مِنْهُ،
جَاءَ بِجَلْبِ الْمَصَالِحِ، وَدَرَّءِ الْمَفَاسِدِ، وَالْحِفَاطِ عَلَى الدِّينِ، وَالتَّقْوَى،
وَالْعَقْلِ، وَالْعِرْضِ، وَالْمَالِ^(١)، قَامَ عَلَى أُسُسٍ عَظِيمَةٍ، وَأَرْكَانٍ مَتِينَةٍ،
مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا، فَقَدْ خَسِرَ دِينَهُ، أَهْمُ أَرْكَانِهِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: الصَّلَاةُ
الْمَفْرُوضَةُ؛ فَهِيَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ؛ يَقُولُ ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا

(١) وهذه هي الضروريات الخمس التي جاء الدين بحفظها. انظر شرحها وتفصيل القول فيها في «الموافقات» للشاطبي.

وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»^(١)، وَرَوَى مُسْلِمٌ، عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٢)، وَلَا بُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، فِي الْجَمَاعَةِ، فِي بُيُوتِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ.

أَدْوَارُ زَكَاةِ أَمْوَالِكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - طَيِّبَةٌ بِهَا نُفُوسُكُمْ، تَحَلُّوْا بِمَا جَاءَ بِهِ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ الْحَنِيفُ، مِنَ النَّظَامِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالْإِجْتِمَاعِيِّ الْمُتَمَيِّزِ؛ وَذَلِكَ بِرِعَايَةِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ، وَالْأَعْمَالِ الرَّذِيلَةِ، وَنَشْرِ الْمَحَبَّةِ وَالْوِثَامِ^(٣)، وَالسَّمَاخَةِ بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْغَيْبَةِ وَالْتِمِيمَةِ وَالْبُهْتَانِ، وَالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالْحِقْدِ وَالشَّخْنَاءِ، اتَّبِعُوا مَا جَاءَ بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفُ مِنَ النَّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ الْعَادِلِ؛ الَّذِي لَا وَكْسَ فِيهِ وَلَا شَطَطَ^(٤)؛ وَذَلِكَ بِرِعَايَةِ الْأَمْوَالِ، وَالْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ مَدْخَلِهَا وَمَخْرَجِهَا، وَرِعَايَةِ الْمَكَاسِبِ الْمُبَاحَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْحِيلِ الْمَمْنُوعَةِ، وَالْمَكَاسِبِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ كَالرِّبَا وَالسَّرِقَةِ، وَالْاِخْتِلَاسِ وَالرِّشْوَةِ، وَالتَّرْوِيرِ وَنَحْوِهَا.

(١) رواه أحمد (٣٤٦/٥)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٢٣١/١)، وابن ماجه (١٠٧٩)؛ من حديث بُرَيْدَةَ، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح مسلم» (٨٢).

(٣) الوِثَامُ: الْوِفَاقُ، مَصْدَرٌ وَأَءَمَّهُ، أَي: وَاقِفُهُ، وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ: «لَوْلَا الْوِثَامُ، لَهَلَكَ الْأَنْامُ». «تاج العروس» (وَأَم).

(٤) لَا وَكْسَ فِيهِ وَلَا شَطَطَ، أَي: لَا نَقْصَانَ فِيهِ وَلَا زِيَادَةَ. «اللسان» (وكس) (شطط).

احْفَظُوا جَوَارِحَكُمْ عَنِ الْإِثَامِ، مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَلَا تَبْغُوا الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، قَوْمُوا عَلَيَّ مَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ - مِنَ الْأَهْلِ
وَالْأَوْلَادِ - بِالتَّزْيِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، الَّتِي لَا غُلُوفَ فِيهَا وَلَا تَقْصِيرَ.

احْرِصُوا عَلَى اجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ، وَصَفَاءِ النُّفُوسِ، صَلُّوا الْأَرْحَامَ،
وَبَرُّوا الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ، وَأَعِينُوا الْفُقَرَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ؛ وَتَوَبُّوا إِلَيَّ رَبُّكُمْ
مِنْ ذُنُوبِكُمْ؛ فَإِنَّهُ ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

شَبَابَ الْإِسْلَامِ، أَنْتُمْ أَمَلُ الْأُمَّةِ، وَرِجَالُ الْمُسْتَقْبَلِ، وَلَنْ تَبْنُوا
أَمْجَادَكُمْ، وَتَوْسَّسُوا مُسْتَقْبَلَكُمْ، وَتَقَوْمُوا بِحَمْلِ الْأَمَانَةِ تَجَاهَ دِينِكُمْ
وَأُمَّتِكُمْ وَبِلَادِكُمْ، إِلَّا بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَالتَّحَلِّيِ بِالصَّبْرِ وَالْمُتَابِرَةِ،
وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَالبُعْدِ عَنِ الرَّذَائِلِ وَالْفَسَادِ وَالْإِنْحِرَافِ، صُوتُوا
أَنْفُسَكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - عَنِ الْمُلْهِيَاتِ وَالْمُغْرِيَاتِ، لَا تَغْتَرُّوا - أَيُّهَا الشَّبَابُ -
بِعُنْفُونِكُمْ^(١) وَصِحَّتِكُمْ؛ فَالْمَوْتُ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ، وَلَا غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ،
تَيَقَّظُوا الْمُخَطَّطَاتِ أَعْدَائِكُمْ تَجَاهَكُمْ، وَكُونُوا مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ وَفِطْنَةٍ.

أَيُّهَا الْأَخَوَاتُ الْمُسْلِمَاتُ، وَالنِّسَاءُ الْفُضْلِيَّاتُ، إِنَّ مَكَانَتِكُنَّ فِي
الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٌ، أَنْتُنَّ الْأُمَّهَاتُ الْمُسْتَفِقَاتُ، وَالْأَخَوَاتُ الْكَرِيمَاتُ،

(١) عُنْفُونُ الشَّيْءِ: أَوَّلُهُ، يُقَالُ: هُوَ فِي عُنْفُونِ شَبَابِهِ، أَي: فِي أَوَّلِ بَهْجَتِهِ.
«اللسان» (عنف).

وَالْمُرَبِّيَّاتُ الرَّحِيمَاتُ، وَالنَّبَاتُ الْفَاضِلَاتُ، لَقَدْ فَتَحَ الْإِسْلَامُ لَكُنَّ أَبْوَابَ
الْفَضَائِلِ، صَانِكُنَّ وَرَعَاكُنَّ وَحَمَاكُنَّ؛ فَالْمَرْأَةُ فِي هَذَا الدِّينِ دُرَّةٌ مَصُونَةٌ،
وَجَوْهَرَةٌ مَكُونَةٌ، حَافِظَةٌ عَلَيْهَا بِالسُّرِّ وَالْحَيَاءِ وَالْحِجَابِ، وَنَهَى عَنْ كُلِّ
مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي التَّعَدِّيِّ عَلَيْهَا وَإِنْقَاعِ الْفِتْنَةِ لَهَا وَبِهَا؛ مِنَ التَّبَرُّجِ
وَالشُّفُورِ، وَالِاخْتِلَاطِ وَالخُرُوجِ إِلَى الْأَسْوَاقِ.

فَكُنَّ - أَيَّتُهَا الْأَخَوَاتُ الْمُسْلِمَاتُ - عَزِيزَاتٍ بَدِينِكُنَّ، وَاحْذَرْنَ مِنْ
أَعْدَائِكُنَّ، الَّذِينَ يَظْهَرُونَ بِأَبْهَى الْحُلْلِ، وَيُنَادُونَ بِالسِّنَةِ الْحَلَاوَةِ وَالْعَسَلِ،
بَدْعُوِي تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ وَإِنْصَافِهَا، وَهُمْ يُرِيدُونَ الْقَضَاءَ عَلَيْهَا، وَإِهْدَارَ
عِزَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ
وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ آدَقُّ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب].

عِبَادَ اللَّهِ، أَقْضُوا هَذَا الْيَوْمَ الْمُبَارَكَ، بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ،
وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ، وَالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، ﴿٥٤﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامِ
مَعْدُودَاتِ ﴿٥٤﴾ [البقرة: ٢٠٣]، يَقُولُ ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ
وَذِكْرِ اللَّهِ» (١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، كَبِّرُوا رَبَّكُمْ، وَادْكُرُوهُ جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿٥٤﴾ فَإِذَا

(١) رواه مسلم (١١٤١)؛ من حديث بُيُثَيَّةَ الْهُدَلِيَّةِ، رضي الله عنه.

فَضِيئُهُ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ
 ذِكْرًا فَمَنْ النَّكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
 مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ
 حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ [البقرة].

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ: قِوَامٌ هَذَا الدِّينِ؛ بِهِ نَالَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْخَيْرِيَّةَ عَلَى
 غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ ^(١) الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَهَمِّيَّتِهِ
 وَوُجُوبِهِ، وَإِصْلَاحِهِ لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا: أَنْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْ يَنْهَوْا
 عَنِ الْمُنْكَرِ، كُلُّ حَسَبٍ اسْتِطَاعَتِهِ، عَلَى دَرَجَاتٍ الْإِنْكَارِ الْمَعْرُوفَةِ،
 وَلَا بُدَّ مِنْ تَحَلِّيِ الْأَمْرَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالتَّاهِينِ عَنِ الْمُنْكَرِ، بِالرَّفْقِ وَالْعِلْمِ
 وَالْحِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؛ لِيَكُونَ لِعَمَلِهِمُ الْأَثْرُ الْإِيجَابِيُّ فِي بُعْدِ عَنِ التَّعْنِيفِ وَالغِلْظَةِ.
 أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، الْإِعْلَامُ فِي هَذَا الْعَصْرِ قَنَاءٌ مُهِمَّةٌ، وَشَرِيَانٌ حَيَوِيٌّ،
 يُؤَثِّرُ - سَلْبًا أَوْ إِيْجَابًا - عَلَى النَّاسِ فِي مُخْتَلَفِ الشُّؤْنِ؛ فَالْوَاجِبُ اسْتِغْلَالُ
 وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمَرْئِيَّةِ، وَالْمَسْمُوعَةِ، وَالْمَقْرُوءَةِ، لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَنَشْرِ

(١) يقال: تَظَاهَرُوا عَلَى كَذَا، وَتَضَافَرُوا عَلَيْهِ؛ بِالظَّاءِ وَالضَّادِ، أَي: تَعَاوَنُوا وَتَجَمَّعُوا
 عَلَيْهِ. «تاج العروس» (ظفر) (ضفر).

الْفَضِيلَةَ، وَمُحَارَبَةَ الرَّذِيلَةَ، فَيَا رِجَالَ الْإِعْلَامِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي مَسْئُولِيَّاتِكُمْ،
 أَدُّوا أَمَانَةَ الْكَلِمَةِ، وَلَا تُضَيِّعُوا مُصَدَّقِيَّةَ الْحَرْفِ، تَحَرَّوْا الْحَقَائِقَ،
 وَاحْذَرُوا التَّهْوِيلَ وَالْإِثَارَةَ، اجْعَلُوا مِنْ وَسَائِلِكُمْ قَنَوَاتٍ لِلدَّعْوَةِ وَالتَّوَجُّهِ
 لِمَا فِيهِ صَلَاحُ الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ .

هَذَا؛ وَمِمَّا يُبَغِي النَّبِيَّ عَلَيْهِ، ضَرُورَةُ اهْتِمَامِ الْأُمَّةِ جَمِيعًا
 لِلتَّصَدِّي لِمَا يُعْرَفُ بِالْبَثِّ الْمُبَاشِرِ، الَّذِي رَاجَ فِي بِلَادِ شَتَّى مِنَ الْعَالَمِ؛
 كَيْلًا يَنْقُلَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مَعَالِمَ الشَّرِّ وَالْغَوَايَةِ، وَوَسَائِلَ الْإِبَاحِيَّةِ
 وَالْجَرِيمَةِ، عَنِ طَرِيقِ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ، وَالشَّبَكَاتِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ فِي
 عَصْرِ الْإِنْفِتَاحِ وَالْعَدَالَةِ، لِأَبَدٍ أَنْ يَتَّصِدَى الْمُسْلِمُونَ لِذَلِكَ بِالْإِيْمَانِ
 الْقَوِيِّ، وَالْوَعْيِ الْعَمِيقِ، وَالْحَصَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ لِمُقَاوَمَتِهِ .

وَمِمَّا يُبَغِي أَنْ يَتَنَبَّهَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ - أَيْضًا - : عَدَمُ التَّهَافُتِ الْمَشِينِ
 الَّذِي سَلَكَهُ بَعْضُ ضِعَافِ الْإِيْمَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ الْحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ
 الْبَثِّ الْمُسِفِّ، وَاقْتِنَاءِ آتِيهِ الْمُقَوِّتَةِ لَهُ، فَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يَرْضَى أَهْلُ
 الْغَيْرَةِ بِمَا يَهْدِمُ الْأَخْلَاقَ، وَيُدْمِرُ الْقِيَمَ وَالْفَضَائِلَ؟!

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ،
 تَذَكَّرُوا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، تَذَكَّرُوا الْحَشَرَ
 وَالنَّشْرَ، وَتَطَايِرَ الصُّحُفِ وَنَضَبَ الْمَوَازِينِ، تَذَكَّرُوا الْمَوْتَ وَسَكْرَتَهُ،

وَالْقَبْرِ وَظُلْمَتَهُ، وَالصِّرَاطَ وَزَلَّتَهُ، وَالْمَوْقِفَ وَكُرْبَتَهُ!

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لِمَا هَجَعُوا وَتَأَمُّوا
لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ
عُيُونٌ قُلُوبِهِمْ تَأْهُوا وَهَامُوا
مَمَاتٌ، ثُمَّ قَبْرٌ، ثُمَّ حَشْرٌ
وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ أَنَاسٌ
فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
وَنَحْنُ إِذَا أُمِرْنَا أَوْ نُهِنَا
كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيْقَاطُ نِيَامٍ!

* * *

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا
فَأَيْنَ الْمُعْظَمُ وَالْمُحْتَقَرُ؟!
تَفَانُوا جَمِيعًا فَمَا مُخْبِرٌ
وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْحَبْرُ!
تَرَوْحُ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى
فَتُلَغِي مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورُ
فِيَسَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضَوْا
أَمَّا لَكَ فِيمَنْ مَضَى مُعْتَبِرُ؟!

* * *

فَلَوْ أَنَا إِذَا مِنَّا تُرَكْنَا
لَكَانَ الْمَوْتُ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِنَّا بُعِثْنَا
وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، الْغَزْوُ الْفِكْرِيُّ وَالْأَخْلَاقِيُّ، الْمُرْكَزُ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ
عَبَّرَ الْوَسَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ، مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَيَتَصَدَّقُوا لَهُ؛
بِالتَّرْبِيَةِ وَالْعِنَايَةِ بِالْإِيمَانِ، وَتَنْشِئَةِ الْأَجْيَالِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ إِتَاحَةِ الْفُرْصَةِ
لِوَسَائِلِ الْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ: أَنْ تَسَلَّلَ إِلَى الْبُيُوتِ وَالْأَسْرِ،

وَيَنْبَغِي الْحَذَرُ مِمَّا تَبَّهُ بَعْضُ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَوَصَفِهِمْ
بِأَبْشَعِ الْأَوْصَافِ، وَالْإِصَاقِ التَّهْمِ بِهِمْ، وَإِسْأَعَةِ مُصْطَلَحَاتٍ مُوهِمَةٍ؛ كَمَا
يُطْلَقُونَ لَفْظًا: الْأُصُولِيَّةِ، وَالْوَهَّابِيَّةِ، وَالْإِرْهَابِ، وَالتَّطْرُفِ، وَحُقُوقِ الْإِنْسَانِ،
وَالْحُرِّيَّةِ، وَالْمَسَاوَاةِ، وَعَمَلِ الْمَرْأَةِ، وَحُقُوقِ الْمَرْأَةِ، وَهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ
تَشْوِيهِهُ صُورَةَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْ ذَلِكَ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ!

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، إِنَّ مِنَ التَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللَّهِ: مَا وَفَّقَ اللَّهُ إِلَيْهِ وُلاةَ
الْأَمْرِ فِي بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ، فَهِيَ مَشَارِعُ إِعْمَارِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِمَّا لَمْ يَشْهَدْ
التَّارِيخُ لَهُ مَثِيلاً، وَهَذِهِ الرِّعَايَةُ التَّامَّةُ لَوْفُودِ الرَّحْمَنِ مِمَّا يُشِيدُ بِهِ الْمُصْنِفُونَ
مِنَ الْقَاصِي وَالِدَانِي؛ مِيَاهُ عَذْبَةٍ، وَأَعْدِيَةٌ مُتَوَفِّرَةٌ، وَخِدْمَاتٌ صَحِيَّةٌ وَأَمْنِيَّةٌ،
وَعِلْمِيَّةٌ وَدَعْوِيَّةٌ يَقِلُّ نَظِيرُهَا، وَأَجْوَاءُ آمِنَةٌ، كُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ، ثُمَّ
بِفَضْلِ الْعِنَايَةِ الْبَالِغَةِ مِنْ لَدُنْ وِلايَةِ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، حَرَسَهَا اللَّهُ.

هَذِهِ مَشَارِعُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَدَعْمُ الْمَرَائِزِ وَالصُّرُوحِ
الْحَضَارِيَّةِ، وَطَبْعُ وَنَشْرُ كِتَابِ اللَّهِ، وَتَوَازِيْعُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ،
هَذِهِ مَجَالِسُ الشُّورَى وَأَنْظِمَةُ الْحُكْمِ، مِمَّا لَمْ يَتَحَقَّقْ فِي دَوْلِ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ
الْمَرْعُومَةِ، هَذِهِ اللَّجَانُ الدَّاعِمَةُ لِقَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ آخِرِ مَا سَمِعْتُمْ
فِي ذَلِكَ: لِجَانُ الدَّعْوَةِ لِجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ لِمُسْلِمِي الْبُوسْنَةِ وَالْهَرَسِكِ،
وَهَذِهِ الْمَوَاقِفُ الْمَشْرِقَةُ فِي نُصْرَةِ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، فِي أَفْغَانِسْتَانَ

وغيرها، ورعاية شؤون الأقليات الإسلامية .

ومن الأعمال التي تستحق الإشادة والإشارة؛ المبادرة إلى إنقاذ المسجد الأقصى، وبذل المال والجهد والرجال؛ لتحسين أحواله من التداعي والتصدع؛ فهنيئاً لولاية الأمر في بلاد الحرمين الشريفين - بل هنيئاً للمسلمين جميعاً - هذه المشاريع المباركة! والله نسأل أن يجعلها في موازين أعمالهم يوم القيامة، وأن يزيدهم من الهدى والتوفيق، بمنه وكرمه .

معشر المسلمين، المشكلات الاجتماعية والأسرية تقض مضاجع كثير من الناس؛ فغلاء المهور، وتكاليف الزواج الباهظة، والبدخ والإسراف، وسوء العشرة بين الزوجين، ومشكلات الأولاد، وقضايا الطلاق، كل ذلك من القضايا المهمة التي يجب أن يتعاون على حلها المسلمون جميعاً؛ انطلاقاً من قوله سبحانه: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة: ٢].

أيها المسلمون في بلاد الحرمين، إنكم محسودون على هذه النعم، لقد أرق^(١) وجود هذه النعم في بلادنا - من الأمن والأمان، والخيرات والمقدسات - مضاجع كثير من الحاسدين ممن اكتوت قلوبهم بداء الحسد والحقد والكراهية؛ فعملوا على إنكار الجميل، وبث الدعايات الكاذبة، والشائعات المغرضة؛ حسداً من عند أنفسهم!

(١) أرقه كذا وكذا تأريفاً، أي: أسهره. «اللسان» (أرق).

نَعَمْ - وَاللَّهِ! - إِنَّا لَمَحْسُودُونَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فَعَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَ مِنْ كَيْدِ
 الْحَاسِدِينَ الَّذِينَ سَخَرُوا وَسَائِلَ إِعْلَامِهِمْ لِلتَّيْلِ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَدِينِهَا،
 وَوُلَاتِهَا وَعُلَمَائِهَا، وَسَيَصْطَلُونَ بِنَارِ حَسَدِهِمْ، وَلَنْ يُحْرِقُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ؛
 فَعَلَيْنَا أَلَّا نَخْذَعَ بِهَذِهِ الْأَرَاجِيفِ^(١) الَّتِي تَبُّهُهَا بَعْضُ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ
 الْمَاجُورَةِ الْمَازُورَةِ، الَّتِي ضَيَّعَتْ أَمَانَةَ الْكَلِمَةِ، وَعَبَثَتْ بِمُصْداقِيَّةِ
 الْحَرْفِ، وَجَانَبَتِ الْمَوْضُوعِيَّةَ وَالْإِنْصَافَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -
 وَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ؛ تَفْلِحُوا وَتَسْعُدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ الْوَرَى، الرَّسُولِ
 الْمُجْتَبَى، وَالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَالْحَبِيبِ الْمُرْتَضَى؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ
 رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا وَحَبِيبِ قُلُوبِنَا، سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ
 الْفَارُوقِ، وَعُثْمَانَ ذِي الثُّورَيْنِ، وَعَلِيَّ أَبِي السَّبْطَيْنِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ
 الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،

(١) الأراجيف: جمع إرجاف، وهو الخبر الكاذب الذي يكون معه اضطراب في
 الناس. انظر: «تاج العروس» (رجف).

وَعَنَّا مَعَهُمْ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ
أَعْدَاءَ الْمِلَّةِ وَالِدِّينِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الْحَرَامِ حَجَّهُمْ، وَمِنْ
الْمُضْحِّينَ ضَحَايَاهُمْ، اللَّهُمَّ كَمَا وَفَّقْتَهُمْ لِهَذِهِ الْأَعْمَالِ؛ فَتَقَبَّلْهَا مِنْهُمْ،
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ هُوَّلَاءِ عِبَادُكَ، لِأَذْوَابِ جَنَابِكَ، وَأَنَاخُوا مَطَايَاهُمْ
بِبَابِكَ، أَنْتَوَا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يَرْجُونَ رَحْمَتَكَ، وَيَخْشَوْنَ عَذَابَكَ، اللَّهُمَّ
بَلِّغُهُمْ آمَالَهُمْ، وَحَقِّقْ مَطَالِبَهُمْ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، اللَّهُمَّ
وَكَمَا جَمَعْتَ أَجْسَادَهُمْ فَاجْمَعْ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ كَمَا جَمَعْتَ هَذِهِ الْجُمُوعَ الْمُسْلِمَةَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ،
اجْمَعْهُمْ عَلَى كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ
بَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلَامِ، وَارزُقْهُمْ الْوَحْدَةَ وَالْوِثَامَ، وَالنَّصَرَ عَلَى
أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَجَنِّبْهُمْ الْفَوَاحِشَ وَالْفِتْنَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْ إِمَامَنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَأَيِّدْهُ بِتَأْيِيدِكَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ إِلَى مَا
تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيئِهِ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَإِلَى مَا فِيهِ إِعْلَاءُ
كَلِمَتِكَ، وَإِعْزَازُ دِينِكَ، وَصَلَاحُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ،
اللَّهُمَّ اجْزِهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفِرْهُ؛ جَزَاءَ مَا قَدَّمُ وَيُقَدِّمُ لِحُجَّاجِ بَيْتِكَ الْحَرَامِ،
اللَّهُمَّ اجْعَلْ ذَلِكَ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِ وَفِي مَوَازِينِهِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْ قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ لِتَحْكِيمِ شَرْعِكَ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ،

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رَحْمَةً عَلَى شُعُوبِهِمْ وَرَعَايَاهُمْ، اللَّهُمَّ وَفَّقْ قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا إِلَى تَحْكِيمِ الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْ عُلَمَاءَهُمْ لِبَيَانِ الْحَقِّ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَوَفَّقِ الدُّعَاةَ وَالْقُضَاةَ وَالْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاجْزِهِمْ خَيْرًا عَلَى مَا يَبْذُلُونَ مِنْ نُصْرَةِ الدِّينِ، وَصَلِّحِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَبْرِمْ لَهُذِهِ الْأُمَّةَ أَمْرَ رُشْدٍ يَعْرِفُ فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، وَيَذِلُّ فِيهِ الْمُفْسِدُونَ الْمُجْرِمُونَ، وَيُؤَمِّرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ انْصُرْ إِخْوَانَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ، اللَّهُمَّ كُنْ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي سِتِّي بِقَاعِ الْعَالَمِ، اللَّهُمَّ عَجِّلْ بِنَصْرِهِمْ، اللَّهُمَّ عَجِّلْ بِفِرَاجِهِمْ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَيْدَنَا سَعِيدًا، وَعَمَلَنَا صَالِحًا رَشِيدًا، اللَّهُمَّ وَأَعِدْ هَذَا الْعِيدَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَمْعَاءَ وَقَدْ تَحَقَّقَ لَهَا مَا تَصْبُو إِلَيْهِ ^(١) مِنْ عِزٍّ وَمَجْدٍ، وَنَصْرٍ وَسُودِدٍ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ مَنْ عَلَيْنَا بِإِعَادَةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ مَنْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِإِعَادَةِ مُقَدَّسَاتِهِمْ، وَتَحْرِيرِ أَوْطَانِهِمْ مِنْ بَرَاثِنِ أَعْدَائِكَ ^(٢) أَعْدَاءِ الدِّينِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، اللَّهُمَّ كُنْ لِإِخْوَانِنَا فِي فِلَسْطِينِ، وَالْبُوسْنَةِ وَالْهَرَسِكِ، وَكَشْمِيرِ،

(١) تصبو إليه، أي: تحنُّ إليه وتتشوق. «تاج العروس» (صبو).

(٢) أي: مخالبيهم، وبرائين: جمع بُرْثَنٍ، وهو مخلبُ الأسد. «اللسان» (برثن).

وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، يَا قَوِيُّ يَا عَزِيزُ .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ مَا ظَهَرَتْ التُّجُومُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا
تَلَا حَمَتِ الْغُيُومُ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَجْمَعِينَ،
وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٨﴾
وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٩﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الصفات] .

* * *

وبهَذَا يَنْتَهِي السَّفَرُ الْأَوَّلُ
وسَيَلِيهِ السَّفَرُ الثَّانِي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

الفهارس

- أولاً : فَهْرَسُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ .
ثانيًا : فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ .
ثالثًا : فَهْرَسُ الْأَشَارِ الْمَرْوِيَّةِ .
رابعًا : فَهْرَسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ .
خامسًا : فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ .

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿سورة الفاتحة﴾
٦٤٥، ٣٩٥	٤-٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ... ﴾
		﴿سورة البقرة﴾
٧٥	٣٢	﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾
٢١٧، ٢١٦	٤٣	﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾
٢١	٤٤	﴿ ... أَنَا مُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ... ﴾
١٢٣، ١٢١	١٠٢	﴿ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾
١٢٤		
٣٨٤	١٠٩	﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... ﴾
١٧١، ١٦٣	١١١	﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
١٨٥	١٥٣	﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾
٣١٩	١٧٢	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾
٢٣٣	١٨٥	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أَنْ هُدِيَ لِلنَّاسِ ... ﴾
٦٥٥، ٢٤٦	١٨٦	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾
٤٤٢	١٨٧	﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾
٣١٨	١٨٨	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ... ﴾
٢٧٢، ٢٧١	١٩٧	﴿ الْحَقُّ أَشْهَرٌ مَعْلُومٌ ... ﴾
٦٩٣	٢٠٢-٢٠٠	﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ ... ﴾
٦٩٢	٢٠٣	﴿ ... وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾
٤٩٩	٢٠٦-٢٠٤	﴿ ... وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾
٦٢٩	٢٠٩، ٢٠٨	﴿ ... يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ... ﴾
٤٥٧، ٤٤٤	٢٢٨	﴿ ... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾

٤٥٦	٢٢٩	﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾
٤٦٤	٢٢٩	﴿ اَلطَّلِقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحُ بِاِحْسَنِ ﴾
٤٥٦	٢٣١	﴿ وَلَا تَنخِذُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُرُوقًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . . . ﴾
٣٣٣	٢٧٥	﴿ اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ . . . ﴾
٣٣٢	٢٧٦	﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَرَبِّي الصَّدَقَاتِ . . . ﴾
٣٣١	٢٧٩، ٢٧٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَعِيَ مِنَ الرِّبَا . . . ﴾
٣٤٠، ٣٣١	٢٧٩	﴿ وَاِنْ تَبَيَّنَ فَلَكُمْ رُءُوسُ اَمْوَالِكُمْ . . . ﴾
٨٣، ٥٧	٢٨١	﴿ وَاَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ اِلَى اللَّهِ . . . ﴾
٥٢٨، ٤٥١		
٥٩٨، ٥٦٩		
٥٨٧	٢٨٢	﴿ وَاَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ ﴾
٣٤٤	٢٨٣	﴿ فَاِنْ اَمِنَ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا فليُؤَدِّ الَّذِي اَوْثَمِنَ اَمْنَتَهُ . . . ﴾
٦٦١	٢٨٦	﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا اِنْ نَسِينَا اَوْ اَخْطَاْنَا . . . ﴾
﴿ سورة آل عمران ﴾		
٦٧٤، ١٧٠، ١٦٠	٣١	﴿ قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . . . ﴾
٤٨٧	٣٨	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾
٢٦٢	٩٦	﴿ اِنْ اَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا . . . ﴾
٢٦٢، ٢٥٨	٩٧	﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا . . . ﴾
٢٧٢		
٢٨١، ١٠٧	١٠٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
٣٨٠		
٦٨٦	١٠٣	﴿ وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
٣٠٢	١٠٤	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ اِلَى الْخَيْرِ . . . ﴾
٣٠٠، ٢٥٧	١١٠	﴿ كُنْتُمْ حَيْرًا اُمَّةً اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . . ﴾
٢٦٤	١١٩	﴿ اِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾
٣٣٧	١٣٢-١٣٠	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا اَضْعَافًا مُضَاعَفَةً . . . ﴾
٥٥١	١٣٦، ١٣٥	﴿ وَالَّذِينَ اِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً اَوْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ . . . ﴾

٢٩١	١٣٩	﴿ وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْرُغُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
٦٧٩	١٥٩	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ . . . ﴾
١٠٨٠، ٣٧	١٦٤	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا . . . ﴾
١٥٢		
٦٤٨	١٦٥	﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبِيَّةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا . . . ﴾
٢١٩	١٨٠	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ . . . ﴾
٤٦٩	١٩٥	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ . . . ﴾
﴿ سورة النساء ﴾		
٣٨٠	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدَةٍ . . . ﴾
٥٥٣	١٨٠، ١٧	﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ . . . ﴾
٤٥٧، ٤٤٤	١٩	﴿ وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ . . . ﴾
٣١٨	٣٠، ٢٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ . . . ﴾
٤٧٤، ٤٥٩	٣٤	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ . . . ﴾
٤٦٠	٣٥	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا . . . ﴾
٦٧١، ٣٥٥	٣٦	﴿ وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّذِينَ إِحْسَنَّا ﴾
٤٣	٤٦	﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾
٦٧١، ١٠٢	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . . . ﴾
٣٩٠	٥٤	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾
٣٤٤	٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾
٥٩٨، ٨٤	٨٣	﴿ وَلَوْ رُدُّوهٗ إِلَى الرَّسُولِ وَالَّذِي أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ . . . ﴾
٥٥١	١١٠	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ . . . ﴾
٦٧١، ١٠٢	١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . . . ﴾
١٢٨	١٢٢	﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾
٤٥٩	١٢٨	﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا . . . ﴾
٤٦٠	١٣٠	﴿ وَإِنْ يَنْقَرُوا بِعَيْنِ اللَّهِ كَلًّا مِنْ سَعَتِهِ . . . ﴾
٦٦٧	١٣١	﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ . . . ﴾
٣٣١	١٦١، ١٦٠	﴿ فَيُظَاهِرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ . . . ﴾
٣٩	١٧٥، ١٧٤	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ . . . ﴾

﴿سورة المائدة﴾

٦٦٩	٢	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَقُوا ﴾
٦	٣	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾
١٧٦	٦	﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾
٣٩	١٦، ١٥	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ... ﴾
٢٤٩	٢٧	﴿ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾
٣٨٤	٣٠	﴿ فَفَلَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾
٦٢٤	٥٠	﴿ أَتَحْكُمُ الْقِيلَاطَةَ يَتَعَوَّنُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾
٣٩٦	٥٤	﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴾
٦٧١	٧٢	﴿ إِنَّهُمْ مِنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾
٥٥١	٧٣	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾
٥٥١	٧٤	﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ... ﴾
٣٠٣، ٣٠٢	٧٨-٨١	﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴾
٢٦٢	٩٧	﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكٰفِرَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾

﴿سورة الأنعام﴾

١٣٩	٧٠	﴿ وَذُرِّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ... ﴾
١٠٣	٨٢	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... ﴾
٦٧٢	٨٨	﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾
٥٧١	٩٤	﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... ﴾
١٦٩، ١٣٩	١١٦	﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِيَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٢٥٧	١٢٤	﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾
٦٢٥، ٣٥٥	١٥١	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ... ﴾
٦٤٥		
٦٧٥	١٥٣	﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ... ﴾
٩٤	١٥٩	﴿ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴾
٦٧٠، ٢٧٠	١٦٢، ١٦٣	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ... ﴾

﴿سورة الأعراف﴾

٦٦١	٢٣	﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ... ﴾
٦٤٦	٢٦	﴿ وَبِئْسَ الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾
١٧٨	٣١	﴿ بِنَبِيِّ هَادِمٍ خَدُوا زَيْنْتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾
٧٣، ٧٢	٣٣	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ... ﴾
٥٦٤	٤٠	﴿ لَا تَفْسَحْ لَهُمْ آتُونَ السَّمَاءِ ﴾
٦	٤٣	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ... ﴾
٧١	٥٤	﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ... ﴾
٦٥٦	٥٦، ٥٥	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ... ﴾
٦٥٠	٩٦	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا ... ﴾
٦٥٤	٩٧-٩٩	﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾
٦٦١	١٤٩	﴿ لَيْسَ لَكَ بِرَحْمَتِنَا وَبِعِزَّتِنَا لِلنَّكَوْتِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
٣٠١	١٦٥	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَجِئْنَا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ عَنِ السُّورِ ... ﴾
٥٧٧	١٦٧	﴿ لِيَتَمَنَّيَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْيَقِينَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾
١١٩، ١١١	١٨٨	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ... ﴾

﴿سورة الأنفال﴾

٤٠٥، ٣٦٩	١	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ... ﴾
٥٤	٢	﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾
٢٥٥	٢١، ٢٠	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾
٥٢٢، ٢٨١	٢٤	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾
٣٤٧، ٣٤٤	٢٧	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ... ﴾
١٣٤، ٦١	٢٩	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَقُوا اللَّهَ لَيَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا ... ﴾
٥٥٠	٣٨	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْطَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾
٦٨٦	٤٦	﴿ وَلَا تَتْرَعُوا فَانفَسِلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾
٦٤٨	٥٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا ... ﴾
٣٧٩	٧٣	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾

﴿سورة التوبة﴾

٢١٦	١١	﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوَانُكُمْ فِي الَّذِينَ﴾
٥٠٩، ٤٩٨	٣٢	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ...﴾
٦٠٥، ٦٠٣		
٦٢٤		
٢١٩	٣٥، ٣٤	﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ...﴾
٢٦٦	٣٦	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا...﴾
٢٩٢	٣٩، ٣٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالُكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا...﴾
٢٩٨	٤١	﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...﴾
١١١	٥١	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا...﴾
٢٢٣	٦٠	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾
٣٠١	٦٧	﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ...﴾
٣٠١	٧١	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾
٢١٧	١٠٣	﴿حُذِّرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾
١٧٩	١٠٨	﴿فِي رِجَالٍ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مَحِبًّا الْمُطَهَّرِينَ﴾
٢٩٢	١١١	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ...﴾
١٥٦	١٢٩، ١٢٨	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾

﴿سورة يونس﴾

٣٩	٥٧	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ...﴾
١٠٧	٥٨	﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِجْهَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا...﴾
٧٣	٦٠، ٥٩	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ...﴾
٦٦١	٨٦، ٨٥	﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا...﴾
١١٩	١٠٦	﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ...﴾
١١٩، ١١٢	١٠٧	﴿وَإِنْ يَسْسِسْكَ اللَّهُ بَصُرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...﴾

﴿سورة هود﴾

٦٢٥	٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾
-----	---	--

﴿ وَيَقُولُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ . . . ٥٢
 ﴿ إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ . . . ٨٨

﴿ سورة يوسف ﴾

﴿ إِذْ قَالَ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَمَا نَزَعْنَا عِصْبَةَ . . . ﴾ ٨
 ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٢١

٣٨٤
 ٥٠٤، ١٥٦
 ٥٢٩، ٥٢٦
 ٦٤١، ٥٣٨
 ٣٥٢ ٥٥، ٥٤
 ٦٧٢ ١٠٣
 ٦٧٢ ١٠٦

﴿ سورة الرعد ﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ١١
 ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ١٧
 ﴿ آمَنَ بَعْلُ آتَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَقُ ﴾ ١٩

﴿ سورة إبراهيم ﴾

﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ٢٠
 ٢٢١، ٤٧
 ٣٠٠، ٢٤٣
 ٣٦٣، ٣١١
 ٥١٧، ٣٧٧
 ٥٥٧، ٥٢٧
 ٦٣٨، ٥٨١
 ٣٥٥ ٣٤
 ٤٨٦ ٣٥
 ٤٨٧ ٤٠

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ ﴿١١﴾ ٤١ ٣٦١

﴿سورة الحجر﴾

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ... ﴾ ٢٢ ٦٥٦

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ٩٩ ٢٥١

﴿سورة النحل﴾

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ ٣٣ ٦٢٤

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا... ﴾ ٣٦ ٦٧١

﴿ فَتَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ ٤٣ ٢٢٣

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ... ﴾ ٤٥-٤٧ ٥٨٠

﴿ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ نَفُوقَ... ﴾ ﴿٥٢﴾ ٥٢ ٦٣٦

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا... ﴾ ٧٢ ٤٤٠

﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَلْبَ بَيِّنَةً لِكُلِّ شَيْءٍ... ﴾ ٨٩ ٣٩٠٣٧

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَنَّا... ﴾ ٩٢ ٢٥٠

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ... ﴾ ٩٧ ٤٦٩٠١٠٣

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ... ﴾ ١١٦-١١٧ ٧٣

﴿سورة الإسراء﴾

﴿ أُولَىٰ بِأْسِ شَيْءٍ لَّنَبَدِرَ فَجَسَدًا خَلَدَ الذِّبَارِ... ﴾ ٥ ٥٧٧

﴿ وَاسْتَبْرُوا مَا عَلَّمُوا تَنْبِيْرًا ﴾ ﴿٧﴾ ٧ ٥٧٧

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمٌ... ﴾ ٩ ٤٤٠٤٠

﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ١٠ ٤٤

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عَفْوِهِ... ﴾ ١٣-١٤ ١٠٥

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا ﴾ ٢٣ ٣٥٥

﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ﴾ ٢٧ ٤٣٦

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ... ﴾ ٣١ ٦٢٥

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ﴿٣٦﴾ ٣٦ ٣٤٩

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ... ﴾ ٧٠ ٦٢٠

- ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ﴿٨١﴾ ٨١ - ٥٠٤
 ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ... ﴾ ٨٢ - ١٢٨، ٤٠

﴿ سورة الكهف ﴾

- ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ... ﴾ ٢٤١ - ٤٥
 ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿١٤﴾ ١٠٤ - ١٥١

﴿ سورة مريم ﴾

- ﴿ وَيَسِّرْ لِي يُودِعَنِي فِي الْوَجْدِ وَبَارِكْ لِي فِي الْوَجْدِ ﴾ ﴿١٤﴾ ١٤ - ٣٦٠
 ﴿ وَيَسِّرْ لِي يُودِعَنِي فِي الْوَجْدِ وَبَارِكْ لِي فِي الْوَجْدِ ﴾ ﴿٣٢﴾ ٣٢ - ٣٦٠
 ﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ... ﴾ ٥٩ - ١٩٥

﴿ سورة طه ﴾

- ﴿ وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَرَمَانَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ ﴿٨٢﴾ ٨٢ - ٥٥١، ٢٨٥
 ٦٥٥
 ٦٣ ١١٤
 ٤٣، ٣٩، ٣٨ ١٢٧-١٢٣
 ٦٧٧، ٣٣٣

﴿ سورة الأنبياء ﴾

- ﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿١﴾ ١ - ٥٦٠
 ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ... ﴾ ٢٥ - ١١٨
 ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً... ﴾ ٣٥ - ٦٥٧
 ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ ٨٧ - ٦٦١
 ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ ١٠٧ - ٦٠٧

﴿ سورة الحج ﴾

- ﴿ وَمَنْ يُؤْمِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ... ﴾ ١٨ - ٥٧٨، ٥٢١
 ﴿ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً... ﴾ ٢٥ - ٢٦١، ٢٦٠
 ٢٧٢

٢٧٠	٢٦	﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا ﴾
٢٧٣	٢٨	﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾
٢٦٦	٣٠	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾
٥٦٤	٣١	﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ . . . ﴾
٢٦٦	٣٢	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٢﴾ ﴾
٦٧٠، ٢٧٥	٣٧-٣٤	﴿ وَلَا كَلِمَ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا . . . ﴾
٣٠١، ٢٤٢	٤٠	﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ . . . ﴾
٣٠٧	٤١	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ آقَامُوا الصَّلَاةَ . . . ﴾
٢٨١	٧٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا . . . ﴾
٢٨٩	٧٨	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾

﴿ سورة المؤمنون ﴾

١٩٦، ١٨٩	٢٠١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾
١٩٧		
٣٤٤	٨	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٤﴾ ﴾
٣١٩، ١٠٥	٥١	﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا . . . ﴾
٥٠٩	٥٣	﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾
٢٤٩	٦٠	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ سورة النور ﴾

٤١٤	١٧-١٢	﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ . . . ﴾
٦٢٧	١٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾
٥٤٧	٣١	﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
٤٣١	٣٢	﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾
٩٦	٥٤	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ . . . ﴾
٥١٥	٥٥	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . . ﴾
١٦٠	٦٣	﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ . . . ﴾

﴿ سورة الفرقان ﴾

٣٧	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ . . . ﴾
----	---	---

١١٨	٣	- ﴿وَلَا يَمَلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا﴾
٤٢	٣٠	- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ...﴾
٦٥٦	٥٠-٤٨	- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ...﴾
٢٨٩	٥٢	- ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾
٥٥٠	٧٠	- ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا...﴾
٤٨٩	٧٤	- ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

﴿سورة الشعراء﴾

١٢٠	٨٣-٧٢	- ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾...﴾
٣٢٠	٢٢٧	- ﴿وَسِعِلَّهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أُنَى مُتَقَلِّبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٣٢٧﴾﴾

﴿سورة النمل﴾

٦٥٥، ٦٣٦	٦٢	- ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾
٦٣٦	٦٣	- ﴿أَأَلِهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾
١٢٢، ١١٢	٦٥	- ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾

﴿سورة القصص﴾

١٧١	٥٠	- ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ...﴾
٢٥٩	٥٧	- ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمَاءُ امْتِنَا يُجِئْنَ إِلَيْهِ تُمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ...﴾
٣٧٩	٦٠	- ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾
٢٥٧، ٢٥٦	٦٨	- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

﴿سورة العنكبوت﴾

٣٥٩	٨	- ﴿وَوَضَّيْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ حُسْنًا﴾
٨٠	١٣	- ﴿وَلَيْسَتُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾
٥٧٨	٤٠	- ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا...﴾
١٩٦، ١٨٥	٤٥	- ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
٦٢٥	٦٠	- ﴿وَكَيْفَ تَمُنُّ مِنْ ذَنْبِهِ لَا تُحْمِلْ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ...﴾
٢٥٩	٦٧	- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا...﴾

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ... ﴾ ٦٩ ٢٩٩، ٢٨٩

٦٨٤، ٦١٥

﴿سورة الروم﴾

﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ ... ﴾ ٧، ٦ ٦١٠، ١٣٥

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... ﴾ ٢١ ٤٤٠، ٤٢٨

٤٤٢

﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ الْفَطْرَ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ ٣٠ ٦١٢

﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾ ٣٩ ٣٣٥

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٤٧ ٥٠٦، ٢٤٢

٦٧٦، ٦١٢

﴿سورة لقمان﴾

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ... ﴾ ١٤ ٣٥٦، ٣٥٥

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ... ﴾ ١٥ ٣٦٤

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ... ﴾ ٣٠ ١١٩

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ ٣٤ ٢٨٥

﴿سورة الأحزاب﴾

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾ ٢١ ١٤٦

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ ٢٤، ٢٣ ٥٩٦، ٢٩٥

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ ٣٣ ٤٧١

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... ﴾ ٥٦ ...، ٥٨، ٤٧

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ ٥٨ ٤١٥، ٤٠٢

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ ... ﴾ ٥٩ ٦٩٢، ٤٧١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ... ﴾ ٧١، ٧٠ ٣٨٠

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ... ﴾ ٧٢ ٣٤٥

﴿سورة فاطر﴾

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ... ﴾ ٢ ١١٨



٦٤٧	٥	﴿ فَلَا تَعْرَبْكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَقَكُم بِاللَّهِ الْفَرُودُ ﴾ -
٥٢٢١، ٤٧	١٧	﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ -
٣٧٧، ٣١١		
٥٢٧، ٥١٧		
٦٣٨، ٥٨١		
٦٣	٢٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ -
٣٩٣، ١٠٣	٤٣	﴿ وَلَا يَجْعَلِ الْمُكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِيهِ... ﴾ -

﴿سورة الصافات﴾

١٠٥	٣٩	﴿ وَمَا يُخِزُّونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ -
٤٨٦	١٠٠	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ -
٥٠٦	١٧٣	﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ -
٧٠١، ٦٦٤	١٨٢-١٨٠	﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾... ﴾ -

﴿سورة ص﴾

٤٩	٢٩	﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا... ﴾ -
----	----	--

﴿سورة الزمر﴾

٢٧٠	٣	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ -
٦٣	٩	﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ -
١١٨، ١١١	٣٨	﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾ -
٩٤	٤٥	﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ -
٥٨٣، ٥٥٤	٥٦-٥٣	﴿ قُلْ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَاقِنْتَظُوا مِنْ رَحْمَةٍ... ﴾ -
٦٥٥		
٦٧٢	٦٥	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ... ﴾ -

﴿سورة غافر﴾

٥٨٢، ٥٥٥	٣	﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ... ﴾ -
٦٥٥	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ -



﴿سورة فصلت﴾

٢١٩	٧،٦	﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾
٧	٣٣	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ... ﴾
٤٩	٤٢	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ... ﴾
١٢٨،٤٠	٤٤	﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً... ﴾
٦٤٨،١٠٥	٤٦	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ... وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا... ﴾

﴿سورة الشورى﴾

٦٧٥	١١	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾
١٦٥،٧١	٢١	﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾
٦٩١	٢٥	﴿ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾
٥٥٦	٢٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا... ﴾
٥٧٥،٥٤٦	٣٠	﴿ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مِصْبِكُمْ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ... ﴾
٦٤٨		
٤٩٧	٣٩	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾
٤٩٧	٤٢،٤١	﴿ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾... ﴾
٥٢٢	٤٧	﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ... ﴾

﴿سورة الزخرف﴾

١٦٧	٢٣	﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آيَةً نَاعِلًا وَمِنَّا عَلِيٌّ وَأَنَا عَلِيُّ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
٣٨٥،٣٨٤	٣٢-٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِينَ عَظِيمٍ... ﴾

﴿سورة الأحقاف﴾

٦٧٢	٦٥	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ... ﴾
٣٥٩،٣٥٨	١٥	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا... ﴾
٥٢٣،٥٢٢	٣٢-٣١	﴿ يَتَقَوَّمْنَا أٰجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ... ﴾



﴿سورة محمد﴾

- ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْرَ عَلَى قُلُوبِ أَفْأَلِهَا ﴾ ﴿٢٤﴾ ٢٤ ٤٩
 ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ . . . ﴾ ٣٨ ٤٧

﴿سورة الفتح﴾

- ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ٢٩ ٣٩٦

﴿سورة الحجرات﴾

- ﴿ يَتَأَيَّبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا . . . ﴾ ٦ ٤١٢، ٤٠٤
 ٤٢٠
 ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . . ﴾ ١٠ ٣٧٧، ٣٧٠
 ﴿ وَمَنْ لَمْ يَنْبُتْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ١١ ٥٤٧
 ﴿ يَتَأَيَّبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَحْتَبِينَا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ . . . ﴾ ١٢ ٤١٢، ٣٩٨
 ٤١٩
 ﴿ يَتَأَيَّبُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى . . . ﴾ ١٣ ٤٦٩، ٣٧١
 ٦٤٦

﴿سورة ق﴾

- ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ ١ ٥٠
 ﴿ إِنْ دَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ ٣ ٥١
 ﴿ فَهَمَّ فِي أَمْرِ مَرْيَمَ ﴾ ٥ ٥١
 ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . . ﴾ ٧، ٦ ٥١
 ﴿ بَصِيرَةً وَذُكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ٨ ٥١، ٥٠
 ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا . . . ﴾ ١١-٩ ٦٥٦، ٥١
 ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّ وَنُوحٌ ﴿١٢﴾ . . . ﴾ ١٢-١٤ ٥١
 ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا نُوسِوسُ بِهِ نَفْسَهُ . . . ﴾ ١٦ ٥٢
 ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ١٨ ٥٢
 ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ . . . ﴾ ١٩ ٥٢

٥٣	٢٥-٢٠	﴿ وَيُضِعُّ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٥﴾ ... ﴾
٥٣، ٥٢	٣٠	﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾
٥٣	٣٥-٣١	﴿ وَأَرْزَقْنَاهُ الْجَنَّةَ الْمُتَّقِينَ عَمْرٍوعِيدِ ﴿٣١﴾ ... ﴾
٢٢١، ٥٤	٣٧	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ... ﴾
٥٧٨		
٥٧	٤٥	﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾

﴿سورة الذاريات﴾

٦٥٨	٢٢	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا تَوَعَّدُونَ ﴾
١١٨	٥١، ٥٠	﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِيمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ ... ﴾
٦٧١، ٦٤٧	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

﴿سورة الواقعة﴾

٦٥٦	٧٠-٦٨	﴿ أَقْرَأْ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ... ﴾
-----	-------	--

﴿سورة الحديد﴾

٢٠١، ٤٣	١٦	﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾
٥٥٣		
١٣٤	٢٨	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنًا بِرَسُولِهِ ... ﴾

﴿سورة المجادلة﴾

٦٣	١١	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾
----	----	---

﴿سورة الحشر﴾

١٦٠	٧	﴿ وَمَا ءَانَتْكُمْ الرُّسُلُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾
٣٧٣	٩	﴿ وَالَّذِينَ بَدَّءُوا بِالْكَفْرِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْتُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ صَاحِبُونَ مِنَ الْمَالِ بَلْ جَاءَتْكُمْ آيَاتُنَا بِالْحَقِّ وَكُنْتُمْ أَكْثَرًا نَكِيرًا ﴾
٤٢٤، ٣٩٠	١٠	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ... ﴾
٥٤	٢١	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا ... ﴾
١٠٦	١٩	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ... ﴾

﴿سورة الصف﴾

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾...﴾ - ٣-٢
 ٢١
 ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ - ٨
 ٢٩١
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يُجِئُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ...﴾ - ١١، ١٠
 ٢٩٥

﴿سورة الجمعة﴾

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ...﴾ - ١٠، ٩
 ٢١٢، ٢٢

﴿سورة المنافقون﴾

- ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ - ٨
 ٦٣٩، ٢٨٨

﴿سورة الطلاق﴾

- ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾ - ١
 ٤٥٦
 ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾﴾ - ٢
 ، ٤٦٥، ٤١٠
 ، ٤٩٦، ٤٦٦
 ٦٦٧
 ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ...﴾ - ٣
 ، ٤٩٦، ٤١٠
 ٦٦٧
 ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ - ٤
 ، ٤٦٦، ٤١٠
 ٦٦٧، ٦٤٠
 ٦٦٧، ٤١١
 ٦٧٨
 ﴿أَسْكَنْتُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وَّجْدِكُمْ...﴾ - ٦
 ٤٤٥
 ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ...﴾ - ٧
 ٤٤٥

﴿سورة التحريم﴾

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾ - ٦
 ٤٨٤، ٤٧٥
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...﴾ - ٨
 ٥٤٧

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّجِيُّ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ... ﴾ ٩ ٢٨٩

﴿سورة الملك﴾

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ ١٤ ٤٦٧

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَابَ مَاؤُكُمْ غَوَّا... ﴾ ٣٠ ٦٥٦

﴿سورة القلم﴾

﴿ وَلَا تَطَّعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ ١٠ ٤١٦

﴿ هَمَّازٍ مَشَّامٍ بِنَمِيمٍ ﴾ ١١ ٤٢٠، ٤١٦

﴿سورة نوح﴾

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ عَافِيًا ﴿١٠﴾ ﴾ ١٠-١٢ ٦٥١

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا... ﴾ ٢٨ ٣٦١

﴿سورة الجن﴾

﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿٧﴾ ﴾ ١٧ ٥٨٠

﴿سورة المدثر﴾

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿١﴾ ﴾ ٤ ١٧٩

﴿سورة النبأ﴾

﴿ جَزَاءً وَفَاءً ﴿٢٦﴾ ﴾ ٢٦ ٦٤٨

﴿سورة البروج﴾

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ ٨ ٥٣٢

﴿سورة الفجر﴾

﴿ إِنْ رَبِّكَ إِلَّا مِرْصَادٌ ﴿١١﴾ ﴾ ١٤ ٦٤١، ٥٨١

﴿سورة الهمزة﴾

٤١٦

١

- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾

﴿سورة الكوثر﴾

٦٧٠

٢

- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الراوي	الحديث
٣٤٥	أبو هريرة	- آية المنافق ثلاث
٤٦١	ابن عمر	- أبغض الحلال إلى الله الطلاق
٤٠٢	عائشة	- أتدرون ما أربى الربا؟
٣٩٩	أبو هريرة	- أتدرون ما الغيبة؟
٤٧٥	أبوسعيد	- اتقوا الدنيا، واتقوا النساء
٣٣٤	أبو هريرة	- أتيت ليلة أسري بي على قوم
٣٣٠، ١٢٤	أبو هريرة	- اجتنبوا السبع الموبقات
٢٠٩	عبدالله بن بسر	- اجلس؛ فقد آذيت
٦٤٣	أبو قتادة	- أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله
١١٥	عروة بن عامر	- أحسنها الفأل
٣٦٠	ابن عمرو	- أحيي والداك؟
٣٤٥	أبو هريرة	- أذ الأمانة إلى من ائتمنك
	أبو هريرة،	- إذا أتاكم من ترضون خلقه
٤٣٢	أبو حاتم المزني	
١٩٩	أنس، عبادة	- إذا أحسن الرجل الصلاة
٢٢٦	أبو هريرة	- إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة
٤٤٧	أبو هريرة	- إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه
٦٧٣	ابن عباس	- إذا سألت، فاسأل الله
٣٥٣	أبو هريرة	- إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة
٢٠٩	أبو هريرة	- إذا قلت لصاحبك: أنصت
٦٦٩	البراء	- أربع لا تجزيء في الأضاحي
١٩٠	أبو هريرة	- ارجع فصل؛ فإنك لم تصل

١٧٧	أبوهريرة	- إسباغ الوضوء على المكاره
٥٦٢، ١٠٤	البراء	- استعيذوا بالله من عذاب القبر
٥٧٢	أبوهريرة	- استنزهوا من البول
٤٦٩، ٤٥٨، ٤٤٣	أبوهريرة	- استوصوا بالنساء خيرًا
١٩٩، ١٨٧	أبوقتادة	- أسوأ الناس سرقة اللّذي يسرق
٢٠٥	أبوهريرة، حذيفة	- أضلّ الله عن الجمعة من كان قبلنا
٤٠٤	ابن عباس	- اطلعت في النّار فرأيت أكثر أهلها النساء
٦٤٣	أبوهريرة	- أفضل الصيام بعد رمضان
٤٦	أبو أمامة	- اقرءوا القرآن؛ فإنّه يأتي يوم القيامة
٤٦٩، ٤٤٥	أبوهريرة	- أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا
٤٢٣	أبوالدرداء	- ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام
٤١٤	أسماء بنت يزيد	- ألا أخبركم بشراركم
٢٩٢	أبوهريرة	- ألا إنّ سلعة الله غالية
٣٦٦	أبوبكرة	- ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
٤١٧	ابن مسعود	- ألا أنبئكم ما العضه؟
١٧٦	أبوهريرة	- ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا
٤٤٣	عمرو بن الأخرص	- ألا واستوصوا بالنساء خيرًا
٤٣٤	سهل بن سعد	- الشمس ولو خاتمًا من حديد
١١٣	ابن عباس	- الذين لا يسترقون
٢١٤	جابر	- أما بعد؛ فإنّ خير الحديث
١٩٠	أبوهريرة	- أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه
٢١٦	ابن عمر	- أمرت أن أقاتل الناس
٣٦١	أبوهريرة	- أمك، ثم أمك، ثم أمك
٣٦٨	ابن عمر	- إنّ أبر البر صلة الولد
٤٦١	جابر	- إنّ إبليس يضع عرشه على الماء
٤٠٢	عائشة	- إنّ أربى الربا عند الله

٤٢٩	عائشة	- إنَّ أعظم النساء بركة أيسرهن
١٦٧	أبوهريرة	- إنَّ الإسلام بدأ غريبًا
٣٢٦	النعمان	- إنَّ الحلال بيِّنٌ
٣٣٥	أنس	- إنَّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا
٣٨٩	جابر	- إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون
٥٦٢، ١٠٤	البراء	- إنَّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع
١٨٧	عمَّار	- إنَّ العبد ليصلي الصلاة ما يكتب
٣٦٧	المغيرة	- إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات
٣١٩	أبوهريرة	- إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيبًا
٧٨	ابن عمرو	- إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا
٥٥١	أبوموسى	- إنَّ الله ييسط يده بالليل
٤٦	عمر	- إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا
٥٧٥	أبوهريرة	- إنَّ الله يغار
٣٧٠	أبوموسى	- إنَّ المؤمن للمؤمن كالبنيان
٣٠٢	ابن مسعود	- إنَّ أوَّل ما دخل النقص على بني إسرائيل
٤٤٤	معاوية بن حيدة	- أن تطعمها إذا طعمت
٣١٨	جابر	- إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام
١٩	عمَّار	- إنَّ طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته
٢٩٠	أبوهريرة	- إنَّ في الجنة مائة درجة
٥٥٥	ابن عمر	- إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس
٥٧٢	عائشة	- إنَّ للقبر ضغطة
٤١٤	سعيد بن زيد	- إنَّ من أرى الربا الاستطالة
٢٠٨	أوس بن أوس	- إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة
٣٦٧	ابن عمرو	- إنَّ من أكبر الكبائر
١١	ابن عمر	- إنَّ من البيان لسحرا
٢٧٢، ٢٥٩	ابن عباس	- إنَّ هذا البلد حرَّمه الله

- انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهناً
 ١٢٢ عمران
- انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا
 ٣٧٥ أنس
- إنما جعل الإمام ليؤتم به
 ١٩٠ عائشة
- إنه من يعش منكم، فسيري اختلافًا
 ١٦٠ العرياض
- إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير
 ٥٧١، ٤١٧ ابن عباس
- إنني لأستغفر، الله وأتوب إليه
 ٥٥٦ أبوهريرة
- أوحى الله إلى جبريل أن اقلب
 ٣١٠ جابر
- أي إخواني، لِمِثْلِ هذا اليوم فأعدوا
 ٥٦٦ البراء
- إياكم والحسد
 ٣٨٧ أبوهريرة
- إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث
 ٤١٣ أبوهريرة
- إياكم ومحقرات الذنوب
 ٥٥٥ ابن مسعود
- أيام التشريق أيام أكل
 ٦٩٢ نبيشة الهذلي
- أيلعب بكتاب الله، وأنا بين أظهركم
 ٤٦٥ محمود بن لبيد
- أيما امرأة سألت زوجها الطلاق
 ٤٦٠ ثوبان
- أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض
 ٤٤٧ أم سلمة
- الإشراف بالله وعقوق الوالدين
 ٣٦٦ أبوبكرة
- * * *
- بارك الله لكما في ليلتكما
 ٤٥٣ أنس
- بني الإسلام على خمس
 ٢١٦ ابن عمر
- بين الرجل وبين الشرك والكفر
 ٦٩٠ جابر
- * * *
- تجدون شر الناس ذا الوجهين
 ٤١٨ أبوهريرة
- تزوج عبدالرحمن بن عوف على وزن نواة
 ٤٣٤ أنس
- تزوجوا الودود الودود
 ٦٢٤ أنس
- تعرض الأعمال يوم الاثنين
 ٣٧٥ أبوهريرة

		- تلف [صلاة من لم يتم ركوعها]
١٩٩	أنس، عبادة	كما يلف الثوب الخلق
٦٢٤	—	- تناكحوا تكثروا
٣٦٧	ابن عمر	- ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة
		* * *
١٢٤	جنـدب	- حدُّ الساحر ضربة بالسيف
٢٦٩	أبوهريرة	- الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ العجّة
		* * *
١٥٣	أنس	- خدمت النبي ﷺ عشر سنين
٦٦٨، ٢٧١	جابر	- خذوا عني مناسككم
٢٠٥	أبوهريرة	- خير يوم طلعت عليه الشمس
٤٤٥	عائشة	- خيركم خيركم لأهله
٤٦	عثمان	- خيركم من تعلم القرآن وعلمه
		* * *
٣٨٣	الزبير	- دبّ إليكم داء الأمم
٣٣٩	عبادة	- الذهب بالذهب، والفضة بالفضة
		* * *
٤٣٧	أنس	- رأى النبي ﷺ على عبدالرحمن بن عوف
٣٣٤	سمرة	- رأيت الليلة رجلين أتياني
٥٥٥	ابن عمر	- رب اغفر لي، وتب عليّ
٣٣٢	جابر	- ربا الجاهلية موضوع
٣٦٧	أبوهريرة	- رغم أنف، ثم رغم أنف
٣٣٤	ابن مسعود	- الربا ثلاثة وسبعون باباً
		* * *
٤٣٤	سهل بن سعد	- زوجتكها بما معك من القرآن
٥٦٧	أبوهريرة	- زوروا القبور؛ فإنّها تذكركم الآخرة

٤٢٣	أبوهريرة	- صلاح ذات البين
٢٦٠	ابن الزبير	- صلاة في مسجدي هذا أفضل
١٩٢	مالك بن الحويرث	- صلوا كما رأيتموني أصلي
٣٦٠	ابن مسعود	- الصلاة على وقتها
٢٠٧	أبوهريرة	- الصلوات الخمس، والجمعة
		* * *
٦٦٨	أنس	- ضحى رسول الله ﷺ بكبشين
١١٦	ابن مسعود	- الطيرة شرك
		* * *
١٨٩	النعمان	- عباد الله، لتسوون صفوفكم
١٧٨	عائشة	- عشر من الفطرة
٥٦٥	البراء	- علام اجتمع هؤلاء؟
٤٣٥	أبوهريرة	- على أربع أواق؛ كأنما نتحتون
٢٥	أبوالدرداء	- العلماء ورثة الأنبياء
٦٨٩	بريدة	- العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة
		* * *
٤٧٥	أبوسعيد	- فاتَّقوا الدنيا، واتَّقوا النساء
٤٠٢	عائشة	- فإن أربى الربا عند الله
١٢٢	عمران	- فإنك لو مت وهي عليك
٣٦٠	ابن عمرو	- ففيهما فجاهد
٣٤٠	أبوسعيد	- فمن زاد أو استزاد، فقد أربى
٢٠٨	أبوهريرة	- فيه ساعة لا يوافقها عبد
		* * *
٦٧٧، ٣٩	جابر	- قد تركت فيكم ما لن تضلوا
١٢٩	عبدالله بن خبيب	- قل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
١٩٨، ١٨٥	رجل من الأنصار	- قم يا بلال؛ فأرحنا بالصلاة

٥٦٦	أبوسعيد	- القبر أول منازل الآخرة
٥٦٦	—	- القبر روضة من رياض الجنة
		* * *
٦٧٠	أبوأيوب	- كان الرجل في عهد النبي ﷺ يضحي
١٥٤	أنس	- كان النبي ﷺ أحسن الناس
١٨٥	حذيفة	- كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى
٥٥٢	أبوسعيد	- كان فيمن كان قبلكم رجل قتل
٤١٣	أبوهريرة	- كفى بالمرء إثماً أن يحدث
٤١٣	أبوهريرة	- كفى بالمرء كذباً أن يحدث
٣٩٨	أبوهريرة	- كل المسلم على المسلم حرام
١٧٠	جابر	- كل بدعة ضلالة
	جابر،	- كل لحم نبت من سحت
٣٢١	كعب بن عجرة	
٤٨٤	أبوهريرة	- كل مولود يولد على الفطرة
٣٠٣	ابن مسعود	- كلا والله، لتأمرن بالمعروف
٥٨٢، ٤٨٤، ٣٥٢	ابن عمر	- كلكم راع، وكلكم مسئول
٤٣٧	أنس	- كم أصدقتها؟
١٥٥	علي	- كُنَّا إذا حمي البأس
١٥٣	أنس	- كنت أمشي مع رسول الله ﷺ
		* * *
٣٤٥	أنس	- لا إيمان لمن لا أمانة له
٣٨٦	أبوهريرة	- لا تحاسدوا، ولا تباغضوا
٢٢٢	أبوهريرة، ابن عمرو	- لا تحل الصدقة لغني
١٤٢	معاوية	- لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق
٣٣٦، ٣٢٥	أبويرة	- لا تزول قدما عبد يوم القيامة
٤٤٨	معاذ	- لا تؤذي امرأة زوجها

٤٦	ابن عمر	- لا حسد إلا في اثنتين
١١٣	أبوهريرة	- لا عدوى ولا طيرة ولا هامة
١١٥	أنس	- لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل
٢٤٩	عائشة	- لا يا ابنة الصديق
٤٢٣، ٤٠٢	ابن مسعود	- لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي
٣٨٩	أبوهريرة	- لا يجتمع في جوف عبد: الإيمان والحسد
٣٧٩، ٣٧٥	أبوأيوب	- لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه
	عم أبي حُرّة	- لا يحل مال امرئ مسلم
٣١٩	الرقاشي	
٤١٦	حذيفة	- لا يدخل الجنة قتات
٤١٦	حذيفة	- لا يدخل الجنة نمام
٣٨٩	ضمرة بن ثعلبة	- لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا
٤٥٨	أبوهريرة	- لا يفرك مؤمن مؤمنة
١٨٩	النعمان	- لتسون صفوفكم
٣٣١	جابر	- لعن رسول الله ﷺ أكل الربوا
٤٠٠	عائشة	- لقد قلت كلمة لو مُزجت
٥٥٢	أنس	- لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده
١٥٤	أنس	- لم تراعوا، لم تراعوا
٦٥١	ابن عمر	- لم ينقص قوم المكيال
٣٣٣	أبوسعيد	- لما أُسري بي، مررتُ بقوم
٤٠٠	أنس	- لما عرج بي، مررتُ بقوم
٤٤٨	أبوهريرة	- لو كنتُ أمرًا أحدًا أن يسجد
٦١٢	تميم الداري	- ليلغن هذا الدين ما بلغ الليل
٤٥٨	أبوهريرة	- ليس منّا من خَبب امرأة
	ابن عمر،	- ليتهين أقوام عن ودعهم الجمعات
٢٠٧	أبوهريرة	

	أم هشام	- ما أخذت: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾
٥٠	بنت حارثة	
٢١	—	- ما بال أقوام
٢٠٨	أبوموسى	- ما بين أن يجلس الإمام
٤٧٥	أسامة بن زيد	- ما تركتُ بعدي فتنة هي أضر
	عبدالله بن	- ما رأيتُ أحدًا أكثر تسمًا
١٥٣	الحارث	
٦٦٩	عائشة	- ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً
١٥٣	أنس	- ما مست بيدي ديباجًا
١٩٩	عثمان	- ما من امريء مسلم تحضره صلاة
٢٧٨	ابن عباس	- ما من أيام العمل الصالح فيها
٢١٩	أبوهريرة	- ما من صاحب كنز
١٢٩	عثمان	- ما من عبد يقول في صباح كل يوم
٤٨٥	—	- ما نحل والد ولدَه أفضل
٦٤٣	ابن عباس	- ما هذا اليوم تصومونه؟
١٢٢	عمران	- ما هذه الحلقة؟
٣٠٣	النعمان	- مثل القائم على حدود الله
٣٧١	النعمان	- مثل المؤمنين في توادهم
٥٧١، ٤١٧	ابن عباس	- مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين
٤٨٥	ابن عمرو	- مروا أولادكم بالصلاة
٢١٩	أبوهريرة	- من آتاه الله مالاً
١٢٣	أبوهريرة	- من أتى عَرافًا أو كاهنًا
	بعض أزواج	- من أتى عَرافًا فسأله
١٢٣	النَّبِيِّ	
٦٧٥، ١٦١	عائشة	- من أحدث في أمرنا هذا
٢٦	عائشة	- من أرضى الناس بسخط الله

٤١٩	ابن عمر	- من تتبع عورة أخيه
	أبو الجعد	- من ترك ثلاث جمع تهاوناً
٢٠٧	الضمري	
٦٤٠	ابن عمر	- من تشبه بقوم فهو منهم
١٢٢	عقبة بن عامر	- من تعلق تميمه، فلا أتم الله له
٢١٠	علي	- من تكلم، فلا جمعة له
٢٠٧	أبو هريرة	- من توضأ، فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة
١٧٧	عثمان	- من توضأ، فأحسن الوضوء، خرجت
٢٦٩	أبو هريرة	- من حج، فلم يرفث، ولم يفسق
٢٠٩	أبو هريرة	- من راح [في الساعة الأولى] فكأتما
٣٠٢	أبو سعيد	- من رأى منكم منكراً، فليغيره
١١٦	ابن عمرو	- من ردت الطيرة من حاجة
٦٢	أبو هريرة	- من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً
٢٢٥	أبو هريرة	- من صام رمضان إيماناً
٢٥٤	أبو أيوب	- من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً
٢١٤، ١١٦	أبو هريرة	- من صلى عليّ واحدة
١٢٢	عقبة بن عامر	- من علّق تميمه، فقد أشرك
٦٧٥، ٢٧١، ١٦١	عائشة	- من عمل عملاً ليس عليه أمرنا
٢٢٥	أبو هريرة	- من قام رمضان إيماناً
٤٦	ابن مسعود	- من قرأ حرفاً من كتاب الله
٦٥٧، ٥٥٠، ٣٢٥	أبو هريرة	- من كانت عنده مظلمة لأخيه
٨٨	جابر	- من لقي الله لا يشرك به
٢٢٩	أبو هريرة	- من لم يدع قول الزور
٢٩١، ٢٨٨	أبو أمامة	- من لم يغز أو يجهز غازياً
٢٩٠، ٢٨٨	أبو هريرة	- من مات ولم يغز
٢١٠	أبو هريرة	- من مسّ الحصى، فقد لغا

٢٢	جرير	- من يُحرم الرفق، يُحرم الخير كُلَّهُ
٦٨	معاوية	- من يرد الله به خيراً يفقهه
٤٦	عائشة	- الماهر بالقرآن مع السفارة
٤١٤	أسماء بنت يزيد	- المشاءون بالنميمة
		* * *
٦٤٣	ابن عباس	- نحن أحق وأولى بموسى
٣١٠	زينب بنت جحش	- نعم، إذا كثر الخبث
٣٦٧	أبو أسيد	- نعم، الصلاةُ عليهما
	أسماء بنت	- نعم، صِلِي أُمَّكَ
٣٦٤	أبي بكر	
		* * *
٤٢٣	ابن الزبير	- هي الحَالِقة، لا أقول: تحلق الشعر
٤١٧	ابن مسعود	- هي التَّمِيمَة القَالَة بين الناس
		* * *
١١٢	ابن عباس	- واعلم أن الأمة لو اجتمعت
٢٦٩	أبو هريرة	- والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة
٢٨٩	أبو هريرة	- والذي نفس محمد بيده، لولا أن يشق
٣٠٢	حذيفة	- والذي نفسي بيده، لتأمرنَّ
٤٤٨	أبو هريرة	- والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته
٢٦٢	عبدالله بن عدي	- والله إنك لخير أرض
١٩٨، ١٨٤	أنس	- وجعلت قرة عيني في الصلاة
٣٣٢	جابر	- وربما الجاهلية موضوع
٣٢١	ابن مسعود	- ولا يكسب عبدٌ مالاً من حرام
٦٨٤	ثوبان	- ولكنكم غشاء كغشاء السيل
٢١٢	أبو هريرة	- وليخرجنَ تفلات
٢١٠	أبو هريرة	- ومن مسَّ الحصى، فقد لغا

٣٩٣	أبويرزة	- يا معشر من آمن بلسانه
٣٢٢	أبوهريرة	- يأتي على الناس زمان لا يبالي
٥٥١	أبوموسى	- يسط الله يده بالليل
٥٧٠، ١٠٣	أنس	- يتبع الميت ثلاثة
٣٦٧	ابن عمرو	- يسبُّ الرجلُ أبا الرجل
٤٢٤، ٣٩٢	أنس	- يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة
٤٧	ابن عمرو	- يقال لصاحب القرآن: اقرأ
٥٥٢	أبوهريرة	- يقول الله: هل من مستغفر
٣٥٣	حذيفة	- ينام الرجل النوم، فتقبض الأمانة
٥٧٠	ثوبان	- يوشك أن تداعى عليكم الأمم

* * *

ثَالِثًا: فِهْرِسُ الْأَشَارِ الْمَرْوِيَّةِ

الصفحة	القائل	الأثر
١٦١	ابن مسعود	- اتَّبِعُوا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ
٤٦٥	ابن عباس	- اتَّخَذَ آيَاتِ اللَّهِ هَزْوًا
٥٦٧	أبو الدرداء	- أَجْلَسَ إِلَى قَوْمٍ يَذْكُرُونَنِي
٤٠	ربيعي بن عامر	- أَخْرَجُوا النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ
٣٥٣	علي	- آدَاءُ الْأَمَانَةِ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ
٧٥	ابن أبي ليلى	- أَدْرَكَتْ عِشْرِينَ وَمِائَةَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
٤٠٢	الحسن	- إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَشْتَغِلُ بِعَيُوبِ غَيْرِهِ
٤٣١	أبو بكر	- أَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ مِنَ النِّكَاحِ
٤٣١	ابن مسعود	- التَّمَسُّوا الْغِنَى فِي النِّكَاحِ
٢٩٨	عمر	- أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَمْرُكُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ
٧٤	ابن مسعود	- إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ
٦٧٨، ٦٦٠	عثمان	- إِنَّ اللَّهَ لَيَنْزِعُ بِالسُّلْطَانِ
٥٧٨	ابن عباس	- إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ
٨١	عمر	- أَنْبِئْتُ أَنَّكَ تَفْتِي النَّاسَ وَلَسْتَ بِأَمِيرٍ
٣٥٧	عمر	- إِنَّكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا وَأَنْتَ تَدْعُو
٥٧٩	الحسن	- إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَّطَقَتْ بِهِمُ الْبَغَالُ
٢٠٠	عبادة	- أَوَّلَ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الْخُشُوعُ
٧٤	أبو بكر	- أَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّئُنِي
	جعفر بن	- أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ
١٠٩	أبي طالب	
		* * *
٢٩٢	الحسن	- بَايَعَهُمْ - وَاللَّهِ - فَأَعْلَى ثَمَنِهِمْ
٤٠٩	الحسن	- بَلَّغْنِي أَنَّكَ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ حَسَنَاتِكَ
		* * *

٥٤٨	عمر، أبي	- التوبة النصوح أن يتوب من الذنب
٥٤٨	الحسن	- التوبة هي أن يكون العبد نادماً
٥٤٨	محمد بن كعب	- التوبة يجمعها أربعة أشياء
٢١٧	ابن عباس	- ثلاث آيات نزلت مقرونة
		* * *
٢٢	علي	- حدثوا الناس بما يعرفون
١٩٧	ابن عباس	- خائفون ساكنون
٤٠٣	قناة	- ذُكر لنا أنَّ عذاب القبر من ثلاثة أثلاث
		* * *
٤٠٣	عمر	- عليكم بذكر الله
٤٢٤، ٣٩٣	ابن عمرو	- فهذا الذي بلغ بك
		* * *
١٩٧	الحسن	- كان خُشوعُهُم في قُلُوبِهِم
٥٦٦	هانئ مولى عثمان	- كان عثمان إذا وقف على القبر يبكي
٤٠	ابن مسعود	- كانوا إذا تعلَّموا عشر آيات
١٩٧	ابن سيرين	- كانوا يقولون: لا يجاوزر بصرهم
١٦٢	حذيفة	- كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنْ رَأَاهَا النَّاسُ حَسَنَةً
٥٦٦	ثابت	- كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَازَةَ، فَلَا نَرَى إِلَّا مَطْرَقًا
٢٦١	ابن عمرو	- كُنَّا نَعُدُّ: لَا وَاللَّهِ
		* * *
٧٥	عطاء	- «لا أدري» نصف العلم
٤١٨	عمر	- لا تظن بكلمة خرجت من في مسلم
٤٣٣	عمر	- لا تغالوا صداق النساء
٥٤	ابن مسعود	- لا تَهْدُوا الْقُرْآنَ هَذَا الشَّعْرِ
٣٥٣	عمر	- لا يعجبكم من الرَّجُلِ طَنَطَنَتُهُ
٢٦١	عمر	- لِأَنَّ أَحْطَىءَ سَبْعِينَ خَطِيبَةً
٢٩٤	خالد بن الوليد	- لقد حضرت أكثر من مائة معركة
٦٥١	عمر	- لقد طلبت الغيث بمجاديح السَّمَاءِ

- ٧٥ الشعبي - لكن الملائكة لم تستحي
- ٧٤ ابن سيرين - لم يكن أحد بعد النبي
- لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا
- ١٩٧ ابن المسيب
- * * *
- ٢٢ ابن مسعود - ما أنت بمحدث قومًا حديثًا
- ٦٥٢ علسي - ما نزل بلاء إلا بذنب
- ١٦١ ابن عباس - ما يأتي علي الناس من عام
- ٧٥ ابن مسعود - من سئل منكم عن علم هو عنده
- ٢١٧ ابن عباس - من صلّى ولم يُزَكَّ
- ٣٨ ابن عباس - من قرأ القرآن وأتبعنا فيه
- * * *
- ١٩٧ علي - هو الخُشوعُ في القَلْبِ
- ٤٠ ربعي بن عامر - وأخرجوا الناس من عبادة العباد
- ٢١٧ أبوبكر - والله، لأقاتلن مَنْ فرَّق
- ٣٩٨ الحسن - والله للغيبة أسرع في دين المؤمن
- ٢٩٤ أبوبكر - والله لو منعوني عقلاً
- ٣٥٧ ابن عمر - ولا بزفرة واحدة
- ٤٦٥ ابن عباس - ينطلق أحدكم فيركب الحماقة
- * * *

رابعًا: فهرسُ المصَادِرِ والمَرَاجِعِ

(أ) كتب التفسير وعلوم القرآن:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإنقان، في علوم القرآن؛ للحافظ جلال الدين السيوطي.
- ٣- أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن؛ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
- ٤- التبيان، في آداب حملة القرآن؛ للإمام النووي.
- ٥- التذكار، في أفضل الأذكار؛ للإمام القرطبي (صاحب التفسير).
- ٦- تفسير البغوي «معالم التنزيل».
- ٧- تفسير ابن أبي حاتم «تفسير القرآن العظيم».
- ٨- تفسير الطبري «جامع البيان، عن تأويل آي القرآن».
- ٩- تفسير القرآن العظيم؛ للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير.
- ١٠- تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان؛ للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي.
- ١١- الجامع لأحكام القرآن؛ للإمام القرطبي.
- ١٢- الدر المنثور، في التفسير بالمأثور؛ للحافظ جلال الدين السيوطي.
- ١٣- فضائل القرآن؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- ١٤- النشر، في القراءات العشر؛ للحافظ محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري.

(ب) كتب الحديث وعلومه:

- ١٥- الأدب المفرد؛ للبخاري.
- ١٦- الترغيب والترهيب؛ لأبي القاسم الأصبهاني.
- ١٧- الترغيب والترهيب؛ للحافظ المنذري.
- ١٨- التلخيص الحبير، في تخريج أحاديث الرافعي الكبير؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- ١٩- جامع الترمذي.
- ٢٠- جامع العلوم والحكم؛ للحافظ ابن رجب.
- ٢١- الجامع في الحديث؛ لعبدالله بن وهب.

- ٢٢- رياض الصالحين؛ للإمام النووي.
- ٢٣- سبل السلام، شرح بلوغ المرام؛ للصنعاني.
- ٢٤- سنن الدارقطني.
- ٢٥- سنن الدارمي.
- ٢٦- سنن أبي داود.
- ٢٧- السنن الكبرى؛ للبيهقي.
- ٢٨- السنن الكبرى؛ للنسائي.
- ٢٩- سنن ابن ماجه.
- ٣٠- سنن النسائي.
- ٣١- شرح صحيح مسلم؛ للنووي.
- ٣٢- شعب الإيمان؛ للبيهقي.
- ٣٣- صحيح البخاري.
- ٣٤- صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان).
- ٣٥- صحيح ابن خزيمة.
- ٣٦- صحيح مسلم.
- ٣٧- فتح الباري، بشرح صحيح البخاري؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- ٣٨- فيض القدير؛ للمناوي.
- ٣٩- اللؤلؤ والمرجان، فيما اتفق عليه الشيخان؛ لمحمد فؤاد عبدالباقي.
- ٤٠- المستدرک؛ للحاكم.
- ٤١- مسند إسحاق بن راهويه.
- ٤٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل.
- ٤٣- مسند الشاميين؛ للطبراني.
- ٤٤- مسند الطيالسي.
- ٤٥- مسند أبي يعلى.
- ٤٦- المصنّف؛ لابن أبي شيبة.
- ٤٧- المصنّف؛ لعبدالرزاق، ومعه «الجامع»؛ لمعمر بن راشد.
- ٤٨- المعجم الأوسط؛ للطبراني.
- ٤٩- المعجم الكبير؛ للطبراني.
- ٥٠- المنتخب من مسند عبد بن حميد.

٥١- المتقى، من أخبار المصطفى؛ للمجد بن تيمية.

٥٢- الموطأ؛ للإمام مالك بن أنس.

٥٣- نخبة الفكر؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٥٤- نيل الأوطار؛ للإمام الشوكاني.

(ج) كتب العقيدة:

٥٥- الأصول الثلاثة وأدلتها؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٥٦- أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة؛ للعلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.

٥٧- اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٨- الإيمان؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٩- تيسير العزيز الحميد، في شرح كتاب التوحيد؛ للعلامة سليمان بن عبدالله ابن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

٦٠- حكم السحر والكهانة وما يتعلّق بها؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٦١- الرد على الجهمية والزنادقة؛ للإمام أحمد بن حنبل.

٦٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ للالكائي.

٦٣- شرح العقيدة الطحاوية؛ للإمام القاضي ابن أبي العز.

٦٤- العبودية؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٦٥- العقيدة الصحيحة وما يضادّها؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٦٦- العقيدة الواسطية؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٦٧- فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد؛ للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٦٨- الفتوى الحموية الكبرى؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٦٩- قرة عيون الموحدین، في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين؛ للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٧٠- القصيدة التونوية؛ للإمام ابن قيم الجوزية.

٧١- كتاب التوحيد؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٧٢- كشف الشبهات في التوحيد؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٧٣- مجموعة التوحيد؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وعدد من أئمة الدعوة، رحمهم الله.



- ٧٤- مجموعة الرسائل والمسائل؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية .
 ٧٥- منهاج السنة النبوية؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية .
 ٧٦- الواجبات المتحتمات المعرفة، على كل مسلم ومسلمة؛ من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

(د) كتب الأصول والقواعد الفقهية:

- ٧٧- الأشباه والنظائر؛ للإمام جلال الدين السيوطي .
 ٧٨- إعلام الموقعين، عن رب العالمين؛ للإمام ابن قيم الجوزية .
 ٧٩- تقرير القواعد، وتحرير الفوائد؛ للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي .
 ٨٠- جامع بيان العلم وفضله؛ للحافظ أبي عمر بن عبد البر .
 ٨١- الرسالة؛ للإمام الشافعي .
 ٨٢- روضة الناظر، وجنة المناظر؛ للعلامة ابن قدامة المقدسي .
 ٨٣- الفقيه والمتفقه؛ للخطيب البغدادي .
 ٨٤- قواعد الأحكام، في مصالح الأنام؛ للإمام المحدث الفقيه عز الدين بن عبد السلام .
 ٨٥- القواعد الفقهية؛ لعلي أحمد الندوي .
 ٨٦- القواعد التورانية الفقهية؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية .
 ٨٧- الموافقات؛ للإمام الشاطبي .
 ٨٨- موسوعة القواعد الفقهية؛ للشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد البورنو .

(هـ) كتب الفقه والفتاوى:

- ٨٩- الاختيارات العلمية؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية .
 ٩٠- إعلام المسافرين ببعض آداب وأحكام السفر؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين .
 ٩١- بدائع الصنائع، في ترتيب الشرائع؛ للإمام الكاساني .
 ٩٢- بداية المجتهد، ونهاية المقتصد؛ لأبي الوليد بن رشد .
 ٩٣- بلوغ المرام، من أدلة الأحكام؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني .
 ٩٤- التحقيق والإيضاح، لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز .
 ٩٥- تيسير العلام، شرح عمدة الأحكام؛ للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام .



- ٩٦- ثلاث رسائل في الصلاة؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.
- ٩٧- رسالة الحجاب؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- ٩٨- رسالة الصلاة؛ للإمام أحمد بن حنبل.
- ٩٩- رسالة الصيام؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ١٠٠- رسالة في حكم تارك الصلاة؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- ١٠١- عمدة الأحكام، في كلام خير الأنام؛ للإمام عبدالغني بن عبدالواحد الجماعيلي.
- ١٠٢- الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة، أجاب عنها أصحاب الفضيلة: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وسماحة الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، والشيخ صالح الفوزان.
- ١٠٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، جمع وترتيب أحمد بن عبدالرزاق الدويش.
- ١٠٤- فتاوى المرأة؛ أجاب عنها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين.
- ١٠٥- فتاوى النساء؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ١٠٦- فقه العبادات؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- ١٠٧- كتاب الصلاة وحكم تاركها؛ للإمام ابن قيم الجوزية.
- ١٠٨- مجالس شهر رمضان؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- ١٠٩- المجموع، شرح المهذب؛ للإمام النووي.
- ١١٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ١١١- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.
- ١١٢- المغني؛ للإمام ابن قدامة المقدسي.
- ١١٣- مناسك الحج والعمرة؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ١١٤- منهاج المسلم؛ للشيخ أبي بكر جابر الجزائري.
- ١١٥- المنهج، لمريد العمرة والحج؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- ١١٦- هداية الناسك، إلى أهم المناسك؛ لفضيلة الشيخ عبدالله بن حميد.
- (و) كتب اللغة والأدب:
- ١١٧- أدب الكاتب؛ لابن قتيبة.
- ١١٨- الإيضاح؛ للخطيب القزويني.

١١٩- تاج العروس، من جواهر القاموس؛ للزبيدي.

١٢٠- تاج اللغة، وصحاح العربية؛ للجوهري.

١٢١- التعريفات؛ للجرجاني.

١٢٢- خزانة الأدب؛ لعبدالقادر البغدادي.

١٢٣- شرح قطر الندى، وبل الصدى؛ لابن هشام الأنصاري.

١٢٤- العقد الفريد؛ لابن عبد ربه.

١٢٥- غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام.

١٢٦- الغريبين؛ لأبي عبيد الهروي.

١٢٧- القاموس المحيط؛ للفيروز آبادي.

١٢٨- الكامل في اللغة والأدب؛ لأبي العباس المبرّد.

١٢٩- لسان العرب؛ لابن منظور.

١٣٠- مجمع الأمثال؛ للميداني.

١٣١- مقامات الحريري.

١٣٢- ملحّة الإعراب؛ للحريري.

١٣٣- النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير^(١).

(ز) كتب التاريخ والسيرة والتراجم:

١٣٤- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه؛ لمحمد بن إسحاق الفاكهي.

١٣٥- الاستيعاب، في أسماء الأصحاب؛ للحافظ ابن عبد البر.

١٣٦- الإصابة، في تمييز الصحابة؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.

١٣٧- الأنوار، في شمائل النبي المختار؛ للبغوي.

١٣٨- البداية والنهاية؛ للحافظ ابن كثير.

١٣٩- تاريخ الأمم والملوك؛ للإمام الطبري.

١٤٠- تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي.

١٤١- تاريخ مدينة دمشق؛ للحافظ ابن عساكر.

١٤٢- تبیین كذب المفتري، فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري؛ للحافظ ابن عساكر.

١٤٣- حلية الأولياء؛ لأبي نعيم.

(١) هذا بالإضافة إلى مجموعة من الدواوين، وكتب الأدب المعروفة.



- ١٤٤- الذيل على طبقات الحنابلة؛ للحافظ ابن رجب الحنبلي .
 ١٤٥- الروض الأنف؛ للسهيلى .
 ١٤٦- زاد المعاد، فى هدى خير العباد؛ للإمام ابن قيم الجوزية .
 ١٤٧- سير أعلام النبلاء؛ للحافظ الذهبى .
 ١٤٨- سيرة ابن إسحاق .
 ١٤٩- السيرة النبوية؛ للحافظ ابن كثير .
 ١٥٠- السيرة النبوية؛ لابن هشام .
 ١٥١- الشفا، بتعريف حقوق المصطفى؛ للقاضي عياض .
 ١٥٢- السمائل المحمدية؛ للترمذى .
 ١٥٣- طبقات الحنابلة؛ لابن أبى يعلى .
 ١٥٤- الكامل فى التاريخ؛ لابن الأثير .
 ١٥٥- لسان الميزان؛ للحافظ ابن حجر العسقلانى .
 ١٥٦- مختصر سيرة الرسول؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .
 ١٥٧- مناقب الإمام أحمد؛ لابن الجوزى .
 ١٥٨- المنتظم، فى تاريخ الملوك والأمم؛ لابن الجوزى .
 ١٥٩- نضرة النعيم، فى مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ؛ بإشراف فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن حميد .
 ١٦٠- نفع الطيب، من عُصْن الأندلس الرطيب؛ للمقرئ .

(ح) كتب الرقائق:

- ١٦١- إرشاد العباد، للاستعداد ليوم المعاد؛ للشيخ عبدالعزيز محمد السلمان .
 ١٦٢- إصلاح المجتمع؛ للشيخ محمد سالم البيحاني .
 ١٦٣- بهجة الناظرين، فيما يصلح الدنيا والدين؛ للشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله .
 ١٦٤- التذكرة، فى أحوال الموتى وأمور الآخرة؛ للإمام القرطبي .
 ١٦٥- الخشوع فى الصلاة؛ للحافظ ابن رجب الحنبلي .
 ١٦٦- الزهد؛ للإمام أحمد بن حنبل .
 ١٦٧- السفينة الماخرة، فى أحوال البرزخ وأمور الآخرة؛ للشيخ حامد العبادى .
 ١٦٨- الصمت؛ لابن أبى الدنيا .
 ١٦٩- كتاب الأذكار؛ للإمام النووي .

- ١٧٠- الكلم الطيب؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية .
 ١٧١- مختصر منهاج القاصدين؛ للإمام ابن قدامة المقدسي .
 ١٧٢- مدارج السالكين، شرح منازل السائرين؛ للإمام ابن قيم الجوزية .
 ١٧٣- مكارم الأخلاق؛ لابن أبي الدنيا .
 ١٧٤- موارد الظمان، لدروس الزمان؛ للشيخ عبدالعزيز محمد السلطان .
 ١٧٥- موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا .
 ١٧٦- الوايل الصيب، من الكلم الطيب؛ للإمام ابن قيم الجوزية .

(ط) كتب الخطابة :

- ١٧٧- أدب الخطيب؛ لابن العطار .
 ١٧٨- تذكرة الأنام، في خطب العام؛ للشيخ صالح القاضي .
 ١٧٩- توجيهات وذكري؛ لمعالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد .
 ١٨٠- خطب الجمع؛ لفضيلة الشيخ عبدالله الخليلي .
 ١٨١- خطب الجمع والأعياد؛ لفضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم .
 ١٨٢- الخطب الطوالع، والحكم الجوامع؛ للشيخ إبراهيم الناصر .
 ١٨٣- الخطب في المسجد الحرام؛ لفضيلة الشيخ عبدالله خياط .
 ١٨٤- خطب مختارة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
 ١٨٥- الخطب المنبرية، في المناسبات العصرية؛ لفضيلة الشيخ صالح الفوزان .
 ١٨٦- الضياء اللامع، من الخطب الجوامع؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين .
 ١٨٧- الفتوحات الربانية، بالخطب والمواعظ القرآنية؛ للشيخ محمد سالم البيحاني .
 ١٨٨- لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف؛ للحافظ ابن رجب الحنبلي .
 ١٨٩- من أحاديث المنبر؛ للشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ .
 ١٩٠- من منبر المسجد الحرام؛ لفضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيّل .
 ١٩١- الموعظة الحسنة، بما يخطب في شهور السنة؛ لصديق حسن خان القنوجي^(١) .

(ي) كتب عامة :

- ١٩٢- الآداب الشرعية، والمنح المرعية؛ لابن مفلح .

(١) وهناك مجموعة من كتب الخطب لعدد من الخطباء الفضلاء، لا تخفى على مبتغيها .

١٩٣- اداب طلب العلم؛ للعلامة محمد بن علي الشوكاني .

١٩٤ - إحياء علوم الدين؛ للغزالي .

١٩٥- أخلاق العلماء؛ للأجْرِيّ .

١٩٦ - أدب الدنيا والدين؛ للماوردي .

١٩٧- تذكرة السامع والمتكلم، في أدب العالم والمتعلم؛ لعز الدين بن جماعة .

١٩٨- الجواب الكافي، لمن سأل عن الدواء الشافي؛ للإمام ابن قيم الجوزية .

١٩٩- رفع الملام، عن الأئمة الأعلام؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٢٠٠- روضة المحبين ونزهة المشتاقين؛ للإمام ابن قيم الجوزية .

٢٠١- الزواجر، عن اقتراف الكبائر؛ لابن حجر الهيتمي .

٢٠٢- فضل علم السلف على الخلف؛ للحافظ ابن رجب الحنبلي .

٢٠٣- الفوائد؛ للإمام ابن قيم الجوزية .

٢٠٤- الكبائر؛ للحافظ الدَّهَبِيّ .

٢٠٥- كتاب «العلم»؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

* * *

وهناك عدد من الكتب فيما يتعلق بالقضايا المعاصرة، لا تخفى على اللبيب، فيحسن مراجعتها؛ جمعاً بين الأصالة والمعاصرة، والله الموفق . وهو الهادي إلى سواء السبيل .

خَامِسًا: فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

٥	مَقَدِّمَةٌ
		القِسْمُ الْأَوَّلُ
٥٨ - ٣٥	الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
٣٧	١ - ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾
٤٨	٢ - نَهْلٌ وَازْتِشَافٌ ، مِنْ مَعِينِ سُورَةِ « ق »
		القِسْمُ الثَّانِي
٨٤ - ٥٩	الْعِبَادُ وَالْعَمَلَاءُ
٦١	٣ - أَغْذَبُ الْمَوَارِدِ الْعَالَمِ النَّافِعُ
٧٠	٤ - إِلَى الْمَوْقِعَيْنِ ، عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
		القِسْمُ الثَّلَاثُ
١٢٩ - ٨٥	الْحَقِيقَاتُ
٨٧	٥ - الْقَضِيَّةُ الْأُمَّ
٩٩	٦ - دَوْحَةُ الْإِيْمَانِ !
١٠٨	٧ - التَّوْحِيدُ خَيْرٌ عَاصِمٍ ، مِنَ التَّطْيِيرِ وَالتَّشَاؤِمِ
١١٧	٨ - كَلَالِ السَّحْرِ وَالتَّشْعُودَةِ !

القِسْمُ الرَّابِعُ

السِّيَرَةُ وَالسِّيَرَةُ

١٧٢ - ١٣١

٩ - مَنْ لِلسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الْيَوْمَ ١٢

١٠ - السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ وَوَأَقْعُ الْأُمَّةِ

١١ - تَحْيِيرُ الْمَقَالِ، فِي حُكْمِ الْأَحْتِفَالِ

القِسْمُ الْخَامِسُ

الْعِبَادَاتُ

٣١٤ - ١٧٣

(أ) الظَّهَارَةُ:

١٢ - « الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيْمَانِ »

(ب) الصَّلَاةُ:

١٣ - « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ »

١٤ - رُوحُ الصَّلَاةِ وَلِبُهَا

١٥ - يَوْمُ إِنَابَةٍ، وَسَاعَةٌ إِجَابَةٌ

(ج) الزَّكَاةُ:

١٦ - الزَّكَاةُ، مُوَأَسَاةٌ وَنَمَاءٌ، لِإِجَابِيَّةٍ وَعِنَاءٌ

(د) الصِّيَامُ:

١٧ - كَيْفَ نَسْتَقْبِلُ رَمَضَانَ ١٢

١٨ - « يَا بَاغِي الْخَيْرِ، أَقْبِلْ »

١٩ - حَالُنَا بَعْدَ رَمَضَانَ ١

(هـ) الْحَجُّ :

- ٢٠ - الإغلامُ، يقدِّسِيَّةُ البَلَدِ الحَرَامِ ٢٥٦
- ٢١ - نَزْرُ العَيْقِقِ، وَصَايَا الحُجَّاجِ البَيْتِ العَيْقِقِ ٢٦٨
- ٢٢ - وَمَاذَا بَعْدَ الحَجِّ؟ ٢٧٧
- (و) الجِهَادُ والحِسْبَةُ :
- ٢٣ - « ذِرْوَةٌ سَنَامِ الإِسْلَامِ! » ٢٨٦
- ٢٤ - بِالحِسْبَةِ كَمَا خَيْرُ أُمَّةٍ! ٣٠٠

القِسْمُ السَّادِسُ

المُعَامَلَاتُ

- ٢٥ - كَسْبَانِ لَا يَلْتَقِيَانِ ٣١٥ - ٣٤٠
- ٢٦ - ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبْوَا ﴾ ٣٢٨

القِسْمُ السَّابِعُ

الإِخْلَاقُ وَالسَّيَؤُلُ

- (أ) صفات حميدة :
- ٢٧ - الأَمَانَةُ : مَفْهُومُهَا، وَمَكَانَتُهَا، وَأَثَارُهَا ٣٤٣
- ٢٨ - ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾ ٣٥٤
- ٢٩ - ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ٣٦٩
- (ب) صفات ذميمة :
- ٣٠ - تَحْذِيرُ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ ، مِنْ أَكْلِ الحَسَنَاتِ !! ٣٨٠

٣١ - الإِعْرَاضُ ، عَن مِّقْرَاضِ الْأَعْرَاضِ ٣٩٥

٣٢ - الْخَصْلَةُ الذَّمِيمَةُ ، الْمَشْبِيُّ بِالْمِيمَةِ ۱۱ ٤١٠

القِسْمُ الثَّامِنُ

٤٢٥ - ٤٩٢ الْقَضَايَا الْاجْتِمَاعِيَّةُ

٣٣ - الزَّوْجُ ، حَصَانَةٌ وَأَبْتِهَاجٌ ٤٢٧

٣٤ - وَصَايَا وَتَوْجِيهَاتٌ ، إِلَى الْأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ ٤٣٩

٣٥ - « أَبْغَضُ الْحَالِلِ ! » ٤٥٤

٣٦ - التَّدَاءُ الْحَبَائِي ، إِلَى النِّصْفِ الثَّانِي ٤٦٧

٣٧ - مَخَوِّزِيَّةٌ أَفْثَلٌ فِي عَصْرِ الْفَضَائِلِ ٤٧٩

القِسْمُ الثَّاسِعُ

٤٩٣ - ٥٤١ مَا لَيْسَ الْمُسْلِمِينَ وَقَضَايَا الْهَمْرِ

٣٨ - صَرْخَةُ عِبْرَةٍ ، وَذَرْقَةُ عِبْرَةٍ ، إِيَّانَ حَرْبِ الْخَلِيجِ ٤٩٥

٣٩ - قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ وَالْأَفْصَى إِلَى أَيْنَ ؟ ٥٠٧

٤٠ - مَأْسَاةُ الْبُوسْنَةِ وَالْهَرَسِكِ ، بَيْنَ الْوَأَجِبِ الْإِسْلَامِيِّ ٥١٨

وَالْتَّخَاذُ الْعَالِمِيِّ ٥١٨

٤١ - لَوْعَةُ الضَّمِيرِ ، عَلَى قَضِيَّةِ كَشْمِيرَ ٥٣٠

القِسْمُ الْعَاشِرُ

٥٤٣ - ٥٨٤ الْقِسْمُ الْعَاشِرُ

٤٢ - إِلَى مَتَى الْعَمَلَةُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ۱۱؟ ٥٤٥

٤٣ — « القَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ ! » ٥٥٨

٤٤ — آثَارُ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ ، عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ وَالشُّعُوبِ ٥٧٣

القِسْمُ الْحَادِي عَشَرَ

٥٨٥ — ٦٣٢ مَوْضُوعَاتُ مَتْنِ مَوْعِظَاتِ

٤٥ — الْقَوْلُ الْمُحَجَّلُ ، فِي سِيَرَةِ الْإِمَامِ الْمُبَجَّلِ ٥٨٧

٤٦ — أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ وَتَحَدِّيَاتُ الْعَوْلَةِ ٦٠٢

٤٧ — مُؤَامَرَاتُ لَامُؤْتَمَرَاتُ ! « بِمُنَاسَبَةِ عَقْدِ مُؤْتَمَرِ السُّكَّانِ وَالتَّمِيمَةِ » ٦١٩

القِسْمُ الثَّانِي عَشَرَ

٦٣٣ — ٧٠٢ خُطْبَةُ الْمُنَاسِبَاتِ

٤٨ — بَدَايَةُ الْعَامِ ، آمَالٌ وَأَلَامٌ ! ٦٣٥

٤٩ — بَيْنَ غَيْشَيْنِ هُمَا مَادَّةُ الْحَيَاةِ « خُطْبَةُ صَلَاةِ الْإِسْتِسْقَاءِ » ٦٤٥

٥٠ — نِدَاءُ عَامٍ ، مِنْ مَنِيرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، إِلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ

« خُطْبَةُ عِيدِ الْأَضْحَى الْمُبَارِكِ » ٦٦٤

٧٠٣ — ٧٥٢ الفهرس

أَوَّلًا: فَهْرِسُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ٧٠٥

ثَانِيًا: فَهْرِسُ الْأَحَادِيثِ الثَّبَوِيَّةِ ٧٢٤

ثَالِثًا: فَهْرِسُ الْآثَارِ الْمَرْوِيَّةِ ٧٣٦

رَابِعًا: فَهْرِسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ ٧٣٩

خَامِسًا: فَهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ ٧٤٨

